يُطبع لأول مرة مُحققاً

إتحاف السادة المتقين

للسيد الإمام

محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني الزبيدي

بشرح

إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام الإمام

محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي

تحقيق

أشرف محمد أحمد

راجعه ودققه

عثمان أيوب البوريني

محمد سميح الشيخ حسين

2024

المجلد التاسع والعشرون وفيه كتاب ذكر الموت وما بعده إلى نهاية الباب الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب ذكر الموت وما بعده

وفيه ثمانية أبواب:

- الباب الأول:

في ذِكر الموت، والترغيب في الإكثار من ذِكره

- الباب الثاني:

في طول الأمل، وفضيلة قِصَر الأمل، وسبب طوله، وكيفية معالجته

- الباب الثالث:

في سكرات الموت وشدته وما يُستحَب من الأحوال عنده

- الباب الرابع:

في وفاة رسول الله ﷺ ووفاة الخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم

- الباب الخامس:

في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

- الباب السادس:

في أقاويل العارفين علىٰ الجنائز والمقابر، وحكم زيارة القبور

- الباب السابع:

في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلىٰ نفخة الصور

- الباب الثامن:

فيما عُرِف من أحوال الموتىٰ بالمكاشفة في المنام

٤٠ - كتاب ذكر الموت وما بعده

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وسلَّم.

الله ناصر كل صابر.

الحمد لله مقدِّر الموت علىٰ العِباد، ومحذِّر الفوت لينتهزوا فرصةَ الاجتهاد، وجاعل موت المسلمين وسيلة إلىٰ لقائه، ومدخلاً في دار إحسانه وحُسن جزائه، ومعراجًا تعرج به أرواحُهم إلىٰ حضرة القدس، ومَخرجًا يتروَّحون فيه من غموم الدنيا بنفحات القرب والأنس. أحمده علىٰ حسن بلائه لنا في الموت والحياة، وأشكره علىٰ توفيقه لشهود حسن اختياره للمؤمنين في كل ما قدَّره وأمضاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبد إلا إياه. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله، الذي اصطفاه بالتفضيل علىٰ سائر خلقه واجتباه، وجعله إمامًا لأهل أعصار الدنيا، ثم نقله إلىٰ الآخرة ليأتمَّ به أهلُ تقواه، ولقد خيَّره سبحانه بين الدنيا وبين ما عنده وارتضاه، لا جَرَمَ أنه نقله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ وجعل أعلىٰ الفردوس مَثْواه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه الثقات الهُداة وسلَّم كثيرًا وأدام ذلك بمَدَد لا يُدرَك مُنتهاه.

وبعد، فهذا شرح كتاب «ذكر الموت وما بعده»، وهو الأربعون الموفي لكتب إحياء العلوم للإمام الهُمام مقتدَىٰ الخاص والعام حُجة الإسلام وقطب

رحىٰ دائرة الأعلام مولىٰ الموالي أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، روىٰ الله ضريحَه بملث غيث رحمته المُوالي، وأهدىٰ إلىٰ روحه الزكيَّة تخالف غفرانه الغوالي. وقد طالعتُ عليه زيادةً علىٰ ما سلف ذكره في مقدمة كتاب العلم من الكتب الغريبة: كتاب «المتفجِّعين» لأبي العباس محمود بن محمد بن الفضل الأديب[١]، وكتاب «الثبات عند الممات» للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، و«حادي القلوب إلىٰ لقاء المحبوب» للشيخ ناصر الدين محمد ابن بنت الميلق الشاذلي[٢]، و«شرح الصدور في أحوال الموتىٰ والقبور» و«أمالي الدرَّة الفاخرة» كلاهما للحافظ جلال الدين السيوطي، رحمهم الله تعالىٰ.

فدونك شرحًا للمقاصد محرَّرًا، وللراغب في الآخرة منبِّهًا ومذكِّرًا، جمع الفوائدَ فأوعَىٰ، واستوعب المهمَّات نوعًا فنوعًا.

ولما رأيت مسارعة الموت حائلة بين المؤمَّل والآمال انتهزت الفرصة بالاختصار والإجمال، وكتبت ما تبادر في استحضاري أولاً فأولاً، ولم أتفرَّغ لإراحة العنان؛ لكوني مستعجلاً، وبالله توكلي، وبه أستعين، إنه هو المعين في أمور الدنيا والدين، وهذا أوان شروع المقصود بعون الملك المعبود.

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي قصم بالموت رقابَ الجبابرة**) القَصْم[٣]: كسرُ الشيء حتىٰ يبين، وقولهم في الدعاء: قصمه اللهُ، معناه: أذلَّه وأهانه. وهذه المعاني الثلاثة محتملة هنا. والرِّقاب[٤] جمع

(١) انظر ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٧/ ١٢٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٧/ ١٩٨، ومن محاسن الإتحاف أن حفظ لنا شيئًا من نصوص هذا الكتاب المفقود، والذي لا ذكر له عند أحد من أصحاب الفهارس فيما وقفت عليه.

(٢) انظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر ٤/ ١١٤.

(٣) المصباح المنير ص ٥٠٦.

(٤) تاج العروس ٢/ ٥١٨.

الرَّقَبة، محرَّكة: العنق، وقيل: أصل مؤخَّره، ويُجمع أيضًا علىٰ رَقَب وأرقُب ورَقَبات. والجبابرة[١] جمع جبَّار، وهو فَعَّال من الجبر بمعنىٰ القهر والإذلال، يقال: جبره السلطان: إذا قهره وسامه الخسفَ، وأجبره لغة فيه، قال الأزهري: هما جيدتان. وقال ابن دُرَيد في باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة: مما تكلَّمت به العرب من فعلت وأفعلت: جبرت الرجلَ علىٰ الشيء وأجبرته (**وكسر به ظهورَ الأكاسرة**) جمع كسرىٰ، بفتح الكاف وكسرها، لغتان مشهورتان، وحُكي الفتح عن الأصمعي، والكسر عن غيره[٢] (**وقصر به آمالَ القياصرة**) جمع قيصر، قال المطرزي وابن خالويه: كل مَن ملك الرومَ قيصر، ومَن ملك الفُرسَ كسرىٰ[٣]. وقد جاء ذِكرُهما في الحديث، رواه الترمذي[٤] عن أبي هريرة: «إذا هلك كسرىٰ فلا كسرىٰ بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده». وفي كلٍّ من الجملتين جِناس الاشتقاق، وفي الثانية فقط براعة الاستهلال (**الذين لم تزل قلوبُهم عن ذِكر الموت نافرة حتىٰ جاءهم الوعد الحق**) الذي هو الموت، فإنه حتمٌ في رقاب العِباد (**فأرداهم**) أي أوقعَهم (**في الحافرة**) أي المحفورة، والمراد بها القبر. وأما[٥] قوله تعالىٰ: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ [النازعات: ١٠] فالمعنىٰ: إلىٰ أمرنا الأول وهو الحياة[٦]. وقال مجاهد: أي خلقًا جديدًا[٧]. وقال

(١) المصباح المنير للفيومي ص ٨٩ - ٩٠. تهذيب اللغة للأزهري ١١/ ٦٠. جمهرة اللغة لابن دريد ص ١٢٦١.

(٢) ذكره العراقي في طرح التثريب ٧/ ٢٥٢، وكان الأصمعي ينكر الكسر. وانظر: الصحاح للجوهري ٢/ ٨٠٦. تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٥٠. مشارق الأنوار للقاضي عياض ١/ ٣٥٢، وتاج العروس للزبيدي ١٤/ ٤٠ - ٤١.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص ٨٦٢ - ٨٦٣. تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٦٥.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٧٤، وتمام الحديث: «والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله». والحديث رواه البخاري ٢/ ٣٦٦، ٣٩٣، ٥٣٣، ٤/ ٢١٥. ومسلم ٢/ ١٣٣٣ - ١٣٣٤.

(٥) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٤٧٨.

(٦) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٣٢.

(٧) رواه عنه الطبري في جامع البيان ٢٤/ ٧١.

ابن الأعرابي: أي إلىٰ الدنيا كما كنا[1]. يقال: عاد إلىٰ حافرته، أي رجع إلىٰ حالته الأولىٰ[2] (**فنُقِلوا من**) أعالي (**القصور إلىٰ**) أسافل (**القبور، ومن ضياء المُهود**) جمع المَهْد بمعنىٰ الممهود وهو الفَرش المهيَّأ للاضطجاع (**إلىٰ ظلمة اللحود**) جمع اللحد وهو القبر الملحود (**ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلىٰ مصاحبة**) وفي نسخة: مُقاساة (**الهوامِّ والديدان، ومن التنعُّم بالطعام والشراب إلىٰ التمرُّغ في التراب، ومن أُنس العِشْرة**) بكسر العين وسكون الشين: الجماعة المعاشرون (**إلىٰ وحشة الوحدة**) وبين كلٍّ من الضياء والظلمة والأنس والوحدة حُسنُ المقابلة (**ومن المضجع الوثير**) أي الليِّن (**إلىٰ المصرع الوبيل**) أي الوخم (**فانظر هل وجدوا من الموت حصنًا وعزًّا**) يمنعهم منه (**أو اتخذوا من دونه حجابًا وحِرزًا**) يدفعهم عنه (**وانظر هل تحس منهم من أحد**) أي هل تشعر بأحد منهم أو تراه (**أو تسمع لهم رِكْزًا**) أي صوتًا خفيًّا (**فسبحان مَن انفرد بالقهر والاستيلاء**) أي الغلبة (**واستأثر**) أي اختصَّ (**باستحقاق البقاء**) بنفسه لا إلىٰ عمدة، ولم يصحَّ عليه الفناءُ (**وأذلَّ أصنافَ الخَلق**) أي أنواع المخلوقات (**بما كتب عليهم من الفناء**) وهذا هو البقاء بغيره ممَّا سواه سبحانه، فإنه يصح عليه الفناءُ (**ثم جعل الموت مَخلصًا**) من الحبس (**للأتقياء**) أي للمؤمنين الموصوفين بالتقوىٰ (**وموعدًا في حقِّهم للقاء**) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ﴾ [العنكبوت: ٥] (**وجعل القبر سجنًا للأشقياء وحبسًا ضيقًا عليهم إلىٰ يوم الفصل والقضاء**) كما وردت بذلك الأخبارُ، وسيأتي ذِكرُها (**فله الإنعام بالنعم المتظاهرة**) أي العديدة المعاوِنة بعضها بعضًا (**وله الانتقام بالنِّقَم القاهرة**) أي الغالبة (**وله الشكر في السموات والأرض، وله الحمد في الأولىٰ والآخرة. والصلاة علىٰ**) سيدنا (**محمد ذي المعجزات الظاهرة**) أي المعلومة (**والآيات الباهرة**) وتقدَّم الكلام علىٰ المعجزة والآية وذُكر الفرق بينهما (**وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا**).

---

(١) نقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ١٨.

(٢) ذكره الزمخشري في أساس البلاغة ١/ ١٩٩.

أما بعد، فجديرٌ بمَن الموتُ مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكَر ونكير جليسه، والقبر مقرُّه، وبطن الأرض مستقرُّه، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، أن لا يكون له فكرٌ إلا في الموت) فإنه السبب الموصل لهذه الأهوال المذكورة والباب الفاتح لها **(ولا ذِكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلُّع إلا إليه، ولا تعريج إلا عليه)** والتعريج: الوقفة اليسيرة **(ولا اهتمام إلا به، ولا حوم إلا حوله، ولا انتظار وتربُّص إلا له. وحقيقٌ بأن يعدَّ نفسه من)** جملة **(الموتىٰ، ويراها في)** جملة **(أصحاب القبور)** يشير إلىٰ حديث ابن عمر الآتي ذِكره **(فإنَّ كل ما هو آتٍ قريب)** رواه القضاعي[1] من حديث عبد الله بن مصعب بن خالد الجُهَني عن أبيه عن جدِّه زيد قال: تلقَّفت هذه الخطبة من في رسول الله ﷺ ... فذكرها، وفيها هذه الجملة **(والبعيد ما ليس بآتٍ)** وهو الذي انقرض ومضىٰ، ومنه قول الشاعر[2]:

فلا زال ما تهواه أقرب من غدٍ ... ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

(وقد قال ﷺ: الكَيِّس مَن دانَ نفسَه وعملَ لِما بعد الموت) والعاجز مَن أتبع نفسه هواها وتمنَّىٰ علىٰ الله تعالىٰ. رواه الترمذي وابن ماجه من حديث شدَّاد بن أوس. وقد تقدَّم مرارًا **(ولن يتيسَّر الاستعدادُ للشيء إلا عند تجدُّد ذِكره علىٰ القلب، ولا يتجدَّد ذِكره إلا عند التذكُّر بالإصغاء إلىٰ المذكِّرات له والنظر في المنبِّهات عليه. ونحن نذكر من أمر الموت ومقدِّماته ولواحقه)** ومتمِّماته **(وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره علىٰ التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار؛ ليكون ذلك مستحثًّا علىٰ الاستعداد، فقد قرُب الرحيلُ لِما بعد الموت، فما بقي من العمر إلا القليل، والخلق عنه غافلون)** قال الله

---

(١) مسند الشهاب ١/ ١٤٨.

(٢) هو أحمد بن دراج القسطلي الأندلسي المتوفي سنة ٤٢١، والبيت في ديوانه ص ٥١١ (ط - المكتب الإسلامي).

تعالىٰ: (﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾) أي[1] بالإضافة إلىٰ ما مضىٰ، أو عند الله، أو لأن كل ما هو آت قريب (﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾) [الأنبياء: ١] عن التفكُّر فيه (**ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين، الشطر الأول في مقدِّماته وتوابعه إلىٰ نفخة الصور، وفيه ثمانية أبواب، الباب الأول: في فضل ذكر الموت والترغيب فيه. الباب الثاني: في ذِكر طول الأمل وقِصَره**) وفيه بيان فضل قِصَره، والسبب في طوله، وعلاجه، وبيان مراتب الناس في كلٍّ منهما، والمبادرة إلىٰ العمل، وحذر آفة التأخير (**الباب الثالث: في سكرات الموت وشدته، وما يُستحَبُّ من الأحوال عند الموت**) وفيه بيان دواهي الموت والحسرة، ومنه لقاء ملَكِ الموت (**الباب الرابع: في وفاة رسول الله ﷺ**) وما جرىٰ عندها (و) وفاة (**الخلفاء الراشدين**) ﷺ (**من بعده**) وما جرىٰ لهم عندها (**الباب الخامس: في كلام المحتضرين**) أي المشرفين علىٰ الموت، يقال[2]: حضره الموتُ واحتضره: أشرف عليه، فهو في النزع، وهو محضور ومحتضَر بالفتح (**من الخلفاء والأمراء والصالحين. الباب السادس: في أقاويل العارفين علىٰ الجنائز والمقابر، وحكم زيارة القبور. الباب السابع: في حقيقة الموت، وما يلقاه الميتُ في القبر إلىٰ نفخة الصور. الباب الثامن: فيما عُرف من أحوال الموتىٰ بالمكاشَفة في المنام**) فهذه ثمانية أبواب علىٰ عدد أبواب الجنان.

---

(١) أنوار التنزيل ٤/ ٤٥.

(٢) المصباح المنير ص ١٤٠.

الباب الأول:

في ذِكر الموت، والترغيب في الإكثار من ذِكره

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ أن[1] المقامات التسع التي ذكرها المصنف ليست علىٰ رتبة واحدة، بل بعضها مقصود لذاته كالمحبة والرضا فإنهما أعلىٰ المقامات، وبعضها مطلوب لغيره كالتوبة والزهد والخوف والصبر؛ إذ التوبة رجوع عن طريق البعد وإقبال علىٰ طريق القرب، والزهد تركُ التشاغل عن القرب، والخوف سوط يسوق إلىٰ ترك الشواغل، والصبر جهاد مع الشهوات القاطعة لطريق القرب. وكل ذلك غير مطلوب لذاته، بل المطلوب القرب والمحبة، والمعرفة مطلوبة لذاتها لا لغيرها، ولكن لا يتم ذلك إلا بقطع حب غير الله من القلب، فاحتيجَ إلىٰ الخوف والصبر والزهد لذلك، ومن الأمور العظيمة النفع فيه ذكرُ الموت، فلذلك أورده آخرًا، ولذلك عظَّم الشرعُ ثوابَ ذِكره؛ إذ به ينقص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها. وإذا فهمتَ ذلك فاعلمْ **(أن المنهمك في الدنيا المكبَّ علىٰ غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبُه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره)** بلسانه وبقلبه **(وإذا ذُكِّر به كرهه ونفرَ منه، أولئك هم الذين قال الله تعالىٰ فيهم:** ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾) وتخافون[2] أن تتمنَّوه بلسانكم مخافةَ أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم (﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾) لا تفرُّون منه، لاحقٌ بكم (﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾) [الجمعة: ٨] بأن يجازيكم عليه. وما قبل هذه الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ

---

(١) الأربعين في أصول الدين للغزالي ص ٢٦٤.

(٢) أنوار التنزيل ٥/ ٢١٢.

فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [الجمعة: ٧] **(ثم الناس إما منهمك)** في حب الدنيا **(وإما تائب مبتدئ، أو عارف منتهٍ)** قد انتهىٰ في سيره **(أما المنهمك فلا يذكر الموت)** أصلاً؛ لاشتغاله بما ينفِّره عنه **(وإن ذكره)** يومًا **(فيذكره للتأسُّف علىٰ دنياه)** أي علىٰ ما يفوته منها **(ويشتغل بمَذَمَّته، وهذا يزيده ذكرُ الموت من الله بعدًا. وأما التائب)** المبتدئ **(فإنه يُكثِر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوفُ والخشية فيفي بتمام التوبة، وربما يكره الموت)** في بعض الأحيان **(خيفةً من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد)** وتهيئته **(وهو معذور في كراهة الموت)** من هذا الوجه **(ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ: مَن كره لقاء الله كره الله لقاءه)** هو شطر حديث أوله: «مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومَن كره لقاءَ الله ...» الخ. قال العراقي[1]: متفق عليه من حديث أبي هريرة. ا.هـ. قلت: هو متفق عليه من حديث عائشة ومن حديث أبي موسىٰ ومن رواية أنس عن عُبادة بن الصامت[2]، وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم فقط والنسائي[3]. وسيأتي ذِكره **(فإنَّ هذا ليس يكره الموت ولقاءَ الله، وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره، وهو كالذي يتأخَّر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه علىٰ وجه يرضاه)** ويحبه **(فلا يُعَدُّ كارهًا للقاء)** بهذا المعنىٰ **(وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له، لا شغل له سواه، وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا، وأما العارف)** المنتهي **(فإنه يذكر الموت دائمًا؛**

---

(١) المغني ٢/ ١١٩٩.

(٢) حديث عائشة وحديث أبي موسىٰ وحديث عبادة بن الصامت رواها البخاري ٤/ ١٩٣، ومسلم ٢/ ١٢٣٦ - ١٢٣٧.

(٣) بل قد أصاب العراقي المحز، فقد رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٤٠٤ قال: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه». ومسلم في صحيحه ٢/ ١٢٣٧، والنسائي في سننه ص ٢٩٦.

لأنه موعد لقائه لحبيبه، والمحب لا ينسىٰ قط موعد لقاء الحبيب، وهذا في غالب الأمر يستبطئ مجيءَ الموت ويحب مجيئه ليتخلَّص من دار العاصين وينتقل إلىٰ جوار رب العالمين، كما رُوي عن حذيفة) بن اليمان ﷺ **(أنه لمَّا حضرته الوفاةُ قال: حبيبٌ جاء علىٰ فاقة، لا أفلح مَن ندم، اللهم إن كنتَ تعلم أن الفقر أحب إليَّ من الغنىٰ والسقم أحب إليَّ من الصحة والموت أحب إليَّ من العيش فسهِّلْ عليَّ الموتَ حتىٰ ألقاك)** رواه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا محمد بن يزيد الأدمي، حدثنا يحيىٰ ابن سليم، عن إسماعيل بن كثير، عن زياد مولىٰ ابن عيَّاش قال: حدثني مَن دخل علىٰ حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال: لو لا أني أرىٰ أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر علىٰ الغنىٰ، وأحب الذلة علىٰ العز، وأحب الموت علىٰ الحياة، حبيب جاء علىٰ فاقة، لا أفلح مَن ندم. ثم مات رحمه الله تعالىٰ. وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات[2] عن عمر بن أبي القاسم، أخبرنا حمد بن أحمد، أخبرنا أحمد ابن عبد الله الأصبهاني هو صاحب الحلية ... فذكره.

وقال أبو نعيم أيضًا[3]: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا السري بن يحيىٰ، عن الحسن قال: لمَّا حضر حذيفةَ الموتُ قال: حبيب جاء علىٰ فاقة، لا أفلح مَن ندم، الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين[4]: حدثني الربيع بن ثعلب،

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٨٢.

(٢) الثبات عند الممات ص ١٢١.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٨٢. وأخرجه أيضًا البغوي في معجم الصحابة ٢/ ٢٤.

(٤) المحتضرين ص ١١١ - ١١٢.

حدثني فرج بن فضالة، عن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه قيل له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: فما تشتكي؟ قال: الذنوب. قالوا: أفلا ندعو لك الطبيبَ؟ قال: الطبيب أمرضني، لقد عشت فيكم علىٰ خلال ثلاثٍ: الفقر فيكم أحب إليَّ من الغنىٰ، والضَّعة فيكم أحب إليَّ من الشرف، وإن مَن حمدني منكم ومَن لامَني في الحق سواء. ثم قال: أصبحنا؟ قالوا: نعم. قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح النار، حبيب جاء علىٰ فاقة، لا أفلح مَن ندم. وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات[1] عن إسماعيل بن أحمد، أخبرنا محمد بن هبة الله، أخبرنا علي بن محمد بن بشران، حدثنا ابن صفوان، حدثنا أبو بكر القرشي، هو ابن أبي الدنيا ... فذكره.

وقد رُويتْ هذه المقالة أيضًا عن معاذ بن جبل أنه لمَّا طُعن في كفِّه قال: حبيب جاء علىٰ فاقة، لا أفلح مَن ندم. رواه ابن عساكر[2] عن عبد الرحمن بن غُنْم عنه.

(فإذًا التائب معذور في كراهة الموت، وهذا معذور في حب الموت وتمنِّيه، وأعلىٰ منهما رتبةً مَن فوَّض أمره إلىٰ الله تعالىٰ فصار لا يختار لنفسه موتًا ولا حياة) ولا نفعًا ولا ضرًّا **(بل يكون أحبُّ الأشياء إليه أحبها إلىٰ مولاه)** كما رُوي ذلك عن عدَّة من السلف، وتقدم في كتاب المحبة والرضا **(فهذا قد انتهىٰ بفرط الحب والولاء إلىٰ مقام التسليم والرضا، وهو الغاية والمنتهَىٰ)** لأنه لا يُتصوَّر وقوع ذلك إلا بعد كمال المحبة، فلو[3] تمنَّىٰ أهل النُّهَىٰ من أولي الألباب غاية الأماني فكُوِّنت لهم علىٰ ما تمنَّوا لكان رضاهم عن الله في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره خيرًا لهم من تحرِّي أمانيهم وأفضل لهم عند الله من قِبَل أن الله أحكم الحاكمين **(وعلىٰ**

---

(١) الثبات عند الممات ص ١٢٢.

(٢) تاريخ دمشق ٥٨/ ٤٤٧.

(٣) قوت القلوب ٢/ ٩٩٦ - ٩٩٧.

كل حال، ففي ذِكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك أيضًا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا؛ إذ يتنغَّص عليه نعيمُه، ويكدَّر عليه صفوُ لذَّته، وكل ما يكدِّر علىٰ الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة).

بيان فضيلة ذكر الموت كيفما كان

ولنقدِّم أولاً ما يتعلق ببدوِّ الموت، ثم بما ورد في النهي عن تمنِّيه، ثم بما ورد في فضل طول الحياة في طاعة الله تعالىٰ، ثم نُتبِعه بذكر فضيلته، فأقول:

روىٰ أبو نعيم في الحلية[١] عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١٠٠] قال: ما بين الموت والبعث.

وقال أحمد في الزهد وابن أبي شيبة في المصنَّف[٢] معًا: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن حبيب بن الشهيد، عن الحسن قال: لمَّا خلق الله آدم وذرِّيته قالت الملائكة: إن الأرض لا تسعهم. فقال: إني جاعلٌ موتًا. قالوا: إذًا لا يهنأهم العيشُ. قال: إني جاعل أملاً.

وفي الحلية[٣] عن مجاهد قال: لمَّا أُهبِط آدم عليه السلام إلىٰ الأرض قال له ربُّه: ابنِ للخراب، ولِدْ للموت[٤].

وروىٰ البيهقي في الشعب[٥] من حديث أبي هريرة: «إن ملَكًا ينادي: يا بني آدم، لِدوا للموت، وابنوا للخراب».

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٩٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٠٤.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٦، وفيه: عن مجاهد أو غيره. وكذا هو في الزهد والرقائق لابن المبارك ص ١١١.

(٤) في الحلية والزهد: للفناء.

(٥) شعب الإيمان ١٣/ ٢٣٢. وفيه: للتراب، بدل: للموت. وكذا في حديث الزبير بعده.

ومن[1] حديث الزبير: «ما من صباح يصبح علىٰ العِباد إلا وصارخ يصرخ: [يا أيها الناس] لِدوا للموت، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب».

وروىٰ أحمد في الزهد من طريق عبد الواحد بن زيد قال: قال عيسىٰ ابن مريم عليه السلام: يا بني آدم، لِدوا للموت، وابنوا للخراب، تفنَىٰ نفوسُكم، وتبلىٰ ديارُكم.

وروىٰ الثعلبي في التفسير[2] عن كعب قال: صاح ورشان[3] عند سليمان عليه السلام، فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم[4]. قال: [إنه] يقول: لِدوا للموت، وابنوا للخراب.

فصل فيما ورد في النهي عن تمنِّي الموت والدعاء به لضرٍّ ينزل في المال والجسد: روىٰ الباوَرْدي والطبراني[5] والحاكم[6] من حديث الحكم بن عمرو الغِفاريٰ وأحمد[7] من حديث عَبْس الغفاري وأحمد[8] أيضًا والطبراني[9] وأبو نعيم في الحلية[10] من حديث خَبَّاب: «لا يتمنَّين أحدكم الموت».

ورواه الشيخان[11] من حديث أنس بزيادة: «لِضُرٍّ نزل به، فإن كان ولا بد متمنِّيًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيرًا

---

(١) السابق ١٣/ ٢٣٣.

(٢) الكشف والبيان ٢٠/ ١٨٦ - ١٨٧ (ط - دار التفسير).

(٣) الورشان هو طائر يشبه الحمام، انظر: تاج العروس ١٧/ ٤٤٩.

(٤) في الكشف والبيان: قالوا لا.

(٥) المعجم الكبير ٣/ ٢٣٨.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٥٤٤.

(٧) مسند أحمد ٢٥/ ٤٢٧.

(٨) السابق ٣٤/ ٥٣٤، ٥٥٠، ٤٥/ ١٩٢.

(٩) المعجم الكبير ٤/ ٦٤، ٧١، ٧٥.

(١٠) حلية الأولياء ١/ ١٤٤ - ١٤٥، ٤/ ١٤٧.

(١١) صحيح البخاري ٤/ ٣٠، ١٦٣، ٣٥١. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٦.

لي». ورواه بهذه الزيادة أيضًا الطيالسي[١] وأحمد[٢] وعبد بن حميد[٣] وأبو داود[٤] والترمذي[٥] - وقال: حسن صحيح - والنسائي[٦] وابن ماجه[٧] وأبو عوانة وابن حبان[٨]، ورواه ابن أبي شيبة[٩] وابن حبان بزيادة بعد قوله «نزل به في الدنيا»: ولكن ليقل ... وساقاه، وفيه في آخره بعد قوله «خيرًا لي»: وأفضل.

ورواه الشيخان[١٠] من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا يتمنَّين أحدُكم الموتَ ولا يدْعُ به قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عملُه، وإنه لا يزيد المؤمنَ عمرُه إلا خيرًا». ورواه ابن عساكر بلفظ: «لا يتمنَّينَّ أحدكم الموتَ حتىٰ يثق بعمله». ورواه أحمد[١١] والبخاري[١٢] والنسائي[١٣] بلفظ: «إما محسنًا فلعله يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله يستعتِب». ورواه النسائي وحده بلفظ: «إما محسنًا فلعله أن يعيش يزداد خيرًا وهو خير له، وإما مسيئًا فلعله أن يَستعتِب».

ورواه الخطيب[١٤] من حديث ابن عباس بلفظ: «فإنه لا يدري ما قدَّم لنفسه».

---

(١) مسند الطيالسي ٣/ ٤٩٦، ٥٣٧، ٥٤٠.

(٢) مسند أحمد ١٩/ ٤١، ٧٣، ٢٠/ ١٦١، ٣٢٢، ٤٠٤، ٢١/ ٢٠٠، ٤٠٨.

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٣١٠، ٣٢١.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ١٤.

(٥) سنن الترمذي ٢/ ٢٩٢.

(٦) سنن النسائي ص ٢٩٤.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٥٠.

(٨) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٤٨، ٢٥٠، ٧/ ٢٣٢، ٢٦٨.

(٩) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٩٢.

(١٠) صحيح البخاري ٤/ ٣٥١. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٦.

(١١) مسند أحمد ١٣/ ٢٣، ٤٤٨، ٥١٥، ١٤/ ٢٦٠، ١٦/ ٣٩١.

(١٢) صحيح البخاري ٤/ ٣٥١.

(١٣) سنن النسائي ص ٢٩٤.

(١٤) تاريخ بغداد ٧/ ٤٣.

وروىٰ أحمد[١] والبزار[٢] وأبو يعلىٰ والحاكم[٣] والبيهقي في الشعب[٤] من حديث جابر: «لا تمنوا الموت، فإن هول المطلع شديد، وإنَّ من السعادة أن يطول عمر العبد حتىٰ يرزقه الله الإنابة».

وروىٰ الشيخان من حديث أنس قال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن نتمنىٰ الموتَ لتمنَّيناه.

وروىٰ البخاري[٥] عن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا علىٰ خَبَّاب نعوده وقد اكتوَىٰ سبع كَيَّات، فقال: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعونا به.

وروىٰ المروزي عن القاسم مولىٰ معاوية أن سعد بن أبي وقَّاص تمنىٰ الموت، ورسول الله ﷺ يسمع، فقال ﷺ: «لا تتمنَّ الموت، فإن كنت من أهل الجنة فالبقاء خير لك، وإن كنت من أهل النار فما يعجلك إليها»؟

وروىٰ أبو يعلىٰ[٦] والطبراني[٧] والحاكم[٨] عن أم الفضل أن رسول الله ﷺ دخل عليهم وعمه العباس يشتكي، فتمنىٰ الموتَ، فقال له: «يا عم، لا تتمنَّ الموتَ، فإن كنت محسنًا فإن تؤخَّر تزداد إحسانًا إلىٰ إحسانك خير لك، وإن كنت مسيئًا فإن تؤخَّر تَستعتِب من إساءتك خير لك، فلا تتمنَّ الموتَ».

---

(١) مسند أحمد ٢٢/ ٤٢٦.

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار ٤/ ٧٨، ١٥٢.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٦٩ من قوله (إن من سعادة) حتىٰ آخر الحديث.

(٤) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٨.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ٣٠، ١٦٢، ١٧٨، ٣٥١. وقد رواه أيضا مسلم في صحيحه ٢/ ١٢٣٦.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ١٢/ ٥٠٣.

(٧) المعجم الكبير ٢٥/ ٢٨.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٨٢.

فصل في فضل طول الحياة في طاعة الله تعالىٰ: روىٰ أحمد[١] والترمذي[٢] وصحَّحه والحاكم[٣] من حديث أبي بكرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، أيُّ الناس خير؟ قال: «مَن طال عمرُه وحسُنَ عملُه». قال: فأيُّ الناس شرٌّ؟ قال: «مَن طال عمرُه وساء عملُه».

وروىٰ الحاكم[٤] من حديث جابر: «خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالاً».

ورواه أحمد[٥] من حديث أبي هريرة.

وروىٰ الطبراني من حديث عُبادة بن الصامت: «ألا أنبِّئكم بخياركم»؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «أطولُكم أعمارًا في الإسلام إذا سُدِّدوا».

وروىٰ[٦] أيضًا من حديث عوف بن مالك: «كلَّما طال عمرُ المسلم كان له خير».

وروىٰ أحمد[٧] من حديث أبي هريرة قال: كان رجلان من [بلي] حي من قُضاعة أسلما مع رسول الله ﷺ، فاستشهد أحدهما وأُخِّر الآخَر سنة. قال طلحة ابن عبيد الله: فرأيت الجنة فرأيت المؤخَّر منهما أُدخِل قبل الشهيد، فعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: «أليس قد صام بعده رمضان، وصلىٰ ستة آلاف ركعة – أو كذا وكذا ركعة صلاة سنة»؟

---

(١) مسند أحمد ٣٤/ ٥٨، ٩٣، ١٢٤، ١٣١، ١٣٨، ١٤٢.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٥٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٨٢.

(٤) السابق ١/ ٤٨٢.

(٥) مسند أحمد ١٢/ ١٤٦، ١٥/ ١٢٩.

(٦) المعجم الكبير ١٨/ ٥٧.

(٧) مسند أحمد ١٤/ ١٢٦ - ١٢٧.

وروىٰ أحمد(١) والبزار من حديث طلحة: «ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمَّر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله».

وروىٰ صاحب الحلية(٢) عن سعيد بن جبير قال: إن بقاء المسلم كل يوم غنيمة لأداء الفرائض والصلاة وما يرزقه الله من ذكره.

وروىٰ ابن أبي الدنيا(٣) عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: بلغني أن المؤمن إذا مات تمنىٰ الرجعةَ إلىٰ الدنيا، ليس ذلك إلا ليكبِّر تكبيرة أو يهلِّل تهليلة أو يسبِّح تسبيحة.

فصل في جواز تمنِّي الموت والدعاء به لخوف الفتنة في الدين: روىٰ مالك(٤) من حديث أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتىٰ يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكانه».

وروىٰ مالك(٥) والبزَّار(٦) عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «اللهم إني أسألك فِعل الخيرات وترك المنكَرات وحب المساكين، وإذا أردتَ بالناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون».

وروىٰ مالك(٧) عن عمر أنه قال: اللهم قد ضعفت قوَّتي وكبر سني وانتشرت رعيَّتي، فاقبضْني إليك غير مضيِّع ولا مقصِّر. فما جاوز ذلك إلا الشهر حتىٰ قُبض.

---

(١) السابق ٣/ ٢٠.
(٢) حلية الأولياء ٤/ ٢٨٠، ٥/ ١١٠.
(٣) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٠/ ٣٢٥.
(٤) الموطأ ١/ ٢٤١. وقد رواه أيضا البخاري ٤/ ٣٢٣، ٣٢٤. ومسلم ٢/ ١٣٣٠.
(٥) الموطأ ١/ ٢١٨ بلاغا.
(٦) مسند البزار ١٠/ ١٠٩، ١١٩.
(٧) الموطأ ٢/ ٨٢٤.

وروىٰ أحمد[١] والطبراني في الكبير[٢] والخرائطي في مساوئ الأخلاق[٣] عن عُلَيم الكِنْدي قال: كنت مع عَبْس الغِفاري علىٰ سطح، فرأىٰ قومًا يتحمَّلون من الطاعون[٤]، فقال: يا طاعون، خذني إليك. قالها ثلاثًا، فقال عليم: لِمَ تقول هذا؟ ألم يقلْ رسول الله ﷺ: «لا يتمنىٰ أحدكم الموت، فإنه عند ذلك انقطاع عمله، ولا يُرَدُّ فيَستعتِب»؟ فقال عبس: أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بادِروا بالموت ستًّا: إمْرة السفهاء، وكثرة الشُّرَط، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدم، وقطيعة الرحم، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير يقدِّمون الرجلَ ليغنِّيهم بالقرآن وإن كان أقلَّهم فقهًا».

قال في الصحاح[٥]: تحمَّل بمعنىٰ: ارتحل.

وروىٰ الحاكم[٦] عن الحسن قال: قال الحكم بن عمرو: يا طاعون، خذني إليك. فقيل له: لِمَ تقول هذا وقد سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «لا يتمنَّين أحدكم الموت»؟ قال: قد سمعتُ ما سمعتم، ولكني أبادر ستًّا: بيع الحكم، وكثرة الشُّرَط، وإمارة الصبيان، وسفك الدماء، وقطيعة الرحم، ونشوًا يكونون في آخر الزمان يتَّخذون القرآن مزامير.

وروىٰ ابن سعد في الطبقات[٧] عن حبيب بن أبي فَضالة أن أبا هريرة ذكر الموت فكأنَّه تمنَّاه، فقال بعض أصحابه: وكيف تتمنىٰ الموت بعد قول رسول الله ﷺ: «ليس لأحد أن يتمنىٰ الموت، لا بَر ولا فاجر، أما بَرٌّ فيزداد برًّا، وأما فاجر

---

(١) مسند أحمد ٢٥/ ٤٢٧.

(٢) المعجم الكبير ١٨/ ٣٦.

(٣) مساوئ الأخلاق ص ١٣٠ من طريق مندل بن علي عن موسىٰ الجهني عن زاذان الكندي قال: كان عابس...إلخ ولم يذكر عليمًا.

(٤) لفظ أحمد: يخرجون في الطاعون.

(٥) الصحاح للجوهري ٤/ ١٦٧٧.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٥٤٤.

(٧) الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٢٥٤.

فيَستعتِب»؟ فقال: وكيف لا أتمنىٰ الموت وأنا أخاف أن تدركني ستة: التهاون بالذنب [وإمرة السفهاء] وبيع الحكم، وتقاطُع الأرحام، وكثرة الشُّرَط، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير.

وروىٰ الطبراني من حديث عمرو بن عبسة: «لا يتمنىٰ أحدكم الموت إلا أن يثق بعمله، فإن رأيتم [في الإسلام] ست خصال فتمنوا الموت، وإن كانت نفسك في يدك فأرسِلْها: إضاعة الدم، وإمارة الصبيان، وكثرة الشُّرَط، وإمارة السفهاء، وبيع الحكم، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير».

وروىٰ صاحب الحلية[١] من حديث ابن مسعود: «لا يخرج الدجَّال حتىٰ لا يكون شيء أحب إلىٰ المؤمن من خروج نفسه».

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن سفيان قال: يأتي علىٰ الناس زمانٌ يكون الموت فيه أحب إلىٰ قرَّاء ذلك الزمان من الذهب الأحمر[٢].

وعن أبي هريرة[٣] قال: [قال رسول الله ﷺ][٤]: «يوشك أن يكون الموت أحب إلىٰ المؤمن من الماء البارد يُصَبُّ عليه العسل فيشربه».

وعن أبي ذر قال: ليأتينَّ علىٰ الناس زمانٌ تمرُّ الجنازة بهم فيقول الرجل: ليت أني مكانها.

وروىٰ ابن سعد[٥] عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: مرضَ أبو هريرة، فأتيته أعوده، فقلت: اللهم اشفِ أبا هريرة. فقال: اللهم لا ترجعها. وقال: يوشك

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ١٢٣.

(٢) ورواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥١٨ من كلام أبي هريرة، وقال صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٣) أي: وروىٰ ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة، فانتبه.

(٤) سقط من ط الإتحاف، ومستدرك من شرح الصدور ص ١١ الذي ينقل منه الزبيدي.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٢٥٤ - ٢٥٥.

يا أبا سلمة أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر، ويوشك يا أبا سلمة إن بقيتَ إلى قريب أن يأتي الرجلُ القبرَ فيقول: يا ليتني مكانك.

وروى المروزي في الجنائز عن مُرَّة الهَمْداني قال: تمنى عبد الله لنفسه ولأهله الموتَ، فقيل له: تمنَّيت لأهلك، فلِمَ تتمنَّاه لنفسك؟ فقال: لو أني أعلم أنكم تَسْلَمون على حالكم هذه لتمنيتُ أن أعيش فيكم عشرين سنة[1].

وروى عن أبي عثمان قال: بينما ابن مسعود ذات يوم في صُفَّة له، وتحته فلانة وفلانة امرأتان له ذاتا منصب وجمال، وله منهما ولدٌ كأحسن الولد، إذ شقشقَ على رأسه عصفورٌ، ثم قذف أذى بطنِه، فنكته بيده، ثم قال: لأنْ يموت آل عبد الله ثم يتبعهم أحب إليَّ من أن يموت هذا العصفور.

ورواه صاحب الحلية[2] كذلك.

وروى المروزي عن قيس قال: كان صبيان لعبد الله يشتدُّون بين يديه، فقال: ترون هؤلاء؟ لهم أهون عليَّ موتًا من عدَّتهم من الجِعْلان[3].

وروى صاحب الحلية[4] من طريق الحسن: حدثنا أبو الأحوص قال: دخلنا على ابن مسعود، وعنده بنون ثلاثة كأمثال الدنانير، فجعلنا ننظر إليهم، ففطنَ بنا فقال: كأنَّكم تغبطونني بهم. قلنا: وهل يُغبَط الرجل إلا بمثل هؤلاء. فرفع رأسه إلى سقف بيت له قصير قد عشَّشَ فيه خَطَّافٌ فقال: لأنْ أكون نفضت يدي من تراب قبورهم أحب إليَّ من أن يقع بيض هذا الخَطَّاف فينكسر.

---

(١) رواه ابن الجعد في مسنده ص ٢٨٨، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في كتاب المتمنين ص ٨٣.

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٣٣.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١١٣، وابن أبي الدنيا في النفقة على العيال ص ٦٢٣، وهناد في الزهد ١/ ٣٠٨.

(٤) حلية الأولياء ١/ ١٣٣.

وروىٰ المروزي عن الحسن قال: كان في مصركم هذا رجل عابد، فخرج من المسجد، فلما وضع رجله في الرِّكاب أتاه ملك الموت، فقال له: مرحبًا، لقد كنت إليك بالأشواق. فقبض روحه.

وروىٰ ابن سعد[١] والمروزي عن خالد بن مَعْدان قال: ما من دابَّة في برٍّ ولا بحر يسرُّني أن تفديني من الموت، ولو كان الموت عَلَمًا يستبق الناس إليه ما سبقني إليه أحد إلا رجل يغلبني بفضل قوَّته.

وروىٰ صاحب الحلية[٢] عنه قال: واللهِ لو كان الموت في مكان موضوعًا لكنت أول مَن يسبق إليه.

وروىٰ[٣] أيضًا عن عبد ربِّه بن صالح أنه دخل علىٰ مكحول في مرض موته، فقال له: عافاك الله تعالىٰ[٤]. فقال: كلاَّ، اللحوق بمَن يُرجَىٰ عفوه خيرٌ من البقاء مع مَن لا يؤمَن شرُّه شياطين الإنس وإبليس وجنوده.

وروىٰ ابن عساكر[٥] عن أبي مُسهِر قال: سمعت رجلاً قال لسعيد بن عبد العزيز التنُّوخي: أطال الله تعالىٰ بقاءك. فغضب وقال: بل عجَّل اللهُ بي إلىٰ رحمته.

وروىٰ صاحب الحلية[٦] عن عبيدة بن المهاجر قال: لو قيل: مَن مسَّ هذا العودَ مات، لقمتُ حتىٰ أمسَّه.

وروىٰ[٧] أيضًا عن أبي عبد الله الصُّنابحي قال: الدنيا تدعو إلىٰ فتنة،

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٤٥٨.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢١١.

(٣) السابق ٥/ ١٧٧.

(٤) في الحلية: أحسن الله عافيتك.

(٥) تاريخ دمشق ٢١/ ٢٠٨.

(٦) حلية الأولياء ٥/ ١٦٠.

(٧) السابق ٥/ ١٢٩.

والشيطان يدعو إلىٰ خطيئة، ولقاء الله خيرٌ من المُقام معهما.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن عمرو بن ميمون أنه كان لا يتمنىٰ الموت، قال: إني أصلي كل يوم كذا وكذا صلاة. حتىٰ أرسل إليه يزيد بن أبي مسلم فتعنَّته ولقي منه [شدة] فكان يقول: اللهم ألحِقْني بالأخيار، ولا تخلفني مع الأشرار[1].

وروىٰ أيضًا عن أم الدرداء قالت: كان أبو الدرداء إذا مات الرجل علىٰ الحال الصالحة قال: هنيئًا لك، يا ليتني كنت مكانك. فقالت أم الدرداء له في ذلك، فقال: هل تعلمين يا حمقاء أن الرجل يصبح مؤمنًا ويمسي منافقًا، يُسلَب إيمانه وهو لا يشعر، فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصيام[2].

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[3] وابن أبي الدنيا عن أبي جُحَيفة قال: ما من نفس تسرُّني أن تفديني من الموت، ولا نفس ذبابة.

وروىٰ ابن أبي الدنيا والخطيب وابن عساكر عن أبي بكرة قال: واللهِ ما من نفس تخرج أحب إليَّ من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذباب الطائر. ففزع القومُ فقالوا: لِمَ؟ فقال: إني أخشىٰ أن أدرك زمانًا لا أستطيع أن آمُر فيه بمعروف ولا أنهىٰ عن منكر، وما خير يومئذٍ[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١٤٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٦/ ٤٢١.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٣٨٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/ ٢٧٣، والفريابي في صفة النفاق ص ٨٩ - ٩٠.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٤٠.

(٤) الأثر في تاريخ دمشق ٦٢/ ٢١٥ دون قوله (ولا نفس هذا الذباب الطائر). وعند الخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ٥٨١ وابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص ١١٦ وابن عساكر ٦٢/ ١١٨ بدل العبارة الأخيرة: «إني أخشىٰ أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام».

وروىٰ ابن أبي شيبة[١] وابن سعد[٢] والبيهقي في الشعب[٣] عن أبي هريرة أنه مر به رجل، فقال له: أين تريد؟ قال: السوق. قال: إن استطعتَ أن تشتري الموت قبل أن ترجع فافعلْ.

وروىٰ ابن أبي الدنيا[٤] والطبراني في الكبير[٥] وابن عساكر[٦] من طريق عُروة بن رُوَيم عن العِرْباض بن سارية، وكان شيخًا من أصحاب النبي ﷺ، وكان يحب أن يُقبَض، فكان يدعو: اللهم كبرت سنِّي ووهنَ عظمي، فاقبِضْني إليك. قال: فبينما أنا يومًا في مسجد دمشق وأنا أصلي وأدعو أن أُقبَض إذا أنا بفتىٰ شاب من أجمل الرجال وعليه دُواج أخضر، فقال: ما هذا الذي تدعو به؟ قلت: وكيف أدعو يا ابن أخي؟ قال: قل: اللهم حسِّنَ العملَ وبلِّغ الأجلَ. قلت: مَن أنت يرحمك الله؟ قال: أنا رتائيل الذي يستلُّ الحزنَ من صدور المؤمنين. ثم التفتُّ فلم أرَ أحدًا.

فصل: وأما فضيلة ذِكر الموت فقد أورد المصنف في هذا الفصل ما يدل علىٰ فضيلة الموت وما يدل علىٰ فضيلة ذِكره، ونحن ننبِّه علىٰ كلٍّ منهما. فمما يدل علىٰ فضيلة ذكره ما (**قال رسول الله ﷺ: أكثِروا من ذِكر هاذم اللذَّات**) الموت[٧]، و«هاذم» رُوي بالدال المهملة وبالمعجمة، والهذم: القطع، ومنه: سيف هَذَّام، واللذَّات هي الشهوات، فإن كان بالدال المهملة فالمعنىٰ: مزيلها من أصلها. وأنكره السهيلي في الروض وقال: ليس مرادًا ههنا[٨]. وتعقَّبه الحافظ ابن

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١١٢.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٢٥٤.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ٢١٢.

(٤) هواتف الجنان ص ٩٧ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية).

(٥) المعجم الكبير ١٨/ ٢٤٥.

(٦) تاريخ دمشق ٤٠/ ١٨١ - ١٨٢.

(٧) فيض القدير ٢/ ٧٤ - ٨٦.

(٨) نص السهيلي في الروض الأنف ٥/ ٤٦٠: «الهذم: سرعة القطع، يقال: سيف مهذم، والهيذام: الكثير الأكل، وهو الشجاع أيضا، وفي الحديث: أكثروا من ذكر هاذم اللذات. يروىٰ =

حجر[١] وقال: في ذا النفي نظرٌ. وسياق المصنف يُشعِر أنها بالذال المعجمة، حيث قال: (معناه: **نغِّصوا بذكره اللذات حتىٰ ينقطع ركونُكم**) أي ميلُكم وسكونكم (**إليها فتُقبِلوا علىٰ الله تعالىٰ**) وسياق الطيبي[٢] يُشعِر بأنها بالدال المهملة، حيث قال: شبَّهَ اللذَّات الفانية والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات هائلة، ثم أمر المنهمك فيها بذكر الهادم لئلاً يستمر علىٰ الركون إليها ويشتغل عما عليه من التزوُّد إلىٰ دار القرار.

قال العراقي[٣]: رواه الترمذي[٤] - وقال: حسن - والنسائي[٥] وابن ماجه[٦] من حديث أبي هريرة، وقد تقدم[٧]. انتهىٰ.

قلت: لفظ الترمذي: «أكثِروا ذِكر هاذم اللذات: الموت». ورواه كذلك هو وأحمد[٨] والنسائي وابن ماجه من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به مرفوعًا، وصحَّحه ابن حبان[٩] والحاكم[١٠] وابن السكن وابن طاهر[١١]،

= بالذال المنقوطة، أي قاطعها».

(١) التلخيص الحبير ٢/ ٢٠٧.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن ٤/ ١٣٦٦.

(٣) المغني ٢/ ١١٩٩.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ١٤٢.

(٥) سنن النسائي ص ٢٩٤.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٤٦.

(٧) في كتاب التوحيد والتوكل.

(٨) مسند أحمد ١٣/ ٣٠١.

(٩) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٥٩ - ٢٦١.

(١٠) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٥.

(١١) لم يصححه ابن طاهر، بل قال في ذخيرة الحفاظ ١/ ٤٤٦: «فيه العلاء بن محمد بن سيار المازني، وهو ضعيف، والحديث غير محفوظ».

وأعلَّه الدارقطني بالإرسال[١]. وقد رواه كذلك العسكري في الأمثال والبيهقي في الشعب[٢]. ورواه أبو نعيم في الحلية[٣] من حديث عمر، والطبراني في الأوسط[٤] وأبو نعيم[٥] أيضًا والبيهقي[٦] والضياء[٧] من حديث أنس.

وقوله «الموت» بجرِّه عطف بيان، وبرفعه خبر مبتدأ محذوف، وبنصبه بتقدير: أعني. وقد جاء في بعض الروايات «يعني الموت» فيتعين النصبُ.

وقد رُوي هذا الحديث بزيادات يأتي ذِكرُها قريبًا.

(وقال ﷺ: **لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم**) منه[٨]، وفي لفظ: بنو آدم (**ما أكلتم منها سمينًا**) لأن تذكُّره ينغِّص النعمةَ ويكدِّر صفو اللذة، وذلك مُهزِل لا محالة.

قال الشيخ الأكبر قُدِّس سره: حقيقة الكشف اطِّلاعٌ علىٰ ظاهرِ من علمٍ باطنٍ يستجليه إدراك باطن حسٍّ من الحواس يحاذي به المطلع حذو مدركات

(١) العلل ٨/ ٣٩ - ٤٠، ونصه: «يرويه محمد بن عمرو، واختلف عنه، فرواه الفضل بن موسىٰ وعبد العزيز بن مسلم ومحمد بن إبراهيم بن عثمان والد أبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة والعلاء بن محمد ابن سيار وسليم بن أخضر وحماد بن سلمة من رواية محمد بن الحسن الكوفي الأسدي التل، ويعلىٰ ابن عباد عنه، وعبد الرحمن بن قيس الزعفراني عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة. ورواه أبو أسامة وغيره عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة مرسلا. والصحيح المرسل».

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٣٩ - ١٤٠.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٥.

(٤) المعجم الأوسط ١/ ٢١٣ - ٢١٤.

(٥) حلية الأولياء ٩/ ٢٥٢.

(٦) شعب الإيمان ٢/ ٢٤٧، ٦/ ٤٧٤.

(٧) الأحاديث المختارة ٥/ ٧٦ - ٧٧.

(٨) فيض القدير ٥/ ٣١٤ - ٣١٥.

ظاهر حسِّه، والخطاب في أمره يختصُّ بمَن وقع له في مطالعته حظٌّ كشأن الحواس الظاهرة، وبركة الكشف في الحس بمثابة بركة العلم في أمر العلم ينال به واجدُه غيبًا عن ظاهر العين والسمع وسائر الحواس، فكان مَن لا كشف له من الناس بمنزلة أعجم الحيوان الذي لا يتقدَّم بين يدي ظاهر أمره، مثل ما ذكره ﷺ في هذا الحديث. وكذلك مَن لا كشف له لمَّا سمنت جِبلَّتُه وضخمت طبيعتُه تشبَّث بدنياه قلبُه، ولم يجد الزهد في متاع دنياه مساغًا. انتهىٰ.

قال العراقي[(١)]: رواه البيهقي في الشعب[(٢)] من حديث أم صُبَيَّة الجُهَنية، وقد تقدم. انتهىٰ.

قلت: هي[(٣)] بضم الصاد المهملة وفتح الموحدة وتشديد التحتية مصغرًا، صحابية اسمها خولة بنت قيس علىٰ الأصح، جدَّة خارجة بن الحارث، وزعم ابن منده أنها خولة بنت قيس بن قهد، والصواب الأول.

وقد رواه أيضًا القضاعي في مسند الشهاب[(٤)]، وفيه عبد الله بن أسلم ضعَّفه الدارقطنيُّ[(٥)]. ورواه الحاكم والبيهقي[(٦)] والديلمي بسند فيه ضعفاء عن أبي سعيد الخدري، وذكروا فيه قصة: أنه مر رسول الله ﷺ بظبية مربوطة إلىٰ خِباء، فقالت: يا رسول الله، حُلَّني حتىٰ أذهب فأرضع خَشَفي ثم أرجع [فتربطني]. فقال: «صيد قوم وربيطة قوم». ثم أخذ عليها [فحلفت له] فحلَّها، فلم يكن إلا قليلاً حتىٰ رجعت وقد نفضت ضرعها، فربطها رسول الله ﷺ، ثم جاء أصحابَها فاستوهبها منهم، فوهبوها له، يعني فأطلقها، ثم قال: لو تعلم ... الحديث. ولفظ الديلمي: «لو

---

(١) المغني ٢/ ١١٩٩ - ١٢٠٠.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٣٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ١٢/ ٢٣٨، ١٣/ ٢٣٩.

(٤) مسند الشهاب ٢/ ٣١٤.

(٥) سنن الدارقطني ٣/ ٢٧ - ٢٨.

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٣٤.

علمت البهائمُ من الموت [ما يعلم ابن آدم] ما أكلتم منها لحمًا سمينًا». وعنده[١] من حديث أنس بلا سند: «لو أن البهائم التي تأكلون لحومها علمت ما تريدون بها ما سمنتْ، وكيف تسمن أنت يا ابن آدم والموت أمامك»؟

(**وقالت عائشة** ﵂): قلت: (**يا رسول الله، هل يُحشَر مع الشهداء أحدٌ؟ قال: نعم، مَن يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة**) قلت: تقدم هذا للمصنف في آخر كتاب التوحيد والتوكل أنه من حديث أنس وعائشة، ولفظه: قيل: يا رسول الله، هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم؟ فقال: «نعم، مَن ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة». وتقدم هناك أن العراقي قال: لم أقف له على إسناد. وذكرنا أن حديث عائشة رواه الطبراني في الأوسط نحوه، وفيه: «من قال في يوم خمسة وعشرين مرة: اللهم بارِكْ لي في الموت وفيما بعد الموت، ثم مات على فراشه أعطاه الله أجر شهيد». وعزاه السيوطي في شرح الصدور للطبراني من حديث عمار بلفظ المصنِّف[٢].

(**وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذِكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور**) أي البعد عنها (**ويتقاضَى الاستعدادَ للآخرة**) أي يطالب (**والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا**) والإكباب عليها.

(**وقال** ﷺ: **تحفة المؤمن الموت**) قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني والحاكم[٤] من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن.

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) الذي في شرح الصدور ص ١٩ - ٢٠: «وأخرج الطبراني عن عمار قال: قال رسول الله ﷺ: كفى بالموت واعظا. وقيل: يا رسول الله: هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: نعم، من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة». قلت: الذي يظهر لي أن السيوطي قد نقل الحديث الثاني عن الإحياء، ولذلك لم يعزه إلى أحد. وأن الشارح قد خلط بين الحديثين.

(٣) المغني ٢/ ١٢٠٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٤٦٢.

قلت: ورواه كذلك ابن المبارك في الزهد[١] والبيهقي في الشعب[٢]. ورواه الديلمي في مسند الفردوس[٣] من حديث جابر.

(وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن) كما رواه مسلم[٤] من حديث أبي هريرة **(إذ لا يزال فيها في عناء)** أي تعب **(من مُقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه، فالموت إطلاق له من هذا العذاب، والإطلاق تحفة في حقِّه)** فقد روىٰ أحمد[٥] من حديث ابن عمرو: «الدنيا سجن المؤمن وسنته، فإذا فارق الدنيا فارق السجنَ والسنة». ورواه ابن المبارك في الزهد[٦] بلفظ: الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأُخرِجَ منه فجعل يتقلَّب في الأرض ويتفسَّح فيها. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف[٧] بلفظ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فإذا مات المؤمن يُخلَىٰ سَرْبُه حيث شاء[٨]. والسَّرْب بالفتح: الطريق، كما في الصحاح[٩].

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[١٠] والمروزي في الجنائز والطبراني[١١] وأبو نعيم[١٢] عن ابن مسعود قال: ذهب صفوُ الدنيا فلم يبقَ إلا الكَدَر، فالموت [اليوم]

---

(١) الزهد والرقائق ص ٢٠٠.
(٢) شعب الإيمان ١٢/ ٢٩٢، ٤٥٢.
(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٢٣٨.
(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٢.
(٥) مسند أحمد ١١/ ٤٤٢.
(٦) الزهد والرقائق ص ١٩٩ موقوفا.
(٧) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١١٦.
(٨) في المصنف: يخلىٰ به يسرح حيث شاء.
(٩) الصحاح للجوهري ١/ ١٤٦.
(١٠) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٧٠.
(١١) المعجم الكبير ٩/ ١٦٩.
(١٢) حلية الأولياء ١/ ١٣١ - ١٣٢.

تحفة لكل مسلم.

(**وقال ﷺ: الموت كفَّارة لكل مسلم**) أي[١] لِما يلقاه من الآلام والأوجاع. وفي رواية: لكل ذنب. وقال ابن الجوزي[٢]: وفي بعض طرق الحديث ما يُفهِم أن المراد بالموت الطاعون، فإنهم كانوا في الصدر الأول يطلقون الموت ويريدونه به. ا.هـ.

وكأنَّه يشير إلىٰ خبر البخاري: «الطاعون كفَّارة لكل مسلم»[٣].

قال العراقي[٤]: رواه أبو نعيم في الحلية[٥] والبيهقي في الشعب[٦] والخطيب في التاريخ[٧] من حديث أنس، قال ابن العربي في سراج المريدين[٨]: إنه حسن صحيح[٩]. وضعَّفه ابن الجوزي[١٠]، وقد جمعت طرقه في جزء.

قلت: وكذلك[١١] رواه القضاعي في مسند الشهاب[١٢]، كلهم من طريق يزيد

---

(١) فيض القدير ٦/ ٢٧٩.

(٢) هذا ليس كلام ابن الجوزي، وإنما هو كلام السيوطي في اللآلئ المصنوعة ٢/ ٤١٥ - ٤١٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٢/ ٣١٤، ٤/ ٤٢ عن أنس بلفظ: «الطاعون شهادة لكل مسلم». ورواه أيضا مسلم في صحيحه ٢/ ٩٢٤.

(٤) المغني ٢/ ١٢٠٠.

(٥) حلية الأولياء ٣/ ١٣١.

(٦) شعب الإيمان ١٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٧) تاريخ بغداد ٢/ ٢٠٥.

(٨) سراج المريدين في سبيل الدين ١/ ٢٤٨ (ط - دار الحديث الكتانية).

(٩) انظر كلام الغماري في المداوي ٤/ ٣٩٦ عن منزلة ابن العربي في التصحيح والتضعيف، ثم عن تصحيحه لهذا الحديث خاصة.

(١٠) بل جعله في الموضوعات ٣/ ٢١٨ - ٢١٩، وانظر: لسان الميزان لابن حجر ١/ ٥٢٠.

(١١) المقاصد الحسنة ص ٤٣٥.

(١٢) مسند الشهاب ١/ ١٣٣ - ١٣٥.

ابن هارون عن عاصم الأحول عن أنس به. وقال العراقي في أماليه: إنه ورد من طرق يبلغ بها رتبةَ الحسن. ولم يُصِب ابن الجوزي والصاغاني[١] في ذِكرهما له في الموضوعات، وقال الحافظ ابن حجر: إنه لا يتهيَّأ الحكمُ عليه بالوضع مع وجود هذه الطرق. قال: ومع ذلك فليس هو علىٰ ظاهره، بل هو محمول علىٰ موت مخصوص إن ثبت الحديث[٢]. ا.هـ.

ولهذا المعنىٰ احتاج المصنف إلىٰ تأويله فقال: **(وأراد بهذا المسلمَ حقًّا المؤمن صدقًا)** أي الكامل في إسلامه وإيمانه **(الذي يَسلم المسلمون من لسانه ويده)** وقد روىٰ الحاكم[٣] من حديث جابر: «أكملُ المؤمنين مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده». وروىٰ ابن النجار من حديث علي: «وإنما المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده» **(وتتحقَّق فيه أخلاق المؤمنين، ولم يتدنَّس من المعاصي إلا باللَّمَم والصغائر، فالموت يطهِّره منها ويكفِّرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض)** وقال العامري في شرح الشهاب: معنىٰ الحديث أن الله تعالىٰ يتكرَّم علىٰ عبده المسلم بتطهيره للقائه بتكفير ذنوبه مما يلاقي غصص الموت وسكراته، كما كفَّرت الأمراضُ والمصائب عنه ذنوبًا أُخَر قبل موته.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٤] عن الأوزاعي قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن تهوَّن عليَّ سكرات الموت؛ لأنها آخر ما يكفَّر به عن المسلم.

(وقال عطاء الخراساني) هو[٥] عطاء بن أبي مسلم، كنيته أبو أيوب، ويقال:

---

(١) الموضوعات ص ٤٣.

(٢) نعم لا يتهيأ، ولكنه ليس بحسن ولا بصحيح، بل ضعيف جدًا، وقد قال الحافظ في اللسان (١/ ٥٢٠): والذي يصح في ذلك حديث حفصة بنت سيرين، عَن أَنس رضي الله عنه بلفظ: «الطاعون كفارة لكل مسلم» أخرجه البخاري. فلم يمشيه كما قد يظهر كلام الزبيدي.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٠.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٣١٧.

(٥) تهذيب الكمال ٢٠/ ١٠٦ - ١١٧.

أبو عثمان، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو صالح، البلخي، نزيل الشام، مولىٰ المهلَّب بن أبي صفرة الأزدي، واسم أبيه أبي مسلم عبد الله، ويقال: ميسرة. روىٰ عن ابن عباس، وعنه ابن جُرَيج. ثقة، صدوق، وقال الدارقطني: إلا أنه لم يلقَ ابنَ عباس. مات سنة خمس وثلاثين ومائة، وكانت ولادته سنة خمسين، ودُفن ببيت المقدس. روىٰ له مسلم والأربعة، وقيل: بل روىٰ له البخاري أيضًا. وقال الحافظ ابن حجر[1]: لم يثبُت (**مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلاه الضحكُ، فقال: شوبوا**) أي اخلِطوا (**مجلسَكم بذكر مكدِّر اللذات. قالوا: وما مكدِّر اللذات؟ قال: الموت**) قال العراقي[2]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا مرسلاً، ورويناه في أمالي الخَلاَّل[3] من حديث أنس، ولا يصح.

قلت: ورواه البيهقي[4] من حديث أنس أنه ﷺ مر بقوم يضحكون ويمزحون، فقال: «أكثِروا من ذِكر هاذم اللذات». وروىٰ العسكري في الأمثال من حديث أبي هريرة: مر رسول الله ﷺ بمجلس من مجالس الأنصار وهم يمزحون ويضحكون، فقال: «أكثِروا من ذِكر هاذم اللذات، فإنه لم يُذكَر في كثير إلا قلَّله، ولا في قليل إلا كثَّره، ولا في ضيِّق إلا وسَّعه، ولا في سعة إلا ضيَّقها». وروىٰ البيهقي[5] من حديث أبي سعيد: دخل رسول الله ﷺ [المسجد] فرأىٰ ناسًا يكشِرون، فقال: «لو أكثرتم ذِكر هاذم اللذات [فإنه يشغلكم عما أرىٰ، فأكثِروا ذكر هاذم اللذات] الموت، فإنه لم يأتِ علىٰ القبر يومٌ إلا وهو يقول: أنا بيت الوحدة، وبيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود». ولفظه عند العسكري: دخل النبي ﷺ مصلًّىٰ، فرأىٰ ناسًا يكشرون، فقال: «أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات، فأكثِروا من ذكر هاذم اللذات».

---

(١) تقريب التهذيب ص ٦٧٩.

(٢) المغني ٢/ ١٢٠٠ - ١٢٠١.

(٣) أمالي الخلال ص ٨٥ (ط - دار الصحابة بطنطا).

(٤) شعب الإيمان ٢/ ٢٤٧، ٦/ ٤٧٤.

(٥) شعب الإيمان ١٣/ ٢٤٨. وقد رواه أيضا الترمذي في سننه ٤/ ٢٤٨.

(وقال أنس) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: **أكثِروا من ذكر الموت، فإنه**) أي إكثاره (**يمحِّص الذنوبَ**) أي يزيلها (**ويزهِّد في الدنيا**) أي يقلِّلها في أعينكم. وهو[1] كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرةَ، وأبلغ في الموعظة، فإنَّ مَن ذكر الموت حقيقة ذِكره نغَّص عليه لذَّته الحاضرة، وزهَّده فيما كان يؤمِّل [منها] لكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلىٰ تطويل الوعظ وتزويق الألفاظ.

قال العراقي[2]: رواه ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف جدًّا.

قلت: وتمامه عند ابن أبي الدنيا: «فإن ذكرتموه عند الغِنىٰ هذمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم». وهو في مكارم الأخلاق لابن لال بلفظ: «أكثِروا ذِكر الموت، فإنَّ ذلك تمحيص للذنوب وتزهيد في الدنيا، الموت القيامة، الموت القيامة»[3].

(وقال ﷺ: **كفىٰ بالموت مفرِّقًا**) قال العراقي[4]: رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده[5] من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف. ورواه ابن المبارك في البر والصلة[6] من رواية أبي عبد الرحمن الحبلي مرسلاً.

قلت: كذا هو في النسخ: ابن المبارك، ولعله: ابن أبي الدنيا، فإنه الذي رواه في البر والصلة[7].

وأما حديث أنس فرواه ابن السني في عمل يوم وليلة[8] والعسكري في الأمثال

---

(١) العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق الإشبيلي ص ٣٨.

(٢) المغني ٢/ ١٢٠١.

(٣) كنز العمال ١٥/ ٥٤٣، ٥٤٨.

(٤) المغني ٢/ ١٢٠١.

(٥) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٨٥٥ من حديث عراك بن مالك فقط.

(٦) البر والصلة ص ١١٥.

(٧) بل رواه في مكارم الأخلاق ص ١٠٣.

(٨) عمل اليوم والليلة ص ٣٣٨.

بلفظ: «كفىٰ بالدهر واعظًا، وبالموت مفرِّقًا». وذكرا له قصة تقدم ذِكرُها.

وروىٰ سعيد بن منصور في سننه عن أبي الدرداء قال: موعظة بليغة وغفلة سريعة، كفىٰ بالموت واعظًا، وكفىٰ بالدهر مفرِّقًا، اليوم في الدور، وغدًا في القبور[١].

(**وقال ﷺ: كفىٰ بالموت واعظًا**) قال العراقي[٢]: رواه الطبراني والبيهقي في الشعب[٣] من حديث عمَّار بن ياسر بسند ضعيف، وهو مشهور من قول الفضيل ابن عياض، رواه البيهقي في الزهد[٤].

قلت: لفظ الطبراني: «كفىٰ بالموت واعظًا، وكفىٰ باليقين غِنًىٰ». ورواه العسكري في الأمثال والطبراني أيضًا والقضاعي[٥] والبيهقي في الشعب بلفظ: «كفىٰ بالموت واعظًا، وكفىٰ باليقين غنًىٰ، وكفىٰ بالعبادة شغلاً». رووه من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن عمار. وتقدم قريبًا من قول أبي الدرداء، رواه سعيد بن منصور.

(**وخرج رسول الله ﷺ إلىٰ المسجد، فإذا قوم يتحدَّثون ويضحكون، فقال: اذكروا الموت، أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**) قال العراقي[٦]: رواه ابن أبي الدنيا في الموت[٧] من حديث ابن عمر بإسناد

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ١٩٤ دون قوله (موعظة بليغة وغفلة سريعة). وروىٰ أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٧ وأبو داود في الزهد ص ٢٢٢ عن أبي الدرداء أنه كان إذا رأىٰ جنازة قال: اغدوا فإنا رائحون، أو روحوا فإنا غادون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، كفىٰ بالموت واعظا، يذهب الأول فالأول، ويبقىٰ الآخر لا حلم له.

(٢) المغني ٢/ ١٢٠١.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ١٣٦.

(٤) الزهد الكبير ص ٢١٦.

(٥) مسند الشهاب ٢/ ٣٠٣.

(٦) المغني ٢/ ١٢٠١.

(٧) وكذلك تمام في فوائده ٢/ ٩١.

ضعيف.

قلت: هذا الشطر الأخير «لو تعلمون ما أعلم ...» الخ، متفق عليه من حديث أنس وعائشة، وفي الباب عن أبي هريرة وجماعة [وقد] تقدم ذِكرُه. وقد روىٰ البيهقي في الشعب[١] عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا: «أكثِروا ذِكر هاذم اللذَّات، فإنه لا يكون في كثير إلا قلَّله، ولا في قليل إلا كثَّره».

(وذُكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناءَ عليه، فقال: كيف كان ذِكر صاحبكم للموت؟ قالوا: ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت. قال: فإن صاحبكم ليس هناك) قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا في الموت من حديث أنس بسند ضعيف، وابن المبارك في الزهد[٣] قال: أنبأنا مالك بن مغول ... فذكره بلاغًا بزيادة فيه.

قلت: وكذلك رواه البزار[٤] من حديث أنس. وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[٥] وأحمد في الزهد عن ابن سابط قال: ذُكر عند النبي ﷺ رجل فأُثني عليه، فقال ﷺ: «كيف ذِكرُه للموت»؟ فلم يُذكَر ذلك منه، فقال: «ما هو كما تذكرون». وأخرجه الطبراني[٦] عن سهل بن سعد نحوه.

(وقال ابن عمر ﵄: أتيت النبيَّ ﷺ عاشر عشرة، فقال رجل من الأنصار: مَن

---

(١) شعب الإيمان ١٣/ ١٣٨. وفيه: أجزأه، بدل: كثره.

(٢) المغني ٢/ ١٢٠١ - ١٢٠٢.

(٣) الزهد والرقائق ص ١١٣. والزيادة المشار إليها هي: «فقال: كيف تركه لما يشتهي؟ قالوا: إنه ليصيب من الدنيا».

(٤) كشف الأستار عن زوائد البزار ٤/ ٢٤٠.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٨.

(٦) المعجم الكبير ٦/ ١٨٥، ولفظه: «مات رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يثنون عليه ويذكرون من عبادته، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ: هل كان يكثر ذكر الموت؟ قالوا: لا. قال: فهل كان يدع كثيرا مما يشتهي؟ قالوا: لا. قال: ما بلغ صاحبكم كثيرا مما تذهبون إليه».

أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟ فقال: أكثرهم ذِكرًا الموت وأشدهم استعدادًا له، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة) قال العراقي[١]: رواه ابن ماجه[٢] مختصرًا وابن أبي الدنيا في الموت[٣] بكماله بإسناد جيد.

قلت: ورواه الطبراني[٤] والحاكم[٥] عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أيُّ المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم له استعدادًا قبل نزول الموت، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة». ورواه ابن المبارك في الزهد[٦] وأبو بكر في الغيلانيات[٧] من طريق يحيىٰ بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن سعد بن مسعود الكِندي - له صحبة، وقيل: إنه تابعي - قال: سُئل رسول الله ﷺ: أيُّ المؤمنين أكيس؟ فقال: «أكثرُهم للموت ذِكرًا وأحسنهم له استعدادًا». وقال أبو نعيم في الحلية[٨]: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا الحكم بن موسىٰ، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش، عن العلاء بن عتبة، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: قام فتىً فقال: يا رسول الله، أيُّ المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرُهم للموت ذكرًا وأحسنهم له استعدادًا قبل أن ينزل به، أولئك الأكياس». ثم قال: رواه أبو سهيل بن مالك وحفص بن غيلان ويزيد بن أبي مالك وقُرَّة بن قيس ومعاوية بن عبد الرحمن عن عطاء مثله، ورواه مجاهد عن ابن عمر نحوه.

(١) المغني ٢/ ١٢٠٢.
(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٤٦.
(٣) ورواه أيضا في مكارم الأخلاق ص ١٨.
(٤) المعجم الكبير ١٢/ ٤١٧.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٧١٢.
(٦) الزهد والرقائق ص ١١٤.
(٧) الغيلانيات ص ٣٧٥.
(٨) حلية الأولياء ١/ ٣١٣.

ومما يحسُن إيرادُه من الأخبار في فضل الموت:

روى الديلمي[١] من حديث الحسين بن علي ﷺ: «الموت ريحانة المؤمن».

وروى البيهقي في الشعب[٢] وضعَّفه والديلمي[٣] من حديث عائشة: «الموت غنيمة، والمعصية مصيبة، والفقر راحة، والغِنىٰ عقوبة، والعقل هدية من الله، والجهل ضلالة، والظلم ندامة، والطاعة قرَّة العين، والبكاء من خشية الله النجاةُ من النار، والضحك هلاك البدن، والتائب من الذنب كمَن لا ذنب له».

وروى أحمد[٤] وسعيد بن منصور في سننه بإسناد صحيح من حديث محمود ابن لبيد: «اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت خيرٌ له من الفتنة. ويكره قلة المال، وقلة المال أقلُّ للحساب».

وروى ابن السكن وأبو موسىٰ في المعرفة والبيهقي في الشعب[٥] من حديث زُرعة بن عبد الله الأنصاري: «يحب الإنسان الحياة، والموت خير لنفسه، ويحب الإنسان كثرة المال، وقلة المال أقلُّ للحساب». وهو مرسَل؛ لأن زرعة تابعي، وقيل: هو صحابي، وهو بضم الزاي ثم راء، وقيل: براء ثم زاي ساكنة.

وروى الشيخان[٦] من حديث أبي قتادة قال: مُرَّ علىٰ النبي ﷺ بجنازة، فقال: «مستريح أو مُستراح منه». قالوا: يا رسول الله، ما المستريح وما المستراح منه؟ فقال: «العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، والفاجر تستريح منه العِباد والبلاد والشجر والدواب».

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٢٣٩.

(٢) شعب الإيمان ٩/ ٢٦٧.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٢٣٨.

(٤) مسند أحمد ٣٩/ ٣٦.

(٥) شعب الإيمان ١٣/ ١٤٦.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ١٩٣ - ١٩٤. صحيح مسلم ١/ ٤٢٣.

وروىٰ أبو نعيم[١] من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «يا أبا ذر، إن الدنيا سجن المؤمن، والقبر أمنُه، والجنة مصيره. يا أبا ذر، إن الدنيا جنة الكافر، والقبر عذابه، والنار مصيره».

وروىٰ النسائي[٢] والطبراني[٣] وابن أبي الدنيا[٤] من حديث عُبادة بن الصامت: «ما علىٰ الأرض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يحب أن يرجع فيُقتَل مرة أخرىٰ؛ لِما يرىٰ من ثواب الله له».

وروىٰ الطبراني[٥] من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم حبِّب الموتَ إلىٰ مَن يعلم أني رسولك».

وروىٰ الأصبهاني في الترغيب[٦] عن أنس أن النبي ﷺ قال له: «إن حفظتَ وصيَّتي فلا يكونن شيء أحب إليك من الموت».

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[٧] وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في الموت[٨] والبيهقي في الشعب[٩] من حديث الربيع بن أنس مرسلاً: «كفىٰ بالموت مزهِّدًا في الدنيا، مرغِّبًا في الآخرة».

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٣، وتمامه: «يا أبا ذر، إن المؤمن لم يجزع من ذل الدنيا ولم يبل من أهلها وعزها».

(٢) سنن النسائي ص ٤٨٨.

(٣) المعجم الأوسط ١/ ١٢٥.

(٤) كتاب المتمنين ص ٢٤.

(٥) المعجم الكبير ٣/ ٣٣٨.

(٦) الترغيب والترهيب ١/ ١٩٠.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٨.

(٨) ورواه أيضا في الزهد ص ١٢٦.

(٩) شعب الإيمان ١٣/ ١٣٥ - ١٣٦.

وروىٰ الديلمي[١] من حديث أبي هريرة: «أكثِروا ذِكر الموت، فما من عبد أكثرَ من ذكره إلا أحيا الله قلبَه وهوَّن عليه الموتَ».

وروىٰ ابن عساكر[٢] من حديث أبي الدرداء: لو تعلمون ما أنتم لاقونَ بعد الموت ما أكلتم طعامًا علىٰ شهوة أبدًا، ولا شربتم شرابًا علىٰ شهوة أبدًا.

وروىٰ ابن المبارك في الزهد[٣] من مرسَل محمد بن عبد الرحمن بن نوفل: «لو تعلمين علم الموت يا بنت زمعة لعلمتِ أنه أشد مما تقدرين عليه». وقد رواه الطبراني[٤] عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن سودة بنت زمعة موصولاً.

وممَّا يحسُن إيراده في فضيلة ذِكر الموت والاستعداد له من الأخبار:

روىٰ ابن أبي الدنيا[٥] عن سفيان قال: حدثنا شيخ أن رسول الله ﷺ أوصىٰ رجلاً فقال: «أكثِرْ ذِكر الموت يسلِّك عما سواه».

وروىٰ أبو نعيم[٦] من حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لي لا أحب الموت؟ قال: «لك مال»؟ قال: نعم. قال: «قدِّمْه، فإن قلب المؤمن مع ماله، إن قدَّمه أحب أن يلحق به، وإن أخَّره أحب أن يتأخَّر معه».

وروىٰ الطبراني[٧] عن طارق المحاربي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٧٤.

(٢) تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٦٨ موقوفا، وتمامه: «ولا دخلتم بيتا تستظلون في ظله أبدا، ولبرزتم إلىٰ الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون علىٰ أنفسكم».

(٣) الزهد والرقائق ص ١٠٨، وأوله: قالت سودة زوج النبي ﷺ: يا رسول الله، إذا متنا صلىٰ لنا عثمان بن مظعون حتىٰ تأتينا أنت.

(٤) المعجم الكبير ٢٤/ ٣٤.

(٥) الشكر ص ٦٦، وتمامه: «وعليك بالدعاء فإنك لا تدري متىٰ يستجاب لك، وعليك بالشكر فإن الشكر زيادة».

(٦) حلية الأولياء ٣/ ٣٥٩.

(٧) المعجم الكبير ٨/ ٣٧٦.

طارق، استعِدَّ للموت قبل الموت».

وروىٰ الديلمي[١] من حديث أنس: «أفضل الزهد في الدنيا ذِكرُ الموت، وأفضل العبادة التفكُّرُ، فمَن أثقله ذكرُ الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة».

وروىٰ الترمذي[٢] من حديث أبي هريرة: «ما من أحد يموت إلا ندمَ». قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم أن لا يكون نزعَ».

(وأما الآثار، فقد قال **الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لُبٍّ فرحًا**)[٣] لأن ذا اللُّب يراها ببصيرته زائلةً والموت واقعًا فلا يفرح بشيء من زهرتها.

(وقال) أبو يزيد (**الربيع بن خُثَيم**) الثوري الكوفي العابد، أحد الزهَّاد الثمانية: (**ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت**) رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٤] وابن المبارك في الزهد[٥] والمروزي في الجنائز.

وقال أبو نعيم في الحلية[٦]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل،

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٣٥٧، وفيه: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكر ذكر الموت».

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٢٠٦.

(٣) رواه أحمد في الزهد ص ٢٠٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٤٩. ورواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١٤٥ مطولا عن محمد بن الحارث قال: رأيت الحسن صلىٰ علىٰ جنازة، فكبر عليها أربعا، ثم اطلع في القبر فقال: يا لها من عظة - ومد صوته بها - لو وافقت قلبا حيا. ثم قال: إن الموت فضح الدنيا، فلم يدع لذي لب فرحا، فرحم الله امرأ أخذ منها قوتا مبلغا، وهضم الفضل ليوم فقره وحاجته، فكأن ذلك اليوم قد أظلكم.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٤٢.

(٥) الزهد والرقائق ص ١١٥.

(٦) حلية الأولياء ٢/ ١١٢، ١١٤.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلىٰ، عن الربيع بن خُثَيم ... فذكره.

وحدثنا أبو محمد ابن حيَّان، حدثنا جعفر بن الصباح، حدثنا يعقوب الدورقي، حدثنا الأشجعي، سمعت سفيان يقول: قال الربيع بن خثيم: ارتدوا هذا الخير بالله تنالوه، لا بغيره، وأكثِروا ذِكر هذا الموت الذي لم تذوقوا [قبله] مثله، فإن الغائب إذا طالت غيبتُه رُجيتْ جيئته، وانتظره أهله، وأوشك أن يقدُم عليهم.

وحدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا أبو بكر، حدثنا سعيد بن عبد الله، عن نُسَير، عن بكر بن ماعز قال: كان الربيع يقول: أكثِروا ذِكر هذا الموت الذي لم تذوقوا قبله مثله.

(**وكان يقول: لا تُشعِروا بي أحدًا، وسُلُّوني إلىٰ ربِّي سلاًّ**) رواه أبو نعيم في الحلية. ورواه صاحب كتاب المتفجِّعين عن الفِرْيابي قال: حدثنا سفيان عن أبي حيَّان [عن أبيه] أن الربيع بن خثيم قال عند موته: لا تُعلِموا بي أحدًا، وسُلُّوني إلىٰ ربِّي سلاًّ[1].

(**وكتب بعض الحكماء إلىٰ رجل من إخوانه: يا أخي، احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلىٰ دار تتمنىٰ فيها الموتَ فلا تجده**) رواه ابن أبي الدنيا[2].

(**وكان**) أبو بكر محمد (**ابن سيرين**) رحمه الله تعالىٰ (**إذا ذُكر عنده الموت مات كل عضو منه**) رواه أبو نعيم في الحلية[3] فقال: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد،

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٥٢، وعبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٤٩٨، وأحمد في الزهد ص ٢٧٥، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٨/ ٣١١، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٤٠١.

(٢) رواه ابن الجوزي في المقلق ص ٩٧ (ط ـ دار الصحابة بطنطا) عن محمد بن الحسين قال: قال رجل لرجل نحيف عليل: ما بلغ بك ما أرىٰ؟ قال: الفَرَقُ من الموت. قال: فاحذر أن تدخل دارًا تتمنىٰ فيها الموت فلا تجده.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٧٢.

حدثنا بِشر بن موسىٰ، حدثنا الحميدي. ح. وحدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا إسحاق بن إسماعيل ومحمد ابن عَبَّاد، قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثني دهير الأقطع قال: كان محمد ابن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه علىٰ حِدته. ورواه صاحب كتاب المتفجِّعين عن عبد الله بن إبراهيم بن العباس عن عثمان بن خُرَّزاذ عن إبراهيم ابن بشَّار عن ابن عيينة، وفيه: علىٰ حياله، بدل: علىٰ حِدته.

(وكان عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ **(يجمع كل ليلة الفقهاء)** عنده **(فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة)** وما فيها من الأهوال والشدائد **(ثم يبكون حتىٰ كأنَّ بين أيديهم جنازة)**[1] رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال) أبو أسماء **(إبراهيم)** بن يزيد بن شريك **(التَّيْمي)** الكوفي، وكان من العُبَّاد: **(شيئان قطعا عني لذاذةَ الدنيا: ذكرُ الموت، والوقوف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ)** رواه ابن أبي الدنيا في الموت.

(وقال كعب) الأحبار رحمه الله تعالىٰ: **(مَن عرف الموت هانت عليه المصائب)** رواه ابن أبي الدنيا بلفظ: مصائب الدنيا وغمومها. رواه عن محمد ابن الحسين قال: حدثنا الحارث بن خليفة، حدثنا دويد أبو سليمان، عن إبراهيم بن أبي عبد الله الشامي، عن كعب ... فذكره. ورواه أبو نعيم في الحلية[2] من طريقه.

(وقال) أبو[3] بكر **(مطرف)** بن معقل التميمي الشَّقَري، بالشين المعجمة والقاف محرَّكة منسوب إلىٰ شَقَرة: قبيلة من تميم، وهو لقب معاوية بن الحارث ابن تميم[4]، ومطرف هذا روىٰ عن ابن سيرين والحسن والشعبي، وعنه النضر ابن

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٣٩.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٤٤.

(٣) لباب الأنساب لابن الأثير ٢/ ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٤) انظر: معجم قبائل العرب ٢/ ٦٠١.

شُمَيل وأبو داود الطيالسي (**رأيت فيما يرىٰ النائم كأنَّ قائلاً يقول في وسط مسجد البصرة: قطع ذكرُ الموت قلوبَ الخائفين، فواللهِ ما تراهم إلا والهين**) رواه أبو نعيم في الحلية[١] في ترجمة عبد العزيز بن سلمان فقال: حدثنا أبو بكر المؤذِّن، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا أبو عقيل زيد بن عقيل قال: سمعت مطرفًا الشَّقَري يقول لعبد العزيز بن سلمان: رأيت فيما يرىٰ النائم ... فذكره، وفي آخره: فخرَّ عبد العزيز مغشيًّا عليه.

(**وقال**) أبو[٢] هانئ (**أشعث**) بن عبد الملك الحُمْراني البصري، منسوب إلىٰ حُمْران مولىٰ عثمان بن عفَّان. قال يحيىٰ بن سعيد: لم ألْقَ أحدًا يحدِّث عن الحسن أثبت منه. وكان عالمًا بمسائل الحسن الرِّقاق. وقال شعبة: عامَّة ما روىٰ يونس في الرقائق كنا نرىٰ أنها عنه. وقال ابن سعد: كان الحسن إذا رأىٰ الأشعث قال: هاتِ يا أبا هانئ ما عندك. ومن طريق آخر: انشرْ بزَّك. أي هاتِ مسائلك. وقال الدارقطني: هم ثلاثة يروون عن الحسن جميعًا، أحدهم الحمراني، ثقة، وأشعث الحُدَّاني، يُعتبَر به، وابن سَوَّار الكوفي، يُعتبر به، وهو أضعفُهم. روىٰ له البخاري تعليقًا والباقون سوىٰ مسلم (**كنا ندخل علىٰ الحسن**) البصري (**فإنما هو النار وأمر الآخرة وذِكر الموت**)[٣] رواه أبو نعيم في الحلية.

(**وقالت صفيَّة**) بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدرية، تابعيَّة جليلة،

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٢٤٥.

(٢) تهذيب الكمال ٣/ ٢٧٧ - ٢٨٦. التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٤٣١ - ٤٣٢. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٩/ ٢٧٦. الكامل لابن عدي ١/ ٣٥٩ - ٣٦٢. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٢٧٥. سؤالات البرقاني للدارقطني ص ١٧ (ط - باكستان).

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٣/ ٢٠٨، وتمامه: «وكنا ندخل علىٰ ابن سيرين فكان يمزح ويضحك ويتحدث، فإذا أردته علىٰ شيء من أمر دينه كبت إلىٰ أن تنال السماء أقرب منك إلىٰ ما تريد».

لها رواية، وأكثر حديثها عن عائشة (**أن امرأة اشتكت إلىٰ عائشة ﷺ قساوةَ قلبها، فقالت: أكثِري من ذِكر الموت يرقُّ قلبُك. ففعلتْ فرقَّ قلبُها، فجاءت تشكر عائشة ﷺ**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(**وكان عيسىٰ عليه السلام إذا ذُكر الموت عنده يقطر جلدُه دمًا**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت[١].

وروىٰ ابن عساكر[٢] عن الشعبي قال: كان عيسىٰ إذا ذُكرت عنده الساعة صاح ويقول: لا ينبغي لابن مريم أن تُذكَر عنده الساعة فيسكت.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٣] من طريق أبي طارق التبان قال: كان عبد العزيز ابن سلمان إذا ذكر القيامة والموت صرخ كما تصرخ الثَّكْلَىٰ، ويصرخ الخائفون من جوانب المسجد. قال: وربما رُفع الميت والميتان من جوانب مجلسه.

(**وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتىٰ تنخلع أوصاله، فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسُه**) رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٤] وأحمد في الزهد وعبد ابن حميد وابن أبي الدنيا في الموت[٥] عن ثابت البناني[٦] قال: كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تخلَّعت أوصاله، لا يشدُّها إلا الأسر، فإذا ذكر رحمته تراجعت.

وروىٰ أحمد في الزهد عن ابن أبي العاتكة قال: كان من دعاء داود عليه السلام: سبحانك إلهي، إذا ذكرتُ خطيئتي ضاقت عليَّ الأرضُ برُحْبها، وإذا ذكرتُ رحمتك رُدَّت إليَّ روحي، سبحانك إلهي، أتيتُ أطباء عبادك ليداوو لي خطيئتي،

---

(١) عن أبي عمر الضرير، ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٦٩.

(٢) تاريخ دمشق ٤٧/ ٤١١.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٢٤٣.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٣.

(٥) ورواه أيضا في الرقة والبكاء ص ٢٤٦.

(٦) في المطبوعة: (عن ثابت بن صفوان عن عروة). والتصويب من مصادر التخريج.

فكلهم عليك يدلُّني[١].

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: (ما رأيت عاقلاً قط إلا أصبته حذرًا من الموت وعليه حزينًا) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٢] من طريق أبي مروان بشر الرَّحَّال عن الحسن قال: يحقُّ لمَن يعلم أن الموت مورده وأن الساعة موعده وأن القيام بين يدي الله مشهده أن يطول حزنه.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ (لبعض العلماء: عِظني. فقال: أنت أول خليفة تموت. قال: زِدني. قال: ليس من آبائك أحد إلىٰ آدم إلا ذاق الموت، وقد جاءت نوبتُك. فبكىٰ عمر لذلك)[٣] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٤] من طريق فضيل بن عياض، عن السري بن يحيىٰ، عن عمر بن عبد العزيز قال: واللهِ إن رجلاً ليس بينه وبين آدم إلا أب له قد مات لمعرق له في الموت.

وروىٰ[٥] أيضًا في ترجمة عبد العزيز بن سلمان من طريق محمد بن عبد العزيز

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص ٢٤٥، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ١٦٦، والثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ١٩٥.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٣٣.

(٣) رواه البيهقي في الزهد ص ٢١٦ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٥/ ٧٤ عن أبي القاسم المذكر قال: دخل يزيد الرقاشي علىٰ عمر بن عبد العزيز، فقال له: عظني. فقال: أنت أول خليفة تموت يا أمير المؤمنين. قال: زدني. قال: لم يبق أحد من آبائك من لدن آدم إلىٰ أن بلغت النوبة إليك إلا وقد ذاق الموت. قال: زدني. قال: ليس بين الجنة وبين النار منزل، والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝﴾ وأنت أبصر ببرك وفجورك. فبكىٰ عمر حتىٰ سقط عن سريره.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٥ - ٢٦٦، وأوله: «أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم».

(٥) السابق ٦/ ٢٤٤.

ابن سلمان قال: كنت أسمع أبي يقول: عجبت ممَّن عرف الموت كيف تقرُّ عينُه في الدنيا، أم كيف تطيب بها نفسه، أم كيف لا ينصدع فيها قلبه. قال: ثم يصرخ: هاه هاه، حتىٰ يخرَّ مغشيًّا عليه.

(**وكان الربيع بن خثيم**) الثوري الكوفي الزاهد (**قد حفر قبرًا في داره، فكان ينام فيه كل يوم مرَّات، يستديم بذلك ذِكر الموت. وكان يقول: لو فارق ذِكرُ الموت قلبي ساعةً واحدة لفسد**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[١] عن الحسن – هو ابن صالح – قال: قيل للربيع بن خثيم: يا أبا عبد الله، لو جالستنا. قال: لو فارق ذِكرُ الموت قلبي ساعةً فسد عليَّ.

(**وقال مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير**) الحرشي العامري البصري التابعي الزاهد: (**إن هذا الموت قد نغَّص علىٰ أهل النعيم نعيمَهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه**) رواه أبو نعيم في الحلية[٢] عن عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم ابن إسحاق الحربي، حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي جعفر الرازي، عن قتادة، عن مطرف قال ... فساقه.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالىٰ (**لعنبسة**) بن[٣] سعيد بن العاص ابن سعيد بن العاص بن أميَّة، أبي خالد الأموي، أخي عمرو الأشدق، ثقة، وكان عند الحجاج بالكوفة، مات علىٰ رأس المائة، روىٰ له البخاري ومسلم وأبو داود (**أكثِرْ ذِكر الموت، فإن كنت واسع العيش ضيَّقه عليك، وإن كنت ضيِّق العيش وسَّعه عليك**) قال أبو نعيم في الحلية[٤]: حدثنا الحسن بن محمد بن كيسان، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا ابن أبي بكر، حدثنا سعيد بن عامر،

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١١٦. وليس فيه قوله (يا أبا عبد الله)، والربيع بن خثيم يكنىٰ أبا يزيد.

(٢) السابق ٢/ ٢٠٤.

(٣) تقريب التهذيب ص ٧٥٦.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٤ - ٢٦٥.

عن أسماء بن عبيد قال: دخل عنبسة بن سعيد بن العاص علىٰ عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ مَن كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطون عطايا منعتناها، ولي عيال وضيعة، أفتأذن لي أن أخرج إلىٰ ضيعتي وما يُصلِح عيالي؟ فقال عمر: أحَبُّكم إلينا مَن كفانا مؤنته. فخرج من عنده، فلما صار عند الباب قال عمر: أبا خالد، أبا خالد. فرجع، فقال: أكثِرْ من ذِكر الموت، فإن كنت في ضِيق من العيش وسَّعه عليك، وإن كنت في سعة من العيش ضيَّقه عليك.

حدثنا أبو محمد ابن حيَّان، حدثنا محمد بن يحيىٰ المروزي، حدثنا خالد بن خِداش، حدثنا حماد بن زيد، عن محمد بن عمرو قال: قال عنبسة بن سعيد: دخلت علىٰ عمر ... فذكر نحوه.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالىٰ: **(قلت لأم هارون)** وكانت من العارفات: **(أتحبِّين الموت؟ قالت: لا. قلت: لِمَ؟ قالت: لو عصيتُ آدميًّا ما اشتهيتُ لقاءه، فكيف أحب لقاءه وقد عصيتُه)**[1] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

ومما يحسُن إيرادُه من ذِكر الآثار في فضل الموت:

روىٰ المروزي في الجنائز وأبو نعيم في الحلية[2] والبيهقي في الشعب[3] عن ابن مسعود قال: حبَّذا المكروهان: الفقر، والموت.

وروىٰ ابن أبي شيبة[4] والمروزي عن طاووس قال: لا يحرز دينَ المرء إلا حفرته.

---

(١) رواه السلمي في طبقات الصوفية ص ٤٠٢، ولكن فيه أن السائل هو أحمد بن أبي الحواري، وليس الداراني. وكذا هو في صفة الصفوة لابن الجوزي ص ٨٦١.

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٣٢.

(٣) شعب الإيمان ١٢/ ٣٤٥.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٢٢.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن مالك بن مغول قال: بلغني أن أول سرور يدخل علىٰ المؤمن الموت؛ لِما يرىٰ من كرامة الله تعالىٰ وثوابه.

وروىٰ أحمد في الزهد[١] وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله.

وروىٰ سعيد بن منصور[٢] وابن جرير[٣] عن أبي الدرداء قال: ما من مؤمن إلا والموت خيرٌ له، وما من كافر إلا والموت خير له، فمَن لم يصدِّقني فإن الله يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ۝١٩٨﴾ [آل عمران: ١٩٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٨].

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[٤] وعبد الرزاق في تفسيره[٥] والحاكم في المستدرك[٦] والطبراني[٧] والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال: ما من نفس برَّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة، إن كان برًّا فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ۝١٩٨﴾ وإن كان فاجرًا فقد قال الله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ﴾ الآية.

وروىٰ ابن المبارك[٨] وأحمد في الزهد عن حبان بن أبي جَبَلة أن أبا ذر – أو أبا الدرداء – قال: ألا حبَّذا المكروهات الثلاث: الموت، والمرض، والفقر.

---

(١) الزهد ص ١٢٨.

(٢) تفسير سعيد بن منصور ٣/ ١١٢٨.

(٣) جامع البيان ٦/ ٣٢٧.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٨١.

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٤٢.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٥٥.

(٧) المعجم الكبير ٩/ ١٦٥.

(٨) الزهد والرقائق ص ١١٢.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن جعفر الأحمر قال: مَن لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة.

وروىٰ ابن سعد في الطبقات[1] والبيهقي في الشعب[2] عن أبي الدرداء قال: أحب الفقر تواضعًا لربي، وأحب الموت اشتياقًا لربي، وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[3] عن سفيان الثوري أنه كان إذا ذكر الموت لا يُنتفَع به أيامًا، فإن سُئل عن شيء قال: لا أدري، لا أدري.

وروىٰ ابن سعد[4] وابن أبي شيبة[5] وأحمد في الزهد[6] عن أبي الدرداء أنه قيل له: ما تحب لمَن تحب؟ قال: الموت. قالوا: فإن لم يمُتْ؟ قال: يقلُّ مالُه وولدُه.

وروىٰ ابن أبي شيبة[7] عن عُبادة بن الصامت قال: أتمنَّىٰ لحبيبي أن يقلَّ مالُه ويعجِّل موته.

وروىٰ أحمد في الزهد[8] وابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء قال: ما أهدَىٰ إليَّ أخٌ لي صالح هديةً أحب إليَّ من السلام، ولا بلغني عنه خبر أعجب إليَّ من موته.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن محمد بن عبد العزيز التيمي قال: قيل لعبد الأعلىٰ التيمي: ما تشتهي لنفسك ولمَن تحب من أهلك؟ قال: الموت.

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٣٩٦.

(٢) شعب الإيمان ١٢/ ٣٩١.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٧، ٧/ ٥٨.

(٤) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٣٩٦.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٨٧.

(٦) الزهد ص ١١٥.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٣٥.

(٨) الزهد ص ١١٦.

وقال سهل بن عبد الله التستري: لا يتمنىٰ الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يفرُّ من أقدار الله تعالىٰ، أو مشتاق محب للقاء الله تعالىٰ.

وقال حيَّان بن الأسود: الموت جسر يوصل الحبيبَ إلىٰ الحبيب.

وقال أبو عثمان: علامة الشوق حبُّ الموت مع الراحة(١).

وقال بعضهم: إن المشتاقين يتحسَّون حلاوة الموت عند وروده لِما قد كُشف لهم من أن روح الوصول أحلىٰ من الشهد(٢).

وروىٰ ابن عساكر(٣) عن ذي النون المصري قال: الشوق أعلىٰ الدرجات وأعلىٰ المقامات، إذا بلغها العبدُ استبطأ الموتَ شوقًا إلىٰ ربِّه وحبًّا للقائه والنظر إليه.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية(٤) عن أبي عبد رب أنه قال لمكحول: أتحب الجنة؟ قال: ومَن لا يحب الجنة؟ قال: فأحِبَّ الموتَ، فإنك لن ترىٰ الجنة حتىٰ تموت.

وروىٰ(٥) عن عبد الله بن أبي زكريا أنه كان يقول: لو خُيِّرتُ بين أن أعمر مائة سنة في طاعة الله تعالىٰ أو أن أُقبَض في يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترت أن أُقبَض في يومي هذا أو في ساعتي هذه شوقًا إلىٰ الله وإلىٰ رسوله وإلىٰ الصالحين

---

(١) ذكره القشيري في الرسالة ص ٥٣٣. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٣٤٢ والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٩ عن ذي النون المصري بلفظ: «ثلاثة من أعلام الشوق: حب الموت مع الراحة، وبغض الحياة مع الدعة، ودوام الحزن مع الكفاية».

(٢) أورده القشيري في الرسالة ص ٥٣٥. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٧ عن أبي علي الروذباري بلفظ: إن المشتاقين إلىٰ الله يجدون حلاوة الوقت عند وروده لما كشف لهم من أن روح الوصول إلىٰ قربه أحلىٰ من الشهد. والظاهر أن لفظ (الموت) تحرف في الحلية إلىٰ (الوقت).

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٤٣١.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ١٧٧.

(٥) السابق ٥/ ١٥١.

من عباده.

وروىٰ أبو نعيم[١] وابن عساكر[٢] عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا عبد الله النباجي يقول: لو خُيِّرت بين أن تكون لي الدنيا منذ يوم خُلقتُ أتنعَّم فيها حلالاً لا أُسئل عنها يوم القيامة وبين أن تخرج نفسي الساعةَ لاخترت أن تخرج نفسي الساعةَ، أما تحب أن تلقىٰ مَن تطيع؟

وروىٰ ابن المبارك في الزهد[٣] وابن أبي الدنيا عن مسروق قال: ما غبطت شيئًا بشيء كمؤمن في لحده قد أمنَ من عذاب الله واستراح من أذىٰ الدنيا. ورواه ابن أبي شيبة[٤] بلفظ: ما من شيء خير للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدنيا وأمنَ من عذاب الله.

وروىٰ ابن المبارك في الزهد[٥] عن الهيثم بن مالك قال: كنا نتحدَّث عند أيفع ابن عبدة، وعنده أبو عطية المذبوح، فتذاكروا النعيم، فقال: مَن أنعمُ الناسِ؟ قالوا: فلان وفلان. فقال: ما تقول يا أبا عطية؟ فقال: أنا أخبركم عمَّن هو أنعم منه: جسد في لحد أمنَ من العذاب.

وروىٰ[٦] عن محارب بن دِثار قال: قال لي خيثمة: أيسرُّك الموتُ؟ قلت: لا. قال: ما أعلم أحدًا لا يسرُّه الموت إلا منقوص. وهو عند عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد[٧] بلفظ: فقال: إن هذا بك لنقص كبير.

---

(١) السابق ٩/ ٣١١.

(٢) تاريخ دمشق ٢١/ ١٩ - ٢٠.

(٣) الزهد والرقائق ص ١١٥.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٤٦.

(٥) الزهد والرقائق ص ١١٥.

(٦) السابق ص ٢٠٠.

(٧) ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١١٥ عن سلمة بن كهيل قال: لقي خيثمة محارب بن دثار فقال له: كيف حبك للموت؟ قال: ما أحبه. قال خيثمة: إن هذا بك لنقص كبير.

وروىٰ[١] عن أبي عبد الرحمن أن رجلاً قال في مجلس أبي الأعور السُّلَمي: واللهِ ما خلق الله شيئًا أحب إليَّ من الموت. فقال أبو الأعور: لأنْ أكون مثلك أحب إليَّ من حُمر النَّعم[٢].

وروىٰ ابن أبي الدنيا[٣] عن صفوان بن سليم قال: في الموت راحةٌ للمؤمن من شدائد الدنيا، وإن كان الموت ذا غصص وكرب.

وروىٰ عن محمد بن زياد قال: حُدِّثتُ عن بعض الحكماء أنه قال: لَلموتُ أهون علىٰ العاقل من زَلَّة عالِم غافل.

وروىٰ عن سفيان قال: كان يقال: الموت راحة العابدين.

ومن الآثار التي يناسب إيرادُها في فضل ذِكر الموت والاستعداد له ما قال بعضهم[٤] في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ هو الكفن، فهو وعظٌ متصل بما تقدَّم من قوله: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٧] أي اطلبْ فيما أعطاك الله من الدنيا [الجنة] بصرفها فيما يوصل إليها، ولا تنسَ أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن، كما قيل:

نصيبك مما تجمع الدهرَ كلَّه ... رِداءان تُلوَىٰ فيهما وحنوط[٥]

وقال حامد اللفَّاف: مَن أكثر ذِكر الموت أُكرِم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومَن نسي الموت عوقِب بثلاثة أشياء: تسويف

---

(١) الزهد والرقائق ص ٢٠٠.

(٢) تمام الأثر: «ولكني والله أرجو أن أموت قبل أن أرىٰ ثلاثا: أن أنصح فترد نصيحتي، وأرىٰ الغير فلا أستطيع تغييره، وقبل الهرم».

(٣) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤/ ١٣٣.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ص ١٤٥٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٣١٩ - ٣٢٠.

(٥) لم أقف علىٰ قائل هذا البيت.

التوبة، وتركُ الرضا بالكفاف، والتكاسُل في العبادة[١].

وقال بعضهم: لا يدخل ذِكرُ الموت بيتًا إلا رضي أهلُه بما قُسم لهم[٢].

قال أبو نُواس:

ألا أيـن الذيـن فنـوا وماتـوا أمـا واللهِ مـا ماتـوا لتبقَـىٰ[٣]

وقال أبو حمزة الخراساني: مَن أكثر ذِكر الموت حُبِّب إليه كل باقٍ، وبُغِّض إليه كل فانٍ[٤].

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن رجاء بن حيوة قال: ما أكثر عبدٌ ذِكر الموت إلا ترك الفرح والحسد[٥].

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[٦] وأحمد في الزهد[٧] عن أبي الدرداء قال: مَن أكثر ذِكر الموت قلَّ حسدُه وقلَّ فرحُه.

وروىٰ ابن أبي شيبة[٨] عن عون بن عبد الله قال: ما أحد يُنزِل الموتَ حق

(١) أورده السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ٢٢.

(٢) ذكره الراغب في محاضرات الأدباء ٢/ ٤٨٤، وزاد في آخره: وجدُّوا في أمر آخرتهم.

(٣) البيت في ديوانه ٢/ ١٧١ برواية:

ألا يـا ابـن الذيـن فنـوا وبـادوا أمـا والله مـا بـادوا لتبقـىٰ

(٤) رواه السلمي في طبقات الصوفية ص ٢٥٠ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٢. وعندهما: استشعر، بدل: أكثر.

(٥) رواه أحمد في الزهد ص ٣١٦، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٧٣.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٨٣.

(٧) الزهد ص ١١٧، وفيه: قل حسده وبغيه.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦٠. وقد رواه القضاعي في مسند الشهاب ١/ ٣٤٦ مرفوعا من حديث ابن عمر بلفظ: «يا من الموت غايته، ويا من القبر منزله، ويا من الكفن ستره، ويا من التراب وساده، ويا من الدود جيرانه، ويا من المنكر والنكير زواره، يا أيها المودع غدا عرسه، كم من مستقبل يوما لا يستكمله، ومنتظر غدا لا يبلغه، لو نظرتم إلىٰ الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره».

منزلته إلا عبدٌ عدَّ غدًا ليس من أجله، كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، وراجٍ غدًا لا يبلغه، إنك لو ترىٰ الأجل ومسيره لأبغضتَ الأمل وغروره.

وروىٰ(١) عن أبي حازم قال: [انظر] كل عمل كرهتَ الموت من أجله فاتركْه ثم لا يضرُّك متىٰ متَّ.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية(٢) عن أبي عمران قال: قال عمر بن عبد العزيز: مَن قرب الموتُ من قلبه استكثر ما في يديه.

وروىٰ(٣) عن القَدَّاح قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت انتفض انتفاضَ الطير، ويبكي حتىٰ تجري دموعُه علىٰ لحيته.

وعن(٤) عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله.

وعن(٥) عمر بن ذَرٍّ قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن يهوَّن عليَّ الموت؛ لأنه آخر ما يؤجَر عليه المؤمن. وعن الأوزاعي قال: قال عمر ... فذكر نحوه.

وروىٰ(٦) عن جابر بن نوح قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ بعض أهل بيته: أما بعد، فإنك إن استشعرتَ ذِكر الموت في ليلك ونهارك بُغِّض إليك كل فانٍ، وحُبِّب إليك كل باقٍ، والسلام.

وروىٰ(٧) عن مجمِّع التَّيمي قال: ذِكرُ الموت غِنًىٰ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢١١.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٣١٦.

(٣) السابق ٥/ ٣١٦.

(٤) السابق ٥/ ٣١٦.

(٥) السابق ٥/ ٣١٦ - ٣١٧.

(٦) السابق ٥/ ٢٦٤.

(٧) السابق ٥/ ٩٠.

وعن[١] شُمَيط قال: مَن جعل الموت نصب عينيه لم يبالِ بضِيق الدنيا ولا بسعتها.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن الحسن قال: ما ألزم عبدٌ قلبَه ذِكر الموت إلا صغرت الدنيا عنده، وهان عليه جميعُ ما فيها.

وعن قتادة قال: كان يقال: طُوبَىٰ لمَن ذكر ساعة الموت.

وعن مالك بن دينار قال: قال حكيم: كفىٰ بذكر الموت للقلوب حياة للعمل.

وعن أبي حازم قال: يا ابن آدم، بعد الموت يأتيك الخبرُ[٢].

ويُروَىٰ عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.

وقد نظمَ هذا المعنىٰ الحافظ العراقيُّ فقال:

وإنما الناس نيامٌ مَن يمُتْ ... منهم أزال الموتُ عنه وَسَنَه[٣]

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٤] أن عمر بن عبد العزيز قال لميمون بن مهران: يا ميمون، ما أرىٰ القبر إلا زيارة، ولا بد للزائر أن يرجع إلىٰ منزله. يعني إلىٰ الجنة أو النار.

وعن[٥] رجاء بن حيوة قال: ذكر عمر بن عبد العزيز الموت يومًا فقال يتمثَّل:

ألم ترَ أن الموت أدركَ مَن مضىٰ ... فلم ينجُ منه ذو جناح ولا ظفر

---

(١) السابق ٣/ ١٢٩.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٤٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٧٠.

(٣) البيت أورده المحبي في خلاصة الأثر ٤/ ١٤٦ ضمن أبيات نظمها العراقي عقب إملائه حديث «أعذر الله إلىٰ عبد أخر عمره إلىٰ الستين أو السبعين»، وحديث «خير الناس من طال عمره وحسن عمله».

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٣١٧، وفيه أنه قال ذلك بعد أن تلا قوله تعالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝﴾.

(٥) السابق ٥/ ٣١٩.

بيان الطريق في تحقيق ذِكر الموت في القلب

(اعلمْ) بصَّرك اللهُ تعالىٰ (أن الموت هائل) فظيع (وخطره عظيم، و) إنما (غفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه) فلا يخطر لهم ببال (و) لقلة (ذكرهم له) علىٰ ألسنتهم (ومَن يذكره) قليلاً أو كثيرًا (ليس يذكره بقلب فارغ) عن الشواغل (بل بقلب مشغول بشهوة[1] الدنيا) معلَّق بها (فلا ينجع ذِكرُ الموت في قلبه[2]) لأجل ذلك (فالطريق فيه أن يفرِّغ العبدُ قلبَه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه، كالذي يريد أن يسافر إلىٰ مَفازة مخطرة أو) يريد أن (يركب البحر فإنه لا يتفكَّر إلا فيه) إن قام أو قعد (فإذا باشر ذكرُ الموت قلبَه فيوشك أن يؤثِّر فيه، وعند ذلك) أي إذا تحقَّق التأثير فمن علاماته أنه (يقلُّ فرحُه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه) منها، فلا يكون له في باطنه ميلٌ إليها أصلاً (وأوقعُ طريقٍ فيه) أي أكثره وقعًا في القلب (أن يُكثِر ذِكرَ أشكاله وأقرانه) ولِداتِه (الذين مضوا قبله، فيتذكَّر موتهم ومصارعهم تحت التراب، ويتذكَّر صورهم) الجميلة (في مناصبهم وأحوالهم) التي كانوا يتقلَّبون فيها (ويتأمَّل كيف محا الترابُ الآن حُسن صورهم، وكيف تبدَّدت أجزاؤهم في قبورهم، وكيف أرملوا نساءهم) أي تركوهنَّ أرامل بلا أزواج (وأيتموا أولادهم) أي تركوهم يتامىٰ (وضيَّعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدُهم) ومدارسهم (ومجالسهم، وانقطعت آثارهم. فمهما تذكَّر رجلاً رجلاً وفصَّل في قلبه حالَه وكيفيةَ موته وتوهَّم صورته وتذكَّر نشاطه وتردُّده وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمؤاتاة الأسباب) أي موافقتها (وركونه إلىٰ القوة والشباب وميله إلىٰ الضحك واللهو وغفلته عمَّا بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه

(١) في أ، وط المنهاج ٩/ ٣٢٣: بشهوات.

(٢) أي لا يظهر أثره. وانظر: المصباح المنير ص ٥٩٤.

كيف كان يتردَّد والآن قد تهدَّمت رِجلاه ومفاصله، وأنه كيف كان ينطق و) الآن (قد أكل الدود لسانه، وكيف كان يضحك و) الآن (قد أكل التراب أسنانه، وأنه كيف كان يدبِّر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلىٰ عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عمَّا يُراد به حتىٰ جاءه الموت في وقت لم يحتسبه، فانكشفت له صورة الملَك) القابض للروح وهو عِزْرائيل عليه السلام **(وقرع سمعه النداءُ إما بالجنة أو بالنار)** يشير إلىٰ ما أخرجه الطبراني في الكبير[1] عن عبد الله بن عمرو: إذا توفىٰ الله المؤمن أتته الملائكة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي إلىٰ روح الله. فتخرج كأطيب ريح المسك، وأما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب بمِسح، فيقولون: اخرجي إلىٰ غضب الله. فتخرج كأنتن جيفة. وقد رواه أبو بكر المروزي في الجنائز من حديث أبي هريرة نحوه، وسيأتي **(فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم، وغفلته كغفلتهم، وستكون عاقبته كعاقبتهم. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا ذكرتَ الموتىٰ فعُدَّ نفسَك كأحدهم)**[2] رواه أبو نعيم في الحلية[3] من طريق أبي بكر ابن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مُرَّة قال: قال أبو الدرداء: اعبدوا الله كأنَّكم ترونه، وعُدُّوا أنفسَكم من الموتىٰ، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خيرٌ من كثير يلهيكم.

---

(١) المعجم الكبير ١٣/ ٣٥٧ - ٣٥٨ موقوفا. وفيه: «إذا توفىٰ الله العبد المؤمن أرسل إليه ملكين بخرقة من الجنة وريحان من ريحان الجنة، فقالا: أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلىٰ روح وريحان ورب غير غضبان، اخرجي، فنعما قدمت. فتخرج كأطيب رائحة المسك وجدها أحدكم بأنفه قط ... وإذا توفىٰ الله العبد الكافر أرسل إليه ملكين وأرسل إليه بقطعة البجاد أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن، فقالا: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلىٰ جهنم وعذاب أليم ورب عليك ساخط، اخرجي، فساء ما قدمت. فتخرج كأنتن جيفة وجدها أحدكم بأنفه قط».

(٢) رواه أبو داود في الزهد ص ٢٠٣ وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة ص ٥٥ عن راشد بن سعد قال: جاء رجل إلىٰ أبي الدرداء فقال: أوصني. فقال أبو الدرداء: اذكر الله في السراء يذكرك في الضراء، وإذا ذكرت الموتىٰ فاجعل نفسك كأحدهم، وإذا أشرفت نفسك علىٰ شيء من أمور الدنيا فانظر إلىٰ ما تصير إليه.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢١١ - ٢١٢.

(**وقال ابن مسعود** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **السعيد مَن وُعِظ بغيره**) رواه[١] مسلم[٢] من طريق عمرو بن الحارث عن أبي الزبير المكّي عن عامر بن واثلة عنه بزيادة: والشقيُّ مَن شقيَ في بطن أمّه. وهو عند العسكري في الأمثال من طريق ابن عون عن أبي وائل، وعند القضاعي[٣] من طريق إدريس بن يزيد الأودي عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، كلاهما عن ابن مسعود به مرفوعًا. ورواه العسكري أيضًا من طريق عبد الله بن مصعب بن خالد بن زيد عن أبيه عن جدّه زيد بن خالد رفعه بلفظ المصنِّف، ورواه القضاعي[٤] من هذا الوجه بتمامه، ويُروَىٰ من حديث عبد الله بن مصعب[٥] عن أبيه أيضًا فقال: عن عُقبة بن عامر، بدل: زيد. وهما ضعيفان، ولذا قال ابن الجوزي: لا يثبُت كذلك مرفوعًا.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالىٰ في خطبته: (**ألا ترون أنكم تجهِّزون كل يوم غاديًا أو رائحًا إلىٰ الله** عَزَّ وَجَلَّ **تضعونه في صدع من الأرض**) أي شق منها (**قد توسَّد الترابَ وخلَّف الأحبابَ وقطع الأسباب**) هكذا أورده هنا مختصرًا، وسيأتي بتمامه في آخر الباب الذي يليه، أخرجه أبو نعيم في الحلية مطوَّلاً، كما سنذكره.

(**فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضىٰ**) وأهل البلاء (**هو الذي يجدِّد ذِكر الموت في القلب حتىٰ يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه، فعند ذلك يوشك أن يستعدَّ له ويتجافَىٰ عن دار الغرور، وإلا فالذكر بظاهر**

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٢١.

(٣) مسند الشهاب ١/ ٨٠.

(٤) السابق ١/ ٦٦ - ٦٨.

(٥) هو عبد الله بن مصعب بن منظور بن جميل بن سنان. وقد رواه من هذا الطريق: البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٤١ - ٢٤٢، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٥٩٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١/ ٢٤٠ - ٢٤١.

القلب وعذبة اللسان) أي طرفه **(قليل الجدوَىٰ)** أي الفائدة **(في التحذير والتنبيه)** وسيأتي ذِكرُ الخُطَب التي فيها مجال أفكار المعتبِرين من كلام أمير المؤمنين عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ في آخر الباب الذي يليه **(ومهما طاب قلبُه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكَّر في الحال أنه لا بدَّ له من مفارقته)**.

(نظر ابنُ مطيع) هو[1] عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة ابن عوف بن عبيد بن عَوِيج بن عديٍّ بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العَدَوي المدني، وُلد في حياة النبي ﷺ، ولأبيه صحبة، كان من رجال قريش جَلَدًا وشجاعة، كان علىٰ قريش يوم الحَرَّة، وقُتل مع ابن الزبير بمكة، وكان قد استعمله علىٰ الكوفة، روىٰ له مسلم حديثًا واحدًا **(ذات يوم إلىٰ داره، فأعجبه حسنُها، ثم بكىٰ فقال: واللهِ لولا الموت لكنتُ بك مسرورًا، ولولا ما نصير إليه من ضِيق القبور لقرَّت بالدنيا أعينُنا. ثم بكىٰ بكاء شديدًا حتىٰ ارتفع صوته)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت[2]. والله الموفِّق.

---

(١) تهذيب الكمال ١٦/ ١٥٢ - ١٥٥. نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيري ص ٣٨٤.

(٢) ورواه أيضا في قصر الأمل ص ١٧٦ - ١٧٧ عن وهيب بن الورد قال: نظر ابن مطيع ... فذكره.

الباب الثاني:

في طول الأمل، وفضيلة قِصَر الأمل، وسبب طوله، وكيفية معالجته

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول في فضيلة قصر الأمل

اعلم أن[١] الأمل هو توقُّع حصول الشيء، وأكثر ما يُستعمَل فيما يبعُد حصوله، فمَن عزم علىٰ سفر إلىٰ بلد بعيد يقول: أمَّلتُ الوصولَ، ولا يقول: طمعت، إلا إن قرُبَ منها، فإن الطمع ليس إلا في القريب، والرجاء بينَ الأمل والطمع، فإن الراجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله. ويقال لِما في القلب ممَّا يُنال من الخير: أمل، ومن الخوف: إيحاش، ولِما لا يكون لصاحبه ولا عليه: خاطر، ومن الشر وما لا خير فيه: وسواس. وقصره[٢]: حبس النفسَ عليه، يقال: قصرتُ نفسي علىٰ هذا الأمر: إذا لم تطمح إلىٰ غيره، وقصرت طَرْفي: لم أرفعه إلىٰ مكروه.

(قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر) بن الخطاب ﵄ **(إذا أصبحتَ فلا تحدِّث نفسَك بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تحدِّث نفسَك بالصباح، وخذْ من حياتك لموتك، ومن صحَّتك لسقمك، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدًا)** قال

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٦٠. المصباح المنير ص ٢٢ ، ٢٣.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري ٢/ ٨١. بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٤/ ٢٧٣.

العراقي[(١)]: رواه ابن حبَّان[(٢)]، ورواه البخاري[(٣)] من قول ابن عمر في آخر حديث «كنْ في الدنيا كأنَّك غريب».

قلت: رواه البخاري من طريق الأعمش عن مجاهد عنه به إلىٰ قوله «عابر سبيل» مرفوعًا من حديث ابن عمر، وما سوىٰ ذلك فإنه من قوله لمجاهد. وروىٰ ابن المبارك في الزهد[(٤)] وأحمد[(٥)] والترمذي وابن ماجه[(٦)] والبيهقي في الشعب[(٧)] والعسكري في الأمثال من طريق سفيان، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «يا عبد الله ابن عمر، كنْ في الدنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسَك من أهل القبور».

وقال أبو نعيم في الحلية[(٨)]: حدثنا أبو بكر بن خَلاَّد، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا إسحاق بن عيسىٰ الطَّبَّاع، حدثنا حماد بن زيد. ح. وحدثنا حبيب ابن الحسن، حدثنا يوسف القاضي، حدثنا عمرو بن مرزوق. حدثنا زائدة. ح. وحدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان البصري، حدثنا عبد الله بن أحمد الدورقي، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير. ح. وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا علي ابن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان - واللفظ له - قالوا: عن ليث ابن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال لي [النبي ﷺ]: «أحِبَّ في الله، وأبغِضْ

(١) المغني ٢/ ١٢٠٣.
(٢) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٧١. وهو فيه من قول ابن عمر، وليس فيه العبارة الأخيرة. وهي عند الترمذي في سننه ٤/ ١٥٩.
(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٧٦.
(٤) الزهد والرقائق ص ٥٢.
(٥) مسند أحمد ٨/ ٣٨٣، ٩/ ٤٨.
(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٥٩.
(٧) شعب الإيمان ١٣/ ١٢٧.
(٨) حلية الأولياء ١/ ٣١٢.

في الله، ووالِ في الله، وعادِ في الله، فإنك لا تنال ولايةَ الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتىٰ يكون كذلك، وصارت موالاة الناس في أمر الدنيا، وإن ذلك لا يجزي عن أهله شيئًا». قال: وقال لي: «يا ابن عمر، إذا أصبحت فلا تحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدِّث نفسك بالصباح، وخذْ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك، فإنك يا عبد الله بن عمر لا تدري ما اسمك غدًا». قال: وأخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «كنْ في الدنيا غريبًا أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسَك في أهل القبور». قال أبو نعيم: ولم يذكر حماد وزهير وزائدة قوله في الموالاة [والمعاداة] ووافقوه في الباقي، ورواه الحسن بن الحر وفضيل بن عياض وجرير وأبو معاوية في آخرين عن ليث، ورواه الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر نحوه.

(ورُوي عن علي كرَّم الله وجهه أنه ﷺ قال: إن أشد ما أخاف عليكم خصلتين) كذا في النسخ، قال العراقي: صوابه: خصلتان **(اتِّباع الهوىٰ، وطول الأمل. فأمَّا اتِّباع الهوىٰ فإنه يصدُّ**[1]**)** أي يمنع **(عن الحق)** أي عن قبوله. وفي لفظ: يضل، بدل: يصد **(وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا. ثم قال: ألا إن الله تعالىٰ يعطي الدنيا مَن يحب ويبغض، وإذا أحب عبدًا أعطاه الإيمان. ألا إن للدين أبناء، وللدنيا أبناء، فكونوا من أبناء الدين، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولِّيةً)** أي مدبرة إلىٰ دارها **(ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلةً)** بوجهها **(ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب، ألا وإنكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل)** قال العراقي[2]: رواه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل[3]، ورواه[4] أيضًا من

(١) وفي أ، وط المنهاج ٩/ ٣٢٦: يعدل.
(٢) المغني ٢/ ١٢٠٣.
(٣) قصر الأمل ص ٢٦.
(٤) السابق ص ٢٧.

حديث جابر بنحوه، وكِلاهما ضعيفٌ.

قلت: روىٰ ابن عدي[١] من حديث جابر: «أخوفُ ما أخاف علىٰ أمَّتي الهوىٰ وطول الأمل». ورواه ابن النجار من حديثه بلفظ: «أخوفُ ما أخاف عليكم طول الأمل واتِّباع الهوىٰ، فأما اتِّباع الهوىٰ فيُضِل عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسِي الآخرةَ. إلا وإن الدنيا قد ترحَّلت مدبرةً، والآخرة قد ترحَّلت مقبلةً، ولكلٍّ بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل». قال العقيلي[٢]: فيه يحيىٰ بن مسلمة بن قعنب، حدَّث بالمناكير. وقد رواه ابن عساكر في التاريخ[٣] من حديث عليٍّ موقوفًا. وذكره الشريف الموسوي في نهج البلاغة[٤] في جملة خطبة، ولفظه: أيها الناس، إن أخوفَ ما أخاف عليكم اثنتان: اتِّباع الهوىٰ وطول الأمل، فأما اتِّباع الهوىٰ فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسِي الآخرةَ، ألا وإن الدنيا قد ولَّت حَذَّاءَ فلم يبقَ منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء اصطبَّها صابُّها، ألا وإن الآخرة قد أقبلت، ولكلٍّ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل ولد سيلحق بأمِّه يوم القيامة، وإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل. ورواه الحاكم في التاريخ والديلمي من حديث جابر بلفظ: «إن أخوفَ ما أخاف علىٰ أمَّتي الهوىٰ وطول الأمل، فأما الهوىٰ فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسِي الآخرةَ، وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة، وهذه الآخرة مقبلة قادمة، ولكل واحدة منهما بنون، فإن استطعتم أن تكونوا من بني الآخرة ولا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا، فإنكم اليوم في دار عمل ولا حساب، وأنتم غدًا في دار حساب ولا عمل». وروىٰ ابن النجار من حديث عليٍّ: «إن أشد ما أتخوَّف عليكم خصلتان: اتِّباع الهوىٰ وطول الأمل، فأما اتِّباع

(١) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٨٣١.

(٢) الضعفاء الكبير ٤/ ١٥٣٨.

(٣) تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٩٣ - ٤٩٥.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢/ ٤٢٤.

الهوىٰ فإنه يعدل عن الحق، وأما طول الأمل فالحب للدنيا».

(**وقالت أم المنذر**) الأنصارية ﵂: (**اطَّلع رسول الله ﷺ ذات عشيَّة إلىٰ الناس فقال: أيها الناس، أما تستحيون من الله؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: تجمعون ما لا تأكلون، وتؤمِّلون ما لا تدركون، وتبنون ما لا تسكنون**) قال العراقي[1]: رواه ابن أبي الدنيا[2] ومن طريقه البيهقيُّ في الشعب[3] بإسناد ضعيف، وقد تقدم.

قلت: الذي تقدم[4] أنه من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب، ذكرها الدارقطني في «الإخوة» وقال: روىٰ حديثَها الطرائفيُّ، وفيها نظرٌ. ا.هـ. قال الحافظ في الإصابة: حديثها أنها قالت: اطَّلع رسول الله ﷺ ذات عشيَّة فقال: «أيها الناس، ألا تستحيون»؟ قالوا: ممَّ ذاك يا رسول الله؟ قال: «تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تعمِّرون، وتؤمِّلون ما لا تدركون». أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله بن عمر عنها. وقال ابن منده: ورواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوازع ابن نافع نحوه. قال الحافظ: والطريقان ضعيفان.

(**وقال أبو سعيد الخُدري**) ﵁: (**اشترىٰ أسامة بن زيد**) الكلبي ﵄، حِبُّ رسول الله وابن حِبِّ رسول الله ﷺ (**من زيد بن ثابت**) الأنصاري ﵁ (**وليدةً**) أي جارية (**بمائة دينار إلىٰ شهر**) قال: (**فسمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا تعجبون من أسامة المشتري إلىٰ شهر؟ إن أسامة لَطويلُ الأمل، والذي نفسي بيده، ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شُفْرَيَّ**) بضم الشين المعجمة وسكون الفاء، وهو حرف الجفن

---

(١) المغني ٢/ ١٢٠٣.

(٢) قصر الأمل ص ٢٨، ٨٤.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ١٤٢. وعندهما: تعمرون، بدل: تسكنون.

(٤) في كتاب الزهد والفقر.

الذي ينبُت عليه الهدبُ، والجمع: أشفار **(لا يلتقيان حتىٰ يقبض الله روحي، ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتىٰ أُقبَض، ولا لقمت لقمةً إلا ظننت أني لا أسيغها حتىٰ أغصَّ بها من الموت. ثم قال: يا بني آدم، إن كنتم تعقلون فعُدُّوا أنفسَكم من الموتىٰ، والذي نفسي بيده، إن ما توعَدون لآتٍ، وما أنتم بمعجزين)** قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٢] والطبراني في مسند الشاميين[٣] وأبو نعيم في الحلية[٤] والبيهقي في الشعب[٥] بسند ضعيف.

قلت: ورواه كذلك ابن عساكر في التاريخ[٦].

(وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يخرج) أي إلىٰ الخَلاء **(يهريق الماء فيتمسَّح بالتراب)** أي يتيمَّم به **(فأقول له: يا رسول الله، إن الماء منك قريب. فيقول: ما يدريني لعلِّي لا أبلغه)** قال العراقي[٧]: رواه ابن المبارك في الزهد[٨] وابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٩] والبزار بسند ضعيف.

(ورُوي أنه ﷺ أخذ ثلاثة أعواد، فغرز عودًا بين يديه، والآخَر إلىٰ جنبه، وأما الثالث فأبعدَه، فقال: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا الإنسان، وهذا الأجل، وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم، ويختلجه الأجل دون الأمل)

---

(١) المغني ٢/ ١٢٠٣ - ١٢٠٤.
(٢) قصر الأمل ص ٢٩.
(٣) مسند الشاميين ٢/ ٣٦٥.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ٩١.
(٥) شعب الإيمان ١٣/ ١٤٣.
(٦) تاريخ دمشق ٨/ ٧٥.
(٧) المغني ٢/ ١٢٠٤.
(٨) الزهد والرقائق ص ١١٩.
(٩) قصر الأمل ص ٢٩ - ٣٠.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] وابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٣] - واللفظ له - والرامهُرمزي في الأمثال[٤] من رواية أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري، وإسناده حسن، ورواه ابن المبارك في الزهد[٥] وابن أبي الدنيا من رواية أبي المتوكل مرسلاً.

قلت: لفظ ابن المبارك عن أبي المتوكل الناجي هو الذي ساقه المصنف هنا، وأما لفظ أحمد: عن أبي سعيد أن النبي ﷺ غرز [بين يديه] عودًا، ثم غرز إلىٰ جنبه آخَر، ثم غرز الثالث فأبعدَه، قال: «هل تدرون ما هذا؟ هذا الإنسان، وهذا أجله، وهذا أمله، يتعاطَىٰ الأملَ، فيختلجه الأجلُ دون ذلك».

ورویٰ ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٦] والديلمي[٧] من حديث أنس: مثَّل [رسولُ الله ﷺ] الإنسانَ والأمل والأجل، فمثَّل الأجلَ إلىٰ جانبه، والأمل أمامه، فبينما هو يطلب الأمل أمامه إذ أتاه الأجلُ فاختلجه.

(وقال ﷺ: مثلُ ابن آدم وإلىٰ جنبه تسع وتسعون منيّة، إن أخطأته المنايا وقع في الهرم) قال العراقي[٨]: رواه الترمذي[٩] من حديث عبد الله بن الشِّخِّير، وقال: حسن.

---

(١) المغني ٢/ ١٢٠٤.
(٢) مسند أحمد ١٧/ ٢١٢.
(٣) قصر الأمل ص ٣١ - ٣٢.
(٤) أمثال الحديث ص ١٧٠.
(٥) الزهد والرقائق ص ١١٠.
(٦) قصر الأمل ص ٣٥.
(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٤٤.
(٨) المغني ٢/ ١٢٠٤.
(٩) سنن الترمذي ٤/ ٢٦، ٢٤٥.

قلت: هو هكذا في السنن بزيادة «حتىٰ يموت»، وقال: حسن غريب. ورواه كذلك الطبراني[١] والبيهقي[٢] والضياء[٣]، كلهم من طريق مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه. ورواه أبو نعيم في الحلية[٤] عن الطبراني، حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا محمد بن فِراس، حدثنا مسلم بن قتيبة، حدثنا عمران، عن قتادة، عن مطرف به ... فذكره.

(**وقال ابن مسعود**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**هذا المرء، وهذه الحتوف**) أي المنايا المهلكة (**حوله شوارع إليه**) أي بارزة إليه، مشرعة نحوه (**والهرم وراء الحتوف، والأمل وراء الهرم، فهو يؤمِّل، وهذه الحتوف شوارع إليه، فأيُّها أُمِرَ به أخذه، فإن أخطأته الحتوفُ**) ولم تصبْه (**قتله الهرم، وهو ينتظر الأمل**)[٥].

وقال عبد الله) بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**خطَّ لنا رسولُ الله ﷺ خطًّا مربعًا، وخطَّ وسطه خطًّا، وخطَّ خطوطًا إلىٰ جنب الخط، وخطَّ خطًّا خارجًا، وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا الإنسان للخط الذي في الوسط، وهذا الأجل محيط به، وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنهشه، إن أخطأه هذا نهشه هذا، وذاك الأمل. يعني الخطَّ الخارج**) قال العراقي[٦]: رواه البخاري[٧].

قلت: قال أبو نعيم في الحلية[٨]: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن يوسف الفِرْيابي. ح. وحدثنا

---

(١) المعجم الأوسط ٣/ ١٧٢، ٦/ ١٩.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٠.

(٣) الأحاديث المختارة ٩/ ٤٧٦.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢١١.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٣٣.

(٦) المغني ٢/ ١٢٠٤.

(٧) صحيح البخاري ٤/ ١٧٦.

(٨) حلية الأولياء ٢/ ١١٦ - ١١٧.

سليمان، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا قبيصة بن عقبة، قالا: حدثنا سفيان. ح. وحدثنا إسحاق بن حمزة، حدثنا أحمد بن الحسين الصوفي، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يحيىٰ بن سعيد، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلىٰ منذر الثوري، عن الربيع بن خثيم، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه خطَّ خطًّا مربعًا، وجعل في وسط الخط خطًّا، وجعل خطًّا خارجًا من المربعة دارة، وجعل حوله حروفًا، وخطَّ حولها خطوطًا، فقال: «المربع الأجل، والخط الوسط الإنسان، وهذه الدارة الخارجة الأمل، وهذه الحروف الأعراض، فالأعراض تصيبه من كل مكان، كلَّما انفلت من واحدة أخذت واحدةٌ، والأجل قد حال دون الأمل». لفظ سليمان، وقال يحيىٰ بن سعيد: «هذه الخطوط التي إلىٰ جنبها الأعراض تنهشه من كل مكان، إن أخطأه هذا أصابه هذا». والخط المربع الأجل المحيط به، والخط الخارج الأمل». قال الشيخ أبو نعيم: حديث صحيح متفق علىٰ صحته، لم يروِه عن الربيع إلا منذر.

(وقال[١] **أنس**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: يهرم**) أي يكبر (**ابنُ آدم ويبقىٰ معه**) خصلتان (**اثنتان**) استعارة، يعني: تستحكم [الخصلتان] في قلب الشيخ كاستحكام قوة الشاب في شبابه (**الحرص والأمل**) فالحرص فقره ولو ملك الدنيا، والأمل همُّه وتعبه، وإنما لم تكبر هاتان [الخصلتان] لأن المرء جُبِلَ علىٰ حب الشهوات، وإنما تُنال هي بالمال والعمر.

قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بإسناد صحيح. ا.هـ.

قلت: بل رواه بهذا اللفظ أحمد والشيخان تعليقًا والنسائي، كلهم من طريق شعبة عن قتادة عن أنس. وفي لفظ للبخاري: يكبر، بدل: يهرم.

---

(١) تقدم هذا الحديث مع شرحه في كتاب ذم البخل وحب المال.

ويزاد هنا عزوه لابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٣٥ - ٣٦، وأبي نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٧٥، ٧/ ٢٦١، ٨/ ١٦٠.

(٢) المغني ٢/ ١٢٠٥.

(وفي رواية): يهرم ابن آدم **(وتشبُّ معه اثنتان: الحرص علىٰ المال، والحرص علىٰ العمر)** قال العراقي: رواه مسلم بهذا اللفظ.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي والترمذي وابن ماجه وابن حبان، كلهم من طريق هشام عن قتادة عن أنس، ولفظ الطيالسي: يكبر. ومن طريقه رواه أبو نعيم في الحلية.

ورواه الطبراني من حديث سمرة.

وفي المقاصد للسخاوي[١]: وفي لفظ: «يشيب ابنُ آدم وتشبُّ منه اثنتان».

وذكر صاحب البستان[٢] عن أبي عثمان النهدي قال: بلغت نحوًا من ثلاثين ومائة سنة وما من شيء إلا وقد أنكرتُه إلا أملي فإني أجده كما هو[٣].

(وقال ﷺ: نجا أول هذه الأمّة) وهم[٤] الصحب والتابعون بإحسان ومَن داناهم من السلف **(باليقين والزهد)** أي بالثقة بالله في أمورهم، والتجافي عن الدنيا بالزهد فيها **(ويهلك)** أي يكاد يهلك **(آخر هذه الأمّة بالبخل والأمل)** أي بالاسترسال فيهما، والمراد من ذلك أن الصدر الأول قد تحلَّوا باليقين والزهد، وتخلَّوا عن البخل والأمل، وذلك من أسباب النجاة من العقاب، وفي آخر الزمان ينعكس الحال، وذلك من الأسباب المؤدِّية للهلاك.

قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٦] من رواية ابن لهيعة عن

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٤٧٩.

(٢) بستان العارفين للنووي ص ٨٨.

(٣) رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ١/ ٢٣١، والبغوي في معجم الصحابة ٤/ ٤٩٥، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٩٧، والخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٤٦٢، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ١٨٧٠.

(٤) فيض القدير ٦/ ٢٨١ - ٢٨٢. مع زيادات من الشارح.

(٥) المغني ٢/ ١٢٠٥.

(٦) قصر الأمل ص ٣٦.

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه.

قلت: وكذلك رواه أبو بكر ابن لال في مساوئ الأخلاق والخطيب في كتاب البخلاء(١). وابن لهيعة لا يُحتَجُّ به.

ثم إن المذموم من ذلك الاسترسال فيه، لا قطع أصله، وإليه أشار المصنف بقوله: (**وقيل: بينما عيسىٰ** عليه السلام **جالس، وشيخ يعمل بمِسْحاة**) بكسر الميم: آلة من حديد (**يثير بها الأرضَ**) أي يخدمها (**فقال عيسىٰ**) عليه السلام في نفسه: (**اللهم انزعْ منه الأملَ**) فاستُجيبَ له (**فوضع الشيخ المِسحاة**) وترك الشغل (**واضطجع**) علىٰ جنبه يستريح (**فلبث ساعةً**) علىٰ ذلك (**فقال عيسىٰ**) عليه السلام في نفسه: (**اللهم ارْدُدْ إليه الأملَ**) فاستُجيبَ له (**فقام**) الشيخ (**فجعل يعمل**) في الأرض (**فسأله عيسىٰ**) عليه السلام (**عن ذلك، فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلىٰ متىٰ تعمل وأنت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاةَ واضطجعت، ثم قالت لي نفسي: واللهِ لا بد لك من عيش ما بقيتَ، فقمت إلىٰ مسحاتي**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل(٢).

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**قال رسول الله ﷺ: أكلُّكم يحب أن يدخل الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: قَصِّروا من الأمل، وثبِّتوا آجالَكم بين أبصاركم، واستحيوا من الله حقَّ الحياء**) قال العراقي(٣): رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل(٤) هكذا من حديث الحسن مرسلاً.

قلت: والشطر الأخير رواه أحمد(٥) والترمذي(٦) من حديث ابن مسعود،

---

(١) البخلاء ص ٤١.
(٢) قصر الأمل ص ٣٨.
(٣) المغني ٢/ ١٢٠٥.
(٤) قصر الأمل ص ٤٢.
(٥) مسند أحمد ٦/ ١٨٧.
(٦) سنن الترمذي ٤/ ٢٤٦.

والخرائطي[١] من حديث عائشة والطبراني في الأوسط[٢] من حديث الحكم بن عمير.

(وكان ﷺ يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خيرَ الآخرة، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل) قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٤] من رواية حوشب عن النبي ﷺ، وفي إسناده ضعفٌ وجهالة، ولا أدري مَن حوشب.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا أيضًا في كتاب اليقين. ووجدت بخط الشيخ شمس الدين الداودي ما نصه: هو تابعي صغير، وله رواية عن الحسن في كتاب ابن أبي الدنيا أيضًا. ا.هـ. قلت: هذا التابعي الذي ذكره له ذِكرٌ في الحلية[٥] في ترجمة محمد بن واسع من طريق عبد الواحد بن زياد قال: سمعت مالك بن دينار يقول لحوشب: لا تَبِتْ وأنت شبعان، ودَعِ الطعامَ وأنت تشتهيه. فقال حوشب: هذا وصفُ أطباء أهل الدنيا. قال: ومحمد بن واسع يسمع كلامهما، فقال: نعم، ووصفُ أطباء أهل الآخرة. فقال مالك: بخ بخ! دواء للدين والدنيا.

وفي الصحابة اثنان يقال لهما حوشب، كلٌّ منهما غير منسوب، لأحدهما رواية في مسند أحمد، وللثاني في مسند الحسن بن سفيان والنوادر للحكيم[٦]، فليحرَّر. والله أعلم.

---

(١) مكارم الأخلاق ص ١١١ - ١١٢.

(٢) بل في المعجم الكبير ٣/ ٢٤٦.

(٣) المغني ٢/ ١٢٠٥.

(٤) قصر الأمل ص ٤٨. وذكره في ذم الدنيا ص ١١٨ عن الحسن البصري مرسلًا مقتصرًا على الشطر الأول، وانظر: الإصابة للحافظ ٢/ ٢١٨.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ٣٥١.

(٦) ذكرهما ابن حجر في القسم الأول من الإصابة ٢/ ٣٠٢. وذكر في القسم الرابع ٣/ ٤٣ حوشب الذي روى هذا الحديث وقال: «تابعي أرسل حديثا، فذكره بعضهم في الصحابة».

(الآثـار:

قال مطرِّف بن عبد الله) بن الشِّخِّير رحمه الله تعالىٰ: **(لو علمتُ متىٰ أجلي لخشيتُ عليَّ ذهابَ عقلي، ولكن الله تعالىٰ منَّ علىٰ عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنَّوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق)**[١] رواه أبو نعيم في الحلية[٢] بلفظ: وجدتُ الغفلة التي ألقاها الله علىٰ [قلوب الصدِّيقين من] خلقه رحمةً رحمَهم بها، ولو ألقىٰ في قلوبهم الخوفَ علىٰ قدْر معرفتهم به ما تهنَّأ لهم العيشُ.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(السهو والأمل نعمتان عظيمتان علىٰ بني آدم، ولولاهما ما مشىٰ المسلمون في الطرق)** رواه أبو نعيم في الحلية[٣].

(وقال) سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالىٰ: **(بلغني أن الإنسان خُلق أحمق)** أي قليل العقل **(ولولا ذلك لم يهنه العيشُ)**[٤] رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال) أبو[٥] عبد الله **(سعيد بن عبد الرحمن)** بن عبد الله بن جميل بن عامر ابن حِذْيَم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جُمَح القرشي الجُمَحي المدني، قاضي بغداد زمن الرشيد، روىٰ عن هشام بن عروة، قال ابن معين: ثقة. مات سنة ست وسبعين ومائة، روىٰ له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه **(إنما عمرت الدنيا بقلَّة عقول أهلها)** رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٦].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٣٩.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢١٠.

(٣) السابق ٦/ ١٦٤ حتىٰ قوله (علىٰ بني آدم). وورواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٣٨ مفرقا من طريقين.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٣٩. وورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٠٨ بلفظ: «قرأت في بعض الكتب: ابن آدم خلق أحمق، ولولا ذلك لم يحب الدنيا ولم يركن إليها».

(٥) تهذيب الكمال ١٠/ ٥٢٨ - ٥٣٢.

(٦) قصر الأمل ص ٤٠.

(وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه**: ثلاث أعجبنني حتىٰ أضحكنني: مؤمِّل الدنيا والموتُ يطلبه، وغافل وليس يُغفَل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راضٍ. وثلاث أحزنني حتىٰ أبكينني: فراق الأحبَّة محمد وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي ربِّي لا أدري إلىٰ الجنة يؤمَر بي أو إلىٰ النار)** رواه أحمد في الزهد[١] ومن طريقه أبو نعيم في الحلية[٢] قال: حدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان قال: بلغنا أن سلمان الفارسي كان يقول: أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاث، ضحكت من مؤمِّل الدنيا والموتُ يطلبه، وغافل ولا يُغفَل عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أمسخط ربه أم مرضيه. وأبكاني ثلاثٌ: فراق الأحبَّة محمد وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي رب العالمين حين لا أدري إلىٰ النار انصرافي أم إلىٰ الجنة.

(وقال بعضهم: رأيت زُرارة بن أبي أوفَىٰ) العامري الحرشي البصري العابد رحمه الله تعالىٰ **(بعد موته في المنام، فقلت: أيُّ الأعمال أبلغ عندكم؟ قال: التوكل وقصر الأمل)** رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٣].

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٤] [عن المغيرة بن عبد الرحمن] قال: لقي سلمان عبد الله بن سلام فقال: إن مت قبلي فأخبِرْني ما تلقَىٰ، وإن مت قبلك فأخبرك. قال: فمات سلمان، فرآه عبد الله بن سلام فقال: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ قال: بخير. قال: أيُّ الأعمال وجدتَ أفضل؟ قال: وجدتُ التوكل شيئًا عجيبًا.

(وقال) سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالىٰ: **(الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء)** رواه أبو نعيم في الحلية[٥] عن سليمان بن أحمد،

---

(١) الزهد ص ١٢٧.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٠٧.

(٣) قصر الأمل ص ٤١.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٠٥.

(٥) السابق ٦/ ٢٨٦.

حدثنا محمد بن عبيد بن آدم العسقلاني، حدثنا أبو عمير ابن النحَّاس، حدثنا وكيع قال: قال سفيان ... فذكره.

قال: وحدثنا أبو محمد ابن حيان، حدثنا محمد بن يحيىٰ، حدثنا العباس بن إسماعيل، حدثنا سهل، حدثنا وكيع قال: قال سفيان: ليس الزهد في الدنيا بأكل الجشب ولبس الخشن، إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل.

وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا الأحوص بن الفضل بن غسَّان الغلابي، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، سمعت الحسن بن عبد الملك يقول: قال الثوري: ليس الزهد في الدنيا بلبس الخشن ولا أكل الجشب، إنما الزهد قصر الأمل.

وحدثنا أبو بكر الطلحي، حدثنا الحسين بن جعفر، حدثنا إسماعيل الطلحي قال: قال وكيع: كان سفيان يقول: الزهد في الدنيا قصر الأمل.

(وسأل) أبو[١] مالك (**المفضَّل بن فَضالة**) بن أبي أميَّة البصري[٢]، روىٰ له أبو داود والترمذي وابن ماجه (**ربَّه أن يرفع عنه الأملَ، فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب، ثم دعا ربَّه فردَّ عليه الأملَ، فرجع إلىٰ الطعام والشراب**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٣]. وفيه إشارة إلىٰ أن المذموم منه إنما هو الاسترسال فيه لا أصله.

(**وقيل للحسن**) البصري: (**يا أبا سعيد، ألا تغسل قميصك؟ فقال: الأمر أعجلُ من ذلك**) رواه أبو نعيم في الحلية[٤] فقال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن ابن أبان، حدثنا أبو بكر ابن عبيد، حدثنا سعدويه وإسحاق بن إبراهيم قالا: حدثنا أبو

---

(١) تقريب التهذيب ص ٩٦٧.

(٢) بل هو أبو معاوية المفضل بن فضالة بن عبيد بن ثمامة القتباني قاضي مصر. انظر: تاريخ مصر لابن يونس ص ٤٨٢. تهذيب الكمال ٢٨/ ٤١٨. صفة الصفوة ص ٨٦٦. ميزان الاعتدال ٤/ ١٧٠.

(٣) قصر الأمل ص ٤٢ - ٤٣ عن محمد بن معمر.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٢٧٠.

معاوية [عن هشام] عن الحسن قال: قيل: يا أبا سعيد ... فذكره.

(**وقال الحسن**) البصري: (**الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تُطوَىٰ من ورائكم**)[1] رواه أبو نعيم في الحلية[2] من طريق فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال: إنكم أصبحتم في أجل منقوص وعمل محفوظ، والموت في رقابكم، والنار بين أيديكم، وما ترون واللهِ ذاهب، فتوقَّعوا قضاءَ الله في كل يوم وليلة، ولينظر امرؤ ما قدَّم لنفسه.

(**وقال بعضهم: أنا كرجل مادٍّ عنقه والسيف عليه ينتظر متىٰ تُضرَب عنقه**[3].

وقال داود) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالىٰ: (**لو أمَّلتُ أن أعيش شهرًا لرأيتني قد أتيتُ عظيمًا، وكيف أؤمِّل ذلك وأرىٰ الفجائع**) أي بغتات المصائب (**تغشىٰ الخلائقَ في ساعات الليل والنهار**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[4].

(**وحُكي أنه جاء شقيق البلخي**) رحمه الله تعالىٰ (**إلىٰ أستاذ له يقال له أبو هاشم الرُّمَّاني**) كان[5] ينزل قصر الرمان بواسط، اسمه يحيىٰ بن دينار، وقيل: يحيىٰ بن الأسود، رأي أنسَ بن مالك، قال أبو حاتم: وكان فقيهًا صدوقًا. مات سنة ١٢٢، وقيل: سنة ١٤٥. روىٰ له الجماعة (**وفي طرف كسائه شيء مصرور، فقال له أستاذه: أيش هذا معك؟ قال: لوزات دفعها إليَّ أخٌ لي وقال: أحب أن تفطر عليها. فقال**) أستاذه: (**يا شقيق، وأنت تحدِّث نفسك أنك تبقىٰ إلىٰ الليل؟! لا كلَّمتك**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٤٦.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٢٧١.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٤٦ - ٤٧ عن حميد الطويل قال: لقي بكر بن عبد الله المزني أبا جميلة الطهوي فقال: يا أبا جميلة، كيف أنت؟ قال: أنا والله هكذا، كرجل ماد عنقه والسيف عليها ينتظر متىٰ تضرب عنقه.

(٤) قصر الأمل ص ٤٧.

(٥) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٦٢ - ٣٦٣. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ١٤٠.

أبدًا. قال: فأغلق في وجهي الباب ودخل) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ (في خطبته: إن لكل سفر زادًا لا محالة، فتزوَّدوا لسفركم من الدنيا إلىٰ الآخرة التقوىٰ) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧] (وكونوا كمَن عاينَ ما أعدَّ الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا) فيه لفٌّ ونشر مرتَّب (ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] (وتنقادوا لعدوِّكم) أي إبليس (فإنه واللهِ ما بُسِط أمل مَن لا يدري لعلَّه لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، وكم رأيتُ ورأيتم مَن كان بالدنيا مغترًّا، وإنما تقرعين مَن وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح مَن أمنَ من أهوال يوم القيامة، فأما مَن لا يداوي كُلْمًا) أي جرحًا (إلا أصابه جرحٌ من ناحية أخرىٰ فكيف يفرح؟ أعوذ بالله من أن آمركم بما أنهىٰ عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي) كذا في النسخ، ولفظ الحلية: عيلتي (وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغِنىٰ والفقر، والموازين فيه منصوبة، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجومُ لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشقَّقت، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة، وأنكم صائرون إلىٰ إحداهما)؟ رواه أبو نعيم في الحلية(١) قال: حدثنا أبي ومحمد بن أحمد قالا: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، حدثني أبو عبد الرحمن حاتم بن عبيد الله الأزدي، عن الحسين بن محمد الخُزاعي، عن رجل من ولد عثمان أن عمر بن عبد العزيز قال في بعض خطبه ... فذكره سواء بسواء.

(وكتب رجل إلىٰ أخ له: أما بعد، فإن الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والمتوسط بينهما الموت، ونحن في أضغاث أحلام. والسلام) رواه ابن أبي الدنيا في قصر

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩١.

الأمل[١].

(وكتب آخر إلىٰ أخ له: إن الحزن علىٰ الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وللنقص في كل يوم منه نصيب، وللبلىٰ في جسمه دبيب، فبادِرْ قبلَ أن تنادَىٰ بالرحيل. والسلام) رواه أبو نعيم في الحلية[٢] [عن إبراهيم بن بشَّار] قال: كتب عمر بن المِنْهال القرشي إلىٰ إبراهيم بن أدهم وهو بالرملة: أنْ عِظْني موعظةً أحفظها عنك. فكتب إليه: أما بعد، فإن الحزن علىٰ الدنيا طويل ... فذكره، وفيه بعد قوله «بالرحيل»: واجتهِدْ بدار الممرِّ قبل الانتقال إلىٰ دار المقر[٣].

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(كان آدم ﷺ قبل أن يخطئ أملُه خلف ظهره وأجلُه بين عينيه، فلمَّا أصاب الخطيئةَ حُوِّل فجُعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره)** رواه أحمد في الزهد[٤] قال: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا هشام – هو الدستوائي[٥] – عن الحسن قال: كان آدم ﷺ قبل أن يصيب الخطيئة ... فذكره. ورواه أبو نعيم في الحلية[٦] من طريقه.

(وقال عبيد الله بن شُمَيط) بن عَجْلان الشيباني البصري، ثقة، مات سنة إحدىٰ وثمانين ومائة، روىٰ عن أبيه وعمِّه الأخضر بن عجلان، وعنه عبد الرحمن بن مهدي وسَيَّار وعبد الله بن عيسىٰ الطُّفاوي وأبو داود الطيالسي ومحمد بن عبيد ابن حساب، روىٰ له الترمذي **(سمعت أبي)** هو أبو همَّام شُمَيط، بالمعجمة مصغَّرًا، أخو الأخضر، روىٰ عن أبي بكر الحنفي وزهير العامري وعطاء بن عمرو،

---

(١) قصر الأمل ص ٥٢.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٧.

(٣) لفظ الحلية: «واجتهد في العمل في دار الممر قبل أن ترحل إلىٰ دار المقر».

(٤) الزهد ص ٤٣.

(٥) بل هو هشام بن حسان.

(٦) حلية الأولياء ٦/ ٢٧٢.

وعنه ابنه المذكور وجعفر بن سليمان الضبعي وعبد الرحمن بن مهدي ورياح بن عمرو القيسي وأبو عاصم عبد الله بن عبيد الله العَبَّاداني وإبراهيم بن عبد الملك والصعق بن حَزْن (يقول: أيها المغترُّ بطول صحته، أما رأيتَ ميتًا قط من غير سقم؟ أيها المغترُّ بطول المهلة أما رأيت مأخوذًا قط من غير عِدَة؟ إنك لو فكَّرت في طول عمرك لنسيتَ ما قد تقدَّم من لذَّاتك، أبالصحة تغترُّون؟ أم بطول العافية تمرحون؟ أم الموتَ تأمنون؟ أمْ علىٰ ملَك الموت تجترئون؟ إن ملَك الموت إذا جاء لا تمنعه منك ثروةُ مالك ولا كثرة احتشادك، أما علمتَ أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة علىٰ التفريط؟ ثم يقول: رحم الله عبدًا عمل لِما بعد الموت، رحم الله عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت)[١] رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد قال: أُخبِرت عن سيَّار عن عبيد الله بن شُمَيط قال: سمعت أبي يقول ... فساق نحو ذلك.

(وقال أبو زكريا) يحيىٰ[٢] بن طلحة بن عبيد الله (التَّيْمي) المدني، ثقة، روىٰ له الترمذي والنسائي وابن ماجه (بينما سليمان بن عبد الملك) بن مروان (في المسجد الحرام إذ أُتي بحجر منقور، فطلب مَن يقرؤه، فأُتي بوهب بن منبه) اليماني (فإذا فيه: ابن آدم، إنك لو رأيتَ قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصَّرت من حرصك وحِيَلك، وإنما يلقاك غدًا ندمُك لو قد زلَّت بك قدمُك، وأسلمك أهلُك وحشمك، وفارقك الولدُ والقريب، ورفضك الوالدُ والنسيب، فلا أنت إلىٰ دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعملْ ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة. فبكىٰ سليمان بكاء شديدًا) رواه أبو نعيم في الحلية[٣] قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن عبيد، حدثنا أبو عبد الله بن إدريس، عن أبي زكريا التيمي قال: بينما سليمان بن

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٦١.

(٢) تقريب التهذيب ص ١٠٥٨.

(٣) حلية الأولياء ٤/ ٦٩.

عبدالملك ... فساقه.

(وقال بعضهم: رأيت كتابًا من محمد بن يوسف إلىٰ عبد الرحمن بن يوسف) صورته: (سلام عليك، فإني أحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني أحذِّرك متحوَّلَك من دار مهلتك) وهي الدنيا (إلىٰ دار إقامتك وجزاء أعمالك) وهي دار الآخرة (فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها، فيأتيك منكَر ونكير فيقعدانك) ويسألانك (وينتهرانك، فإن يكن الله معك) بأن هداك للجواب (فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة، وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإيَّاك من سوء مصرعٍ وضِيق مضجعٍ) أي في لحدك (ثم تبلغك صيحةُ الحشر من القبور ونفخُ الصور وقيام الجبَّار) جلَّ جلالُه (لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكَّانها) يومَ يقول: لمَن المُلك اليوم؟ (فباحت الأسرارُ) أي ظهر ما كان مخفيًّا منها (وأُسعرت النار، ووُضعت الموازين، وجِيءَ بالنبيين والشهداء، وقُضي بينهم بالحق، وقيل: الحمد لله رب العالمين، فكم من مفتضَح ومستور، وكم من هالك وناجٍ، وكم من معذَّب ومرحوم، فياليت شِعري ما حالي وحالك يومئذٍ، ففي هذا ما هدم اللذَّات، وأسلَىٰ عن الشهوات، وقصَّر عن الأمل، وأيقظ النائمين، وحذَّر الغافلين. أعاننا الله وإيَّاكم علىٰ هذا الخطر العظيم، وأوقع الدنيا والآخرةَ من قلبي وقلبك موقعَها من قلوب المتَّقين، فإنما نحن به وله. والسلام) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[1]. ومحمد بن يوسف المذكور يحتمل أن يكون هو الفِرْيابي أو الزَّبيدي[2] الراوي عن أبي قُرَّة، وعبد الرحمن بن يوسف يحتمل أن يكون أخاه أو رجلاً آخر، فليحرَّر.

(وخطب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ (فحمد الله وأثنىٰ عليه، وقال:

---

(١) قصر الأمل ص٦٣.

(٢) بل هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن معدان الأصبهاني الزاهد، وعبد الرحمن بن يوسف هو أخوه، كما وقع التصريح بذلك عند أبي نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٣٦.

أيها الناس، إنكم لم تُخلَقوا عبثًا، ولن تُترَكوا سُدًى، وإنَّ لكم معادًا يجمعكم الله فيه للحكمِ والفصل فيما بينكم، فخابَ وشقيَ غدًا عبدٌ أخرجه الله من رحمته التي وسعتْ كلَّ شيء وجنتِه التي عرضُها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غدًا لمَن خاف واتَّقى وباع قليلاً بكثير وفانيًا بباقٍ وشقوة بسعادة، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلف بعدكم الباقون، ألا ترون أنكم في كل يوم تشيِّعون غاديًا ورائحًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ قد قضى نحبَه وانقطع أملُه، فتضعونه في بطن صدعٍ من الأرض غير موسَّد ولا ممهَّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحبابَ، وواجه الحسابَ، وايم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي، ولكنها سنن من الله عادلة أمر فيها بطاعته، ونهى فيها عن معصيته، وأستغفرُ الله. ووضع كمَّه على وجهه وجعل يبكي حتى بلَّت دموعُه لحيتَه، وما عاد إلى مجلسه حتى مات) قال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا سعدان بن نصر المُخرَّمي، حدثنا عبد الله بن بكر بن حبيب، حدثني رجل أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخُناصرة فقال: أيها الناس، إنكم لم تُخلَقوا عبثًا، ولن تُترَكوا سُدًى، وإنَّ لكم معادًا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، وقد خاب وخسر مَن خرج من رحمة الله التي وسعتْ كلَّ شيء وحُرِم الجنة التي عرضُها السموات والأرض. واعلموا أن الأمان غدًا لمَن حذرَ اللهَ وخافه وباع نافدًا بباقٍ وقليلاً بكثير وخوفًا بأمان، أوَ لا تدرون أنكم في أسلاب الهالكين؟ وسيخلفها بعدكم الباقون كذلكم حتى تُرَدُّوا إلى خير الوارثين.

وقال[2] أيضًا: حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن ابن أبان، حدثنا أبو بكر ابن عبيد، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا عبد الله بن الفضل التميمي قال: آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أنْ صعد المنبر، فحمد الله

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢) السابق ٥/ ٢٦٦.

وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعد، فإنَّ ما في أيديكم أسلاب الهالكين، وسيتركها الباقون كما تركها الماضون، ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيِّعون غاديًا أو رائحًا إلىٰ الله تعالىٰ، وتضعونه في صدع من الأرض، ثم في بطن الصدع، غير ممهَّد ولا موسَّد، قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب، وأُسكِن التراب، وواجه الحسابَ، فقير إلىٰ ما قدَّم أمامه، غنيٌّ عمَّا ترك بعده. أما واللهِ إني لأقول لكم هذا وما أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي. قال: ثم قال بطرف ثوبه علىٰ عينه فبكىٰ، ثم نزل، فما خرج حتىٰ أُخرِجَ إلىٰ حفرته.

وقال(١) أيضًا: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا أبو زُرعة، حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر المصري، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: خطب عمر بن عبد العزيز هذه الخطبةَ، وكانت آخر خطبة خطبها، حمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: إنكم لم تُخلَقوا عبثًا، وإنكم لن تُتركوا سُدًىٰ، وإنَّ لكم معادًا ينزل الله فيه فيحكم فيكم وبفصل بينكم، وخاب وخسر مَن خرج من رحمة الله وحُرِم جنة عرضُها السموات والأرض. ألم تعلموا أنه لا يأمن غدًا إلا مَن حذرَ اللهَ اليوم وخافه وباع نافدًا بباقٍ وقليلاً بكثير وخوفًا بأمان؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وستصير بعدكم للباقين، وكذلك حتىٰ تُرَدُّون إلىٰ خير الوارثين؟ ثم إنكم تشيِّعون كل يوم غاديًا ورائحًا قد قضىٰ نَحْبَه وانقضىٰ أجلُه حتىٰ تغيِّبوه في صدع من الأرض في شِقِّ صدعٍ ثم تتركوه غير ممهَّد ولا موسَّد، قد فارق الأحبابَ، وباشر الترابَ، ووُجِّهَ للحساب، مرتهَن بما عملَ، غنيٌّ عمَّا ترك، فقير إلىٰ ما قدَّم. فاتقوا الله وموافاته وحلول الموت بكم. أما واللهِ إني لأقول هذا وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي، وأستغفر الله، وما منكم من أحد يبلغنا حاجته لا يسع له ما عندنا إلا تمنَّيت أن يبدأ بي وبخاصَّتي حتىٰ يكون عيشه وعيشنا واحدًا، أما واللهِ لو أردتُ غيرَ هذا من غَضارة العيش لكان اللسان به ذلولاً، وكنت

---

(١) السابق ٥/ ٢٩٥.

بأسبابه عالمًا، ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنَّة عادلة دلَّ فيها علىٰ طاعته ونهىٰ فيها عن معصيته. ثم رفع طرف رِدائه فبكىٰ وأبكىٰ مَن حوله.

ورواه محمود بن محمد في كتاب المتفجِّعين[1] فقال: حدثنا عبد الله بن الهيثم ابن عثمان، حدثنا أبو وهب عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي، حدثنا بشر أبو نصر قال: خطبنا عمرُ بن عبد العزيز بخُناصرة فقال: يا أيها الناس، إنكم لم تُخلَقوا عبثًا ... فساقه بمثله.

وقال أبو نعيم أيضًا[2]: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن هانئ، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ بعض الأجناد: أما بعد، فإني أوصيك بتقوىٰ الله ولزوم طاعته، فإنَّ بتقوىٰ الله نجا أولياءُ الله من سخطه، وبها تحقُّ لهم ولايتُه، وبها رافقوا أنبياءهم، وبها نضرت وجوهُهم، وبها نظروا إلىٰ خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن، والمَخرج من كرب يوم القيامة، ولن يُقبَل ممَّن بقي إلا بمثل ما رضي به ممَّن مضىٰ، ولمَن بقي عبرة فيما مضىٰ، وسنَّة الله فيهم واحدة، فبادِرْ بنفسك قبل أن يؤخذ بكظمك ويُخلَص إليك كما خَلُصَ إلىٰ مَن كان قبلك، فقد رأيتَ الناس كيف يموتون وكيف يتفرَّقون، ورأيت الموت كيف يعجل التائبَ توبته، وذا الأمل أمله، وذا السلطان سلطانه، وكفىٰ بالموت موعظة بالغة وشاغلاً عن الدنيا ومرغِّبًا في الآخرة، فنعوذ بالله من شر الموت وما بعده، ونسأل الله خيره وخير ما بعده ... ثم ساقه بطوله، وفيه: [كل شيء من ذلك] كأنْ لم يكن، كل يوم تشيِّعون غاديًا أو رائحًا إلىٰ الله قد قضىٰ نحبه، وانقضىٰ أجله، وتغيِّبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير متوسَّد ولا متمهَّد، فارق الأحبَّةَ، وخلع الأسلاب، وسكن التراب، وواجه الحسابَ، مرتهنًا بعمله، فقيرًا إلىٰ ما قدَّم، غنيًّا عمَّا ترك، فاتقوا الله

---

(١) ومن طريقه رواه ابن الشجري في الأمالي الخميسية ٢/ ٤.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٨.

قبل نزول الموت وانقضاء موافاته، وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، وأستغفر الله وأتوب إليه.

(وقال **القَعْقاع**[١] **بن حكيم**) الكِناني المدني، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات[٢]، روىٰ له الجماعة إلا البخاري (**قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة، فلو أتاني ما أحببت تأخيرَ شيء عن شيء**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٣].

(**وقال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالىٰ: (**رأيت شيخًا في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي، ولو أتاني ما أمرته بشيء، ولا نهيته عن شيء، ولا لي علىٰ أحد شيء، ولا لأحد عندي شيء**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٤].

(**وقال عبد الله بن ثعلبة**) الحنفي رحمه الله تعالىٰ، من رجال الحلية، حكىٰ عنه حامد بن عمر البكراوي وغيرُه (**تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القَصَّار**) رواه أبو نعيم في الحلية[٥] فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عبيد، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثنا علي بن محمد، حدثنا يوسف بن أبي عبد الله قال: سمعت عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول ... فذكره.

(**وقال أبو محمد**) صدقة (**الزاهد**) رحمه الله تعالىٰ: (**خرجنا في جنازة بالكوفة، وخرج فيها داود**) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالىٰ (**فانتبذ فقعد ناحيةً وهي تُدفَن، فجئت فقعدت قريبًا منه، فتكلم فقال: مَن خاف الوعيد قصرَ عليه البعيدُ، ومَن طال أملُه ضعُفَ عملُه، وكل ما هو آتٍ قريبٌ، واعلمْ يا أخي أن كل**

---

(١) تهذيب الكمال ٢٣/ ٦٢٣ - ٦٢٤.

(٢) الثقات ٥/ ٣٢٣.

(٣) قصر الأمل ص ٧١.

(٤) السابق ص ٧١.

(٥) حلية الأولياء ٦/ ٢٤٦.

شيء يشغلك عن ربّك فهو عليك مشئوم، واعلمْ أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، وإنما يندمون علىٰ ما يخلِّفون، ويفرحون بما يقدِّمون، فما ندم عليه أهلُ القبور أهلُ الدنيا عليه يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاة يختصمون) رواه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق. ح. وحدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن، حدثنا الحسين بن إسماعيل، قالا: حدثنا محمد بن يحيىٰ الأزدي، حدثنا بشر بن مصلح، حدثنا أبو محمد صدقة الزاهد قال: خرجنا مع داود الطائي في جنازة بالكوفة. قال: فقعد داود ناحيةً وهي تُدفَن، فجاء الناس فقعدوا قريبًا منه، فتكلم فقال ... فذكره.

(ورُوي أن) أبا محفوظ (معروف) بن فيروز (**الكَرْخي رحمه الله تعالىٰ أقام الصلاة. قال محمد بن أبي توبة: فقال لي: تقدَّمْ**) فصلِّ بنا. وذلك لأن معروفًا كان لا يؤمُّ، إنما يؤذِّن ويقيم ويقدِّم غيرَه. قال: (**فقلت: إني إن صلَّيت بكم هذه الصلاة لم أصلِّ بكم**) صلاة أخرىٰ (**غيرها. فقال معروف: وأنت تحدِّث نفسك أن تصلي صلاة أخرىٰ؟! نعوذ بالله من طول الأمل، فإنه يمنع من خير العمل**) رواه ابن الجوزي في طبقات النساك[2] فقال: أخبرنا يحيىٰ بن علي المدير، أخبرنا يوسف ابن محمد المهرواني، أنبأنا محمد بن أحمد بن رزقويه، حدثنا عثمان بن أحمد الدَّقَّاق، حدثنا جعفر بن محمد بن العباس البَزَّاز، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثني السري بن يوسف الأنصاري قال: أقام معروف الصلاة ... فذكره.

وروىٰ أيضا[3] بسنده إلىٰ محمد بن منصور الطوسي قال: كنا عند معروف الكرخي، وجاءت امرأة سائلة، فقالت: أعطوني شيئًا أفطر عليه، فإني صائمة. فدعاها معروف فقال لها: يا أختي، سر الله أفشيتيه وتأملين أن تعيشي إلىٰ الليل.

---

(١) السابق ٧/ ٣٥٧.

(٢) ورواه أيضا في مناقب معروف الكرخي ص ١٠١ - ١٠٢ (ط - دار الكتاب العربي).

(٣) مناقب معروف الكرخي ص ١٠٣. والقصتان في صفة الصفوة ص ٤٢٣.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ (في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قراركم، دار كتب الله عليها الفناء، وكتب علىٰ أهلها الظعن عنها، فكم من عامر موثق عمَّا قليل يخرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسِنوا رحمكم الله منها الرحلةَ بأحسن ما بحضرتكم من النقلة، وتزوَّدوا فإن خير الزاد التقوىٰ. إنما الدنيا كفيء ظلال قلصَ فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قرير العين إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودنياه، وصيَّر لقوم آخرين مصانعه ومَغناه. إن الدنيا لا تسرُّ بقدْر ما تضرُّ، إنها تسُرُّ قليلاً وتُحزِن طويلاً) رواه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا أبي ومحمد بن أحمد قالا: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا أبو بكر ابن سفيان، حدثنا يعقوب بن إسماعيل، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا عمر بن محمد المكي قال: خطب عمر بن عبد العزيز فقال: إن الدنيا ليست بدار قراركم ... فساقه، وفي آخره: وتجرُّ حزنًا طويلاً.

وأبو بكر ابن سفيان في سياق السند هو ابن أبي الدنيا، هكذا رواه في كتاب القبور[2] له.

(وعن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته: أين الوُضَآء الحسنة وجوههم، المعجَبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصَّنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور. الوحا الوحا، ثم النجا النجا) رواه أحمد في الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية[3]، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثني يحيىٰ بن أبي كثير أن أبا بكر كان يقول في خطبته: أين الوُضآء ... فذكره.

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٢.

(٢) بل في كتاب ذم الدنيا ص ١١٥.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٤.

وأخرجه أبو نعيم[١] أيضًا في ترجمة بنان الحمَّال المصري فقال: حدثنا محمد ابن عبيد الله بن المرزُبان، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا بنان الصوفي، حدثنا عبيد الله بن عمر الجُشَمي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير قال: خطب أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [فقال]: أين الوُضاء ... فذكره.

وروىٰ أبو نعيم[٢] أيضًا من طريق عبد الله بن عكيم قال: خطبنا أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: أما بعد ... فساقه، وفيه: ثم اعلموا عبادَ الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيِّبَ عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجالُ وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابِقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالُكم فيردُّكم إلىٰ أسوأ أعمالكم، فإن أقوامًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوحا، النجا النجا، إن وراءكم طالبًا حثيثًا أمره سريع.

وروىٰ الطبراني[٣] من طريق عمرو بن دينار قال: خطبنا أبو بكر ... فذكر نحو حديث عبد الله بن عكيم، وزاد: ثم تفكَّروا عباد الله فيمَن كان قبلكم أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الملوك؟ وأين الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها؟ قد نُسوا ونُسي ذِكرهم، فهم اليوم كلا شيء، فتلك بيوتهم خاوية [بما ظلموا] وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم رِكزًا؟ وأين مَن تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟ فقد وردوا علىٰ ما قدَّموا، فحلوا الشقوة والسعادة. إن الله تعالىٰ ليس بينه وبين أحد من خلقه نسبٌ يعطيه به خيرًا ولا يصرف عنه سوءًا إلا بطاعته واتِّباع أمره، وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشرٍّ بعده الجنة. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) السابق ١٠/ ٣٢٥.

(٢) السابق ١/ ٣٥.

(٣) ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٥. وكذا الأثر الذي بعده.

وروىٰ أيضًا من طريق نعيم بن نمحة قال: كان في خطبة أبي بكر: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون في أجل معلوم ... فذكر نحو حديث عبد الله بن عكيم.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[١] من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال: لما حضر أبا بكر الصدِّيق الموتُ دعا عمرَ فقال له: اتقِ الله يا عمر ... فساقه، وفيه: فإن أنت حفظت وصيَّتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإن أنت ضيَّعت وصيَّتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت، ولستَ بمعجزه.

فصل: ومن[٢] كلام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد تلاوته ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾: يا له مَرامًا ما أبعده! وزَوْرًا ما أغفله! وخطرًا ما أفظعه! لقد استخلوا منهم أيَّ مدَّكِر، وتناوشوهم من مكان بعيد، أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أم بعديد الهلكىٰ يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجسادًا خَوَتْ وحركات سكنت، ولأن يكونوا عِبَرًا أحقُّ من أن يكونوا مفتخَرًا، ولأن يهبطوا بهم جَناب ذلة أحجَىٰ من أن يقوموا بهم مقامَ عزة، لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة، وضربوا منهم في غَمْرة جهالةٍ، ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدار الخاوية والربوع الخالية لقالت: ذهبوا في الأرض ضُلاَّلاً، وذهبتم في أعقابهم جُهَّالاً، تطؤون في هامهم، وتستثبتون في أجسادهم[٣]، وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خرَّبوا، وإنما الأيام بينهم وبينكم بواكٍ ونوائح عليكم، أولئكم سلفُ غايتِكم وفُرَّاط مناهلكم، الذين كانت لهم مَقاوِم العز وحَلَبات الفخر ملوكًا وسُوَقًا، سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سُلِّطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادًا لا ينمون، وضِمارًا لا يوجَدون، لا يفزعهم ورودُ الأهوال، ولا يحزنهم تنكُّرُ الأحوال، ولا يحفِلون بالرواجف، ولا يأذنون للقواصف، غُيَّبًا

(١) السابق ١/ ٣٦ - ٣٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ١١/ ٩٥ - ٩٩.

(٣) وفي لفظ ذكره ابن أبي الحديد: تستنبتون.

لا يُنتظَرون، وشهودًا لا يحضُرون، وإنما كانوا جميعًا فتشتَّتوا، وألاَّفًا فافترقوا، وما عن طول عهدهم ولا عن بُعدِ محلِّهم عميتْ أخبارُهم وصُمَّت ديارُهم، ولكنهم سُقوا كأسًا بدَّلتهم بالنطق خَرَسًا، وبالسمع صَمَمًا، وبالحركات سكونًا، فكأنَّهم في ارتجال الصفة صرعَىٰ سُباتٍ، جيرانٌ لا يتآنسون، وأحبَّاء لا يتزاورون، بليتْ بينهم عُرَىٰ التعارف، وانقطعت منهم أسباب الإخاء والتعاطف، فكلهم وحيدٌ وهم جميعٌ، وبجانب الهجر وهم أخِلاَّء، لا يتعارفون لليلٍ صباحًا، ولا لنهار مساءً، أيُّ الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدًا، شاهدوا من أخطار دارهم أفظع مما خافوا، ورأوا من آياتها أعظم مما قدَّروا، فكِلا الغايتين مُدَّت لهم إلىٰ مَباءة فاتت مبالغَ الخوف والرجاء، فلو كانوا ينطقون بها لعيُّوا بصفةِ ما شاهدوا وما عاينوا، ولئن عميتْ آثارُهم وانقطعت أخبارهم لقد رجعت فيهم أبصار العِبَر، وسمعت عنهم آذانُ العقول، وتكلَّموا من غير جهات النطق فقالوا: كلحت الوجوهُ النواضر، وخَوَت الأجسادُ النواعم، ولبسنا أهدام البِلَىٰ، وتكاءدنا ضِيقَ المضجع، وتوارثنا الوحشة، وتهدَّمت علينا الربوع الصموتُ، فانمحت محاسن أجسادنا، وتنكَّرت معارفُ صورنا، وطالت في مساكن الوحشة إقامتُنا، ولم نجد من كربٍ فرجًا، ولا من ضِيق متسَعًا، فلو مثَّلتَهم بعقلك أو كُشِف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت أسماعُهم بالهَوامِّ فاستكَّت، واكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت، وتقطَّعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها، وعاثَ في كل جارحة منهم جديدُ بِلًىٰ سمَّجَها وسهَّلَ طرقَ الآفةِ إليها مستسلمات فلا أيدٍ تدفع ولا قلوب تجزع لرأيتَ أشجانَ قلوبٍ وأقذاءَ عيونٍ، لهم من كل فظاعةٍ صفةُ حالٍ لا تنتقل، وغمرةٌ لا تنجلي، وكم أكلت الأرض من عزيزِ جسدٍ وأنيقِ لونٍ كان في الدنيا غَذِيَّ تَرَفٍ وربيب شرف، يتعلَّل بالسرور في ساعة حزنه، ويفزع إلىٰ السلوة إنْ مصيبةٌ نزلت به ضَنًّا بغَضارة عيشه وشَحاحةً بلهوه ولعبه، فبينما هو يضحك إلىٰ الدنيا وتضحك إليه في ظل عيش غَفُول إذ وطئَ

الدهرُ به حَسَكَه، ونقضت الأيام قُواه، ونظرت إليه الحتوف من كَثَب، فخالطه بثٌّ لا يعرفه ونَجِيٌّ همٍّ ما كان يجده، وتولَّدت فيه فتراتُ عللٍ آنَسَ ما كان بصحته، ففزع إلىٰ ما كان عوَّده الأطباءُ [من تسكين الحار بالقارِّ وتحريك البارد بالحار] فلم يطفئ ببارد إلا ثوَّرَ حرارةً، ولا حرَّك بحارٍّ إلا هيَّجَ برودةً، ولا اعتدل بمُمازِج لتلك الطبائع إلا أمَدَّ منها كلَّ ذات داء حتىٰ فترَ معلِّلُه، وذهلَ ممرِّضُه، وتَعايا أهلُه بصفة دائه، وخرسوا عن جواب السائلين عنه، وتنازعوا دونه شجيَّ خبر يكتمونه، فقائل: هو لما به، ومُمَنٍّ لهم إيابَ عافيته، ومصبِّر لهم علىٰ فقدِه يذكِّرهم أَسَىٰ الماضين من قبله، فبينا هو كذلك علىٰ جناح من فراق الدنيا وتركِ الأحبة إذ عرض له عارض من غُصَصِه، فتحيَّرت نوافذ فطنته، ويبست رطوبة لسانه، فكم من مهمٍّ من جوابه عرفه فعيَّ عن ردِّه، ودعاءٍ مؤلم لقلبه سمعه فتَصامَّ عنه من كبير كان يعظِّمه أو صغير كان يرحمه، وإن للموت لغَمَرات هي أفظع من أن تُستغرَق بصفة أو تعتدل علىٰ عقول أهل الدنيا.

ومن(١) كلامه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فإنَّ تقوىٰ الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كل مَلَكة، ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتُنال الرغائب، فاعملوا، والعمل يُرفَع، والتوبة تنفع، والدعاء يُسمَع، والحال هادئة، والأقلام جارية، وبادِروا بالأعمال عمرًا ناكسًا أو مرضًا حابسًا أو موتًا خالسًا، فإن الموت هاذم لذَّاتكم، ومكدِّر شهواتكم، ومباعد طيَّاتكم، زائر غير محبوب، وقِرْن غير مغلوب، وواتِرٌ غير مطلوب، قد أعلقتكم حبائله، وتكنَّفتكم غوائله، وأقصدتكم مَعابِلُه، وعظُمت فيكم سطوتُه، وتتابعت عليكم عَدْوته، وقلَّت عنكم نَبْوته، فيوشك أن تغشاكم دواجي ظُلَله واحتدام علله وحَنادِس غَمَراته وغواشي سكراته وأليم إرهاقه ودُجوُّ إطباقه وخشونة مذاقه، فكأنْ قد أتاكم بغتةً فأسكتَ نجيَّكم، وفرَّق نديَّكم، وعفَىٰ آثاركم، وعطَّل دياركم، وبعث وُرَّاثكم يقتسمون تراثكم بين

---

(١) السابق ١٣/ ٥ - ٦.

حميم خاص لم ينفع وقريب محزون لم يمنع وآخَر شامت لم يجزع، فعليكم بالجِد والاجتهاد والتأهُّب والاستعداد والتزوُّد في منزل الزاد، ولا تغرَّنَّكم الدنيا كما غرَّت مَن قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا دِرَّتها، وأصابوا غِرَّتها، وأفنوا عِدَّتها، وأخلقوا جِدَّتها، أصبحت مساكنهم أجداثًا، وأموالهم ميراثًا، لا يعرفون مَن أتاهم، ولا يحفِلون مَن بكاهم، ولا يجيبون مَن دعاهم، فاحذروا الدنيا، فإنها غدَّارة خَدوع، معطية مَنوع، مُلبِسة نَزوع، لا يدوم رخاؤها، ولا ينقضي عَناؤها، ولا يركُد بلاؤها.

وقال[1] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في خطبة له: ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجلٌ، فمَن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله فقد [نفعه عملُه ولم يضرَّه أجلُه، ومَن قصَّر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد] خسر عمله وضرَّه أجلُه. ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[2] من طريق عبد الله بن عيَّاش عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز شيَّع جنازة، فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحيةً عن الجنازة، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين، جنازة أنت وليُّها تأخرتَ عنها وتركتَها. فقال: نعم، ناداني القبر من خلفي: يا عمر بن عبد العزيز، ألا تسألني ما صنعتُ بالأحبَّة؟ قلت: بلىٰ، قال: خرقتُ الأكفان، ومزَّقت الأبدان، ومصصت الدم، وأكلت اللحم. ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ قلت: بلىٰ. قال: نزعت الكفَّين من الذراعين، والذراعين من العَضُدين، والعضدين من الكتفين، والوركين من الفخذين، والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين، والساقين من القدمين. ثم بكىٰ عمر وقال: ألا إن الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيُّها فقير، وشابُّها يهرم، وحيُّها يموت، فلا يغرَّنَّكم إقبالُها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، والمغرور مَن اغترَّ

(١) السابق ٢/ ٢٨١.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٦١ - ٢٦٣.

بها. أين سكَّانها الذين بنوا مدائنها، وشقَّقوا أنهارها، وغرسوا أشجارها، أقاموا فيها أيامًا يسيرة غرَّتهم بصحَّتهم، وغُرُّوا بنشاطهم، فركبوا المعاصي، إنهم كانوا واللهِ مغبوطين في الدنيا بالأموال علىٰ كثرة المنع عليه، محسودين علىٰ جمعه، ما صنع التراب بأبدانهم، والرمل بأجسادهم، والديدان بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا في الدنيا علىٰ أسِرَّة ممهَّدة وفُرُش منضَّدة، بين خدم يخدمون وأهل يكرمون وجيران يعضِّدون، فإذا مررتَ فنادِهم إن كنت مناديًا، وادْعُهم إن كنت لا بد داعيًا، ومُرَّ بعسكرهم، وانظر إلىٰ تقارُب منازلهم [التي كان بها عيشهم] وسَلْ غنيَّهم ما بقي من غناه، وسَلْ فقيرَهم ما بقي من فقره، وسَلْهم عن الألسنة التي كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التي كانوا إلىٰ اللذَّات بها ينظرون، وسَلْهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنعت بها الديدان؟ مَحَت الألوانَ، وأكلت اللحمان، وعفَّرت الوجوه، ومحت المحاسن، وكسرت الفَقار، وأبانت الأعضاء، ومزَّقت الأشلاء، أين حِجالهم وقِبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم وجمعُهم ومكنوزهم؟ واللهِ ما زوَّدوهم فِراشًا، ولا وضعوا هناك متَّكأ، ولا غرسوا لهم شجرًا، ولا أنزلوهم من اللحد قرارًا، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مدلهمَّة ظلماء؟ قد حِيلَ بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبَّةَ، فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية، وأجسادهم من أعناقهم نائية، وأوصالهم متمزِّقة، وقد سالت الحَدَقُ علىٰ الوَجْنات، وامتلأت الأفواه دمًا وصديدًا، ودبَّت دوابُّ الأرض في أجسادهم [ففرَّقت أعضاءهم] ثم لم يلبثوا واللهِ إلا يسيرًا حتىٰ عادت العظام رميمًا، قد فارقوا الحدائق، فصاروا بعد السعة إلىٰ المضايق، قد تزوَّجت نساؤهم، وتردَّدت في الطرق أبناؤهم، وتوزَّعت القراباتُ ديارَهم وتراثهم، فمنهم واللهِ الموسَّع له في قبره [الغَضُّ الناضر فيه] المتنعِّم بلذَّته. يا ساكن القبر غدًا ما الذي غرَّك من الدنيا؟ هل تعلم أنك تبقىٰ أو تبقىٰ لك؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطَّرد؟ وأين ثمرك الناضر ينعه؟ وأين رقاق ثيابك؟ وأين

طِيبك؟ وأين بخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ أما رأيتَه قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلاً، وهو يرشح عرقًا، ويتلمَّظ عطشًا، يتقلَّب في سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدَر والقضاء، جاء من الأمر الأجلِّ ما لا يمتنع منه، هيهات هيهات! يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفِّن الميت وحامله، يا مخلِّيه في القبر وراجعًا عنه، ليت شِعري كيف كنت على جشوبة الثرَىٰ[1]؟ يا ليت شِعري بأيِّ خدَّيك بدأ البِلَىٰ؟ يا مجاور الهلكات صِرتَ في محلة الموتىٰ، ليت شِعري ما الذي يلقاني به ملَكُ الموت عند خروجي من الدنيا؟ وما يأتيني به من رسالة ربِّي. ثم تمثَّل:

تُسَـرُّ بمـا يفنَـىٰ وتُشـغَل بالصِّبـا ... كما غُـرَّ باللـذَّات في النـوم حالـمُ
نهـارك يـا مغـرور سـهو وغفلـةٌ ... وليلـك نـوم والـرَّدَىٰ لـك لازمُ
وتعمـل فيمـا سـوف تكـره غِبَّـه ... كذلـك في الدنيـا تعيـش البهائـمُ

قال: ثم انصرف، فما بقي بعد ذلك إلا جمعة.

وروىٰ[2] عن أبي صالح الشامي قال: قال عمر بن عبد العزيز:

أنـا ميـت وعـزَّ مَـن لا يمـوت ... قـد تيقَّـنـت أننـي سـأموتُ
ليـس مُلـكٌ يزيلـه المـوتُ مُلـكًا ... إنمـا المُلـك مُلـكُ مَـن لا يمـوت

وروىٰ[3] عن مفضَّل بن يونس قال: قال عمر بن عبد العزيز: لقد نغَّص هذا الموتُ علىٰ أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا[4] وزهرتها، فبينا هم كذلك وعلىٰ ذلك أتاهم حادٍ من الموت فاخترمهم مما هم فيه، فالويل والحسرة هنالك

(١) أي غليظ الثرىٰ، وانظر: تاج العروس ٢/ ١٦.
(٢) السابق ٥/ ٢٦٤.
(٣) السابق ٥/ ٢٦٤.
(٤) أي نعمة الدنيا وسعتها وخصبها. انظر: تاج العروس ١٣/ ٢٤٠.

لمَن لم يحذر الموتَ ويذكره في الرخاء فيقدِّم لنفسه خيرًا يجده بعدما فارق الدنيا وأهلَها. قال: ثم بكىٰ عمر حتىٰ غلبه البكاء فقام.

وروىٰ(١) عن جعونة قال: قال عمر بن عبد العزيز: يا أيها الناس، إنما أنتم أغراض تنتضل فيها المنايا، إنكم لا تؤتَون نعمة إلا بفراق أخرىٰ، وأيّة أكلة ليست معها غصَّة؟ وأيّة جرعة ليست معها شرقة؟ وإن أمس شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه وخلَّف في أيديكم حكمته، وإن اليوم حبيب مودِّع وهو وشيك الظعن، وإنَّ غدًا آت بما فيه، وأين يهرب مَن يتقلَّب في يد طالبه؟ إنه لا أقوىٰ من طالب، ولا أضعف من مطلوب، إنما أنتم سفرٌ ستحلُّون عقد رِحالكم في غير هذه الدار، إنما أنتم فروع أصول قد مضت، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله؟

وروىٰ(٢) عن أبي الحسن المدائني قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عمر بن عبيد الله بن [عبد الله بن] عتبة يعزِّيه علىٰ ابنه: أما بعد، فإنَّا قوم من أهل الآخرة أُسكِنَّا الدنيا، أموات أبناء أموات، والعجب لميت يكتب إلىٰ ميت يعزِّيه عن ميت. والسلام.

وروىٰ(٣) عن عون بن معمر قال: كتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فكأنَّك بآخِر مَن كُتِب عليه الموت قيل قد مات. فأجابه عمر: أما بعد، فكأنَّك بالدنيا ولم تكن، وكأنَّك بالآخرة ولم تزل.

هذا وأمثال ذلك كثير في تراجم السلف، ومَن طالع كتاب الحلية ظفر منها بالكثير.

---

(١) السابق ٥/ ٢٦٥.

(٢) السابق ٥/ ٢٦٦.

(٣) السابق ٥/ ٣٠٥.

الفصل الثاني: بيان السبب في طول الأمل وعلاجه

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن طول الأمل له سببان، أحدهما: الجهل، والآخَر: حب الدنيا. أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنسَ بها وبشهواتها ولذَّاتها وعلائقها ثقل علىٰ قلبه مفارقتُها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل مَن كره شيئًا دفعه عن نفسه) لا محالة (والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة، فيمنِّي نفسَه أبدًا بما يوافق مرادَه، وإنما يوافق مرادَه البقاءُ في الدنيا، فلا يزال يتوهَّمه ويقدِّره مرادًا في نفسه، ويقدِّر توابعَ البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب) وملابس وضِياع (وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفًا علىٰ هذا الفكر، موقوفًا عليه) وحبسًا لديه (فيلهو عن ذِكر الموت، ولا يقدِّر قربه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمرُ الموت والحاجة إلىٰ الاستعداد له سوَّفَ ووعد نفسه وقال: الأيام بين يديك إلىٰ أن تكبر ثم تتوب. وإذا كبر فيقول: إلىٰ أن تصير شيخًا) فتتوب (فإذا صار شيخًا قال: إلىٰ أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة، أو ترجع من هذه السفرة، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له) وما يحتاج إليه في معيشته (أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك) فتتوب (فلا يزال يسوِّف ويؤخِّر، ولا يخوض في شغل إلا ويتعلَّق بإتمام ذلك الشغل عشرةُ أشغال أُخَر .. وهكذا علىٰ التدريج يؤخِّر يومًا بعد يوم، ويفضي به شغلٌ إلىٰ شغل، بل إلىٰ أشغال، إلىٰ أن تخطفه المنيَّةُ في وقت لا يحتسبه) ولم يكن في باله (فتطول عند ذلك حسرتُه، وأكثر أهل النار صياحهم من «سوف»، يقولون: واحزناه من «سوف») وقد ورد ذلك في بعض الأخبار بنحوه، وتقدَّم للمصنف[1]، وقال العراقي هناك: لم أجد له أصلاً (والمسوِّف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلىٰ التسويف اليوم هو

(١) في كتاب التوبة.

معه غدًا، وإنما يزداد بطول المدة قوة ورسوخًا، ويظن أنه يتصوَّر أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها) والمنهمك في تحصيلها (فراغ قط، وهيهات! فما يفرغ منها إلا مَن اطَّرحها) وراجع نفسه عنها (فما قضىٰ أحد منها لُبانتَه، وما انتهىٰ أربٌ إلا إلىٰ أرب[1]).

(وأصل هذه الأماني كلِّها حبُّ الدنيا والأنس بها) ولذا ورد: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، وفي مفهومه أن بغضها رأس كل حسنة (والغفلة عن معنىٰ قوله ﷺ): إن روح القدس نفث في رُوعي: (أحبِبْ مَن أحببتَ[2] فإنك مفارقه) وعشْ ما شئت فإنك ميت، واعملْ ما شئت فإنك مجزيٌّ به. وقد تقدَّم غير مرة (وأما الجهل فهو أن الإنسان قد يعوِّل علىٰ شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وليس يتفكَّر المسكين أن مشايخ بلده لو عُدُّوا لكانوا أقل من عُشر رجال البلد، وإنما قلُّوا لأن الموت في الشباب أكثر، فإلىٰ أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب. وقد يستبعد الموت لصحته، ويستبعد الموت فجأةً، ولا يدري أن ذلك غير بعيد، وإن كان ذلك بعيدًا فالمرض فجأةً غير بعيد، وكل مرض فإنما يقع فجأةً، وإذا مرضَ لم يكن الموت بعيدًا، ولو تفكَّر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب ومشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظُمَ استشعارُه واشتغل بالاستعداد له، ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دَعَواه) أي طلباه (إلىٰ طول الأمل وإلىٰ الغفلة عن تقدير الموت القريب، فهو أبدًا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدِّر نزوله به ووقوعه فيه، وهو أبدًا يظن أنه يشيِّع الجنائز ولا يقدِّر أن تشيَّع جنازته؛ لأن هذا قد تكرَّر عليه وألفَه وهو مشاهدة موت غيره، فأما موت نفسه فلم يألفه، ولا يُتصوَّر أن يألفه، فإنه لم يقع، وإذا وقع لم يقع دفعة أخرىٰ بعد هذه، فهو الأول، وهو الآخر).

---

(١) بيت من شعر أبي الطيب المتنبي، وانظر ديوانه بشرح العكبري ١/ ٩٥ (ط دار المعرفة).

(٢) في أ، وط المنهاج (٩/ ٣٤٢): أحبب ما أحببت.

(وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لا بد وأن تُحمَل جنازته ويُدفَن في قبره، ولعل اللبِن الذي يغطَّىٰ به لحده قد ضُرب وفُرغ منه) والثوب الذي يكفَّن فيه قد نُسج وخرج من عند القَصَّار (وهو لا يدري، فتسويفه جهل محض. وإذا عرفتَ أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفعُ سببه، أما الجهل فيُدفَع بالفكر الصافي من القلب الحاضر، وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة، وأما حب الدنيا فالعلاج في إخراجه من القلب شديد، وهو الداء العُضال) الصعب (الذي أعيا الأوَّلين والآخِرين علاجُه) لشدة تعلُّقه بالقلب (ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب، ومهما حصل له اليقينُ بذلك ارتحل من قلبه حبُّ الدنيا) إذ الدنيا والآخرة بمنزلة ضَرَّتين إن أرضيتَ إحداهما أسخطتَ الأخرىٰ (فإن حب الخطير[1] هو الذي يمحو من القلب حب الحقير، فإذا رأىٰ حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلىٰ الدنيا كلها وإن أُعطي ملك الأرض من المشرق إلىٰ المغرب، وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدْر يسيرٌ) ومع ذلك فإنه (مكدَّر منغَّص) متعَب (فكيف يفرح بها أو يترسَّخ في القلب حبُّها مع الإيمان بالآخرة) إيمانًا يقينيًّا (فنسأل الله تعالىٰ أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده) كما ورد ذلك في الخبر، وتقدَّم ذِكره في كتاب ذم الدنيا (ولا علاج في تقدير الموت في القلب) إلا أن يفرِّغ قلبه عن كل فكر سواه، ويجلس في خلوة ويباشر ذِكرُ الموت صميمَ قلبه، ولا أنفع في ذلك (مثل النظر إلىٰ مَن مات من) النُّظَراء و(الأقران والأشكال) والأتراب واحدًا واحدًا (وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا) ويتذكَّر حرصهم وأملهم وركونهم إلىٰ الدنيا والجاه والمال، ثم يتذكَّر مصارعهم وتحسُّرهم علىٰ فوات العمر وتضييعه (أما مَن كان مستعدًّا) لمجيئه (فقد فاز فوزًا عظيمًا، وأما مَن كان مغرورًا بطول الأمل فقد خسر خسرانًا مبينًا. ولينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه) نظر عبرة (وليتدبَّر أنها كيف

---

(١) أي الشريف العظيم القدر. انظر: تاج العروس ١١/ ١٩٧.

تأكلها الديدان لا محالة، وكيف تتفتَّت عظامها) حتىٰ تصير نخرة (وليتفكَّر أن الدود يبدأ بحدقته اليمنىٰ أولاً أو اليسرىٰ) بعد أن تسيل علىٰ خدِّه (فما علىٰ بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود، وما له من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالىٰ، وكذلك يتفكَّر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكَر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرعِ النداء يوم العرض الأكبر. فأمثال هذه الأفكار هي التي تجدِّد ذِكر الموت علىٰ قلبه وتدعوه إلىٰ الاستعداد له) وفيما ذكرناه من خُطَب أمير المؤمنين ومن خُطَب عمر بن عبد العزيز مَقنع للمتفكِّر. والله الموفِّق.

الفصل الثالث: بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره

(اعلمْ) أرشدك الله تعالىٰ (أن الناس في ذلك متفاوتون، فمنهم مَن يأمل البقاءَ ويشتهي ذلك أبدًا، قال الله تعالىٰ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦].

ومنهم مَن يأمل البقاءَ إلىٰ الهرم) وهو سن سقوط القوة (وهو أقصىٰ العمر الذي شاهده ورآه، وهو الذي يحب الدنيا حبًّا شديدًا، قال رسول الله ﷺ: الشيخ شابٌ في حب طلبِ الدنيا وإن التقت ترقوتاه من الكِبَر، إلا الذين اتَّقوا وقليلٌ ما هم) قال العراقي[1]: لم أجده بهذا اللفظ، وفي الصحيحين[2] من حديث أبي هريرة: «قلب الشيخ شابٌ علىٰ حب اثنتين: طول الحياة، وحب المال».

قلت: بل رواه ابن المبارك في الزهد[3] عن أبي الدرداء موقوفًا بلفظ: نفس ابن آدم شابَّة ولو التقت ترقوتاه من الكبر، إلا مَن امتحنَ الله قلبَه للتقوىٰ، وقليل ما هم. ورواه الحكيم الترمذي[4] عن مكحول مرسلاً. وأما حديث أبي هريرة فلفظه عند مسلم وابن ماجه[5]: «قلب الشيخ شاب علىٰ حب اثنتين: حب العيش والمال». وعند ابن عساكر[6] بلفظ: «في حب اثنتين: طول الأمل وحب المال».

---

(١) المغني ٢/ ١٢٠٦.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٧٦. صحيح مسلم ١/ ٤٦٢.

(٣) الزهد والرقائق ص ١١١. ولفظه: «لا تزال نفس أحدكم شابة في حب الشيء ولو التقت ترقوتاه من الكبر، إلا الذين امتحن الله قلوبهم للآخرة، وقليل ما هم».

(٤) نوادر الأصول ص ٢٣٣.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٣٠، وفيه: الحياة، بدل: العيش.

(٦) تاريخ دمشق ٥٢/ ٤٠٦.

ورواه أحمد[١] والترمذي[٢] - وقال: حسن صحيح - والحاكم بلفظ: «علىٰ حب اثنتين: طول الحياة، وكثرة المال». وقال الحاكم: علىٰ شرطهما. وأقرَّه الذهبيُّ. ورواه كذلك ابن عدي[٣] وابن عساكر[٤] من حديث أنس. وأما البخاري فلفظه: «لا يزال قلب الكبير شابًّا في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل».

(ومنهم مَن يأمل إلىٰ سنة، فلا يشتغل بتدبير ما وراءها، فلا يقدِّر لنفسه وجودًا في عام قابل، ولكن هذا يستعدُّ في الصيف للشتاء، وفي الشتاء للصيف، وإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة.

ومنهم مَن يأمل مدة الصيف أو) مدة **(الشتاء، فلا يدَّخر في الصيف ثيابَ الشتاء، ولا في الشتاء ثيابَ الصيف.**

ومنهم مَن يرجع أملُه إلىٰ يوم وليلة، فلا يستعدُّ إلا لنهاره، وأما للغد فلا. قال عيسىٰ عليه السلام: لا تهتمُّوا برزق غد، فإن يكن غدٌ من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم، وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتمُّوا لآجال غيركم) رواه أحمد في الزهد[٥] عن سفيان نحوه.

(ومنهم مَن لا يجاوز أملُه ساعةً، كما قال نبيُّنا ﷺ: يا عبد الله) بن عمر **(إذا أصبحت فلا تحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدِّث نفسك بالصباح)**

---

(١) مسند أحمد ١٣/ ٥٢٦، ١٤/ ١٤٥، ١٦٩، ١٧٩، ٣٢٢، ٥٠١، ٥٠٨، ١٥/ ٦٣، ٤٤٨، ٤٨٣، ١٦/ ٣٠٦.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٦٢.

(٣) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٢١١.

(٤) تاريخ دمشق ٥٣/ ١١٨. وحديث أنس رواه البخاري في صحيحه ٤/ ١٧٧، ومسلم في صحيحه ١/ ٤٦٢ - ٤٦٣. فلفظ البخاري: «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حب المال وطول العمر». ولفظ مسلم: «يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان: الحرص علىٰ المال، والحرص علىٰ العمر».

(٥) الزهد ص ٢٦٤ مختصرا بلفظ: «اهتمامك برزق غد خطيئة».

تقدَّم قريبًا.

(ومنهم مَن لا يقدِّر البقاءَ أيضًا ساعةً. كان رسول الله ﷺ يتيمَّم مع القدرة علىٰ الماء قبل مضيِّ ساعة ويقول: لعلِّي لا أبلغه) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس، وتقدَّم قريبًا.

(ومنهم مَن يكون الموت نصب عينيه) لا يفارقه **(كأنَّه واقع به فهو ينتظره، وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودِّع)** روىٰ الديلمي[١] من حديث أنس: «اذكر الموتَ في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحَرِيٌّ أن تحسُن صلاتُه، وصلِّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها، وإيَّاك وكل أمر يُعتذَر منه». وروىٰ ابن ماجه[٢] من حديث أبي أيوب: «إذا قمتَ في صلاتك فصلِّ صلاة مودِّع». وعند القضاعي[٣] من حديث ابن عمر: «صلِّ صلاة مودِّع كأنَّك لا تصلي بعدها». وعند العسكري في الأمثال من حديث سعد بن أبي وقاص: «وصلِّ صلاتَك وأنت مودِّع»[٤] **(وفيه ورد ما نُقل عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمَّا سأله رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه، فقال: ما خطوتُ خطوة إلا ظننت أني لا أُتبِعُها**

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٣١.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٩٤.

(٣) مسند الشهاب ٢/ ٩٤.

(٤) حديث سعد رواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٧١. ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة ٣/ ١٢٨٥ من طريق إسماعيل بن محمد بن سعد عن جده أبي محمد سعد الأنصاري (غير منسوب). قال ابن الأثير في أسد الغابة ٢/ ٤٥٧: «هذا المتن قد أخرجه ابن منده وأبو نعيم في ترجمة سعد بن عمارة، وجعلاه هناك من بني سعد بن بكر، وجعله أبو نعيم ههنا أنصاريا، ولا شك أنه حيث رآه هناك سعديا وههنا أنصاريا، والراوي عنه ههنا غير الراوي عنه هناك، جعلهما اثنين، ولعل ابن منده ظنهما واحدا فلهذا لم يخرجه. وقال أبو موسىٰ: إسماعيل بن محمد هو إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، وهو مهاجري، وليس من الأنصار. وهو الصحيح».

أخرىٰ) قال العراقي[١]: رواه أبو نعيم في الحلية[٢] من حديث أنس، وهو ضعيف[٣].

(وكما نُقل عن الأسود، وهو حبشي) أي أسود اللون (أنه كان يصلي ليلاً ويلتفت يمينًا وشمالاً، فقال له قائل: ما هذا) الالتفات؟ (قال: أنتظر ملَك الموت من أيِّ جهة يأتيني.

فهذه مراتب الناس، ولكلٍّ درجات عند الله، وليس مَن أملُه مقصور علىٰ شهر كمَن أملُه شهر ويوم، بل بينهما تفاوتٌ في الدرجة عند الله، فإن الله لا يظلم مِثقال ذرَّة، ومَن يعمل مثقال ذرَّة خيرًا يره. ثم يظهر أثرُ قصر الأمل في المبادرة إلىٰ العمل، وكل إنسان يدَّعي أنه قصير الأمل وهو كاذب) في دَعْواه (وإنما يظهر ذلك بأعماله، فإنه يعتني بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنته، فيدل ذلك علىٰ طول أمله، وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين، لا يغفل عنه ساعةً، فليستعدَّ للموت الذي يَرِدُ عليه في الوقت، فإن عاش إلىٰ المساء شكر اللهَ تعالىٰ علىٰ طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهارَه، بل استوفَىٰ منه حظَّه وادَّخر لنفسه، ثم يستأنف مثله إلىٰ الصباح، وهكذا إذا أصبح، ولا يتيسَّر هذا إلا لمَن فرَّغ القلبَ عن الغد وما يكون فيه، فمثل هذا إذا مات سعدَ وغنمَ، وإن عاش سُرَّ لحسن الاستعداد ولذَّة

---

(١) المغني ٢/ ١٢٠٦.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٤٢، ولفظه: «عن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل دخل علىٰ رسول الله ﷺ، فقال: كيف أصبحت يا معاذ؟ قال: أصبحت مؤمنا بالله تعالىٰ. قال: إن لكل قول مصداقا، ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول؟ قال: يا نبي الله، ما أصبحت صباحا قط إلا ظننت أني لا أمسي، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أني لا أصبح، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرىٰ، وكأني أنظر إلىٰ كل أمة جاثية تدعىٰ إلىٰ كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله، وكأني أنظر إلىٰ عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة. قال: عرفت فالزم».

(٣) قال ابن شاهين: أما المتن فهو مشهور من قصة حارثة بن النعمان، وأما عن معاذ فلا أعرفه. وعلته عبد الله بن كيسان، ففيه يقول العقيلي: كان الغالب علىٰ حديثه الوهم. انظر: الخامس لابن شاهين ص ٢٢٦ (ط دار الأثير)، والضعفاء للعقيلي ٢/ ٢٩١.

المناجاة، فالموت له سعادة، والحياة له مزيد، فليكن الموت علىٰ بالك يا مسكين، فإن السير حاثٌّ بك وأنت غافل عن نفسك، ولعلك قد قاربت المنزلَ وقطعت المسافة، ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتنامًا لكل نفَس أُمهِلتَ فيه) اعلمْ[1] أن العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالىٰ مستغنٍ عن ذِكر الموت، بل حاله الفناء في التوحيد، لا التفات له إلىٰ ماضٍ ولا إلىٰ مستقبل ولا إلىٰ حال من حيث إنه حال، بل هو ابن وقته، وكذلك يفارقه الخوفُ والرجاء؛ لأنهما سوطان يسوقان العبد إلىٰ هذه الحال التي هو مُلابِسها بالذوق، وكيف يذكر الموت وإنما يُراد ذِكر الموت لقطع علاقة قلبه عمَّا يفارقه بالموت، والعارف قد مات في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت، فإنه قد ترفَّع وتنزَّه عن الالتفات إلىٰ الآخرة أيضًا فضلاً عن الدنيا، بل قد تنغَّص عليه ما سوىٰ الله تعالىٰ، ولم يبقَ له من الموت إلا كشف الغطاء ليزداد به وضوحًا لا ليزداد يقينًا، وهو معنىٰ قول علي رضي الله عنه: لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يقينًا. فإن الناظر إلىٰ غيره من وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقينًا، بل يزداد وضوحًا فقط، فإذًا ذِكرُ الموت يحتاج إليه مَن لقلبه التفات إلىٰ الدنيا؛ ليعلم أنه سيفارقها فلا يعتكف بهمَّته عليها، فتأمَّلْ ذلك.

---

(١) الأربعين في أصول الدين للغزالي ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

الفصل الرابع: بيان المبادرة إلى العمل وحذرِ آفة التأخير

(اعلمْ) بصَّرك الله تعالىٰ بنور توفيقه (أنَّ مَن له أخوانِ غائبان ينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخَر بعد شهر أو سنة فلا يستعدُّ للذي يقدُم عليه إلىٰ شهر أو سنة، وإنما يستعدُّ للذي ينتظر قدومه غدًا، فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار، فمَن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة، ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها، لا ينقص منها اليومُ الذي مضىٰ، وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدًا، فإنه أبدًا يرىٰ لنفسه متسعًا في تلك السنة فيؤخِّر العملَ، كما قال ﷺ: ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غِنىٰ مطغيًا) أي يُكسِبه الطغيانَ عن الحدود (أو فقرًا منسيًا) عن أمور الآخرة (أو مرضًا مفسدًا) لحاله (أو هرمًا مُفنِدًا) أي مورِثًا للفَنَد، محرَّكة، وهو ضعفُ الرأي والخطأ فيه (أو موتًا مُجهِزًا) أي سريعًا (أو الدجَّال فالدَّجال شر غائب يُنتظَر، أو الساعة والساعة أدهَىٰ وأمَرُّ) قال العراقي[(١)]: رواه الترمذي[(٢)] من حديث أبي هريرة [بلفظ]: «هل تنتظرون من الدنيا إلا غِنىٰ ...» الحديث، وقال: حسن. ورواه ابن المبارك في الزهد[(٣)] ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[(٤)] بلفظ المصنف، وفيه مَن لم يُسَمَّ.

قلت: وروىٰ هنَّاد بن السري في الزهد[(٥)] ومن طريقه صاحب الحلية[(٦)] قال:

---

(١) المغني ٢/ ١٢٠٦.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٤١.

(٣) الزهد والرقائق ص ٥١.

(٤) قصر الأمل ص ٨٧ – ٨٨.

(٥) الزهد ١/ ٢٩٠.

(٦) حلية الأولياء ١/ ٢٦٠.

حدثنا ابن المبارك، عن شعبة، عن سعيد بن أبي بُردة، عن أبيه، عن أبي موسىٰ قال: ما يُنتظَر من الدنيا إلا كلاً محزنًا أو فتنة تُنتظَر.

(وقال ابن عباس) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه: اغتنِمْ خمسًا قبل خمس)** أي[1] افعلْ خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء: **(شبابك قبل هرمك)** أي اغتنِم الطاعة حالَ قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتندم علىٰ ما فرَّطتَ في جنب الله **(وصحَّتك قبل سقمك)** أي اغتنِم العمل حالَ الصحة، فقد يعرض مانعٌ كمرض فتقدُم المعادَ بغير زاد **(وغناك قبل فقرك)** أي اغتنِم التصدُّق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيرًا في الدنيا والآخرة **(وفراغك قبل شغلك)** أي اغتنِمْ فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر، فاغتنِمْ فرصة الإمكان لعلَّك تَسلم من العذاب والهوان **(وحياتك قبل موتك)** أي اغتنِمْ ما تلقىٰ نفعه بعد موتك، فإنَّ مَن مات انقطع عمله وفاته أملُه وحقَّ ندمُه وتوالَىٰ همُّه، فاقترِضْ منك لك. فهذه الخمسة لا يُعرَف قدْرها إلا بعد زوالها.

قال العراقي[2]: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[3] بإسناد حسن، ورواه ابن المبارك في الزهد[4] من رواية عمرو بن ميمون الأودي مرسلاً.

قلت: ورواه أيضًا الحاكم في الرقاق[5] والبيهقي في الشعب[6] من حديث ابن عباس، وقال الحاكم: علىٰ شرطهما. وأقرَّه الذهبيُّ في التلخيص. ورواه أحمد

---

(١) فيض القدير ٢/ ١٦.
(٢) المغني ٢/ ١٢٠٦.
(٣) قصر الأمل ص ٨٩.
(٤) الزهد والرقائق ص ٥٠.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٤٧.
(٦) شعب الإيمان ١٢/ ٤٧٦.

في الزهد والنسائي في المواعظ[١] وأبو نعيم في الحلية[٢] والبيهقي[٣] عن عمرو بن ميمون مرسلاً. ولفظ الجميع: «اغتنِمْ خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك».

(**وقال ﷺ: نعمتان**) من[٤] نعم الله تعالىٰ، كما في رواية (**مغبون فيهما**) من الغَبْن بالسكون والتحريك، قال الجوهري[٥]: في البيع بالسكون، وفي الرأي بالتحريك. فيصح كلٌّ هنا؛ إذ مَن لا يستعملهما فيما ينبغي فقد غُبن ولم يُحمَد رأيه (**كثير من الناس: الصحة والفراغ**) من الشواغل الدنيوية المانعة عن أمور الآخرة، شبَّه المكلَّف بالتاجر، والصحة والفراغ برأس المال؛ لكونهما من أسباب الأرباح ومقدِّمات النجاح، فمَن عامل اللهَ بامتثال أوامره ربحَ، ومَن عامل الشيطانَ باتِّباعه ضيَّع رأس ماله. ونبَّه بـ«كثير» علىٰ أن الموفَّق لذلك قليل. رواه البخاري[٦] والترمذي[٧] وابن ماجه[٨] من حديث ابن عباس، وقد تقدَّم. ويُروَىٰ: «نعمتان الناس فيهما متغابنون: الصحة والفراغ»[٩] (**أي إنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدْرهما عند زوالهما**) وكان الحسن يقول: ابن آدم، نعمتان

---

(١) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٤٠٠.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ١٤٨.

(٣) شعب الإيمان ١٢/ ٤٧٧ - ٤٧٨.

(٤) فيض القدير ٦/ ٢٨٨. فتح الباري لابن حجر ١١/ ٢٣٤.

(٥) الصحاح ٦/ ٢١٧٢.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ١٧٥.

(٧) سنن الترمذي ٤/ ١٣٩.

(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٩٤.

(٩) ذكره السخاوي في المقاصد ص ٦٩٧ من حديث يحيىٰ بن أبي كثير عن عكرمة عن ابن عباس، ومن هذا الطريق أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٧٤) ولكن باللفظ المشهور، وقال: هذا حديث غريب من حديث يحيىٰ عن عكرمة، لم نكتبه إلا من هذا الوجه. ولعل الخلل الذي في اللفظ من مطبوعة الحلية فأنا لست مسوثقًا منها.

عظيمتان المغبون فيهما كثير: الصحة والفراغ، فمهلاً مهلاً، الثواء هنا قليل. أخرجه العسكري في الأمثال وقال: الصحة عند بعضهم الشباب. قال: والعرب تجعل مكان الصحةِ الشبابَ[١].

(وقال ﷺ: **مَن خاف أدلَج**) أي[٢] سار من أول الليل. هذا إذا كان بالتخفيف، أو معناه: سار من آخره، إذا كان بالتشديد[٣] (**ومَن أدلج بلغ المنزلَ**) والمراد التشمير في الطاعة، والمعنىٰ: مَن خاف ألزمه خوفُه السلوك إلىٰ الآخرة والمبادرة للعمل الصالح خوفَ القواطع والعوائق[٤] (**ألا إن سلعة الله غالية**) أي رفيعة القدْر (**ألا إن سلعة الله الجنة**) قال الطيبي[٥]: هذا مثلٌ ضربه لسالك الآخرة، فإن الشيطان علىٰ طريقه، والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقَّظ في سيره وأخلص في عمله أمنَ من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق [بأعوانه]. ا.هـ. وقال العلائي: أخبر أن الخوف من الله هو المقتضي للسير إليه بالعمل الصالح المشار إليه بالإدلاج، وعبَّر ببلوغ المنزل عن النجاة المترتِّبة علىٰ العمل الصالح، وأصل ذلك كله الخوف.

قال العراقي[٦]: رواه الترمذي[٧] من حديث أبي هريرة وقال: حسن[٨].

قلت: وكذلك رواه الرامهُرمزي في الأمثال[٩] والحاكم[١٠].

---

(١) نقله السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٤٤٦.
(٢) فيض القدير ٦/ ١٢٣.
(٣) انظر: النهاية لابن الأثير ٢/ ١٢٩.
(٤) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ص ١٢٢٠.
(٥) الكاشف عن حقائق السنن ١١/ ٣٣٨٤.
(٦) المغني ٢/ ١٢٠٧.
(٧) سنن الترمذي ٤/ ٢٤١.
(٨) قال: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر.
(٩) أمثال الحديث ص ١٨٦.
(١٠) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٤٩.

والبيهقي[١]، وقال الحاكم: صحيح، وأقرّه الذهبيُّ. ورواه الحاكم[٢] أيضًا وأبو نعيم في الحلية[٣] من حديث أبيّ بن كعب. وقال الصدر المناوي في تخريج المصابيح[٤]: في سند الترمذي والحاكم يزيد بن سنان، ضعَّفه أحمد وابن المديني. ا.هـ. وقال ابن طاهر: يزيد متروك، والحديث لا يصح مسندًا، وإنما هو من كلام أبي ذر[٥].

(وقال ﷺ: جاءت الراجفة تتبعها الرادفةُ، وجاء الموت بما فيه) قال العراقي[٦]: رواه الترمذي[٧] وحسَّنه من حديث أبيّ بن كعب.

قلت: ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل[٨] قام فقال: «أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفةُ، جاء الموت بما فيه». وكذلك رواه أحمد[٩] وعبد ابن حميد[١٠] وابن المنذر والحاكم[١١] وصحَّحه وابن مردويه والبيهقي في الشعب[١٢]. وفي رواية تكرار ذلك مرتين في كل كلمة. ورواه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في

---

(١) شعب الإيمان ٢/ ٢٦٦، ١٣/ ١٥٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٤٤٩.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٣٧٧.

(٤) كشف المناهج والتناقيح ٤/ ٤٢٧.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/ ١٧٣ عن الحسن البصري أن رجلا سأل أبا ذر: أي الليل أسمع؟ قال: جوف الليل الأوسط. قال: ومن يطيق ذلك؟ قال: من خاف أدلج.

(٦) المغني ٢/ ١٢٠٧.

(٧) سنن الترمذي ٤/ ٢٤٥.

(٨) في سنن الترمذي: ثلثا الليل.

(٩) مسند أحمد ٣٥/ ١٦٥.

(١٠) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ١٨١.

(١١) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٤٩٥، ٦٠٤.

(١٢) شعب الإيمان ٢/ ٥٨، ٣/ ٨٥، ١٣/ ١٥١.

الحلية[١] فقال: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان الثوري، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي ابن كعب، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل ... فساقه، وزاد: يقولها ثلاثًا.

والمراد بالراجفة: النفخة الأولىٰ، والرادفة: النفخة الثانية. رواه عبد بن حميد عن أبي صالح وعن الحسن[٢].

(**وكان رسول الله ﷺ: إذا آنسَ من الناس غفلةً أو غِرَّة نادىٰ فيهم بصوت رفيع: أتتكم المنيَّة راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة**) قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٤] من حديث زيد السُّلَيمي مرسلاً.

قلت: وكذلك رواه البيهقي في الشعب[٥].

وروىٰ البيهقي[٦] أيضًا عن الوضين بن عطاء قال: كان رسول الله ﷺ إذا أحسَّ من الناس بغفلة من الموت جاء فأخذ بعضادتَي الباب ثم هتف ثلاثًا: «يا أيها الناس، يا أهل الإسلام، أتتكم المنيَّة راتبةً لازمة، جاء الموت بما جاء به، جاء بالروح والراحة والكَرَّة المباركة لأولياء الرحمن من أهل دار الخلود، الذين كان سعيهم ورغبتهم فيها لها، ألا إنَّ لكل ساعٍ غايةً، وغاية كل ساعٍ الموت، سابق ومسبوق».

(**وقال أبو هريرة**) ﷺ: (**قال رسول الله ﷺ: أنا النذير، والموت المغير،**

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٥٦.

(٢) انظر: الدر المنثور ١٥/ ٢٢٢ - ٢٢٤. ورواه الطبري في جامع البيان ٢٤/ ٦٥ - ٦٧ عن ابن عباس والحسن والضحاك وقتادة.

(٣) المغني ٢/ ١٢٠٧.

(٤) قصر الأمل ص ٩٢.

(٥) شعب الإيمان ١٣/ ١٤٥.

(٦) السابق ١٣/ ١٤٦.

والساعة الموعد) قال العراقي[(١)]: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[(٢)] [وأبو القاسم البغوي] بإسناد فيه لِينٌ.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلىٰ في مسنده[(٣)]. وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجِّعين: حدثنا عبيد الله بن محمد، حدثنا يحيىٰ بن بُكَير وسُوَيد بن سعيد قالا: حدثنا ضِمام بن إسماعيل، عن موسىٰ بن وردان، عن أبي هريرة قال: لمَّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال نبي الله ﷺ: «يا صفية بنت عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، أنا النذير، وإلىٰ الموت المصير، والساعة الموعد».

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه: **(خرج رسول الله ﷺ والشمس علىٰ أطراف السعف، فقال: ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضىٰ منه)** قال العراقي[(٤)]: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[(٥)] بإسناد حسن، وللترمذي[(٦)] نحوه من حديث أبي سعيد وحسَّنه.

قلت: ورواه الحاكم[(٧)] من حديث ابن عمر بلفظ: «يا أيها الناس، لم يبقَ من دنياكم هذه [فيما مضىٰ] إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضىٰ منه». وأما حديث أبي سعيد فقد رواه أحمد[(٨)] بلفظ: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ العصر نهارًا، ثم قام فخطبنا، فلم يترك شيئًا قبل قيام الساعة إلا أخبر به، حفظه مَن حفظه ونسيه مَن نسيه، وجعل الناس يلتفتون إلىٰ الشمس هل بقي منها شيء، فقال: «ألا إنه لم

---

(١) المغني ٢/ ١٢٠٧.
(٢) قصر الأمل ص ٩٣.
(٣) مسند أبي يعلىٰ ١١/ ١٠.
(٤) المغني ٢/ ١٢٠٨.
(٥) قصر الأمل ص ٩٤.
(٦) سنن الترمذي ٤/ ٥٩.
(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٢١.
(٨) مسند أحمد ١٧/ ٢٢٨، ١٨/ ١٣٣.

يبقَ من الدنيا فيما مضىٰ منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضىٰ منه». وروىٰ الخطيب[١] من حديث عبد الله بن عمرو: «ما بقي لأمَّتي من الدنيا إلا كمقدار الشمس إذا صُلِّيت العصر».

(وقال ﷺ: مثل الدنيا كمثل ثوب شُقَّ من أوله إلىٰ آخره فبقي متعلِّقًا بخيط في آخره، فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع) قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٣] من حديث أنس، ولا يصح.

قلت: ورواه أيضًا البيهقي في الشعب[٤]، وفي سنده يحيىٰ بن سعيد العَطَّار، ضعَّفه ابنُ عدي[٥]. ورواه أيضًا أبو نعيم في الحلية[٦] من حديث أبان عن أنس بلفظ: «مثل هذه الدنيا من الآخرة مثل ثوب ...» والباقي سواء، وقال: غريب، لم نكتبه إلا من حديث إبراهيم بن الأشعث، وأبان بن أبي عَيَّاش لم تثبُت صحبته لأنس[٧]، كان لهجًا بالعبادة، والحديثُ ليس من شأنه.

(وقال جابر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرَّت وَجْنتاه كأنَّه منذر جيش يقول: صبَّحتكم ومسَّتكم، بُعِثت أنا والساعة كهاتين. وقرن بين أصبعيه)** شبَّهَ[٨] حالَه في خطبته وإنذاره بقرب القيامة وتهالُك الناس فيما يرديهم بحال مَن ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منهم يقصد الإحاطة بهم بغتةً بحيث لا يفوته منهم أحد، فكما أن المنذر يرفع صوته وتحمرُّ

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٧.

(٢) المغني ٢/ ١٢٠٨.

(٣) قصر الأمل ص ٩٥.

(٤) شعب الإيمان ١٢/ ٤٧١.

(٥) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٦٥٠ - ٢٦٥١.

(٦) حلية الأولياء ٨/ ١٣١.

(٧) في الحلية: «وأبان بن أبي عياش لا يصح حديثه».

(٨) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٤/ ١٢٨٣.

عيناه ويشتد غضبه علىٰ تغافُلهم، فكذا حال رسول الله ﷺ عند الإنذار.

قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] وابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٣] واللفظ له.

قلت: ظاهره يقتضي أن صحابي الحديث هو جابر الأنصاري كما هو المتبادر عند الإطلاق، وليس كذلك، بل هو جابر بن سمرة، كما صرَّح به مسلم في روايته[٤]. وقوله «واللفظ له» يُشعِر أن هذا السياق ليس عند أحد من الستة وإلا لَما اقتصر علىٰ ابن أبي الدنيا، وقد رواه بهذا اللفظ ابن ماجه[٥] وابن حبان[٦] والحاكم[٧] مع زيادة بلفظ: كان إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوتُه واشتد غضبه حتىٰ كأنَّه منذر جيش يقول: صبَّحكم ومسَّاكم، ويقول: «بُعِثت أنا والساعة كهاتين»، ويقرن بين أصبعيه السَّبَّابة والوسطىٰ، ثم يقول: «أما بعد، فإن خير الأمور كتاب الله، وخير الهَدْي هَدْي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعةٍ ضلالةٌ». ولفظ مسلم في الجمعة بعد قوله «صبَّحكم ومسَّاكم»: ويقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله ...». الخ. وأما لفظ «بُعِثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالوسطىٰ والسَّبَّابة، فإنه رُوي هكذا من طرق، فرواه أحمد[٨] وعبد بن حميد[٩] والشيخان[١٠]

---

(١) المغني ٢/ ١٢٠٨.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٣٨٥.

(٣) قصر الأمل ص ٩٦.

(٤) بل صرح مسلم بأنه جابر بن عبد الله، وكذا هو في جميع مصادر الحديث، والمصنفُ تابع المناوي علىٰ وهمه فذكر ما رأيتَ. وانظر: فيض القدير ٥/ ١٦٥ (ط مكتبة مصر).

(٥) سنن ابن ماجه ١/ ٧٤.

(٦) صحيح ابن حبان ١/ ١٨٦.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٦٩٦.

(٨) مسند أحمد ١٩/ ٢٧١، ٣٣٠، ٣٤٢، ٢٠/ ٣١٢، ٢١/ ١٦، ٤١، ١٣٨، ٣٦٥، ٣٨٣، ٤١٨.

(٩) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٢١٥.

(١٠) صحيح البخاري ٤/ ١٩٢. صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٠.

والترمذي[١] والدارمي[٢] وابن حبان[٣] من حديث أنس. ورواه أحمد[٤] وهناد والطبراني[٥] والضياء من حديث جابر بن سمرة. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث بريدة[٦]. ورواه أحمد[٧] والشيخان[٨] وابن حبان[٩] من حديث سهل بن سعد. ورواه البخاري[١٠] وهناد[١١] من حديث أبي هريرة. ورواه الطبراني[١٢] من حديث المستورد. ورواه ابن ماجه وابن سعد[١٣] من حديث جابر بن عبد الله.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**تلا رسول الله ﷺ**) قوله تعالىٰ: (﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] **فقال**) رسول الله ﷺ: (**إن النور إذا دخل الصدر انفسح. فقيل: يا رسول الله، هل لذلك من علامة تُعرَف؟ قال: نعم، التَّجافي عن دار الغرور، والإنابة إلىٰ دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله**) رواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طرق عديدة، وقد تقدم، وقد رُوي نحوه من مرسل أبي جعفر المدائني عند ابن المبارك في الزهد، ومن مرسل الحسن عند ابن أبي الدنيا

(١) سنن الترمذي ٤/ ٧٣.

(٢) سنن الدارمي ٢/ ٤٠٤.

(٣) صحيح ابن حبان ١٥/ ١٢.

(٤) مسند أحمد ٣٤/ ٤٤٤، ٤٩٧، ٥٢٦.

(٥) المعجم الكبير ٢/ ٢٠٦ - ٢٠٨، ٢٣٩.

(٦) حديث بريدة رواه أحمد في مسنده ٣٨/ ٣٦، والبزار في مسنده ١٠/ ٢٩٠.

(٧) مسند أحمد ٣٧/ ٤٥٧، ٤٦٧، ٤٨٨، ٥٠٧.

(٨) صحيح البخاري ٣/ ٣٢٠، ٤١٣، ٤/ ١٩٢. صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٠.

(٩) صحيح ابن حبان ١٥/ ١٥.

(١٠) صحيح البخاري ٤/ ١٩٢.

(١١) الزهد ص ١/ ٢٩٧.

(١٢) المعجم الكبير ٢٠/ ٣٠٤.

(١٣) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٢٤.

في كتاب الموت[١].

(وقال السُّدِّي) هو[٢] محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي، مولىٰ عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وهذا هو المفسِّر، ويُعرَف بالصغير، روىٰ عن يحيىٰ بن عبيد الله والكلبي، وعنه هشام بن عبيد الله ومحمد بن عبيد المحاربي. قال أبو حاتم: هو ذاهب، متروك الحديث، لا يُكتَب حديثه البتَّة. وأما السدي الكبير فهو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن، كان يبيع الخُمُر بسُدَّة الجامع بالكوفة، والسدة هي الباب، حجازي الأصل، روىٰ عن أنس، وعنه شعبة والثوري، قال ابن أبي خالد: كان أعلم بالقرآن من الشعبي. مات في إمارة ابن هبيرة علىٰ العراق (﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾) [الملك: ٢] قال: **(أي أيُّكم أكثر للموت ذِكرًا وأحسن له استعدادًا وأشد منه خوفًا وحذرًا)** رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٣] والبيهقي في الشعب[٤].

(وقال حذيفة) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(ما من صباح ولا مساء إلا ومنادٍ ينادي: أيها الناس، الرحيل الرحيل، وإن تصديق ذلك)** في **(قوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾ [المدثر: ٣٥ - ٣٧] **قال: في الموت)** رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٥] هكذا، وقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ قال: في الموت ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾ قال: في الموت.

والضمير راجع للنار، أي إن البلايا الكبرىٰ كثيرة، والنار واحدة منها.

---

(١) تقدمت هذه الأحاديث في كتاب العلم، وفي كتاب عجائب القلب، وفي كتاب الزهد والفقر.

(٢) لباب الأنساب ٢/ ١١٠. تهذيب الكمال ٣/ ١٣٢ - ١٣٨، ٢٦/ ٣٩٢ - ٣٩٣. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ١٨٤ - ١٨٥، ٨/ ٨٦. التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٢٣٢، ٣٦١.

(٣) قصر الأمل ص ١٠٠.

(٤) شعب الإيمان ١٣/ ٢٥٦.

(٥) قصر الأمل ص ١٠٢.

(**وقال سُحَيم**) المدني (**مولىٰ بني تميم**) وقيل: هو مولىٰ بني زُهرة، روىٰ له النسائي (**جلست إلىٰ عامر بن عبد الله**) بن الزبير[١]، مدني عابد ثقة، روىٰ عن أبيه وعن عدَّة من الصحابة، وعنه جماعة من التابعين (**وهو يصلي، فأوجز في صلاته، ثم أقبل عليَّ فقال: أرِحْني بحاجتك، فإني أبادر. قلت: وما تبادر؟ قال: ملك الموت رحمك الله. قال: فقمت عنه، وقام إلىٰ صلاته**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٢].

(**ومر**) أبو سليمان (**داود**) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالىٰ (**فسأله رجل عن حديث، فقال: دَعْني، إنما أبادر خروج نفسي**) رواه أبو نعيم في الحلية[٣] فقال: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا عبد الله بن [محمود بن] سلمة بن سعيد قال: لقي داودَ الطائي رجلٌ، فسأله عن حديث، فقال: دَعْني، فإني أبادر خروج نفسي.

(**وقال عمر** رضي الله عنه: **التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الخير للآخرة**)[٤] وهذا قد رُوي مرفوعًا من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: «إلا في عمل الآخرة». رواه الحاكم[٥] والبيهقي[٦] من رواية مصعب بن سعد عن أبيه.

وروىٰ[٧] ابن سعد[٨] من طريق سليمان بن أبي حثمة عن أمه الشَّفَّاء بنت

---

(١) الصحيح أنه عامر بن عبد الله بن عبد قيس، كما في صفة الصفوة ص ٦١٣.
(٢) قصر الأمل ص ١٠٢.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٣٥ - ٣٣٦.
(٤) رواه أحمد في الزهد ص ٩٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٢٦٩، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٦٨، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١٠٤.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٢٢.
(٦) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٢٧.
(٧) المقاصد الحسنة ص ٢٤٠.
(٨) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٧٠. ولفظه: رأت الشفاء ابنة عبد الله فتيانا يقصدون في المشي ويتكلمون رويدا، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: نساك. فقالت: كان واللهِ عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشىٰ أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقا.

عبد الله قالت: كان عمر إذا مشىٰ أسرع. وهذا محمود لمَن يخشىٰ من البطء في السير تفويتَ أمر دينيٍّ ونحوه، وعليه يُحمَل ما تقدَّم من قوله، وهذا كما في شرب السويق وتقديمه علىٰ الفتيت، فلا يعارض ما ورد: سرعة المشي تُذهِب بهاءَ المؤمن.

(**وقال المنذر**) بن[1] ثعلبة العبدي القُطَعي - ويقال: الطائي - أبو النضر البصري، ثقة، روىٰ له أبو داود والنسائي وابن ماجه (**سمعت مالك بن دينار**) البصري العابد الثقة (**يقول لنفسه: ويحكِ! بادِري قبل أن يأتيكِ الأمرُ، ويحكِ! بادِري قبل أن يأتيكِ الأمرُ. حتىٰ كرَّر ذلك ستين مرة، أسمعه ولا يراني**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[2].

(**وكان الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ (**يقول في موعظته: المبادرة المبادرة، فإنما هي الأنفاس لو حُبِست عنكم انقطعت عنكم أعمالُكم التي تتقرَّبون بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، رحم الله امرءًا نظر لنفسه وبكىٰ علىٰ عدد ذنوبه. ثم قرأ هذه الآية:** ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ٨٤] **يعني الأنفاس**) أي نعدُّ لهم الأنفاسَ عدًّا (**آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[3] هكذا. ورواه صاحب كتاب المتفجعين من طريق عبد الواحد بن زيد قال: سمعت الحسن يقول: يا ابن آدم، لقد أعذر الله إليك أن عمرك أربعين سنه تركض وترتع، فبادِر المهلةَ قبل حلول الأجل ونزول الموت، وكأنَّك بك قد لحقتَ بمَن مضىٰ من إخوانك فندمتَ علىٰ ما فرَّطت فيه أيام حياتك. ثم يبكي ويقول: المبادرة رحمكم الله المبادرة، فإنما هي الأنفاس ... فساقه.

(**واجتهد أبو موسىٰ الأشعري**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو**

---

(١) تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٩٩ - ٥٠٠.

(٢) قصر الأمل ص ١٠٦. وليس فيه قوله (أسمعه ولا يراني).

(٣) السابق ص ١٠٦.

أمسكتَ أو رفقت بنفسك بعض الرفق. فقال: إن الخيل إذا أُرسِلت) إلىٰ السباق (فقاربت رأسَ مَجراها أخرجت جميع ما عندها) أي من القوة (والذي بقي من أجلي أقل من ذلك. قال) الراوي: (فلم يزل علىٰ ذلك حتىٰ مات) قال: (وكان يقول لامرأته: شُدِّي رَحْلكِ، فليس علىٰ جهنم معبر) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[١].

(وقال بعض الخلفاء علىٰ منبره) هو أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما ذكره الشريف الموسوي في نهج البلاغة[٢]، وهذا لفظه مع بعض اختلاف في السياق، كما ننبِّه عليه: (عِباد الله، اتقوا الله ما استطعتم، وكونوا قومًا صِيحَ بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار، فاستبدِلوا واستعِدُّوا للموت فقد أظلَّكم، وترحَّلوا فقد جدَّ بكم) وسياق النهج: فاتقوا الله عِباد الله، وبادِروا آجالَكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقىٰ لكم بما يزول عنكم، وترحَّلوا فقد جُدَّ بكم، واستعِدُّوا للموت فقد أظلَّكم، وكونوا قومًا صِيحَ بهم فانتبهوا، واعلموا أن الدنيا ليست لكم بدار فاستبدِلوا، فإن الله لم يخلقكم عبثًا، ولم يترككم سُدًىٰ، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به (وإن غاية تنقصها اللحظةُ وتهدمها الساعة لَجديرةٌ بقِصَر المدة، وإن غائبًا يحذوه) وفي نسخة: يحدوه (الجديدان الليل والنهار لَحريٌّ بسرعة الأوبة، وإن قادمًا يحلُّ) وفي نسخة: يقدُم (بالفوز أو الشقوة لَمستحقٌّ لأفضل العدَّة، فالتقيُّ عند ربِّه مَن ناصَحَ نفسَه وقدَّم توبتَه وغلب شهوتَه) ولفظ النهج بحذف الواوات (فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكَّل به، يمنِّيه التوبةَ ليسوِّفها، ويزيِّن له المعصية ليرتكبها) ولفظ النهج بتقديم الجملة الثانية علىٰ الأولىٰ، وفيه: ليركبها (حتىٰ تهجم منيَّتُه عليه أغفل ما يكون عنها، وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به) هذه الجملة في سياق النهج مقدَّمة، كما أشرنا إليه

---

(١) السابق ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ٥/ ٩١ - ٩٢. وأورده ابن حمدون في تذكرته ١/ ٩٢.

(فيا لها حسرة علىٰ) كل (ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامُه إلىٰ شقوة، جعلنا الله وإيَّاكم) ولفظ النهج: نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإيَّاكم (ممَّن لا تبطره نعمةٌ ولا تقصر به عن طاعة الله معصية) ولفظ النهج: عن طاعة ربِّه غايةٌ (ولا تحل به بعد الموت حسرةٌ) ولفظ النهج: ندامة ولا كآبة (إنه سميع الدعاء، وإنه بيده الخير دائمًا، فعَّال لِما يشاء[1].

وقال بعض المفسِّرين في قوله تعالىٰ: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال): أي (بالشهوات واللذَّات) فإن النفوس تُفتتن بها بمقتضَىٰ ميلها إليها (﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ قال): أي (بالتوبة) أي سوَّفتم بها (﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ قال): أي (شككتم) أي داخَلكم الارتياب والشكُّ (﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قال): أي (الموت) أي فاجأكم (﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٤] قال: الشيطان)[2] وهو[3] كل ما يغرُّك من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فُسِّر بالشيطان، وبالدنيا؛ لأنها تغرُّ وتمرُّ، وأما الشيطان فإنه أقوىٰ الغارِّين وأخبثهم.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: (تصبَّروا وتشدَّدوا، فإنما هي أيام قلائل، وإنما أنتم رَكْبٌ وقوفٌ، يوشك أن يُدعَىٰ الرجل منكم فيجيب) الداعي

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١١٤ - ١١٥ عن الوليد بن مسلم. ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٧/ ١٠١ - ١٠٢ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣/ ٣٠٠ عن يحيىٰ بن أكثم قال: خطب المأمون يوم الجمعة، فقال بعد الثناء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والصلاة علىٰ نبيه ﷺ: أوصيكم عباد الله بتقوىٰ الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجز لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه وعمل له وأرضاه، فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم ... الخ. وذكره أيضا عن المأمون: ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/ ٢٧٦، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٤/ ١٩٢، وعبد الحق الإشبيلي في العاقبة في ذكر الموت ص ٨٥.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١١٧ عن شريك بن عبد الله القاضي. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٤١٩ عن ابن عباس. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٣٨ عن عكرمة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/ ٢٧٥ لعبد بن حميد في تفسيره عن أبي سنان ومحبوب الليثي.

(٣) المفردات للراغب ص ٣٥٩. بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٤/ ١٢٩.

(**ولا يلتفت، فانتقِلوا بصالح ما بحضرتكم**)[1] رواه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية، والضيف مرتحِل، والعارية مؤدَّاة**) إلىٰ أهلها. رواه الطبراني[2] وأبو نعيم[3] من طريق الضحَّاك بن مزاحم عنه، وقد تقدَّم.

(**وقال أبو عبيدة**) بكر بن الأسود، ويقال: ابن أبي الأسود (**الناجي**) الزاهد، من بني ناجية بن سامة بن لؤي[4]، روىٰ عن الحسن وابن سيرين، قال الذهبي[5]: متروك. ومشَّاه بعضهم (**دخلنا علىٰ الحسن**) البصري (**في مرضه الذي مات فيه، فقال: مرحبًا بكم وأهلاً، حيَّاكم الله بالسلام، وأحلَّنا وإياكم دارَ المقام، هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتَّقيتم**) وفي نسخة: أيقنتم (**فلا يكن حظُّكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه الأذن، فإنه مَن رأىٰ محمدًا ﷺ فقد رآه غاديًا ورائحًا، لم يضع لبنة علىٰ لبنة، ولا قصبة علىٰ قصبة، ولكن رُفع له عَلم فشمَّر إليه. الوحا الوحا، النجا النجا، عَلامَ تعرِّجون**)؟ أي تقفون (**أتيتم ورب الكعبة كأنَّكم والأمر معًا، رحم الله عبدًا جعل العيش عيشًا**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا هكذا في قصر الأمل ص ١١٩. ورواه في محاسبة النفس ص ١٠٢، وزاد في أوله: «حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الذنوب، واقرعوا هذه الأنفس فإنها طالعة، وإنها تنازع إلىٰ شر غاية، وإنكم إن تعاونوها لا تبقي لكم من أعمالكم شيئا، فتصبروا وتشددوا ...» الخ. ورواه الآجري في أدب النفوس ص ٢٧٠ - ٢٧١ [ضمن مجموع أجزاء حديثية / ط - دار ابن حزم] بهذه الزيادة، وزاد في آخره: «إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما صبر علىٰ هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته».

(٢) المعجم الكبير ٩/ ١٠٥.

(٣) حلية الأولياء ١/ ١٣٤.

(٤) ذكر السمعاني في الأنساب ٥/ ٤٤٢ أنه منسوب إلىٰ ناجية ولاءً. أما ابن الأثير في لباب الأنساب ٣/ ٢٨٧ فنسبه إلىٰ ناج بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان.

(٥) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٥١. وانظر له أيضا: المغني في الضعفاء ١/ ١٧٥، ميزان الاعتدال ١/ ٣٤٢ - ٣٤٣.

واحدًا فأكل كسرة، ولبس خلقًا، ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكىٰ علىٰ الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغىٰ الرحمةَ، حتىٰ يأتيه أجلُه وهو علىٰ ذلك) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية من هذا الوجه[٢].

(وقال) أبو[٣] عبد الرحمن **(عاصم)** ابن سليمان **(الأحول)** البصري، ثقة، مات بعد الأربعين من المائة، روىٰ له الجماعة **(قال لي فُضَيل)** ابن[٤] مرزوق الأغَر **(الرَّقاشي)** الكوفي، أبو عبد الرحمن، صدوق، مات في حدود سنة ستين [ومائة] روىٰ له مسلم والأربعة **(وأنا أسائله: يا هذا، لا تشغلنَّك كثرة الناس عن نفسك، فإن الأمر يخلُص إليك دونهم، ولا تقلْ: أذهب ههنا وههنا، فينقطع عنك النهار في لا شيء، فإن الأمر محفوظ عليك، ولم ترَ شيئًا قط أحسن طلبًا ولا أسرع إدراكًا من حسنة حديثة لذنب قديم)** رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل[٥].

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا صالح بن زياد، حدثنا سعيد بن عامر، عن جسر قال: كان الحسن يقول: أيها المرء، إنك لا تدري لعلَّك أن تكون الشخص المختطَف، إنك لا تدري بأيِّ ميتة تموت، إنك لا تدري لعلَّك أن يُحبَس

---

(١) المغني ٢/ ١٢٠٨.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١٢١ - ١٢٢ تاما. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٤٩، ١٥٤ مفرقا من قوله (من رأىٰ محمدا) حتىٰ قوله (وبكىٰ علىٰ الخطيئة). ورواه ابن حبان في الثقات ٦/ ٢٦١ من قوله (من رأىٰ محمدا) حتىٰ قوله (علام تعرجون) وبعده: «وقد أسرع بخياركم وذهب بنبيكم، وأنتم كل يوم ترذلون، العيان العيان».

(٣) تقريب التهذيب ص ٤٧١.

(٤) السابق ص ٧٨٦. والصحيح أن المقصود هنا هو أبو حسان فضيل بن زيد الرقاشي البصري، وهو متقدم علىٰ الأغر، فعند هناد في الزهد ٢/ ٥٤٣ وأبي نعيم في حلية الأولياء ٣/ ١٠٣: «عن فضيل بن زيد الرقاشي، وكان غزا مع عمر سبع غزوات».

(٥) قصر الأمل ص ١٨٢ (ط ابن حزم).

طعامك أو شرابك في بطنك فتخرج به نفسُك، داوِ نفسَك، واحذرْ مصرعك بكرب الموت وشدَّته، إنك لا تدري بما يأتيك به الموتُ بخير أو بشرٍّ، ليكن الموت منك علىٰ بال، أدِّبْ نفسك بتواتر نعم الله عليك وأنت غير مستحق لها. ثم يُقبِل علىٰ أصحابه فيقول: الموت أول وارد عليك من الآخرة، بخير يسر أو بشرٍّ يسوء. ثم يبكي.

قال: وحدثنا صالح بن زياد وعبد الله بن الهيثم قالا: حدثنا السهمي قال: حدثنا أبو عبيدة الناجي، عن الحسن قال: يا ابن آدم، طأ الأرض بقدمك، فإنها عن قليل قبرُك، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ خرجت من بطن أمِّك، إنما أنت عدد، فإذا ذهب يومٌ فقد ذهب بعضك، يوكَّل بك ملَكان كريمان يكتبان عليك ما تجني علىٰ نفسك، فإذا متَّ طُويت صحيفتك ثم قُلِّدتَها في عنقك. ثم تلا ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤] لقد عدل عليك ثم جعلك حسيب نفسك(١).

وبهذا السند عن الحسن قال: يا ابن آدم، لا يلهك أهلُك الذين أنت ضيف فيهم عن أهل لا تزايلهم، ولا تلهك مساكن إنما تمر بها عن مساكن أنت خالد فيها. يا ابن آدم، لو رأيتَ رجلاً نزل منزلاً في سفر لا يقيم فيه تجمع فيه المقام ألم تكن في الناس ضحكة. يا ابن آدم، لكل أمرٍ عدَّة وعتاد، وعدَّة الآخرة وعتادها ثلاث: صقل القلب، وصحة البدن، والسعة في الدنيا. فإذا فعل الله بك ذاك فقد أعذر إليك، ولا معذرة لك إن لم تُحسِن. يا ابن آدم، إنما تدخل القبر وحدك، ليس عليك من الناس شيء، ولا عليهم منك شيء، ما أقل جدالهم عنك في ذلك الموطن، فقد نفر واللهِ

---

(١) من أول الأثر حتىٰ قوله (بطن أمك) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٥٥ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٥٥ وأبو حاتم الرازي في الزهد ص ٣٧. وبقية الأثر رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣٧ والطبري في جامع البيان ١٤/ ٥٢٤، ٢١/ ٤٢٥ بنحوه.

يا أحمق منك أقرباؤك وأحِبَّاؤك، كل امرئ منهم يقول: نفسي نفسي. يا مسكين، إنما يكرمك اليوم منهم مَن أكرمك لهذه الروح التي في جسدك، فلو قد انتُزِع منك نبذوك عنهم، وإن تُرِكتَ بينهم فرُّوا من البيت الذي أنت فيه.

قال: وحدثنا عبد الله بن الهيثم، عن سعيد بن عامر، عن عبد الله بن المبارك قال: قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لأخ له: يا أخي، أترضىٰ حالك هذه للموت؟ قال: لا. قال: فهل أنت مجمع علىٰ الانتقال إلىٰ حال ترضاها للموت؟ قال: ما دعتني نفسي إلىٰ ذلك بعدُ. قال: فهل بعد الموت دارٌ فيها معتمَل؟ قال: لا. قال: فهل تأمن الموتَ أن يأتيك علىٰ حالك هذه؟ قال: لا. قال: ما رأيتُ مثل هذه الحال رضي بها عاقل[1].

قال: وحدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا العتبي، عن أبيه قال: عاد الحسن عليلاً، فوجد قد أفرق، فقال: يا أيها الرجل، إن الله قد ذكَّرك فاذكره، وقد أقالك فاشكره. ثم قال: ضربة سوط من ملَك كريم، فإما فرس جواد وإما حمار عثور.

وبهذا السند قال الحسن: ضرب الله ابنَ آدم بالأمراض، وضربه بالحاجة وبالعجز، وجعل مصيره إلىٰ الموت، وإنه مع ذلك لو تاب.

وبهذا السند قال: كتب الحسن إلىٰ فرقد: أما بعد، فإني أوصيك بتقوىٰ الله، والعمل بما علَّمك الله، والاستعداد لِما لا حيلة لأحد في دفعه ولا ينفع الندمُ عند نزوله، فاحسرْ عن رأسك قناعَ الغافلين، وانتبِهْ من رقدة الموتىٰ، وتشمَّر للسباق، فإن الدنيا ميدان مسابقة، وإن لي ولك من الله مقامًا فيسألني فيه وإياك عن الحقير الدقيق والجليل الجافي، ولا آمَنُ أن يكون فيما يسألني وإياك فيه عن وساوس

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٤١٥ عن عبد الله بن عبد العزيز قال: قال عبد الرحمن بن يزيد ... فذكره بنحوه. ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦/ ٧٣. وذكره البلاذري في أنساب الأشراف ٥/ ٣٩٤، وزاد في آخره: «فاتق الله يا أخي واعمل قبل أن تندم».

الصدور ولحظ العيون وإصغاء الأسماع وما أعجز عن وصفه[1].

(١) هذا الأثر رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٤١ وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٢٣، ولكن عندهما أن يوسف بن أسباط كتب إلىٰ حذيفة المرعشي: أما بعد فإني أوصيك بتقوىٰ الله ... فذكره بنحوه. وعند الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٢٤١ أن حذيفة كتبه إلىٰ ابن أسباط.

الباب الثالث:

في سكرات الموت وشدته وما يُستحَب من الأحوال عنده

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كربٌ ولا هول) ولا شدة (ولا عذاب سوىٰ سكرات الموت بمجرَّدها لكان جديرًا بأن يتنغَّص عليه عيشُه، ويتكدَّر عليه سرورُه، ويفارقه سهوُه وغفلته، وحقيق بأن تطول فيه فكرته ويعظُم له استعدادُه لا سيَّما وهو في كل نفَس بصدده، كما قال بعض الحكماء: كربٌ بيد سواك لا تدري متىٰ يغشاك[١].

وقال لقمان لابنه: يا بني، أمرٌ لا تدري متي يلقاك استعِدَّ له قبل أن يفجأك) أي يأتيك فجأةً.

(والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذَّات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي) مثلاً (فيضربه خمس خشبات لتكدَّرت عليه لذَّتُه، وفسد عليه عيشُه، وهو في كل نفَس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور) بالأماني الباطلة.

(واعلمْ أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا مَن ذاقها، ومَن لم يذقْها فإنما يعرفها إما بالقياس إلىٰ الآلام التي أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النزع علىٰ شدة ما هم فيه. فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم) وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك في تشريح الإنسان

(١) رواه ابن الأعرابي في معجمه ص ٨٢٥ عن فضيل بن عياض بلفظ: «كرب لا تدري متىٰ يغشاك ما يمنعك أن تخشىٰ ما لا تدري متىٰ يفجأك».

(فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضوَ جرحٌ أو حريق سرَىٰ الأثر إلىٰ الروح، فبقدْر ما يسري إلىٰ الروح يتألَّم، والمؤلم يتفرَّق علىٰ اللحم والدم وسائر الأجزاء، فلا يصيب الروحَ إلا بعض الألم، فإن كان في الآلام ما يباشر نفسَ الروح ولا يلاقي غيرَه فما أعظم ذلك الألم وما أشده! والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميعَ أجزائه حتىٰ لم يبقَ جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حلَّ به الألمُ، فلو أصابته شوكةٌ فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضعَ الذي أصابته الشوكة) فإن قيل: فما بال أثر الاحتراق بالنار يعمُّ سائرَ البدن؟ فالجواب ما أشار إليه المصنف بقوله: (وإنما يعظُم أثرُ الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن، فلا يبقىٰ جزء من العضو المحترق ظاهرًا وباطنًا إلا وتصيبه النار فتحسُّه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم، وأما الجراحة فإنما تصيب الموضعَ الذي مسَّه الحديدُ فقط، فكان لذلك ألمُ الجرح دون ألم النار. فألم النزع يهجم علىٰ نفس الروح ويستغرق جميعَ أجزائه، فإنه المنزوع المجذوب من كل عِرق من العروق وعصبٍ من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلىٰ القدم، فلا تسأل عن كربه وألمه، حتىٰ قالوا: إن الموت لأشدُّ من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض) كما ورد كلُّ ذلك في الأخبار، علىٰ ما سيأتي ذِكرها (لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلُّقه بالروح، فكيف إذا كان المتناوَل المباشر نفس الروح، وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوَّته في قلبه وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالَغَ فيه، وتصاعد علىٰ قلبه، وغلب علىٰ كل موضع منه، فهدَّ كل قوة وضَعَّف كلَّ جارحة فلم يترك له قوةَ الاستغاثة، أما العقل فقد غشيَه وشوَّشَه، وأما اللسان فقد أبكمَه) وأخرسَه (وأما الأطراف فقد ضعَّفها) وهدَّ قوَّتَها (ويودُّ لو قدر علىٰ الاستراحة بالأنين

والصياح والاستغاثة، ولكنه لا يقدر علىٰ ذلك، فإن بقيت فيه قوةٌ سمعتَ له عند نزع الروح وجذبِها خوارًا وغرغرة من حلقه وصدره) كخوار الثور العقير (وقد تغيَّر لونه وأربد حتىٰ كأنَّه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته، وقد جُذِب منه كل عِرق علىٰ حياله، فالألم منتشر في داخله وخارجه حتىٰ ترتفع الحَدَقتان إلىٰ أعلىٰ أجفانه، وتتقلَّص الشفتان، ويتقلَّص اللسان إلىٰ أصله، ويرتفع الأُنثيان إلىٰ أعالي موضعهما، وتخضرُّ أناملُه، فلا تسأل عن بدن يُجذَب منه كل عِرق من عروقه، ولو كان المجذوب عِرقًا واحدًا لكان ألمه عظيمًا، فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم، لا من عِرق واحد، بل من جميع العروق، ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجيًّا، فتبرد أولاً قدماه، ثم ساقاه، ثم فخذاه) حتىٰ ينحشر الروح في الصدر (ولكل عضو سكرةٌ بعد سكرة، وكربة بعد كربة، حتىٰ يُبلَغ بها إلىٰ الحُلقوم) وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ [القيامة: ٢٦] وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٤] (فعند ذلك ينقطع نظرُه عن الدنيا وأهلها) وروىٰ ابن ماجه[١] عن أبي موسىٰ قال: سألت رسول الله ﷺ: متىٰ تنقطع معرفة العبد من الناس؟ قال: «إذا عايَنَ» (ويُغلَق دونه باب التوبة، وتحيط به الحسرة والندامة. قال رسول الله ﷺ: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] وحسَّنه وابن ماجه[٤] من حديث ابن عمر.

قلت: ورواه كذلك ابن زنجويه وأحمد[٥] وابن حبان[٦] والحاكم[٧]

---

(١) سنن ابن ماجه ٣/ ١٨.

(٢) المغني ٢/ ١٢٠٩.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٥٠٧.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٤٢.

(٥) مسند أحمد ١٠/ ٣٠٠، ٤٦١.

(٦) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٩٥.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٨٩.

والبيهقي[١]، كلهم من حديث ابن عمر. ورواه ابن جرير[٢] من حديث عُبادة بن الصامت ومن حديث أبي أيوب بشير بن كعب. ورواه ابن زنجويه وابن جرير[٣] عن الحسن بلاغًا. ورواه أحمد[٤] من حديث رجل من الصحابة بلفظ: «ما لم يغرغر بنفسه».

(**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالىٰ (**في قوله تعالىٰ**: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨] **قال: إذا عاين الرسلَ**) الموكَّلة بقبض الروح.

(**فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت، فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادُف سكراته**) قال ابن عمر: وهل الحضور إلا السَّوق. كما رواه ابن جرير[٥] (**ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم هوِّنْ علىٰ محمد سكرات الموت**) رُوي ذلك من حديث عائشة بنحوه، كما سيأتي (**والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به، فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تُدرَك بنور النبوة والولاية، ولذلك عظُم خوفُ الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت، حتىٰ قال**

---

(١) شعب الإيمان ٩/ ٢٨٢.

(٢) جامع البيان ٦/ ٥١٤ - ٥١٥.

(٣) السابق ٦/ ٥١٥.

(٤) مسند أحمد ٢٤/ ٢٥٦، ٣٨/ ١٦٦ - ١٦٧ عن عبد الرحمن ابن البيلماني قال: اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم. فقال الثاني: آنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم. فقال الثالث: آنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة. فقال الرابع: آنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه».

(٥) جامع البيان ٦/ ٥١٧.

عيسىٰ عليه السلام: يا معشر الحواريين، ادعوا الله تعالىٰ أن يهوِّن عليَّ هذه السَّكرة - يعني الموت - فقد خفتُ الموت مخافةً أوقفني خوفي من الموت علىٰ الموت) رواه ابن أبي الدنيا[١] في كتاب الموت.

وقال القرطبي[٢]: لتشديد الموت علىٰ الأنبياء عليهم السلام فائدتان، إحداهما: تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصًا ولا عذابًا، بل هو كما جاء: «إن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل». والثانية: أن يعرف الخَلق مقدار ألم الموت، وأنه باطن، وقد يطَّلع الإنسان علىٰ بعض الموتىٰ فلا يرىٰ عليه حركة ولا قلقًا، بل يرىٰ سهولة خروج روحه فيظن سهولة أمر الموت، ولا يعرف ما الميت فيه، فلمَّا ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم علىٰ الله تعالىٰ قطع الخلقُ بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقًا؛ لإخبار الصادقين عنه، ما خلا الشهيد قتيل الكفار، علىٰ ما ثبت في الحديث.

(**ورُوي أن نفرًا من بني إسرائيل مروا بمقبرة، فقال بعضهم لبعض: لو دعوتم الله تعالىٰ أن يُخرِج لكم من هذه المقبرة ميتًا تسألونه)** فيخبركم عن أحوال البرزخ (**فدعوا الله تعالىٰ، فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور، فقال: يا قوم، ما أردتم مني؟ لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة، ما سكنت مرارة الموت من قلبي)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث جابر بهذا اللفظ. ورواه ابن أبي شيبة في مسنده[٣] وأحمد في الزهد[٤] وعبد ابن حميد[٥] وأبو يعلىٰ وابن منيع والضياء عن جابر عن النبي ﷺ قال: «تحدَّثوا عن

---

(١) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٦٩.

(٢) التذكرة ص ١٦٠ - ١٦١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٥٨٥ مقتصرا علىٰ قوله (تحدثوا عن بني إسرائيل فإنه كانت فيهم أعاجيب).

(٤) الزهد ص ١٧.

(٥) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٢٠٩.

بني إسرائيل [ولا حرج] فإنه كانت فيهم أعاجيب». ثم أنشأ يحدِّثنا قال: «خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم، فقالوا: لو صلَّينا ركعتين ودعونا الله يُخرِج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت. ففعلوا، فبينما هم كذلك إذ طلع رجل أسود اللون بين عينيه أثر السجود، فقال: يا هؤلاء، ما أردتم إليَّ؟ لقد متُّ منذ مائة سنة، فما سكنت عني حرارة الموت حتىٰ الآن، فادعوا الله أن يعيدني كما كنت».

ويقرُب من ذلك ما رواه أحمد في الزهد عن عمر بن حبيب: أن رجلين من بني إسرائيل عبدا الله حتىٰ سئما من العبادة، فقالا: لو خرجنا إلىٰ القبور فجاورناها لعلَّنا أن نراجع. فجاورا القبورَ فعبدا الله، فنُشِر لهما ميت، فقال لهما: لقد مت منذ ثمانين سنة، وإني لأجد ألم الموت بعدُ.

(**وقالت عائشة ﷺ: لا أغبط أحدًا يهوَّن عليه الموت بعد الذي رأيتُ من شدة موت رسول الله ﷺ**) رواه الترمذي[1] بلفظ: لا أغبط أحدًا بهَوْنِ موتٍ ... والباقي سواء. والهَوْن بالفتح: الرفق. وروىٰ البخاري[2] عنها قالت: لا أكره شدة الموت لأحد أبدًا بعد النبي ﷺ.

(**ورُوي أنه ﷺ كان يقول: اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل، اللهم فأعِنِّي علىٰ الموت وهوِّنه عليَّ**) قال العراقي[3]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث طُعمة بن غيلان الجُعْفي، وهو معضَل سقط منه الصحابي والتابعي.

قلت: رواه عن محمد بن الحسين قال: حدثنا حسين بن علي الجعفي، حدثنا طعمة بن غيلان الجعفي قال: كان النبي ﷺ يقول ... فذكره. قال السيوطي في أمالي الدرَّة الفاخرة: طعمة من طبقة أتباع التابعين، روىٰ عن الشعبي وغيره،

---

(١) سنن الترمذي ٢/ ٢٩٩.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٨٤.

(٣) المغني ٢/ ١٢٠٩.

وعنه السفيانان، وذكره ابن حبان في الثقات[١].

قلت: هو كوفي، روى له النسائي في مسند علي[٢].

(وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى (**أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصَّته وألمه فقال: هو قدْرُ ثلاثمائة ضربة بالسيف**) قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا مرسلاً، ورجاله ثقات.

قلت: وفي بعض الأخبار أنه قدْر مائة ضربة، وفي بعضها: قدر ألف ضربة، كما سيأتي. وذكر المصنف في «الدرة الفاخرة»[٤] حديث: «لَسكرةٌ من سكرات الموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف». قال السيوطي في تخريجه: لم أجده بهذا اللفظ، لكن بنحوه. ثم ذكر حديث الضحَّاك بن حمزة، وسأذكره بعدُ.

(**وسُئل ﷺ عن الموت وشدته، فقال: إن أهون الموت بمنزلة حَسَكة**) كانت (**في صوف، فهل تخرج الحَسَكة من الصوف إلا ومعها صوف**) قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية شهر بن حوشب مرسلاً.

قلت: شهر[٦] أشعري، شامي، صدوق، كثير الإرسال والأوهام، روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة.

(**ودخل ﷺ على مريض، ثم قال: إني أعلم ما يلقَى، ما منه عِرقٌ إلا ويألم للموت على حِدَته**) قال العراقي[٧]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث

---

(١) الثقات ٦/ ٤٩٢.

(٢) انظر: تهذيب الكمال ١٣/ ٣٨٦.

(٣) المغني ٢/ ١٢٠٩ - ١٢١٠.

(٤) الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ص ١٤ (ط - مكتبة الحكمة بدمشق).

(٥) المغني ٢/ ١٢١٠.

(٦) تقريب التهذيب ص ٤٤١.

(٧) المغني ٢/ ١٢١٠.

سلمان بسند ضعيف، ورواه في المرض والكفَّارات[١] من رواية عبيد بن عمير مرسلاً مع اختلاف، ورجاله ثقات.

قلت: ورواه كذلك البزار[٢] والطبراني[٣] من حديث سلمان، ولفظه: أنه ﷺ دخل علىٰ رجل من الأنصار وهو في الموت، فقال: «ما تجد»؟ قال: أجدني بخير، وقد حضرني اثنان، أحدهما أسود، والآخَر أبيض. فقال ﷺ: «أيُّهما أقرب منك»؟ قال: الأسود. قال: «إن الخير قليل، وإن الشر كثير». قال: فمتِّعْني منك يا رسول الله [بدعوة] فقال: «اللهم اغفر الكثير، وأنْمِ القليلَ». ثم قال: «ما ترىٰ»؟ قال: خيرًا بأبي أنت وأمي، أرىٰ الخير ينمىٰ، وأرىٰ الشر يضمحلُّ، وقد استأخر عني الأسود. قال: «أيُّ عملك أملكُ بك»؟ قال: كنت أسقي الماء. ثم قال ﷺ: «إني أعلم ما يلقىٰ، ما منه عِرق إلا وهو بألم الموت علىٰ حِدَته». وقد رُوي نحوه عن عطاء بن يسار رفعه في أثناء حديثٍ: «وما من مؤمن يموت إلا وكل عِرق منه يألم علىٰ حِدَة». رواه الحارث بن أبي أسامة[٤] بسند جيد. وأما مرسَل عبيد بن عمير فلفظه: عاد النبي ﷺ مريضًا، فقال: «ما منه عِرقٌ إلا وهو يألم منه، غير أنه قد أتاه آتٍ فبشَّره أنْ ليس بعده عذاب». رواه كذلك البيهقي في الشعب[٥]. وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٦] في أثناء حديث لواثلة بن الأسقع: «والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبدٍ من الدنيا حتىٰ يتألم كل عِرق منه علىٰ حياله». ورواه ابن أبي الدنيا عن أبي حسين البُرجمي مرفوعًا نحوه.

(وكان علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحضُّ) الناسَ **(علىٰ القتال ويقول: إن لم تُقتَلوا تموتوا، والذي**

(١) المرض والكفارات ص ٩٨.
(٢) مسند البزار ٦/ ٤٨٠.
(٣) المعجم الكبير ٦/ ٢٦٩.
(٤) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٣٥٨.
(٥) شعب الإيمان ١٢/ ٣١٤ - ٣١٥.
(٦) حلية الأولياء ٥/ ١٨٦.

نفسي بيده لألفُ ضربة بالسيف أهون من موت علىٰ فراش)[١] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وفي نهج البلاغة[٢] للشريف الموسوي قال: ومن كلامه رضي الله عنه في وقت الحرب: وأيُّ امرئ منكم أحسَّ من نفسه رباطةَ جأش عند اللقاء ورأىٰ من أحد من إخوانه فشلاً فليذُبَّ عن أخيه بفضل نجدته التي فُضِّلَ بها عليه كما يذُبُّ عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله، إن الموت طالب حثيث، لا يفوته المقيمُ، ولا يعجزه الهارب، إن أكرم الموت القتلُ، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألفُ ضربة بالسيف أهون عليَّ من ميتة علىٰ الفراش [في غير طاعة الله].

(وقال الأوزاعي) رحمه الله تعالىٰ: **(بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يُبعَث من قبره)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

ورویٰ أبو نعيم في الحلية[٣] عن كعب قال: لا يذهب عن الميت ألمُ الموت ما دام في قبره، وإنه لأشد ما يمرُّ علىٰ المؤمن، وأهون ما يصيب الكافرَ.

(وقال شدَّاد بن أوس) رضي الله عنه: **(الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة علىٰ المؤمن، وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور، ولو أن الميت نُشِر فأخبر أهلَ الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذُّوا بنوم)** رواه ابن أبي الدنيا[٤] في كتاب الموت، وفيه: فأخبر أهلَ الدنيا بألم الموت. ورواه أيضًا عن وهب بن منبه بلفظ: الموت أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وغلي في القدور، ولو أن ألم عِرق من عروق الميت قُسِّم علىٰ أهل الأرض لأوسعَهم ألمًا، ثم هو أول شدة يلقاها الكافرُ، وآخر شدة يلقاها المؤمنُ.

---

(١) ذكره الراغب في الذريعة ص ٢٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ٧/ ١٩٢.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٤٤.

(٤) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٤١٦.

(وعن) أبي[١] عبد الله (زيد بن أسلم) العَدَوي مولاهم المدني، ثقة، عالِم، كان يرسل، مات سنة ست وثلاثين [ومائة] روىٰ له الجماعة (عن أبيه) أسلم[٢] العدوي، مولىٰ عمر، ثقة، مخضرم، مات سنة ثمانين وهو ابن أربع عشرة ومائة سنة، روىٰ له الجماعة (**قال: إذا بقي علىٰ المؤمن من درجاته شيءٌ لم يبلغها بعمله شُدِّد عليه الموت؛ ليبلغ بسكرات الموت وكربِه درجتَه في الجنة. وإذا كان للكافر معروف لم يُجْزَ به هُوِّن عليه في الموت؛ ليستكمل ثوابَ معروفه فيصير إلىٰ النار**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن محمد بن الحسين، حدثنا موسىٰ بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، ولفظه: إذا بقي علىٰ المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شُدِّد عليه الموت؛ ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجتَه من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا في الدنيا يهوَّن عليه الموت؛ ليستكمل ثوابَ معروفه في الدنيا، ثم يصير إلىٰ النار.

فالمراد بـ «أبيه» هو زيد بن أسلم، والضمير راجع إلىٰ عبد الرحمن، وفي سياق المصنف خطأ، ولو قال «عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه» لأصاب.

(**وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرًا من المرضىٰ: كيف تجدون الموت؟ فلما مرض قيل له: فأنت كيف تجده؟ فقال: كأنَّ السموات مطبقة علىٰ الأرض، وكأنَّ نفسي تخرج من ثقب إبرة**) المراد بالبعض هو عمرو بن العاص، فروي ابن سعد[٣] عن عوانة بن الحكم قال: كان عمرو بن العاص يقول: عجبًا لمَن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه [فلما نزل به قال له ابنه عبد الله بن عمرو: يا أبتِ، إنك كنت تقول: عجبًا لمَن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه] فصِفْ لنا الموت [وعقلك معك]. قال: يا بني، الموت أجَلُّ من أن يوصَف، ولكن سأصف لك منه

---

(١) تقريب التهذيب ص ٣٥٠.

(٢) السابق ص ١٣٥.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٤/ ٨١.

شيئًا، أجدني كأنَّ علىٰ عنقي جبال رَضْوَىٰ[1]، وأجدني كأنَّ في جوفي شوكَ السُّلاَّء، وأجدني كأنَّ نفسي تخرج من ثقب إبرة.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في المحتضرين[2] عن أبي زيد النميري، حدثنا محمد بن يحيىٰ الكناني، عن عبد العزيز بن عمران الزُّهري، عن معاوية بن محمد بن عبد الله بن بجير، عن أبيه قال: لما احتضر عمرو بن العاص قال له ابنه: يا أبتاه، إنك كنت تقول: ليتني ألقىٰ رجلاً عاقلاً عند نزول الموت حتىٰ يصف لي ما يجده، وأنت ذلك الرجل، فصِفْ لي الموتَ. فقال: يا بني، واللهِ لكأنَّ جنبيَّ في تخت، وكأنِّي أتنفَّس من سَمِّ إبرة، وكأنَّ غصن شوك يُجَرُّ به من قدمي إلىٰ هامتي.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا سليمان بن سيف، حدثنا أبو عاصم، أخبرنا حيوة بن شريح، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن شماسة أخبره أن عمرو بن العاص لمَّا حضره الموتُ قال له عبد الله ابنه: يا أبا عبد الله، أجزعًا من الموت؟ قال: لا، ولكن لِما بعد الموت. قال: فقد كنت أسمعك تقول: إني لأعجبُ ممَّن يدركه الموتُ ومعه عقله كيف لا يخبر به! وقد جاءك الموت وعقلك معك. قال: نعم يا بني، كأنَّ السماء قد أطبقت علىٰ الأرض، وأنا بينهما، وكأنَّ سَفُّودًا محميًّا يُنزَع من سحري، وكأنَّ روحي تُجذَب من حزة إبرة، وما من عضو من أعضائي إلا وهو يألم علىٰ ذي حِدَته. ثم قال: أيْ بني، إني كنت علىٰ حالات ثلاث: كنت جاهليًّا لا أعرف الدين، فلو متُّ علىٰ ذلك كانت النار، ثم قذف الله الإسلام في قلبي، وأحببت رسول الله ﷺ حبًّا شديدًا حتىٰ لو ذهبتُ أصفه لم أستطع ذلك لإجلالي إياه، وكان لي محبًّا مقدِّمًا، فلو متُّ علىٰ ذلك كانت الجنة إن شاء الله تعالىٰ، ثم أصابتنا بعده أمورٌ ما ندري ما حالنا فيها. ثم قال: اللهم

---

(١) رضوىٰ: جبل شهير يقع في محافظة ينبع بمنطقة المدينة المنورة، ويبلغ ارتفاعه ٢١٧٠ مترا، وهو جبل وعر يصعب الصعود عليه.

(٢) كتاب المحتضرين ص ٩٣.

إني لست ببريء فأعتذر، ولست بقويٍّ فأنتصر. يا بني، إذا حملتموني فأسرِعوا بي، فإنما هو خير توردوني إليه أو شر تضعونه عن رقابكم، ولا تتبعوني بنائحة ولا بمجمرة، وسُنُّوا عليَّ التراب سنًّا، فإذا دفنتموني فاجلِسوا عند قبري مقدار ما يُنحَر جزور ويقسَّم لحمه لكي أعلم ما أراجع به رسلَ ربي عَزَّوَجَلَّ.

(**وقال ﷺ: موت الفجأة راحة للمؤمن، وأسفٌ على الفاجر**) قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] من حديث عائشة بإسناد صحيح بلفظ «وأخذة أسف للكافر». ولأبي داود[٣] من حديث عبيد بن خالد السلمي: «موت الفجأة أخذة أسف».

قلت: حديث عبيد بن خالد رواه أيضًا أحمد[٤] وابن ماجه. وأما حديث عائشة فرواه أيضًا البيهقي في الشعب[٥] عن [عبد الله بن] عبيد بن عمير قال: سألت عائشة ﵂ عن موت الفجأة أيُكره؟ قالت: لأيِّ شيء يُكره؟ سألتُ رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «راحة للمؤمن، وأخذُ أسفٍ للفاجر».

وقال السخاوي في المقاصد[٦]: وفي الباب عن أنس وابن مسعود، بيَّنهما الزيلعيُّ في سورة طه من تخريجه[٧].

(**ورُوي عن**) أبي[٨] عبد الله (**مكحول**) الشامي، ثقة، فقيه، كثير الإرسال، مشهور، مات سنة بضع عشرة ومائة، روى له البخاري في جزء القراءة ومسلم

---

(١) المغني ٢/ ١٢١٠.

(٢) مسند أحمد ٤١/ ٤٩١.

(٣) سنن أبي داود ٤/ ١٦.

(٤) مسند أحمد ٢٤/ ٢٥٣ - ٢٥٤، ٢٩/ ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٥) شعب الإيمان ١٢/ ٤٥٧.

(٦) المقاصد الحسنة ص ٤٣٦.

(٧) تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٢/ ٣٥٣ - ٣٥٤، وفيه أن حديث ابن مسعود رواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في مصنفه موقوفا، وحديث أنس رواه ابن شاهين في كتاب الجنائز مرفوعا.

(٨) تقريب التهذيب ص ٩٦٩.

والأربعة (**عن النبي ﷺ أنه قال: لو أن شعرة من شعر الميت وُضعت علىٰ أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالىٰ؛ لأن في كل شعرةٍ الموتَ، ولا يقع الموت بشيء إلا مات**) قال العراقي[1]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية أبي ميسرة رفعه، وفيه: «لو أن ألم شعرة». وزاد: «وإنَّ في يوم القيامة لتسعين [هولاً، أدناها] يضاعَف علىٰ الموت سبعين ألف ضِعف»[2]. وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل، والحديث مرسَل حسن الإسناد.

قلت: عمرو[3] بن شُرَحْبِيل كوفي، ثقة، عابد، مخضرم، مات سنة ثلاث وستين، روىٰ له الجماعة سوىٰ ابن ماجه.

(**ويُروَىٰ: لو أن قطرة من ألم الموت وُضعت علىٰ جبال الدنيا كلها لذابت**) قال العراقي[4]: لم أجد له أصلاً، ولعلَّ المصنف لم يورده حديثًا، فإنه قال: ويُروَىٰ.

قلت: بل روىٰ أبو بكر المروزي في الجنائز عن أبي ميسرة رفعه: «لو أن قطرة من ألم الموت وُضعت علىٰ أهل السماء والأرض لماتوا جميعًا، وإنَّ في القيامة لساعة تضعف علىٰ شدة الموت سبعين ضِعفًا».

(**ورُوي أن إبراهيم عليه السلام لمَّا مات قال الله تعالىٰ له: كيف وجدتَ الموت يا خليلي؟ قال: كسَفُّود جُعل في صوف رَطْب ثم جُذِب. فقال: أما إنَّا قد هوَّنَّا عليك**) رواه أحمد في الزهد[5] والمروزي في الجنائز من طريق ابن أبي مُلَيكة بلفظ: إن إبراهيم عليه السلام لمَّا لقي اللهَ قيل له: كيف وجدتَ الموت؟ قال: وجدت نفسي كأنَّها

---

(١) المغني ٢/ ١٢١٠.

(٢) ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٣٢٢ من كلام ياسين بن معاذ الزيات شيخ يوسف ابن أسباط.

(٣) تقريب التهذيب ص ٧٣٧.

(٤) المغني ٢/ ١٢١٠ - ١٢١١.

(٥) الزهد ص ٦٧.

تُنزَع بالسُّلاَّء. قيل له: قد يسَّرنا عليك الموت.

(**ورُوي عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لمَّا صارت روحه إلىٰ الله تعالىٰ قال له ربُّه: يا موسىٰ، كيف وجدتَ الموت؟ قال: وجدت نفسي كالعصفور**) الحي (**حين يُقلَىٰ علىٰ المِقلىٰ، لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير**) رواه أحمد في الزهد.

(**ورُوي عنه أنه قال: وجدت نفسي كشاة حية تُسلَخ بيد القَصَّاب**) رواه أيضًا أحمد في الزهد.

وروىٰ أبو الشيخ في كتاب العظمة(١) عن الحسن قال: قيل لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كيف وجدتَ الموت؟ قال: كسَفُّود أُدخِلَ في جوفي له شُعَب كثيرة، تَعلق كل شعبة منه بعِرق من عروقي، ثم انتُزِع من جوفي نزعًا شديدًا. فقيل: لقد هوَّنَّا عليك [الموت].

وروىٰ ابن أبي الدنيا(٢) في كتاب الموت عن أبي إسحاق قال: قيل لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كيف وجدتَ طعم الموت؟ قال: كسَفُّود أُدخِل في جزة صوف فامتلخ. قال: يا موسىٰ [لقد] هوَّنَّا عليك.

(**ورُوي عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت، فجعل يُدخِل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول: اللهم هوِّنْ عليَّ سكرات الموت**) قال العراقي(٣): متفق عليه من حديث عائشة.

قلت: لفظ البخاري(٤) من حديثها: أنه كانت بين يديه رَكْوة أو عُلبة فيها ماء، فجعل يُدخِل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت

(١) العظمة ٣/ ٩٤١.
(٢) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ١٨٦.
(٣) المغني ٢/ ١٢١١.
(٤) صحيح البخاري ٣/ ١٨٥، ٤/ ١٩٣.

سكرات». ورواه كذلك أحمد[١]. ورواه الترمذي[٢] عن قُتَيبة، حدثنا ليث، عن ابن الهاد، عن موسىٰ بن سرجس، عن القاسم بن محمد، عن عائشة ﵂ قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء، وهو يُدخِل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: «اللهم أعِنِّي علىٰ سكرات الموت - أو غَمَرات الموت».

(**وفاطمة ﵂ تقول: واكرباه لكَرْبك يا أبتاه. وهو يقول: لا كرب علىٰ أبيكِ بعد اليوم**) قال العراقي[٣]: رواه البخاري[٤] من حديث أنس بلفظ: واكرب أبتاه. وفي رواية لابن خزيمة: واكرباه.

(**وقال عمر ﵁ لكعب الأحبار**) رحمه الله تعالىٰ: (**يا كعب، حدِّثْنا عن الموت. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الموت كغصن كثير الشوك أُدخِل في جوف رجل وأخذت كلُّ شوكة بعِرق ثم جذبه رجلٌ شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقَىٰ ما أبقي**) هذا لفظ ابن أبي شيبة في مسنده[٥]، ورواه أبو نعيم في الحلية[٦] فقال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذِّن، حدثنا أبو الحسن ابن أبان، حدثنا أبو بكر ابن سفيان، حدثنا خالد بن خِداش، حدثنا حماد بن زيد، عن ابن جريج، عن ابن أبي مُلَيكة أن عمر قال لكعب: أخبِرْني عن الموت. قال: يا أمير المؤمنين، هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم، فليس منه عِرق ولا مفصل إلا فيه شوك ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها ينزعها. فأرسل عمر دموعه.

وأبو بكر بن سفيان هذا هو ابن أبي الدنيا، وهكذا رواه في كتاب الموت عن

---

(١) مسند أحمد ٤٠/ ٤١٥، ٤٧٩، ٤١/ ٣٠، ٤٢/ ٩٦.

(٢) سنن الترمذي ٢/ ٢٩٩.

(٣) المغني ٢/ ١٢١١.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ١٨٧.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٧٢.

(٦) حلية الأولياء ٦/ ٤٤.

خالد بن خِداش، وقد ساقه السيوطي في «أمالي الدرَّة الفاخرة» من طريق ابن أبي الدنيا، ثم أعقبه بقوله: ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق خالد بن خداش. فأوهمَ أنه من طريق أخرىٰ، وليس كذلك، بل هو من طريق ابن أبي الدنيا.

(وقال النبي ﷺ: إن العبد ليعالجُ كرب الموت وسكرات الموت، وإن مفاصله ليسلِّمُ بعضها علىٰ بعض تقول: عليك السلام، تفارقني وأفارقك إلىٰ يوم القيامة) قال العراقي[1]: رويناه في الأربعين لأبي هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس، وأبو هدبة هالك.

قلت: ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس[2] وأبو الفضل الطوسي في عيون الأخبار والقشيري في الرسالة[3]. وإبراهيم بن هدبة، قال الذهبي: كذاب واهٍ[4]. وقال الدارقطني: متروك[5].

(فهذه سكرات الموت علىٰ أولياء الله وأحبابه) وهم المتقرِّبون إلىٰ الله تعالىٰ **(فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي)** والمخالفات **(وتتوالىٰ علينا مع سكرات الموت بقيةُ الدواهي، فإن دواهي الموت ثلاث، الأولىٰ: شدة النزع)** من أعماق البدن ومن كل عضو عضو **(كما ذكرناه. الداهية الثانية: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه علىٰ القلب، فلو رأىٰ صورته التي يُقبَض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوةً لم يُطِق رؤيته، فقد رُوي عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت: هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض**

---

(١) المغني ٢/ ١٢١١.

(٢) الحديث في الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٩١ عن ابن عباس بلفظ: «المسلم إذا حضرته الوفاة سلمت الأعضاء بعضها علىٰ بعض تقول: السلام عليك، تفارقني وأفارقك إلىٰ يوم القيامة».

(٣) الرسالة القشيرية ص ٥٠٠. والحديث رواه أيضا أبو طاهر السلفي في الطيوريات ٢/ ٣٥٥.

(٤) في ديوان الضعفاء ص ٢٢: «كذاب». وفي المغني في الضعفاء ١/ ٦٦: «ساقط متهم».

(٥) ذكره في كتاب الضعفاء والمتروكين ص ٦١.

عليها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك. قال: بلىٰ. قال: فأعرِضْ عني. فأعرضَ عنه، ثم التفت فإذا هو برجل أسود، قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان. فغشي علىٰ إبراهيم، ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلىٰ صورته الأولىٰ، فقال: يا ملك الموت، لو لم يلقَ الفاجرُ عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن ابن مسعود وابن عباس قالا: لمَّا اتخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملكُ الموت ربَّه أن يأذن له [أن يبشِّره] بذلك، فأذنَ له، فجاء إبراهيمَ فبشَّره، فقال: الحمد لله. ثم قال: يا ملك الموت، أرِني كيف تقبض أنفاسَ الكفار؟ قال: يا إبراهيم، لا تطيق ذلك. قال: بلىٰ. قال: فأعرِضْ. فأعرَضَ، ثم نظر فإذا برجل أسود، تنال رأسُه السماءَ، يخرج من فيه لهب النار، ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل، يخرج من فيه ومسامعه لهب النار، فغُشي علىٰ إبراهيم، ثم أفاق وقد تحوَّل ملك الموت في الصورة الأولىٰ، فقال: يا ملك الموت، لو لم يلقَ الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه، فأرِني كيف تقبض أنفاس المؤمنين. قال: أعرِضْ. فأعرَضَ، ثم التفت فإذا هو برجل شاب أحسن الناس وجهًا وأطيبهم ريحًا في ثياب بِيض، فقال: يا ملك الموت، لو لم يرَ المؤمن عند موته من قرَّة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه[1].

ورویٰ أيضًا عن كعب أن إبراهيم عليه السلام رأىٰ في بيته رجلاً، فقال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. فقال إبراهيم عليه السلام: إن كنتَ صادقًا فأرِني منك آية أعرف أنك ملك الموت. قال له ملك الموت: أعرِضْ بوجهك. فأعرَضَ، ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض فيها المؤمنين. قال: فرأىٰ من النور والبهاء شيئًا لا يعلمه إلا الله، ثم قال: أعرِضْ بوجهك. فأعرَضَ، ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض فيها الكفار والفجَّار، فرعب إبراهيم عليه السلام رعبًا [شديدًا] حتىٰ أرعدت فرائصه، وألصق

---

(١) روىٰ الطبري في جامع البيان ٤/ ٦٢٧ مثله عن السدي.

بطنه بالأرض، وكادت نفسه أن تخرج[١].

وروىٰ أيضًا عن عبيد بن عمير قال: بينما إبراهيم عليه السلام يومًا في داره إذ دخل عليه رجل حسن الشارة، فقال: يا عبد الله، مَن أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربُّها. قال: ربُّها أحقُّ بها، فمَن أنت؟ قال: ملك الموت. قال: لقد نُعِتَ لي منك أشياء ما أراها فيك. قال: فأدبِرْ، فأدبَرَ فإذا عيون مقبلة وعيون مدبرة، وإذا كل شعرة منه كأنَّها إنسان قائم، فتعوَّذَ إبراهيم عليه السلام من ذلك وقال: عُدْ إلىٰ الصورة الأولىٰ. قال: يا إبراهيم، إن الله إذا بعثني إلىٰ مَن يحب لقاءه بعثني في الصورة التي رأيتَ أولاً[٢].

(وروىٰ أبو هريرة عن النبي ﷺ: إن داود عليه السلام كان رجلاً غيورًا، وكان إذا خرج أغلق الأبواب، فأغلق ذات يوم وخرج، فأشرفت امرأته، فإذا هي برجل في الدار، فقالت: مَن أدخل هذا الرجل؟ لئن جاء داود ليلقينَّ منه عَنَتًا) أي شدة وحرجًا **(فجاء داود)** عليه السلام **(فرآه، فقال: مَن أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحُجَّابُ. فقال: فأنت واللهِ إذًا ملك الموت. وزملَ داودُ** عليه السلام **مكانه)** قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] بإسناد جيد نحوه، وابن أبي الدنيا في كتاب الموت بلفظه.

قلت: لفظ أحمد: «كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أُغلِقت الأبواب فلم يدخل علىٰ أهله أحدٌ حتىٰ يرجع، فخرج ذات يوم[٥] ورجع، فإذا

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٨ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٢٥٤ ضمن قصة طويلة.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٢٥٣.

(٣) المغني ٢/ ١٢١١.

(٤) مسند أحمد ١٥/ ٢٥٤.

(٥) بعده في المسند: «وأغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلىٰ الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن بداود. فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار».

في الدار رجل قائم، فقال له: مَن أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوكَ ولا يمنع مني الحُجَّابُ. فقال داود ﷺ: أنت إذًا واللهِ ملك الموت، مرحبًا بأمر الله. فزملَ داودُ مكانه فقُبِضت نفسه حتىٰ فُرِغ من شأنه، فطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظِلِّي علىٰ داود. فأظلَّت عليه حتىٰ أظلمت عليهم الأرضُ، فقال لها سليمان: اقبضي جناحًا جناحًا، وغلبت عليه يومئذٍ المصرِّحيةُ.

(**وروي أن عيسىٰ ﷺ مر بجمجمة، فضربها برجله فقال: تكلَّمي بإذن الله. فقالت: يا روح الله، أنا ملك زمان كذا وكذا، بينا أنا جالس في مُلكي عليَّ تاجي وحولي جنودي وحَشَمي علىٰ سرير مُلكي إذ بدا لي ملكُ الموت، فزال مني كل عضو علىٰ حياله، ثم خرجت نفسي إليه، فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فُرقة، ويا ليت ما كان من ذلك الأُنس كان وحشةً**) روىٰ أبو حذيفة إسحاق بن بشر في المبتدأ نحو ذلك فقال: حدثنا محمد بن عبد الله البصري وعامر بن عبد الله - شيخ من أهل نهر تيري[1] - يرفعانه إلىٰ كعب قالا: قال كعب الأحبار: إن عيسىٰ ﷺ مرَّ ذات يوم بوادي القيامة، وهو عشيَّة يوم الجمعة عند العصر، فإذا هو بجمجمة بيضاء نخرة قد مات صاحبها منذ أربعة وتسعين سنة، فوقف عليها متعجِّبًا منها وقال: يا ربـ ائذنْ لهذه الجمجمة أن تكلِّمني بلسان حيٍّ تخبرني ماذا لقيتْ من العذاب، وكم أتىٰ عليها منذ ماتت، وماذا عاينتْ، وبأيِّ هيئة ماتت، وماذا كانت تعبد. قال: فأتاه نداءٌ من السماء فقال: يا روح الله وكلمته، سَلْها فإنها ستخبرك. فصلىٰ عيسىٰ ركعتين، ثم دنا منها، فوضع يده عليها، فقال عيسىٰ: بسم الله وبالله. فقالت الجمجمة: خيرَ الأسماء دعوتَ، وبالذكر استعنتَ. فقال عيسىٰ: أيتها الجمجمة النخرة. قالت: لبَّيك وسعديك، سَلْني عمَّا بدا لك. قال: كم أتىٰ عليكِ مذ متِّ؟ قالت: لا نفْس تعدُّ الحياةَ، ولا روح تحصي السنين. فأتاه نداءٌ: إنها قد ماتت منذ أربعة وتسعين سنة، فسَلْها. قال: فيماذا متِّ؟ قالت: كنت جالسة ذات

---

(١) يقع غرب مدينة الأهواز جنوب غرب إيران.

يوم إذ أتاني مثل السهم من السماء، فدخل جوفي مثل الحريق، وكان مثلي مثل رجل دخل الحمَّام فأصابه حرُّه فهو يلتمس الخروج مخافةً علىٰ نفسه أن تهلك. قال: فأتاني ملكُ الموت ومعه أعوانه، وجوههم مثل وجوه الكلاب، بادية أنيابهم، زُرق أعينهم كلهبان النار، بأيديهم المقامع يضربون وجهي ودُبري، فانتزعوا روحي فكشطوها عني، ثم وضعه ملك الموت علىٰ جمرة من جمر جهنم، ثم لفَّه في قطعة مِسْح من مسوح جهنم، فرفعوا روحي إلىٰ السماء، فمنعتهم الملائكة أن يدخلوا، وأُغلِقت الأبواب دونه، فأتاني نداء أن رُدُّوا هذه النفس الخاطئة إلىٰ مثواها ومأواها ... ثم ساق الخبر بطوله في نحو ورقتين. وقد رواه أبو نعيم في الحلية[1] من هذا الطريق وأورده بطوله.

وروىٰ أبو نعيم[2] أيضًا عن كعب قال: مر عيسىٰ بجمجمة بيضاء، فقال: يا رب، هذه الجمجمة أحيها. فأوحىٰ الله إليه أن أَشِحْ بوجهك. قال: ففعل، ثم حوَّل وجهه فإذا شيخ متكئ علىٰ كارة من بقل ... ثم ساقه.

(فهذه داهية يلقاها العصاةُ ويُكفاها المطيعون، فقد حكىٰ الأنبياء مجرَّد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها مَن يشاهد صورة ملك الموت كذلك، ولو رآها في منامه ليلةً لتنغَّص عليه بقيةُ عمره، فكيف برؤيته في مثل تلك الحال؟ وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها، فقد روىٰ عكرمة) أبو عبد الله القرشي المدني، مولىٰ ابن عباس، روىٰ له الجماعة، وأخرج له مسلم مقرونًا بطاووس وسعيد بن جبير **(عن ابن عباس)** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(أن إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **كان رجلاً غيورًا، وكان له بيت يتعبَّد فيه، فإذا خرج أغلقه، فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت، فقال: مَن أدخلك داري؟ فقال: أدخلنيها ربُّها. فقال: أنا ربُّها. فقال: أدخلنيها مَن هو أملك بها مني ومنك. فقال: مَن أنت؟ من الملائكة؟ قال: أنا ملك الموت. قال: هل تستطيع أن**

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ١٠.

(٢) السابق ٦/ ٩.

تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال: نعم، فأعرِضْ عني. فأعرَضَ، ثم التفت فإذا هو بشاب، فذكر من حُسن وجهه وحُسن ثيابه وطِيب ريحه، فقال: يا ملك الموت، لو لم يلقَ المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وهو بعض سياق من الخبر السابق ذِكره، وروىٰ نحوه من رواية كعب ومن رواية عبيد بن عمير، وكل ذلك ذُكر قريبًا.

(**ومنها مشاهدة الملَكين الحافظين، قال وهيب**) بن[1] الورد المكِّي، العابد، الثقة، أبو عثمان، قيل: اسمه عبد الوهاب و«وهيب» لقبه، روىٰ له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (**بلغنا أنه ما ميت يموت حتىٰ يتراءىٰ له ملَكاه الكاتبان عمله، فإن كان مطيعًا قالا له: جزاك الله عنا خيرًا، فرُب مجلس صِدق أجلستنا وعملٍ صالح أحضرتنا. وإن كان فاجرًا قالا له: لا جزاك الله عنا خيرًا، فرُب مجلس سوء أجلستنا وعملٍ غير صالح قد أحضرتنا وكلام قبيح قد أسمعتنا، فلا جزاك الله عنا خيرًا**) قال: (**فذلك شخوص بصر الميت إليهما، ولا يرجع إلىٰ الدنيا أبدًا**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت فقال: حدثنا عبد الكريم أبو يحيىٰ، حدثنا عبيد الله بن محمد بن يزيد بن خُنَيس، حدثنا أبي، عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتىٰ يتراءىٰ له ملكاه اللذان كانا يحفظان عليه عمله في الدنيا، فإن كان صحبَهما بطاعة قالا له: جزاك الله عنا من جليس خيرًا، فرُب مجلس صِدق قد أجلستناه، وعمل صالح قد أحضرتناه، وكلام حسن قد أسمعتناه، فجزاك الله عنا من جليس خيرًا. وإن كان صحبَهما بغير ذلك ممَّا ليس لله برضا قلبا عليه الثناءَ فقالا: لا جزاك الله عنا من جليس خيرًا، فرُب مجلس سوء قد أجلستناه، وعمل غير صالح قد أحضرتناه، وكلام قبيح قد أسمعتناه، فلا جزاك الله عنا من جليس خيرًا. قال: فذاك شخوص بصر الميت إليهما، ولا يرجع إلىٰ الدنيا أبدًا.

---

(١) تقريب التهذيب ص ١٠٤٥.

ورواه أبو نعيم في الحلية[١] من هذا الوجه فقال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذِّن، حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد هو ابن أبي الدنيا ... فساقه.

(الداهية الثالثة: مشاهدة العصاة مواضعهم من النار، وخوفهم قبل المشاهدة، فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قُواهم، واستسلمت للخروج أرواحُهم) أي انقادت **(ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملَك الموت بإحدىٰ البُشريينِ، إما: أبشِرْ يا عدو الله بالنار، أو: أبشِرْ يا وليَّ الله بالجنة. ومن هذا كان خوف أرباب الألباب، وقد قال النبي ﷺ: لن يخرج أحدكم من الدنيا حتىٰ يعلم أين مصيره، وحتىٰ يرىٰ مقعده من الجنة أو النار)** قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية رجل لم يُسَم عن علي موقوفًا: «لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتىٰ يعلم إلىٰ أين مصيره إلىٰ الجنة أمْ إلىٰ النار». وفي رواية: «حرام علىٰ نفس أن تخرج من الدنيا حتىٰ تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار»[٣]. وفي الصحيحين من حديث عُبادة بن الصامت ما يشهد لذلك: «إن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، وإن الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته ...» الحديث.

قلت: وروىٰ ابن مردويه وابن منده بسند ضعيف من حديث ابن عباس: «ما من نفس تفارق الدنيا حتىٰ ترىٰ مقعدها من الجنه أو النار ...» الحديث.

(وقال ﷺ: مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه. فقالوا: كلنا نكره الموت. قال: ليس ذاك بذاك، إن المؤمن إذا فُرج له عمَّا

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٥١.

(٢) المغني ٢/ ١٢١٢.

(٣) هذه الرواية أخرجها عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٥٨٧ عن الثوري قال: قال علي: حرام علىٰ نفس ... فذكره.

هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه) قال العراقي[(١)]: متفق عليه من حديث عُبادة بن الصامت.

قلت: المتفق عليه إنما هو إلىٰ قوله «كره الله لقاءه». هكذا روياه من رواية أنس عن عُبادة بن الصامت، ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والترمذي والنسائي وابن حبان. وقد رُوي هذا القدْر أيضًا من حديث عائشة، رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي. ومن حديث أبي موسىٰ، رواه الشيخان. ومن حديث أبي هريرة، رواه مسلم والنسائي. ومن حديث معاوية، رواه النسائي والطبراني. وأما تلك الزيادة فرُويت عن عدَّة من الصحابة، فمن ذلك ما رواه أحمد والنسائي من حديث أنس بلفظ: قالوا: يا رسول الله، كلنا نكره الموت. قال: «ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حُضِر جاءه البشيرُ من الله بما هو صائر إليه، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي اللهَ فأحب اللهُ لقاءه. وإن الفاجر إذا حُضِر جاءه ما هو صائر إليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه». وروىٰ عبد ابن حميد من رواية أنس عن عبادة بن الصامت رفعه وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ: قالت عائشة: إنَّا لنكرهُ الموت. قال: «ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه ممَّا أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وأما الكافر إذا حضره الموت بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه ممَّا أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه». ورروا أحمد من حديث رجل من الصحابة بلفظ: قالوا: إنَّا نكره الموت. قال: «ليس ذلك، ولكنه إذا حُضِر ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩] فإذا بُشِّر بذلك أحب لقاء الله، والله عَزَّوَجَلَّ للقائه أحب ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ [الواقعة: ٩٢ - ٩٣] فإذا بُشِّر بذلك كره لقاء الله، والله للقائه أكره»[(٢)].

---

(١) المغني ٢/ ١٢١٢.

(٢) تقدمت هذه الأحاديث كلها في كتاب الأذكار والدعوات.

(ورُوي أن حذيفة بن اليمان) ﷺ **(قال لابن مسعود)** كذا في النسخ كلها، وهو خطأ، والصواب: لأبي مسعود، وهو عُقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدري، صحابي جليل، وكان ملازمًا لحذيفة في مرضه الذي مات فيه **(وهو لِما به من آخر الليل: قمْ فانظر أيُّ ساعة هي. فقام ابن مسعود)** كذا في النسخ، والصواب: أبو مسعود **(ثم جاءه فقال: قد طلعت الحمراء)** وهي النجمة التي تطلع قبل الفجر بقليل **(فقال حذيفة)** ﵁: **(أعوذ بالله من صباح إلىٰ النار)** قال ابن أبي الدنيا[1]: حدثني الربيع بن ثعلب، حدثنا فرج بن فضالة، عن أسد بن وداعة قال: لمَّا مرض حذيفةُ مرضه الذي مات فيه قالوا له: ما تشتهي ... فساق الحديث، وفيه: ثم قال: أصبحنا؟ قالوا: نعم. قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح النار، حبيب جاء علىٰ فاقة، لا أفلح مَن ندم.

وقال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق السَّرَّاج، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هُشَيم، حدثنا حصين، عن أبي وائل قال: لمَّا ثقُلَ حذيفةُ أتاه ناس من بني عَبْس[3]، فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال: أتيناه وهو بالمدائن حتىٰ دخلنا عليه جوفَ الليل، فقال لنا: أيُّ ساعة هذه؟ فقلنا: جوف الليل، أو آخر الليل. فقال: أعوذ بالله من صباح إلىٰ النار. ثم قال: أجئتم معكم بأكفان؟ قلنا: نعم. قال: فلا تغالوا بأكفاني، فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خيرٌ فإنه يبدَّل بكسوته كسوة خيرًا منها، وإلا يُسلَب سلبًا.

وروىٰ من طريق جرير، عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي مسعود قال: لمَّا أُتي حذيفة بكفنه، وكان مستندًا إلىٰ أبي مسعود، فأُتي بكفن جديد، فقال: ما تصنعون بهذا؟ ... الحديث.

---

(١) كتاب المحتضرين ص ١١١ - ١١٢.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٣) عبس: بطن عظيم من غطفان، من قيس عيلان، من العدنانية.

وروىٰ أيضًا من طريق أبي إسحاق أن صلة بن زفر حدثَّه أن: حذيفة بعثني وأبا مسعود، فابتعنا له كفنًا ... فساق الحديث.

وإنما ذكرتُ هاتين الروايتين ليظهر أن الذي في سياق المصنف هو أبو مسعود لا ابن مسعود.

(ودخل مَرْوان) بن[١] الحَكَم بن أبي العاص بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو عبد الملك، ويقال: أبو القاسم، ويقال: أبو الحكم، المدني. وُلد بعد الهجرة بسنتين، وقيل: بأربع. لم يصحَّ له سماعٌ من النبي ﷺ، وقد روىٰ عن النبي ﷺ حديث الحديبية بطوله، وهو عند البخاري وأبي داود والنسائي، وكان كاتبًا لعثمان، وولي إمرة المدينة لمعاوية والموسم، وبويع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بالجابية، وكان الضحَّاك بن قيس قد غلب علىٰ دمشق وبايع بها لابن الزبير، ثم دعا إلىٰ نفسه، فقصده مروان، فواقعَه بمَرْج راهط، فقتل الضحَّاك، وغلب علىٰ دمشق، وذلك في أواخر سنة أربع وستين، ومات بها في رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين، وكانت خلافته تسعة أشهر، وقيل: عشرة إلا أيامًا. ونُقل عن عروة بن الزبير أنه قال: كان مروان لا يتَّهَم في الحديث. روىٰ له الجماعة إلا مسلمًا **(علىٰ أبي هريرة)** ﵁، وذلك حين مرض المرَض الذي مات فيه **(فقال مروان: اللهم خفِّفْ عنه. فقال أبو هريرة)** ﵁: **(اللهم اشدُدْ. ثم بكىٰ أبو هريرة)** ﵁ **(وقال: واللهِ ما أبكي حزنًا علىٰ الدنيا، ولا جَزَعًا من فِراقكم، ولكن أنتظر إحدىٰ البُشريينِ من ربِّي بجنة أمْ بنار)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت[٢] عن يحيىٰ بن معين، حدثنا معن، حدثنا مالك بن أنس، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: دخل مروان علىٰ أبي هريرة في شكواه الذي مات فيه فقال: شفاك الله. فقال أبو هريرة: اللهم إني أحب لقاءك فأَحِبَّ لقائي. فما

---

(١) تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٨٧ - ٣٨٩. تقريب التهذيب ص ٩٣١.

(٢) ورواه أيضا في كتاب المحتضرين ص ٢١٠.

بلغ مروانُ أصحاب القطن حتىٰ مات رحمه الله تعالىٰ.

وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات[١] من هذا الوجه.

وقال أبو نعيم في الحلية[٢]: حدثنا أحمد بن بُندار، حدثنا إبراهيم بن محمد ابن الحارث، حدثنا عباس النَّرْسي، حدثنا عبد الوهاب بن الورد، عن سلم بن بشير بن جحل أن أبا هريرة بكىٰ في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكي علىٰ دنياكم هذه، ولكني أبكي علىٰ بُعد سفري وقلة زادي وأني أصبحت في صعود مهبط علىٰ جنة ونار لا أدري أيهما يؤخَذ بي.

(ورُوي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ إذا رضي عن عبد قال: يا ملك الموت، اذهبْ إلىٰ فلان فائتني بروحه لأريحه، حسبي من عمله قد بلوتُه فوجدته حيث أحب. فينزل ملَكُ الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران، كل واحد منهم يبشِّره ببشارة سوىٰ بشارة صاحبه، وتقوم الملائكة صفَّين لخروج روحه معهم الريحان، فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده علىٰ رأسه ثم صرخ. قال: فيقول له جنوده: ما لك يا سيدنا؟ فيقول: أما ترون ما أُعطيَ هذا العبد من الكرامة؟ أين كنتم عن هذا؟ قالوا: قد جهدنا به فكان معصومًا) قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث تميم الداري بإسناد ضعيف بزيادة كثيرة فيه، ولم يصرِّح في أول الحديث برفعه، وفي آخره ما دلَّ علىٰ أنه مرفوع. وللنسائي[٤] من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح: «إذا حُضِر الميت أرسل الله إليه ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضيةً مرضيًّا عنكِ إلىٰ روح وريحان ورب راضٍ غير غضبان ...» الحديث.

---

(١) الثبات عند الممات ص ١٣١.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٣٨٣.

(٣) المغني ٢/ ١٢١٢.

(٤) سنن النسائي ص ٢٩٦.

قلت: أما حديث تميم، فقال ابن أبي الدنيا في كتاب الموت: حدثني محمد ابن الحسين، حدثنا عمرو بن جرير الأحمسي، حدثنا بكر بن خُنَيس، عن ضِرار ابن عمرو، عن يزيد الرَّقاشي، عن أنس بن مالك قال: كان تميم الداري يحدِّثنا في زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال ذات يوم: «يقول الله تبارك وتعالىٰ لملك الموت: انطلِقْ يا ملك الموت إلىٰ وليِّي فائتني به، فإني قد ضربته بالسَّرَّاء والضَّرَّاء فوجدته حيث أحب، فائتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها. فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحَنُوط من حنوط الجنة، ومعهم ضبائر الريحان، أصل الريحانة واحد، وفي رأسها عشرون لونًا، لكل لون منها ريح سوىٰ ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر، فيجلس ملك الموت عند رأسه، وتحتوشه الملائكة، ويضع كل ملك منهم يده علىٰ عضو من أعضائه، ويُبسَط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه، ويُفتَح له باب إلىٰ الجنه. قال: فإنَّ نفسه عند ذلك لتعلَّل بطَرْف الجنة، مرةً بأزواجها، ومرة بكسوتها، ومرة بثمارها، كما يعلِّل الصبيَّ أهلُه إذا بكىٰ، وإن أزواجه يبتهشن عند ذلك ابتهاشًا[1]، وتنزو الروحُ نزوًا، ويقول ملك الموت: اخرجي أيَّتُها الروح الطيبة إلىٰ سِدْر مخضود وطَلْح منضود وظل ممدود وماء مسكوب. قال: ولَملكُ الموت أشد تلطُّفًا به من الوالدة بولدها، يعرف أن ذلك الروح حبيب إلىٰ ربِّه، كريم علىٰ الله، فهو يلتمس بلطفه بتلك الروح رضا الله عنه، فيسلُّ روحه كما تُسَلُّ الشعرة من العجين. قال: وإن روحه لَتخرجُ، والملائكة حوله يقولون: سلام عليكم، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون. وذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل: ٣٢] قال: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩] قال: روحٌ من جهد الموت، وريحان يُتلقَّىٰ به عند خروج نفسه، وجنة نعيم أمامه - أو قال: مقابله - فإذا قبض ملك الموت روحه يقول

(١) أي يفرحون ويبتهجون. وانظر تاج العروس ١٧/ ٨٩.

الروح للجسد: جزاكَ الله بي خيرًا، لقد كنت بي سريعًا إلىٰ طاعة الله، بطيئًا عن معصية الله، فهنيئًا لك اليوم فقد نجوتَ وأنجيتَ. ويقول الجسد للروح مثل ذلك. قال: وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع الله عليها وكلُّ باب من السماء كان يصعد منه عملُه وينزل منه رزقُه أربعين ليلة، فإذا قبضت الملائكة روحه أقامت الخمسمائة ملك عند جسده، لا يقلبه بنو آدم لشِقٍّ إلا قلبته الملائكةُ قبلهم، وعَلَتْه بأكفان قبل أكفانهم وحَنُوط قبل حنوطهم، ويقوم من باب بيته إلىٰ باب قبره صفَّان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار، ويصيح إبليس عند ذلك صيحةً يتصدَّع منها بعض عظام جسده، ويقول لجنوده: الويل لكم، كيف خَلَصَ هذا العبدُ منكم؟ فيقولون: إن هذا كان معصومًا. فإذا صعد ملك الموت بروحه إلىٰ السماء يستقبله جبريل عليه السلام في سبعين ألفًا من الملائكة، كلهم يأتيه ببشارة من ربِّه، فإذا انتهىٰ ملك الموت إلىٰ العرش خرَّت الروحُ ساجدةً لربِّها، فيقول الله لملك الموت: انطلِقْ بروح عبدي فضَعْه في سِدْر مخضود وطَلْح منضود وظل ممدود وماء مسكوب، فإذا وُضِع في قبره جاءت الصلاة فكانت عن يمينه، وجاء الصيام فكان عن يساره، وجاء القرآن والذِّكر فكانا عند رأسه، وجاء مشيُه إلىٰ الصلوات فكان عند رجليه، وجاء الصبر فكان ناحية القبر، ويبعث الله عنقًا من العذاب، فيأتيه عن يمينه، فتقول الصلاة: وراءك، واللهِ ما زال دائبًا عمرَه كلَّه، وإنما استراح الآن حين وُضع في قبره. قال: فيأتيه عن يساره، فيقول الصيام مثل ذلك. قال: فيأتيه من قِبَل رأسه، فيقال له مثل ذلك، فلا يأتيه العذاب من ناحية فيلتمس هل يجد إليه مساغًا إلا وجد وليَّ اللهِ قد أحرزته الطاعة. قال: فيخرج عنه العذاب عندما يرىٰ. ويقول الصبر لسائر الأعمال: أما إنه لم يمنعني أن أباشره أنا بنفسي إلا أني نظرت ما عندكم، فلو عجزتم كنت أنا صاحبه، فأما إذ أجزأتم عنه فأنا ذُخْرٌ له عند [الصراط وذخرٌ له عند] الميزان. قال: ويبعث الله إليه ملكين، أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأنيابهما كالصياصي، وأنفاسهما كاللهب، يطآنِ في أشعارهما،

بين مَنْكبَي كل واحد منهما مسيرةُ كذا وكذا، قد نُزِعت منهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين، يقال لهما: منكر ونكير، في يد كل واحد منهما مِطْرقة لو اجتمع عليها الثَّقَلان لم يُقِلُّوها، فيقولان له: اجلس. فيستوي جالسًا في قبره، فتسقط أكفانه في حَقْويه، فيقولان له: مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقول: ربِّي الله وحده لا شريك له، والإسلام ديني، ومحمد نبيِّي وهو خاتم النبيين. فيقولان له: صدقتَ. فيدفعان القبر فيوسِّعانه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن قِبَل رأسه ومن قِبَل رجليه، ثم يقولان له: انظر فوقك. فينظر فإذا هو مفتوح إلىٰ الجنة، فيقولان له: هذا منزلك يا وليَّ الله لمَّا أطعتَ الله». قال رسول الله ﷺ: «فوالذي نفس محمد بيده إنه لَتصلُ إلىٰ قلبه فرحة لا ترتدُّ أبدًا، فيقال له: انظر تحتك. فينظر تحته فإذا هو مفتوح إلىٰ النار، فيقولان: يا وليَّ الله، نجوتَ من هذا». قال رسول الله ﷺ: «فوالذي نفسي بيده إنه لَتصلُ إلىٰ قلبه عند ذلك فرحةٌ لا ترتدُّ أبدًا، ويُفتَح له سبعة وسبعون بابًا إلىٰ الجنة يأتيه ريحُها وبردُها حتىٰ يبعثه الله من قبره. قال: ويقول الله تعالىٰ لملك الموت: انطلِقْ إلىٰ عدوِّي فائتني به، فإني قد بسطت له رزقي، وسربلته نعمتي، وأبَىٰ إلا معصيتي، فائتني به لأنتقم منه اليوم. فينطلق إليه ملك الموت في أكره صورةٍ يراها أحد من الناس، له اثنتا عشرة عينًا، ومعه سَفُّود من نار كثير الشوك، ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم نُحاس وجمر من جمر جهنم، ومعهم سياط من نار تأجَّجُ، فيضربه ملك الموت بذلك السَّفُّود ضربةً يغيب أصلُ كل شوكة من ذلك السَّفُّود في أصل كل شعرة وعِرق من عروقه، ثم يلويه ليًّا شديدًا، فينزع روحه من أظفار قدميه فيلقيها في عقبَيْه، فيسكر عدوُّ الله عند ذلك سكرةً، وتضرب الملائكة وجهه ودُبره بتلك السياط، ثم يجبذه جبذةً فينزع روحه من عَقبيه فيلقيها في ركبتَيْه، فيسكر عدو الله سكرةً، وتضرب الملائكة وجهه ودُبره، ثم كذلك إلىٰ حَقْويه، ثم كذلك إلىٰ صدره، ثم كذلك إلىٰ حلقه، ثم تبسط الملائكة ذلك النُّحاس وجمر جهنم تحت ذقنه، ثم يقول ملك الموت: اخرجي

أَيَّتُها النفس اللعينة الملعونة إلىٰ سَمُوم وحميم وظلٍّ من يحموم لا بارد ولا كريم. فإذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد: جزاك الله عني شرًّا، لقد كنت سريعًا بي إلىٰ معصية الله، بطيئًا بي عن طاعة الله، فقد هلكتَ وأهلكتَ. ويقول الجسد للروح مثل ذلك، وتلعنه بقاع الأرض التي كان يعصي الله عليها، وتنطلق جنود إبليس إليه فيبشِّرونه بأنهم قد أوردوا عبدًا من بني آدم النارَ. فإذا وُضِع في قبره ضُيِّق عليه قبرُه حتىٰ تختلف أضلاعه فتدخل اليمنىٰ في اليسرىٰ، واليسرىٰ في اليمنىٰ، ويبعث الله إليه حيَّات دُهمًا فتأخذ بأرنبته وإبهام قدميه فتقوضه حتىٰ تلتقي في وسطه. قال: ويبعث الله إليه الملكين، فيقولان له: مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: لا دريت ولا تليتَ. فيضربانه ضربةً يتطاير الشرارُ في قبره، ثم يعود، فيقولان له: انظر فوقك. فينظر فإذا باب مفتوح إلىٰ الجنة، فيقولان له: عدوَّ الله، لو أطعتَ الله كان هذا منزلك. قال: فوالذي نفس محمد بيده إنه لَتصلُ إلىٰ قلبه عند ذلك حسرةٌ لا ترتدُّ أبدًا، ويُفتَح له باب إلىٰ النار، فيقال: عدوَّ الله، هذا منزلك لمَّا عصيتَ الله. ويُفتَح له سبعة وسبعون بابًا إلىٰ النار يأتيه حرُّها وسَمُومها حتىٰ يبعثه الله [من قبره] يوم القيامة إلىٰ النار»(١).

قال السيوطي في «أمالي الدرة الفاخرة» بعد أن أورده من طريق ابن أبي الدنيا: هذا حديث غريب، أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده الكبير عن أحمد بن إبراهيم الدورقي، عن محمد بن بكر البرساني، عن أبي عاصم البصري، عن بكر بن خُنَيس، عن ضرار، عن يزيد، عن أنس، عن تميم، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لملك الموت: انطلِقْ إلىٰ وليِّي ...» فذكره بطوله. قال الحافظ ابن حجر(٢): وهو شاهد لكثير مما ثبت في حديث البراء المشهور، لكن هذا عجيب السياق، غريب الإسناد، لا نعرف أحدًا

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١١/ ٥٥ - ٥٨. وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٤/ ٢٣٢ - ٢٣٧، وابن كثير في تفسيره ٤/ ٥٠٤ - ٥٠٧. وهو في الأمالي الخميسية لابن الشجري ٢/ ٢٩٠- ٢٩١ من رواية أنس عن النبي ﷺ، ليس فيه تميم الداري.

(٢) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ١٨/ ٥٤٥.

روىٰ عن أنس عن تميم إلا من هذا الوجه، ويزيد الرَّقاشي سيِّئ الحفظ جدًّا، كثير المناكير، كان لا يضبط الإسناد، ودونه مَن هو مثله أو أشد ضعفًا.

قال السيوطي: ومن شواهده حديث أبي هريرة، وله طرقٌ.

قلت: وسيأتي حديث البراء وحديث أبي هريرة فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ. وقول الحافظ «ودونه مَن هو مثله أو أشد ضعفًا» يعني أن رُواته من بعد يزيد ضعفاء، ضِرار بن عمرو الملطي الراوي له عن يزيد، قال الذهبي[١]: متروك. والراوي عنه بكر بن خنيس الكوفي، قال الدارقطني: متروك[٢]. وقال الحافظ في تهذيب التهذيب[٣]: كوفي، عابد، سكن بغداد، صدوق، له أغلاط، أفرط فيه ابن حبَّان[٤]، وهو من رجال الترمذي وابن ماجه. وأبو[٥] عاصم البصري في سياق أبي يعلىٰ هو العَبَّاداني، اسمه عبد الله بن عبيد الله، أو بالعكس، ويقال: ابن عبدٍ، بغير إضافة، من رجال ابن ماجه، ليِّن الحديث. وقال الذهبي[٦]: روىٰ عن الفضل الرَّقاشي، له حديث منكر. وعمرو بن جرير الأحمسي في سياق ابن أبي الدنيا، ويقال: البَجَلي، أبو سعيد، قال الذهبي[٧] كذلك. ومحمد بن الحسين شيخ ابن أبي الدنيا هو أبو الفتح الأزدي الحافظ، صاحب مناكير، ضعَّفه البُرقانيُّ[٨].

---

(١) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ١٩٨.

(٢) ذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ص ٩٢، وقال في سننه ٣/ ٢٨: ضعيف.

(٣) بل في تقريب التهذيب ص ١٧٥.

(٤) المجروحون من المحدثين ١/ ٢٢٣، ونصه: «يروي عن البصريين والكوفيين أشياء موضوعة يسبق إلىٰ القلب أنه المتعمد لها».

(٥) تقريب التهذيب ص ١١٦٨.

(٦) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٤٦٢.

(٧) المغني في الضعفاء ٢/ ٦٣.

(٨) قال الخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٣٧: «سألت أبا بكر البرقاني عن أبي الفتح الأزدي، فأشار إلىٰ أنه كان ضعيفا، وقال: رأيته في جامع المدينة وأصحاب الحديث لا يرفعون به رأسا ويتجنبونه».

فصل في ضبط ألفاظ تقدَّمت في الحديث: قوله «ضَبائر» بضاد معجمة وباء موحدة آخره راء، قال ابن الأثير في النهاية[١]: هي الجماعات في تفرقة، واحدتها: ضِبارة، بالكسر، مثل عمارة وعمائر، وكل مجتمِع ضِبارةٌ. وقوله «بطُرَف الجنة» بضم المهملة وفتح الراء، جمع طرفة وهي المستحدَث من المال، كالطريف والطارف، وهو خلاف التَّليد والتالد. وقوله «ليبتهشن» في النهاية[٢]: يقال للإنسان إذا نظر إلىٰ شيء فأعجبه واشتهاه وأسرع نحوه: قد بَهَشَ إليه. وفي الصحاح[٣]: بَهَشَ إليه يبهَش بَهْشًا: إذا ارتاح له وخفَّ إليه. وقوله «تنزو الروح»، في الصحاح: [قلبي] ينزو إلىٰ كذا: أي ينازع إليه ويسرع ويَثِبُ إليه[٤]. وفي النهاية[٥] نحوه. وقيل: تنزو: أي تنسلُّ. وقوله «دائبًا» من الدؤب، أي جادًّا تعِبًا. وقوله «عنقًا من العذاب»: أي طائفة منه. وقوله «كالصياصي» بمهملتين، وهي قرون البقر، جمع صيصية، بالتخفيف. والسَّفُّود كتَنُّور: الحديدة التي يُشوَىٰ بها اللحم. والنُّحاس: الدخان الذي لا لهب فيه. والتأجُّج بجيمين: التوقُّد. وقوله «دُهمًا» يحتمل أن يكون بضم أوله، أي سودًا، فيكون جمع دهماء. ويحتمل أن يكون بفتحه، أي عددًا كثيرًا، فيكون مفردًا، والجمع: دُهوم. وقوله «فتقوضه» بقاف ثم واو ثم ضاد معجمة، في الصحاح[٦]: قوَّضتُ البناءَ: نقضته من غير هدم، وتقوَّضت الحِلَقُ والصفوف: انتقضت وتفرَّقت. وفي النهاية[٧]: تقويض الخيام: قلعُها وإزالتها، وقوَّضت الحُمَّرةُ: جاءت وذهبت ولم تقرَّ.

---

(١) النهاية ٣/ ٧١.
(٢) السابق ١/ ١٦٦.
(٣) الصحاح ٣/ ٩٩٦.
(٤) عبارة الصحاح ٦/ ٢٥٠٧: «قلبي ينزو إلىٰ كذا: أي ينازع إليه، والتنزي: التوثب والتسرع».
(٥) النهاية ٥/ ٤٤، ونصه: «الانتزاء والتنزي: تسرع الإنسان إلىٰ الشر».
(٦) الصحاح ٣/ ١١٠٣.
(٧) النهاية ٤/ ١٢١.

وأما حديث أبي هريرة الذي عزاه العراقيُّ للنسائي فسيأتي للمصنف في بيان عذاب القبر وسؤال منكَر ونكير، وكذا حديث البراء الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر، ونتكلم عليهما هناك إن شاء الله تعالىٰ.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله، ومَن كانت راحته في لقاء الله تعالىٰ فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه**) رواه أبو نعيم في الحلية. وقد رواه وكيع[1] وأحمد[2] كِلاهما في الزهد عن ابن مسعود من قوله بلفظ: لا راحة للمؤمن دون لقاء ربِّه. قال السخاوي[3]: ورفعه بعضُهم، واستشهد له بحديث عائشة «مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه». وكذا من شواهده ما عند أحمد[4] من حديث عائشة: «إنما المستريح مَن غُفر له».

(**وقيل لجابر**[5] **بن زيد**) أبي الشعثاء الأزدي البصري التابعي الثقة، مشهور بكنيته، مات سنة ثلاث وتسعين، روىٰ له الجماعة (**عند الموت: ما تشتهي؟ قال: نظرة إلىٰ الحسن**) وهو البصري (**فلمَّا دخل عليه الحسن قيل له: هذا الحسن. فرفع طرفه إليه ثم قال: يا إخوتاه، الساعةَ واللهِ أفارقكم إلىٰ النار أو إلىٰ الجنة**) قال أبو نعيم في الحلية[6]: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر ابن موسىٰ، حدثنا الحُمَيدي، حدثنا سفيان، حدثنا أبو عمير الحارث بن عمير قال: قالوا لجابر بن زيد عند الموت: أيَّ شيء تريد - أو: تشتهي؟ قال: نظرة إلىٰ الحسن.

أخبرنا محمد بن أحمد في كتابه، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا سليمان بن

---

(١) الزهد ص ٣١١.

(٢) الزهد ص ١٢٨. ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٥٣ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٣٦ بلفظ: «ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله، ومن كانت راحته في لقاء الله فكأن قد».

(٣) المقاصد الحسنة ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٤) مسند أحمد ٤٠/ ٤٦٣، ٤١/ ٢٤٠.

(٥) تقريب التهذيب ص ١٩١.

(٦) حلية الأولياء ٣/ ٨٩.

حرب، حدثنا حمَّاد بن زيد، حدثنا حبيب بن الشهيد، عن ثابت قال: لمَّا ثقلَ جابرُ بن زيد قيل له: ما تشتهي؟ قال: نظرة إلىٰ الحسن. قال: فأتيت الحسن فأخبرته، فركب إليه، فلما دخل عليه قال لأهله: أرقِدوني. فجلس، فما زال يقول: أعوذ بالله من النار ومن سوء الحساب.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثني صَلْت بن دينار، حدثني عروة صاحب الخمر أنه شهد جابرَ بن زيد عند موته يتبرأ من قريب وزحاف ومن الإباضية. قال: وقيل: ما تشتهي؟ قال: نظرة من الحسن. فأُعلِم الحسن فجاءه، فقال: يا أبا سعيد، قد نزل بي الموت، فما تأمرني؟ فقال: ليست بساعة صلاة ولا صيام، ولكن عليك بحسن الظن بالله.

(وقال) أبو عبد الله **(محمد بن واسع)** البصري العابد رحمه الله تعالىٰ **(عند الموت: يا إخوتاه، عليكم السلام إلىٰ النار أو يعفو الله)**[١] رواه أبو نعيم في الحلية[٢] عن عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا سعيد بن عامر قال: سمعت حزمًا يحدِّث قال: قال محمد بن واسع: يا إخوتاه، تدرون أين يُذهَب بي؟ [يُذهَب بي] واللهِ الذي لا إله إلا هو إلىٰ النار أو يعفو الله عني.

وقال ابن الجوزي في كتاب الثبات[٣]: أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم، أنبأنا محمد بن علي العميري، أخبرنا أبو الفضل محمد بن محمد الفامي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن أحمد المرواني، حدثنا محمد بن المنذر، حدثنا عبد الله بن

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١٤٢ عن عبد الواحد بن زيد قال: حضرت محمد بن واسع عند الموت، فجعل يقول لأصحابه: عليكم السلام، إلىٰ النار أو يعفو الله.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٤٨.

(٣) الثبات عند الممات ص ١٤٥ - ١٤٦.

يحيىٰ، حدثنا العتبي قال: حدثني محمد بن عبد الله مولىٰ الثقفيين قال: دخلنا علىٰ محمد بن واسع وهو يقضي، فقال: يا إخوتاه، هبوني وإيَّاكم سألنا اللهَ الرجعةَ فأعطاكموها ومنعنيها، فلا تخسروا أنفسكم.

(وتمنَّىٰ بعضُهم أن يبقىٰ في النزع أبدًا ولا يُبعَث لثواب ولا عقاب).

(فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين، وهي من الدواهي العظيمة عند الموت، وقد ذكرنا معنىٰ سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء، وهو لائق بهذا الموضع، ولكننا لا نطوِّل بذكره وإعادته).

وهذه فصول نذكر فيها ما يتعلَّق بمقدِّمات الموت، وبمَن دنا أجلُه، وكيفية الموت وشدته، وما جاء في ملك الموت وأعوانه، ومَن يحضر الميتَ من الملائكة وغيرهم.

فصل في نذير الموت: قال القرطبي[1]: ورد في الخبر أن بعض الأنبياء قال لملك الموت: أما لك رسولٌ تقدِّمه بين يديك ليكون الناس علىٰ حذر منك؟ قال: نعم، واللهِ لي رسل كثيرة من الأعلال والأمراض والشيب والهرم وتغيُّر السمع والبصر، فإذا لم يتذكَّر مَن نزل به ذلك ولم يتُبْ ناديتُه إذا قبضتُه: ألم أقدِّم إليك رسولاً بعد رسول ونذيرًا بعد نذير، فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول، وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[2] عن مجاهد قال: ما من مرض يمرضه العبدُ إلا ورسول ملك الموت عنده، حتىٰ إذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت فقال: أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به، وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا.

---

(١) التذكرة ص ١٩٩.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٩١.

وروىٰ البخاري[١] من حديث أبي هريرة: «أعذر اللهُ إلىٰ امرئ أُخِّرَ أجله حتىٰ بلغ ستين سنة».

يقال: أعذر في الأمر: أي بالَغَ فيه فلم يترك لصاحبه عذرًا.

فصل فيمَن دنا أجلُه وكيفية الموت وشدته: روىٰ عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد[٢] عن [لقمان الحنفي و] يوسف بن يعقوب الحنفي قالا: بلغنا أن يعقوب عليه السلام لمَّا أتاه البشيرُ قال له: ما أدري ما أثيبك اليوم، إلا أنه هوَّن الله عليك سكرات الموت.

وروىٰ الطبراني[٣] وأبو نعيم[٤] من حديث ابن مسعود: «إن نفس المؤمن تخرج رشحًا، وإن نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار، وإن المؤمن لَيعملُ الخطيئة فيشدَّد بها عليه عند الموت ليكفَّر بها عنه، وإن الكافر لَيعملُ الحسنة فيسهَّل عليه عند الموت ليُجزَىٰ بها».

وروىٰ الدينوري في المجالسة عن وهيب بن الورد: يقول الله تعالىٰ: إني لا أُخرِجُ أحدًا من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتىٰ أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقمًا في جسده، ومصيبة في أهله وولده، وضِيقًا في معاشه، وإقتارًا في رزقه، حتىٰ أبلغ منه مثاقيل الذَّر، فإن بقي عليه شيءٌ شدَّدتُ عليه الموتَ حتىٰ يفضي إليَّ كيوم ولدته أمُّه. وعزَّتي لا أُخرِجُ عبدًا من الدنيا وأنا أريد أن أعذِّبه حتىٰ أوفيه بكل حسنة عملها صحةً في جسده، وسعة في رزقه، ورغدًا في عيشه، وأمنًا في سِربه، حتىٰ أبلغ منه مثاقيل الذر، فإن بقي له شيء هوَّنتُ عليه الموتَ حتىٰ يفضي إليَّ وليس له حسنة

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٧٦.

(٢) ورواه أيضا ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٢١٩٩ عن لقمان الحنفي.

(٣) المعجم الكبير ١٠/ ٩٨.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٥٩. وهو عند عبد الرزاق ٣/ ٥٩٥، وابن أبي شيبة ٣/ ٣٧٠ في مصنفيهما.

يتَّقي بها النارَ[١].

وروىٰ ابن ماجه من حديث عائشة: «إن المؤمن ليؤجَر في كل شيء حتىٰ في الكَظ عند الموت».

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن عمار بن نصر عن قتيبة قال: سمعت شيخًا يقول: سمعت الضحَّاك بن حُمْرة يقول: سُئل رسول الله ﷺ عن الموت، فقال: «أدنىٰ جَبَذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف».

قال السيوطي في الأمالي: هو حديث ضعيف معضَل، والضحَّاك بن حُمْرة - بضم الحاء المهملة وسكون الميم - واسطيٌّ، نزل الشام، من أتباع التابعين، أرسل عن أنس، ضعَّفه يحيىٰ بن معين[٢] والنسائي[٣] وغيرهما، ووثَّقه ابنُ حبَّان[٤]. وبقية مدلِّس، وقد أبهمَ شيخَه.

ويقرُب منه ما رواه الحارث بن أبي أسامة[٥] من طريق ابن أبي روَّاد عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار رفعه: «معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، وما من مؤمن يموت إلا وكل عِرق منه يألم علىٰ حِدَته، وأقرب ما يكون عدوُّ الله منه في تلك الساعة».

ورواه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن حاتم عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن مروان بن سالم عن أبي حسين البرجمي رفعه بأطول منه، وفيه: «وإن إبليس عدوَّ الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وتركِ الأحِبَّاء».

---

(١) أورده السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ٤١٦ مرفوعا من حديث أبي سعيد الخدري. وأورد الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ١٨٦ الشطر الأول منه فقط.

(٢) نقل ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤/ ٤٦٢ عنه أنه قال: واسطي، أصله شامي، ليس بشيء.

(٣) الضعفاء والمتروكون ص ١٤١، وفيه: ليس بثقة.

(٤) الثقات ٦/ ٤٨٤.

(٥) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

وروىٰ أبو نعيم[١] من حديث واثلة بن الأسقع: «والذي نفسي بيده لَمعاينةُ ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف».

وروىٰ الخطيب[٢] من حديث أنس: «لَمعالجةُ ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف».

وروىٰ أحمد في الزهد من حديث أنس: «إن الملائكة تكتنف العبد وتحبسه، ولولا ذلك لكان يعدو في الصحاري والبَراري من شدة سكرات الموت».

قال في الصحاح[٣]: اكتنفوه: أحاطوا به.

وروىٰ أبو الشيخ في كتاب العظمة[٤] عن الفضيل بن عياض أنه قيل له: ما بال الميت تُنزَع نفسه وهو ساكت، وابن آدم يضطرب من القرصة؟ قال: إن الملائكة توثقه.

وروىٰ أحمد في الزهد[٥] عن ابن عباس قال: آخر شدة يلقاها المؤمن الموت.

وروىٰ أبو نعيم[٦] والمروزي والبيهقي في الشعب[٧] عن عمر بن عبد العزيز قال: ما أحب أن تهوَّن عليَّ سكرات الموت؛ لأنه آخر ما يؤجَر به المسلم.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن أنس[٨] قال: لم يلقَ ابن آدم شيئًا قط منذ خلقه الله

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ١٨٦.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢.

(٣) الصحاح للجوهري ٤/ ١٤٢٤.

(٤) العظمة ٣/ ٨٩٦.

(٥) بل في المسند ٣/ ٤١٦.

(٦) حلية الأولياء ٥/ ٣١٦ - ٣١٧.

(٧) شعب الإيمان ١٢/ ٤٥٦، وزاد: ويكفر به عنه.

(٨) ورواه أحمد في مسنده ٢٠/ ٣٢ من حديثه مرفوعا، وزاد في آخره: «ثم إن الموت لأهون مما بعده». وزاد الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٢٧٧ وابن عدي في الكامل ٣/ ١٣٠١ بعد هذه الزيادة: «وإنهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدة حتىٰ يلجمهم العرق، حتىٰ لو أن السفن أجريت فيه لجرت».

أشد عليه من الموت.

وروىٰ سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال: إن أشد ما يلقَىٰ ابنُ آدم من أمر الآخرة الموت.

وروىٰ عن زيد بن أسلم أن رجلاً قال لكعب: ما الداء الذي لا دواء له؟ قال: الموت. قال زيد بن أسلم: إن الموت داءٌ، ودواؤه رضوان الله[1].

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن الحسن قال: أشد ما يكون من الموت علىٰ العبد إذا بلغت الروحُ التَّراقي، فعند ذلك يضطرب ويعلو نفَسُه.

قال السيوطي: قد اختصَّ الشهيدُ بأن لا يجد من ألم الموت ما يجده غيره.

روىٰ الطبراني[2] من حديث أبي قتادة: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم [مسَّ] القرصةِ».

وروىٰ ابن أبي الدنيا[3] عن محمد بن كعب القُرَظي قال: بلغني أن آخر مَن يموت ملك الموت، يقال له: يا ملك الموت، مُتْ[4]. فيصرخ عند ذلك صرخة لو سمعها أهل السموات وأهل الأرض لماتوا فزعًا، ثم يموت.

وروىٰ عن زياد النُّمَيري قال: قرأت في بعض الكتب أن الموت أشد علىٰ ملك الموت منه علىٰ جميع الخَلق.

فصل فيما يتعلَّق بدواهي الموت الثلاثة: روىٰ ابن أبي حاتم وابن أبي شيبة في المصنَّف[5] عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٤٤ - ٤٥.

(٢) المعجم الأوسط ١/ ٩٣.

(٣) الأهوال ص ٩٢.

(٤) في الأهوال: مت موتا لا تحيا بعده أبدا.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٢٨.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ قال: أعوان ملك الموت من الملائكة.

وروىٰ أبو الشيخ في تفسيره[١] عن إبراهيم النَّخَعي مثله، وزاد: ثم يقبضها ملكُ الموت منهم بعدُ.

وروىٰ أبو الشيخ في كتاب العظمة[٢] عن وهب بن منبه قال: إن الملائكة الذين يُقرَنون بالناس هم الذين يتوفَّونهم ويكتبون لهم آجالَهم، فإذا توفَّوا النفس دفعوها إلىٰ ملك الموت، وهو كالعاقب. يعني العَشَّار الذي يؤدِّي إليه مَن تحته.

وروىٰ ابن أبي حاتم[٣] عن أبي هريرة قال: لمَّا أراد الله تعالىٰ أن يخلق آدم عليه السلام بعث ملكًا من حَمَلة العرش يأتي بتراب من الأرض، فلمَّا أهوىٰ ليأخذ قالت الأرض: أسألك بالذي أرسلك أن لا تأخذ مني اليوم شيئًا يكون للنار منه نصيب غدًا. فتركها، فلما رجع إلىٰ ربِّه قال: ما منعك أن تأتي بما أمرتُك؟ قال: سألتني بك [فعظَّمت أن أردَّ شيئًا سألني بك] فأرسل آخر، فقال مثل ذلك، حتىٰ أرسلهم كلَّهم، فأرسل ملك الموت، فقالت له مثل ذلك، فقال: إن الذي أرسلني أحق بالطاعة منكِ. فأخذ من وجه الأرض كلها من طيِّبها وخبيثها فجاء به إلىٰ ربِّه، فصبَّ عليه من ماء الجنة، فصار حمأ مسنونًا، فخلق منه آدم عليه السلام.

وروىٰ أبو حذيفة إسحاق بن بشر في كتاب المبتدأ عن ابن إسحاق عن الزهري نحوه، وسمَّىٰ الملَك المرسَل أولاً إسرافيل، والثاني ميكائيل.

---

(١) ورواه أيضا في العظمة ٣/ ٩٢١.

(٢) العظمة ٣/ ٩٣٣. وفيه بعد قوله «ويكتبون لهم آجالهم» «فإذا كان يوم كذا توفته. ثم قرأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾. فقيل لوهب: أليس قد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ قال: نعم، إن الملائكة إذا توفوا أنفسنا دفعوها ...» الخ.

(٣) ورواه أيضا ابن بشران في أماليه ١/ ٢٨٨.

وروىٰ ابن عساكر[(١)] من طريق السُّدِّي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مُرَّة عن ابن مسعود وناس من الصحابة نحوه، وسمَّىٰ المرسَل أولاً جبريل، والثاني ميكائيل.

وروىٰ ابن عساكر[(٢)] أيضًا عن يحيىٰ بن خالد نحوه، وسمَّىٰ الأول جبريل، والثاني ميكائيل، وقال في آخره: فسمَّاه ملك الموت ووكَّله بالموت.

وروىٰ ابن أبي شيبة[(٣)] وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة[(٤)] والبيهقي في الشعب[(٥)] عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال: يدبِّر أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فأما جبريل فصاحب الجنود والريح، وأما ميكائيل فصاحب القَطْر والنبات، وأما ملك الموت فموكَّل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو يتنزَّل عليهم بالأمر. وفي لفظ: بما يؤمَرون.

وروىٰ أبو الشيخ في العظمة[(٦)] عن الربيع بن أنس أنه سُئل عن ملك الموت هل هو وحده الذي يقبض الأرواح؟ قال: هو الذي يلي أمرَ قبضِ الأرواح، وله أعوان علىٰ ذلك، غير أن ملك الموت هو الرئيس، وكل خطوة منه من المشرق إلىٰ المغرب. قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال: عند السِّدْرة.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝﴾ [النازعات: ٥] قال: ملائكة تكون مع ملك الموت، يحضرون الموتىٰ عند قبض

---

(١) تاريخ دمشق ٧/ ٣٧٧.

(٢) السابق ٧/ ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦١.

(٤) العظمة ٣/ ٨٠٨. وفي رواية أخرىٰ له ٣/ ٨١٠: «يدبر الدنيا والأمر أربعة أملاك، فجبريل علىٰ الجنود والريح، وميكائيل علىٰ القطر والنبات، وملك الموت علىٰ الأنفس، وكل هؤلاء ترفع إلىٰ إسرافيل».

(٥) شعب الإيمان ١/ ٣١٦.

(٦) العظمة ٣/ ٨٩١. والسائل هو أبو جعفر الرازي.

أرواحهم، فمنهم مَن يعرج بالروح، ومنهم مَن يؤمِّن علىٰ الدعاء، ومنهم مَن يستغفر للميت حتىٰ يصلَّىٰ عليه ويدلَّىٰ في حفرته.

وروىٰ أيضًا عن عكرمة في قوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [القيامة: ٢٧] قال: أعوان ملك الموت، يقول بعضهم لبعض: مَن يرقَىٰ بروحه من أسفل قدمه إلىٰ موضع خروج نفسه.

فصل: روىٰ أبو نعيم[1] عن الأعمش قال: كان ملك الموت يظهر للناس، فيأتي الرجلَ فيقول: اقضِ حاجتَك، فإني أريد أن أقبض روحك. فشكا، فأُنزِل الداء، وجُعل الموت [خفاءً].

وروىٰ أحمد[2] والبزار[3] والحاكم[4] وصحَّحه من حديث أبي هريرة: «كان ملك الموت يأتي الناسَ عيانًا، فأتىٰ موسىٰ عليه السلام، فلطمه ففقأ عينه، فأتىٰ ربَّه فقال: يا رب، عبدك موسىٰ فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لشققتُ عليه. قال له: اذهب إلىٰ عبدي فقلْ له: فليضع يده علىٰ جلد ثور، فله بكل شعرة وارتْ يدُه سنةٌ. فأتاه، فقال له: ما بعد هذا؟ قال: الموت. قال: فالآن. قال: فشمَّه شمَّةً فقبض روحه، وردَّ الله إليه عينَه، فكان بعدُ يأتي الناسَ خُفيةً».

وروىٰ أبو حذيفة إسحاق بن بشر[5] في كتاب المبتدأ عن ابن عمر قال: قال

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٥١.

(٢) مسند أحمد ١٣/ ٨٤، ٥٠٦، ١٤/ ٢٦٥، ١٦/ ٥٢٥.

(٣) مسند البزار ١٧/ ٦٨ - ٦٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٨٠. والحديث رواه البخاري ١/ ٤١١، ٢/ ٤٧٨، ومسلم ٢/ ١١١٣. وفي آخره: «فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر». قال رسول الله ﷺ: «لو أني عنده لأريتكم قبره إلىٰ جانب الطريق عند الكثيب الأحمر».

(٥) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٢٥٥ - ٢٥٦، ولفظه: «لما دخل ملك الموت علىٰ إبراهيم لقبض روحه سلم عليه، فرد عليه السلام فقال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قد أُمرت بك. فبكىٰ إبراهيم حتىٰ سمع بكاءه إسحاق، فدخل فسلم عليه فقال: يا خليل الله، ما يبكيك؟ قال: =

ملك الموت: يا رب، إن عبدك إبراهيم جزع من الموت. فقال له: قلْ له: الخليل إذا طال به العهدُ من خليله اشتاق إليه. فبلَّغه، فقال: نعم يا رب، قد اشتقتُ إلىٰ لقائك. فأعطاه ريحانة فشمَّها فقبض فيها [روحه].

وروىٰ أبو الشيخ[1] عن محمد بن المنكدر أن ملك الموت قال لإبراهيم عليه السلام: إن ربَّك أمرني أن أقبض نفسك بأيسر ما قُبِضت نفس مؤمن. قال: فإني أسألك بحقِّ الذي أرسلك أن تراجعه فيَّ. فقال: إن خليلك سألني أن أراجعك فيه. فقال: ائتِه وقلْ له: إن ربَّك يقول: إن الخليل يحب لقاء خليله. فأتاه فقال له، فقال: امضِ لِما أُمِرتَ به. قال: يا إبراهيم، هل شربتَ شرابًا قط؟ قال: لا. قال: فاستنكهه فقبض نفسه علىٰ ذلك.

فصل: روىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[2] عن عبد الله بن عيسىٰ قال: كان فيمَن كان قبلكم رجل عبدَ اللهَ أربعين سنة في البر، ثم قال: يا رب، قد اشتقتُ أن أعبدك في البحر، فأتىٰ قومًا فاستحملهم فحملوه، وجرتْ بهم سفينتُهم ما شاء الله أن تجري، ثم قامت، فإذا شجرة في ناحية الماء، فقال: ضعوني علىٰ هذه الشجرة. فوضعوه، وجرتْ بهم سفينتُهم، فأراد ملَكٌ أن يعرج إلىٰ السماء، فتكلم بكلامه الذي كان يعرج به، فلم يقدر علىٰ ذلك، فعلم أن ذلك لخطيئة كانت منه، فأتىٰ صاحبَ الشجرة فسأله أن يشفع له إلىٰ ربِّه، فصلىٰ ودعا للملَك، وطلب إلىٰ ربِّه أن يكون هو يقبض نفسه؛ ليكون أهون عليه من ملك الموت، فأتاه حين حضر

= هذا ملك الموت يريد أن يقبض روحي. فبكىٰ إسحاق حتىٰ علا بكاؤه بكاء إبراهيم، فانصرف ملك الموت إلىٰ الله عز وجل فقال: يا رب، إن عبدك إبراهيم جزع من الموت جزعا شديدا. فقال: يا جبريل، خذ ريحانة من الجنة فانطلق بها مع ملك الموت إلىٰ إبراهيم وحيِّه بها وقل له: الخليل إذا طال به العهد من خليله اشتاق إليه، وأنت خليل، أما تشتاق إلىٰ خليلك؟ فأتاه وبلغه رسالة ربه ودفع إليه الريحانة، فقال: نعم يا رب، قد اشتقت إلىٰ لقائك. فشم الريحانة فقبض فيها».

(١) العظمة ٣/ ٩١٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦٤.

أجلُه فقال: إني طلبت إلىٰ ربِّي أن يشفِّعني فيك كما شفَّعك فيَّ، وأن أكون أنا أقبض نفسك، فمن حيث شئتَ قبضتُها. فسجد سجدةً فخرجت من عينه دمعةٌ فمات.

وروىٰ ابن عساكر في تاريخه[1] عن أبي زُرعة قال: قال لي بُخَيت بن أبي عبيد البُسْري: رأيت ملك الموت في النوم وهو يقول: قلْ لأبيك يصلي عليَّ حتىٰ أرفق به عند قبض روحه. فحدَّثت أبي بما رأيت، فقال: يا بني، لأنا بملك الموت آنس مني بأمِّك.

وروىٰ ابن عساكر[2] من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال: ذكرتُ حديثًا رواه ابن عمر: «ما حقُّ امرئ مسلم يبيت ثلاث ليالٍ إلا ووصيَّته مكتوبة عند رأسه، فدعوتُ بدواة وقرطاس لأكتب وصيَّتي، فغلبني النومُ فنمت ولم أكتبها، فبينا أنا نائم إذ دخل داخلٌ أبيض الثياب، حسن الوجه، طيِّب الريح، فقلت: يا هذا، مَن أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربُّها. قلت: مَن أنت؟ قال: ملك الموت. فرعبت منه، فقال: لا تُرَعْ، إني لم أؤمَر بقبض روحك. قلت: فاكتبْ لي إذًا براءةً من النار. قال: هاتِ دواة وقِرطاسًا. فمددت يدي إلىٰ الدَّواة والقرطاس الذي نمت عنه وهو عند رأسي فناولته، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أستغفر الله، أستغفر الله. حتىٰ ملأ ظهر الكاغد وبطنه، ثم ناولنيه وقال: هذه براءتك رحمك الله. وانتبهت فزعًا، ودعوت بالسراج، فنظرت فإذا القرطاس الذي نمت وهو عند رأسي مكتوب بظهره وبطنه: أستغفر الله، أستغفر الله.

فصل: قال القرطبي: لا تَنافي بين قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨، ٣٢] وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] لأن إضافة التوفِّي إلىٰ ملك الموت

(١) تاريخ دمشق ٥٢/ ٢٨٩.

(٢) السابق ٨/ ٣٤٩، ١٩/ ٢٩١.

لأنه المباشر للقبض، وإلىٰ الملائكة الذين هم أعوانه لأنهم يأخذون في جذبها من البدن، فهو قابض، وهم معالِجون. وإلىٰ الله لأنه الفاعل علىٰ الحقيقة. وقال الكلبي: يقبض ملك الموت الروح، ثم يسلِّمها إلىٰ ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب[١].

---

(١) انظر نص القرطبي في التذكرة ص ٢٤٨.

بيان ما يُستحَب من أحوال المحتضر عند الموت

وفيه بيان علامة الخير، والأمر بتحسين الظن بالله، والخوف منه، وبيان ما يشاهد من أسرار الملكوت.

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ **(أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضَر)** يقال[١]: حضره الموتُ واحتضره: أشرفَ عليه فهو في النزع، وهو محضور ومحتضَر، بالفتح **(هو الهدء والسكون)** أي عدم الانزعاج في ظاهره من الجوارح **(و)** المحبوب **(من لسانه أن يكون ناطقًا بالشهادة)** أي بكلمتها وهي: لا إله إلا الله **(و)** المحبوب **(من قلبه أن يكون حَسن الظن بالله تعالىٰ. أما الصورة، فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: ارقبوا الميت عند ثلاث: إذا رشح جبينُه ودمعت)** وفي نسخة: ذرفت **(عيناه ويبست شفتاه، فهي من رحمة الله تعالىٰ قد نزلت به. وإذا غطَّ غطيطَ المخنوق واحمرَّ لونُه وأزبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به)** قال العراقي[٢]: رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول[٣] من حديث سلمان، ولا يصح.

قلت: وكذلك رواه الخليلي في مشيخته[٤]، ولفظهما: «ارقبوا الميت عند وفاته [ثلاثًا] فإذا ذرفت عيناه ورشح جبينُه وانتشر منخراه فهي رحمة من الله قد نزلت به، وإذا غطَّ غطيطَ البكر المخنوق وكمد لونُه وأزبد شِدقاه فهو عذاب من الله قد نزل به».

---

(١) المصباح المنير ص ١٤٠.

(٢) المغني ٢/ ١٢١٣.

(٣) نوادر الأصول ص ٣٧٢.

(٤) ومن طريقه رواه الرافعي في التدوين ١/ ٤٩٨.

وقد وردت في رشح الجبين أحاديث أوردها السيوطي في «أمالي الدرَّة الفاخرة».

فصل: ومن علامات خاتمة الخير ما رواه الترمذي[١] والحاكم[٢] من حديث أنس: «إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله». قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفِّقه لعمل صالح قبل الموت».

وروىٰ أحمد[٣] والحاكم[٤] من حديث عمرو بن الحمق: «إذا أحب الله عبدًا عسلَه». قالوا: وما عسله؟ قال: «يوفِّق له عملاً صالحًا بين يدي أجله حتىٰ يرضىٰ عنه جيرانه».

وروىٰ ابن أبي الدنيا من حديث عائشة: «إذا أراد الله بعبد خيرًا بعث إليه قبل موته بعام ملَكًا يسدِّده ويوفِّقه حتىٰ يموت علىٰ خير أحايينه، فيقول الناس: مات فلان علىٰ خير أحايينه. فإذا حُضِر ورأىٰ ما أعدَّ الله له جعل يتهوَّع نفسه من الحرص علىٰ أن تخرج، فهنالك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإذا أراد الله بعبد شرًّا قيَّض له قبل موته بعام شيطانًا يضلُّه ويغويه حتىٰ يموت علىٰ شرِّ أحايينه، فيقول الناس: قد مات فلان علىٰ شرِّ أحايينه. فإذا حُضِر ورأىٰ ما أُعِدَّ له جعل يتبلَّع نفسَه كراهيةَ أن تخرج، فهنالك كره لقاءَ الله وكره الله لقاءه»[٥].

قال ابن هبيرة في الإفصاح في معنىٰ هذا الحديث: اعلمْ أن خروج الروح عند دعاء ملك الموت له من جنس دعاء الحاوي بالحية من جُحْرِها، وخروج

(١) سنن الترمذي ٤/ ٢١.
(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٨٣.
(٣) مسند أحمد ٣٦/ ٢٨٠.
(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٨٣.
(٥) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٩١، والآجري في الشريعة ٢/ ٩٦٦، والبيهقي في القضاء والقدر ٣/ ٧٤٣.

الجسمين عند الدعاء علىٰ حد سواء، فأما المؤمن فيتهوَّع نفسَه، أي يستدعي إخراجَها؛ إذ التهوُّع إنما هو استدعاء القيء للبروز. وأما الكافر فيتبلَّع روحَه، والتبلُّع: ردُّ الجسم الذي في الفم، فهو يريد الرجوع إلىٰ الجوف.

وقال بعض العلماء: الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة - والعياذ بالله - أربعة: التهاون بالصلاة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وأذىٰ المسلمين[(١)].

(وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير. قال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: لَقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله)** قال ابن حبان[(٢)] وغيره: أراد به مَن حضره الموتُ.

أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد ابن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحيىٰ، أخبرنا يوسف بن عبد الله الحَسَني، أخبرنا الجلال أبو الفضل الحافظ، أخبرتني أم الفضل ابنة محمد قراءةً قالت: أخبرنا إبراهيم بن أحمد المقري، أخبرنا أحمد بن أبي طالب، أخبرنا عبد الله ابن عمر، أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا أبو محمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الشاشي، أخبرنا عبد بن حميد[(٣)]، حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا سليمان بن بلال، عن عُمارة بن غزيَّة، عن يحيىٰ بن عمارة، عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَقِّنوا موتاكم قول: لا إله إلا الله». هذا حديث صحيح أخرجه أحمد[(٤)] ومسلم[(٥)] وأبو داود[(٦)]

---

(١) انظر: شرح الصدور ص ٢٧.

(٢) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٧١.

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ١١٤.

(٤) مسند أحمد ١٧/ ١٩.

(٥) صحيح مسلم ١/ ٤٠٨.

(٦) سنن أبي داود ٤/ ١٩.

والترمذي[١] وابن حبان[٢] من طرق عن عُمارة بن غزية. ورواه مسلم[٣] أيضًا وابن ماجه[٤] من حديث أبي هريرة. ورواه النسائي[٥] من حديث عائشة. ورواه العقيلي[٦] من حديث حذيفة بن اليمان. ورواه النسائي أيضًا وابن ماجه من حديث عروة (وفي رواية) من حديث (**حذيفة**) رضي الله عنه: «لَقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله» (**فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا**) هكذا قاله المصنِّف، وقد تقدم. والذي في كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا أنه من حديث ابن مسعود[٧]. وقد روىٰ نحوه الديلميُّ من حديث أبي هريرة، ولفظه: فإنها تهدم الخطايا كما يهدم السيل البنيان». فقالوا: كيف هي للأحياء؟ قال: «أهدم وأهدم»[٨].

وقد رُوي هذا الحديث بزيادات أُخَر، روىٰ ابن ماجه[٩] والحكيم[١٠] والطبراني[١١] من حديث عبد الله بن جعفر: «لَقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين». قالوا: يا رسول الله، كيف هي للأحياء؟ قال: «أجود وأجودُ».

وروىٰ الطبراني[١٢] من حديث ابن مسعود: «لَقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله،

---

(١) سنن الترمذي ٢/ ٢٩٧.

(٢) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٧١.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٤٠٨.

(٤) سنن ابن ماجه ٣/ ١٢.

(٥) سنن النسائي ص ٢٩٥.

(٦) الضعفاء الكبير ١/ ٧٧ من رواية حذيفة عن عروة بن مسعود.

(٧) بل رواه ص ١٨ من حديث حذيفة بن اليمان، كما ذكره الغزالي.

(٨) رواه بهذا اللفظ أبو نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ٢١٨٩ من حديث عروة بن مسعود الثقفي.

(٩) سنن ابن ماجه ٣/ ١٣.

(١٠) نوادر الأصول ص ٦٨٦.

(١١) المعجم الكبير ١٤/ ١٤٧.

(١٢) السابق ١٠/ ٢٣٣.

فإن نفس المؤمن تخرج رشحًا، ونفس الكافر تخرج من شِدقه كما تخرج نفس الحمار».

وروىٰ الديلمي من حديث أبي هريرة: «لَقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله، فإنها خفيفة علىٰ اللسان، ثقيلة في الميزان، ولو جُعلت لا إله إلا الله في كفَّة وجُعلت السموات والأرض [وما فيهن] في كفَّة لرجحت بهن لا إله إلا الله»[١].

وروىٰ ابن حبان[٢] من حديث أبي هريرة: «لَقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله، فإنه مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يومًا من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه».

وروىٰ الديلمي من حديث أبي هريرة: «لَقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله، ولا تملوهم، فإنهم في سكرات الموت».

وروىٰ الطبراني في الأوسط والصغير[٣] من طريق وصيف الأنطاكي، حدثنا سليمان بن سيف، حدثنا سعيد بن سلاَّم، حدثنا عمر بن محمد، عن صفوان بن سليم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رفعه: «لَقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله، وقولوا: الثبات الثبات، ولا قوة إلا بالله».

تنبيه: وقع للمصنِّف في كتابه[٤] الدرة الفاخرة[٥] بلفظ: «لَقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله». قال السيوطي في أماليه: ليس في روايات هذا الحديث لفظ

---

(١) رواه ابن حبان في المجروحين من المحدثين ٢/ ٥٠٣.

(٢) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٧٢.

(٣) المعجم الصغير ٢/ ٢٥٤.

(٤) شكك أسين بلاثيوس ومونتجمري في صحة نسبة هذا الكتاب للإمام الغزالي، وذكرا أدلة قوية علىٰ ذلك، انظرها في مؤلفات الغزالي، للكتور عبد الرحمن بدوي رحمه الله تعالىٰ ص ٢٢٤.

(٥) الدرة الفاخرة ص ١٦.

«شهادة» إلا في حديث ابن عباس، وهو في المعجم الكبير[١] للطبراني بسند رجاله ثقات، لكنه من رواية ابن أبي طلحة، ولم يسمع منه. ا.هـ. قلت: ولفظه: «لَقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فمَن قالها عند موته وجبت له الجنةُ». قالوا: يا رسول الله، فمَن قالها في صحته؟ قال: «تلك أوجب وأوجب ...» الحديث.

(وقال عثمان) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: مَن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)** رواه أحمد[٢] وأبو بكر ابن أبي شيبة[٣] ومسلم[٤] والنسائي[٥] وابن حبان[٦] وابن خزيمة[٧]، وقد تقدم، ورواه أبو يعلىٰ[٨] بلفظ: «وهو يعلم أن الله حق» **(وقال عبيد الله)**[٩] وفي بعض النسخ: عبد الله **(وهو يشهد)** وهذا قد رواه البيهقي[١٠] من حديث معاذ بلفظ: «مَن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه دخل الجنة».

وروىٰ الخطيب[١١] من حديث جابر: «مَن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله فقد حلَّ له أن يُغفَر له».

(وقال عثمان) رضي الله عنه: **(إذا احتضر الميت فلَقِّنوه لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد**

---

(١) المعجم الكبير ١٢/ ٢٥٤.

(٢) مسند أحمد ١/ ٥٠٩، ٥٢٩.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٣٤٨.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٣٤.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ٤٠٩.

(٦) صحيح ابن حبان ١/ ٤٣١.

(٧) التوحيد ص ٧٨٦، ٨١٧ - ٨٢١.

(٨) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٤/ ١٣٠. ورواه بهذا اللفظ أيضا البزار في مسنده ٢/ ٧١، وأبو عوانة في المستخرج علىٰ صحيح مسلم ١/ ١٩.

(٩) هو عبيد الله بن عمر شيخ ابن أبي الدنيا، هكذا رواه عنه في المحتضرين ص ١٩ - ٢٠.

(١٠) شعب الإيمان ١/ ٩٧.

(١١) تاريخ بغداد ٤/ ٦٢٢.

يُختَم له بها عند موته إلا كانت زاده إلىٰ الجنة)[١] قال أبو نعيم في الحلية[٢]: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة، حدثنا يحيىٰ ابن صالح الوحاظي، حدثنا سليمان بن عطاء الجَزَري، حدثنا مَسلمة بن عبد الله الجُهَني، عن عمِّه أبي مشجعة قال: عدنا مع عثمان مريضًا، فقال له عثمان: قل: لا إله إلا الله. فقالها، فقال: والذي نفسي بيده لقد رمىٰ بها خطاياه فحطمها حطمًا. فقلت: أشيء تقوله أم شيء سمعتَه من رسول الله ﷺ؟ قال: بل سمعتُه من رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، هذا هي للمريض، فكيف هي للصحيح؟ فقال: «هي للصحيح أحطمُ».

(وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: احضروا موتاكم وذكِّروهم، فإنهم يرون ما لا ترون، ولَقِّنوهم لا إله إلا الله) هذا استدلَّ به المصنِّف علىٰ قوله في الدرة الفاخرة[٣] «وربما كُشف للميت عن الأمر الملكوتي»، وساق هذا الأثر. وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين[٤] عن علي بن الجعد، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول قال: قال عمر فساقه. وقال أبو بكر المروزي في كتاب الجنائز: حدثنا القواريري، حدثنا يزيد بن زُرَيع، أخبرنا يونس، عن الحسن قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: احضُروا موتاكم ولَقِّنوهم لا إله إلا الله، فإنهم يرون ويقال لهم[٥]. وقال المروزي أيضًا: حدثنا سُرَيج، حدثنا هُشَيم، أخبرنا يونس بمثله. وقال أيضًا: حدثنا الثعلبي، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن بُرْد، عن مكحول قال: قال عمر: لَقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله، واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم، فإنه يخيَّل إليهم أمور صادقة. وقال أيضًا: حدثنا سُرَيج، حدثنا إسماعيل، عن بُرْد، عن مكحول بمثله. قال السيوطي في الأمالي: هذا أثر لا بأس به، ورجال هذه الأسانيد ثقات،

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٢٠.
(٢) حلية الأولياء ١/ ٦١.
(٣) الدرة الفاخرة ص ١٣، وليس فيه أثر عمر.
(٤) كتاب المحتضرين ص ٢٢.
(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٣٤٧.

إلا أن الحسن ومكحولاً لم يدركا عمر.

(**وقال أبو هريرة**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**سمعت رسول الله ﷺ يقول: حضر ملكُ الموت رجلاً يموت**) أي[1] في حالة النزع لقبض الروح (**فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئًا، ففكَّ لَحْيِيه فوجد طرف لسانه لاصقًا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فغُفر له بكلمة الإخلاص**) بيَّن به أن التوحيد المحض الخالص عن شوائب الشرك لا يبقىٰ معه ذنبٌ، فنجاسة الذنوب عارضة، والدافع لها قويٌّ، وإنما سُمِّيت كلمة الإخلاص لأن كل شيء يُتصوَّر أن يشوبه غيرُه، فإذا صفا عن شوبه وخلُص لله سُمِّي خالصًا.

قال العراقي[2]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين[3] والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب[4]، وإسناده جيد، إلا أن في رواية البيهقي رجلاً لم يُسَمَّ، وسُمِّي في رواية الطبراني: إسحاق بن يحيىٰ بن طلحة، وهو ضعيف.

قلت: وكذلك رواه الخطيب في التاريخ[5] وابن لال في مكارم الأخلاق والديلمي في مسند الفردوس[6]، ولفظهم: «فشقَّ أعضاءه فلم يجده عمل خيرًا، ثم شقَّ قلبه فلم يجد فيه خيرًا، ففكَّ لَحْيَيه ...» والباقي سواء.

ومما يناسب في الباب ما رواه الحاكم في تاريخه والبيهقي في الشعب[7] من حديث ابن عباس: «افتحوا علىٰ صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله، ولَقِّنوهم عند الموت لا إله إلا الله، فإنه مَن كان أول كلامه لا إله إلا الله وآخر كلامه لا إله إلا الله

---

(١) فيض القدير ٣/ ٣٨٨.

(٢) المغني ٢/ ١٢١٣.

(٣) كتاب المحتضرين ص ٢٢.

(٤) شعب الإيمان ٢/ ٣٢٣، ١١/ ٤٣٩.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ١٨١.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٢٧.

(٧) شعب الإيمان ١١/ ١٢٨.

ثم عاش ألف سنة ما سُئل عن ذنب واحد». قال البيهقي: متن غريب لم نكتبه إلا بهذا الإسناد.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[1] من طريق مكحول عن واثلة بن الأسقع رفعه: «احضُروا موتاكم، ولَقِّنوهم لا إله إلا الله، وبشِّروهم بالجنة، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحيَّر عند ذلك المَصرع ...» الحديث.

وروىٰ الطبراني والبيهقي في كتابيه الشعب[2] والدلائل[3] عن عبد الله بن أبي أوفَىٰ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن ههنا غلامًا قد احتضر فيقال له: قل لا إله إلا الله، فلا يستطيع أن يقولها. قال: «أليس كان يقولها في حياته»؟ قالوا: بلىٰ. قال: «فما منعه منها عند موته»؟ فنهض النبي ﷺ ونهضت معه حتىٰ أتىٰ الغلامَ، فقال: «يا غلام، قل: لا إله إلا الله». قال: لا أستطيع أن أقولها. قال: «ولم»؟ قال: لعقوق والدتي. قال: «أحيَّة هي»؟ قال: نعم. قال: «أرسِلوا إليها». فجاءته، فقال لها رسول الله ﷺ: «ابنكِ هو»؟ قالت: نعم. قال: «أرأيتِ لو أن نارًا أُجِّجت فقيل لكِ: إن لم تشفعي فيه دفنَّاه في هذه النار». فقالت: إذًا كنت أشفع له. قال: «فأشهِدي اللهَ وأشهدينا بأنكِ قد رضيتِ عنه». فقالت: قد رضيتُ عن ابني. فقال: «يا غلام، قل: لا إله إلا الله». فقال: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

وروىٰ ابن عساكر[4] عن عبد الرحمن المحاربي قال: حضرتْ رجلاً الوفاةُ، فقيل له: قلْ: لا إله إلا الله. قال: لا أقدر، كنت أصحب قومًا يأمرونني بشتم أبي بكر وعمر.

(١) حلية الأولياء ٥/ ١٨٦.
(٢) شعب الإيمان ١٠/ ٢٩١.
(٣) دلائل النبوة ٦/ ٢٠٥.
(٤) تاريخ دمشق ٣٠/ ٤٠٣.

وروىٰ أبو يعلىٰ[١] والحاكم[٢] بسند صحيح من حديث طلحة وعمر ﵄: «إني لأعلمُ كلمة لا يقولها رجل حضره الموتُ إلا وجد روحُه لها روحةً حين تخرج من جسده، وكانت له نورًا يوم القيامة». وفي لفظ: «إلا نفَّسَ اللهُ عنه، وأشرق لونُه، ورأىٰ ما يسرُّه: لا إله إلا الله».

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٣] عن فرقد السبخي قال: إذا حضرت العبدَ الوفاةُ قال الملَك صاحب الشِّمال لصاحب اليمين: خَفِّفْ. فيقول [الملك] صاحب اليمين: لا أخفِّف، لعلَّه يقول لا إله إلا الله فأكتبها.

وروىٰ الطبراني في الأوسط[٤] من حديث أبي هريرة وأبي سعيد معًا: «مَن قال عند موته: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا تطعمه النارُ أبدًا».

وروىٰ الحاكم[٥] من حديث سعد بن أبي وقَّاص: «هل أدلُّكم علىٰ اسم الله الأعظم؟ دعاء يونس: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين. فأيُّما مسلم دعا بها في مرض موته أربعين مرةً فمات في مرضه ذلك أُعطي أجر شهيد، وإن برئَ برئَ مغفورًا له».

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ١٣، ٢٣.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٩٦.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٤٧.

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ٢١٦.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٩١ - ٦٩٢، ولفظه: «هل أدلكم علىٰ اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطىٰ؟ الدعوة التي دعا بها يونس حيث ناداه في الظلمات الثلاث: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين. فقال رجل: يا رسول الله، هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمع قول الله ﷿: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ فأيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد، وإن برئ برئ وقد غُفر له جميع ذنوبه».

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفَّارات[١] وابن منيع في مسنده من حديث أبي هريرة: «يا أبا هريرة، ألا أخبرك بأمرٍ حقٍّ مَن تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجَّاه الله من النار»؟ قلت: بلىٰ. قال: «لا إله إلا الله، يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، وسبحان الله رب العِباد والبلاد، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مبارَكًا فيه علىٰ كل حال، والله أكبر كبيرًا كبرياء ربِّنا وجلاله وقدرته بكل مكان، اللهم إن كنتَ أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعلْ روحي في أرواح مَن سبقت لهم منك الحسنىٰ، وأعِذْني من النار كما أعذتَ أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنىٰ. فإن متُّ في مرضك ذلك فإلي رضوان الله والجنة، وإن كنت قد اقترفتَ ذنوبًا تاب الله عليك».

وروىٰ ابن عساكر[٢] عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت من رسول الله ﷺ كلمات مَن قالهنَّ عند وفاته دخل الجنة: لا إله إلا الله الحليم الكريم ثلاث مرات، الحمد لله رب العالمين ثلاث مرات، تبارك الذي بيده المُلك يحيي ويميت وهو علىٰ كل شيء قدير».

وروىٰ سعيد بن منصور وابن أبي شيبة[٣] والمروزي عن أم الحسن قالت: كنت عند أم سلمة، فجاءها إنسان فقال: فلان بالموت. فقالت: انطلِقْ، فإذا رأيتَه احتضر فقلْ: سلام علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

(وينبغي للملقِّن أن لا يلحَّ في التلقين، ولكن يتلطَّف، فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدِّي إلىٰ استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة، ويُخشَىٰ أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة) كما روىٰ الديلمي من حديث أبي هريرة: «لَقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله، ولا تملوهم، فإنهم في سكرات الموت». وقد تقدَّم قريبًا. وروىٰ

---

(١) المرض والكفارات ص ١٢٩.

(٢) تاريخ دمشق ٧١/ ٣٦٨.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٣٤٦.

أبو القاسم القشيري في أماليه[1] من حديث أبي هريرة: «إذا ثقلت مرضاكم فلا تملوهم قول لا إله إلا الله، ولكن لَقِّنوهم، فإنه لم يُختَم به لمنافق قط».

تنبيه: وقع للمصنف في الدرة الفاخرة[2]: ونُهي عن الإكثار بها عليهم. قال السيوطي في أماليه: ينبغي ضبطُ «نُهي» بضم النون مبنيًّا للمفعول لا بالفتح مبنيًّا للفاعل معطوفًا على «قال»؛ لأن النهي عن ذلك لم يَرِدْ في الحديث، وإنما ذكره السلف والفقهاء.

قلت: بل قد ورد في ذلك من حديث أبي هريرة الذي عند الديلمي والذي عند القشيري، وقد ذُكرا قبل ذلك.

فصل: ومن أظرف ما وقع في ذلك ما قال البيهقي في الشعب[3]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز الواعظ يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الساوي ورَّاق أبي زُرعة يقول: حضرتُ أبا زرعة وهو في السَّوْق - يعني بفتح السين - وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين، واستحيوا من أبي زرعة أن يلقِّنوه التوحيدَ، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث. فقال محمد بن مسلم، حدثنا الضحَّاك بن مخلد أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح. وجعل يقول: ابن أبي، ولم يجاوز، فقال أبو حاتم: حدثنا بُندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر. وسكت ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة وهو في السَّوْق: حدثنا بُندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن ابن أبي عريب، عن كثير بن مُرَّة الحضرمي، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله

---

(١) ورواه أيضا أبو أحمد البخاري في جزئه ص ٢١٦ [ضمن مجموع أجزاء حديثية / ط - مكتبة أضواء السلف].

(٢) الدرة الفاخرة ص ١٦.

(٣) شعب الإيمان ١١/ ٤٤٠.

دخل الجنة». وتوفي أبو زرعة رحمه الله تعالىٰ.

هكذا أخرجه السيوطي في «أمالي الدرة الفاخرة» من هذا الوجه. ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات[١] فقال: أخبرنا أبو منصور القَزَّاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن فضالة، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان، سمعت أبا جعفر التستري يقول: حضرنا أبا زرعة وكان في السَّوْق ... فساقه[٢].

قلت: والحديث أخرجه أحمد[٣] وأبو داود[٤] والطبراني[٥] من هذا الوجه. وأخرجه ابن منده[٦] من حديث أبي شيبة الخُدري.

وأنشد السيوطي لنفسه في هذا المعنىٰ:

لَقِّنْ أخاك لدىٰ الممات شهادةً ... لا تستهبه ولا تُلِحَّ وتُبْرِمُ

مَن كان آخر ما يقول شهادة الإ ... خلاص يخلُد في الجِنان ويُرحَمُ

(وإنما معنىٰ هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله) كما قال القائل:

حسبي ربِّي جلَّ اللهُ ... ما في قلبي غير الله

(فإذا لم يبقَ له مطلوبٌ سوىٰ الواحد الحق) جلَّ شأنُه **(كان قدومه بالموت**

---

(١) الثبات عند الممات ص ١٦١.

(٢) وعند ابن البناء في التهليل وثوابه الجزيل ص ٨٠: وخرجت روحه مع الهاء من قبل أن يقول دخل الجنة.

(٣) مسند أحمد ٣٦/ ٣٦٣، ٤٤٣.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ١٩.

(٥) المعجم الكبير ٢٠/ ١١٢.

(٦) معرفة الصحابة ٢/ ٩١١.

علىٰ حبيبه غاية النعيم في حقِّه، وإن كان القلب مشغوفًا بالدنيا ملتفتًا إليها متأسِّفًا علىٰ لذَّاتها) خائفًا علىٰ فواتها **(وكانت الكلمة علىٰ رأس اللسان ولم ينطبق القلب علىٰ تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة، فإن مجرَّد حركة اللسان قليل الجدوَىٰ، إلا أن يتفضَّل الله بالقبول)** وقد روىٰ الطبراني[1] من حديث معاذ: «مَن مات يقول لا إله إلا الله يقينًا من نفسه دخل الجنة». وروىٰ أحمد[2] والبيهقي[3] من حديثه: «مَن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه دخل الجنة» **(وأما حسن الظن)** بالله تعالىٰ **(فهو مستحَبٌّ في هذا الوقت، وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء، وقد وردت الأخبار بفضل حُسن الظن بالله)** من ذلك: **(دخل واثلة)** بالمثلثة **(ابن الأسقع)** بالقاف[4]، ابن كعب الليثي، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، صحابي مشهور، نزل الشام، وعاش إلىٰ سنة خمس وثمانين وله مائة وخمس سنين، روىٰ له الجماعة **(علىٰ مريض، فقال: أخبِرْني كيف ظنُّك بالله؟ قال: أغرقتني ذنوب لي، وأشرفتُ علىٰ هلكة، ولكني أرجو رحمة ربِّي. فكبَّر واثلة)** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(وكبَّر أهل البيت بتكبيره وقال: الله أكبر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء)** قال العراقي[5]: رواه ابن حبان بالمرفوع منه، وقد تقدَّم، وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعًا.

قلت: ورواه بالرفع فقط ابن أبي الدنيا والحكيم والطبراني وابن عدي والحاكم وتمام بلفظ: قال الله عَزَّ وَجَلَّ ... فساقه. ورواه الشيرازي في الألقاب من حديث أنس. وفي لفظ للطبراني وابن حبان من حديث واثلة: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، إن ظن خيرًا فخيرٌ، وإن ظن شرًّا فشرٌّ». وروىٰ الجملة الأولىٰ فقط الطبرانيُّ

---

(١) المعجم الكبير ٢٠/ ٤٠.

(٢) مسند أحمد ٣٦/ ٣٢٩.

(٣) شعب الإيمان ١/ ٩٧.

(٤) تقريب التهذيب ص ١٠٣٣.

(٥) المغني ٢/ ١٢١٤.

من رواية بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جدِّه. وروىٰ أحمد وابن حبَّان من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًّا فله»[١].

(ودخل النبي ﷺ علىٰ شاب وهو يموت فقال: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. فقال ﷺ: ما اجتمعا في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطِن إلا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف) رواه أحمد[٢] والترمذي[٣] وابن ماجه[٤] من حديث أنس، وقد تقدم في كتاب الخوف والرجاء. ورواه القشيري في الرسالة[٥] فقال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا الخضر بن أبان الهاشمي، حدثنا سَوَّار، حدثنا جعفر، عن ثابت، عن أنس ... فذكره.

وروىٰ الحكيم الترمذي في نوادر الأصول[٦] عن الحسن قال: بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال ربُّكم: لا أجمع علىٰ عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فمَن خافني في الدنيا آمنته في الآخرة، ومَن أمِنني في الدنيا أخفتُه في الآخرة». ورواه أبو نعيم في الحلية[٧] عن شدَّاد بن أوس موصولاً.

وروىٰ ابن المبارك في الزهد[٨] عن ابن عباس قال: إذا رأيتم بالرجل الموت فبشِّروه ليلقَىٰ ربَّه وهو حَسن الظن بالله، وإذا كان حيًّا فخوِّفوه [بربِّه].

(وقال ثابت) بن أسلم **(البُناني)** التابعي العابد، رحمه الله تعالىٰ: **(كان شاب**

---

(١) تقدمت هذه الأحاديث في كتاب الخوف والرجاء.

(٢) الزهد ص ٢٤.

(٣) سنن الترمذي ٢/ ٣٠١.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٤٧.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٥٠٠.

(٦) نوادر الأصول ص ٣٧٦.

(٧) حلية الأولياء ١/ ٢٧٠، ٥/ ١٨٩، ٦/ ٩٨.

(٨) الزهد والرقائق ص ١٥٥.

به حدةٌ) أي نشاط إلىٰ اللهو واللعب (وكان له أم تعظه كثيرًا وتقول له: يا بني، إن لك يومًا، فاذكرْ يومك. فلما نزل به أمر الله تعالىٰ أكبَّت عليه أمُّه وجعلت تقول له: يا بني، قد كنت أحذِّرك مصرعك هذا وأقول: إنَّ لك يومًا. فقال) الشاب: (يا أمَّه، إنَّ لي ربًّا كثير المعروف، وإني لأرجو أن لا يعدمني اليوم بعضَ معروفه. قال ثابت: فرحمه اللهُ بحسن ظنِّه بربِّه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله[1]، ورواه أبو نعيم في الحلية[2] عن أبي محمد ابن حيان، حدثنا الحسن بن هارون، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سَيَّار، حدثنا جعفر، حدثنا ثابت قال: كان شاب به رَهَقٌ، فكانت أمه تعظه ... فساقه، وفي آخره: قال ثابت: رحمه اللهُ بحسن ظنِّه بالله في حالته تلك.

(وقال جابر بن وَداعة[3]) بفتح الواو: (كان شاب به رَهَقٌ) محرَّكة، أي نشاط (فاحتضر) أي حضره الموتُ (فقالت له أمُّه: يا بني، توصي بشيء؟ قال: نعم، خاتمي لا تسلبنيه فإنَّ فيه ذِكر الله تعالىٰ، فلعل الله يرحمني، فلما دُفن رُؤيَ في المنام، فقال: أخبِروا أمي أن الكلمة قد نفعتني، وأن الله قد غفر لي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله.

(ومرض أعرابيٌّ، فقيل له: إنك تموت. فقال: أين يُذهَب بي؟ فقالوا: إلىٰ الله. قال: فما كراهتي أن أذهب إلىٰ مَن لا يُرَىٰ الخير إلا منه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله[4].

(وقال) أبو[5] محمد (المعتمر بن سليمان) البصري، ثقة، مات سنة سبع

---

(١) حسن الظن بالله ص ٢٩.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٢٦.

(٣) الصواب: مرجىٰ بن وداع، كما في حسن الظن بالله ص ٣٢.

(٤) حسن الظن بالله ص ٣٣ عن إدريس بن عبد الله المروزي.

(٥) تقريب التهذيب ص ٩٥٨.

وثمانين [ومائة] وقد جاوز الثمانين، روىٰ له الجماعة **(قال أبي)** سليمان[١] بن طَرْخان التيمي، نزل في التَّيْم فنُسِب إليهم، ثقة، عابد، مات سنة ثلاث وأربعين [ومائة] وهو ابن سبع وتسعين، روىٰ له الجماعة **(لمَّا حضرته الوفاةُ: يا معتمر، حدِّثْني بالرُّخَص لعلِّي ألقَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وأنا حَسن الظن به)** رواه أبو نعيم في الحلية[٢] عن أبي حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق قال: سمعت سَوَّار بن عبد الله قال: سمعت المعتمر يقول: قال أبي ... فذكره.

(وكانوا يستحبُّون أن يُذكَر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يُحسِن ظنَّه بربِّه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله[٣] عن إبراهيم النخعي بلفظ: أن يلقِّنوا العبد محاسن عمله. ورواه أيضًا محمود بن محمد في كتاب المتفجعين.

ومما يليق إيرادُه في الباب ما رواه الشيخان[٤] عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاث: «لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحسِن الظنَّ بالله». وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن[٥] وزاد: «فإن قومًا قد أرداهم سوءُ ظنِّهم بالله فقال تعالىٰ لهم: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾» [فصلت: ٢٣].

وروىٰ ابن عساكر[٦] من حديث أنس: «لا يموتنَّ أحدكم حتىٰ يُحسِن الظنَّ بالله، فإنَّ حسن الظن بالله ثَمن الجنة».

---

(١) السابق ص ٤٠٩.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٣١.

(٣) حسن الظن بالله ص ٢٧.

(٤) الحديث رواه مسلم في صحيحه ٢/ ١٣١٦، وليس هو عند البخاري.

(٥) حسن الظن بالله ص ١٦.

(٦) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٠٨ - ٤٠٩.

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[١] عن ابن مسعود قال: والله الذي لا إله غيره لا يُحسِن أحدٌ الظنَّ بالله إلا أعطاه الله ظنَّه.

وروىٰ ابن المبارك[٢] وأحمد[٣] والطبراني[٤] من حديث معاذ: «إن شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة، وما أول ما يقولون له». قلنا: نعم يا رسول الله. قال: «فإن الله يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا. فيقول: لِمَ؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك. فيقول: قد وجبت لكم مغفرتي».

وروىٰ ابن أبي الدنيا في حسن الظن[٥] والبيهقي في الشعب[٦] وابن عساكر[٧] عن أبي غالب صاحب أبي أمامة قال: كنت بالشام، فنزلت علىٰ رجل من قيس من خيار الناس، وله ابن أخ مخالف له يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه، فمرضَ الفتىٰ، فبعث إلىٰ عمِّه، فأبَىٰ أن يأتيه، فأتيته أنا به حتىٰ أدخلتُه عليه، فأقبل عليه يشتمه ويقول: أيْ عدو الله، ألم تفعل كذا؟ قال: أرأيتَ أيْ عم لو أن الله دفعني إلىٰ والدتي ما كانت صانعةً بي؟ قال: كانت واللهِ تدخلك الجنة. قال: فواللهِ للهُ أرحم بي من والدتي. فقُبض الفتىٰ، ودفنه عمُّه، فلما سوَّىٰ اللبِن سقطت منه لبنةٌ، فوثب عمُّه فتأخر، قلت: ما شأنك؟ قال: مُلِئَ قبره نورًا، وفُسح له مد البصرِ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٧٩، ولفظه: «والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن من شيء أفضل من أن يحسن بالله ظنه، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد مؤمن بالله ظنه إلا أعطاه ذلك، فإن كل الخير بيده».

(٢) الزهد والرقائق ص ١١٥.

(٣) مسند أحمد ٣٦/ ٣٩٠.

(٤) المعجم الكبير ٢٠/ ٩٥، ١٢٥.

(٥) حسن الظن بالله ص ٣٠.

(٦) شعب الإيمان ٩/ ٣٢٥.

(٧) تاريخ دمشق ١٢/ ٣٧٢، ٦٨/ ٨٠.

وروىٰ ابن أبي الدنيا فيه[١] والبيهقي في الشعب[٢] عن حميد قال: كان لي ابن أخت مرهق، فمرضَ، فأرسلت إليَّ أمُّه، فأتيتُها فإذا هي عند رأسه تبكي، فقال: يا خال، ما يبكيها؟ قلت: ما تعلم منك. قال: أليس إنما ترحمني؟ قلت: بلىٰ. قال: فإن الله أرحم بي منها. فلمَّا مات أنزلتُه القبرَ مع غيري، فذهبت أسوِّي لبنةً فاطَّلعتُ في اللحد فإذا هو مد بصري، فقلت لصاحبي: وأنت ما رأيتَ ما رأيتُ؟ قال: نعم، فليهنك ذاك. قال: فظننت أنه بالكلمة التي قالها.

فصل في بيان ما يُقرأ عند الميت وما يقال إذا مات وغُمضت (عيناه):

روىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والديلمي[٣] من حديث أبي الدرداء: «ما من ميت يُقرأ عند رأسه يس إلا هوَّن الله عليه».

وروىٰ ابن أبي شيبة[٤] وأحمد[٥] وأبو داود[٦] والنسائي[٧] والحاكم[٨] وابن حبان[٩] من حديث معقِل بن يسار: «اقرؤوا علىٰ موتاكم يس». قال ابن حبان: أراد به مَن حضره الموتُ [لا أن الميت] يُقرأ عليه.

وروىٰ ابن أبي شيبة[١٠] والمروزي عن جابر بن زيد قال: كان يُستحَبُّ إذا حُضِر الميت أن يُقرأ عنده سورة الرعد، فإنَّ ذلك يخفِّف عن الميت، وإنه أهون

---

(١) حسن الظن بالله ص ٣١.
(٢) شعب الإيمان ٩/ ٣٢٥ - ٣٢٦.
(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٣٢.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٣٤٦.
(٥) مسند أحمد ٣٣/ ٤١٧، ٤٢٧.
(٦) سنن أبي داود ٤/ ٢١.
(٧) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٩٤.
(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٦٦.
(٩) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٦٩.
(١٠) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٣٤٦ بلفظ: عن جابر بن زيد أنه كان يقرأ عند الميت سورة الرعد.

لقبضه وأيسر لشأنه. وكان يقال قبل أن يموت الميت بساعة في حياة رسول الله ﷺ: اللهم اغفرْ لفلان ابن فلان، وبَرِّدْ عليه مضجعَه، ووسِّعْ عليه في قبره، وأعطِه الراحة بعد الموت، وألحِقْه بنبيِّه، وتولَّ نفسَه، وصعِّدْ روحَه في أرواح الصالحين، واجمعْ بيننا وبينه في دار تبقىٰ فيها الصحة ويذهب عنا فيها النَّصَب واللغوب. ويصلي علىٰ رسول الله ﷺ، ويكرِّر ذلك حتىٰ يُقبَض.

وروىٰ ابن أبي شيبة[1] والمروزي عن الشعبي قال: كانت الأنصار يقرؤون عند الميت سورة البقرة.

وروىٰ الطبراني في الأوسط[2] عن أبي بكرة قال: دخل رسول الله ﷺ علىٰ أبي سلمة وهو في الموت، فلما شقَّ بصره مد رسولُ الله ﷺ يده فأغمضه، فلما أغمضه صاح أهلُ البيت، فسكَّتهم رسولُ الله ﷺ وقال: «إن النفس إذا خرجت تبعها البصرُ، وإن الملائكة تحضر الميتَ فيؤمِّنون علىٰ ما يقول أهل البيت». ثم قال ﷺ: «اللهم ارفعْ درجة أبي سلمة في المهديين، واخلفْه في عقبه في الغابرين، واغفرْ لنا وله يوم الدين[3]».

وروىٰ الحاكم[4] من حديث شدَّاد بن أوس: «إذا حضرتم الميتَ فأغمِضوا البصر، فإن البصر يتبع الروحَ، وقولوا خيرًا، فإن الملائكة تؤمِّن علىٰ دعاء أهل البيت».

وروىٰ المروزي[5] عن بكر المُزَني قال: إذا أغمضتَ ميتًا فقلْ: بسم الله، وعلىٰ ملَّة رسول الله.

---

(١) السابق ٤/ ٣٤٥.

(٢) المعجم الأوسط ٨/ ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣) في المعجم الأوسط: واغفر لنا وله رب العالمين.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٩٨.

(٥) ورواه أيضا ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٣٥٠، والطبراني في الدعاء ص ١٣٤٤. وزاد البيهقي في السنن الكبرىٰ ٣/ ٥٤١: وإذا حملت الميت فقل بسم الله ثم سبح ما دمت تحمله.

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يُعرَب بلسان الحال عنها

وفيه بيان قطعِ الآجال كل سنة.

(قال أشعث بن أسلم: سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عَزْرائيل) بفتح العين **(وله عينان: عين في وجهه وعين في قفاه، فقال: يا ملك الموت، ما تصنع إذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب، ووقع الوباء بأرض، والتقىٰ الزحفان؟ كيف تصنع؟ قال: أدعو الأرواحَ بإذن الله فتكون بين أصبعيَّ هاتين. قال)** أشعث: **(وقد دُحيت له الأرض فتُركت مثل الطست بين يديه يتناول منها ما يشاء)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وأبو الشيخ في العظمة[1] عن أشعث.

وروىٰ أحمد في الزهد وأبو الشيخ في العظمة[2] وأبو نعيم في الحلية[3] عن مجاهد قال: جُعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث شاء، وجُعل له أعوان يتوفَّون الأنفُس، ثم يقبضها منهم.

وروىٰ ابن أبي الدنيا من طريق الحسن بن عمارة عن الحكم أن يعقوب عليه السلام قال لملك الموت: ما من نفس منفوسة إلا وأنت تقبض روحها؟ قال: نعم. قال: فكيف وأنت عندي ههنا والأنفُس في أطراف الأرض؟ قال: إن الله سخَّر لي الدنيا، فهي كالطست يوضَع قدَّام أحدكم فيتناول من أيِّ أطرافها شاء، كذلك الدنيا

---

(١) العظمة ٣/ ٩٠٩.

(٢) السابق ٣/ ٨٩٤ – ٨٩٥ حتىٰ قوله (حيث شاء).

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٦.

عندي[١].

وروىٰ الدينوري في المجالسة[٢] عن أبي قيس الأودي قال: قيل لملك الموت: كيف تقبض الأرواح؟ قال: أدعوها فتجيبني.

وروىٰ ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ[٣] وأبو نعيم[٤] عن شهر بن حوشب قال: ملك الموت جالس، والدنيا بين ركبتيه، واللوح الذي فيه آجال بني آدم في يديه، وبين يديه ملائكة قيام، وهو يعرض اللوح لا يطرف، فإذا أتىٰ علىٰ أجل عبدٍ قال: اقبضوا هذا.

وروىٰ ابن أبي حاتم وأبو الشيخ[٥] عن ابن عباس أنه سُئل عن نفْسين اتفق موتهما في طرفة عين، واحد في المشرق وآخر في المغرب، كيف قدرة ملك الموت عليهما؟ قال: ما قدرة ملك الموت علىٰ أهل المشارق والمغارب والظلمات والهواء والبحور إلا كرجل بين يديه مائدة يتناول من أيِّها شاء.

وروىٰ جويبر في تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: ملك الموت الذي يتوفَّىٰ الأنفُس كلها، وقد سُلِّط علىٰ ما في الأرض كما سُلِّط أحدكم علىٰ ما في راحتيه، ومعه ملائكة من ملائكة الرحمة وملائكة [من ملائكة] العذاب، فإذا توفَّىٰ نفسًا طيِّبة دفعها إلىٰ ملائكة الرحمة، وإذا توفَّىٰ نفسًا خبيثة دفعها إلىٰ ملائكة العذاب.

وروىٰ ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ[٦] عن أبي المثنَّىٰ الحِمصي قال: إن الدنيا

---

(١) الحسن بن عمارة متروك كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ١١٥.

(٢) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٨٤.

(٣) العظمة ٣/ ٩١٠.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٦١.

(٥) العظمة ٣/ ٨٩٣.

(٦) السابق ٣/ ٩٣٥ ببعض اختصار.

سهلها وجبلها بين فخذَي ملك الموت [مثل الطست] ومعه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فيقبض الأرواح، فيعطي هؤلاء لهؤلاء [وهؤلاء لهؤلاء] يعني ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. قيل: فإذا كانت ملحمة وكان السيف مثل البرق؟ قال: يدعوها فتأتيه الأنفُس.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد قال: قيل: يا رسول الله، ملك الموت واحد، والزحفان يلتقيان بين المشرق والمغرب، وما بين ذلك من السقط والهلاك. فقال: «إن الله حوىٰ الدنيا لملك الموت حتىٰ جعلها كالطست بين يدي أحدكم، فهل يفوته منها شيء».

(قال) الراوي وهو أشعث بن أسلم الذي تقدَّم ذِكرُه: (وهو) الذي (**بشَّره بأنه خليل الله** عَزَّوَجَلَّ) هذا القول قد رواه ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود وابن عباس قالا: لمَّا اتخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربَّه أن يأذن له [يبشِّره] بذلك، فأذنَ له، فجاء إبراهيمَ فبشَّره، فقال: الحمد لله. وقد ذُكر بتمامه قريبًا.

(**وقال سليمان بن داود عليه**) وعلىٰ أبيه (**السلام لملك الموت** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **ما لي لا أراك تعدل بين الناس، تأخذ هذا وتدع هذا؟ قال: ما أنا بذلك بأعلم منك، إنما هي صحف أو كتب تُلقَىٰ إليَّ فيها أسماء**) رواه أبو بكر ابن أبي شيبة في المصنَّف[1] فقال: حدثنا عبد الله بن نُمَير، عن الأعمش، عن خيثمة قال: أتىٰ ملكُ الموت سليمانَ بن داود عليهما السلام - وكان له صديقًا - فقال له سليمان: ما لك تأتي أهلَ البيت فتقبضهم جميعًا، وتدع أهلَ البيت إلىٰ جنبهم لا تقبض منهم أحدًا؟ قال: لا أعلم بما أقبض منهما، إنما أكون تحت العرش فتُلقَىٰ إليَّ صِكاكٌ فيها أسماء.

وروىٰ ابن عساكر[2] عن خيثمة قال: قال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لملك الموت: إذا

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٥.

(٢) تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٩٥.

أردتَ أن تقبضني فأعلِمْني بذلك. قال: ما أنا بأعلم بذلك منك، إنما هي كتبٌ تُلقَىٰ إليَّ فيها تسمية مَن يموت.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن ملكًا استأذن ربَّه أن يهبط إلىٰ إدريس عليه السلام، فأتاه فسلَّم عليه، فقال له إدريس عليه السلام: هل بينك وبين ملك الموت شيء؟ قال: ذاك أخي من الملائكة. قال: هل تستطيع أن تنفعني عنده بشيء؟ قال: أمَّا أن يؤخِّر شيئًا أو يقدِّمه فلا، ولكن سأكلِّمه لك فيرفق بك عند الموت. فقال: اركبْ بين جناحيَّ. فركب إدريسُ عليه السلام، فصعد به إلىٰ السماء العليا، فلقي ملك الموت وإدريس عليه السلام بين جناحيه، فقال له الملَك: إنَّ لي إليك حاجة. قال: علمتُ حاجتك، تكلِّمني في إدريس، وقد مُحي اسمه، ولم يبقَ من أجله إلا نصف طرفة عين. فمات إدريس عليه السلام بين جناحَي الملك.

وروىٰ أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن معمر قال: بلغني أن ملك الموت لا يعلم متىٰ يحضر أجلُ الإنسان حتىٰ يؤمَر بقبضه.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن ابن جُرَيج قال: بلغنا أنه يقال لملك الموت: اقبضْ فلانًا في وقت كذا في يوم كذا[1].

(وقال) أبو عبد الله **(وهب بن منبه)** اليماني رحمه الله تعالىٰ: **(كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلىٰ أرض، فدعا بثياب ليلبسها، فلم تعجبه، فطلب غيرَها، حتىٰ لبس ما أعجبه بعد مرَّات، وكذلك طلب دابَّة فأُتي بها، فلم تعجبه، حتىٰ أُتي بدوابَّ، فركب أحسنها، فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخةً فملأه كبرًا، ثم سار، وسارت معه الخيول، وهو لا ينظر إلىٰ الناس كبرًا، فجاءه رجل رَثُّ الهيئة، فسلَّم، فلم يردَّ عليه السلام، فأخذ بلجام دابَّته، فقال: أرسِل اللجامَ، فقد تعاطيتَ أمرًا عظيمًا.**

---

(١) ورواه أبو الشيخ في العظمة ٣/ ٩١١ بلفظ: بلغنا أنه يقال لملك الموت: اقبض فلانا في وقت كذا في يوم كذا في بلد كذا، فيجيء الموت أسرع من اللمح.

قال: إنَّ لي إليك حاجة. قال: اصبرْ حتىٰ أنزل. قال: لا، الآن. فقهره علىٰ لجام دابَّته، فقال: اذكرْها. قال: هو سرٌّ. فأدنَىٰ له رأسَه) أي قرَّبه إليه (فسارَّه) أي تكلم في أذنه سرًّا (وقال: أنا ملك الموت. فتغيَّر لون الملك، واضطرب لسانه، ثم قال: دَعْني حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي وأقضي حاجتي وأودِّعهم. قال: لا واللهِ، لا ترىٰ أهلك وثقلك أبدًا. فقبض روحه فخرَّ ميتًا كأنَّه خشبة، ثم مضىٰ، فلقي عبدًا مؤمنًا في تلك الحال، فسلَّم عليه، فردَّ عليه السلام، فقال: إنَّ لي إليك حاجة أذكرها في أذنك. فقال: هاتِ. فسارَّه وقال: أنا ملك الموت. فقال: أهلاً ومرحبًا بمَن طالت غيبتُه عليَّ، فواللهِ ما كان في الأرض غائب أحب إليَّ أن ألقاه منك. فقال ملك الموت: اقضِ حاجتَك التي خرجتَ لها. فقال: ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالىٰ. قال: فاخترْ علىٰ أيِّ حال شئتَ أن أقبض روحك. فقال: تقدر علىٰ ذلك؟ قال: نعم، إني أُمِرتُ بذلك. قال: فدَعْني حتىٰ أتوضأ وأصلي واقبضْ روحي وأنا ساجد. فقبض روحه وهو ساجد)[1] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وقال) أبو[2] عبد الله (بكر بن عبد الله المُزَني) البصري، ثقة، ثبتٌ، جليل، مات سنة ست ومائة، روىٰ له الجماعة (جمع رجل من بني إسرائيل مالاً، فلمَّا أشرف علىٰ الموت قال لبنيه: أروني أصناف أموالي. فأُتي بشيء كثير من الخيل والإبل والرقيق وغيره. فلمَّا نظر إليه بكىٰ تحسُّرًا عليه، فرآه ملك الموت وهو يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ فوالذي خوَّلك) أي أنعم عليك به (ما أنا بخارج من منزلك حتىٰ أفرِّق بين روحك وبدنك. قال: فالمهلة) أي أعطِني إمهالاً (حتىٰ أفرِّقه) علىٰ مَن يستحقُّه (قال: هيهات! انقطعت عنك المهلةُ، فهلاَّ كان ذلك قبل حضور أجلك؟ فقبض روحه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(ورُوي أن رجلاً جمع مالاً فأوعَىٰ) أي استكثر منه وحفظَه (ولم يَدَعْ صنفًا

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٠٢.

(٢) تقريب التهذيب ص ١٧٥.

من المال إلا اتَّخذه، وابتنَىٰ قصرًا وجعل عليه بابين وثيقين) أي مُحكَمين (وجمع عليه حرسًا من غلمانه، ثم جمع أهله، وصنع لهم طعامًا، وقعد علىٰ سريره، ورفع إحدىٰ رجليه علىٰ الأخرىٰ وهم يأكلون، فلمَّا فرغوا قال: يا نفس، انعمي سنين، فقد جمعتُ لكِ ما يكفيكِ. فلم يفرغ من كلامه حتىٰ أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب، في عنقه مِخلاة، يتشبَّه بالمساكين، فقرع الباب بشدة عظيمة قرعًا أفزعه وهو علىٰ فراشه، فوثب إليه الغلمةُ وقالوا: ما شأنك؟ فقال: ادعوا لي مولاكم. قالوا: وإلىٰ مثلك يخرج مولانا؟! قال: نعم. فأخبروه بذلك، فقال: هلاَّ فعلتم به وفعلتم؟ فقرع الباب قرعةً أشد من القرعة الأولىٰ، فوثب إليه الحرس، فقال: أخبِروه أني ملك الموت. فلما سمعوه أُلقي عليهم الرعب، ووقع علىٰ مولاهم الذلُّ والتخشُّع، فقال: قولوا له قولاً ليِّنًا، وقولوا: هل تأخذ به أحدًا؟ فدخل عليه وقال: اصنعْ في مالك ما أنت صانع، فإني لست بخارج منها حتىٰ أُخرِج نفسَك. فأمر بماله حتىٰ وُضع بين يديه، فقال حين رآه: لعنك الله من مال، أنت شغلتني عن عبادة ربِّي، ومنعتني أن أتخلَّىٰ لربِّي. فأنطقَ اللهُ المالَ فقال: لِمَ سببتني وقد كنتَ تدخل علىٰ السلطان بي ويُرَدُّ المتَّقون عن بابه، وكنت تنكح المتنعَّمات بي، وتجلس مجالس الملوك بي، وتنفقني في سبيل الشر، فلا أمتنع منك، ولو أنفقتني في سبيل الخير نفعتُك، خُلقت وابن آدم من تراب، فمنطلق ببِر ومنطلق بإثم. ثم قبض ملك الموت روحه فسقط)[1] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالىٰ: (قبض ملك الموت روح جبَّار من الجبابرة ما في الأرض مثله، ثم عرج إلىٰ السماء، فقالت الملائكة: لمَن كنتَ أشد رحمةً ممَّن قبضتَ روحه؟ قال: أُمِرتُ بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض، فأتيتُها وقد ولدت مولودًا، فرحمتُها لغربتها، ورحمتُ ولدها لصغره وكونه في فَلاة لا متعهِّد له بها. فقالت الملائكة: الجبَّار الذي قبضتَ الآن روحه هو ذلك المولود

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٤٠ - ٢٤١ عن يزيد بن ميسرة بن حلبس.

الذي رحمتَه. فقال ملك الموت: سبحان اللطيف لِما يشاء) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وقال) أبو[1] محمد **(عطاء بن يسار)** الهلالي المدني، مولىٰ ميمونة، ثقة، فاضل، صاحب مواعظ وعبادة، مات سنة أربع وتسعين، روىٰ له الجماعة **(إذا كان ليلة النصف من شعبان دُفع إلىٰ ملك الموت صحيفة، فيقال: اقبضْ في هذه السنة مَن في هذه الصحيفة. قال: فإن العبد لَيغرسُ الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت[2]، إلا أنه قال: وإن اسمه قد نُسخ في الموتىٰ.

ومما يؤيِّد ذلك ما رواه الديلمي من حديث أبي هريرة: «تُقطَع الآجال من شعبان إلىٰ شعبان، حتىٰ إن الرجل لينكح ويولَد له وقد خرج اسمه في الموتىٰ»[3]. وروىٰ ابن أبي الدنيا[4] وابن جرير[5] مثله من طريق الزهري عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس مرفوعًا، ورواه البيهقي في الشعب[6] من طريق الزهري عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس، ورواه ابن أبي حاتم بنحوه عن ابن عباس موقوفًا.

---

(١) تقريب التهذيب ص ٦٧٩.

(٢) ورواه ابن الشجري في الأمالي الخميسية ٢/ ١٠٢ بلفظ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان نُسخ لملك الموت كل من يموت في تلك السنة من شعبان إلىٰ شعبان، وإن الرجل ليظلم ويفجر وينكح النسوان ويعرس الأعراس وما اسمه في الأحياء، قد نسخ اسمه من الأحياء إلىٰ الأموات، وما من ليلة بعد ليلة القدر خير منها ينزل الله تعالىٰ إلىٰ سماء الدنيا فيغفر إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم».

(٣) الحديث في الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٧٣ عن عثمان بن الأخنس، وليس عن أبي هريرة.

(٤) فضائل رمضان ص ٣٠ (ط - دار السلف بالرياض).

(٥) جامع البيان ٢١/ ١٠.

(٦) شعب الإيمان ٥/ ٣٦٥ موقوفا.

وروىٰ أبو يعلىٰ[(١)] عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ كان يصوم شعبان كلَّه، فسألته، فقال: «إن الله يكتب فيه كل نفس ميتة تلك السنة، فأحب أن يأتيني أجلي وأنا صائم».

وروىٰ ابن جرير[(٢)] عن عمر مولىٰ غُفْرة قال: [يقال] يُنسَخ لملك الموت مَن يموت ليلة القدر إلىٰ مثلها، فتجد الرجل ينكح النساء ويغرس الغرس واسمه في الأموات.

وروىٰ[(٣)] أيضًا عن عكرمة قال: في ليلة النصف من شعبان يُبرَم أمر السنة، ويُنسَخ الأحياء من الأموات، ويُكتَب الحاج، فلا يُزاد فيهم أحد، ولا يُنقَص منهم أحد.

وروىٰ الدينوري في المجالسة[(٤)] عن راشد بن سعد رفعه قال: «في ليلة النصف من شعبان يوحي الله إلىٰ ملك الموت بقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة».

وروىٰ ابن أبي الدنيا والحاكم في المستدرك[(٥)] عن عُقبة بن عامر ﵁ قال: أول مَن يعلم بموت العبدِ الحافظُ؛ لأنه يعرج بعمله وينزل برزقه، فإذا لم يخرج له برزق علم أنه ميت.

وروىٰ أبو الشيخ في تفسيره[(٦)] عن محمد بن جحادة قال: لله تعالىٰ شجرة تحت العرش، ليس مخلوق إلا له فيها ورقة، فإذا سقطت ورقة عبدٍ خرجت روحه من جسده، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ٨/ ٣١٢.

(٢) جامع البيان ٢١/ ٧.

(٣) السابق ٢١/ ٩.

(٤) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٣١٥.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٩٣.

(٦) ورواه أيضا في طبقات المحدثين بأصفهان ٢/ ٧٧.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: (ما من يوم إلا وملك الموت يتصفَّح كل بيت ثلاث مرَّات، فمَن وجده منهم قد استوفَىٰ رزقَه وانقضَىٰ أجلُه قبض روحه، فإذا قبض روحه أقبل أهله برنَّة وبكاء، فيأخذ ملك الموت بعضادتَي الباب فيقول: واللهِ ما أكلتُ له رزقًا، ولا أفنيت له عمرًا، ولا أنقصت له أجلاً، وإنَّ لي فيكم لَعودةً بعد عودة حتىٰ لا أُبقِي منكم أحدًا. قال الحسن: فواللهِ لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميِّتهم ولبكوا علىٰ أنفسهم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وأبو الشيخ في العظمة[1].

وروىٰ سعيد بن منصور وأحمد في الزهد عن عطاء بن يسار قال: ما من أهل بيت إلا يتصفَّحهم ملكُ الموت في كل يوم خمس مرات هل منهم أحد أُمِر بقبضه.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن كعب قال: ما من بيت فيه أحد إلا وملك الموت علىٰ بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أُمِر به يتوفَّاه.

وروىٰ أحمد في الزهد وأبو الشيخ[2] عن مجاهد قال: ما علىٰ ظهر الأرض من بيت شعر ولا مَدَر إلا وملك الموت يطيف به كل يوم مرتين.

وروىٰ ابن أبي شيبة[3] وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عبد الأعلىٰ التيمي قال: ما من أهل دار إلا وملك الموت يتصفَّحهم في اليوم مرتين.

وروىٰ أبو نعيم[4] عن ثابت البُناني قال: الليل [والنهار] أربع وعشرون ساعة، ليس فيها ساعة تأتي علىٰ ذي روح إلا وملك الموت قائم عليها، فإن أُمِر بقبضها قبضها، وإلا ذهب.

---

(١) العظمة ٣/ ٩٠٥ - ٩٠٦ إلىٰ قوله (حتىٰ لا أبقي منكم أحدا).

(٢) السابق ٣/ ٩٣٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٢٥.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٣٢٦.

وروى أبو الفضل الطوسي في عيون الأخبار وابن النجار في تاريخ بغداد[١] من طريق إبراهيم بن هُدبة عن أنس مرفوعًا: «إن ملك الموت لَينظرُ في وجوه العِباد في كل يوم سبعين نظرة، فإذا ضحك العبد الذي بُعث إليه يقول: عجبًا! بُعثتُ إليه لأقبض روحه وهو يضحك».

وروى أبو الشيخ في العظمة[٢] وابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال: يتصفَّح ملك الموت المنازل كل يوم خمس مرات، ويطَّلع في وجه ابن آدم في كل يوم اطِّلاعةً. قال: فمنها الرعدة التي تصيب الناسَ. يعني القشعريرة والانقباض.

وروى أبو الشيخ[٣] عن عكرمة قال: ما من يوم إلا وملك الموت ينظر في كتاب حياة الناس، قائل يقول: ثلاثًا، وقائل يقول: خمسًا.

وروى الطبراني في الكبير[٤] وأبو نعيم[٥] وابن منده[٦] كلاهما في الصحابة من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن الحارث بن الخزرج عن أبيه رفعه قال: «يقول ملك الموت: يا محمد، إني لأقبضُ روح ابن آدم، فإذا صرخ صارخٌ [من أهله] قمتُ في الدار ومعي روحه فقلت: ما هذا الصارخ؟ واللهِ ما ظلمناه، ولا سبقنا أجلَه، ولا استعجلنا قدره، وما لنا في قبضه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع الله تؤجروا، وإن تسخطوا تأثموا وتؤزَروا، وإنَّ لنا عندكم عودة بعد عودة، فالحذر الحذر، وما من أهل بيت شعر ولا مَدَر بَر ولا فاجر سهل ولا جبل إلا وأنا أتصفَّحهم في كل يوم وليلة، حتىٰ لأنا أعرفُ بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، واللهِ لو أردتُ أن

---

(١) وأورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٣٣.

(٢) العظمة ٣/ ٩١٠.

(٣) السابق ٣/ ٨٩١.

(٤) المعجم الكبير ٤/ ٢٢٠.

(٥) معرفة الصحابة ٢/ ١٠٠٣.

(٦) معرفة الصحابة ٢/ ٥٣٧ مقتصرا علىٰ أوله الحديث وهو قوله: نظر النبي ﷺ إلىٰ ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار ... الخ. ولم يذكر المتن المذكور هنا، وإنما قال: ثم ذكر حديثا طويلا.

أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذي يأذن بقبضها».
قال جعفر بن محمد: بلغني أنه إنما يتصفَّحهم عند مواقيت الصلاة.

والحارث مجهول، وكذا أبوه الخزرج لا يُعرَف، والحديث غريب، وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن جعفر بن محمد عن أبيه معضلاً، وفيه عمرو ابن شمر، وهو كذَّاب.

(**وقال يزيد**) بن[1] أبان (**الرَّقاشي**) أبو عمرو البصري القاصُّ، زاهد، ضعيف، مات قبل العشرين [ومائة] روى له البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه (**بينما جبَّار من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته، فثار إليه فزعًا مغضبًا فقال له: مَن أنت؟ ومَن أدخلك على داري؟ فقال: أما الذي أدخلني الدار فربُّها، وأما أنا فالذي لا يُمنَع من الحُجَّاب**) جمع حاجب وهو البوَّاب الذي يمنع الداخل من الدخول في الدار. ويحتمل أن يكون صيغة مبالغة من الحَجْب. وفي بعض النسخ: لا يمنع مني الحُجَّاب (**ولا أستأذن على الملوك، ولا أخاف صولة المتسلطنين، ولا يمتنع مني كلُّ جبَّار عنيد ولا شيطان مريد. قال**) الراوي: (**فأُسقِط في يد الجبار وارتعد**) جسمه (**حتى سقط منكبًّا لوجهه، ثم رفع رأسه إليه مستخذيًا**) أي مستكينًا (**متذلِّلاً له فقال له: أنت إذًا ملك الموت. قال: أنا هو. فقال: فهل أنت ممهلي**) أي تعطيني المُهلة (**حتى أُحدِث عهدًا**)؟ أي إنابةً ورجوعًا (**قال: هيهات! انقطعت مدَّتك، وانقضت أنفاسُك، ونفدت**) أي فرغت (**ساعاتك، فليس إلى تأخيرك سبيل. قال: فإلى أين تذهب بي؟ قال: إلى عملك الذي قدَّمتَه**) بين يديك (**وإلى بيتك الذي مهَّدتَه. قال: فإني لم أقدِّم عملاً صالحًا، ولم أمهِّد بيتًا حسنًا. قال: فإلى لَظى**) وهي دَرَكة من دركات جهنم (**نَزَّاعة للشَّوَى**): أطراف العظام (**ثم قبض روحه فسقط ميتًا بين أهله، فمن بين صارخ**) عليه (**وباكٍ. قال يزيد الرقاشي**) وهو الراوي لهذا الخبر: (**لو يعلمون**

(١) تقريب التهذيب ص ١٠٧١.

سوء المنقلب) وما أعدَّ الله لهم من الشدائد (**كان العويل علىٰ ذلك أكثر**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(**وعن الأعمش**) هو[١] سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي، ثقة، حافظ، ورِع، مولده أول سنة إحدىٰ وستين، ومات سنه سبع وأربعين [ومائة] روىٰ له الجماعة (**عن خيثمة**) بن[٢] عبد الرحمن بن أبي سَبْرة الجُعفي الكوفي، ثقة، مات بعد سنة ثمانين، روىٰ له الجماعة (**قال: دخل ملك الموت علىٰ سليمان بن داود عليهما السلام، فجعل ينظر إلىٰ رجل من جلسائه يديم النظرَ إليه، فلما خرج قال الرجل: مَن هذا؟ قال: هذا ملك الموت. قال: لقد رأيتُه ينظر إليَّ كأنَّه يريدني. قال: فماذا تريد؟ قال: أريد أن تخلِّصني منه فتأمر الريح حتىٰ تحملني إلىٰ أقصىٰ الهند. ففعلت الريحُ ذلك، ثم قال سليمان**) عَلَيْهِ السَّلَامُ (**لملك الموت بعد أن أتاه ثانيًا: رأيتك تديم النظرَ إلىٰ واحد من جلسائي. قال: نعم، كنت أتعجَّب منه؛ لأني كنت أُمرتُ أن أقبضه بأقصىٰ الهند في ساعة قريبة، وكان عندك، فعجبتُ من ذلك**) رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٣] فقال: حدثنا عبد الله بن نُمَير عن الأعمش عن خيثمة ... فذكره.

فصل: قال المصنِّف في الدرَّة الفاخرة[٤] في حال المحتضر: «وتزور عيناه».
قال السيوطي: قال ابن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن عبد الملك، عن عبد الله بن الجرَّاح الخراساني، عن جرير، عن حصين قال: بلغني أن ملك الموت إذا غمز وريد الإنسان فحينئذٍ يشخص بصرُه ويذهل عن الناس.

وروىٰ الدينوري في المجالسة[٥] عن سفيان الثوري قال: إن ملك الموت إذا

(١) السابق ص ٤١٤.
(٢) السابق ص ٣٠٤.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٥.
(٤) الدرة الفاخرة ص ١٤ - ١٦.
(٥) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٣٠٢.

غمز وتينَ العبد انقطعت معرفته، وانقطع كلامُه، ونسي الدنيا وما كان فيها، فلولا أنه يُسقَىٰ من سكرات الموت لضرب مَن حوله بالسيف لشدة ما يعالج.

وقال المصنِّف أيضًا: «فمنهم مَن يطعنه الملك بحربة [مسمومة]». قال القرطبي[1]: لم أرَ لهذه الحربة ذكرًا في الآثار إلا في أثر عن معاذ. انتهىٰ.

قال السيوطي في الأمالي: وبالإسناد إلىٰ أبي نعيم قال[2]: حدثنا أحمد بن عبيد الله بن محمود، حدثنا محمد بن أحمد بن يحيىٰ، حدثنا [أبو بكر المؤدِّب، حدثنا] سلمة بن شبيب، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد ابن معدان، عن معاذ بن جبل قال: إنَّ لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، فإذا انقضَىٰ أجلُ عبدٍ من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال: الآن يُزار بك عسكر الأموات.

قال السيوطي: هذا موقوف في معنىٰ المرفوع؛ لأن مثله لا يقال بالرأي.

وقال في شرح الصدور: روىٰ ابن عساكر[3] من طريق جويبر عن الضحَّاك عن ابن عباس مرفوعًا: «إن لملك الموت حربة مسمومة، طرف لها بالمشرق، وطرف لها بالمغرب، يقطع بها عِرق الحياة». قال ابن عساكر: رفعُه منكر.

قال السيوطي: وعلىٰ هذه الرواية اعتمد الغزالي في الدرة الفاخرة، ولم يقف عليها القرطبيُّ فقال: لم أجد لهذه الحربة ذِكرًا إلا في أثر معاذ.

وقال المصنِّف أيضًا: وعند استقرار النفس في الترقِّي تُعرَض عليه الفتن.

قال السيوطي: وشاهدُه مرسَل عطاء بن يسار: «وأقرب ما يكون عدو الله

---

(١) التذكرة ص ٢٥٤.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢١٤.

(٣) تاريخ دمشق ٣٣/ ٢٦٢.

منه تلك الساعة». رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده. وعند ابن أبي الدنيا من حديث أبي الحسين البرجمي: «وإن إبليس عدوَّ الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الأحبَّاء». وعند أبي نعيم في الحلية من حديث واثلة بن الأسقع: «وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع». وقد تقدَّم كل ذلك.

قال: وما ذكره المصنِّف من أن جبريل يأتيه فيطرد عنه الشياطين ويقول: يا فلان ... إلخ، لم أرَه هكذا، لكن ورد في أثر: أن ملك الموت يطردهم ويلقِّنه الشهادة، وفي حديث: أن جبريل يحضر الميتَ علىٰ طهارة. أما الأول فروىٰ ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد: بلغني أنه إنما يتصفَّحهم ملكُ الموت عند مواقيت الصلاة، فإذا نظر عند الموت فإن كان ممَّن يحافظ علىٰ الصلوات دنا منه الملكُ وطرد عنه الشيطان ولقَّنه الملك «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» في ذلك الحال العظيم. وهو حديث معضل. وأما الثاني ففي المعجم الكبير[١] من حديث ميمونة بنت سعد قالت: قلت: يا رسول الله، هل يرقد الجُنبُ؟ قال: «ما أحب أن يرقد [وهو جُنبٌ] حتىٰ يتوضأ [ويُحسِن وضوءه] فإني أخشىٰ أن يتوفَّىٰ فلا يحضره جبريلُ».

قال: «ومن الناس مَن إذا بلغت نفسُه الحلقومَ كُشف له عن أهله». شاهدُه ما رواه أبو نعيم[٢] من طريق ابن المبارك عن ليث عن مجاهد قال: ما من ميت يموت إلا عُرض عليه أهل مجلسه، إن كان من أهل الذكر فمن أهل الذكر، وإن كان من أهل اللهو فمن أهل اللهو. ورواه أيضًا ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين والبيهقي في الشعب[٣].

---

(١) المعجم الكبير ٢٥/ ٣٧.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٣.

(٣) شعب الإيمان ٨/ ٤٨٥.

ورواه ابن أبي شيبة[١] من طريق مجاهد عن يزيد بن شجرة – وهو صحابي – قال: ما من ميت يموت حتىٰ يُمثَّل له جُلَساؤه عند موته، إن كانوا أهل لهو فأهل لهو، وإن كانوا أهل ذكر فأهل ذكر.

وروىٰ البيهقي في الشعب[٢] عن الربيع بن برَّة – وكان عابدًا بالبصرة – قال: أدركتُ الناس بالشام وقيل لرجل: [يا فلان] قل: لا إله إلا الله، فقال: اشربْ واسقِني. وقيل لرجل بالأهواز: يا فلان، قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: ده يازده دوازده[٣]. وقيل لرجل ههنا بالبصرة: يا فلان، قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول:

يا رُبَّ قائلةٍ يومًا وقد تعبتْ … كيف الطريق إلىٰ حَمَّام مِنجاب[٤]

قال أبو بكر[٥]: هذا رجل استدلَّته امرأةٌ إلىٰ الحَمَّام فدلَّها إلىٰ منزله، فقاله عند الموت.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ليس من ميت يموت إلا مُثِّل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة، فيشخص إلىٰ حسناته ويُطرِق من سيِّئاته.

وروىٰ عن الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑬﴾ [القيامة:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦٢.

(٢) شعب الإيمان ٨/ ٤٨٥.

(٣) يعني: عشرة، أحد عشر، اثنا عشر.

(٤) في تاريخ دمشق ٧٤/ ٧٠ ما يدل علىٰ أن هذا البيت للفرزدق، لكني لم أقف عليه في ديوانه. وحمام منجاب، قال ياقوت في معجم البلدان ٢/ ٢٩٩: بالبصرة، ينسب إلىٰ منجاب بن راشد الضبي. وقال الثعالبي في ثمار القلوب ص ٣١٨: منجاب اسم امرأة كان لها حمام بالبصرة لم ير مثله، وكان يغل غلة كثيرة، وكانت تأتي إليه وجوه الناس.

(٥) هو أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد، أحد رواة القصة. انظر كامل القصة في «العاقبة في ذكر الموت»، ص١٧٩.

١٣] قال: ينزل عند الموت [عليه] حَفَظَتُه فتعرض عليه الخير والشرَّ، فإذا رأىٰ حسنة بهش وأشرق، وإذا رأىٰ سيئة غضَّ وقطبَ.

وروىٰ عن حنظلة بن الأسود قال: مات مولىٰ لي، فجعل يغطي وجهه مرةً ويكشفه أخرىٰ، فذكرت ذلك لمجاهد، فقال: بلغنا أن نفس المؤمن لا تخرج حتىٰ يُعرَض عليه عمله خيره وشرُّه[1].

(١) رواه الختلي في الديباج ص ٩٨ (ط - دار البشائر).

الباب الرابع:

في وفاة رسول الله ﷺ
ووفاة الخلفاء الراشدين من بعده ﷺ

(وفاة رسول الله ﷺ)[١]

اعلمْ) هداكَ الله تعالىٰ بتأييده وأوصلنا وإيَّاكَ إلىٰ مقام توفيقه وتسديده أن هذا الفصل مضمونه يُسكِبُ المَدامِعَ من الأجفان، ويجلب الفجائعَ لإثارة الأحزان، ويلهب نيران الموجدة علىٰ أكباد ذوي الإيمان. اعلمْ **(أنَّ في رسول الله ﷺ أُسوة حسنة)** الأسوة بالكسر وبالضم: القدوة **(حيًّا وميتًا، وفعلاً وقولاً)** يجب التأسِّي به في جميع الأحوال. قال أبو الجوزاء: كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبةٌ جاءه أخوه فصافحه ويقول له: يا عبد الله، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة **(وجميع أحواله)** ﷺ **(عِبرة للناظرين)** المتأمِّلين **(وتبصرة للمستبصرين؛ إذ لم يكن أحد)** من المخلوقات **(أكرم علىٰ الله منه؛ إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيَّه، وكان صفيَّه ورسوله ونبيَّه)** وقد شهدت بذلك الآيات والأخبار الصحيحة **(فانظرْ هل أمهله ساعةً عند انقضاء مدَّته، وهل أخَّره لحظةً بعد حضور منيَّته، لا، بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكَّلين بقبض أرواح الأنام)** وهم ملك الموت مع الأعوان، كما تقدمت الإشارة لذلك **(فجدُّوا بروحه الزكيَّة الكريمة لينقلوها، وعالجوها ليرحِّلوها عن جسده الطاهر)** المطهَّر **(إلىٰ رحمة ورضوان وخيرات**

---

(١) انظر الكلام عن وفاة النبي ﷺ في: المواهب اللدنية للقسطلاني ٤/ ٥١١ - ٥٦٩ (ط - المكتب الإسلامي). لطائف المعارف لابن رجب ص ١٩١ - ٢١٦ (ط - دار ابن كثير).

حسان، بل إلىٰ مقعد صِدق في جوار الرحمن، فاشتد مع ذلك في النزع كربُه) وهو[1] ما كان يجده ﷺ من شدة الموت؛ لأنه كان فيما يصيب جسدَه من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجرُ **(وظهر أنينُه، وترادف قلقُه، وارتفع حنينه، وتغير لونه، وعرقَ جبينُه، واضطربت في الانقباض والانبساط شِمالُه ويمينه، حتىٰ بكىٰ لمصرعه مَن حضره)** من الرجال والنساء **(وانتحب لشدة حاله مَن شاهد منظره، فهل رأيتَ منصب النبوَّة دافعًا عنه مقدورًا، وهل راقب الملكُ فيه أهلاً وعشيرًا، وهل سامحه إذ كان للحق نصيرًا وللخَلق بشيرًا ونذيرًا، هيهات! بل امتثل ما كان به مأمورًا، واتَّبع ما وجده في اللوح مسطورًا، فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود)** الذي يحمده الأوَّلون والآخِرون **(والحوض المورود)** كما وردت بذلك الأخبارُ، وسيأتي ذِكرُها **(وهو أول مَن تنشقُّ الأرض عنه)** رواه الترمذي[2] من حديث أبي هريرة، وقال: حسن غريب، ولفظه: «أنا أول مَن تنشقُّ عنه الأرض فأُكسَىٰ الحُلَّة من حُلَل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش، ليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذلك المقامَ غيري».

وروىٰ ابن أبي شيبة[3] والطبراني[4] من حديث ابن عباس: «أنا أول مَن تنشقُّ عنه الأرضُ ولا فخر».

(وهو صاحب الشفاعة يوم العرض) روىٰ أحمد[5] والترمذي وحسَّنه وابن ماجه[6] من حديث أبي سعيد: «أنا أول شافع وأول مشفَّع ولا فخر».

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٨/ ٧٥٦.

(٢) سنن الترمذي ٦/ ٨.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٣٣٩.

(٤) المعجم الكبير ١٢/ ١٦٦.

(٥) مسند أحمد ١٧/ ١١.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٧٨.

وروىٰ مسلم[١] وأبو داود[٢] من حديث أبي هريرة: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول مَن ينشقُّ عنه القبرُ، وأول شافع، وأول مشفَّع».

وروىٰ الطبراني[٣] من حديث جابر: «فإذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد معي، وكنت إمام المرسَلين وصاحب شفاعتهم».

(فالعجب أنَّا لا نعتبر به ولسنا علىٰ ثقة فيما نلقاه، بل نحن أُسَراء الشهوات وقُرَناء المعاصي والسيئات، فما بالنا لا نتَّعظ بمصرع) سيدنا **(محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين)** ﷺ؟ **(لعلَّنا نظن أننا مخلَّدون)** في الدنيا **(أو نتوهَّم أنَّا مع سوء أفعالنا عند الله مكرَمون، هيهات هيهات! بل نتيقَّن أنَّا جميعًا علىٰ النار واردون، ثم لا ينجو منها إلا المتَّقون، فنحن للورود متيقِّنون، وللصدور عنها متوهِّمون)** روىٰ ابن المبارك[٤] وأحمد كلاهما في الزهد وابن عساكر[٥] عن بكر بن عبد الله المُزَني قال: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١] ذهب عبد الله بن رواحة إلىٰ بيته فبكىٰ، فجاءت المرأة فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عَبْرتُهم قال: يا أهلاه، ما الذي أبكاكم؟ قالوا: لا ندري، ولكن قد رأيناك بكيتَ فبكينا. قال: [إنه] أنزلت علىٰ رسول الله ﷺ آية ينبئني فيها ربِّي تبارك وتعالىٰ أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها، فذلك الذي أبكاني.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٦] عن عروة بن الزبير قال: لمَّا أراد ابن رواحة

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٨٠.
(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢١٤.
(٣) المعجم الكبير ٢/ ١٨٤.
(٤) الزهد والرقائق ص ١٢٣.
(٥) تاريخ دمشق ٢٨/ ١٠٦.
(٦) حلية الأولياء ١/ ١١٨.

الخروج إلىٰ أرض مؤتة من الشام أتاه المسلمون يودِّعونه، فبكىٰ فقال: واللهِ ما بي حب الدنيا ولا ضنانة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقد علمتُ أني وارد النار، ولا أدري كيف الصدر بعد الورود.

وروىٰ ابن المبارك[1] وسعيد بن منصور[2] وابن أبي شيبة[3] وأحمد[4] وهنَّاد[5] معًا في الزهد وعبد بن حميد والحاكم[6] والبيهقي في البعث عن قيس بن أبي حازم قال: بكىٰ عبد الله بن رواحة، فقالت امرأته: ما يبكيك؟ قال: إني أُنبئتُ أني وارد النار، ولم أنبَّأ أني صادر.

وروىٰ ابن أبي شيبة[7] عن الحسن قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يقول الرجل لصاحبه: هل أتاك أنك وارد؟ فيقول: نعم، فيقول: هل أتاك أنك خارج منها؟ فيقول: لا، فيقول: ففيمَ الضحكُ إذًا.

وروىٰ ابن المبارك[8] وهناد[9] عن أبي ميسرة أنه أوَىٰ إلىٰ فراشه فقال: يا ليت أمي لم تلدني. فقالت امرأته: يا أبا ميسرة، إن الله قد أحسن إليك، هداك إلىٰ الإسلام. فقال: أجل، ولكن الله قد بيَّن لنا أنَّا واردوا النارَ، ولم يبيِّن أنَّا صادرون عنها.

---

(١) الزهد والرقائق ص ١٢٤.

(٢) تفسير سعيد بن منصور ٦/ ٢٣٩.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١١٨.

(٤) الزهد ص ١٦٤.

(٥) الزهد ١/ ١٦٣.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٥/ ٥٢.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٠٠.

(٨) الزهد والرقائق ص ١٢٤.

(٩) الزهد ص ١٦٤.

وروىٰ ابن المبارك[١] عن الحسن قال: قال رجل لأخيه: يا أخي، هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا. قال: ففيمَ الضحكُ؟ فما رُؤِيَ ضاحكًا حتىٰ مات.

(**لا، بل ظلمنا أنفسَنا أنْ كنا كذلك لغالب الظن منتظرين، فما نحن واللهِ من المتقين، وقد قال الله رب العالمين:** ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾) أي داخلها، كما قاله ابن عباس وابن مسعود[٢]. وروىٰ ابن أبي حاتم[٣] عن ابن زيد قال: ورود المسلمين المرورُ علىٰ الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها (﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾) أي قَسَمًا واجبًا (﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾) [مريم: ٧١ - ٧٢] أي علىٰ رُكَبهم، ولا يجلس الرجل جاثيًا إلا عند كربٍ ينزل به[٤] (**فلينظر كل عبد إلىٰ نفسه أنه إلىٰ الظالمين أقرب أمْ إلىٰ المتقين، فانظر إلىٰ نفسك بعد أن تنظر إلىٰ سيرة السلف الصالحين، فلقد كانوا مع ما وُفِّقوا له من الخائفين، ثم انظر إلىٰ سيد المرسلين**) ﷺ (**فإنه كان من أمره علىٰ يقين؛ إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين، واعتبِرْ كيف كان كربُه عند فراق الدنيا، وكيف اشتد أمرُه عند الانقلاب إلىٰ جنة المأوَىٰ**) لِما أن الموت مكروه بالطبع؛ لِما فيه من الشدة والمشقَّة العظيمة، ولذا لم يمُتْ نبيٌّ من الأنبياء حتىٰ يخيَّر، وأول ما أُعلِمَ النبي ﷺ من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة «إذا جاء نصر الله والفتح»، فإن المراد من هذه السورة: أنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتَهم إليه أفواجًا فقد قرُب أجلُك، فتهيَّأ للقائنا بالتحميد والاستغفار، فإنه قد حصل منك مقصود ما أُمِرتَ به من أداء الرسالة والتبليغ، وما عندنا خير لك من

---

(١) الزهد والرقائق ص ١٢٤.

(٢) انظر: الدر المنثور ١٠/ ١١٣ - ١١٤.

(٣) وكذلك الطبري في جامع البيان ١٥/ ٥٩٧.

(٤) رواه الطبري في جامع البيان ١٥/ ٦٠٧ عن عبد الرحمن بن زيد قال: الجثي شر الجلوس، ولا يجلس الرجل ... الخ.

الدنيا، فاستعِدَّ للنقلة إلينا. وقد قيل: إن هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو ﷺ بمِنىٰ في حجة الوداع، وقيل: عاش بعدها إحدىٰ وثمانين يومًا، وعند ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس: عاش بعدها تسع ليالٍ، وعن مقاتل: سبعًا. وعن بعضهم: ثلاثًا. ولأبي يعلىٰ من حديث ابن عمر: نزلت هذه السورة في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع[1]. وروىٰ الطبراني[2] من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لمَّا نزلت هذه السورة نُعيت إلىٰ رسول الله ﷺ نفسه، فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادًا في أمر الآخرة. وما زال ﷺ يعرِّض باقتراب أجله في آخره، فإنه لمَّا خطب في حجة الوداع قال للناس: «خذوا عني مناسككم، فلعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا»، وطفق يودِّع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع.

(قال ابن مسعود رضي الله عنه: دخلنا علىٰ رسول الله ﷺ في بيت أمِّنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراقُ، فنظر إلينا، فدمعت عيناه ﷺ، ثم قال: مرحبًا بكم، حيَّاكم الله، أواكم الله، نصركم الله، أوصيكم بتقوىٰ الله، وأوصي بكم اللهَ، إني لكم منه نذير مبين، أن لا تعلوا علىٰ الله في بلاده وعباده، وقد دنا الأجلُ والمنقلَب إلىٰ الله، وإلىٰ سِدرة المنتهَىٰ، وإلىٰ جنة المأوَىٰ، وإلىٰ الكأس الأوفَىٰ، فاقرؤوا علىٰ أنفسكم وعلىٰ مَن دخل في دينكم بعدي مني السلامَ ورحمة الله) قال العراقي[3]: رواه البزار[4] وقال: هذا الكلام قد رُوي عن مُرَّة عن عبد الله من غير وجه، وأسانيدها متقاربة. قال: وعبد الرحمن ابن الأصبهاني لم يسمع هذا من مُرَّة وإنما هو عمَّن أخبره عن مرة. قال: ولا أعلم أحدًا رواه عن عبد الله غير مرة. قلت: وقد رُوي

---

(١) رواه البزار في مسنده ١٢/ ٢٩٨، وعبد بن حميد في مسنده ٢/ ٦٢، والروياني في مسنده ٢/ ٤١١، والفاكهي في أخبار مكة ٤/ ٢٤٩، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٥/ ٢٤٧.

(٢) المعجم الكبير ١١/ ٣٢٩.

(٣) المغني ٢/ ١٢١٥.

(٤) مسند البزار ٥/ ٣٩٥ - ٣٩٦.

من غير ما وجه، رواه ابن سعد في الطبقات[١] من رواية ابن عون عن ابن مسعود، ورويناه في مشيخة القاضي أبي بكر الأنصاري من رواية الحسن العُرَني عن ابن مسعود، ولكنهما منقطعان وضعيفان، والحسن العرني إنما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط[٢]. ا.هـ.

قلت: أورده الواحدي في التفسير بسنده إلىٰ ابن مسعود قال: نعىٰ لنا رسولُ الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراقُ جمعنا في بيت عائشة فقال: «حيَّاكم الله بالسلام، رحمكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، نصركم الله، رفعكم الله، آواكم الله، أوصيكم بتقوىٰ الله، وأستخلف الله عليكم، وأحذِّركم اللهَ، إني لكم منه نذير مبين، أن لا تعلوا علىٰ الله في بلاده وعباده، فإنه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣] وقال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠] ... الحديث بطوله، وسيأتي قريبًا.
ورواه ابن منيع في مسنده بلفظ: «أوصيكم بتقوىٰ الله، وأوصي اللهَ بكم، وأستخلفه عليكم، وأودعكم إليه، وإني أُشهِدكم أني لكم نذير مبين ...» والباقي سواء.

(ورُوي أنه ﷺ **قال لجبريل** عليه السلام **عند موته: مَن لأمَّتي بعدي؟ فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ جبريل**) عليه السلام (**أن بشِّرْ حبيبي أني لا أخذله في أمَّته، وبشِّرْه بأنه أسرع الناس خروجًا من الأرض**) أي من قبره (**إذا بُعثوا، وسيدهم إذا جُمِعوا، وأن الجنة محرَّمة علىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمَّته. فقال**) ﷺ: (**الآن قرَّت عيني**) قال العراقي[٣]: رواه الطبراني في الكبير[٤] من حديث جابر وابن عباس في حديث طويل فيه: «مَن لأمَّتي المصطفاة من بعدي؟ قال: أبشِرْ يا حبيب الله، فإن الله عز وجل يقول: قد حرَّمت

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٢٢٤ - ٢٢٥.
(٢) المعجم الأوسط ٤/ ٢٠٨ - ٢٠٩. ورواه أيضا في الدعاء ص ١٣٧١ - ١٣٧٢.
(٣) المغني ٢/ ١٢١٥ - ١٢١٦.
(٤) المعجم الكبير ٣/ ٥٤ - ٦١.

الجنة علىٰ جميع الأنبياء والأمم حتىٰ تدخلها أنت وأمَّتك. قال: الآن طابت نفسي». وإسناده ضعيف.

قلت: فيه عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر وابن عباس، وعبد المنعم وأبوه ضعيفان. والحديث طويل جدًّا في ورقتين كبار سيأتي ذِكره قريبًا.

(**وقالت عائشة ﵂: أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسِّله بسبع قِرَبٍ من سبعة آبار، ففعلنا ذلك، فوجد راحة، فخرج فصلىٰ بالناس، واستغفر لأهل أُحد ودعا لهم، وأوصىٰ بالأنصار فقال: أما بعد، يا معشر المهاجرين، فإنكم تزيدون، وأصبحت الأنصار لا تزيد علىٰ هيئتها التي هي عليها اليوم، وإن الأنصار عيبتي التي أويتُ إليها**) أي موضع سرِّي (**فأكرِموا كريمَهم - يعني محسنهم - وتجاوزوا عن مسيئهم. ثم قال: إن عبدًا خُيِّر بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله. فبكىٰ أبو بكر ﵁ وظن أنه يريد نفسَه**) أي[1] لما فهم الرمزَ الذي أشار به النبي ﷺ من قرينة ذِكره ذلك في مرض موته، فاستشعر منه أنه أراد نفسه، فلذلك بكىٰ (**فقال النبي ﷺ: علىٰ رِسْلك يا أبا بكر، سُدُّوا هذه الأبوابَ الشوارعَ في المسجد إلا باب أبي بكر، فإني لا أعلم امرءًا أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر**) قال العراقي[2]: رواه الدارمي في مسنده[3]، وفيه إبراهيم بن المختار مختلَف فيه، عن محمد بن إسحاق وهو مدلِّس وقد رواه بالعنعنة.

قلت: يعني بذلك أنه بهذا السياق، وإلا[4] ففي عدَّة مواضع من الصحيح

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٧/ ١٥.

(٢) المغني ٢/ ١٢١٦.

(٣) سنن الدارمي ١/ ٥١ - ٥٢.

(٤) طرح التثريب للعراقي ٨/ ١٨٩ - ١٩٠.

للبخاري[١] من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «صُبُّوا عليَّ من سبع قِرَب لم تُحلَل أوكيتهنَّ لعلي أستريح فأعهد إلىٰ الناس». قالت عائشة: فأجلسناه في مِخضب لحفصة من نحاس، وسكبنا عليه الماءَ حتىٰ طفقَ يشير إلينا أنْ قد فعلتنَّ. ثم خرج. وهو عند النسائي في سننه الكبرىٰ[٢] من رواية عروة عن عائشة. ورواه أحمد[٣] عن محمد بن يحيىٰ بن عبد الله عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة، ورواه أيضًا عن معاوية بن صالح عن يحيىٰ بن معين عن هشام بن يوسف عن معمر قال: قال الزهري ... فذكره. وفي بعض سياقات البخاري بعد قوله «ثم خرج إلىٰ الناس»: فصلىٰ بهم وخطبَهم. وفي لفظ للبخاري والنسائي: أهريقوا عليَّ، بدل: صُبُّوا.

وروىٰ صاحب كتاب المتفجعين هذا الحديث فقال: حدثنا سليمان بن سيف أبو داود الحَرَّاني الحافظ، حدثنا أبو عمرو سعيد بن بزيع قال: حدثنا ابن إسحاق قال: حدثني يعقوب بن عتبة، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن عائشة قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع وأنا أجد صداعًا في رأسي وأنا أقول: وا رأساه ... فساق الحديث، وفيه: ثم اشتد وجعه فقال: «أهريقوا عليَّ سبع قِرَبٍ من آبار شتَّىٰ حتىٰ أخرج إلىٰ الناس فأعهد إليهم». فأقعدناه في مِخْضَب لحفصة بنت عمر، ثم صببنا عليه الماءَ حتىٰ طَفِقَ يقول بيده حسبكم حسبكم. قال الزهري: وحدثني أيوب بن بشير أن رسول الله ﷺ خرج عاصبًا رأسه حتىٰ جلس علىٰ المنبر، فأول ما تكلم به أن صلىٰ علىٰ أصحاب أُحد واستغفر لهم فأكثرَ، ثم قال: «إن عبدًا من عباد الله ﷻ خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده». ففهمها أبو بكر رضي الله عنه وعرف أن نفسه يريد فبكي وقال: نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٨٥، ٣/ ١٨٣، ٤/ ٣٨.
(٢) السنن الكبرىٰ ٦/ ٣٨٢ - ٣٨٣.
(٣) مسند أحمد ٤٢/ ٩٧، ٤٣/ ٨٧.

فقال: «علىٰ رِسْلك يا أبا بكر، انظروا هذه الأبوابَ الشارعة في المسجد فسُدُّوها إلا باب أبي بكر، فإني لا أعلم أحدًا كان أفضل عندي في الصُّحبة منه»[١]. ورواه الدارمي مثله. وأبو داود الحَرَّاني حافظ ثقة، وسعيد بن بزيع ما عرفت أحدًا تكلم فيه، وقد صرَّح فيه ابن إسحاق بالتحديث.

وروىٰ أحمد[٢] والشيخان[٣] من حديث عقبة بن عامر قال: صلىٰ رسول الله ﷺ علىٰ قتلىٰ أُحد بعد ثمان [سنين] كالمودِّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فَرَطٌ، وإني عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظرُ إليه وأنا في مقامي هذا، وإني قد أُعطيتُ مفاتيح خزائن الأرض، وإني لست أخشىٰ عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشىٰ عليكم الدنيا أن تَنافَسوا فيها».

وروىٰ مالك[٤] والشيخان[٥] والترمذي[٦] من حديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ جلس علىٰ المنبر فقال: «إن عبدًا خيَّره الله بين أن يؤتيه زهرةَ الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده». فبكىٰ أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله، فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فعجبنا، وقال الناس: انظروا إلىٰ هذا الشيخ، يخبر رسولُ الله ﷺ عن عبدٍ خيَّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمَّهاتنا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمُنا به، فقال النبي ﷺ: «إن أمَنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن أخوَّة الإسلام، لا يبقىٰ في المسجد

(١) الحديث في السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٩٠، ٢٩٨.

(٢) السابق ٢٨/ ٥٧٨، ٦١٩، ٦٢١.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٤١٢، ٢/ ٥٢٨، ٣/ ١٠٢، ١١١، ٤/ ١٧٧، ٢٠٧. صحيح مسلم ٢/ ١٠٨٨.

(٤) موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني ص ٣٠٥ (ط - المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية بمصر).

(٥) صحيح البخاري ١/ ١٦٧، ٣/ ٧، ٦٧. صحيح مسلم ٢/ ١١١٩.

(٦) سنن الترمذي ٦/ ٤١.

خوخة إلا سُدَّت إلا خوخة أبي بكر».

ورواه الطبراني[١] من حديث معاوية.

ورواه أحمد[٢] من حديث أبي مُوَيهِبة: «أوتيتُ مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة، فخُيِّرتُ بين ذلك وبين لقاء ربِّي والجنة، فاخترتُ لقاء ربي والجنة».

وعند عبد الرزاق[٣] من مرسَل طاووس مرفوعًا: «خُيِّرتُ بين أن أبقىٰ حتىٰ أرىٰ ما يُفتَح علىٰ أمَّتي وبين التعجيل، فاخترتُ التعجيل».

ورواه ابن السني في عمل يوم وليلة[٤] من حديث أبي المعلَّىٰ بلفظ: «إن عبدًا خيَّره اللهُ بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش فيها يأكل ما شاء أن يأكل منها وبين لقائه ...».

تنبيه: هذا الاغتسال لم يكن سببه إغماء كما ظنَّه بعضهم، وإنما كان مقصوده النشاط والقوة، وقد صرَّح بذلك في قوله: «لعلي أستريح».

وقوله[٥] في رواية الدارمي: «من سبع آبار شتَّىٰ» أي متفرقة، وهذه زيادة علىٰ رواية البخاري وغيره، فيحتمل أنها معيَّنة، ويحتمل أنها غير معيَّنة وإنما يُراد تفرُّقها خاصةً. فعلىٰ الأول، في تلك الآبار المعيَّنة خصوصيَّةٌ ليست في غيرها. وعلىٰ الثاني، الخصوصية في تفرُّقها. والله أعلم. وقد تقدَّم للمصنف في آخر كتاب الحج ذِكرُ الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويشرب من مائها ويغتسل، وهي

---

(١) المعجم الكبير ١٩/ ٣٤٢. المعجم الأوسط ٧/ ١١٥.
(٢) مسند أحمد ٢٥/ ٣٧٤ - ٣٧٦.
(٣) مصنف عبد الرزاق ١١/ ٩٩.
(٤) عمل اليوم والليلة ص ٢٦٥.
(٥) طرح التثريب ٨/ ١٩٢.

سبعة: بئر أريس، وبئر حاء، وبئر رومة، وبئر غَرْس، وبئر بضاعة، وبئر البُصة، وبئر السُّقيا أو بئر جمل. وفي السابعة تردُّدٌ، وقد تقدم الكلام عليها. وروىٰ ابن ماجه في السنن[١] من حديث عليٍّ بإسناد جيد: «إذا أنا متُّ فاغسلوني بسبع قِرَبٍ من بئري بئر غرس».

(قالت عائشة) ﵂: **(فقُبض ﷺ في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت، فدخل عليَّ أخي عبدُ الرحمن وبيده سواك، فجعل ينظر إليه، فعرفت أنه يعجبه ذلك، فقلت له: آخذه لك؟ فأومأ برأسه أيْ نعم، فناولتُه إيَّاه، فأدخله في فيه، فاشتدَّ عليه، فقلت: أليِّنه لك؟ فأومأ برأسه أيْ نعم، فليَّنتُه، وكان بين يديه رَكْوة ماء، فجعل يُدخِل فيها يدَه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات. ثم نصب يده يقول: الرفيق الأعلىٰ، الرفيق الأعلىٰ. فقلت: إذًا واللهِ لا يختارنا)** قال العراقي[٢]: متفق عليه[٣].

قلت: في رواية للبخاري: إنَّ من نعم الله عليَّ أن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، ودخل عليَّ عبد الرحمن وبيده سواك، وأنا مسنِدة رسول الله ﷺ، فرأيتُه ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخُذه لك؟ فأشار برأسه أنْ نعم.

وفي رواية له: مر عبد الرحمن وبيده جريدة رطبة، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فظننت أنَّ له بها حاجة، فأخذتها فمضغت رأسَها ونفضتها ودفعتها إليه، فاستنَّ بها أحسن ما كان مستنًّا، ثم ناولنيها، فسقطت يده - أو سقطت من يده - فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة.

وفي رواية له: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر علىٰ النبي ﷺ وأنا مسنِدته إلىٰ صدري، ومع عبد الرحمن سواكٌ رَطب يستنُّ به، فأمدَّ رسول الله ﷺ بصرَه،

---

(١) سنن ابن ماجه ٣/ ٢٨.

(٢) المغني ٢/ ١٢١٦.

(٣) الحديث بهذا السياق ليس في صحيح مسلم، وقد رواه البخاري في صحيحه ٣/ ١٨٢ - ١٨٥.

فأخذتُ السواك فقصمته ونفضته وطيَّبته، ثم دفعته إلىٰ النبي ﷺ، فاستنَّ به، فما رأيته استنَّ استنانًا قط أحسن منه.

وفي حديث خرَّجه العقيليُّ[١] أنه ﷺ قال لها في مرضه: «ائتيني بسواك رَطب فامضغيه ثم ائتيني به أمضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهوَّن به عليَّ عند الموت».

وروىٰ البخاري[٢] أيضًا من حديثها أنه ﷺ كان بين يديه علبة أو ركوة فيها ماء، فجعل يُدخِل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات». وقد تقدم ذلك.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا سليمان بن سيف حدثنا سعيد بن بزيع، عن ابن إسحاق قال: قال الزهري، حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن عائشة ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما أسمعه يقول: «إن الله لم يقبض نبيًّا حتىٰ يخيِّره». فلما حُضِر ﷺ كان آخر كلمة سمعتُها منه: «بل الرفيق الأعلىٰ من الجنة». قلت: إذًا لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: «إن الأنبياء لا تُقبَض حتىٰ تُخيَّر»[٣].

قال: وحدثنا عبد الملك بن عبد الحميد الميموني ومحمد بن علي بن ميمون قالا: حدثنا القَعْنَبي، عن مالك، عن هشام بن عروة، عن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت وهو مستند إلىٰ صدرها يقول: «اللهم اغفرْ لي، وارحمني، وألحِقْني بالرفيق الأعلىٰ»[٤].

---

(١) الضعفاء الكبير ٢/ ٦٤٤.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٨٥، ٤/ ١٩٣.

(٣) الحديث في السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٣٠١. وقد رواه من طريق ابن إسحاق: أحمد في مسنده ٤٣/ ٣٦٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٨٩، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢/ ٢٢٠.

(٤) رواه مالك في الموطأ ١/ ٢٣٨، والبخاري في صحيحه ٣/ ١٨٣، ٤/ ٣٠، ومسلم في صحيحه ٢/ ١١٤٢.

وروىٰ أحمد[١] من حديث عائشة: كان ﷺ يقول: «ما من نبي إلا تُقبَض نفسه ثم يرىٰ الثواب ثم تُرَدُّ إليه نفسه فيخيَّر بين أن تُرَدَّ إليه إلىٰ أن يلحق». فكنت قد حفظتُ [ذلك منه] فإني لَمسنِدته إلىٰ صدري، فنظرت إليه حتىٰ مالت عنقه، فقلت: قضىٰ، فعرفتُ الذي قال، فنظرت إليه حتىٰ ارتفع ونظر، فقلت: إذًا واللهِ لا يختارنا، فقال: «مع الرفيق الأعلىٰ في الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسُنَ أولئك رفيقًا».

وروىٰ البخاري[٢] من حديثها أنه ﷺ لمَّا حضره القبضُ ورأسه علىٰ فخذ عائشة غُشي عليه، فلما أفاق شخصَ بصرُه نحو سقف البيت، ثم قال: «اللهم في الرفيق الأعلىٰ».

وفي لفظ: «اللهم أسألك - أو أسأل الله - الرفيق الأعلىٰ الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل». رواه النسائي من حديث أبي موسىٰ، وصححه ابن حبان[٣].

قال ابن حجر في شرح الشمائل[٤]: ظاهره أن الرفيق مكان يرافق فيه المذكورين، وفي النهاية[٥]: هو جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلىٰ عِلِّيِّين، وقيل: هو الله تعالىٰ؛ لأنه تعالىٰ رفيق بعباده. ا.هـ. وقيل: حظيرة القدس. وختم كلامَه بهذه الكلمة لتضمُّنها التوحيد والذكر بالقلب، وإشارة إلىٰ أن مَن منع لسانَه مانعٌ عن الذكر وقلبه مشغول به لم يضرَّه ذلك. أشار إليه السهيلي في الروض الأنف[٦].

---

(١) مسند أحمد ٤٠/ ٥١٠.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٨٢.

(٣) الحديث في السنن الكبرىٰ للنسائي ٦/ ٣٩١، ٩/ ٤٠٢ وصحيح ابن حبان ١٤/ ٥٥٦ من حديث عائشة، وليس من حديث أبي موسىٰ.

(٤) أشرف الوسائل ص ٥٦٩.

(٥) النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٤٦.

(٦) الروض الأنف ٧/ ٥٧٦ - ٥٧٧، ونصه: «ذكر أن آخر كلمة تكلم بها ﷺ: اللهم الرفيق =

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا علي بن عثمان الفُضَيلي، حدثنا أبو علي المخارق بن ميسرة، حدثنا عثمان، حدثنا حسين بن واقد، عن أبي الزبير، عن جابر قال: جاء جبريل إلىٰ النبي ﷺ علىٰ فرس أبلق عليه قطيفة من إستبرق فقال: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، جزاك الله من رسول ونبيٍّ خيرًا، فقد بلَّغتَ الرسالة، ونصحت للأمَّة، وجاهدت في السبيل، وقضيتَ الذي عليك، فهذه مفاتيح الدنيا قد أتيتك بها لك بما صنعتَ، ولك الجنة بعد الموت أو اللحوق بالله عَزَّوَجَلَّ. قال: «لا، بل اللحوق بالله»(١).

(**وروىٰ سعيد بن عبد الله عن أبيه**) عبد الله بن ضِرار بن الأزور (**قال: لمَّا رأت الأنصارُ أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد، فدخل العباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **علىٰ النبي ﷺ فأعلمَه بمكانهم وإشفاقهم، ثم دخل عليه الفضل**) بن العباس (**فأعلمَه بمثل ذلك، ثم دخل عليه عليٌّ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **فأعلمَه بمثله، فمدَّ يده وقال: ها،**

= الأعلىٰ. وهذا منتزع من قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ إلىٰ قوله سبحانه: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ فهذا هو الرفيق الأعلىٰ، ولم يقل: الرفقاء؛ لأن أهل الجنة يدخلونها علىٰ قلب رجل واحد. وهذه الكلمة تتضمن معنىٰ التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن؛ لأنه قال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ وهم أصحاب الصراط المستقيم، وهم أهل لا إله إلا الله، قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم بين في الآية المتقدمة مَن الذين أنعم الله عليهم فذكرهم، وهم الرفيق الأعلىٰ الذين ذكرهم رسول الله ﷺ حين خير فاختار. وبعض الرواة يقول عن عائشة في هذا الحديث: فأشار بأصبعه وقال: في الرفيق. وفي رواية أخرىٰ أنه قال: اللهم الرفيق، وأشار بالسبابة، يريد التوحيد، فقد دخل بهذه الإشارة في عموم قوله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة. ولا شك أنه عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في أعلىٰ درجات الجنة ولو لم يشر، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل: لِمَ لم يكن آخر كلامه لا إله إلا الله؟ وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترضع عند حليمة أن قال: الله أكبر. رأيت ذلك في بعض كتب الواقدي».

(١) رواه أحمد في مسنده ٢٢/ ٣٩٠ وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٢٧٩ مختصرا جدا بلفظ: «أتيت بمقاليد الدنيا علىٰ فرس أبلق عليه قطيفة من سندس».

فتناولوه، فقال: ما يقولون؟ قالوا: يقولون: نخشىٰ أن يموت. وتصايَحَ نساؤهم لاجتماع رجالهم إلىٰ النبي ﷺ، فثار رسولُ الله ﷺ، فخرج متوكِّئًا علىٰ عليٍّ والفضل، والعباس أمامه، ورسول الله ﷺ معصوب الرأس، يخطُّ برجليه حتىٰ جلس علىٰ أسفل مِرقاة من المنبر، وثابَ الناسُ إليه) أي اجتمعوا (فحمد اللهَ وأثنىٰ عليه وقال: أيها الناس، إنه بلغني أنكم تخافون عليَّ الموتَ، كأنَّه استنكار منكم للموت، وما تنكرون من موت نبيِّكم، ألم أُنْعَ إليكم وتُنْعَ إليكم أنفسكم؟ هل خُلِّد نبيٌّ قبلي فيمَن بُعِث فأخلَّد فيكم؟ ألا إني لاحق بربِّي، وإنكم لاحقون به، وإني أوصيكم بالمهاجرين الأوَّلين خيرًا، وأوصي المهاجرين فيما بينهم، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلىٰ آخرها، وإن الأمور تجري بإذن الله، فلا يحملنَّكم استبطاءُ أمرٍ علىٰ استعجاله، فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعجل لعجلة أحد، ومَن غالَبَ اللهَ غلبه، ومَن خادَعَ اللهَ خدعه ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد: ٢٢] وأوصيكم بالأنصار خيرًا، فإنهم الذين تبوَّأوا الدارَ والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم الثمار؟ ألم يوسِّعوا عليكم في الديار؟ ألم يؤثروكم علىٰ أنفسهم وبهم الخَصاصة؟ ألا فمَن وليَ أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وإني فَرَطٌ لكم، وأنتم لاحقون بي، ألا وإن موعدكم الحوض، وحوضي أعرضُ مما بين بُصْرَىٰ الشام وصنعاء اليمن، يصبُّ فيه ميزابُ الكوثر ماءً أشد بياضًا من اللبن، وألين من الزبد، وأحلىٰ من الشهد، مَن شرب منه لم يظمأ أبدًا، حصباؤه اللؤلؤ، وبطحاؤه من مسك، مَن حُرِمَه في الموقف غدًا حُرِمَ الخير كله، ألا فمَن أحب أن يَرِدَه عليَّ غدًا فليكفف لسانَه ويده إلا مما ينبغي. فقال العباس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يا نبي الله، أوصِ بقريش. فقال: إنما أوصي بهذا الأمر قريشًا، والناس تبعٌ لقريش، بَرُّهم لبَرِّهم، وفاجرهم لفاجرهم، فاستوصوا آل قريش بالناس خيرًا. يا أيها الناس، إن الذنوب تغيِّر النعم وتبدِّل القِسَم، فإذا بَرَّ

الناسُ برَّهم أئمَّتُهم، وإذا فجرَ الناسُ عقُّوهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾) قال العراقي[١]: هو [حديث] مرسل ضعيف، وفيه نكارة، ولم أجد له أصلاً، وأبوه عبد الله بن ضِرار بن الأزور تابعيٌّ روىٰ عن ابن مسعود، قال أبو حاتم[٢] فيه وفي ابنه سعيد: ليس بالقوي.

قلت: أسنده سيف بن عمر في كتاب الفتوح هكذا، وأورده الفاكهاني في «الفجر المنير» من طريقه، قال الذهبي[٣]: سعيد بن عبد الله بن ضرار، عن أنس، قال أبو حاتم: ليس بقويٍّ. وعبد الله بن ضِرار، عن أبيه وغيره، قال يحيىٰ: لا يُكتَب حديثه.

وروىٰ البخاري[٤] من حديث أنس: مرَّ أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقالا: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلسَ النبي ﷺ منا. فدخل أحدهما علىٰ النبي ﷺ فأخبره بذلك، فخرج النبي ﷺ وقد عصبَ علىٰ رأسه حاشية بُرْد، فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم».

وروىٰ أحمد[٥] ومسلم[٦] وأبو عوانة من حديث جابر[٧]: «ألا إني فَرَطٌ لكم علىٰ الحوض، وإنَّ بُعد ما بين طرفَيْه مثل ما بين صنعاء وأَيْلة، كأنَّ الأباريق فيه النجوم».

---

(١) المغني ٢/ ١٢١٦.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٣٦، ٥/ ٨٨.

(٣) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ١٦٠، ٢١٩.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ٤٢.

(٥) مسند أحمد ٣٤/ ٤٢١ مقتصرا علىٰ قوله (أنا فرطكم علىٰ الحوض).

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩١.

(٧) يعني ابن سمرة السوائي.

وروىٰ ابن أبي شيبة[١] وابن جرير من حديث أبي هريرة: «الناس تبعٌ لقريش في هذا الأمر، فخيارهم تبعٌ لخيارهم، وشِرارهم تبعٌ لشِرارهم».

وروىٰ الطبراني[٢] من حديث عبد الرحمن بن عوف: «أوصيكم بالمهاجرين السابقين الأوَّلين وبأبنائهم [من بعدهم] إلا تفعلوا لا يقبل الله منكم صرفًا ولا عدلاً».

(وروىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَلْ يا أبا بكر. فقال: يا رسول الله، دنا الأجلُ؟ فقال: قد دنا الأجلُ وتدلَّىٰ) وهو عبارة عن غاية القُرب (فقال: ليهنك يا نبي الله ما عند الله، فليت شِعري عن منقلبنا. فقال: إلىٰ الله، وإلىٰ سِدرة المنتهَىٰ، ثم إلىٰ جنة المأوَىٰ، والفردوس الأعلىٰ، والكأس الأوفىٰ، والرفيق الأعلىٰ، والحظ والعيش المهنَّأ. فقال: يا نبي الله، مَن يلي غسلك؟ قال: رجال من أهل بيتي الأدنىٰ فالأدنىٰ. قال: ففيمَ نكفِّنك؟ فقال: في ثيابي هذه وفي حُلَّة يمانية وفي بياض مصر. فقال: كيف الصلاة عليك منا. وبكينا وبكىٰ، ثم قال: «مهلاً غفر الله لكم، وجزاكم عن نبيِّكم خيرًا، إذا غسَّلتموني وكفَّنتموني فضعوني علىٰ سريري في بيتي هذا علىٰ شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعةً، فإن أول مَن يصلي عليَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣] ثم يأذن للملائكة في الصلاة عليَّ، فأول مَن يدخل عليَّ من خلق الله ويصلي عليَّ جبريلُ، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنود كثيرة، ثم الملائكة بأجمعها، ثم أنتم، فادخلوا عليَّ أفواجًا فصلُّوا عليَّ أفواجًا زمرةً زمرةً، وسلِّموا تسليمًا، ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنَّة، وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنىٰ فالأدنىٰ، ثم زُمَر النساء، ثم زُمَر الصبيان. قال: فمَن يدخلك القبر؟ قال: زُمَر من أهل بيتي

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٥٥١. وقد رواه البخاري ٢/ ٥٠٣ ومسلم ٢/ ٨٨٢ بلفظ: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم».

(٢) المعجم الأوسط ١/ ٢٦٨، ٨/ ١٧٩.

الأدنىٰ فالأدنىٰ مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم، قوموا فأدُّوا عني إلىٰ مَن بعدي) قال العراقي[1]: رواه ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر - هو الواقدي - بإسناد ضعيف إلىٰ ابن عون عن ابن مسعود، وهو مرسل ضعيف، كما تقدم.

قلت: ورواه الطبراني في الدعاء والواحدي في التفسير بسند واهٍ جدًّا إلىٰ ابن مسعود بلفظ: نعىٰ لنا رسولُ الله ﷺ نفسَه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراقُ جمعنا في بيت عائشة فقال: «حيَّاكم الله بالسلام ...» الحديث، وقد ذُكر قريبًا، وفيه: قلنا: يا رسول الله، متىٰ أجلك؟ قال: «دنا الفراق والمنقلَب إلىٰ الله وإلىٰ جنة المأوَىٰ». قلنا: يا رسول الله، مَن يغسِّلك؟ قال: «رجال أهل بيتي الأدنىٰ فالأدنىٰ». قلنا: يا رسول الله، فيمَ نكفِّنك؟ قال: «في ثيابي هذه، وإن شئتم في ثياب مصر أو حُلَّة يمانية». قلنا: يا رسول الله، مَن يصلي عليك؟ قال: «إذا أنتم غسَّلتموني وكفَّنتموني فضعوني علىٰ سريري هذا علىٰ شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعةً، فإن أول مَن يصلي عليَّ جبريلُ، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة، ثم ادخلوا عليَّ أفواجًا فصلوا وسلِّموا تسليمًا، وليبدأ بالصلاة عليَّ رجالٌ من أهل بيتي، ثم نساؤهم، ثم أنتم، واقرأوا السلام علىٰ مَن غاب من أصحابي ومَن تبعني علىٰ ديني من يومي هذا إلىٰ يوم القيامة». قلنا: يا رسول الله، مَن يُدخِلك قبرَك؟ قال: «أهلي مع ملائكة ربِّي».

ورواه الطبراني أيضًا في الكبير من حديث وهب بن منبه عن جابر وابن عباس في حديث طويل سيأتي ذِكره بعد ذلك، وفيه: فقال عليٌّ: يا رسول الله، إذا أنت قُبضتَ فمَن يغسِّلك؟ وفيمَ نكفِّنك؟ ومَن يصلي عليك؟ ومَن يُدخِلك القبرَ؟ فقال: «يا علي، أما الغسل فاغسِلْني أنت، والفضل بن عباس يصبُّ عليك الماءَ، وجبريل ثالثكما، فإذا أنتم فرغتم من غسلي فكفِّنوني في ثلاثة أثواب جُدد، وجبريل يأتيني بحنوط من الجنة، فإذا أنتم وضعتموني علىٰ السرير فضعوني في المسجد،

---

(١) المغني ٢/ ١٢١٧.

واخرجوا عني، فإن أول مَن يصلي عليَّ الربُّ عَزَّوَجَلَّ من فوق عرشه، ثم جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم الملائكة زمرًا زمرًا، ثم ادخلوا فقوموا صفوفًا صفوفًا، لا يتقدَّم عليَّ أحدٌ ...» الحديث. ورواه أيضًا أبو يعلىٰ في مسنده مختصرًا.

وسيأتي ما يتعلق بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في آخر هذا الباب.

(**وقال عبد**[1] **الله بن زَمْعة**) بن الأسود بن المطَّلب بن أسد بن عبد العُزَّىٰ القرشي الأسدي، ابن أخت أم سلمة زوج النبي ﷺ، واسم أمه قريبة بنت أبي أميَّة، قال عياض في المشارق[2]: زَمْعة بسكون الميم، وضبطناه عن أبي بحر بفتح الميم حيث وقع، وكلاهما يقال. قال الحافظ في الفتح: ووقع في الكاشف[3] للذهبي أنه أخو سودة أم المؤمنين، وهو وهمٌ يظهر صوابه من سياق نسبهما. قال البغوي[4]: كان يسكن المدينة، وله أحاديث. ويقال: إنه كان يأذن علىٰ النبي ﷺ. قُتل يوم الدار سنة خمس وثلاثين، وبه جزم أبو حسان الزِّيادي. روىٰ له الجماعة (**جاء بلال**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**في أول**) شهر (**ربيع الأول فأذَّن بالصلاة، فقال رسول الله ﷺ: مُروا أبا بكر يصلي بالناس**) أي يؤمُّهم. قال: (**فخرجت فلم أرَ بحضرة الباب إلا عمر**) بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**في رجال ليس فيهم أبو بكر**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**فقلت: قمْ يا عمر فصلِّ الناس. فقام عمر**) واصطفَّ الناسُ (**فلما كبَّر**) للصلاة (**وكان رجلا صيِّتًا**) أي جهير الصوت (**سمع رسول الله ﷺ صوته بالتكبير**) لقرب الحجرة من المسجد (**فقال: أين أبو بكر؟ يأبىٰ الله ذلك والمسلمون - قالها ثلاث مرات - مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. فقالت عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق القلب**) أي قلبه رقيق (**إذا قام في مقامك غلبه البكاءُ**) أي لِما يلاحظ من فقده ﷺ وما كان يجد

(١) تهذيب الكمال للمزي ١٤/ ٥٢٥ - ٥٢٦. الإصابة لابن حجر ٦/ ٨٩.

(٢) مشارق الأنوار ١/ ٣١٦.

(٣) الكاشف ١/ ٥٥٣.

(٤) معجم الصحابة ٣/ ٥٣٧.

من أنسه وأنواره (**فقال: إنكنَّ صواحبات يوسف**) عليه السلام، جمع[١] صاحبة، أي في إظهار خلاف ما في الباطن أو في التظاهر والتعاون علىٰ ما ترون وكثرة إلحاحكنَّ علىٰ ما تَمِلْنَ إليه، وهذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي عائشة، علىٰ أن في رواية البخاري أنها قالت لحفصة أنها تقول ما قالت، أي: فمُرْ عمر فليصلِّ بالناس، فقالت ذلك، فحينئذٍ قال ما قال، وأقل الجمع اثنان (**مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**) وفيه أنه لا يقدَّم للإمامة إلا أفضل القوم فقهًا وقراءة وورعًا وغيرها. وفي تكرير أمره بتقديمه الدلالةُ الظاهرة عند من له أدنىٰ ذوق بل إيمان علىٰ أنه أحق الناس بخلافته، وقد وافق علىٰ ذلك عليٌّ وغيره من أهل البيت. ووجه الشبه بصواحبات يوسف أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرامَ بالضيافة ومرادُها زيادة علىٰ ذلك وهي أن ينظرن حُسن يوسف فيعذرنها في محبَّته، وعائشة ﷺ أظهرت أن سبب محبَّتها صرف الإمامة عن أبيها عدمُ إسماعه القراءة ومرادها زيادة علىٰ ذلك وهي أن لا يتشاءم الناس به (**قال**) الراوي: (**فصلىٰ أبو بكر بعد الصلاة التي صلىٰ عمر**) بالناس سبع عشرة صلاة، كما نقله الدمياطي[٢] (**فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة**) ﷺ (**بعد ذلك: ويحك! ماذا صنعتَ بي؟ واللهِ لولا أني ظننت أن رسول الله ﷺ أمرك ما فعلتُ. فيقول عبد الله: إني لم أرَ أحدًا أولَىٰ بذلك منك**) قال العراقي[٣]: رواه أبو داود[٤] بإسناد جيد [نحوه] مختصرًا دون

---

(١) فتح الباري ٢/ ١٧٩ - ١٨٠. أشرف الوسائل ص ٥٧٦ - ٥٧٧.

(٢) السيرة النبوية ص ٢٨٣. قال ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٢/ ١٩٨: «أخبرنا محمد بن عمر الواقدي قال: سألت أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة: كم صلىٰ أبو بكر بالناس؟ قال: صلىٰ بهم سبع عشرة صلاة. قلت: من حدثك ذلك؟ قال: حدثني أيوب بن عبد الرحمن بن صعصعة عن عباد بن تميم عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: صلىٰ بهم أبو بكر ذلك». ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٩٧ من طريق الحسين بن الفرج عن الواقدي.

(٣) المغني ٢/ ١٢١٧.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٢١٠ - ٢١١.

قوله: فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق ... الخ، ولم يقلْ: في أول ربيع الأول. وقال: مُروا مَن يصلي بالناس. وقال: يأبَىٰ الله ذلك والمؤمنون، مرتين. وفي رواية له: فقال: لا لا لا ليصلِّ للناس ابن أبي قُحافة. يقول ذلك مغضبًا. وأما ما في آخره من قول عائشة ففي الصحيح من حديثها: فقالت عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قام مكانك لم يُسمِع الناسَ من البكاء. فقال: «إنكنَّ صواحبات يوسف، مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس». انتهىٰ.

قلت: رواه الشيخان[1] واللفظ للبخاري، وفي روايته: إن أبا بكر رجل أَسِيف. وفي حديث عروة عن عائشة عند البخاري: فمُر عمر فليصلِّ بالناس. قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لا يُسمِع الناسَ من البكاء، فمُرْ عمرَ فليصلِّ بالناس. ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «مَهْ، إنكنَّ لأنتنَّ صواحب يوسف، مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس». فقالت حفصة لعائشة: ما كنتُ لأصيب منكِ خيرًا». ولابن حبان[2] من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث: قال عاصم: والأَسِيف: الرقيق الرحيم.

تنبيه: في الحديث السابق: «سُدُّوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر» إشارة إلىٰ أن أبا بكر هو الإمام بعده، فإن الإمام يحتاج إلىٰ سكنىٰ المسجد والاستطراق فيه، بخلاف غيره، وذلك من مصالح المسلمين، ثم أكَّد هذا المعنىٰ بأمره صريحًا أن يصلي بالناس أبو بكر، فروجع في ذلك وهو يقول: «مُروا أبا بكر أن يصلي بالناس»، فولاَّه إمامةَ الصلاة، ولذا قال الصحابة عند بيعة أبي بكر: رضيَه رسولُ الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا.

(قالت عائشة ﵂: وما قلتُ ذلك ولا صرفتُه عن أبي بكر إلا رغبةً به عن الدنيا،

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢/ ٤٧٠، ٤/ ٣٦٤. صحيح مسلم ١/ ١٩٧-١٩٩.

(٢) صحيح ابن حبان ٥/ ٤٨٥.

ولِما في الولاية من المخاطرة والهَلَكة إلا مَن سلَّم اللهُ، وخشيت أيضًا أن لا يكون الناس يحبون رجلاً صلىٰ في مقام النبي ﷺ وهو حيٌّ أبدًا إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به، فإذا الأمر أمرُ الله، والقضاء قضاؤه، وعصمه اللهُ من كل ما تخوَّفتُ عليه من أمر الدنيا والدين) رواه البخاري[١] بلفظ: فقالت: لقد راجعتُه، وما حملني علىٰ كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناسُ بعده رجلاً قام مقامَه أبدًا، ولا كنت أرىٰ أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به.

(وقالت عائشة ﵂: فلمَّا كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ) وهو يوم الاثنين (رأوا منه خفَّةً في أول النهار، فتفرَّق عنه الرجال إلىٰ منازلهم وحوائجهم مستبشرين، وأخلوا رسولَ الله ﷺ بالنساء، فبينا نحن علىٰ ذلك لم نكن علىٰ مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله ﷺ) للنساء: (اخرجنَ عني، هذا الملَك يستأذن عليَّ) أي يطلب الإذن بالدخول عليَّ (فخرج مَن في البيت) من النسوة (غيري، ورأسه في حِجري، فجلس) مستعدًّا للقاء الملَك (وتنحَّيت في جانب البيت) أي صرتُ في ناحية منه (فناجَىٰ الملكَ طويلاً، ثم إنه دعاني، فأعاد رأسَه في حِجري، وقال للنسوة: ادخلنَ. فقلت): يا رسول الله (ما هذا بحسِّ جبريل ﵇. فقال رسول الله ﷺ: أجل يا عائشة، هذا ملك الموت جاءني فقال: إن الله ﷿ أرسلني) إليك (وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بإذن، فإن لم تأذن لي أرجع، وإن أذنتَ لي دخلتُ، وأمرني أن لا أقبضك حتىٰ تأمرني، فماذا أمرُك. فقلت: اكفُفْ حتىٰ يأتيني جبريل ﵇، فهذه ساعة جبريل. قالت عائشة ﵂: فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأيٌ، فوجمنا) أي اندهشنا (وكأنَّما ضربنا بصاخَّة) بتشديد الخاء، وهي المصيبة الشديدة (ما نحير إليه شيئًا) أي ما نرجع (وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظامًا لذلك الأمر وهيبةً ملأت أجوافَنا. قالت: وجاء جبريل) ﵇ (في ساعته فسلَّم، فعرفتُ حسَّه، وخرج أهل البيت، فدخل فقال: إن الله ﷿ يقرئك

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٨٤.

السلامَ ويقول: كيف تجدك؟ وهو أعلم بالذي تجد منك، ولكن أراد أن يزيدك كرامةً وشرفًا، وأن يُتِمَّ كرامتَك وشرفَك علىٰ الخَلق، وأن تكون سنَّة في أمَّتك) أي إذا دخلوا علىٰ المريض فيقولون كذلك (فقال: أجدني وجِعًا. قال: أبشِرْ، فإن الله تعالىٰ أراد أن يبلِّغك ما أعدَّ لك. فقال: يا جبريل، إن ملك الموت استأذن عليَّ. وأخبره الخبرَ، فقال جبريل: يا محمد، إن ربَّك إليك مشتاق، ألم يُعلِمك الذي يريد بك؟ لا واللهِ ما استأذن ملك الموت علىٰ أحد قط، ولا يستأذن عليه أبدًا، إلا أن ربَّك يُتِمُّ شرفَك، وهو إليك مشتاق. قال: فلا تبرح إذًا حتىٰ يجيء. وأذنَ للنساء) فدخلن، وفيهن ابنته فاطمة ﷺ (فقال: يا فاطمة، ادني) أي اقربي مني (فأكبَّت عليه، فناجاها) أي سارَّها بشيء (فرفعت رأسها وعيناها تذرفان) أي تسيلان دموعًا (وما تطيق الكلامَ) من شدة الحزن (ثم قال: ادني مني رأسكِ. فأكبَّت عليه، فناجاها، فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلامَ، فكان الذي رأينا منها عجبًا) من البكاء والضحك في ساعة واحدة (فسألناها بعد ذلك) أي بعد وفاته ﷺ (فقالت: أخبرني) أولاً (وقال: إني ميت اليوم، فبكيت) حزنًا علىٰ فراقه (ثم قال) ثانيًا: (إني دعوت الله) تعالىٰ (أن يلحقك بي في أول أهلي، وأن يجعلكِ معي، فضحكتُ) فرحًا بلحوقي به (وأدنَتْ ابنتَها) هي أم كلثوم (منه فشمَّها) وبرَّكَ عليها (قالت: وجاء ملك الموت فسلَّم واستأذن، فأذنَ له، فقال الملك: ما تأمرنا يا محمد؟ قال: ألحِقْني بربِّي الآن. فقال: بلىٰ من يومك هذا، أما إن ربَّك إليك مشتاق، ولم يتردَّد عن أحد تردُّده عنك، ولم ينهني عن الدخول علىٰ أحد إلا بإذن غيرك، ولكن ساعتك أمامك. وخرج. قالت: وجاء جبريل فقال: السلام عليك يا رسول الله، هذا آخر ما أنزلُ فيه إلىٰ الأرض أبدًا، طُوي الوحي، وطُويت الدنيا، وما كانت بي في الأرض حاجة غيرك، وما لي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفي. ولا والذي بعث محمدًا بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمةً) أي يعيدها (ولا يبعث إلىٰ أحد من رجاله؛ لعِظَم ما نسمع من حديثه ووجدِنا وإشفاقنا. قالت:

فقمت إلىٰ النبي ﷺ حتىٰ أضع رأسه بين ثديي، وأمسكت بصدره، وجعل يُغمَي عليه) أي يعتريه الغشيانُ **(حتىٰ يُغلَب)** لشدة[١] ما يحصل له من فتور الأعضاء عن تمام الحركة، وفيه جواز الإغماء علىٰ الأنبياء عليهم السلام، قال ابن حجر في شرح الشمائل: لكن قيَّده الشيخ أبو حامد من أئمَّتنا بغير الطويل، وجزم به البُلقيني، قال السبكي: ليس كإغماء غيرهم؛ لأنه إنما يستر حواسَّهم الظاهرة دون قلوبهم؛ لأنها إذا عُصمت من النوم الأخفِّ فالإغماء أَولىٰ **(وجبهته ترشح رشحًا ما رأيتُه من إنسان قط، فجعلتُ أسلت ذلك العرقَ)** أي أزيله وأمسحه **(وما وجدتُ رائحة شيء أطيب منه، فكنت أقول له إذا أفاق)** من غشيته **(بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقىٰ جبهتُك من الرشح. فقال: يا عائشة، إن نفس المؤمن)** أي روحه **(تخرج بالرشح، ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار)** أي فالرشح من علامات الخير، وقد تقدَّم **(فعند ذلك ارتعنا)** أي خِفنا **(وبعثنا إلىٰ أهلنا، فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي)** وهو عبد الرحمن بن أبي بكر **(بعثه إليَّ أبي)** لينظر الحال **(فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيء أحد)** من أهلي **(وإنما صدَّهم الله عنه لأنه ولاَّه جبريل وميكائيل)** عليهما السلام **(وجعل)** ﷺ **(إذا أغمي عليه قال: بل الرفيق الأعلىٰ، كأنَّ الخيرة تُعاد عليه، فإذا أطاق الكلامَ قال: الصلاة الصلاة)** أي الزموها **(إنكم لا تزالون متماسكين ما صلَّيتم جميعًا)** أي مع الجماعة **(الصلاة الصلاة. كان يوصي بها حتىٰ مات وهو يقول: الصلاة الصلاة)** قال العراقي[٢]: رواه الطبراني في الكبير[٣] من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف في حديث طويل فيه: فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمرُ، وأوحىٰ الله إلىٰ ملك الموت أن اهبِطْ إلىٰ حبيبي وصفيِّي محمد ﷺ في أحسن صورة، وارفقْ به في قبض روحه. وفيه دخول الملك واستئذانه في قبضه، فقال: «يا ملك الموت، أين خلفت حبيبي جبريل»؟

---

(١) أشرف الوسائل ص ٥٧٥ - ٥٧٦.

(٢) المغني ٢/ ١٢١٨ - ١٢١٩.

(٣) المعجم الكبير ٣/ ٥٤ - ٦١.

قال: خلفته في سماء الدنيا، والملائكة يعزُّونه فيك. فما كان بأسرع أنْ أتاه جبريل، فقعد عند رأسه. وذكر بِشارة جبريل له بما أعدَّ الله له. وفيه: «ادْنُ يا ملك الموت فانتهِ إلىٰ ما أُمِرتَ به ...» الحديث، وفيه: فدنا ملكُ الموت يعالج قبض [روح] رسول الله ﷺ. وذكر كربه لذلك، إلىٰ أن قال: فقُبض رسول الله ﷺ. وهو حديث طويل في ورقتين كبار، وهو منكر، فيه عبد المنعم بن إدريس بن سِنان عن أبيه عن وهب بن منبه، قال أحمد: كان يكذب علىٰ وهب بن منبه[١]. وأبوه إدريس أيضًا متروك؛ قاله الدارقطني[٢]. ورواه الطبراني[٣] أيضًا من حديث الحسين بن عليٍّ أن جبريل جاءه أولاً فقال له عن ربِّه: كيف تجدك؟ ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء إسماعيل، وأن جبريل دخل أولاً فسأله، ثم استأذن ملكُ الموت، وقوله: «امْضِ لِما أُمِرتَ به». وهو منكر أيضًا، فيه عبد الله بن ميمون القَدَّاح، قال البخاري[٤]: ذاهب الحديث. ورواه[٥] أيضًا من حديث ابن عباس في مجيء ملك الموت أولاً واستئذانه، وقوله: إن ربَّك يقرئك السلامَ. فقال: «أين جبريل»؟ فقال: هو قريب مني، الآن [يأتي]. فخرج ملك الموت حتىٰ نزل عليه جبريل ... الحديث، وفيه المختار بن نافع، منكر الحديث؛ قاله البخاري[٦] وابن حبان[٧]. ا.هـ.

قلت: وقد رواه أبو نعيم في الحلية[٨] عن الطبراني بطوله فقال: حدثنا سليمان

---

(١) رواه عنه الخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ٤٤٣.

(٢) ذكره في الضعفاء والمتروكين ص ٩٠.

(٣) المعجم الكبير ٣/ ١٣٩ - ١٤٠.

(٤) التاريخ الكبير ٥/ ٢٠٦.

(٥) المعجم الكبير ١٢/ ١٤١ - ١٤٢.

(٦) الضعفاء الصغير ص ١١٤.

(٧) المجروحون من المحدثين ٢/ ٣٤٢، وزاد: «كان ممن يأتي بالمناكير عن المشاهير حتىٰ يسبق إلىٰ القلب أنه كان المتعمد لذلك».

(٨) حلية الأولياء ٤/ ٧٣ - ٧٩.

ابن أحمد – وهو الطبراني – حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا عبد المنعم بن إدريس ابن سنان، عن أبيه، عن وهب، عن جابر بن عبد الله وابن عباس قالا: لمَّا نزلت «إذا جاء نصر الله والفتح» إلىٰ آخر السورة، قال محمد ﷺ: «يا جبريل، نفسي قد نُعيتْ». قال جبريل ﷺ: الآخرة خير لك من الأولىٰ، ولسوف يعطيك ربُّك فترضىٰ. فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المهاجرون والأنصار إلىٰ مسجد رسول الله ﷺ، فصلىٰ بالناس، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم خطب خطبةً وجلتْ منها القلوبُ وبكت منها العيون، ثم قال: «أيها الناس، أيُّ نبيٍّ كنتُ لكم»؟ فقالوا: جزاك اللهُ من نبيٍّ خيرًا، فلقد كنت لنا كالأب الرحيم وكالأخ الناصح المشفق، أدَّيتَ رسالات الله ﷻ، وأبلغتنا وحيَه، ودعوتَ إلىٰ سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاك الله عنا أفضلَ ما جازَىٰ نبيًّا عن أمَّته. فقال لهم: «معاشر المسلمين، أنا أنشدكم بالله وبحقِّي عليكم، مَن كانت له قِبَلي مَظلمة فليقُمْ فليقتصَّ مني». فذكر حديثًا طويلاً فيه قيام عكاشة لطلب القصاص نحو ورقة كاملة، وفيه: فمرض رسولُ الله ﷺ من يومه، فكان مريضًا ثمانية عشر يومًا يعوده الناس، وكان ﷺ وُلد يوم الاثنين، وبُعث يوم الاثنين، وقُبض يوم الاثنين، فلما كان في يوم الأحد ثقُلَ في مرضه، فأذَّن بلال بالأذان، ثم وقف بالباب فنادَىٰ: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، الصلاة يرحمك الله. فسمع رسول الله ﷺ صوت بلال، فقالت فاطمة: يا بلال، إن رسول الله ﷺ اليوم مشغول بنفسه. فدخل بلال المسجد، فلما أسفر الصبحُ قال: واللهِ لا أقيمها أو أستأذن سيدي رسولَ الله ﷺ. فرجع وقام بالباب ونادىٰ: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، الصلاة يرحمك الله. فسمع رسول الله ﷺ صوت بلال فقال: «ادخل يا بلال، إن رسول الله اليوم مشغول بنفسه، مُرْ أبا بكر يصلي بالناس». فخرج ويده علىٰ أم رأسه وهو يقول: وا غوثاه بالله وانقطاع رجائي وانقصام ظهري، ليتني لم تلدني أمي، وإذ ولدتني لم أشهد من رسول الله ﷺ هذا اليومَ. ثم قال: يا أبا بكر،

ألا إن رسول الله ﷺ أمرك أن تصلي بالناس. فتقدَّم أبو بكر الناسَ، وكان رجلاً رقيقًا، فلما نظر إلىٰ خلوة المكان من رسول الله ﷺ لم يتمالك أن خرَّ مغشيًّا عليه، وضجَّ المسلمون بالبكاء، فسمع رسول الله ﷺ ضجيج الناس، فقال: «ما هذه الضجَّة»؟ فقالوا: ضجَّة المسلمين لفقدك يا رسول الله. فدعا النبيُّ ﷺ عليَّ بن أبي طالب وابن عباس فاتَّكأ عليهما فخرج إلىٰ المسجد، فصلىٰ بالناس ركعتين خفيفتين، ثم أقبل بوجهه المليح عليهم فقال: «معشر المسلمين، استودعتكم اللهَ، أنتم في رجاء الله وأمانه، والله خليفتي عليكم. معاشر المسلمين، عليكم باتِّقاء الله وحفظِ طاعته من بعدي، فإني مفارق الدنيا، هذا أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا». فلما كان يوم الاثنين اشتدَّ به الأمرُ، وأوحىٰ الله إلىٰ ملك الموت عليه السلام أن اهبِطْ إلىٰ حبيبي وصفيِّي محمد ﷺ في أحسن صورة، وارفقْ به في قبض روحه. فهبط ملك الموت فوقف بالباب شِبه أعرابي ثم قال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوَّة ومعدن الرسالة ومختلَف الملائكة، أدخل؟ فقالت عائشة لفاطمة رضي الله عنهما: أجيبي الرجلَ. فقالت فاطمة: آجركَ اللهُ في ممشاك يا عبد الله، إن رسول الله ﷺ اليوم مشغول بنفسه. ثم دعا الثانية فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوَّة ومعدن الرسالة ومختلَف الملائكة، أدخل؟ فقالت عائشة لفاطمة رضي الله عنهما: أجيبي الرجل. فقالت فاطمة: آجرك الله في ممشاك يا عبد الله، إن رسول الله ﷺ مشغول اليوم بنفسه. ثم دعا الثالثةَ فذكر مثل الأولىٰ والثانية، ثم قال بعد قوله «أدخل»: فلا بد من الدخول. فسمع رسول الله ﷺ صوت ملك الموت عليه السلام فقال: «يا فاطمة، مَن بالباب»؟ فقالت: يا رسول الله، إن رجلاً [بالباب] يستأذن في الدخول، فأجبناه مرةً بعد أخرىٰ، فنادىٰ في الثالثة صوتًا اقشعرَّ منه جلدي وارتعدت فرائصي. فقال لها النبي ﷺ: «يا فاطمة، أتدرين مَن بالباب؟ هذا هادم اللذَّات، ومفرِّق الجماعات، هذا مرمِّل الأزواج، وموتِّم الأولاد، هذا مخرِّب الدور، وعامر القبور، هذا ملك الموت ﷺ، ادخلْ يرحمك الله يا ملك الموت». فدخل علىٰ رسول الله ﷺ، فقال

رسول الله ﷺ: «يا ملك الموت، جئتني زائرًا أم قابضًا»؟ قال: جئتك زائرًا وقابضًا، وأمرني الله عَزَّوَجَلَّ أن لا أدخل عليك إلا بإذنك، ولا أقبض روحك إلا بإذنك، فإن أذنتَ وإلا رجعتُ إلىٰ ربِّي عَزَّوَجَلَّ. فقال رسول الله ﷺ: «يا [ملك الموت، أين خلفت حبيبي جبريل»؟ قال: خلفتُه في السماء الدنيا، والملائكة يعزُّون فيك، فما كان بأسرع أنْ أتاه جبريل، فقعد عند رأسه، فقال رسول الله ﷺ]: «يا جبريل، هذا الرحيل من الدنيا، فبشِّرْني بما لي عند الله». فقال: أبشِّرك يا حبيب الله أني تركت أبواب السماء قد فُتحت، والملائكة قد قاموا صفوفًا بالتحية والريحان، يحيُّون روحَك يا محمد. فقال: «لوجه ربِّي الحمد، فبشِّرْني يا جبريل». قال: أبشِّرك أن أبواب الجنة قد فُتحت وأنهارها قد اطردت وأشجارها قد تدلَّت وحُورها قد تزيَّنت لقدوم روحك يا محمد. قال: لوجه ربِّي الحمد، فبشِّرني يا جبريل». قال: أبواب النيران قد أطبقت لقدوم روحك يا محمد. قال: «لوجه ربِّي الحمد، فبشِّرْني يا جبريل». قال: «أنت أول شافع وأول مشفَّع في القيامة. قال: «لوجه ربِّي الحمد، فبشِّرْني يا جبريل». قال: يا حبيبي، عمَّ تسألني؟ قال: «أسألك عن غمِّي وهمِّي، مَن لقرَّاء القرآن من بعدي؟ مَن لصُوَّام شهر رمضان من بعدي؟ مَن لحجَّاج بيت الله من بعدي؟ مَن لأمَّتي المصطفاة من بعدي»؟ قال: أبشِرْ يا حبيب الله، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: قد حرَّمت الجنة علىٰ جميع الأنبياء والأمم حتىٰ تدخلها أنت وأمَّتك يا محمد. قال: «الآن طابت نفسي، ادْنُ يا ملك الموت، فانتهِ إلىٰ ما أُمِرتَ». فقال عليٌّ: يا رسول الله، إذا أنت قُبضتَ فمَن يغسِّلك؟ وفيمَ نكفِّنك؟ ... فذكر الحديث إلىٰ قوله: «ثم ادخلوا فقوموا صفوفًا صفوفًا لا يتقدَّم عليَّ أحدٌ». وقد تقدَّم ذِكرُ ذلك قريبًا. ثم قال: فقالت فاطمة ﷺ: اليوم الفراق، فمتىٰ ألقاك؟ فقال لها: «يا بنيَّة، تلقيني يوم القيامة عند الحوض وأنا أسقي مَن يَرِدُ عليَّ الحوضَ من أمَّتي». قالت: فإن لم أَلْقَك يا رسول الله؟ قال: «تلقيني عند الميزان وأنا أشفع لأمَّتي». قالت: فإن لم أَلْقَك يا رسول الله؟ قال: «تلقيني عند الصراط وأنا أنادي: يا رب،

سلِّمْ أمَّتي من النار». فدنا ملكُ الموت عليه السلام فعالج قبض روح رسول الله ﷺ، فلما بلغ الروحُ إلىٰ الركبتين قال النبي ﷺ: «أوه». فلما بلغ الروحُ إلىٰ السُّرَّة نادىٰ النبيُّ ﷺ: «وا كرباه». فقالت فاطمة: كربي لكربك يا أبتاه. فلما بلغ الروح إلىٰ الثُّنْدُؤة قال النبي ﷺ: «يا جبريل، ما أشد مرارة الموت»! فولَّىٰ جبريل عليه السلام وجهَه عن رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «كرهتَ النظرَ إليَّ يا جبريل»؟ فقال جبريل: يا حبيبي، ومَن تطيق نفسُه أن ينظر إليك وأنت تعالج سكرات الموت؟ فقُبض رسول الله ﷺ.

ثم ذكر بعد ذلك غسله وتجهيزه والصلاة عليه والدفن وتعزية فاطمة رضي الله عنها، كما سيأتي ذلك. فهذا السياق هو الذي أشار إليه العراقي، وفيه اختلاف.

وأما حديث الحسين بن علي فلفظه عند الطبراني: أن جبريل هبط علىٰ النبي ﷺ يوم موته فقال: كيف تجدك؟ قال: «أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني مكروبًا». فاستأذن ملك الموت علىٰ الباب، فقال جبريل: يا محمد، هذا ملك الموت يستأذن عليك، ما استأذن علىٰ آدميٍّ قبلك، ولا يستأذن علىٰ آدميٍّ بعدك. قال: «ائذَنْ له». فأذنَ له، فأقبل حتىٰ وقف بين يديه، فقال: إن الله أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتُها، وإن كرهتَ تركتُها. قال: «وتفعل يا ملك الموت»؟ قال: نعم، بذلك أُمِرتُ. فقال له جبريل: إن الله قد اشتاق إلىٰ لقائك. فقال رسول الله ﷺ: «امْضِ لِما أُمِرتَ به».

وروىٰ البيهقي في دلائل النبوة[1] من حديث جعفر بن محمد عن أبيه قال: لمَّا بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن الله قد أرسلني إليك إكرامًا لك وتفضيلاً لك وخاصة لك، يسألك عمَّا هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟ فقال: أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني يا جبريل مكروبًا، ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك، ثم

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ٢١٠ - ٢١١ من رواية الحسن بن علي عن محمد بن علي الباقر.

استأذن فيه ملك الموت، ثم قال جبريل: يا أحمد، هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن علىٰ آدميٍّ قبلك، ولا يستأذن علىٰ آدمي بعدك. قال: «ائذَنْ له». فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال: يا رسول الله، إن الله عَزَّوَجَلَّ أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك إذا حضرتُ إليك، فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضتُها، وإن أمرتني أن أتركها تركتُها. فقال جبريل: يا محمد، إن الله تعالىٰ قد اشتاق إلىٰ لقائك. فقال ﷺ: «فامْضِ يا ملك الموت لِما أُمِرتَ به». فقال جبريل: يا رسول الله، هذا آخر موطئي من الأرض، إنما كنتَ حاجتي من الدنيا. فقبض روحه.

هكذا ساقه صاحب المواهب، وفي سياقه نقصٌ، فالذي في نسخ الدلائل: فلما كان اليوم الثالث هبط جبريل ومعه ملك الموت ومعهما ملك آخَر يسكن الهواء لم يصعد السماءَ قط، ولم يهبط إلىٰ الأرض قط، يقال له إسماعيل، موكَّل علىٰ سبعين ألف ملك، كل ملك علىٰ سبعين ألف ملك ... والباقي سواء. وقد ساقه الشامي في سيرته[1] علىٰ التمام.

وروىٰ الطبراني أيضًا من حديث ابن عباس قال: جاء ملك الموت إلىٰ النبي ﷺ في مرضه ورأسه في حِجر عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاستأذن فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال له علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارجعْ فإنَّا مشاغيل عنك. فقال ﷺ: «هذا ملك الموت، ادخلْ راشدًا». فلما دخل قال: إن ربَّك يقرئك السلام. قال: فبلغني أن ملك الموت لم يسلِّم علىٰ أهل بيت قبله، ولا يسلِّم بعده.

وروىٰ الحاكم[2] وابن سعد[3] من طرق أنه ﷺ مات ورأسه في حِجر عليٍّ.

قال الحافظ في الفتح[4]: وهو غير معارض لحديث عائشة في الصحيح: مات

---

(١) سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ١٢/ ٢٦٣ (ط - دار الكتب العلمية).

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ١٦١، وفيه: كان علي أقرب الناس عهدا برسول الله ﷺ.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٢٣٠.

(٤) فتح الباري ٧/ ٧٤٦.

ﷺ بين سحري ونحري. لأن كل طريق من تلك الطرق لا يخلو عن شيعيٍّ، فلا يُلتفَت لذلك.

وروىٰ البخاري[١] من طريق عروة عن عائشة قالت: دعا النبيُّ ﷺ فاطمة في شكواه التي قبض فيها، فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها بشيء فضحكت، فسألناها عن ذلك، فقالت: سارَّني أنه يُقبَض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.

ومن طريق مسروق عن عائشة: أقبلت فاطمة تمشي كأنَّ مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «مرحبًا بابنتي». ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - ثم سارَّها.

ولأبي داود[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤] وابن حبان[٥] والحاكم[٦] من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سَمْتًا وهَدْيًا ودلاًّ برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة ﵂، وكانت إذا دخلت علىٰ النبي ﷺ قام إليها وقبَّلها وأجلسَها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك، فلما مرضَ دخلت عليه فأكبَّت عليه فقبَّلته.

قال صاحب المواهب: اتفقت[٧] الروايات علىٰ أن الذي سارَّها به أولاً

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٥٣٤ - ٥٣٥، ٣/ ٢٥. وحديث عائشة رواه أيضا مسلم في صحيحه ٢/ ١١٤٦-١١٤٧.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٧.

(٣) سنن الترمذي ٦/ ١٧٦.

(٤) السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٩٣.

(٥) صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٠٣.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٠٨.

(٧) فتح الباري لابن حجر ٧/ ٧٤٢.

فبكت هو إعلامه إيَّاها بأنه ميت في مرضه ذلك، واختلفت فيما سارَّها به [ثانيًا] فضحكت، ففي رواية عروة أنه إخباره إيَّاها أنها أول أهله لحوقًا به، وفي رواية مسروق أنه أخباره إياها أنها سيدة نساء [أهل] الجنة، وجُعل كونها أول أهله لحوقًا به مضمومًا إلىٰ الأول، وهو الراجح، فإن حديث مسروق يشتمل علىٰ زيادات ليست في حديث عروة، وهو من الثقات الضابطين، فمما زاده مسروق قول عائشة: فقلت: ما رأيتُ كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتُها عن ذلك، فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ. حتىٰ توفي النبي ﷺ، فسألتُها، فقالت: أسَرَّ إليَّ «أن جبريل كان يعارضني القرآنَ كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وإنكِ أول أهل بيتي لحوقًا بي». وفي رواية عائشة بنت طلحة من الزيادة: أن عائشة لمَّا رأت بكاءها وضحكها قالت: إن كنت لأظن أن هذه المرأة من أعقل النساء، فإذا هي من النساء. ويحتمل تعدُّد القصة. وفي رواية عروة الجزم أنه ميت من وجعه ذلك، بخلاف رواية مسروق ففيها أنه ظن ذلك بطريق الاستنباط ممَّا ذكره من معارضة القرآن. وقد يقال: لا منافاة بين الخبرين إلا بالزيادة، ولا يمتنع أن يكون إخباره بكونها أول أهله لحوقًا به سببًا لبكائها ولضحكها معًا باعتبارين، فذكر كلٌّ من الروايين ما لم يذكره الآخَر، وقد روىٰ النسائي[1] من طريق أبي سلمة عن عائشة في سبب البكاء أنه ميت، وفي سبب الضحك الأمرين الآخَرين. ولابن سعد من رواية أبي سلمة عنها أن سبب البكاء موته، وسبب الضحك [أنها سيدة النساء[2]. وفي رواية عائشة بنت طلحة عنها أن سبب البكاء موته، وسبب الضحك] لحاقها به.

وفي سياق المصنف: «وجبهته ترشح رشحًا»، وفيه: «يا عائشة، إن نفس

---

(١) السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٩٢.

(٢) لم أقف علىٰ رواية أبي سلمة عن عائشة في طبقات ابن سعد، والذي فيها ٢/ ٢١٧ - ٢١٨ أنه من رواية مسروق عن عائشة، ومن رواية عبد الله بن وهب بن زمعة عن أم سلمة.

المؤمن تخرج بالرشح، ونفس الكافر تخرج من شِدقه كنفس الحمار». رواه الطبراني في الكبير[١] ومن طريقه أبو نعيم في الحلية[٢] من حديث ابن مسعود: «إن نفس المؤمن تخرج رشحًا، وإن نفس الكافر تسيل كما تسيل نفسُ الحمار». ورواه في الأوسط[٣] بلفظ «نفس المؤمن تخرج رشحًا، ولا أحب موتًا كموت الحمار: موت الفجأة، وروح الكافر تخرج من أشداقه». وفي رواية له: قيل له: وما موت الحمار؟ قال: «روح الكافر تخرج من أشداقه». وروىٰ الترمذي[٤] وابن ماجه[٥] والحاكم[٦] وصحَّحه والبيهقي في الشعب[٧] من حديث بريدة: «المؤمن يموت بعَرَق الجبين». وتقدَّم حديث سلمان: «ارقبوا الميتَ عند موته ثلاثًا: إن رشح جبينُه ...» الحديث. وروىٰ البيهقي في الشعب[٨] من طريق علقمة بن قيس: حدثني ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «موت المؤمن برشح الجبين». قال عبد الله: ولا أحب موتًا كموت الحمار. وروىٰ ابن أبي شيبة[٩] والبيهقي[١٠] من هذا الوجه عن علقمة عن ابن مسعود من قوله: إن نفس المؤمن تخرج رشحًا، وإن نفس الكافر - أو الفاجر - تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار.

وفي سياق المصنف: «فإذا أطاق الكلامَ قال: الصلاة الصلاة ...» إلخ، رُوي ذلك من حديث أنس أنه ﷺ قال: «الصلاة وما ملكت

(١) المعجم الكبير ١٠/ ٩٦، ١١١، ٢٣٣.
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٥٩.
(٣) المعجم الأوسط ٦/ ٩٤.
(٤) سنن الترمذي ٢/ ٣٠١.
(٥) سنن ابن ماجه ٣/ ١٧.
(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٠٨.
(٧) شعب الإيمان ١٢/ ٤٥٤ - ٤٥٥.
(٨) السابق ١٢/ ٤٥٥.
(٩) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٤٠.
(١٠) شعب الإيمان ١٢/ ٤٥٦.

أيمانكم، الصلاة وما ملكت أيمانُكم». رواه أحمد[١] وعبد بن حميد[٢] والنسائي[٣] وابن ماجه[٤] وابن سعد[٥] وأبو يعلىٰ[٦] وابن حبان[٧] والطبراني والضياء[٨]. ورواه ابن سعد[٩] أيضًا والطبراني[١٠] من حديث أم سلمة. ورواه الطبراني[١١] أيضًا من حديث ابن عمر.

(قالت عائشة ﵂: مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحىٰ وانتصاف النهار يوم الاثنين) قال العراقي[١٢]: رواه ابن عبد البر[١٣]. انتهىٰ.

قلت: وجزم[١٤] موسىٰ بن عُقبة عن الزهري بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمسُ. وكذا لأبي الأسود عن عروة[١٥]. وروىٰ ابن سعد من طريق ابن أبي مُلَيكة عن عائشة أن دخول النبي ﷺ في بيتها كان يوم الاثنين، وموته يوم الاثنين [الذي يليه].

---

(١) مسند أحمد ١٩/ ٢٠٩.

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٢٣٩.

(٣) السنن الكبرىٰ ٦/ ٣٨٧.

(٤) سنن ابن ماجه ٤/ ٢٦٧.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٢٢٢.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ٥/ ٣٠٩ - ٣١٠، ٣٤٧.

(٧) صحيح ابن حبان ١٤/ ٥٧١.

(٨) الأحاديث المختارة ٦/ ١٥٨، ٧/ ٣٤ - ٣٧.

(٩) الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٢٢٢.

(١٠) المعجم الكبير ٢٣/ ٣٠٦، ٣٧٩.

(١١) السابق ١٣/ ١٣٨.

(١٢) المغني ٢/ ١٢١٩.

(١٣) الاستيعاب ١/ ٣٥، ونصه: «قبض ﷺ ضحىٰ في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة». وفي موضع آخر ١/ ٣٢: «وقدم المدينة يوم الاثنين قريبا من نصف النهار في الضحىٰ الأعلىٰ لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول».

(١٤) فتح الباري ٧/ ٧٤٨، ٧٥٠.

(١٥) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ٢٠٠ - ٢٠١، ٢٣٤ من الطريقين.

(قالت فاطمة ﷺ: ما لقيتُ من يوم الاثنين؟ والله لا تزال الأمَّة تُصاب فيه بعظيمة) أي بمصيبة شديدة.

(وقالت أم كلثوم) ابنة[١] علي، وأمُّها فاطمة، ﷺ. وُلِدت في عهد النبي ﷺ، قال أبو عمر[٢]: وُلِدت قبل وفاة النبي ﷺ. وروىٰ ابن أبي عمر العَدَني في مسنده: حدثني سفيان، عن عمرو، عن محمد بن علي أن عمر خطب إلىٰ عليٍّ ابنتَه أمَّ كلثوم، فذكر له صِغَرَها، فقيل له: إنه ردَّك. فعاودَه، فقال له عليٌّ: أبعث بها إليك، فإن رضيتَ فهي امرأتك. فأرسل بها إليه، فكشف عن ساقها، فقالت: مَهْ، لولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينَك[٣]. وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدِّه: تزوج عمر أمَّ كلثوم علىٰ مهر أربعين ألفًا[٤]. وقال الزبير[٥]: ولدت لعمر ابنيه زيدًا ورقيَّة. وماتت أم كلثوم وولدها في يوم واحد. وذكر الدارقطني في كتاب الأخوة أنه تزوجها بعد موت عمر عون بن جعفر بن أبي طالب، فمات عنها فتزوجها أخوه محمد، ثم مات عنها فتزوجها أخوه عبد الله بن جعفر، فماتت عنده[٦].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١٣/ ٢٨٠.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٥٩٤.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٦/ ١٦٣، وسعيد بن منصور في سننه ١/ ١٤٧.
ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٢٤٥ بنحوه عن الحسن البصري.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص ١١٩، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٨١، والدولابي في الذرية النبوية الطاهرة ص ١١٦ (ط - الدار السلفية بالكويت). ورواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات ص ٧٧ عن جابر بن عبد الله. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٨٣ عن عطاء الخراساني.

(٥) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ ص ٣١ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٦) نص الدارقطني في كتاب الإخوة والأخوات ص ٢٩ - ٣٠: «تزوج عمر أم كلثوم، فولدت له زيدا ورقية، وقُتل عنها عمر، فتزوجها محمد بن جعفر، فمات عنها، فتزوجها عون بن جعفر، فمات عنها، فتزوجها عبد الله بن جعفر، فماتت عنده».

قال ابن سعد[١]: ولم تلد لأحد من بني جعفر (**يوم أصيبَ عليٌّ كرَّم الله وجهه بالكوفة مثلها**) أي مثل هذه المقالة: (**ما لقيتُ من يوم الاثنين؟ مات فيه جدِّي رسول الله ﷺ، وفيه قُتل عمر بَعْلي، وفيه قُتل**) عليٌّ (**أبي**) ﷺ (**فما لقيتُ من يوم الاثنين**) هكذا رُوي عنها. ولكن في قتل عمر اختلاف، فروىٰ سالم بن أبي الجعد عن مَعْدان بن أبي طلحة أن عمر أصيبَ يوم الأربعاء لأربع بقينَ من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين[٢]. وكذا قال أبو معشر وغيرُه عن زيد بن أسلم[٣]. وزاد [أبو بكر بن] إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه أنه دُفن يوم الأحد مستهلَّ سنة أربع[٤]. وقال الليث وجماعة: قُتل يوم الأربعاء لأربع بقينَ من ذي الحجة[٥].

(**وقالت عائشة** ﷺ: **لمَّا مات رسول الله ﷺ اقتحم الناسُ**) أي دخلوا (**حتىٰ ارتفعت الرنَّة**) أي صوت البكاء (**وسجِّيٰ**) أي غطِّيٰ (**رسولَ الله ﷺ الملائكةُ بثوبي، فاختلفوا، فكذَّب بعضُهم بموته، وأُخرِس بعضهم فما تكلم إلا بعد البُعد، وخلط آخَرون فلاثوا الكلامَ[٦] بغير بيان**) أي إفصاح (**وبقي آخرون معهم عقولهم، وأُقعِدَ آخرون، فكان عمر بن الخطاب**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (**فيمَن كذَّب بموته، و**) كان (**علي**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (**فيمَن أُقعد، و**) كان (**عثمان**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (**فيمَن أُخرِس، فخرج عمر علىٰ الناس**

(١) الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ٤٢٩ - ٤٣١.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١/ ٤١٩ - ٤٢١، والحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ١٠٢ - ١٠٣، وابن أبي شيبة في مصنفه ١١/ ٣٠٥، والبغوي في معجم الصحابة ٤/ ٣١١، والبخاري في التاريخ الكبير ٦/ ١٣٨.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٦٣ عن أبي معشر عن زيد بن أسلم عن أبيه وعمر مولىٰ غفرة وعن محمد بن نويفع قالوا: قتل عمر ... فذكره. ورواه البيهقي في الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد ص ٤٦٨ عن أبي معشر دون ذكر زيد بن أسلم. وكذا رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ٤٠، ٤٣، والطبري في تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٩٤.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٣٨، ومن طريقه الطبري في تاريخه ٤/ ١٩٣.

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٦) أي خلطوا الكلام. انظر: الصحاح، للجوهري ١/ ٢٩١.

وقال: إن رسول الله ﷺ لم يمُتْ، وليرجعنَّه الله عَزَّوَجَلَّ، وليقطعنَّ أيدي وأرجل رجال من المنافقين يتمنَّون لرسول الله ﷺ الموتَ، إنما واعدَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ كما واعَدَ موسىٰ) عَلَيْهِ السَّلَامُ **(وهو آتيكم.** وفي رواية أنه قال: يا أيها الناس، كُفُّوا ألسنتكم عن رسول الله ﷺ، فإنه لم يمُتْ، واللهِ لا أسمع أحدًا يذكر أن رسول الله ﷺ قد مات إلا علوتُه بسيفي هذا. **وأما عليٌّ فإنه أُقعِد فلم يبرح في البيت. وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدًا، يؤخَذ بيده فيُجاء به ويُذهَب به، ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس)** رضي الله عنهما **(فإن الله عَزَّوَجَلَّ عزم لهما على التوفيق والسداد، وإن كان الناس لم يرعووا)** أي لم ينكفُّوا **(إلا بقول أبي بكر)** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(حتىٰ جاء العباس فقال: واللهِ الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسولُ الله ﷺ الموتَ، ولقد قال وهو بين أظهُرنا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝﴾)** [الزمر: ٣٠]

قال العراقي[1]: هذا السياق بطوله منكر لم أجد له أصلاً.

قلت: بل رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر بسند ضعيف. وعزا صاحب المواهب لابن المنير قال: لما مات ﷺ طاشت العقولُ، فمنهم مَن خبلَ، ومنهم مَن أُقعِد فلم يُطِق القيامَ، ومنهم مَن أُخرِس فلم يُطِق النطقَ بالكلام، ومنهم مَن أضنَىٰ، وكان عمر ممَّن خبلَ، وكان عثمان ممَّن أُخرِس، يُذهَب به ويُجاء ولا يستطيع النطق، وكان عليٌّ ممَّن أُقعِد فلا يستطيع حراكًا، وأضنىٰ عبدُ الله بن أنيس فمات كَمَدًا، وكان أثبتهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما قول عمر المذكور فرواه البخاري عن عائشة أن عمر قام يقول: واللهِ ما مات رسول الله ﷺ. وفيه قول أبىٰ بكر له: أيها الحالف، علىٰ رِسْلك. كما سيأتي.

وعزا الطبري في الرياض النضرة[2] إلىٰ تخريج الحافظ أبي أحمد حمزة بن الحارث عن سالم بن عبيد الأشجعي قال: لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس

---

(١) المغني ٢/ ١٢١٩ - ١٢٢٠.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة، للمحب الطبري ١/ ١٤٣ - ١٤٥ (ط - دار الكتب العلمية).

عمر بن الخطاب. قال: فأخذ بقائم سيفه وقال: لا أسمع أحدًا يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا. قال: فقال الناس: يا سالم، اطلبْ صاحبَ رسول الله ﷺ. قال: فخرجت إلىٰ المسجد فإذا بأبي بكر، فلما رأيتُه أجهشت بالبكاء، فقال: [ما لك] يا سالم؟ أمات رسول الله ﷺ؟ فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب يقول: لا أسمع أحدًا يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا ... الحديث(١).

وذكر الطبري أيضًا أنه لما مات رسول الله ﷺ سلَّ عمر سيفه وتوعَّد مَن يقول مات رسول الله ﷺ، وكان يقول: إنما أُرسِل إليه كما أُرسِل إلىٰ موسىٰ عليه السلام فلبث عن قومه أربعين ليلةً، واللهِ إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم(٢).

وروىٰ أحمد(٣) من حديث عائشة قالت: سجَّيتُ النبيَّ ﷺ ثوبًا، فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا، فأذنتُ لهما، وجذبت الحجابَ، فنظر عمر إليه فقال: واغشياه. ثم قاما، فقال المغيرة لعمر: يا عمر، مات. قال: كذبتَ، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتىٰ يفني اللهُ المنافقين.

وروىٰ ابن أبي شيبة(٤) عن ابن عمر أن أبا بكر مرَّ بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ، ولا يموت حتىٰ يقتل اللهُ المنافقين.

(وبلغ أبا بكر) رضي الله عنه **(الخبرُ وهو في بني الحارث بن الخزرج)** قبيلة من

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ٣/ ٥٥٥ من طريق حمزة بن الحارث، ولكن لم يسقه بتمامه. ورواه بتمامه مكرم البزاز في جزئه ص ٣٢٢ [ضمن مجموع ثلاثة أجزاء حديثية/ ط - دار البشائر الإسلامية]. ومن طريقه أبو اليمن ابن عساكر في كتابه إتحاف الزائر ص ١٤٧ [ط - دار الأرقم ببيروت].
ورواه النسائي في السنن الكبرىٰ ٦/ ٣٩٥ - ٣٩٧ بلفظ آخر.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢٠/ ٣٣١ من حديث أنس، وفيه: «إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتىٰ يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات». ورواه أيضا ابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٩٧، وعبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٤٣٣، وعبد بن حميد في مسنده ٢/ ٢١٤.

(٣) مسند أحمد ٤٣/ ٣٤ - ٣٦.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ١٩١.

الأنصار، وكانت مساكنهم بالسُّنْح قرب المدينة[١]. وكان أبو بكر قد تزوج حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر الأنصارية. كذا نسبها ابنُ سعد[٢]، وكان قد سكن بها هناك. وفي رواية عروة عن عائشة: استأذن أبو بكر لمَّا رأىٰ من النبي ﷺ خفةً أن يأتي بنت خارجة، فأذنَ له[٣] **(فجاء ودخل علىٰ رسول الله ﷺ، فنظر إليه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله ثم قال: بأبي أنت وأمي، ما كان الله ليذيقك الموتَ مرتين)** قيل: هو علىٰ حقيقته، وأشار بذلك إلىٰ الرد علىٰ مَن زعم أنه سيحيا فيقطع أيدي رجال؛ لأنه لو صحَّ ذلك للزم أن يموت موتة أخرىٰ، فأخبر أنه أكرم علىٰ الله من أن يجمع عليه موتتين كما جمعهما علىٰ غيره، كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وكالذي مرَّ علىٰ قرية. وهذا أوضحُ الأجوبةِ وأسلمُها. وقيل: أراد لا يموت موتة أخرىٰ في القبر كغيره؛ إذ يحيا ليُسئل ثم يموت. وقيل: لا يجمع بين موتة نفسك وموتة شريعتك. وقيل: كنَّىٰ بالموت الثاني عن الكرب، أي لا تلقَىٰ بعد كربِ هذا الموت كربًا آخر. كذا في فتح الباري[٤] **(فقد واللهِ توفي رسول الله ﷺ. ثم خرج إلىٰ الناس فقال: أيها الناس، مَن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَن كان يعبد ربَّ محمد فإنه حيٌّ لا يموت، قال الله تعالىٰ:** ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ **الآية** [آل عمران: ١٤٤] **فكأنَّ الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذٍ)** قال العراقي[٥]: رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل علىٰ فرس من مسكنه بالسنح حتىٰ نزل، فدخل المسجد، فلم يكلِّم الناسَ حتىٰ دخل علىٰ عائشة، فيمَّم رسولَ الله ﷺ وهو مغشىٰ بثوب حبرة، فكشف عن

(١) انظر: معجم قبائل العرب ١/ ٢٢٨.
(٢) الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ٣٣٨.
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٢٢٤، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٦/ ٣٢٩٨.
(٤) فتح الباري ٣/ ١٣٧ - ١٣٨.
(٥) المغني ٢/ ١٢٢٠.

وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله وبكىٰ، ثم قال: بأبي وأمي أنت، واللهِ لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد متَّها. ولهما من حديث ابن عباس: أن أبا بكر خرج وعمر يكلِّم الناس ... الحديث، وفيه: واللهِ لكأنَّ الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتىٰ تلاها [أبو بكر]. لفظ البخاري فيهما(١). انتهىٰ.

قلت: وفي لفظ للبخاري عنها: أن عمر قام يقول: واللهِ ما مات رسول الله ﷺ. فجاء أبو بكر فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فقبَّله وقال: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حيًّا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا. ثم خرج فقال: أيها الحالف، علىٰ رِسْلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد اللهَ أبو بكر وأثنىٰ عليه وقال: ألا مَن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤] قال: فنشنجَ الناسُ يبكون.

وروىٰ الحافظ أبو أحمد حمزة بن الحارث بسنده إلىٰ سالم بن عبيد الأشجعي قال: أقبل أبو بكر حتىٰ دخل علىٰ النبي ﷺ وهو مسجًّىٰ، فرفع البُرْد عن وجهه، ووضع فاه علىٰ فيه، واستنشأ الريحَ، ثم سجَّاه، والتفت إلينا فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ الآية، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝﴾ يا أيها الناس، مَن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت. قال عمر: فواللهِ لكأنِّي لم أتْلُ هذه الآية قط.

قال الطبري في الرياض: وأخرج الترمذي(٢) معناه بتمامه.

وروىٰ أحمد من حديث عائشة: سجَّيتُ النبيَّ ﷺ ثوبًا، فجاء عمر والمغيرة

---

(١) حديث عائشة وابن عباس رواهما البخاري في صحيحه ١/ ٣٨٤، ٣/ ١١، ١٨٥ - ١٨٦. وليسا في صحيح مسلم.

(٢) الشمائل المحمدية ص ١٨٦ - ١٨٨.

ابن شعبة فاستأذنا ... الحديث، وفيه: ثم جاء أبو بكر، فرفعتُ الحجاب، فنظر إليه فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ.

وأما حديث ابن عباس فسيأتي ذِكرُه قريبًا.

وروىٰ ابن أبي شيبة من حديث ابن عمر: أن أبا بكر مرَّ بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ، ولا يموت حتىٰ يقتل الله المنافقين. قال: وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم، فقال: أيها الرجل، إن رسول الله ﷺ قد مات، ألم تسمع الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝﴾ وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ثم أتىٰ المنبرَ ... الحديث.

قال أبو عبد الله القرطبي[١]: وفي هذا أدلُّ دليلٍ علىٰ شجاعة الصدِّيق رضي الله عنه، فإن الشجاعة حدُّها: ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت رسول الله ﷺ، فظهرت عنده شجاعتُه وعلمُه، قال الناس: لم يمت، واضطرب الأمرُ، فكشفه الصدِّيق بهذه الآية، فرجع عمر عن مقالته التي قالها.

(وفي رواية: أن أبا بكر رضي الله عنه **لما بلغه الخبرُ دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلي علىٰ النبي ﷺ، وعيناه تهملان)** أي تسيلان بالدموع **(وغُصَصُه ترتفع)** جمع الغُصَّة بالضم، وهو ما يغصُّ به الإنسان من طعام، أو غيظ علىٰ التشبيه[٢]. ومعنىٰ ترتفع: أي تكثُر **(كقطع الجِرَّة)** الجِرَّة بكسر الجيم: ما تخرجه الإبلُ من كروشها فتجترُّه[٣] **(وهو مع ذلك جَلْد الفعل والمقال)** أي ثابت العقل فيهما **(فأكبَّ عليه، فكشف عن وجهه، وقبَّل جبينه وخدَّيه، ومسح وجهه، وجعل يبكي ويقول: بأبي**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٤٢ - ٣٤٣، نقلا عن كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لأبي بكر ابن العربي ص ٦١١.

(٢) ذكره الفيومي في المصباح المنير ص ٤٤٨.

(٣) ذكره الفيومي في المصباح المنير ص ٩٦ وعزاه للأزهري. والذي في تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٤٧٩: «الجرة: جرة البعير حين يجترها فيقرضها ثم يكظمها».

أنت وأمي ونفسي وأهلي، طِبْتَ حيًّا وميتًا، انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء وهو النبوة، فعظُمتَ عن الصفة، وجللتَ عن البكاء، وخُصصتَ حتىٰ صرتَ مَسلاة) أي بحيث يتسلَّون بك (وعُممتَ حتىٰ صِرنا فيك سواء، ولولا أن موتك كان اختيارًا منك) إذ خُيِّرتَ بينه وبين الخُلد (لجُدْنا لحزنك بالنفوس، ولولا أنك نهيتَ عن البكاء لأنفدنا) أي أفنينا (عليك ماءَ الشؤون) أي مدامع العيون (فأما ما لا نستطيع نفيه عنا) أي لا نقدر علىٰ إزالته (فكمد وإدناف محالفانِ) أي ملازمان (لا يبرحان، اللهم فأبلِغْه عنا، اذكرْنا يا محمد صلىٰ الله عليك عند ربِّك، ولنكن من بالك، فلولا ما خلفتَ من السكينة لم يقم أحدٌ لِما خلفتَ من الوحشة، اللهم أبلِغْ نبيَّك عنا واخلفْه فينا[1]) قال العراقي[2]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر بسند ضعيف: جاء أبو بكر ورسول الله ﷺ مسجًّىٰ، فكشف الثوبَ عن وجهه ... الحديث الخ. انتهىٰ.

قلت: ولفظه: جاء أبو بكر وعيناه تهملان، وزفراته تتردَّد، وغُصَصه تتصاعد وترتفع، فدخل علىٰ النبي ﷺ. وفيه: ما لم ينقطع لموت أحد من الناس. ولم يقل: وهو النبوَّة. وقال: فعظمت عن القصة ... والباقي سواء.

تنبيه: تقبيله النبي ﷺ قد قدَّمناه من حديث ابن عباس وعائشة عند البخاري، وكذا عند غيره، فروىٰ أحمد من طريق يزيد بن بابَنُوس عن عائشة أنه أتاه من قِبَل رأسه فقبل وجهه ثم قال: وانبيَّاه، ثم رفع رأسه فحَدَرَ فاه وقبَّل جبهتَه ثم قال: واصفيَّاه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبَّل جبهته وقال: واخليلاه.

وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة: فوضع فاه علىٰ جبين النبي ﷺ فجعل يقبِّله ويبكي ويقول: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حيًّا وميتًا.

---

(١) في الجميع غير الزبيدي: واحفظه فينا.

(٢) المغني ٢/ ١٢٢٠ - ١٢٢١.

وفي جزء ابن عرفة[1] من حديث عائشة أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ بعد وفاته، فوضع فاه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه، فقال: وانبيَّاه، واخليلاه، واصفيَّاه.

(وعن ابن عمر) ﷺ (أنه لما دخل أبو بكر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (البيتَ) أي حجرة عائشة (وصلى وأثنى عجَّ أهل البيت عجيجًا) أي رفعوا صوتًا (سمعه أهل المصلَّى) وهم خارج المدينة (كلَّما ذكر شيئًا ازدادوا، فما سكَّن عجيجَهم إلا تسليم رجل على الباب صيِّت) أي جهير الصوت (جَلْد) أي قويٌّ (قال: السلام عليكم يا أهل البيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧] إن في الله خلفًا من كل أحد، ودركًا لكل رغبة، ونجدة من كل مخافة، فاللهَ فارجوا، وبه فثِقوا. فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء، فلما انقطع البكاء فُقِدَ صوته، فاطَّلع أحدهم فلم يرَ أحدًا، ثم عادوا فبكوا، فناداهم منادٍ آخر لا يعرفون صوته: يا أهل البيت، اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين، إن في الله عزاءً من كل مصيبة، وعوضًا من كل رغيبة، فاللهَ فأطيعوا، وبأمره فاعملوا. فقال أبو بكر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هذا الخضر واليسع عليهما السلام قد حضرا) وفاةَ (النبي ﷺ) قال العراقي[2]: لم أجد فيه ذِكر اليسع. انتهى.

قلت: هكذا أخرجه سيف بن عمر التميمي في كتاب الردَّة له عن سعيد بن عبد الله عن ابن عمر قال: لمَّا توفي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر حتى دخل عليه، فلما رآه مسجًّى قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. ثم صلى عليه، فرفع أهل البيت عجيجًا سمعه أهل المصلَّى، فلمَّا سكن ما بهم سمعوا تسليمَ رجل على الباب صيِّت جليد يقول ... فساقه، وفيه قوله: فثِقُوا فإن المُصاب مَن حُرِم الثواب. وفيه: وعوضًا من كل هلكة، فبالله فثِقُوا، وإياه فأطيعوا، فإن المُصاب مَن حُرِمَ الثواب. فقال أبو بكر:

---

(١) جزء الحسن بن عرفة العبدي ص ٩٥ (ط - مكتبة دار الأقصى بالكويت).

(٢) المغني ٢/ ١٢٢١ - ١٢٢٢.

هذا الخضر وإلياس قد حضرا وفاةَ النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة[١] بعد أن أورده: وسيف فيه مقال، وشيخه لا يُعرَف.

قلت: هو سعيد بن عبد الله بن ضِرار بن الأزور، روىٰ عن أبيه وعن غيره، وفيه وفي أبيه مقالٌ، وقد تقدَّم قريبًا.

ثم قال العراقي: وأما ذِكرُ الخضر في التعزية فأنكر النوويُّ[٢] وجوده في كتب الحديث وقال: إنما ذكره الأصحاب. قلت: بل قد رواه الحاكم في المستدرك[٣] من حديث أنس ولم يصحِّحه، ولا يصح.

قلت: وجدت بخط الشمس الداودي ما نصه: قول الشيخ «إن الحاكم لم يصحِّحه» صحيح، لكنه مُشعِر بكونه لم يضعِّفه، وليس كذلك، فإنه ساقه من رواية عَبَّاد بن عبد الصمد، ثم قال: وعبَّاد ليس من شرط هذا الكتاب.

ثم قال العراقي: ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث أنس أيضًا [قال]: لمَّا قُبض رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله يبكون، فدخل عليهم رجل طويل أشعر المنكبين في إزار ورِداء يتخطَّىٰ أصحابَ رسول الله ﷺ حتىٰ أخذ بعضادتَي باب البيت، فبكىٰ علىٰ رسول الله ﷺ، ثم أقبل علىٰ أصحابه فقال: إنَّ في الله عزاءً من كل مصيبة، وعوضًا من كل فائت، وخلفًا من كل هالك، فإلىٰ الله فأنيبوا، ونظره إليكم في البلاء فانظروا، فإن المُصاب مَن لم يحُز الثوابَ. ثم ذهب

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ١٣٠ - ١٣١.

(٢) المجموع شرح المهذب ٥/ ٣٠٥، ونصه: «وأما قصة تعزية الخضر فرواها الشافعي في الأم بإسناد ضعيف، إلا أنه لم يقل الخضر، بل سمعوا قائلا يقول فذكر هذه التعزية، ولم يذكر الشافعي الخضر، وإنما ذكره أصحابنا وغيرهم. وفيه دليل منهم لاختيارهم ما هو المختار وترجيح ما هو الصواب وهو أن الخضر حي باقٍ».

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٦٣ - ٦٤.

الرجل، فقال أبو بكر: عليّ بالرجل، فنظروا يمينًا وشمالاً فلم يروا أحدًا، فقال أبو بكر: لعلَّ هذا الخضر أخو نبيِّنا ﷺ جاء يعزِّينا عليه. ورواه الطبراني في الأوسط[١]، وإسناده ضعيف جدًّا.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الكتاب المذكور: حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا عبَّاد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك قال: لما قُبض رسول الله ﷺ ... فساقه. ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم في المستدرك، وهو الذي أشار إليه العراقي بقوله: ولم يصحِّحه، ولا يصح. أي لأجل عبَّاد، فإنه ضعَّفه البخاريُّ[٢] والعقيلي[٣]، وقال أبو حاتم: ضعيف جدًّا[٤]. وقد أخرجه الطبراني في الأوسط عن موسىٰ بن هارون عن كامل، وقال: تفرَّد به عبَّاد عن أنس.

ثم قال العراقي: ورواه ابن أبي الدنيا[٥] أيضًا من حديث علي بن أبي طالب: لمَّا قُبض رسول الله ﷺ جاء آتٍ يُسمَع حسُّه ولا يُرَىٰ شخصه قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إنَّ في الله عوضًا من كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل فائت، فبالله فثِقُوا، وإياه فارجوا، فإن المحروم مَن حُرم الثواب، والسلام عليكم. فقال عليٌّ: تدرون مَن هذا؟ هذا الخضر عليه السلام. وفيه محمد بن جعفر الصادق، تُكلِّم فيه، وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جدِّه عليٍّ، والمعروف عن علي بن الحسين مرسلاً من غير ذِكر عليٍّ، كما رواه الشافعي في الأم[٦]، وليس فيه ذِكر للخضر.

---

(١) المعجم الأوسط ٨/ ١٠٩ - ١١٠.

(٢) التاريخ الكبير ٦/ ٤١، قال: «منكر الحديث».

(٣) الضعفاء الكبير ٣/ ٨٨٦، قال: «أحاديثه مناكير، لا يعرف أكثرها إلا به».

(٤) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٨٢: «سألت أبي عن عباد بن عبد الصمد، فقال: ضعيف الحديث جدا، منكر الحديث، لا أعرف له حديثا صحيحا».

(٥) هواتف الجنان ص ٢١ - ٢٢، وليس فيه قوله (فقال علي: تدرون من هذا؟ هذا الخضر).

(٦) الأم ٢/ ٦٣٤.

قلت: رُوي[1] هذا الحديث من طرق، منها: قال ابن أبي حاتم في التفسير[2]: حدثنا أبي، أنبأنا عبد العزيز الأوسي، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه أن علي بن أبي طالب قال: لمَّا توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية فجاءهم آتٍ يسمعون حسَّه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥] إن في الله عزاءً من كل مصيبة ... فساقه، وفيه: فإن المُصاب مَن حُرِم الثواب. ولم يقل: السلام عليكم. ثم قال: قال جعفر: أخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال: تدرون من هذا؟ هذا الخضر. ورواه محمد بن منصور الحَوَّاز عن محمد بن جعفر بن محمد وعبد الله بن ميمون القَدَّاح جميعًا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين: سمعت أبي يقول: لمَّا قُبض رسول الله ﷺ جاءت التعزية، يسمعون حسَّه ولا يرون شخصه: السلام عليكم ورحمة الله أهل البيت، إنَّ في الله عزاءً من كل مصيبة ... فساقه سياقَ ابن أبي الدنيا. قال ابن الجوزي: تابعه محمد بن صالح عن محمد بن جعفر، ومحمد بن صالح ضعيف. قال: ورواه الواقديُّ، وهو كذاب، ورواه محمد بن أبي عمر عن محمد بن جعفر، وابن أبي عمر مجهول. قال الحافظ في الإصابة: وهذا الإطلاق ضعيف، فإن ابن أبي عمر أشهر من أن يقال فيه هذا، هو شيخ مسلم وغيرِه من الأئمَّة، وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور مرويٌّ، وهذا الحديث فيه، أخبرني به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل ابن الحسين رحمه الله تعالىٰ قال: أخبرني أبو محمد ابن القيِّم، أنبأنا أبو الحسن ابن البخاري، عن محمد بن مَعمر، أنبأنا سعيد بن أبي رجاء، أنبأنا أحمد بن محمد بن النعمان، أنبأنا أبو بكر ابن المقري، أنبأنا إسحاق بن أحمد الخزاعي، حدثنا محمد بن يحيىٰ بن أبي عمر العَدَني، حدثنا محمد بن جعفر

(١) الإصابة ٣/ ١٢٧ - ١٣٠.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٤٣٢، ٩/ ٣٠٧٦ - ٣٠٧٧.

قال: كان أبي - هو جعفر بن محمد الصادق - يذكر عن أبيه عن جدِّه عن علي ابن أبي طالب أنه دخل عليه نفر من قريش، فقال: ألا أحدِّثكم عن أبي القاسم؟ قالوا: بلىٰ ... فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي ﷺ، وفي آخره: فقال جبريل: يا أحمد، عليك السلام، هذا آخر وطئي الأرض، إنما كنتَ [أنت] حاجتي من الدنيا. فلما قُبض رسول الله ﷺ وجاءت التعزية جاء آتٍ يسمعون حسَّه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، في الله عزاءٌ من كل مصيبة، وخلفٌ من كل هالك، ودركٌ من كل فائت، فبالله فثِقُوا، وإياه فارجوا، فإن المحروم مَن حُرم الثواب، وإن المُصاب مَن حُرم الثواب، والسلام عليكم. فقال علي: هل تدرون من هذا؟ هذا الخضر[1]. انتهىٰ. ومحمد بن جعفر هذا هو أخو موسىٰ الكاظم، حدَّث عن أبيه وغيره، روىٰ عنه إبراهيم بن المنذر وغيره، وكان قد دعا لنفسه بالمدينة ومكة، وحج بالناس سنة مائتين، وبايعوه بالخلافة، فحجَّ المعتصم فظفر به فحمله إلىٰ أخيه المأمون بخراسان، فمات بجُرجان سنة ثلاث ومائتين، وعاش سبعين سنة، قال البخاري: أخوه إسحاق أوثق منه[2]. انتهىٰ. ومنها ما أخرجه البيهقي في الدلائل[3] قال: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو جعفر البغدادي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الصنعاني، حدثنا أبو الوليد المخزومي، حدثنا أنس بن عياض، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: لما توفي رسول الله ﷺ عزَّتهم الملائكةُ، يسمعون الحس ولا يرون الشخص، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاءً من كل مصيبة، وخلفًا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المحروم مَن حُرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) رواه حمزة السهمي في تاريخ جرجان ص ٣١٩ - ٣٢٠ من طريق ابن أبي عمر.

(٢) في التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٥٧: «قال لي إبراهيم بن المنذر: كان إسحاق أخوه أوثق منه وأقدم سنا».

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٦٨ - ٢٦٩.

قلت: هكذا أخرجه الحاكم[١]، وزعم أن أبا الوليد المخزومي هو هشام بن إسماعيل الصنعاني، ثقة مأمون. كذا قال. وقال الداودي كما وُجد بخطِّه: والذي أظن أنه خالد بن إسماعيل، وهو كذَّاب.

قلت: أنس[٢] بن عياض مدني ثقة، روىٰ له الجماعة، مات سنة مائتين عن ست وتسعين. والراوي عنه أبو الوليد إن كان كما زعم الحاكم فهو دمشقي، يكنَّىٰ أبا عبد الملك، ووفاته سنة ست عشرة [ومائتين] فقد أدرك من عمره نحو اثنتي عشرة سنة، وكون راويه عبد الله بن عبد الرحمن صنعانيًّا يقوِّي أنه هو، وإن كان هو خالد بن إسماعيل فهو مدنيٌّ، قال ابن عدي[٣]: كان يضع الحديث. ولهم رجل آخر مسمَّىٰ بهذا الاسم ويروي عن عوف، وهو مجهول، قال الذهبي[٤]: ولعله المخزومي.

وقال البيهقي[٥] أيضًا: أخبرنا [أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا] أبو سعيد أحمد ابن محمد بن عمرو الأحمسي، حدثنا الحسين بن حميد بن الربيع اللخمي، حدثنا عبد الله بن أبي زياد، حدثنا سيَّار بن حاتم، حدثنا عبد الواحد بن سليمان الحارثي، حدثنا الحسن بن علي، عن محمد بن علي - هو ابن الحسين بن علي - قال: لمَّا كان قبل وفاة رسول الله ﷺ [بثلاث] هبط إليه جبريل ... فذكر قصة الوفاة مطوَّلة، وفيها: فأتاهم آتٍ يسمعون حسَّه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... فذكر مثله في التعزية.

(واستوفىٰ القَعْقاع[٦] بن عمرو) التميمي، أخو عاصم (حكايةَ خطبة أبي بكر

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٦٣. وليس فيه أن أبا الوليد هو هشام بن إسماعيل.

(٢) تقريب التهذيب ص ١٥٤.

(٣) الكامل في الضعفاء ٣/ ٩١٢ - ٩١٣.

(٤) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ١٠٩. المغني في الضعفاء ١/ ٢٩٤.

(٥) دلائل النبوة ٧/ ٢١٠ - ٢١١.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ١٦٨ - ١٦٩.

رضي الله عنه) وكان القعقاع من الشجعان الفرسان، قيل: إن أبا بكر كان يقول: لَصوتُ القعقاع في الجيش خيرٌ من ألف رجل[١]. وله في قتال الفُرس بالقادسية وغيرها بلاءٌ عظيم، وهو الذي غنمَ في فتح المدائن أدراع كسرىٰ، وكان فيها درع لهرقل ودرع لخاقان ودرع للنعمان وسيفه وسيف كسرىٰ، فأرسلها سعد إلىٰ عمر. قال ابن عساكر[٢]: يقال إنَّ له صحبة، كان أحد فرسان العرب وشعرائهم، شهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق، وله في ذلك أشعار مشهورة. وقال ابن السكن: ويقال: هو القعقاع بن عمرو بن معبد التميمي (فقال: **قام أبو بكر في الناس خطيبًا حيث قضىٰ الناس عَبراتهم بخطبة جُلُّها الصلاة علىٰ النبي ﷺ، فحمد اللهَ وأثنىٰ عليه علىٰ كل حال وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلله الحمد وحده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شُرع، وأن الحديث كما حُدِّث، وأن القول كما قيل، وأن الله هو الحق المبين، اللهم فصلِّ علىٰ محمد عبدك ورسولك ونبيِّك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صلَّيتَ به علىٰ أحد من خلقك، اللهم واجعلْ صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك علىٰ سيد المرسلين وخاتم النبيِّين وإمام المتَّقين محمد، قائد الخير، وإمام الخير، ورسول الرحمة، اللهم قَرِّب زُلْفتَه، وعظِّمْ برهانَه، وكرِّمْ مقامَه، وابعثْه مقامًا محمودًا يغبطه به الأوَّلون والآخِرون، وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة، واخلفْه فينا في الدنيا والآخرة، وبلِّغْه الدرجةَ والوسيلة في الجنة، اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، وبارِكْ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما صلَّيتَ وباركتَ علىٰ إبراهيم،**

---

(١) المعروف أن ذلك من قول النبي ﷺ عن أبي طلحة الأنصاري، وقد رواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٤٣١ والحارث بن أبي أسامة في مسنده (بغية الباحث ص ٩٢٧) وأبو الشيخ في أمثال الحديث ص ١٣٧ من حديث أنس أو جابر بلفظ: لصوت أبي طلحة ... الخ.

وفي لفظ آخر: خير من فئة..

(٢) تاريخ دمشق ٤٩/ ٣٥٢ - ٣٥٦.

إنك حميد مجيد. يا أيها الناس، إنه مَن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لم يمُتْ، وإن الله قد تقدَّم إليكم في أمره، فلا تَدَعوه جزعًا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد اختار لنبيِّه ﷺ ما عنده علىٰ ما عندكم، وقبضه إلىٰ ثوابه، وخلَّف فيكم كتابَه وسنَّته وسنَّة نبيِّه ﷺ، فمَن أخذ بهما عرف، ومَن فرَّق بينهما أنكر. يا أيها الذين آمنوا كونوا قَوَّامين بالقسط، ولا يشغلنَّكم الشيطان بموت نبيِّكم، ولا يفتننَّكم عن دينكم، وعاجِلوا الشيطانَ بالخزي تعجزوه، ولا تستنظروه فيَلحق بكم ويفتنكم) رواه بطوله سيف بن عمر التميمي في كتاب الفتوح له عن عمرو بن تمام عن أبيه عن القعقاع، قال ابن أبي حاتم: سيف متروك[١]. وأخرجه ابن السكن من طريق إبراهيم بن سعد عن سيف بن عمر عن عمرو عن أبيه، وقال: سيف بن عمر ضعيف. قلت: هو من رجال الترمذي، وهو وإن كان ضعيفًا في الحديث فهو عمدة في التاريخ، مقبول النقل.

(وقال ابن عباس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لمَّا فرغ أبو بكر من خطبته قال: يا عمر، أنت الذي بلغني أنك تقول: ما مات نبي الله ﷺ؟ أما ترىٰ أن نبي الله ﷺ قال يوم كذا كذا وكذا، ويوم كذا كذا وكذا؟ وقال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠] فقال) عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (واللهِ لكأنِّي لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لِما نزل بنا) أي من الدهشة والحيرة بوفاة رسول الله ﷺ (أشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الحديث كما حُدِّث، وأن الله حيٌّ لا يموت، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وصلوات الله علىٰ رسوله، وعند الله نحتسب رسولَه ﷺ. ثم جلس إلىٰ أبي بكر) رواه البخاري[٢] من حديث ابن عباس بلفظ: أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلِّم الناس، فقال: اجلسْ يا عمر. فأبَىٰ عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، مَن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَن كان

---

(١) الجرح والتعديل ٧/ ١٣٦. وقال في موضع آخر ٤/ ٢٧٨: «سئل أبي عن سيف بن عمر، فقال: متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدي».

(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٨٤، ٣/ ١٨٦.

يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤] قال: والله لكأنَّ الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتىٰ تلاها أبو بكر، فتلقَّاها منه الناس كلُّهم، فما أسمع أحدًا من الناس إلا يتلوها.

وروىٰ أبو نصر الوائلي في كتاب الإبانة عن أنس بن مالك أنه سمع عمر بن الخطاب يقول حين بويع أبو بكر في مسجد رسول الله ﷺ واستوىٰ علىٰ منبره عَلَيْهِ السَّلَامُ، تشهَّد ثم قال: أما بعد، فإني قلت لكم أمس مقالةً، وإنها لم تكن كما قلتُ، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلتُ لكم في كتاب الله ولا في عهدٍ عهدَه إليَّ رسولُ الله ﷺ، ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتىٰ يدبُرنا - أي يكون آخرنا موتًا - فاختار الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله الذي عنده علىٰ الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدىٰ الله به رسولَه، فخذوا به تهتدوا لِما هُدي له رسول الله ﷺ(١).

وقال صاحب المواهب(٢): ولما تحقَّق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موتَه ﷺ بقول أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورجع إلىٰ قوله قال وهو يبكي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد كان لك جِذع تخطب الناسَ عليه، فلما كثروا اتخذتَ منبرًا لتُسمِعهم، فحنَّ الجذعُ لفراقك حتىٰ جعلتَ يدك عليه فسكن، فأمَّتك أَولىٰ بالحنين إليك حين فارقتَهم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند ربِّك أنْ جعل طاعتك طاعته فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أنْ بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآية [الأحزاب: ٧] بأبي

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٤٣٧، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٥٨٩ - ٥٩٠، والطبراني في مسند الشاميين ٣/ ١٠، ٤/ ١٥٥، والبيهقي في دلائل النبوة ٧/ ٢١٦، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٢٣٦.

ورواه البخاري في صحيحه ٤/ ٣٥٨ مختصرا.

(٢) المواهب ٣/ ٥٥٤، ٥٥٥.

أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودُّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذَّبون، يقولون: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ... إلىٰ آخره، وهو طويل ذكره أبو العباس القصَّار في شرحه لبُردة البوصيري، ونقله [عنه] الرشاطي في اقتباس الأنوار، وذكره ابن الحاج في المدخل(١) وساقه بتمامه، والقاضي عياض في الشفاء(٢) لكنه ذكر بعضَه.

(وقالت عائشة ﵂: لمَّا اجتمعوا لغسله قالوا: واللهِ ما ندري كيف نغسِّل رسول الله ﷺ، أنجرِّده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسِّله في ثيابه. قالت: فأرسل الله عليهم النومَ حتىٰ ما بقي منهم رجل إلا واضع لحيته علىٰ صدره نائمًا، ثم قال قائل لا يُدرَىٰ مَن هو: غَسِّلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه. فانتبهوا، ففعلوا ذلك، فغُسِّل ﷺ في قميصه، حتىٰ إذا فُرغ من غسله كُفِّن) رواه البيهقي في الدلائل(٣)، وفيه: ثم كلَّمهم مكلِّمٌ من ناحية البيت لا يدرون مَن هو: غسِّلوا النبي ﷺ في ثيابه. فقاموا فغسَّلوه وعليه قميصه، يصبُّون الماء فوق القميص، ويدلِّكونه بالقميص.

(وقال علي كرَّم الله وجهه: أردنا خلع قميصه، فنودينا: لا تخلعوا عن رسول الله ﷺ ثيابَه. فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيًا، ما نشاء أن يقلَّب لنا منه عضو لم يبالَغ فيه إلا قُلب لنا حتىٰ نفرغ منه، وإن معنا لحفيفًا في البيت كالريح الرخاء ويصوِّت بنا: ارفقوا برسول الله ﷺ فإنكم ستُكفَون) وقد صحَّ أنه غُسل ﷺ ثلاث غسلات، الأولىٰ بالماء القراح، والثانية بالماء والسِّدْر، والثالثة بالماء والكافور، وغسله عليٌّ، والعباس وابنه الفضل يعينانه، وقثم وأسامة وشقران مولاه ﷺ يصبُّون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر؛ لحديث علي:

---

(١) المدخل ٣/ ٢٢١ - ٢٢٢.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١/ ٤٥. وقد تقدم هذا الأثر بتمامه في كتاب الأذكار والدعوات.

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٢. ورواه أيضا: أبو داود في سننه ٤/ ٣٠، وأحمد في مسنده ٤٣/ ٣٣١، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٥٩٥ - ٥٩٧، والحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٦٥. وزادوا في آخره: «فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه».

«لا يغسلني إلا أنت، فإنه لا يرىٰ أحد عورتي إلا طُمِست عيناه». رواه البزار[١] والبيهقي[٢].

وروىٰ البيهقي[٣] عن الشعبي قال: غسل عليٌّ النبيَّ ﷺ، فكان يقول وهو يغسله: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حيًّا وميتًا.

وروىٰ أبو داود[٤] والحاكم[٥] وصحَّحه عن علي قال: غسلتُه ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أرَ شيئًا، كان طيبًا حيًّا وميتًا.

وفي رواية لابن سعد[٦]: وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط.

وجعل [عليٌّ] علىٰ يده خرقةً وأدخلها تحت القميص، ثم اعتصروا قميصه، وحنَّطوا مساجده ومفاصله، ووضؤوا منه ذراعيه ووجهه وكفَّيه وقدميه وجمروه عودًّا ونَدًّا.

وذكر ابن الجوزي[٧] أنه رُوي عن جعفر بن محمد قال: كان الماء يستنقع في جفون النبي ﷺ، وكان علي يحسوه[٨].

---

(١) مسند البزار ٣/ ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٤. ولفظه: «أوصىٰ رسول الله ﷺ أن لا يغسله أحد غيري، فإنه لا يرىٰ أحد عورتي إلا طمست عيناه. فكان العباس وأسامة يناولان الماء وراء الستر، فما تناولت عضوا إلا كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلا حتىٰ فرغت من غسله».

(٣) السابق ٧/ ٢٤٣.

(٤) رواه في المراسيل ص ٢٩٩ مرسلا عن سعيد بن المسيب بلفظ: التمس علي من النبي ﷺ ما يلتمس من الميت فلم يجده، فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٠٩، ٣/ ٦٥.

(٦) الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٢٤٤ عن عبد الله بن الحارث. ورواه الطبراني في المعجم الكبير ١/ ٢٣٠ عن ابن عباس.

(٧) صفة الصفوة ص ٩١.

(٨) رواه أحمد في مسنده ٤/ ٢٢٩.

وأما ما رُوي أن عليًا لمَّا غسله امتصَّ ماء محاجر عينيه فشربه وأنه ورثَ بذلك علم الأوَّلين والآخِرين، فقال النووي[١]: ليس بصحيح.

وفي حديث عروة عن عائشة قالت: كُفن ﷺ في ثلاثة أثواب سُحولية بِيض. أخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة، واتفق عليه الأئمَّة الستة[٢] من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بزيادة: من كُرْسُف ليس فيها قميص ولا عمامة. وليس قوله «من كرسف» عند الترمذي ولا ابن ماجه. زاد مسلم: أما الحُلَّة فإنما شُبِّهَ علىٰ الناس [فيها] أنها اشتُريتْ له ليكفَّن فيها، فتُركت الحُلَّة، وكُفن في ثلاثة أثواب بِيض سُحولية، فأخذها عبد الله بن أبي بكر فقال: لأحبسنَّها حتىٰ أكفِّن فيها نفسي. ثم قال: لو رضيَها اللهُ لنبيِّه لكفَّنه فيها. فباعها وتصدَّق بثمنها. وفي رواية له: أُدرِج رسول الله ﷺ في حُلَّة يمنية [كانت لعبد الله بن أبي بكر، ثم نُزِعت منه. وفي رواية أصحاب السنن الأربعة: فذُكر لعائشة قولهم: كُفن] في ثوبين وبُرد حِبَرة، فقالت: قد أُتي بالبُرد، ولكنهم ردُّوه ولم يكفِّنوه فيه. وقال الترمذي: حسن صحيح. وفي رواية البيهقي[٣]: في ثلاثة أثواب [بِيض] سحولية جدد. وقال الترمذي: رُوي في كفن النبي ﷺ روايات مختلفة، وحديث عائشة أصح الأحاديث في ذلك، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم.

وقال البيهقي في الخلافيات[٤]: قال أبو عبد الله - يعني الحاكم -: تواترت الأخبار عن علي وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن مغفَّل في تكفين

---

(١) فتاوىٰ النووي ص ١٣٩ (ط - الأزهر).

(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٢٦. صحيح مسلم ١/ ٤١٨ - ٤١٩. سنن أبي داود ٤/ ٣٣ - ٣٤. سنن الترمذي ٢/ ٣١١ - ٣١٢. سنن النسائي ص ٣٠٥. سنن ابن ماجه ٣/ ٢٩.

(٣) السنن الكبرىٰ ٣/ ٥٦٠.

(٤) الخلافيات ٤/ ١٩٨ (ط - مكتبة الروضة بالقاهرة).

النبي ﷺ في ثلاثة أثواب [بِيض] ليس فيها قميص ولا عمامة.

وروىٰ أحمد[١] من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن عليٍّ أن رسول الله ﷺ كُفن في سبعة أثواب.

فقال ابن حزم[٢]: إن الوهم فيه من ابن عقيل أو ممَّن بعده.

(فهكذا كانت وفاة رسول الله ﷺ، ولم يترك سَبَدًا ولا لَبَدًا إلا دُفن معه. قال أبو جعفر) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: **(فُرش لحده بمفرشة وقطيفة، وفُرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان علىٰ القطيفة والمفرش، ثم وُضع عليها في أكفانه)** قال العراقي[٣]: الذي وضع المفرشة شقران مولىٰ رسول الله ﷺ، وليس ذِكر ذلك من شرط كتابنا، ولمسلم[٤] والترمذي[٥] وحسَّنه والنسائي[٦] من حديث ابن عباس قال: جُعل في قبر النبي ﷺ قطيفة حمراء.

قلت: في حديث عائشة المتقدم في التكفين دلالة ظاهرة علىٰ أن القميص الذي غُسل فيه النبي ﷺ نُزِع عنه عند تكفينه، قال النووي في شرح مسلم[٧]: وهذا هو الصواب الذي لا يتَّجه غيرُه؛ لأنه لو بقي مع رطوبته لأفسد الأكفانَ. قال: وأما الحديث الذي في سنن أبي داود[٨] عن ابن عباس أن النبي ﷺ كُفن في ثلاثة أثواب

(١) مسند أحمد ٢/ ١٣٢، ١٨٢.

(٢) المحلىٰ ٥/ ١١٨ - ١١٩. وفيه: «الوهم فيه من الحسن بن موسىٰ أو عبد الله بن محمد بن عقيل». والحسن بن موسىٰ هو شيخ الإمام أحمد.

(٣) المغني ٢/ ١٢٢٢.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٤٢٩.

(٥) سنن الترمذي ٢/ ٣٥٣.

(٦) سنن النسائي ص ٣٢١.

(٧) شرح صحيح مسلم ٧/ ١٢.

(٨) سنن أبي داود ٤/ ٣٤.

[نجرانية الحُلَّة ثوبان] وقميصه الذي توفي فيه. فضعيف لا يصح الاحتجاج به؛ لأن يزيد بن أبي زياد أحد رواته مجمَع علىٰ ضعفه لا سيَّما وقد خالف بروايته الثقات. ا.هـ. والقطيفة التي فرشها شقران هي النجرانية التي كان النبي ﷺ يتغطىٰ بها، ورُوي أنه قال: واللهِ لا يلبسها أحد بعدك[1]. قال النووي[2]: وقد نصَّ الشافعيُّ وجميع أصحابه وغيرُهم من العلماء[3] علىٰ كراهة وضعِ قطيفة أو مضربة أو مخدَّة أو نحو ذلك تحت الميت في القبر، وشذَّ البغويُّ من أصحابنا فقال في كتابه التهذيب[4]: لا بأس بذلك لهذا الحديث. والصواب كراهة ذلك كما قاله الجمهور، وأجابوا عن هذا الحديث بأن شقران انفرد بفعل ذلك، ولم يوافقه أحد من الصحابة، ولا علموا بذلك، وإنما فعله شقران لِما ذكرناه عنه من كراهته أن يلبسها أحدٌ بعد النبي ﷺ.

ونقل الزين المراغي في «تحقيق النصرة»[5] عن ابن عبد البر[6] أنه قال: ثم أُخرِجت - يعني القطيفة - من القبر لمَّا فرغوا من وضع اللبنات التسع؛ حكاه ابن زبالة.

فصل: روىٰ ابن ماجه[7] من حديث ابن عباس قال: لما فرغوا من جهازه

---

(١) جاء ذلك في حديث ابن عباس عند ابن ماجه الذي سيورد الشارح بعضه قريبا.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧/ ٤٩.

(٣) انظر: فتح العزيز للرافعي ٢/ ٤٥٠ - ٤٥١. البناية شرح الهداية للعيني ٣/ ٢٥٣. التاج والإكليل شرح مختصر خليل لابن المواق الغرناطي ٣/ ٥٦ - ٥٧ (ط - دار الكتب العلمية). الفروع في الفقه الحنبلي لابن مفلح ٣/ ٣٧٧ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٤) التهذيب ٢/ ٤٤٤، ونصه: «ولا بأس أن يبسط تحت جنبه شيء، فإنه روي عن ابن عباس قال: جعل في قبر النبي ﷺ قطيفة حمراء».

(٥) تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ص ٩٣ - ٩٤ (ط - المكتبة العلمية بالمدينة المنورة).

(٦) الاستيعاب ١/ ٣٦، ونصه: «ألحد له ﷺ وبني في قبره اللبن، يقال: تسع لبنات، وطرح في قبره خمل قطيفة كان يلبسها، فلما فرغوا من وضع اللبن أخرجوها وأهالوا التراب علىٰ لحده».

(٧) سنن ابن ماجه ٣/ ١٣٦ - ١٣٧.

ﷺ يوم الثلاثاء وُضع علىٰ سريره في بيته، ثم دخل الناس عليه أرسالاً يصلُّون عليه، حتىٰ إذا فرغوا دخل النساء، حتىٰ إذا فرغنَ دخل الصبيان، ولم يؤمَّ الناسَ علىٰ رسول الله ﷺ أحدٌ.

وفي رواية أن أول مَن صلىٰ عليه الملائكة أفواجًا، ثم أهل بيته، ثم الناس فوجًا فوجًا، ثم نساؤه آخرًا.

ورُوي أنه لما صلىٰ [عليه] أهل بيته لم يدرِ الناس ما يقولون، فسألوا ابن مسعود[1]، فأمرهم أن يسألوا عليًّا، فقال لهم: قولوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] لبَّيك اللهم ربنا وسعديك، صلوات الله البَر الرحيم والملائكة المقرَّبين والنبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وما سبَّح لك من شيء يا رب العالمين علىٰ محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتَّقين ورسول رب العالمين، الشاهد، البشير، الداعي إليك بإذنك، السراج المنير، وعَلَيْهِ السَّلَامُ. ذكره الزين المَراغي في «تحقيق النصرة»[2].

(فلم يترك بعد وفاته) ﷺ **(مالاً)** كما تقدَّم **(ولا بنىٰ)** ﷺ **(في حياته لبنةً علىٰ لبنة، ولا وضع قصبة علىٰ قصبة)** كما تقدَّم **(ففي وفاته)** ﷺ **(عبرة تامة، وللمسلمين به أسوة حسنة)** روىٰ ابن ماجه[3] في سننه أنه ﷺ قال في مرضه: «أيها الناس، إنْ أحدٌ من الناس - أو من المؤمنين - أصيبَ بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا من أمَّتي لن يُصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي».

وروىٰ بقيُّ بن مخلد والباوَرْدي وابن شاهين وابن قانع[4]

(١) في المطبوعة: ابن عباس. والتصويب من المواهب وتحقيق النصرة.

(٢) تحقيق النصرة ص ٩٣، نقلا عن الشفا للقاضي عياض ٢/ ٧٢.

(٣) سنن ابن ماجه ٣/ ١١٦ من حديث عائشة.

(٤) معجم الصحابة ١/ ٣٢٣.

وأبو نعيم[١] كلهم في المعرفة عن عبد الرحمن بن سابط عن أبيه رفعه: «مَن أصيبَ بمصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنها أعظم المصائب».

وقال أبو الجوزاء: كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبةٌ جاء أخوه فصافحه ويقول: يا عبد الله، اتَّقِ الله، فإنَّ في رسول الله أسوةً حسنة.

ولله دَرُّ القائل[٢]:

اصبرْ لكل مصيبة وتجلَّدِ ... واعلمْ بأن المرء غير مخلَّدِ
وإذا أتتك مصيبةٌ تشجىٰ لها ... فاذكرْ مُصابك بالنبي محمدِ

وقائل آخر:

تذكَّرتُ لمَّا فرَّق الدهرُ بيننا ... فعزَّيتُ نفسي بالنبي محمدِ
وقلت لها إن المنايا سبيلنا ... فمَن لم يمُتْ في يومه مات في غدِ[٣]

وقد كانت وفاته ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف، كما تقدم، وذلك وقتَ دخوله

---

(١) معرفة الصحابة ٣/ ١٤٤٠.

(٢) هو أبو العتاهية، والبيتان في ديوانه ص ١١٠ - ١١١ (ط - دار الملاح). والشطر الأول من البيت الثاني فيه هكذا:

وإذا ذكرت محمدا ومصابه

والبيت الثاني في طبعة دار بيروت هكذا:

وإذا ذكرت العابدين وذلهم ... فاجعل ملاذك بالإله الأوحد

(٣) روىٰ الخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ٥٠ - ٥١ عن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال: دخلت علىٰ الخليفة المتوكل لما توفيت أمه فعزيته، فقال: يا جعفر، ربما قلتُ البيت الواحد، فإذا جاوزتُه خلطتُ، وقد قلت:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فعزيت نفسي بالنبي محمد

فأجازه بعض من حضر المجلس:

وقلت له إن المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غد

المدينة في هجرته حين اشتد حرُّ الضحىٰ، ودُفن يوم الثلاثاء، وقيل: ليلة الأربعاء، فعند ابن سعد في الطبقات[1] عن علي: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ودُفن يوم الثلاثاء، وعنده أيضًا عن عكرمة: توفي يوم الاثنين، فحُبس بقية يومه وليلته ومن الغد حتىٰ دُفن من الليل. وعنده أيضًا عن عثمان بن محمد الأخنسي: توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس، ودُفن يوم الأربعاء. وروىٰ أيضًا عن أبيٍّ بن عباس بن سهل بن سعد الأنصاري عن أبيه عن جدِّه أنه ﷺ توفي يوم الاثنين، فمكث [بقية] يوم الاثنين والثلاثاء حتىٰ دُفن يوم الأربعاء.

وقد رُثي ﷺ بمراثٍ كثيرة، منها قول عمَّته صفية بنت عبد المطلب ﵂:

ألا يـا رسـول الله كنـتَ رجاءنـا ... وكنـت بنـا بَـرًّا ولـم تـكُ جافيـا

وكنـت رحيمًـا هاديًـا ومعلِّمًـا ... ليبـكِ عليـك اليـوم مَـن كان باكيـا

لعَمْـرك مـا أبكـي النبـيَّ لفقـده ... ولكـن لِمـا أخشـىٰ مـن الهَـرْج آتيـا

كأنَّ علـىٰ قلبـي لذكـر محمـد ... ومـا خفـتُ مـن بعد النبـي المكاويا

أفاطـمُ صلـىٰ الله ربُّ محمـد ... علـىٰ جَـدَث أضحَـىٰ بيثـرب ثاويـا

فِـدًىٰ لرسـول الله أمـي وخالتـي ... وعمـي وخالـي ثـم نفسـي وماليـا

ولـو أن ربَّ النـاس أبقـىٰ نبيَّنـا ... سـعدنا ولكـن أمـره كان ماضيـا

عليـك مـن الله السـلامُ تحيـةً ... وأُدخِلـتَ جنَّات مـن العَدْن راضيا

أرىٰ حَسـنًا أيتمتَـه وتركتَـه ... يبكِّـي ويدعـو جـدَّه اليـوم ناعيـا[2]

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٢٣٧ - ٢٣٩.

(٢) الأبيات في: المعجم الكبير للطبراني ٢٤/ ٣٢٠، المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٣/ ١٢٩، ٧/ ٣٢٧، الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٣٧، أنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٧٧٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٣٤٤.

ونسبها ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٢٨٢ لأروىٰ بنت عبد المطلب.

ومنها قول ابن عمه أبي سفيان بن الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أرقتُ فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طولُ
وأسعدني البكاءُ وذاك فيما ... أصيبَ المسلمون به قليلُ
لقد عظُمت مصيبتُنا وجلَّت ... عشيَّةَ قيل قد قُبض الرسولُ
وأضحت أرضُنا ممَّا عراها ... تكاد بنا جوانبُها تميلُ
فقدنا الوحي والتنزيلَ فينا ... يروح به ويغدو جبرئيلُ
وذاك أحقُّ ما سالت عليه ... نفوسُ الناس أو كادت تسيلُ
نبي كان يجلو الشكَّ عنا ... بما يوحَى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشىٰ ضلالاً ... علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعتِ فذاك عذرٌ ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسولُ[1]

ومنها قول حسان بن ثابت[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

بطَيْبَةَ رسمٌ للرسول ومعهدُ ... منيرٌ وقد تعفو الرسوم وتهمدُ
ولا تنمحي الآياتُ من دارِ حرمةٍ ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضحُ آيات وباقي معالم ... ورَبْعٌ له فيه مصلًّىٰ ومسجد
بها حجراتٌ كان ينزل وسطها ... من الله نورٌ يُستضاء ويوقَد
معالم لم تُطمَس علىٰ العهد آيُها ... أتاها البِلَىٰ فالآيُ منها تَجدَّدُ

(١) الأبيات في: الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٤١٣ - ٤١٤، أسد الغابة لابن الأثير ٦/ ١٤٣، الروض الأنف للسهيلي ٧/ ٥٩٣، الحماسة المغربية لأبي العباس التادلي ص ٧٨٦ (ط - دار الفكر).

(٢) الأبيات من قصيدة طويلة في ديوانه ص ٦٠ - ٦٤.

عرفتُ بها رسم الرسولِ وعهدَه وقبرًا بها واراه في التُّرْب مِلحدُ
فبوركتَ يا قبر الرسول وبوركتْ بلادٌ ثَوَىٰ فيها الرشيد المسدَّد
وبوركَ لَحْدٌ منك ضُمِّن طيِّبًا عليه بناءٌ من صفيحٍ منضَّدُ
تَهيل عليه التُّرْبَ أيدٍ وأعينٌ تباكت وقد غارت بذلك أسعُدُ
لقد غيَّبوا حلمًا وعلمًا ورحمةً عشيَّةَ علَّوه الثَّرَىٰ لا يوسَّد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيُّهم وقد وهنت منهم ظهورٌ وأعضُد
يبكون مَن تبكي السموات موتَه ومَن قد بكته الأرض فالناسُ أكمَدُ
وقد عدلتْ يومًا رزيَّة هالك رزيَّة يوم مات فيه محمد

ورثاه حسان[1] أيضًا بقوله:

كنتَ السواد لناظري فعمي عليك الناظرُ
مَن شاء بعدك فليمُتْ فعليك كنتُ أحاذرُ

صلىٰ الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا.

---

(١) البيتان في ديوانه ص ١٠٣.

وفـاة أبي بكـر الصدّيق رضي الله عنه

(لمَّا احتضر أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثَّلت بهذا البيت:

لعَمْـرك مـا يغنـي الثَّـراءُ عـن الفتىٰ ... إذا حشرجتْ يومًا وضاق بها الصدرُ

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذا، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩] انظروا ثوبَّي هذين فاغسلوهما وكفِّنوني فيهما، فإن الحي إلىٰ الجديد أحوج من الميت) رواه صاحب كتاب المتفجعين عن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، حدثنا خلف بن هشام، حدثنا خالد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهيِّ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لأبي بكر في مرضه:

أمـاوي ما يغنـي الثـراءُ عـن الفتـىٰ ... إذا حشرجتْ يومًا وضاق بها الصدرُ[1]

فقال لها أبو بكر: لا تقولي ذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ انظري يا بنيَّة ثوبَّي هذين فاغسليهما وكفِّنيني فيهما، فإن الحي أحوج إلىٰ الجديد، إنما هما للمهلة.

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين[2] عن خلف بن هشام، حدثنا أبو شهاب الحَنَّاط، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن البهيِّ قال: لما احتضر أبو بكر ... فساقه كما للمصنِّف، وفي آخره: هذه قراءة أبي بكر: «سكرة الحق بالموت»[3].

---

(١) البيت لحاتم الطائي، وهو في ديوانه ص ٥٠.

(٢) كتاب المحتضرين ص ٥١، وليس فيه: هذه قراءة أبي بكر.

(٣) انظر: المحتسب في القراءات الشاذة لابن جني ٢/ ٢٨٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ٤٤١.

ورواه ابن الجوزي[(١)] من طريقه.

ورواه أحمد[(٢)] وابن جرير[(٣)] من هذا الوجه، إلا أنهما قالا: تمثَّلت عائشة بهذا البيت:

* أعاذلُ ما يغني الحذارُ عن الفتي *

وفيه: فقال أبو بكر: ليس كذلك يا بنية، ولكن قولي.

وقال أبو بكر ابن أبي شيبة في المصنَّف[(٤)]: حدثنا محمد بن فضيل، عن هشام، عن أبيه عن عائشة قالت: لما حضر أبو بكر قال: في كم كُفِّن رسول الله ﷺ؟ قلت: في ثلاثة أثواب سحول. قالت: فنظر إلىٰ ثوب خَلِقٍ عليه فقال: اغسلوا هذا، وزيدوا عليه ثوبين آخرين. فقلت: بل نشتري لك ثيابًا جددًا. فقال: الحي أحقُّ بالجديد من الميت، إنما هي للمُهلة[(٥)].

قال: وحدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن ابن أبي مُلَيكة عن عائشة

---

(١) الثبات عند الممات ص ٩٩.

(٢) الزهد ص ٩٠.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢١/ ٤٢٧ عن أبي وائل بلفظ: لما كان أبو بكر يقضي قالت عائشة: هذا كما قال الشاعر:

إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر: يا بنية، لا تقولي ذلك، ولكنه كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: «وجاءت سكرة الحق بالموت».

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٣٧٦ - ٣٧٧.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ١/ ٤٢٦ بلفظ: «دخلت علىٰ أبي بكر، فقال: في كم كفنتم النبي ﷺ؟ قلت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة. قال: في أي يوم توفي رسول الله ﷺ؟ قلت: يوم الاثنين. قال: فأي يوم هذا؟ قلت: يوم الاثنين. قال: أرجو فيما بيني وبين الليل. فنظر إلىٰ ثوب عليه كان يمرض فيه به ردع من زعفران فقال: اغسلوا ثوبي هذا، وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيهما. قلت: إن هذا خلق. قال: إن الحي أحق بالجديد من الميت، إنما هو للمهلة. فلم يتوف حتىٰ أمسىٰ من ليلة الثلاثاء، ودفن قبل أن يصبح».

قالت: قال أبو بكر: في كم كفَّنتم رسول الله ﷺ؟ فقلت: في ثلاثة أثواب. قال: فاغسلوا ثوبَّي هذين، واشتروا لي ثوبًا من السوق. قلت: إنَّا موسِرون. قال: يا بنيَّة، الحي أحقُّ بالجديد من الميت، إنما هو للمُهلة والصديد.

قال: وحدثنا علي بن مُسهِر، عن عبيد الله، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه قال: كُفِّن أبو بكر في ثوبين سَحُوليين ورِداء له مُمشَق أمر به أن يُغسَل.

وقال أحمد في الزهد[1]: حدثنا محمد بن ميسَّر، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﷺ قالت: إن أبا بكر ﷺ لما حضرته الوفاةُ قال: أيُّ يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين. قال: فإن متُّ من ليلتي فلا تنتظروا بي الغدَ، وإنَّ أحب الأيامِ والليالي إليَّ أقربُها من رسول الله ﷺ.

قال أحمد[2]: وحدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﷺ قالت: لمَّا ثقُلَ أبو بكر ﷺ قال: أيُّ يوم هذا؟ قلنا: يوم الاثنين. قال: فأيُّ يوم قُبِض فيه رسول الله ﷺ؟ قلنا: يوم الاثنين. قال: فإني أرجو ما بيني وبين الليل. قالت: وكان عليه ثوب به رَدْع من مِشْق. قال: إذا أنا متُّ فاغسلوا ثوبي هذا، وضُمُّوا إليه ثوبين جديدين، وكفِّنوني في ثلاثة أثواب. فقلنا: أفلا نجعلها جُدُدًا كلَّها؟ قال: لا إنما هي للمُهلة. فمات ليلة الثلاثاء.

(وقالت عائشة ﷺ عند موته:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ربيع اليتامىٰ عصمة للأراملِ[3]

---

(١) ورواه أيضا في مسنده ١/ ٢١٨.

(٢) مسند أحمد ٤٠/ ٢١٨.

(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي طالب عم رسول الله ﷺ، أوردها بتمامها ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٣٠٥ - ٣١١.

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ)[1] رواه محمود بن محمد بن الفضل عن محمد بن علي بن ميمون حدثنا عفَّان، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن القاسم بن محمد أن عائشة تمثَّلت وأبو بكر رضي الله عنه في الموت ... فساقه. هكذا رواه أبو عبيد في فضائله[2] وابن المنذر، إلا أنهما قالا: ثِمال اليتامىٰ، بدل: ربيع. وفيه: فقال أبو بكر: بل جاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد. قدَّم الحق، وأخَّر الموت.

(ودخلوا عليه فقالوا: ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إليَّ طبيبي وقال: إني فعَّال لِما أريد) رواه أحمد في الزهد[3] عن وكيع، عن مالك بن مغول، عن أبي السفر قال: مرِضَ أبو بكر، فعاده الناس فقالوا: ألا ندعو لك الطبيبَ؟ قال: قد رآني. قالوا: فأيُّ شيء قال لك؟ قال: قال: إني فعَّال لِما أريد.

ورواه أبو نعيم[4] من طريقه.

وقال ابن أبي شيبة في المصنَّف[5]: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن مالك، عن أبي السفر قال: دخل علىٰ أبي بكر ناس من إخوانه يعودونه في مرضه، فقالوا: يا خليفة رسول الله، ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك. قال: قد نظر إليَّ. قالوا: فماذا قال لك؟ قال: قال: إني فعَّال لِما أريد.

(ودخل عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه يعوده فقال: يا أبا بكر، أوصِنا. فقال: إن الله فاتحٌ عليكم الدنيا، فلا تأخذنَّ منها إلا بلاغك، واعلمْ أن مَن صلىٰ صلاة

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦، والبزار في مسنده ١/ ١٢٨، ١٨٥، وابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٥٠٨، ١٠/ ٤٥٦.

(٢) فضائل القرآن ص ٣١٢ - ٣١٣.

(٣) الزهد ص ٩٣.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٣٤.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٥٣.

الصبح فهو في ذمَّة الله، فلا تخفرنَّ اللهَ في ذمَّته فيكبُّك في النار علىٰ وجهك)[١] الشطر الأول منه قد يأتي من حديث سلمان، حدَّثه بذلك عند احتضاره. والشطر الثاني رواه ابن ماجه[٢] وابن عساكر[٣] من حديث أبي بكر بلفظ: «مَن صلىٰ الصبح فهو في ذمَّة الله، فلا تخفروا اللهَ في عهده، فمَن قتله طلبه الله حتىٰ يكبَّه في النار علىٰ وجهه».

وقد رُوي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة، روىٰ الطبراني من حديث أبي بكرة: «مَن صلىٰ الصبح فهو في ذمَّة الله، يا ابن آدم لا يطلبنَّك الله بشيء من ذمَّته»[٤]. وفي لفظ: «فمَن أخفرَ ذمَّةَ الله كبَّه اللهُ في النار علىٰ وجهه»[٥].

وروىٰ أحمد[٦] من حديث ابن عمر: «مَن صلىٰ صلاة الصبح فله ذمة الله، فلا تُخفِروا اللهَ في ذمته، فإنَّ مَن أخفرَ ذمتَه طلبه الله تعالىٰ حتىٰ يكبَّه علىٰ وجهه».

وروىٰ صاحب الحلية[٧] من حديث أنس: «مَن صلىٰ صلاة الغَداة فهو في ذمة الله، فإياكم أن يطلبكم الله بشيء من ذمته». ورواه كذلك أبو يعلىٰ[٨] والحكيم[٩].

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص ٩١ والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٦٥ والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٣٢٠ وابن أبي الدنيا في الزهد ص ٥٩ عن الحسن البصري.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٣٨.

(٣) تاريخ دمشق ١١/ ٣٤٨.

(٤) أورده الدارقطني في العلل ٧/ ١٦٠.

(٥) رواه البزار في مسنده ٩/ ٨٦.

(٦) مسند أحمد ١٠/ ١٣٧.

(٧) حلية الأولياء ٦/ ١٧٣.

(٨) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ١٤١.

(٩) نوادر الأصول ص ٧٣١ بلفظ: «من صلىٰ صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فإذا وافق العبد شهوده في يومه الذي هو يومه دخل في ستره وذمته».

وروىٰ صاحب الحلية[(١)] من حديث جندب: «مَن صلىٰ الصبح فهو في ذمَّة الله فلا تخفروا اللهَ في ذمته». وعند الطيالسي[(٢)] وأحمد[(٣)] ومسلم[(٤)] والترمذي[(٥)] بلفظ: «فلا يطلبنَّكم الله بشيء من ذمَّته فإنه مَن يطلبه من ذمَّته بشيء يدركه ثم يكبُّه علىٰ وجهه في نار جهنم». وعند ابن حبان[(٦)] بلفظ: «مَن صلىٰ الغَداة فهو في ذمة الله، فاتقِ اللهَ يا ابن آدم أن يطلبك الله بشيء من ذمته».

وروىٰ الترمذي[(٧)] من حديث أبي هريرة: «مَن صلىٰ الصبح فهو في ذمة الله، فلا يتَّبعنَّكم الله بشيء من ذمَّته».

ورواه ابن ماجه[(٨)] والطبراني[(٩)] من حديث سمرة بلفظ: «فلا يطلبنَّكم الله». وعند أحمد[(١٠)] والروياني[(١١)] من حديث سمرة مثله، وفيه: «فلا تخفروا اللهَ في ذمَّته».

(ولما ثقُلَ أبو بكر رضي الله عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمرَ، فقال الناس له: استخلفتَ علينا فظًّا غليظًا، فماذا تقول لربِّك؟ فقال: أقول: استخلفتُ علىٰ خلقك خيرَ خلقك)[(١٢)] رواه صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٥٠. وفيه: «فلا تخفروا ذمة الله، ولا يطلبنكم الله بشيء من ذمته».

(٢) مسند الطيالسي ٢/ ٢٤٨.

(٣) مسند أحمد ٣١/ ١٠٣، ١١١.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٢٩٥.

(٥) سنن الترمذي ١/ ٢٦٢.

(٦) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٧.

(٧) سنن الترمذي ٤/ ٣٨.

(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٣٨، وليس فيه قوله (فلا يطلبنكم الله).

(٩) المعجم الكبير ٧/ ٢٦٧.

(١٠) مسند أحمد ٣٣/ ٣٠٣.

(١١) مسند الروياني ٢/ ٤٤.

(١٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ٤٦٦ وهناد في الزهد ١/ ٢٨٤ وابن عساكر في تاريخ =

بلفظ: فقالوا: يسعك أن تولِّي علينا عمر وأنت ذاهب إلىٰ ربِّك؟ فماذا تقول له؟ قال: أجلِسوني أجلِسوني، أقول: ولَّيت عليهم خيرَهم[١]. وروىٰ نحوه أبو عاصم النبيل عن عبيد الله بن أبي زياد عن يوسف بن ماهَك عن عائشة[٢]. ورواه سيف في الفتوح[٣] عن عمرو بن محمد ومجالد عن الشعبي نحوه أطول منه، وفيه: فقالوا: ماذا تقول لربِّك؟ قال: أقول: استخلفتُ عليهم خير أهلك.

قال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا أبو صالح الفَرَّاء، حدثنا الهيثم بن جبلة، عن مبارك، عن الحسن قال: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: أيها الناس، قد حضرني من أمر الله تعالىٰ وقضائه ما ترون، وإنه لا بد لكم من رجل يلي أمرَكم ويصلي بكم ويقاتل عدوَّكم ويقسم بينكم فيئكم، فإن شئتم اجتمعتم فأمَّرتم فاستعملتم، وإن شئتم أن أجتهد لكم رأيي، فواللهِ لا آلوكم ونفسي خيرًا. قال: فبكىٰ الناس وقالوا: أنت خيرنا وأعلمُنا، فاخترْ لنا. قال: فإني أختار لكم عمر بن الخطاب. قال الحسن ودموعه تتحدَّر من عينيه: فاختار واللهِ الذي لا إله إلا هو خيارًا يتعرَّفون منه في كل يوم يأتي عليهم المزيدَ في دنياهم حتىٰ

= دمشق ٣٠/ ٤١٣ عن زبيد بن الحارث اليامي. ورواه سعيد بن منصور في تفسيره ٥/ ١٣٣ وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ٣٤ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط. ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٤٤٩ والطبري في تهذيب الآثار – السفر الثاني من مسند عمر ٩٢٥ عن أسماء بنت عميس.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٥٠ من هذا الطريق بهذا اللفظ، ورواه من طرق أخرىٰ كثيرة بألفاظ مختلفة. ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٥٤ والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٥٧ من هذا الطريق بلفظ: «لما ثقل أبي دخل عليه فلان وفلان فقالوا: يا خليفة رسول الله، ماذا تقول لربك غدًا إذا قدمت عليه وقد استخلفت علينا ابن الخطاب؟ فأجلسناه، فقال: أبالله ترهبوني؟ أقول: استخلفت عليهم خيرهم».

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٥٤ والبلاذري في أنساب الأشراف ١٠/ ٣٠٤ بلفظ: «لما حضرت أبا بكر الوفاة استخلف عمر، فدخل عليه علي وطلحة فقالا: من استخلفت؟ قال: عمر. قالا: فماذا أنت قائل لربك؟ قال: أبالله تفرقاني؟! لأنا أعلم بالله وبعمر منكما، أقول: استخلفت عليهم خير أهلك».

(٣) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٤٨.

قُتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: وحدثنا أبو يعلىٰ محمد بن شداد بن عيسىٰ المسمعي زُرقان، حدثنا أبو عبد الرحمن العتبي، حدثنا أبو إبراهيم العامري قال: أوصىٰ أبو بكر الصدِّيق عند وفاته: هذا ما عاهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ في أول يوم من الآخرة داخلاً فيها وآخر يوم من الدنيا خارجًا منها، أنه قد ولَّىٰ عمر بن الخطاب، فإن يعدل ويُحسِن فذاك ظنِّي به وأملي فيه، وإن خالفَ فعليه ما اكتسب، ولا أعلم الغيب، وإنما أردتُ الخير، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكَّلت وإليه أنيب[١].

وقال أيضًا: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا يحيىٰ بن بُكَير، حدثنا الليث بن سعد، عن علوان، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أنه دخل علىٰ أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه، فأصابه مفيقًا، فقال له عبد الرحمن: أصبحتَ والحمد لله بارئًا. قال له أبو بكر: أترىٰ ذلك؟ قال: نعم. قال: إني علىٰ ذلك لَشديدُ الوجع، وما لقيتُ منكم يا معشر المهاجرين أشد عليَّ من وجعي، إني ولَّيتُ أمرَكم خيرَكم في نفسي، فكلكم ورمَ من ذلك أنفُه يريد أن يكون الأمر له، ورأيتم الدنيا قد أقبلت، ولمَّا تُقبِل وهي مقبلة حتىٰ تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج، وتألمون الاضطجاع علىٰ الصوف الأذري، ولأنْ ينام أحدكم علىٰ حَسَك السَّعْدان خيرٌ له من المكاثرة، ولأنْ يقدَّم أحدكم فتُضرَب رقبته في غير حدٍّ خيرٌ له من أن يخوض غمرة الدنيا، وأنتم أول ضالٍّ بالناس غدًا فتصفحونهم عن الطريق[٢] يمينًا وشمالاً، يا هادي الطريق إنما هو الفجر أو البحر، فقلت له: خفِّضْ عليك يرحمك الله، فإنَّ هذا يهيضك علىٰ ما بك، إنما الناس في أمرك بين

(١) رواه بنحوه مطولا ومختصرا: البيهقي في السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٥٧ - ٢٥٨، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٢٨٣٦ - ٢٨٣٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/ ٤١١، ٤١٥، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ١٨٣، وأبو عبيد في الخطب والمواعظ ص ١٩٠ (ط - مكتبة الثقافة الدينية).

(٢) أي تردونهم عن الطريق.

رجلين: إما رجل وافقه ما صنعتَ فهو معك، وإما رجل خالفك فهو يشير عليك برأيه، وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك [أردتَ إلا خيرًا] ولم تزل صالحًا مصلحًا، مع أنك لا تأسَىٰ علىٰ شيء من الدنيا. قال أبو بكر: أجل، إني لا آسَىٰ علىٰ شيء من الدنيا إلا علىٰ ثلاث ... فذكر الحديث بطوله[1]، وفي آخره: قال يحيىٰ: قدم علينا علوان بعد وفاة الليث، فسألته، فحدَّثني به كما حدثنا الليث حرفًا حرفًا وأخبرني أن اسمه علوان بن داود.

قلت: ورواه الطبراني[2] مختصرًا فقال: حدثنا أبو الزنباع، حدثنا سعيد بن عُفَير، حدثني علوان بن داود البَجَلي، عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه قال: دخلت علىٰ أبي بكر [أعوده] في مرضه الذي توفي فيه، فسلَّمت عليه، فقال: رأيتُ الدنيا قد أقبلت ولمَّا تُقبِل ... فساقه إلىٰ قوله: في غمرة الدنيا.

قال الذهبي في الضعفاء[3]: علوان بن داود، ويقال: ابن صالح البجلي، قال البخاري: منكر الحديث.

وقال صاحب كتاب المتفجعين أيضًا: حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا [أحمد ابن عبد الله بن] محمد بن عبد الله بن أبي السفر أبو عبيدة، حدثنا شهاب بن عَبَّاد، حدثنا علي بن المنذر القرشي، حدثني عثمان بن يزيد الكناني، عن رجل من قريش، عن معيقيب بن أبي فاطمة قال: كنت ألي نفقةَ أبي بكر، فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه، فوجدت عنده نسوة من بني تيم بن مرَّة عوائد، فهنَّ في جانب البيت وهو مستخلٍ بطلحة بن عبيد الله وهو يعاتبه في عمر بن الخطاب، فسمعتُ

---

(١) رواه الطبري في تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٢٩ - ٤٣١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/ ٤١٧- ٤٢٣، وابن زنجويه في الأموال ص ٣٠٣ - ٣٠٤، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٣/ ١١١٢ - ١١١٣.

(٢) المعجم الكبير ١/ ٦٢.

(٣) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٢٧٩. المغني في الضعفاء ٢/ ٧.

أبا بكر رافعًا صوته يقول: لا ولا كرامة ولا نعمة عيني، لو فعلتَ لخلعتُ أنفك في قفاك، ولَما أخذتَ من أهلك حقًّا، ولا رفعتَ نفسك فوق قدْرها حتىٰ يكون الله الذي يضعك، أتيتني وقد دلكتَ عينك[1] تريد أن تفتنِّي عن ديني وتفتأتني عن رأيي، قمْ لا أقام الله رجليك، فلئن بلغني أنك غمصتَه أو ذكرتَه بسوء لألحقنَّك بحَمَضات قُنَّة[2] حيث كنتم ترعون فلا تشبعون، وتوردون فلا تَرِدون، وأنتم بالحجون راضون، ستعلمون إذا فقدتموه وفارقتموه كيف تُقتلون وأين تُقتلون، هو واللهِ خيركم لكم، وأنتم واللهِ شرُّهم لهم. فقام فخرج إذ قيل له: هذا عثمان وعليٌّ بالباب، فأذنَ لهما، فدخلا فسلَّما وقالا: كيف تجدك يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: أجدني وجِعًا، وأظنُّها هي. قالا: بل العافية إن شاء الله. قال: أنا ميت في مرضي هذا. ثم ذكر لهما رؤيا رآها، ثم قال: فلعلَّكما تقولان في عمر ما قال طلحة آنفًا. قالا: وما قال؟ قال: زعم أن عمر أدناكم بيتًا وأقلُّكم عن الله وعن رسول الله ﷺ غنًىٰ. قال عثمان: كذب طلحةُ وبئس ما قال، عمر بحيث تحب من فضله وسابقته. وقال علي: إنك طلحة وبئس ما قال، عمر من سابقته وفضله، ولا نعلم إلا خيرًا، وقد كان واليًا معك تحتظي برأيه، فدَعْ عنك مخاطبةَ الرجال، وامْضِ لِما أردتَ، فإن يكن ما أردتَ فله عمدتَ، وإن يكن ما لا يكون إن شاء الله فلا نعلمك أردتَ إلا خيرًا. قال: رحمكما الله. ونهضا، والتفت إليَّ فقال: يا ابن أبي فاطمة، ما يقول الناس في عمر؟ قلت: أحبَّه قومٌ وكرهه آخرون. قال: فمَن أحبه أكثر أمْ مَن كرهه؟ قلت: بل مَن كرهه أكثر. فوجمَ لها، ثم قال: قد يُحَب الشر ويُكرَه الخير. فلم ألبث أنْ قيل: هذا عمر بالباب. فندمتُ علىٰ ما فرط مني، وكان عمر لي صديقًا، فأذنَ

---

(١) كذا، والصواب: عقبيك. كما عند السرقسطي في الدلائل في غريب الحديث ١/ ٣٧١، وقال: قوله: «وقد دلكت عقبيك» يريد قد تهيأت واستعددت لطلب هذا الشأن، ومنه قولهم للفرس إنه لمدلوك المعاقم، أي معد للجري، ليس برهل الفصوص.

(٢) قال العسكري في الأوائل ص١٤٩: قال أبو جعفر حمضات جمع حمض وهو ضرب من النبت، والقنة: أعلىٰ الجبل.

له فدخل، فقال: يا عمر، خافك الناسُ، كرهك الناسُ. قال عمر: نَحِّها عني يا خليفة رسول الله، فلا حاجة لي بها. قال: اسكت لأسكت[١] لكن بها إليك أعظم الحاجة. قال له: كيف تجدك؟ قال: أجدني وجِعًا، وأظنها هي. وقصَّ رؤياه عليه. قال عمر: ما أرىٰ بك بأسًا، وما أتَّهمك علىٰ الله والخوف من الموت، وإن خير يومَيْك اليوم الذي تقدُم فيه علىٰ ربِّك. قال أبو بكر ﷺ: وددت أنه كذلك فلم أبالِ متىٰ متُّ. قال: فإن كنت ترىٰ أنك ميت فذم لي في أهل دَبا[٢]. قال: إليك عني، فطالما خاطبتَني في أهل دَبا، ولم أرَ سواك خاطبني فيهم، وما تردَّدتُ في شيء تردُّدي فيهم، ولكن احفظْ عني: إذا جنيتَ فلتهجر يدك فاك حتىٰ يشبع مَن جنيتَ له، فإن نازعتك نفسُك في مشاركتهم فشارِكْهم غير مستأثِر عليهم، وإيَّاك والذخيرة، فإن ذخيرة الإمام تهلك دينَه وتسفك دمَه. وخرج عمر ﷺ، فالتفت إليَّ فقال: ما الحساب بيننا وبينك؟ قلت: بقيتْ لي عليك ثمانية عشر درهمًا، أنت منها في حِلٍّ. فقال: مَهْ، لا تزودني حرامًا، يا عائشة، ائتيني بثمانية عشر درهمًا. فدفعها إليَّ وخرجت، فكان آخر العهد به ﷺ.

(ثم أرسل إلىٰ عمر ﷺ فجاء، فقال: إني موصيك بوصيَّة، اعلمْ أن لله حقًّا في النهار لا يقبله في الليل، وأن له حقًّا في الليل لا يقبله في النهار، وأنه لا يقبل النافلة حتىٰ توفَّىٰ الفريضة، وإنما ثقلت موازينُ مَن ثقلت موازينُهم يوم القيامة باتِّباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحقَّ لميزان لا يوضَع فيه إلا الحق أن يثقُل، وإنما خفَّت موازينُ مَن خفَّت موازينُهم يوم القيامة باتِّباع الباطل وخفَّته عليهم، وحقَّ لميزان لا يوضَع فيه إلا الباطل أن يخفَّ، وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيِّئاتهم، فيقول القائل: أنا دون هؤلاء، ولا أبلغ مبلغَ هؤلاء، وإن الله

---

(١) كذا، ولعل صوابها: اسكت لا سَكَتَ. والله أعلم.

(٢) دبا: مدينة قديمة بعمان، ارتد أهلها بعد وفاة النبي ﷺ وسبُّوا رسول الله ﷺ وأبا بكر، فأرسل إليهم أبو بكر جيشا فقاتلهم وهزمهم، وقدم المسلمون بالسبي إلىٰ المدينة، فظلوا موقوفين حتىٰ توفي أبو بكر، فلما ولي عمر أطلقهم. انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٣٥ - ٤٣٦.

ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم، وردَّ عليهم صالحَ الذي عملوا، فيقول القائل: أنا أفضل من هؤلاء، وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب؛ ليكون المؤمن راغبًا راهبًا، ولا يُلقِي بيديه إلىٰ التهلكة، ولا يتمنَّىٰ علىٰ الله غيرَ الحق، فإن حفظتَ وصيَّتي هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت، ولا بدَّ لك منه، وإن ضيَّعتَ وصيَّتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت، ولا بد لك منه، ولستَ بمعجزه) رواه أبو بكر ابن أبي شيبة في المصنَّف[1] فقال: حدثنا عبد الله بن إدريس، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زُبَيد قال: لما حضرت أبا بكر الوفاةُ أرسل إلىٰ عمر، فقال: إني موصيك بوصيَّة إن حفظتَها ... فساقه، وفيه: ألم ترَ أن الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا. وفيه: وذكر أهل النار بسيِّئ ما عملوا. وفيه: فيكون المؤمن راغبًا راهبًا. وفي آخره: ولن تعجزه. والباقي سواء.

ورواه أبو نعيم في الحلية[2] فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بِشر بن موسىٰ، حدثنا خَلاَّد بن يحيىٰ، حدثنا فطر بن خليفة، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن سابط قال: لما حضر أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه الموتُ دعا عمرَ فقال له: اتقِ الله يا عمر، واعلمْ أنَّ لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل ... فساقه، وفيه: وحقَّ لميزان يوضَع فيه الحق غدًا أن يكون ثقيلاً، وحقَّ لميزان يوضع فيه الباطل غدًا أن يكون خفيفًا، وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتُهم قلتُ: إني لأخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالىٰ ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردَّ عليهم أحسنَه، فإذا ذكرتُهم قلتُ: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء؛ ليكون العبد راغبًا راهبًا ... والباقي سواء.

(وقال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالىٰ: **(لما احتضر أبو بكر** رضي الله عنه **أتاه ناس من أصحابه)** عائدين **(فقالوا: يا خليفة رسول الله، زوِّدْنا، فإنَّا نراك لِما بك. فقال أبو**

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٥١ - ٥٢، ١٣/ ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٣٦.

بكر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَن قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين. قالوا: وما الأفق المبين؟ قال: قاع) أي موضع واسع (بين يدي العرش فيه رياض وأنهار وأشجار، تغشاه كل يوم مائةُ رحمة، فمَن قال هذا القولَ جعل الله روحه في ذلك المكان) وهي هذه: (اللهم إنك ابتدأتَ الخَلقَ من غير حاجة بك إليهم، ثم جعلتَهم فريقين: فريقًا للنعيم، وفريقًا للسعير، فاجعلْني للنعيم، ولا تجعلني للسعير، اللهم إنك جعلتَ الخَلق فِرَقًا، وميَّزتَهم قبل أن تخلقهم، فجعلتَ منهم شقيًّا وسعيدًا، وغويًّا ورشيدًا، فلا تُشْقِني بمعاصيك، اللهم إنك علمتَ ما تكسب كلُّ نفس قبل أن تخلقها، فلا مَحيص لها ممَّا عملتْ، فاجعلْني ممَّن تستعمله بطاعتك، اللهم إن أحدًا لا يشاء حتىٰ تشاء، فاجعلْ مشيئتَك أن أشاء ما يقرِّبني إليك، اللهم إنك قدَّرت حركات العباد، فلا يتحركُ شيء إلا بإذنك، فاجعلْ حركاتي في تقواك، اللهم إنك خلقتَ الخير والشر، وجعلتَ لكل واحد منهما عاملاً يعمل به، فاجعلني من خير القِسمين، اللهم إنك خلقت الجنة والنار، وجعلتَ لكل واحدة منهما أهلاً، فاجعلني من سكَّان جنَّتك، اللهم إنك أردتَ بقوم الضلالَ، وضيَّقتَ به صدورهم، فاشرحْ صدري للإيمان وزيِّنه في قلبي، اللهم إنك دبَّرت الأمور فجعلتَ مصيرها إليك، فأحيني بعد الموت حياةً طيبة، وقرِّبْني إليك زُلفَىٰ، اللهم ومَن أصبح وأمسىٰ ثقته ورجاؤه غيرك فإنك ثقتي ورجائي، ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال أبو بكر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هذا كله في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ)[1] أي معانيها منتزَعة منه، وما ذكره من الجزاء المترتِّب لقائل هذه الكلمات مثله لا يكون من قِبَل الرأي. والله أعلم.

---

(١) رواه ابن جمكان في الفوائد والأخبار ص ١٢٧ - ١٢٩ عن ابن عباس. وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ١٢/ ٢٣٩ - ٥٤٠ وعزاه لابن أبي الدنيا في الدعاء عن سعيد ابن المسيب.

وفاة عمر رضي الله عنه

(قال عمرو[1] بن ميمون) بن مِهران الجَزَري، أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن، سِبط سعيد بن جبير، ثقة فاضل، مات سنة سبع وأربعين [ومائة] روى له الجماعة (كنت قائمًا غَداةَ أُصيبَ عمر) رضي الله عنه (ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس) رضي الله عنه (وكان) عمر (إذا مرَّ بين الصفَّين) من صفوف الصلاة (قام بينهما، فإذا رأى خللاً قال: استووا) أمرهم بتسوية الصف (حتى إذا لم يرَ فيهم خللاً تقدَّم فكبَّر) للصلاة (قال: وربما قرأ) في صلاة الغَداة (سورة يوسف أو) سورة (النحل أو نحو ذلك) من السور الطوال (في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس) ويدخلون في الصلاة (فما هو إلا أن كبَّر فسمعتُه يقول: قتلني أو) قال: (أكلني الكلب، حين طعنه أبو لؤلؤة) غلام المغيرة بن شعبة (وطار العِلْجُ) يريد به المذكورَ، فإنه كان مجوسيًّا (بسكين ذات طرفين) نصابها في الوسط (لا يمر على أحد يمينًا أو شمالا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً) في المسجد (فمات منهم تسعة. وفي رواية: سبعة، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين) من حاجِّ العراق (طرح عليه بُرنسًا، فلما ظن العِلجُ أنه مأخوذ) إذ كثرت عليه الناس (نحرَ نفسَه) بتلك السكين (وتناول عمر رضي الله عنه عبدَ الرحمن بن عوف فقدَّمه) للصلاة؛ إذ كان قريبًا منه (فأما مَن كان يلي عمرَ فقد رأى ما رأيتُ، وأما نواحي المسجد ما يدرون ما الأمر، غير أنهم فقدوا صوتَ عمر) رضي الله عنه (وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله. فصلى بهم عبد الرحمن) بن عوف رضي الله عنه (صلاةً خفيفة، فلما انصرفوا قال) عمر: (يا ابن عباس، انظرْ مَن قتلني.

---

(١) تقريب التهذيب ص ٧٤٦.

وما ذكره الشارح من أن المراد هنا عمرو بن ميمون الجزري خطأ، بل هو عمرو بن ميمون الأودي الكوفي، فإن الجزري متأخر عن عمر بزمان طويل. وانظر: التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٣٦٧.

قال: فغاب) ابن عباس (ساعةً ثم جاء فقال: غلام المغيرة بن شعبة. فقال عمر: قاتله اللهُ، لقد كنت أمرتُ به معروفًا. ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيَّتي بيد رجل مسلم، قد كنتَ أنت وأبوك تحبَّان أن يكثُر العلوجُ بالمدينة. وكان العباس أكثرهم رقيقًا، فقال ابن عباس: إن شئتَ فعلتُ. أي إن شئتَ قتلناهم، قال: بعدما تكلَّموا بلسانكم، وصلَّوا إلىٰ قِبلتكم، وحجوا حجَّكم. فاحتُمِل إلىٰ بيته، فانطلقنا معه. قال: وكأنَّ الناس لم تصبْهم مصيبةٌ قبل يومئذٍ. قال: فقائل يقول: أخاف عليه، وقائل يقول: لا بأس) به (فأُتي) بالطبيب، فأمره (بنبيذ، فشرب منه، فخرج من جوفه، ثم أُتي بلبن، فشرب منه، فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت) لنفوذ الجرح في الصِّفاق (قال: فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشِرْ يا أمير المؤمنين ببشرىٰ من الله عَزَّوَجَلَّ، قد كان لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمتَ، ثم وُلِّيتَ فعدلتَ، ثم شهادةٌ. فقال: وددتُ أن ذلك كان كفافًا لا عليَّ ولا لي. فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرضَ) أي من طوله (فقال: رُدُّوا عليَّ الغلامَ) فردُّوه (فقال: يا ابن أخي، ارفعْ ثوبك) عن الأرض (فإنه أنقَىٰ لثوبك وأتقىٰ لربِّك) روىٰ أحمد[١] وابن سعد[٢] والبيهقي[٣] عن الأشعث بن سليم عن عمَّته عن عمِّها أن النبي ﷺ قال لرجل: «ارفعْ إزارَك، فإنه أنقىٰ لثوبك وأتقىٰ لربِّك، أما لك فيَّ أُسوةٌ»؟ (ثم قال) لولده عبد الله بن عمر: (يا عبد الله، انظرْ ما عليَّ من الدَّين. فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألف) درهم (أو نحوه، فقال: إن وفىٰ به مالُ آل عمر) هم أهله من أولاد وأزواج (فأدِّه من أموالهم، وإلا فسَلْ في بني عدي بن كعب) وهم عشيرته الأدنون (فإن لم تفِ أموالُهم فسَلْ في قريش، ولا تَعْدُهم) أي لا تجاوزْهم (إلىٰ غيرهم، وأدِّ عني هذا المالَ، انطلِقْ إلىٰ أم المؤمنين عائشة) ﵂ (فقلْ: عمر يقرأ عليكِ السلام، ولا تقلْ: أمير المؤمنين، فإني لست

---

(١) مسند أحمد ٣٨/ ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٨/ ١٦٦.

(٣) شعب الإيمان ٨/ ٢٢٩.

اليوم للمؤمنين أميرًا، وقلْ: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفَن مع صاحبيه. فذهب عبد الله) ابن عمر إلىٰ عائشة ﷺ (فسلَّم) علىٰ الباب (واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدةً تبكي، فقال: يقرأ عليكِ عمرُ بن الخطاب السلامَ ويستأذن أن يُدفَن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنَّه اليوم علىٰ نفسي. فلما أقبل) من عندها (قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. فقال: ارفعوني. فأسنده رجلٌ إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، قد أذنتْ) أن تُدفَن مع صاحبيك (فقال: الحمد لله، ما كان شيء أهم إليَّ من ذلك، فإذا أنا قُبِضتُ فاحملوني) إلىٰ حجرتها (ثم سلِّمْ وقلْ: يستأذن عمر، فإن أذنتْ لي فأدخِلوني، وإن ردَّتني رُدُّوني إلىٰ مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة) ﷺ (والنساء يسترنها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعةً) وسيأتي أنه منعها من النوح والتعديد (واستأذن الرجالُ، فولجت داخلاً) معهم (فسمعنا بكاءها من داخل، فقالوا: أوصِ يا أمير المؤمنين واستخلِفْ. فقال: ما أرىٰ أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر) الستة (الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. فسمَّىٰ عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعد) بن أبي وقَّاص (وعبد الرحمن) بن عوف ﷺ (وقال: يشهدكم عبدُ الله بن عمر) يعني ولده (وليس له من الأمر شيء) أي لا يستحقُّ في الإمارة شيئًا (كهيئة التعزية له) والتسلية (فإن أصابت الإمارةُ سعد) بن أبي وقاص (فذاك) هو المظنون فيه (وإلا فليستعنْ به) أي برأيه ومشورته (أيُّكم أُمِّر) أي جُعل أميرًا (فإني لم أعزله) عن الكوفة (من عجز) في رأيه (ولا) من (خيانة) في دينه، وكان عمر قد أمَّره علىٰ الكوفة سنة إحدىٰ وعشرين ثم عزله (وقال: أوصي الخليفةَ من بعدي بالمهاجرين الأوَّلين، أن يعرف لهم فضلَهم، ويحفظ لهم حرمتَهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا، الذين تبؤوا الدارَ والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم رِدْء الإسلام وجُباة الأموال وغيظ العدو، وأن لا يؤخَذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، أن يؤخَذ من حواشي أموالهم ويُرَدَّ علىٰ فقرائهم، وأوصيه

بذمَّة الله وذمة رسوله ﷺ، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل لهم من ورائهم، ولا يكلِّفهم إلا طاقتهم. قال: فلما قُبض خرجنا به فانطلقنا نمشي) بجنازته إلىٰ حجرة أم المؤمنين عائشة (**فسلَّم عبد الله بن عمر وقال: يستأذن عمر بن الخطاب. فقالت: أدخِلوه. فأدخلوه في موضع هناك مع صاحبيه ... الحديث**) إلخ، وهو: فلما فُرغ من دفنه ورجعوا اجتمع [هؤلاء] الرهط، فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلىٰ ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلىٰ علي. وقال سعد: قد جعلت أمري إلىٰ عبد الرحمن. وقال طلحة: قد جعلت أمري إلىٰ عثمان. قال: فخلا هؤلاء الثلاثة: علي وعثمان وعبد الرحمن، فقال عبد الرحمن لهما: أيُّكما يتبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلَهم في نفسه، وليحرصنَّ علىٰ صلاح الأمَّة. قال: فأسكت الشيخان، فقال: اجعلاه إليَّ، والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم. قالا: نعم. فخلا بعليٍّ فقال: لك من القِدَم في الإسلام والقرابة ما قد علمتَ، آلله عليك لئن أمَّرتُك لتعدلنَّ، ولئن أمَّرتُ عليك لتسمعنَّ ولتطيعنَّ؟ قال: نعم. ثم خلا بالآخَر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاقَ قال لعثمان: ارفعْ يدك. فبايعه، ثم بايع له عليٌّ، ثم وَلَجَ أهلُ الدار فبايعوه.

رواه بهذا السياق البخاريُّ[1] فقال: حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا أبو عَوانة، حدثنا حُصَين بن عبد الرحمن، عن عمرو بن ميمون أنه رأىٰ عمر قبل أن يُصاب بأيام وقف علىٰ حذيفة وابن حنيف ... إلىٰ أن قال: فإذا رأىٰ خللاً قال: استووا ... فساقه. وفيه: قتلني الكلب. ولم يشكَّ. وفيه: بسكين ذات طرفين. ولم يذكر بعده إلىٰ أن قال: فأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، بل فقدوا صوت عمر. ولم يقل: فأما مَن كان يليه. وفيه: لم يجعل ميتتي بيد رجل يدَّعي الإسلامَ. وفيه: فقال ابن عباس: إن شئتَ. ولم يقلْ: فعلتُ. وفيه: فاستقىٰ لبنًا، فخرج من جرحه، فعرفوا أنه ميت. ولم يذكر فيه قصة ردِّ الغلام، ولا وصيَّته في قضاء الدَّين، ولا

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٩ - ٢١.

وصيَّته بالمهاجرين وأهل الأمصار والأعراب. وقد رواه بهذه الزيادات البخاري والنسائي[(١)] من طريق جرير عن حُصَين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يُصاب بثلاث أو أربع واقفًا علىٰ ناقته علىٰ حذيفة وعثمان بن حنيف وهو يقول: لعلَّكما حمَّلتما الأرضَ - يعني من الخَراج - ما لم تُطِق ... فساق الحديث، وفيه: فما أتت عليه ثلاث حتىٰ أصيبَ. قال: وكان إذا دخل المسجد وأقيمت الصلاة قام بين كل صفَّين ... فساقه كسياق المصنِّف، وفيه: مات منهم سبعة، فطرح عليه رجل من حاجِّ العراق بُرنسًا فأخذه. وفيه: فجالَ ابنُ عباس ساعةً ثم جاء فقال: غلام المغيرة بن شعبة. قال: آلصنع؟ قال: الصنع. قال: قاتله اللهُ. وفيه: والناس يقولون: لا بأس عليك. فأُتي بنبيذ، فشربه، فخرج من جرحه، فعرف أنه الموت، فقال لابنه عبد الله: انظرْ ما كان عليَّ من دَين. قال: ستة وثمانون ألفًا. قال: إن وفىٰ ... إلخ إلىٰ أن قال: واذهبْ إلىٰ عائشة ... فساقاه إلىٰ أن قال: فلما جاء ابن عمر قال عمر: أقعِدوني. فأسنده رجل إلىٰ صدره، فقال لابن عمر: ما لديك؟ ... إلخ، وفيه: وليس له من الأمر شيء، فمَن استخلفوه فهو الخليفة بعدي، فإن أصابت سعدًا وإلا فليستعنْ به الخليفة، فإني لم أنزعه من ضعف ولا خيانة. ثم ذكرا قصة الغلام وقوله: يا ابن أخي، ارفعْ إزارَك. ثم ذكرا وصيَّته بالمهاجرين [والأنصار] وأهل الأمصار والأعراب وأهل الذمة. وفيه: فلما توفي حُمِل، فكأنَّ الناس لم تصبْهم مصيبةٌ قبل يومئذٍ، حتىٰ إذا دنا ابن عمر سلَّم علىٰ عائشة، ثم قال: استأذنك عمر. فأذنتْ له وقالت له: أدخِلْه.

هذا آخر سياقها من طريق جرير.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا عبد الملك بن عبد الحميد

---

(١) لم يذكر النسائي قصة مقتل عمر، وإنما اقتصر في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٩٤ علىٰ ذكر الوصية بالمهاجرين والأنصار وأهل الذمة. أما رواية جرير عند البخاري ١/ ٤٢٨ فهي مختصرة، وليس فيها هذه الزيادات التي ذكرها الشارح.

الميموني، حدثنا شبابة بن سوار، حدثني فرات بن السائب، عن ميمون بن مهران قال: لقيت ابن عمر بالمدينة فقلت: إني لأحبُّ أن أعلم كيف كان قتل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فقال: صنع قَيْنُ المغيرة مُدية لها رأسان، مقبضها في وسطها، فدخل المسجد صلاة الفجر، وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معه درَّته، يأمر الناس بتسوية الصفوف، فطعنه تسع طعنات، فقال عمر: دونكم الكلب، فقد قتلني. فثار إليه الناسُ، فجعل لا يدنو إليه أحدٌ إلا أهوىٰ إليه فطعنه، فطعن يومئذٍ ثلاثة عشر إنسانًا، فمات منهم ستة في المسجد، واحتُمِل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ بيته، وانجفل الناس إلىٰ منزله، فقال لي: أيْ بني، اخرجْ إلىٰ الناس فسَلْهم أعن ملأ منهم كان هذا؟ فلما ذكرتُ ذلك لهم قالوا: معاذ الله وحاشَ لله، لَوددنا أنَّا فديناه بالآباء والأبناء، واللهِ ما أتىٰ علينا يومٌ قط بعد وفاة رسول الله ﷺ أعظم من هذا اليوم. وكان أول مَن دخل عليه علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس، فنظر إليه ابن عباس فبكىٰ وقال: أبشِرْ يا أمير المؤمنين بالجنة. فقال: يا ابن عباس، أتشهد لي بذلك؟ فكأنَّه كعَّ، فضرب عليٌّ منكبه وقال: أجل، فاشهدْ له، وأنا علىٰ ذلك من الشاهدين. فقال عمر بن الخطاب: وكيف؟ فقال ابن عباس: كان إسلامك عزًّا، وولايتك عدلاً، وميتتك شهادة. فقال: واللهِ لا تغرُّوني من ربِّي وديني، ثكلت عمرَ أمُّه إن لم يغفر له ربه. ثم قال لي: ضع رأسي بالأرض، ثكلتك أمُّك[1].

قال: وحدثنا عبد الملك الميموني، حدثنا هوذة، حدثنا ابن عون، عن محمد بن سيرين قال: لمَّا طُعن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جعل الناس يقولون: إنه لا بأس عليك. فقال عمر للطبيب: انظرْ. فأدخلَ يده فنظر، فقال: ما وجدتَ؟ فقال: قد بقي من وتينك ما تقضي فيه حاجتَك. قال: أنت أصدقُهم وأخيرُهم. فقال له رجل – قال ابن عون: أراه ابن عباس –: واللهِ إني لأرجو أن لا تمس النار جلدك. فنظر إليه نظرًا شديدًا حتىٰ رثينا له، ثم قال: إنَّ علمك بذلك يا ابن فلان لَقليلٌ، لو أنَّ لي ما علىٰ

---

(١) رواه أبو بكر الخلال في كتاب السنة ١/ ٢٩٤ - ٢٩٥.

الأرض من شيء لافتديتُ به من هول المُطَّلَع[١].

وقال الذهبي في مناقب عمر: روىٰ الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن عمرو ابن ميمون: رأيت عمر يوم طُعن وعليه ثوب أصفر، فخرَّ وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب: ٣٨][٢].

وروىٰ يحيىٰ بن أيوب، عن يونس، عن ابن شهاب، حدثني عبيد الله أن ابن عباس أخبره أنه جاء عمرَ حين طُعن، فاحتمله هو ورهط حتىٰ أُدخِل بيته. قال: ثم غشي عليه، فلم يزل في غشيته حتىٰ أسفرَ، ثم أفاق فقال: هل صلىٰ الناس؟ قلنا: نعم. قال: لا إسلام لمَن ترك الصلاة. ثم توضأ وصلىٰ وقال: الحمد لله الذي قتلني مَن لا يحاجُّني عند الله بصلاة صلاَّها. وكان مجوسيًّا[٣].

وقال صالح بن كيسان، عن ابن شهاب قال: كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتىٰ كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو علىٰ الكوفة يذكر له غلامًا عنده صَنَعًا، ويستأذنه أن يُدخِله المدينة، ويقول: إنَّ عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس، إنه حدَّاد نقَّاش نجَّار. فأذنَ له أن يرسله إلىٰ المدينة، وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر. قال: فجاء إلىٰ عمر يناشده شدة الخَراج، فقال له عمر: ما خراجك بكثير في كُنْه ما تعمل. فانصرف ساخطًا يتذمَّر، فلبث عمر ليالي، ثم دعاه فقال: ألم أحدَّث أنك تقول: لو أشاء لصنعتُ رحًىٰ تطحن بالريح؟ فالتفت إلىٰ عمر عابسًا وقال: لأصنعنَّ لك رحًىٰ يتحدَّث الناس بها. فلما ولَّىٰ قال عمر: أوعدني العبد آنفًا. ثم اشتمل أبو لؤلؤة علىٰ خنجر ذي رأسين نِصابه في وسطه، فكَمِنَ في زاوية من زوايا المسجد في الغَلَس، فخرج عمر يوقظ الناس

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٢٦ - ٣٢٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٣٠.

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ ٤/ ٨٧، ١٣٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤١٨.

(٣) رواه المحاملي في أماليه - رواية ابن مهدي ص ٢٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٢٢ - ٤٢٣.

لصلاة الفجر، فلما دنا منه عمرُ وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات، إحداهن تحت السرَّة قد خرقت الصِّفاقَ، وهي التي قتلته، ثم مال علىٰ أهل المسجد حتىٰ طعن سوىٰ عمر أحد عشر رجلاً، ثم انتحر بخنجره، فقال عمر: قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصلِّ بالناس، ثم غلب عمرَ نزفُ الدم حتىٰ غُشي عليه. قال ابن عباس: فاحتملتُ عمر في رَهْط حتىٰ أدخلناه [بيته] فلم أزل عنده، ولم يزل في غشية واحدة حتىٰ أسفر [الصبحُ] ثم أفاق، فنظر في وجوهنا فقال: أصلىٰ الناس؟ قلت: نعم. قال: لا إسلام لمَن ترك الصلاة. ثم توضأ، ثم صلىٰ، يعني في دمائه، وكان أبو لؤلؤة مجوسيًّا(١).

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: جئت من السوق، وعمر يتوكَّأ عليَّ، فمرَّ أبو لؤلؤة فنظر إلىٰ عمر نظرة ظننت أنه لولا مكاني بطش به، فجئت بعد ذلك إلىٰ المسجد لصلاة الفجر، فإني لبين النائم واليقظان إذ سمعت عمر يقول: قتلني الكلب. فماج الناس ساعةً، ثم إذا قراءة عبد الرحمن بن عوف(٢).

رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١٩٣ بنحوه من طريق سفيان بن عيينة، عن ابن شبرمة قال: مرض رجل من بني يربوع فاشتد مرضه، وبنتان له عند رأسه، فنظر إليهما فقال:

ألا ليت شعري عن بنتي بعدما ... يوسد لي في قبلة اللحد مضجع
وعن وصل أقوام أتىٰ الموت دونهم ... أيرعون ذاك الوصل أم يتقطع
وما يحفظ الأموات إلا محافظ ... من القوم داعٍ للأمانة مقنع

وقال ثابت البُناني عن أبي رافع قال: كان أبو لؤلؤة عبدًا للمغيرة، يستغلُّه

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٢٠ - ٣٢١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤١٣، والبلاذري في أنساب الأشراف ١٠/ ٤٢٢ - ٤٢٤.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٠٩.

كل يوم أربعة دراهم، فلقي عمرَ فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل عليَّ، فكلِّمْه. فقال: أحسِنْ إلىٰ مولاك. ومن نيَّة عمر أن يكلِّم المغيرة فيه، فغضب وقال: يسع الناسَ كلَّهم عدلُه غيري؟! وأضمر قتله، واتخذ خنجرًا وشحذه وسمَّه، فجاء فقام خلف عمر في الصف، وضربه في كتفه وفي خاصرته، فسقط عمر، وطعن ثلاثة عشر، مات منهم ستة، وحُمل عمر إلىٰ أهله، وكادت الشمس أن تطلع، فصلىٰ عبد الرحمن بالناس بأقصر سورتين، وسُقي عمر نبيذًا فخرج من جرحه فلم يتبيَّن، فسقوه لبنًا فخرج من جرحه، فقالوا: لا بأس عليك. فقال: إن يكن بالقتل بأسٌ فقد قُتِلتُ. فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: كنتَ وكنت. فقال: أمَّا واللهِ وددتُ أني خرجت منها كفافًا لا عليَّ ولا لي وأنَّ صحبة رسول الله ﷺ سَلِمَت لي. وأثنىٰ عليه ابن عباس، فقال: لو أنَّ لي طِلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من هول المُطَّلَع، وقد جعلتُها شورىٰ في هؤلاء الستة. وأمر صهيبًا أن يصلي بالناس. وأجَّلَ الستةَ ثلاثًا[1].

وروىٰ الأوزاعي ومِسعر عن سِماك الحنفي عن ابن عباس قال: دخلت علىٰ عمر حين طُعن فقلت: أبشِرْ يا أمير المؤمنين، واللهِ لقد مصَّر اللهُ بك الأمصارَ، وأوسعَ بك الرزقَ، وأظهر بك الحق. فقال: وددتُ أني أنجو [منها] كفافًا لا أجر ولا وِزر[2].

وروىٰ أبو عوانة، عن داود بن عبد الله، عن حُمَيد بن عبد الرحمن الحِمْيَري قال: حدثنا ابن عباس قال: أنا أول مَن أتىٰ عمرَ حين طُعن: فقال: احفظْ عني ثلاثًا، إني أخاف أن لا يدركني الناس، أما أنا فلم أقضِ في الكَلالة قضاءً، ولم أستخلف علىٰ الناس خليفةً، وكل مملوكٍ لي عتيقٌ. فقال له الناس: استخلِفْ. فقال: إن

(١) رواه أبو يعلىٰ في مسنده ٥/ ١١٦ - ١١٨، وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٣٣١ - ٣٣٣، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات ٣/ ٤٤٣ - ٤٤٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤١١ - ٤١٣.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٦٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٥٢، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٢٥ - ٣٢٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٢٣ - ٤٢٤.

أدع الناسَ فقد ترك نبيُّ الله ﷺ، وإن أستخلفْ فقد استخلفَ من هو خيرٌ مني أبو بكر(١).

وروىٰ عبيد الله بن موسىٰ، عن إسرائيل، عن كثير النَّوَّاء، عن أبي عبيد مولىٰ ابن عباس، عن ابن عباس قال: كنت مع علي، فسمعنا الصيحةَ علىٰ عمر، فقام وقمت معه حتىٰ دخلنا علىٰ عمر البيتَ، فقلت: ما هذا الصوت؟ قالت امرأة: سقاه الطبيب نبيذًا فخرج، وسقاه لبنًا فخرج، فقال: لا أرىٰ أن تمسي، فما كنتَ فاعلاً فافعلْ. فقالت أم كلثوم: وا عمراه. وكان معها نسوة يبكين معها، وارتجَّ البيتُ بكاءً. فقال عمر: واللهِ لو أنَّ لي ما علىٰ الأرض من شيء لافتديتُ به من هول المُطَّلَع. فقال ابن عباس: واللهِ إني لأرجو أن لا تراها إلا مقدار ما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١] إن كنتَ ما علمنا لأميرُ المؤمنين وأمين المؤمنين وسيد المؤمنين، تقضي بكتاب الله، وتقسم بالسويَّة. فأعجبه قولي فاستوىٰ جالسًا فقال: أتشهد لي بهذا يا ابن عباس؟ قال: فكففتُ، فضرب عليٌّ رضي الله عنه كتفي فقال: اشهدْ. قلت: نعم، أنا أشهد(٢).

وروىٰ مبارك بن فَضالة، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال عمر: مَن قتلني؟ قيل: أبو لؤلؤة. قال: الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يخاصمني بـ«لا إله إلا الله»، فوضعت رأسه علىٰ فخذي، فقال: ألصِقْ خدِّي بالأرض. ففعلت. فقال: ويل عمر وويل أم عمر إن لم يغفر الله لي(٣).

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١/ ٤٠٨، وأبو داود الطيالسي في مسنده ١/ ٣٠ – ٣١، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٢٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٢٥.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٢٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٢٦، والبلاذري في أنساب الأشراف ١٠/ ٤٣٠ – ٤٣١، وابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ١٦٥ – ١٦٦.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ١٨٢ – ١٨٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٤١ – ٤٤٢.

وقال يزيد بن هارون، حدثنا حريز بن عثمان، حدثنا حبيب بن عبيد، عن المِقدام بن مَعْدي كَرِب قال: دخلت حفصة علىٰ عمر فقالت: يا صاحب رسول الله، ويا صِهر رسول الله، ويا أمير المؤمنين. فقال لابنه: أجلِسْني، فلا صبر لي علىٰ ما أسمع. فقال لها: إني أحرِّج عليكِ بما لي عليكِ من الحق أن تندبيني بعدها، فأما عينيك فلا أملكهما، إنه ليس من ميت يُندَب بما ليس فيه إلا مقتته الملائكة[1].

وروىٰ حماد بن زيد[2] عن ثابت عن أنس قال: لما طُعن عمر صرخت حفصة، فقال: يا حفصة، أما سمعتِ رسول الله ﷺ يقول: «إن المعوَّل عليه يعذَّب»؟ وجاء صُهَيب فقال: وا عمراه. فقال: ويلك يا صهيب! أما بلغك أن المعوَّل عليه يعذَّب؟

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا أبو أسامة، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، حدثني يحيىٰ بن أبي راشد البصري قال: لما احتضر عمر بن الخطاب قال لابنه: يا بني، ادْنُ مني، فضَعْ ركبتيك بين كتفيَّ، وضَعْ راحتَك اليمنىٰ علىٰ جبيني، واليسرىٰ تحت ذقني، وراعِني، فإذا متُّ فأغمِضْ بصري، وغسِّلوني، وأحسِنوا غسلي، وكفِّنوني في ثوبين، ولا تتغالوا في كفني، فإن يكن ربِّي عَزَّوَجَلَّ راضيًا عني فلن يرضىٰ لي بثيابكم حتىٰ يكسوني من ثياب الجنة، وإن يكن عليَّ ساخطًا فإنه يسلبني سلبًا سريعًا ويلبسني شرَّ الثياب، فإذا حفرتم قبري فاحفروا قدْر مضجعي، فإن يكن عني راضيًا فسيوسِّعه مد بصري، وإن يكن عليَّ ساخطًا فسيضيِّقه عليَّ حتىٰ تختلف أعضائي، فإذا حملتموني فأسرِعوا بي، فإنما هو خيرٌ تردُّوني إليه أو شرٌّ تُلقُونه عن أعناقكم، ولا تمشينَّ مع جنازتي امرأةٌ، ولا تتبعني نائحةٌ، ولا تزكُّوني فربِّي أعلمُ بي، فإذا وضعتموني في حفرتي فقولوا: اللهم باسمك وعلىٰ ملَّتك وملَّة رسولك وفي سبيلك أسلمه إليك

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (بغية الباحث ص ٣٦٥) وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٣٥، وعمر بن شبة في تاريخ المدينة ٣/ ٩٠٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٤٨.

(٢) الصواب: حماد بن سلمة، وقد رواه عنه هكذا مسلم في صحيحه ١/ ٤١٢.

الأهلُ والولد والمال والعشيرة، فاغفر له، اللهم وارحمْه. ثم أقرأ عليكم السلامَ حتىٰ ألقاكم.

(وعن النبي ﷺ قال: قال لي جبريل ﷺ: ليبْكِ الإسلامُ علىٰ موت عمر) قال العراقي[١]: رواه الآجُرِّي في كتاب الشريعة[٢] من حديث أبيِّ بن كعب بسند ضعيف جدًّا، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات[٣]. انتهىٰ.

قلت: قال فيه: حدثنا محمد بن عبد الحميد الواسطي، حدثنا محمد بن رزق الله، حدثنا حبيب بن أبي ثابت، حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمي، عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبيِّ بن كعب رفعه: «كان جبريل يذاكرني أمر عمر، فقلت له: اذكرْ لي [فضائل عمر وما له عند الله] فقال: لو جلستُ معك كما جلس نوح في قومه ما بلغتُ فضائلَ عمر، وليبكينَّ الإسلامُ بعد موتك علىٰ عمر».

قال الذهبي في نِعم السَّمَر[٤]: ابن عامر واهٍ، وحبيب مجهول لعل الآفة منه.

(وعن ابن عباس) ﷺ **(قال: وُضِع عمر علىٰ سريره)** بعدما كُفِّن **(فتكنَّفه الناسُ)** أي أحاطوا حواليه **(يدعون ويصلُّون)** أي يترحَّمون **(قبل أن يُرفَع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي)** من ورائي **(فالتفتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب** ﷺ**، فترحَّم علىٰ عمر وقال: ما خلَّفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقىٰ اللهَ بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن ليجعلنَّك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، فإني كنت لأرجو - أو لأظن - أن يجعلك الله)**

---

(١) المغني ٢/ ١٢٢٢ - ١٢٢٣.

(٢) الشريعة ٤/ ١٩١٣، ١٩١٧.

(٣) الموضوعات ١/ ٣٢١.

(٤) اسمه «نِعْم السمر في سيرة عمر»، وهو في عداد المفقود.

معهما) قال العراقي[١]: متفق عليه[٢].

قلت: روياه من طريق ابن المبارك، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن ابن أبي مُلَيكة، سمعت ابن عباس يقول: وُضع عمر على سريره، فتكنَّفه الناس ... فساقاه هكذا.

وروىٰ أبو معشر نجيح عن نافع عن ابن عمر قال: وُضع عمر بين القبر والمنبر، فجاء عليٌّ حتىٰ قام بين يدي الصفوف فقال: رحمة الله عليك، ما من خلق الله أحب إليَّ من ألقىٰ اللهَ بصحيفته بعد النبي ﷺ من هذا المسجَّىٰ عليه ثوبه.

وروىٰ يونس بن أبي يعفور عن عون بن أبي جُحَيفة عن أبيه أن عليًّا قال ... فذكر نحوه.

وروىٰ ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن عليًّا دخل علىٰ عمر وهو مسجًّىٰ فقال: صلىٰ الله عليك[٣]. قال الذهبي: إسناده صحيح.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: قيل لجعفر بن محمد: أيصلَّىٰ علىٰ غير النبي ﷺ؟ فقال: هذا عليٌّ كرَّم الله وجهه قد صلىٰ علىٰ عمر رضي الله عنه.

---

(١) المغني ٢/ ١٢٢٣.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٣، ١٥ - ١٦، صحيح مسلم ٢/ ١١٢٢.

(٣) هذه الأحاديث الثلاثة رواها: عمر بن شبة في تاريخ المدينة ٣/ ٩٣٧ - ٩٣٨، وأبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين ص ١٦٢ - ١٦٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٥١ - ٤٥٤. وروىٰ أحمد في مسنده ٢/ ٢١٧ - ٢١٨ حديث ابن عمر وحديث أبي جحيفة.

وفـاة عثمـان رضي الله عنه

(الحديث في قتله مشهورٌ) رواه سيف بن عمر التميمي وابن عائذ كلاهما في كتاب الفتوح مفصَّلاً، ومجمله ما رواه محمد بن يحيىٰ الذُّهلي قال: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا محمد بن عيسىٰ بن سميع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري قال: قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبري كيف قُتل عثمان؟ قال: قُتل مظلومًا [ومَن قتله كان ظالمًا] ومَن خذله كان معذورًا، ولمَّا وليَ كره ولايتَه جماعةٌ؛ لأنه كان يحب قومه ويولِّيهم، فيجيء منهم ما تنكره الصحابةُ فلا يعزلهم، فلما كان في الست حِجَج الأواخر استأثر بني عمِّه فولاَّهم، وما أشركَ معهم، فولَّىٰ ابنَ أبي سَرْح مصر، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلَّمون منه، وقد كان من قبل هنات من عثمان إلىٰ ابن مسعود وأبي ذر وعمار، فكانت بنو هُذَيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود، وكانت بنو غِفار وأحلافها ومَن غضب لأبي ذرٍّ في قلوبهم ما فيها، وكانت بنو مخزوم قد حنقت عليه لحال عمار، وجاء المصريون يشكون من عبد الله، فكتب إليه كتابًا يتهدَّده فيه، فأبَىٰ أن يقبل ما نهاه عنه، وضرب بعضَ مَن أتاه من فقتله، فخرج من مصر سبعمائة، فنزلوا المدينة، وشكوا صنيعَ ابن أبي سرح بهم، فقام طلحة فكلَّم عثمانَ بكلام شديد، وأرسلت عائشة إليه تقول: أنصِفْهم من عاملك. ودخل عليه عليٌّ – وكان متكلِّم القوم – فقال: إنما يسألونك رجلاً بدل رجل، وقد ادَّعوا قبله دمًا، فاقضِ بينهم وأنصِفْ. فقال لهم: اختاروا رجلاً أولِّيه. فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر، فولاَّه وكتب عهده، وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح، فلما كانوا علىٰ مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بعبد أسود علىٰ بعير يخبط البعير خبطًا كأنَّه رجل يَطلُب [أو يُطلَب] فسألوه فقال: وجَّهني أمير المؤمنين إلىٰ عامل مصر.

فقيل له: هذا محمد عامل مصر. قال: ليس هذا أريد. فجيء به إلىٰ محمد، فقال مرةً: أنا غلام عثمان، ومرةً قال: أنا غلام مروان، حتىٰ عرفه رجل أنه لعثمان، فقال له محمد: إلىٰ مَن أُرسِلتَ؟ قال: إلىٰ عامل مصر برسالة. قال: معك كتاب؟ قال: لا. ففتَّشوه فلم يجدوا معه كتابًا، وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل، فشقُّوها فإذا فيها كتاب من عثمان، فجمع محمدٌ الصحابة وفكَّه، فإذا فيه: إذا أتاك فلان وفلان ومحمد فاحتلْ قتلهم، وأبطِلْ كتابَه، وقرَّ علىٰ عملك، واحبِسْ مَن يجيء إليَّ متظلِّمًا. ففزعوا، وأزمعوا فرجعوا إلىٰ المدينة، وختم محمد الكتاب بخواتيم جماعة ودفعه إلىٰ رجل منهم، وقدموا المدينةَ، فجمعوا طلحة والزبير وعليًّا وسعدًا والصحابة، ثم فضُّوا الكتاب، فلم يبقَ أحد إلا حنقَ علىٰ عثمان، وزاد ذلك غضبًا لأعوان ابن مسعود وأبي ذر وعمار، وحاصر الناس عثمان، وأجلبَ عليه محمدٌ ببني تَيْم، فلما رأىٰ ذلك عليٌّ بعث إلىٰ طلحة والزبير وعمار وسعد وغيرهم، ودخل علىٰ عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير، فقال له: هذا الغلام والبعير لك؟ قال: نعم. قال: فهذا كتابك؟ قال: لا واللهِ. قال: فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم. قال: كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟! وعرفوا أنه خط مروان، فسألوه أن يدفع إليهم مروانَ، فأبَىٰ، وكان معه في الدار، فخرجوا غِضابًا، وعلموا أنه لا يحلف بباطل، ولزموا بيوتَهم، فحاصروه أولئك حتىٰ منعوه الماءَ، فأشرفَ يومًا فقال: أفيكم علي؟ قالوا: لا. قال: أفيكم سعد؟ قالوا: لا. فسكت، ثم قال: ألا أحد يسقينا ماءً. فبلغ ذلك عليًّا فبعث إليه بثلاث قِرَب، فجُرِح بسببها جماعةٌ من الموالي حتىٰ وصل الماء إليه، فبلغ عليًّا أن عثمان يُراد قتله، فقال: إنما أردنا منه مروانَ، فأما قتلُ عثمان فلا. وقال لابنيه: اذهبا بسيفيكما حتىٰ تكونا علىٰ باب عثمان، فلا تدعا أحدًا يصل إليه، وبعث إليه الزبير ابنَه، وبعث طلحة ابنَه، وبعث عدَّة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس عنه ويسألونه أن يُخرِج مروانَ، فلما رأىٰ ذلك محمد بن أبي بكر ورمىٰ الناس [عثمان] بالسهام حتىٰ خضب الحسن بالدماء علىٰ بابه، وأصاب مروانَ سهمٌ،

وخضب محمد بن طلحة، وشُجَّ قنبر مولىٰ علي، فخشي ابنُ أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن، فاستشار صاحبيه، وتسوَّروا من دار حتىٰ دخلوا علىٰ عثمان بغتةً، والناس فوق البيوت لا يدرون، ولم يكن مع عثمان سوىٰ امرأته، فقال لهما محمد: مكانكما، فإنَّ معه امرأته، فإذا أنا ضبطتُه فادخلا فتوجاه حتىٰ تقتلاه. ودخل محمد فأخذ بلحيته، فقال له عثمان: واللهِ لو رآك أبوك لساءه مكانك مني. فتراخت يدُه، ودخل الرجلان فتوجاه حتىٰ قتلاه، وهربوا من حيث دخلوا، وصرخت امرأته وصعدت إلىٰ الناس وقالت: قُتل أمير المؤمنين. فجاؤوا فوجدوه مذبوحًا، وبلغ عليًّا وطلحة والزبير الخبرُ، فخرجوا وقد ذهبت عقولهم، فدخلوا عليه واسترجعوا وقال علي: كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتم علىٰ الباب؟! ولطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة وولَّىٰ غاضبًا(١).

قال الحافظ الذهبي: هو في بادئ الرأي صحيح الإسناد، لكن قال البخاري(٢): يقال إن ابن سميع ما سمع هذا الحديث من ابن أبي ذئب. وقال صالح جزرة: قال لي محمود ابن بنت محمد بن عيسىٰ بن سميع: هو في كتاب جدِّي عن إسماعيل بن يحيىٰ التيمي عن ابن أبي ذئب، وكان إسماعيل يضع الحديث(٣).

وروىٰ قريش بن أنس، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد هو مولىٰ أبي أسيد قال: دخلوا علىٰ عثمان والمصحف بين يديه، فضربوه علىٰ يديه، فجرىٰ الدم علىٰ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧](٤).

---

(١) رواه عمر بن شبة في تاريخ المدينة ٤/ ١١٥٧ - ١١٦١، وابن حبان في الثقات ٢/ ٢٥٦ - ٢٦٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٤١٥ - ٤١٩، والبلاذري في أنساب الأشراف ٦/ ١٨٣ - ١٨٧، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٥/ ٣٨ - ٤٣.

(٢) التاريخ الكبير ١/ ٢٠٣.

(٣) رواه الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق ١/ ٤٤ - ٤٦.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٥١١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٤١٤، وعمر بن شبة في تاريخ المدينة ٤/ ١٣٠٩. ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ٦٦ من هذا الطريق بلفظ: =

قال الذهبي: هذا إسناد صحيح.

وروىٰ خالد بن عبد الله عن عمران بن حُدَير قال: إلا يكن عبد الله بن شقيق حدَّثني أن أول قطرة قُطِرت من دم عثمان علىٰ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧﴾ فإن أبا حُرَيث ذكر أنه ذهب هو وسهيل المري، فأخرجوا إليه المصحف، فإذا القطرة علىٰ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ قال: فإنها في المصحف ما حُكَّتْ[1].

(وقد قال عبد الله بن سلام) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أتيت أخي عثمان) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (لأسلِّم عليه وهو محصور) في داره (فدخلت عليه، فقال: مرحبًا يا أخي، رأيتُ رسول الله ﷺ الليلةَ في هذه الخوخة - وهي خوخة في البيت - فقال: يا عثمان، حصروك؟ قلت: نعم. قال: عطَّشوك؟ قلت: نعم. قال: فأدلَىٰ إليَّ دلوًا فيه ماء، فشربت حتىٰ رويت، حتىٰ إني لأجدُ برده بين ثديَّي، وقال لي: إن شئتَ نُصِرت عليهم، وإن شئتَ أفطرتَ عندنا. فاخترتُ أن أفطر عنده، فقُتل ذلك اليوم)[2] قال عبد الله ابن أحمد[3]: حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا يونس بن أبي يعفور العَبْدي، عن أبيه، عن مسلم أبي سعيد أن عثمان أعتق عشرين مملوكًا، ثم دعا بسراويل فشدَّها عليه، ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحةَ [في المنام، ورأيت] أبا بكر وعمر، فقال: اصبِرْ فإنك تفطر عندنا القابلةَ. ثم دعا بمصحف ففتحه بين يديه،

= «دخل المصريون علىٰ عثمان، والمصحف في حجره يقرأ فيه، فمدوا إليه، فمد يده فضربت، فسال الدم فقطرت قطرة علىٰ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ فقال: أما إنها أول يد خطت المفصل». ورواه ابن حبان في صحيحه ١٥/ ٣٥٧ - ٣٦١ وابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ٣٧٧ - ٣٨٠ وأحمد في فضائل الصحابة ١/ ٤٧٠ - ٤٧٢ مطولا من طريق المعتمر بن سليمان التيمي عن أبيه.

(١) رواه خليفة بن خياط في تاريخه ص ١٧٥ (ط - دار طيبة بالرياض) وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٤١٤.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة ص ٧٨٩ - ٧٩٠، وابن أبي الدنيا في المنامات ص ٦٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٨٦، والبلاذري في أنساب الأشراف ٦/ ٢٠١.

(٣) مسند أحمد ١/ ٥٤٥.

فقُتل وهو بين يديه.

وقال إسحاق بن سليمان، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر أن عثمان أصبح يحدِّث الناس قال: رأيت رسول الله ﷺ الليلةَ في المنام فقال: أفطِرْ عندنا غدًا. فأصبح صائمًا، وقُتل من يومه[١].

قال الذهبي: هذا حديث صحيح، ورواه ابن أبي عروبة عن يعلىٰ بن حكيم عن نافع نحوه، ورواه عبد الملك بن عمير عن كثير بن الصلت عن عثمان، وله طرق أُخَر بمعناه.

(وقال عبد الله بن سلام) رضي الله عنه **(لمَن حضر تشحُّط عثمان في الموت حين خرج: ماذا قال عثمان وهو يتشحَّط؟ قالوا: سمعناه يقول: اللهم اجمعْ أمَّة محمد ﷺ. ثلاثًا. قال: والذي نفسي بيده لو دعا اللهَ)** علىٰ تلك الحال **(أن لا يجتمعوا أبدًا ما اجتمعوا إلىٰ يوم القيامة)** رواه الليث عن عبيد الله بن المغيرة وعبد الكريم بن الحارث أن عبد الله بن سلام قال لمَن حضر عثمان وهو يتشحَّط في الموت حين ضربه أبو رومان الأصبحي: ماذا كان قول عثمان وهو يتشحَّط في دمه؟ قال: سمعناه يقول ... فساقه[٢].

(وعن ثُمامة[٣] بن حَزْن) بن عبد الله بن سَلَمة بن قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة **(القُشَيري)** البصري، والد أبي الورد، مخضرم، وفد علىٰ عمر

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ١١٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ٢١٩، والبزار في مسنده ٢/ ١٠، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ١٣٥٤، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصفهان ٢/ ٢٩٩، والآجري في الشريعة ٤/ ١٩٥٨. والبيهقي في دلائل النبوة ٧/ ٤٨.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٥٧ - ٥٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٤٠٢، وعمر ابن شبة في تاريخ المدينة ٤/ ١١٨٦.

(٣) تهذيب الكمال ٤/ ٤٠١ - ٤٠٣. تقريب التهذيب ص ١٨٩.

وله خمس وثلاثون سنة، قال يحيىٰ بن معين: ثقة[(١)]. روىٰ له مسلم والترمذي والنسائي، وليس له في الصحيح غير حديث النبيذ قال: سألت عائشة عن النبيذ. وروىٰ له البخاري في الأدب المفرد (**قال: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان** رضي الله عنه، **فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذينِ ألَّباكم**) أي حرَّضاكم (**عليَّ. فجيء بهما كأنَّهما جملان أو حماران، فأشرفَ عليهم عثمان** رضي الله عنه **فقال: أنشدكم اللهَ والإسلام هل تعلمون أن رسول الله** ﷺ **قدم المدينةَ وليس بها ماء يُستعذَب غير بئر رومة فقال: مَن يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دِلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتُها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها ومن ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله، فقال رسول الله** ﷺ: **مَن يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتُها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلامَ هل تعلمون أني جهَّزت جيش العُسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله** ﷺ **كان علىٰ ثبير بمكة، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرَّك الجبل حتىٰ تساقطت حجارته بالحضيض. قال: فركضه برجله وقال: اسكنْ ثبير، فما عليك إلا نبي وصدِّيق وشهيدان؟ قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد**) قال العراقي[(٢)]: رواه الترمذي[(٣)] وقال: حسن. والنسائي[(٤)]. انتهىٰ.

قلت: ورواه الأنصاري في جزئه[(٥)] قال: حدثنا هلال بن لاحق[(٦)]، عن

---

(١) رواه عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/ ٤٦٥.

(٢) المغني ٢/ ١٢٢٣.

(٣) سنن الترمذي ٦/ ٧١.

(٤) سنن النسائي ص ٥٦٢.

(٥) هو محمد بن عبد الله الأنصاري، الإمام الجليل قاضي البصرة، انظر ترجمته في تهذيب الكمال، للمزي ٢٥/ ٥٣٩، والجزء المطبوع الذي بين أيدينا ليس فيه هذا الحديث. والله أعلم.

(٦) صوابها: هلال بن حِق، وانظر الجرح والتعديل ٩/ ٧٧.

الجُرَيري، عن ثُمامة بن حَزْن قال: شهدت الدار، وأشرف عليهم عثمان فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذينِ ألَّباكم عليَّ. فدُعيا له كأنَّهما جملان أحمران ... فساقه، وليس فيه ذِكر تجهيز جيش العُسرة[١]. ورواه عيسىٰ بن يونس، عن أبيه، عن جدِّه، عن أبي سلمة بن عبد الرحم، وذكر فيه تجهيز جيش العُسرة، وزاد: ولكن طال عليكم أمري، فاستعجلتم، وأردتم خلع سربال سربلنيه الله، وإني لا أخلعه حتىٰ أموت أو أُقتَل[٢].

(ورُوي عن شيخ من ضَبَّة[٣] أن عثمان) رضي الله عنه **(حين ضُرب والدماء تسيل علىٰ لحيته جعل يقول: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، اللهم إني أستعديك عليهم، وأستعينك علىٰ جميع أموري، وأسألك الصبر علىٰ ما ابتليتني)** [٤] وروىٰ يحيىٰ بن ميمون الهَدادي، عن الحارث بن عُمَير، عن مَعمر أبي عقيل، حدثنا أبو جناب - رجل شاميٌّ - قال: حدثتني ريطة مولاة أسامة بن زيد قالت: كنت في الدار إذ دخل القوم ... فساق الحديث، وفيه: فجاء رجل من خلف عثمان بسعفة فضرب بها جبهتَه، فرأيت الدم يسيل وهو يمسحه ويقول: اللهم لا يُطلَب بدمي غيرك[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١/ ٥٥٨ من هذا الطريق، وفيه ذكر جيش العسرة، وليس فيه قوله (كأنهما جملان أحمران).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٣٩ - ٣٤٠، والضياء في الأحاديث المختارة ١/ ٥٢٩.
ورواه الدارقطني في سننه ٥/ ٣٥٢ من طريق إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق عن أبي سلمة، وفيه: «ولكن طال عليكم عمري، واستعجلتم قدري أن أنزع سربالا سربلنيه الله عز وجل، لا والله لا يكون ذلك أبدا».

(٣) ضبة: بطن من طابخة، من العدنانية، وهم بنو ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. وهم من جمرات العرب الثلاث، وكانت منازلهم في جوار بني تميم بالناحية الشمالية من نجد، ثم انتقلوا في الإسلام إلىٰ جهة النعمانية بالعراق، ولهم أيام في الجاهلية، وكانوا يوم الجمل مع عائشة أم المؤمنين، وأبلوا فيه بلاء حسنا. معجم قبائل العرب ٢/ ٦٦١ - ٦٦٢.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٥٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٤٠١.

(٥) رواه الخطيب في المتفق والمفترق ص ٢٠٦٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٤٠٦ - ٤٠٧.

وروىٰ صاحب كتاب المتفجعين عن الكُزبراني، عن عمرو بن عاصم الكِلابي، عن حفص بن أبي بكر، عن هَيَّاج بن سريع، عن مجاهد قال: أشرف عليهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو محصور فقال: يا قوم، لا تقتلوني فإني والٍ وأخ ومسلم ... فساق الحديث، وفيه: فلما أبوا قال: اللهم إني لا أرىٰ إلا غادرًا أو فاجرًا، اللهم فأحْصِهم عددًا، واقتلْهم بددًا، ولا تُبْقِ منهم أحدًا. قال مجاهد: فقتل اللهُ أكثرهم في تلك الفتنة[1].

وروىٰ أيضًا عن علي بن عثمان النفيلي، حدثنا أبو مُسهِر، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا عليهم فقال: اللهم أبدِلْني بخير منهم، وأبدِلْهم بشرٍّ مني، اللهم خذْ لي منهم بثأري، اللهم انقلْ هذا الأمرَ ممَّن خذله إلىٰ مَن نصره.

وروىٰ أيضًا عن حبيش بن موسىٰ الصيني، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد ابن أبي سيف المدائني، عن سعيد بن مسلم بن بانك قال: جعلوا يوجئون عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والمصحفُ في حِجره وهو يقول:

ولقد علمتُ لو أن علمي نافعي ... أن الحياة من الممات قريبُ

وقال ابن أبي الدنيا[2]: حدثنا الحارث بن محمد التميمي، حدثني أبو الحسن علي بن محمد القرشي، عن سعيد بن مسلم بن بانَك، عن أبيه أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال متمثِّلا يوم دُخل عليه [فقُتل]:

أرىٰ الموت لا يُبقِي عزيزًا ولم يَدَعْ ... لعادٍ مِلاكًا في البلاد ومُرتقَىٰ

يبيِّت أهلَ الحصنِ والحصنُ مغلقٌ ... ويأتي الجبالَ في شماريخها العلا

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٦٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٤٩ - ٣٥٠. وليس عندهما قوله (اللهم إني لا أرىٰ إلا غادرا أو فاجرا).

(٢) كتاب المحتضرين ص ٥٧.

وفـاة عليٍّ كَرَّم الله وجهه

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّي في كتاب الشريعة(١): قد قال النبي ﷺ وهو علىٰ حِراء وقد تحرك الجبل: «اثبُتْ حِراء، فإنما عليك نبي وصدِّيق وشهيد»، وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسائر مَن في الحديث المشهور، فقد أخبر النبيُّ ﷺ بأنهم شهداء، وقُتل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شهيدًا، وقد أخبر النبيُّ ﷺ [لعلي]: «إنك مستخلف مقتول»، ولا بد لِما قاله النبي ﷺ أن يكون، لا بد من أن يكون، وذلك درجات لهم ﷺ عند ربِّهم، يزيدهم فضلاً إلىٰ فضلهم، وكرامة منه لهم، وقد روينا عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «ألا أخبرك بأشقَىٰ الناس؟ أُحَيمِر ثمود عاقر الناقة، والذي يضربك علىٰ هذا - وأشار إلىٰ قرنه - وتبتلُّ هذه منها»، وأخذ بلحيته.

وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «إنك مؤمَّر مستخلَف، وإنك مقتول، وإن هذه مخضوبة من هذا». لحيته من رأسه.

وعن أبي سنان الدؤلي قال: سمعت عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك ستُضرَب ضربة ههنا - وأشار إلىٰ صدغيه - تسيل دمًا حتىٰ تخضب لحيتَك، فيكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقَىٰ ثمود».

وعن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علىٰ المنبر يقول: ما ينتظر الأشقَىٰ؟ عهدَ إليَّ رسول الله ﷺ: «لتُخضَبَنَّ هذه من دم هذا».

(**قال الأصبغ**) بن(٢) نُباتة التميمي (الحنظلي) الكوفي، يكنَّىٰ أبا القاسم،

---

(١) الشريعة ٤/ ٢١٠٠ - ٢١٠٥.

(٢) تقريب التهذيب ص ١٥١.

متروك رُمي بالرفض، روىٰ له ابن ماجه (**لمَّا كانت الليلة التي أصيبَ فيها علي** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **أتاه ابن النبَّاح**) وهو مؤذِّنه (**حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة، وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة، فقام علي يمشي وهو يقول:**

اشدُدْ حيازيمك للمو ت فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من المو ت إذا حلَّ بواديكا[١]

فلما بلغ البابَ الصغير شدَّ عليه ابن ملجم) عبد الرحمن، رجل من بني مراد (**فضربه**) رواه ابن أبي الدنيا[٢] فقال: حدثني عبد الله بن يونس بن بكير قال: حدثني أبي، حدثني علي بن أبي فاطمة الغَنَوي قال: حدثني الأصبغ الحنظلي ... فذكره.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا الكزبراني، حدثنا حجاج بن أبي منيع، حدثنا جدِّي، عن الزهري قال: لمَّا انتشر أمرُ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكثرَ عليه اختلافُ أصحابه أقبل رجل من الخوارج يقال له عبد الرحمن ابن ملجم مشتملاً علىٰ السيف، وكان علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يتولَّىٰ التأذينَ بنفسه، فكان إذا أراد أن يقول «حي علىٰ الصلاة» أخرج رأسه من باب طاق المسجد إلىٰ السوق، وأقبل الخارجيُّ فقام عند الطاق من خارج، فلما أخرج عليٌّ رأسه ضربه الخارجيُّ ضربةً أطار بها طائفةً من قحفه، وتنادَىٰ الناسُ: قُتل أمير المؤمنين. وأقبلوا نحوه، وهو يحمل عليهم، حتىٰ أخذوه وانتزعوا السيف من يده، وعاش علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يومَه ذلك، ومات في الليلة القابلة، فقُطعت يدا ابن ملجم ورجلاه، وسُملت عيناه، ثم أُدرِج في بُرْدين فأُحرِق.

وقال ابن سعد في الطبقات[٣]: أخبرنا الفضل بن دُكَين، حدثنا فِطر بن خليفة،

---

(١) البيتان في ديوان علي ص ١٤٠.

(٢) كتاب المحتضرين ص ٥٩ - ٦٠.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣١.

حدثني أبو الطفيل قال: دعا عليٌّ الناسَ إلىٰ البيعة، فجاءه عبد الرحمن بن ملجم، فردَّه مرتين، ثم أتاه، فقال: ما يحبس أشقاها؟ لتُخضَبنَّ - أو لتُصبَغَنَّ - هذه، يعني لحيته، من هذا. يعني رأسه. ثم تمثَّل بهذين البيتين: اشدُدْ حيازيمك للموت ... الخ.

(فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه) وأمُّها فاطمة الزهراء ﷺ، وقد تقدَّم ذِكرُها (فجعلت تقول: ما لي ولصلاة الغَداة؟ قُتل زوجي أمير المؤمنين) عمر رضي الله عنه (صلاةَ الغداة) كما تقدَّم آنفًا (وقُتل أبي صلاةَ الغَداة) وهذا القول عنها قد تقدَّم في وفاة رسول الله ﷺ(١).

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا الكزبراني، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سليمان بن كثير، عن حصين، عن هلال بن يساف أن عليًّا رضي الله عنه كان يخرج إلىٰ المسجد قبل الفجر فيقول: الصلاة، حتىٰ إذا أنارَ الفجرُ صلىٰ، فبينا هو كذلك ابتدره رجلان أحدهما ابن ملجم والآخَر شبيب ابن بجرة الأشجعي، فضربه أحدُهما علىٰ رأسه، وأخطأه الآخَر، فأُخِذ الضارب، فسمعهم يقولون: ليس عليه بأس. قال: فعلىٰ مَن كانوا يبكون؟ لقد سقيتُ سيفي السمَّ شهرين، ولقد ضربته ضربةً لو قُسمت بين العرب لأفنتْهم. فمات عليٌّ رضي الله عنه من يومه، وقُتل ابن ملجم لعنه الله تعالىٰ(٢).

قال: وحدثنا محمد بن جبلة، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا أبو أسامة، حدثنا أبو طَلْق علي بن حنظلة بن نعيم، عن أبيه قال: لمَّا ضرب ابنُ ملجم عليًّا رضي الله عنه قال: احبِسوه، فإنما هو جرحٌ، فإن برأتُ امتثلتُ أو عفوتُ، وإن هلكتُ قتلتموه. فعجلَ عليه عبدُ الله بن جعفر - وكانت أم كلثوم ابنة علي تحته - فقطع

---

(١) بلفظ: «ما لقيتُ من يوم الاثنين؟ مات فيه جدي رسول الله ﷺ، وفيه قُتل عمر بَعْلي، وفيه قُتل عليٌّ أبي».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب مقتل علي ص ٢٨ (ط - دار البشائر بدمشق) بنحوه.

يديه ورجليه، وفقأ عينيه، وجدعه، وقال له: هاتِ لسانَك. فقال له: إذ صنعتَ ما صنعت فإنما تستقرض في جسدك فاستعِدَّ للقصاص، فأما لساني فدَعْه أذكرُ اللهَ به، فإني لا أخرجه إليك أبدًا. فشقَّ لَحْييه فقطع لسانه، وجعل يجعل المسمار في عينيه، فقال: إنك لتكحلني بمُلْمول ممضٍّ. وكانت أم كلثوم تبكي، فقيل له: ما علىٰ أمير المؤمنين من بأس. فقال: فأم كلثوم علىٰ ماذا تبكي؟ والله ما خانني سيفي، ولا ضعفت يدي[1].

قلت: وأخرجه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة[2] عن محمد بن هارون ابن المجدِّر عن إبراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي أسامة، وفيه: فجاءت أم كلثوم[3] تبكي وتقول: يا خبيث، واللهِ ما ضرَّت أميرَ المؤمنين. فقال: علامَ تبكين يا أم كلثوم، واللهِ ما خانني سيفي، ولا ضعفت يدي.

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة[4]: وأخبرنا أبو محمد يحيىٰ بن محمد بن صاعد، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا أبو أسامة، حدثنا أبو جناب، حدثنا أبو عون الثقفي قال: كنت أقرأ علىٰ أبي عبد الرحمن السلمي، وكان الحسن بن علي يقرأ عليه. قال أبو عبد الرحمن: فاستعمل أمير المؤمنين عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رجلاً من بني تميم يقال له حبيب بن قُرَّة علىٰ السواد، وأمره أن يُدخِل الكوفةَ مَن كان بالسواد من المسلمين. فقلت للحسن بن علي: إنَّ ابن عمٍّ لي بالسواد أحِبُّ أن يُقَرَّ بمكانه. فقال: تغدو علىٰ كتابك قد خُتم. فغدوتُ عليه من الغد، فإذا الناس يقولون: قُتل أمير المؤمنين، قُتل أمير المؤمنين. فقلت للغلام: أتقرِّبني إلىٰ القصر؟ فدخلتُ القصر، فإذا الحسن بن علي قاعد في المسجد في الحجرة، وإذا صوائح، فقال: ادْنُ يا أبا عبد الرحمن. فجلست إلىٰ جنبه، فقال لي:

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مقتل علي ص ٧٦.

(٢) الشريعة ٤/ ٢١٠٧ - ٢١٠٨.

(٣) في الشريعة: زينب بنت علي. وفي الموضع الثاني: علام تبكين يا زينب.

(٤) الشريعة ٤/ ٢١٠٥ - ٢١٠٦.

خرجت البارحة وأمير المؤمنين يصلي في هذا المسجد، فقال لي: يا بني، إني بتُّ الليلة أوقظ أهلي؛ لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر لسبع عشرة من رمضان، فملكتني عيناي، فسنح لي رسولُ الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ماذا لقيتُ من أمّتك الأَوَد واللَّدَد - قال: والأود: العوج، واللدد: الخصومات - فقال لي: ادْعُ عليهم. فقلت: اللهم أبدِلْني بهم مَن هو خير منهم، وأبدِلْهم بي شرًّا. قال: وجاء ابن النباح فآذنَه بالصلاة فخرج، وخرجتُ خلفه، فاعتوره الرجلان، فأما أحدهما فوقعت ضربتُه في الطاق، وأما الآخَر فأثبتها في رأسه.

قال ابن صاعد: قال أبو هشام: قال أبو أسامة: إني لأغارُ عليه كما يغار الرجل على المرأة الحسناء - يعني هذا الحديث - لا تحدِّث به ما دمتُ حيًّا.

ورواه صاحب نهج البلاغة[1]، وفيه: فقلت: أبدلني الله بهم خيرًا منهم، وأبدلهم بي شرًّا لهم مني. ثم قال: وهذا من أفصح الكلام.

(وعن شيخ من قريش أن عليًّا كرَّم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال: فزتُ ورب الكعبة)[2] رواه محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين عن حبيش ابن موسى قال: أخبرنا أبو الحسن المدائني، أخبرني سعيد بن عبد العزيز السلمي قال: قال علي ... فذكره، وزاد: فقال ابن ملجم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

(وعن) أبي جعفر **(محمد بن علي)** بن الحسين بن علي رضي الله عنه **(أنه)** رضي الله عنه **(لما ضُرب أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ «لا إله إلا الله» حتى قُبض)** رواه ابن أبي الدنيا[3] عن عبد الله بن يونس بن بكير، عن أبيه، عن أبي عبد الله الجُعْفي، عن

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/ ٢٣٨.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٦٠ - ٦١، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/ ٥٦١ وابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ١١٤.

(٣) كتاب المحتضرين ص ٦١.

جعفر بن محمد بن علي[١]. ولم يقل: عن أبيه.

وأما وصيَّته لبنيه فرواها أبو بكر ابن أبي شيبة عن ابن فضيل بن غزوان عن جعفر بن محمد قال: أوصىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين حضرته الوفاة: هذا ما أوصىٰ به علي بن أبي طالب: أوصىٰ أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كلِّه، وأن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، ثم إني أوصيك يا حسن وجميع أهلي ومَن بلغه كتابي بأن تتَّقوا الله حق تُقاته ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون، واعتصِموا بحبل الله جميعًا، ثم إني أوصيكم بالجار، فإن نبيَّ الله ﷺ ما زال يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورِّثه، اللهَ اللهَ في القرآن، لا يسبق [بالعمل] به غيرُكم، اللهَ اللهَ في الصلاة، فإنها عمود دينكم، اللهَ اللهَ في صيام رمضان، فإن الصبر علىٰ صيامه نجاة من النار، اللهَ اللهَ في الجهاد بأموالكم وأنفسكم، وقولوا للناس حُسنًا، ائتلِفوا ولا تختلفوا[٢].

(**ولما ثقلَ الحسنُ بن علي** عليهما السلام) ذلك من سمٍّ سقته زوجتُه (**دخل عليه**) أخوه (**الحسين** رضي الله عنه) فرآه قد جزِعَ (**فقال: يا أخي، لأيِّ شيء تجزع؟ تقدُم علىٰ رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وهما أبواك، وعلىٰ خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أمَّاك، وعلىٰ حمزة وجعفر وهما عمَّاك. قال: يا أخي، أقدُم علىٰ أمر لم أقدُم علىٰ مثله**)[٣].

---

(١) تحرفت العبارة علىٰ الشارح، فعند ابن أبي الدنيا: (عن جابر عن محمد بن علي). فيكون الحديث عن محمد بن علي، كما ذكره الغزالي. وكذا رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/ ٥٦٣ من طريق ابن أبي الدنيا.

(٢) رواه بسياق أطول: ابن أبي الدنيا في مقتل علي ص ٤٦ - ٤٧ عن محمد بن علي الباقر، والطبراني في المعجم الكبير ١/ ٩٧ - ١٠٥ عن إسماعيل بن راشد.

(٣) ذكره يحيىٰ بن معين في تاريخه برواية الدوري ٣/ ٥٠٦، ورواه عنه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٣١٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٧. ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين =

رواه أبو نعيم في الحلية[١] بلفظ: لمَّا اشتدَّ [المرض] بالحسن بن علي جزعَ، فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محمد، ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن تفارق روحُك جسدَك فتقدُم علىٰ أبويك علي وفاطمة، وعلىٰ جدَّيك النبي ﷺ وخديجة، وعلىٰ أعمامك حمزة وجعفر، وعلىٰ أخوالك القاسم والطيِّب وإبراهيم ومطهَّر، وعلىٰ خالاتك رقيَّة وأم كلثوم وزينب. قال: فسُرِّي عنه.

وقال القشيري في الرسالة[٢]: لما حضرت الحسنَ بن علي الوفاةُ بكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أقدُم علىٰ سيد لم أرَه.

وقال ابن أبي الدنيا[٣]: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثني أحمد بن عبد الجبار، حدثنا سفيان بن عيينة، عن رقبة بن مصقلة قال: لما احتضر الحسن ابن علي قال: أخرِجوا فراشي إلىٰ صحن الدار. قال: فرفع رأسه إلىٰ السماء ثم قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعزُّ الأنفُس عليَّ.

= ص ١٧٤ عن محمد بن علي الباقر بلفظ: «لما أن حضر الحسن ابن علي الموت بكىٰ بكاء شديدا، فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي؟ وإنما تقدم علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ علي وفاطمة وخديجة، وهم ولدوك، وقد أجرىٰ الله لك علىٰ لسان نبيه أنك سيد شباب أهل الجنة، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلىٰ بيت الله علىٰ قدميك خمس عشرة مرة حاجا. وإنما أراد أن يطيب نفسه، فوالله ما زاده إلا بكاء وانتحابا، وقال: يا أخي، إني أقدم علىٰ أمر عظيم وهول لم أقدم علىٰ مثله قط».

(١) ليس المراد بأبي نعيم هنا صاحب الحلية، وإنما هو الفضل بن دكين، وقد رواه عنه هكذا ابن عساكر في تاريخ دمشق١٣/ ٢٨٦.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٥٠١. وأورده الراغب في محاضرات الأدباء ٢/ ٤٨٤ بلفظ: «بكىٰ الحسن بن علي، فقيل له: ما يبكيك وقد ضمن لك رسول الله ﷺ الجنة؟ فقال: إني أسلك طريقا لم أسلكها، وأقدم علىٰ سيد لم أره».

(٣) كتاب المحتضرين ص ١١٣. ورواه في محاسبة النفس ص ١٢٦ بهذا الإسناد، ولكن فيه (فإني لم أصب بمثلها) بدل قوله: فإنها أعز الأنفس علي. ووقع عند الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٦٩ وعنه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٨: «أخرجوني إلىٰ الصحراء لعلي أنظر في ملكوت السموات. يعني الآيات».

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا محمد بن أبي صفوان الثقفي، قال الأصمعي، عن أبي هلال الراسبي قال: لما احتضر الحسن بن علي قال: لقد سُقيتُ السم ثلاث مرات، ما منهن واحدة بلغت مني ما بلغت هذه، لقد تقطَّعتْ كبدي(١).

قال: وحدثني هلال بن العلاء، حدثنا عمرو بن عثمان الكلابي، حدثنا عبيد الله بن عمرو قال: نُعي الحسن بن علي إلىٰ معاوية وابن عباس ببابه، فحُجبَ حتىٰ أخذ الناس مجالسهم، ثم أذنَ له، فقال: أعظمَ اللهُ أجرك يا ابن عباس. قال: فيمَن. قال: في الحسن بن علي. قال: إذًا لا يزيد موتُه في عمرك، ولا يدخل عمله عليك في قبرك، وقد فقدنا مَن هو أعظم منه قدرًا وأجلُّ منه أمرًا فأعقب اللهُ عقبىٰ صالحة(٢). وخرج ابن عباس وهو يقول:

---

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ١/ ٢٣٣: «ذكر أبو زيد عمر بن شبة وأبو بكر بن أبي خيثمة قالا: حدثنا موسىٰ بن إسماعيل قال: حدثنا أبو هلال، عن قتادة قال: دخل الحسين علىٰ الحسن فقال: يا أخي، إني سقيت السم ثلاث مرار، لم أسقَ مثل هذه المرة، إني لأضع كبدي. فقال الحسين: من سقاك يا أخي؟ قال: ما سؤالك عن هذا؟ أتريد أن تقاتلهم؟ أكلهم إلىٰ الله. فلما مات ورد البريد بموته علىٰ معاوية، فقال: يا عجبا من الحسن، شرب شربة من عسل بماء رومة فقضىٰ نحبه. حدثني عبد الوارث، حدثنا قاسم، حدثنا عبد الله بن روح، حدثنا عثمان بن عمر بن فارس قال: حدثنا ابن عون، عن عمير بن إسحاق قال: كنا عند الحسن بن علي، فدخل المخرج ثم خرج، فقال: لقد سقيت السم مرارا، وما سقيته مثل هذه المرة، لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبها بعود معي. فقال له الحسين: يا أخي، من سقاك؟ قال: وما تريد إليه؟ أتريد أن تقتله؟ قال: نعم. قال: لئن كان الذي أظن فالله أشد نقمة، ولئن كان غيره ما أحب أن تقتل بي بريئا». وقد رواه مطولا ومختصرا: عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٤٥٢، والحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٢٠٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٨، وابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١١٣ - ١١٤، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ٢٩١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ ٢٩٦ عن سلام أبي المنذر قال: قال معاوية لابن عباس: مات الحسن بن علي. ليبكته بذلك، فقال: لئن كان مات فإنه لا يسد بجسده حفرتك، ولا يزيد موته في عمرك، ولقد أصبنا بمن هو أشد علينا فقدا منه فجبر الله مصيبتنا.

أصبـح اليـوم ابـن هنـد شـامتًا　　ظاهـر النخـوة أنْ مـات حسـن
ولقـد كـان عليـه عمـره　　مثـل رضـوىٰ وثبيـر وحَضَـن
فارتـع اليـوم ابـن هنـد آمنًـا　　إنمـا يغمـص بالعَيْـر السِّـمَن
واتـقِ الله وأظهِـرْ توبـةً　　إن مـا كان كشـيء لـم يكـن[1]

(وعن محمد بن الحسين) وفي بعض النسخ: الحسن (قال: لمَّا نزل القوم) وهم عسكر عبيد الله بن زياد (بالحسين رضي الله عنه) وذلك بكربلاء (وأيقن أنهم قاتِلوه قام في أصحابه خطيبًا، فحمد اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: قد نزل من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيَّرت وتنكَّرت وأدبر معروفُها وانشمرت حتىٰ لم يبقَ منها إلا كصبابة الإناء، ألا حسبي من عيش كالمرعىٰ الوبيل، ألا ترون الحق لا يُعمَل به، والباطل لا يُتناهَىٰ عنه؛ ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالىٰ، وإني لا أرىٰ الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا جرمًا)[2] قال محمود بن محمد بن الفضل[3] في كتاب المتفجعين: حدثنا عبيد الله بن محمد، حدثنا محمد بن خلف، حدثنا نصر ابن مزاحم العَطَّار، عن أبي مخنف، حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم قال: سمعت الحسين بن علي رضي الله عنه وقد أحاطوا به [يقول]: اللهم احبِسْ عنهم قطر السماء، وامنعْهم بركات الأرض، وإن متَّعتَهم إلىٰ حين ففرِّقْهم فِرَقًا، ومزِّقْهم مزقًا، واجعلهم طرائق قِدَدًا، ولا تُرْضِ عليهم الولاةَ أبدًا، فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا. وضارَبَ حتىٰ كفَّهم عنه، ثم تعادَوا عليه فقتلوه.

---

(١) هذه القصة أوردها ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ١٧٤ - ١٧٥ (ط - مكتبة الحياة) ولكنه نسب الأبيات لقثم بن العباس.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٢٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٧.

(٣) ومن طريقه رواه ابن العديم في بغية الطلب ٦/ ٢٦١٨، وابن الشجري في الأمالي الخميسية ١/ ١٨٤. ورواه أيضا الطبري في تاريخ الرسل والملوك ٥/ ٤٥١.

قال: وحدثنا الكزبراني، حدثنا أبو ربيعة فهد بن عون العامري، حدثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن قال: لمَّا خرجت جيوش ابن زياد مع عمر ابن سعد إلىٰ الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ توجَّه الحسينُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يريد الشام، فتلقَّته خيولُهم، فنزل عند كربلاء، فناشدهم اللهَ والإسلام أن سيِّرونا إلىٰ يزيد فأضع يدي في يده. فأبوا عليه إلا حكم ابن زياد. قال حصين: فحدثني سعد بن عبيدة السلمي قال: إني لأنظر إلىٰ الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يكلِّمهم، وإني لأنظرُ إليه وعليه جُبَّة من برود، فلما كلَّمهم انصرف، فرماه عمير الطهاوي بسهم، فإني لأنظرُ إلىٰ السهم بين كتفيه متعلِّقًا في جُبَّته، ورجع إلىٰ مَصافِّه، وإنهم لَقريبٌ من مائة رجل فيهم لصلب عليٍّ خمسة، ومن بني هاشم ستة عشر، ومنهم حليف لهم من بني سُلَيم. قال: فحدثني سعد بن عبيدة قال: إنَّا لَمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد أتاه رجل فسارَّه، فقال: قد أرسل إليك حوثرة بن بدر التميمي، وأمره ابن زياد إن لم تقاتل يضرب عنقك. فوثب إلىٰ فرسه يقاتلهم، فجيء برأس الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ ابن زياد فوُضع بين يديه، فجعل يقول بقضيب معه: أرىٰ أبا عبد الله قد شمطَ. وانطلق ابنان لعبد الله بن جعفر فلجآ إلىٰ رجل من طيئ، فذبحهما وجاء برؤوسهما حتىٰ وضعهما بين يدي ابن زياد، فأمر بضرب عنقه، وأمر بداره فهُدمت. قال حصين: لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنَّما تلطَّخ الحيطان بالدماء ساعة تطلع الشمس حتىٰ ترتفع[1].

قال: وحدثنا أبو فروة، حدثنا أبو الجواب، حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن بعجة قال: أول ذلٍّ دخل علىٰ الإسلام قتلُ الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وادِّعاء معاوية زيادًا[2].

(١) رواه ابن العديم في بغية الطلب ٦/ ٢٦٣٨ - ٢٦٣٩. ورواه الطبري في تاريخه ٥/ ٣٩١ - ٣٩٣ بسياق أطول.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٣١٣، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٣٢، وابن العديم في بغية الطلب ٦/ ٢٦٤٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩/ ١٧٩، وابن الشجري في الأمالي الخميسية ١/ ١٦٦.

الباب الخامس:

في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

(لما حضرت معاويةَ بن أبي سفيان الوفاةُ قال: أقعِدوني. فأُقعِد، فجعل يسبِّح الله تعالىٰ ويذكره، ثم بكىٰ وقال: تذكر ربَّك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط؟ ألا كان هذا وغصن الشباب نضرٌ ريَّان؟ وبكىٰ حتىٰ علا بكاؤه وقال: يا رب، ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي: اللهم أَقِل العثرةَ، واغفر الزَّلَّة، وعُدْ بحِلمك علىٰ مَن لم يَرْجُ غيرَك ولم يثق بأحد سواك) قال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا العتبي، عن عتبة ابن هارون، عن مَسلمة بن محارب، عن داود بن أبي هند قال: تمثَّل معاوية عند موته:

هو الموت لا مَنجا من الموت والذي نحاذر بعد الموت أدهىٰ وأفظعُ

اللهم فأَقِل العثرةَ، واعْفُ عن الزَّلَّة، وعُدْ بحلمك علىٰ مَن لم يَرْجُ غيرَك ولم يثق إلا بك، فإنك واسع المغفرة، يا رب ليس لذي خطيئة مهرب إلا إليك. قال داود: فبلغني أن ابن المسيب قال حين بلغه ذلك: لقد رغب إلىٰ مَن لا مرغوب إليه مثله كرمًا، وإني لأرجو له [أن لا يعذبه الله][(١)].

قال: وحدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا الوليد بن هشام بن قحذم قال: لما

(١) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله ص ٧٢. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٢٧ عن أبي عمرو بن العلاء قال: لما حضرت معاوية الوفاة قيل له: ألا توصي يا أمير المؤمنين؟ فقال: هو الموت ... الخ البيت، ثم قال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك، فما وراءك مذهب. ثم مات.

احتضر معاوية جعل بناته يقلِّبنه وهو يقول: إنكن لتقلِّبن حُوَّليًا قُلَّبيًا إن نجا من عذاب الله غدًا. ثم تمثَّل:

لا يبعدنَّ ربيعة بن مكدم وسقىٰ الغوادي قبره بذنوب[1]

قال: وحدثنا مَسلمة بن عبد الملك بن يزيد، حدثني عمِّي الوليد بن يزيد قال: لما احتضر معاوية تمثَّل:

بكىٰ الحارث الجولان من فقدِ أهله فحوران منه موحش متضايقُ

(ورُوي عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه في مرضه) الذي توفي فيه (فرأوا في جلده غضونًا) أي تكسُّرًا (فحمد اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعد، فهل الدنيا أجمع إلا ما جرَّبنا ورأينا، أما واللهِ لقد استقبلنا زهرتَها بجدتنا) أي بنشاطنا (وباستلذاذنا بعيشنا، فما لبثت الدنيا أنْ نقضت ذلك منا حالاً بعد حال، وعروة بعد عروة، فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلقتنا واستلأمت إلينا، فأفٍّ للدنيا من دار، ثم أفٍّ لها من دار) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين[2].

(ويُروَىٰ أن آخر خطبة خطبها معاوية أنْ قال: أيها الناس، إني من زرع قد استحصد، وإني قد وُلِّيتكم، ولن يليكم أحدٌ من بعدي إلا وهو شرٌّ مني كما كان مَن قبلي خيرًا مني، ويا يزيد) يعني ولده (إذا وفىٰ أجلي فولِّ غسلي رجلاً لبيبًا، فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسلَ، وليجهر بالتكبير، ثم اعمدْ) أي اقصدْ (إلىٰ منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي ﷺ وقُراضة من شعره وأظفاره، فاستودِع

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٦٢، ٦٣، ٧٠ من عدة طرق بألفاظ مختلفة. ورواه الخطابي في غريب الحديث ٢/ ٥٢٧ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٢٥، دون الشعر. وقد اختلف في نسبة هذا البيت، فنسبه بعضهم لحسان بن ثابت، وبعضهم لعمرو بن شقيق الفهري (وهو الأرجح)، وبعضهم لمكرز بن حفص الفهري، وبعضهم لضرار بن الخطاب الفهري. انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٦/ ٣٩. معجم الشعراء للمرزباني ص ٥٧.

(٢) كتاب المحتضرين ص ٦٦.

القُراضةَ أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل الثوب علىٰ جلدي دون أكفاني، ويا يزيد احفظْ وصيَّة الله في الوالدين، فإذا أدرجتموني في جديدي ووضعتموني في حفرتي فخلُّوا معاوية وأرحم الراحمين) قال ابن أبي الدنيا(١): حدثني هارون بن سفيان، عن عبد الله السهمي، حدثنا ثُمامة بن كُلثوم أن معاوية قال: يا يزيد، إذا وفىٰ أجلي فولِّ غسلي رجلاً لبيبًا ... فذكره الخ، وفيه: فخلُّوا بين معاوية وأرحم الراحمين.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن علي بن ميمون العطَّار، حدثنا أبو طاهر موسىٰ بن محمد بن عطاء المقدسي، حدثنا خالد بن يزيد بن صالح المري، عن يونس بن حلبس، عن الضحَّاك بن قيس قال: شهدت معاوية وهو يموت فقال: لقد أردفني رسول الله ﷺ، ثم التفت إليَّ فقال: «ألا أكسوك قميصًا»؟ قلت: نعم. فخلع قميصه وكساني، فلبستُه، ثم نزعته، فدفعتُه إلىٰ رملة بنت معاوية، وشهدت رسولَ الله ﷺ وقد قصَّ من شعره وأظفاره، فأخذه ودفعه إليَّ، فجعلته في صرَّة وختمت عليه ودفعته إلىٰ رملة. ثم قال: «إذا مت فاجعلوا قميصي الذي كسانيه رسولُ الله ﷺ ممَّا يلي جلدي، وخُذوا أظفاره وشعره فاحشوا بها أنفي وفمي وعيني. ثم بكىٰ وبكينا، فلما مات معاوية فعلنا ذلك(٢).

(وقال محمد بن عقبة) القاضي الشامي، روىٰ له ابن ماجه **(لما نزل بمعاوية الموتُ قال: يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طُوىٰ)**: موضع بمكة **(وأني لم ألِ**

---

(١) السابق ص ٦٨.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٦/ ٣٠ من طريق الأوزاعي وعلي بن مجاهد عن عبد الأعلىٰ بن ميمون بن مهران عن أبيه قال: قال معاوية في مرضه الذي مات فيه: كنت أوضئ رسول الله ﷺ، فقال لي: «ألا أكسوك قميصا»؟ قلت: بلىٰ بأبي أنت وأمي. فنزع قميصا كان عليه فكسانيه، فلبسته لبسة ثم رفعته، وقلم أظفاره، فأخذت القلامة فجعلتها في قارورة، فإذا مت فاجعلوا قميص رسول الله ﷺ يلي جلدي، وقطعوا تلك القلامة واسحقوها واجعلوها في عيني فعسىٰ [الله أن يرحمني ببركتها]. ومن طريق ابن سعد رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٢٧. ورواه أيضا البلاذري في أنساب الأشراف ٥/ ١٦٠، والطبري في تاريخ الرسل والملوك ٥/ ٣٢٦ - ٣٢٧.

من هذا الأمر شيئًا) رواه ابن أبي الدنيا[(١)].

وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا علي بن عثمان النُّفَيلي، حدثنا أبو مُسهِر، حدثنا خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح المري، حدثني أبي، حدثني سعيد بن حُرَيث قال: لمَّا كانت الغَداة التي مات معاوية في ليلتها فزع الناس إلىٰ المسجد، ولم يكن خليفة بالشام قبله مات، فكنت فيمَن أتىٰ المسجدَ، فلما ارتفع النهار وهم يبكون في الخضراء، وابنه يزيد غائب في البَرِّيَّة وهو وليُّ عهده، وخليفته يومئذٍ علىٰ دمشق الضحَّاك بن قيس الفِهْري، إذ قعقعَ بابُ النحاس الذي يخرج منه إلىٰ المسجد من الخضراء، فدلف الناسُ إلىٰ المقصورة، ودنوتُ فيمَن دنا منهم إليها، فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا رجل علىٰ يده اليسرىٰ ثياب ملفوفة، فإذا هو الضحَّاك بن قيس الفِهري، فدنا من المنبر فاتَّكأ عليه بيده اليسرىٰ، ودنا الناسُ منه، فحمد اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: يا أيها الناس، إني قائل لكم قولاً، فرحم الله امرءًا وعَىٰ ما سمع مني ولم يزدْ فيه ولم ينقُص، تعلمون أن معاوية كان حدَّ العربِ، مكَّن الله له في البَر والبحر، وأذاقكم معه الخفضَ والطمأنينة ولذاذة العيش - وأهوَىٰ بيده إلىٰ فيه - وإنه قد هلك رحمة الله عليه، وهذه أكفانه علىٰ يدي، ونحن مدرجوه فيها ودافِنوه وإيَّاها، ومخلون بينه وبين ربِّه، ثم هي واللهِ البلايا بعده والملاحم والفتن وما توعَدون إلىٰ يوم القيامة. ثم دخل الخضراء، ثم خرج لصلاة الظهر، فصلىٰ بنا الظهر، ثم خرجوا بجنازة معاوية فدفنوه[(٢)].

وممَّن يلحق به ولدُه يزيد وحفيده معاوية بن يزيد، قال محمود بن محمد ابن الفضل: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الكزبراني، حدثنا الحسن بن محمد ابن أعين، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مروان، عن أبيه قال: قال عامر بن مسعود الجُمَحي: كنا جلوسًا في مجلس عند الكعبة إذ مر بنا بريد ينعىٰ

---

(١) كتاب المحتضرين ص ٧٣.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٣٣.

معاويةَ، فقلت لأصحابي: قوموا بنا إلىٰ ابن عباس - وهو يومئذٍ بمكة، وقد كُفَّ بصره - فنكون أول مَن يخبره فنسمع ما يقول، فأتيناه فاستأذنَّا عليه فدخلنا، فإذا بين يديه خوان عليه الكفرَّىٰ، ولمَّا يوضَع الخبز، فسلَّمنا وقلنا: هل أتاك الخبرُ يا ابن عباس؟ قال: وما هو؟ قلنا: بريد ينعىٰ معاوية. فقال: ارفعْ خُوانَك يا غلام. ثم ظلَّ واجمًا، كئيبًا، مطأطئًا رأسه، لا يتكلم طويلاً، ثم رفع رأسه وقال:

جبـل تزعـزع ثـم مـال بركنـه في البحـر لا رتقـت عليـه الأبحُـرُ

ثم قال: اللهم فإنك أوسعُ لمعاوية، أما واللهِ ما كان مثل مَن كان قبله، ولا يكون بعده مثله، وإن ابنه هذا من صالحي أهل بيته لقومه، وما نحن وبنو عمِّنا هؤلاء إلا كعضوي لقمان، قتل صاحبَنا غيرُهم وقتل صاحبَهم غيرُنا فأُغروا بنا وأُغرينا بهم، أما واللهِ ما أغراهم بنا إلا أنهم لم يجدوا مثلَنا، وما أغرانا بهم إلا أنَّا لم نجد مثلَهم، وقد قال الأول: ألطمك لأني لم أجد مثلك، فاتقوا الله يا معشر فتيان قريش، ولا تقولوا: ذهب جدُّ بني أمية، ذهب لعمرُ الله جدُّهم وبقيت بقيةٌ هي أكثر مما مضىٰ، الزموا منازَلكم، وأدُّوا بيعتكم. قرِّبْ خُوانَك يا غلام. فإنَّا لَنتغدَّىٰ إذ جاء رسول أمير مكة يقول: يدعوك الأمير للبيعة. قال: وما تصنعون برجل قد ذهب منه ما تخافون؟ قل له: افرغْ مما عندك، فإذا سهُلَ المَمْشَىٰ [إليك] أتيتك فصنعتُ ما تريد. فلما خرج الرسول قلنا: يا ابن عباس، أتبايع يزيدَ وهو يشرب الخمر؟ فقال: أين ما قلتُ لكم آنفًا؟ تسمعون ولا تعون، كم من شارب للخمر وشرٌّ منه مَن لا يشرب الخمر، ستبايعونه علىٰ ما أراد حتىٰ يُصلَب مصلوب قريش. فرجع الرسول فقال: إنه لا بد أن تأتيه. قال: يا نوار، هاتي ثيابي إن كان لا بد، وما تصنعون برجل ذهب منه ما تخافون؟ امتنعِوا ممَّا قد أظلَّكم صبَّحكم أو مسَّاكم يذلُّكم. ثم قام وقمنا معه فأتينا الأميرَ فبايعه وبايعناه[1].

---

(١) القصة في كتاب أخبار الدولة العباسية (مجهول المؤلف) ص ١٢٣ - ١٢٤ [ط - دار الطليعة ببيروت]. وأوردها البلاذري في أنساب الأشراف ٥/ ٣٠٢ باختصار.

وقال هشام ابن الكلبي: عن عوانة: لما احتضر يزيد بن معاوية قال:

لعَمْري لقد عُمِّرتُ في المُلك بُرهةً ودانت لي الدنيا بوَقْع البَواتِرِ
فأضحىٰ الذي قد كان قبلُ يسرُّني كحُلم مضىٰ في المزمنات الغَوابرِ
فيا ليتني لم أغنَ في الناس ساعةً ولم أغنَ في لذَّات عيشٍ مفاخرِ
وكنتُ كذي طِمْرين عاش ببُلغة من العيش حتىٰ صار رهن المقابر[1]

وقال الزبير بن بكَّار: حدثني محمد بن الضحَّاك بن عثمان، عن أبيه قال: لمَّا حضرت معاويةَ بن يزيد الوفاةُ قيل له: اعهدْ. قال: لا أتزوَّد مرارَتها وأترك لبني أمية حلاوتَها[2]. وكان ناسكًا، وقال: ليتني كنت حيضة ولم أعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق نارًا يعذِّب بها مَن عصاه.

(ولما حضرت عبدَ الملك بن مروان) بن الحكم بن أبي العاص الأموي **(الوفاةُ نظر إلىٰ غسَّال بجانب دمشق يلوي ثوبًا بيده ثم يضرب به المَغسلة، فقال عبد الملك: ليتني كنت غسَّالاً آكل من كسب يدي يومًا بيوم ولم ألِ من أمر الدنيا شيئًا. فبلغ ذلك أبا حازم)** سلمة بن دينار الأعرج المدني التابعي **(فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنَّون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموتُ لم نتمنَّ ما هم فيه)** رواه أبو الحسن المدائني عن سعيد بن بشير عن أبيه أن عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاةُ قال: أشرِفوا بي علىٰ الغوطة. ففعلوا، فرأىٰ غسَّالاً يلوي ثوبًا، فقال: يا ليت أني كنت غسَّالاً لا أعيش إلا بما كسبتُ يومًا يومًا. فبلغت كلمتُه

---

(١) هذه الأبيات أوردها ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٧٢ من قول معاوية بن أبي سفيان، مع اختلاف في بعض الألفاظ، وزاد بعد البيت الأول:

وأعطيت جم المال والحلم والنهىٰ وسلم قماقيم الملوك الجبابر

ومن طريق ابن أبي الدنيا رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٩/ ٢١٨. وأوردها ابن عساكر في موضع آخر ٣٧/ ١٥٠ من قول عبد الملك بن مروان.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٠/ ١٥، ٥٦/ ٢٩٧.

أبا حازم فقال ... فساقه[١].

(وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ **الآية** [الأنعام: ٩٤] **ومات)** رواه ابن أبي الدنيا[٢].

قال صاحب كتاب صفوة التاريخ[٣]: يقال: هو آخر كلام سُمِع منه.

وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا علي بن عثمان النُّفَيلي، حدثنا أبو مُسهِر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: دعا عبدُ الملك بن مروان بطعامه، فوُضع بين يديه، ثم قال: ائذنوا لأبي هاشم خالد بن يزيد بن معاوية. قالوا: أوَ لم يمتْ؟ قال: ائذنوا لأبي عثمان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد. قالوا: أوَ لم يمت؟ قال: ائذنوا لأبي زُرعة روح بن زِنباع. قالوا: أوَ لم يمت؟ وقد علم بموتهم، ولكن أراد أن يتَّعظ، فقال: ارفعوا الطعام. ثم انتحب مليًّا وقال:

ذهبتْ لِداتي وانقضت آثارُهم ... وغَبَرْتُ بعدهم ولستُ بغابرِ
وغبرتُ بعدهم فأسكن مرةً ... بطنَ العقيق ومرةً بالظاهرِ

فلم يَحُلْ عليه الحولُ[٤].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٧٤، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ١٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧/ ١٥٧ - ١٥٨. وأورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ١٣٢، والراغب في محاضرات الأدباء ١/ ١٧٤، والطرطوشي في سراج الملوك ص ٤١ - ٤٢.

(٢) كتاب المحتضرين ص ٧٦ عن أبي مسهر الدمشقي.

(٣) اختصر فيه القاضي الجرجاني تاريخ ابن جرير الطبري، وهو مفقود لا عين ولا أثر، والله المستعان وحده، وقد ذكر المسعودي هذا في مروج الذهب ٣/ ١٣٤ وغيرُه أيضًا.

(٤) رواه بنحوه: البيهقي في الزهد الكبير ص ٢٥٠، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات ٢/ ١٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٢٩٤ - ٢٩٥. ورواه أيضا قاسم بن ثابت السرقسطي في الدلائل =

وقال أيضًا: حدثنا محمد بن علي بن بكر النحوي، حدثنا عمر بن خالد العثماني، حدثنا شيبة بن الوليد، عن عمِّه قال: حضرتُ موتَ عبد الملك، فلما دفنَّاه قام عبد الرحمن بن خالد بن يزيد علىٰ قبره فبكىٰ ثم قال: أنت عبد الملك الذي كنت تَعِدُني فأرجوك وتوعِدني فأخافك، أمسيتَ وما لك من الأرض العريضة التي ملكتَها بالسيف إلا قيد مضجعك، ولا من أموالك التي تملَّكتَها بالغلبة إلا ثوباك، إنَّ الذي يغترُّ بالدنيا بعدك لَمغرورٌ. وكان الشعبي حاضرًا فأعجبه(١).

وقال أيضًا: حدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا الأصمعي قال: أُثيرت صخرة أيامَ عبد الملك، فوجدوا عليها مكتوبًا:

ومَن يحمد الدنيا لأمر يسرُّه ... فسوف لعَمْري عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت عناءً وحسرةً ... وإن أقبلت كانت كثيرًا همومُها

فأُخبِر بذلك عبد الملك، فجعل يبكي(٢).

وقال أيضًا: حدثنا عبيد الله بن محمد بن سليمان بن أبي شيخ، حدثنا محمد بن الحكم الشيباني، عن عوانة قال: لما قتل عبدُ الملك مصعبَ بن الزبير تلقَّاه أهل الكوفة بالنخيلة، فأقبل علىٰ الهيثم بن الأسود وعمرو بن حُرَيث يحدِّثهما، فجعل عمرو يقول: هذا منزل بناه زياد، وهذه مقصورة بناها زياد، وهذا

= في غريب الحديث ص ٣٧٩ - ٣٨٠، إلا أنه زاد بعد البيتين:

العيش منقطع وإن أحببته ... والموت موردة الهيوب النافر

ماء بمنقطع الموارد كلها ... فالبر وارد حوضها والفاجر

ولقد علمت لأشربن بجمة ... يوما ولست إذا وردت بصادر

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان ص ٧٣ (ط - مؤسسة الرسالة) عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. ومن طريق ابن أبي الدنيا رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦/ ٧٤ وابن الجوزي في المنتظم ٦/ ٢٩٠.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٢٣٠. وهذان البيتان ينسبان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهما في ديوانه ص ٩٢، مع اختلاف.

بناه المختار. فتمثَّل عبدُ الملك:

وكل جديـد يـا أُمَيـم إلـىٰ البِلَـىٰ   وكل امرئ يومًا يصير إلىٰ كان[١]

وقال له الهيثم: يا أمير المؤمنين، رأيت ابن زياد في هذا المجلس ورأس الحسين بين يديه، ثم رأيت المختار جالسًا ورأس بن زياد بين يديه ثم رأيت مصعبا جالسا فيه ورأس المختار بين يديه وهذا رأس مصعب بين يديك فوجم لها عبد الملك[٢].

وقال أبو الحسن المدائني: عن أبي زكريا العجلاني: كان عبد الملك يقول: أخاف الموت في شهر رمضان، فيه وُلدت، وفيه فُطمت، وفيه ختمت القرآن، وفيه بويع لي بالخلافة، فأنا أخاف الموتَ فيه. فمات في شوَّال حين أمنَ الموتَ في نفسه ووثَقَ بالحياة[٣].

وكان يقول: لله درُّ ابن قَمِيئة حيث يقول:

كأنّي وقد خلَّفتُ سبعين حجةً   خلعتُ بها عن منكبي ردائيا

ويتمثَّل:

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الاعتبار ص ٧٥ بنحوه.

(٢) ذكر الدميري في حياة الحيوان الكبرىٰ ١/ ٩٩ أنه في سنة إحدىٰ وسبعين، وهي السنة التي قتل فيها عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير، هدم عبد الملك قصر الإمارة بالكوفة، وسبب هدمه أنه جلس ووضع رأس مصعب بين يديه، فقال له عبد الملك بن عمير: يا أمير المؤمنين، جلست أنا وعبيد الله بن زياد في هذا المجلس ورأس الحسين بين يديه، ثم جلست أنا والمختار بن أبي عبيد فإذا رأس عبيد الله بن زياد بين يديه، ثم جلست أنا ومصعب هذا فإذا رأس المختار بين يديه، ثم جلست مع أمير المؤمنين فإذا رأس مصعب بين يديه، وإني أعيذ أمير المؤمنين بالله من شر هذا المجلس. فارتعد عبد الملك، وقام من فوره، وأمر بهدم القصر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في المنتظم ٦/ ٢٧٧ والبلاذري في أنساب الأشراف ٧/ ٢٦٩. زاد ابن الجوزي: «وفيه أعذرت، وفيه احتلمت».

رمتني سهامُ الدهر من حيث لا أرىٰ فكيف بمَن يُرمَىٰ وليس برامِ
فلو أنها نبلٌ إذًا لاتَّقيتُها ولكنَّما أُرمَىٰ بغير سهام
فأفنَىٰ وما أُفنِي من الدهر ليلةً ولم يغنِ ما أفنيتُ سلكَ نظامِ(١)

فقال له الشعبي: أفلا كما قال لبيد:

باتت تشكَّىٰ إليَّ الموتَ مجهشةً وقد حملتُك سبعًا بعد سبعينا
فإن تزيدي ثلاثًا تبلغي أملاً وفي الثلاث وفاءٌ للثمانينا

ولما بلغ التسعين قال:

كأنِّي وقد خلَّفت تسعين حِجةً خلعتُ بها عن منكبي رِدائيا(٢)

فقال عبد الملك: فأين قول الذي يقول(٣):

تطارحني يومٌ جديد وليلة هما أبليا عظمي وكل امرئ بالي
وما لليالي لا يغيِّرنَ صورتي وأبلينَ أعمامي وأبلينَ أخوالي
إذا ما سلختُ الشهرَ أهللتُ مثله كفىٰ قاتلاً سلخ الشهور وإهلالي(٤)

وقال محمود بن محمد: حدثني أحمد بن أبي طاهر، حدثنا الزبير بن بكَّار،

---

(١) هذه الأبيات الثلاثة والبيت قبلها لعمرو بن قميئة، وهي في ديوانه ص ٤٤ - ٤٧ (ط - معهد المخطوطات العربية) مع اختلاف يسير.

(٢) الأبيات الثلاثة في ملحق ديوان لبيد ص ٢٢٥. والبيت الثالث ينسب أيضا إلىٰ زهير بن أبي سلمىٰ، وهو في ديوانه ص ١٤٠ من قصيدة يقال إنها لصرمة بن أبي أنس الأنصاري.

(٣) البيت الأول والثالث - مع اختلاف يسير - في ديوان عمرو بن الأهتم ص ٩٧ - ٩٨ (ط - مؤسسة الرسالة). وهما في كتاب الأيام والليالي لابن أبي الدنيا ص ٣٩ (ط - دار ابن حزم) منسوبان للمغيرة ابن حبناء التميمي [من شعراء الدولة الأموية].

(٤) القصة في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٥/ ٢٥٦ بنحوها عن عبد الله بن عياش. وأوردها أيضا ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧/ ١٥٩ - ١٦٠، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٢/ ٣٦٩ - ٣٧٠.

حدثني عمِّي مصعب[١] ومحمد بن الضحَّاك عن أبيه قال: دخل أرطاة بن سُهَيَّة المُرِّي علىٰ عبد الملك، فقال له: أنشِدْني من شعرك. فأنشده:

رأيتُ المرء تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطةَ الحديد
وما تبغي المنيةُ حين تأتي ... علىٰ نفس ابن آدم من مزيد
وأعلمُ أنها ستكُرُّ حتىٰ ... توفِّي نذرَها بأبي الوليد[٢]

فوجم لها عبدُ الملك وقال له: وما أنت وذِكري في شعرك. قال: ما أردتُ واللهِ إلا نفسي يا أمير المؤمنين، أنا أبو الوليد. فقال عبد الملك: إني واللهِ أبو الوليد. وجمع أصابعه في صدره[٣].

قال الزبير[٤]: سرق أرطاة هذا المعنىٰ من منظور بن زبَّان الفزاري، قال زبَّان:

لئنْ فُجِّعتُ بالقُرَناء يومًا ... لقد مُتِّعتُ بالأمل البعيد
وما عند المنية فوق نفسي ... ولا نفس الأحبَّة من مزيد
خُلِقنا أنفسًا وبني نفوس ... ولسنا بالجبال ولا الحديد

وقال محمود: حدثنا ابن الهيثم قال: قال العتبي: لما احتضر عبد الملك ابن مروان تسطَّح علىٰ فراشه ثم قال: يا دنيا، ما أطيب روحك ونسيمك، يا أهل العافية، لا تستقلُّوا شيئًا منها. حتىٰ سمع كلامه مَن كان خارج القصر[٥]. ثم أنشد:

---

(١) هو مصعب بن عبد الله الزبيري، العلامة النسابة، روىٰ عن مالك وابن أبي حازم وغيرهم، له كتاب في النسب معروف، انظر: الجرح والتعديل ٨/ ٣٠٩، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٢.

(٢) الأبيات في ديوان أرطأة بن سهية ص ٨٧ - ٨٨ (ط - جامعة البتراء الأردنية).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في العمر والشيب ص ٦٥ عن محرز بن جعفر. ورواه أيضا المرزباني في كتاب الموشح في مآخذ العلماء علىٰ الشعراء ص ٢٨١ - ٢٨٢ (ط - دار الكتب العلمية).

(٤) رواه عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٨/ ٥.

(٥) رواه أبو الحسن المدائني في كتاب التعازي ص ٩٦ (ط - دار البشائر). وأورده البلاذري في أنساب الأشراف ٧/ ٢٦٨، والزمخشري في ربيع الأبرار ٣/ ١٦١.

ومَن يُبْقِ مالاً عُدَّةً وصيانةً فلا الشُّح يبقيه ولا الدهر وافرُه

ومَن يكُ ذا عود صليب يعدُّه ليكسر عودَ الدهرِ فالدهرُ كاسرُه[1]

وممَّن يُلحَق به سليمان بن عبد الملك بن مروان. قال الواقدي: حدثنا داود ابن خالد، عن سهيل بن أبي سهيل - وكان خيارًا غَزَّاء - عن رجاء بن حيوة قال: دخلت علىٰ سليمان بن عبد الملك وقد احتضر، فوجدته قد ثقلَ وأخذته غشيةٌ، فحرفته إلىٰ القبلة، فأفاق فقال: يا رجاء، لم يأنِ لذلك بعدُ. ثم كانت ثانيةٌ، فذهبت لأحرفه فقال: يا رجاء، لم يأنِ لذلك بعدُ. ثم أغمي عليه ثالثة، فقال: يا رجاء، إن كنتَ تريد أن تحرفني إلىٰ القِبلة فمن الآن، اللهم تجاوزْ عن ذنوبي، فإني أشهد أن لا إله إلا أنت. ثم مات[2].

وقال أبو الحسن المدائني: عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: لما احتضر سليمان بن عبد الملك قال:

إنَّ بنـيَّ صِبيـةٌ صغـارُ أفلـحَ مَـن كان لـه كبـارُ

فقال له عمر بن عبد العزيز: ﴿أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلىٰ: ١٤ - ١٥] فقال سليمان:

إن بنـيَّ صبيـة صيفيُّـون أفلـح مَـن كان لـه رِبْعيـون

إن بنـيَّ صبيـة أطفـال أفلـح مَـن كان لـه رجـال

فقال عمر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ وتلا الآيات، فقال سليمان: اللهم أسألك منقلَبًا كريمًا. ثم قضىٰ[3].

---

(١) البيتان لتوبة بن الحمير الخفاجي، وهما في ديوانه ص ٤٦ (ط - دار صادر).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٣٣١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/ ١٦٤، والطبري في تاريخه ٦/ ٥٥١ - ٥٥٢. وليس عندهم (اللهم تجاوز عن ذنوبي).

(٣) رواه أبو العباس المبرد في التعازي والمراثي ص ١٣٤ (ط - دار الكتب العلمية). ورواه ابن =

وقال محمود بن محمد: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا عبد الله بن هانئ، حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب قال: خطب سليمان بن عبد الملك بدابِق فقال في خطبته: لست بضرع صغير ولا هم كبير، قد سُسْنا وساسَنا السائسون. ثم نزل، فما أتت عليه جمعةٌ حتىٰ مات.

(**وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز**) وابنة عمِّه: (**كنت أسمع عمر**) رحمه الله تعالىٰ (**في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخْفِ عليهم موتي ولو ساعة من نهار. فلما كان اليوم الذي قُبض فيه خرجتُ من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب، وهو في قبَّة له، فسمعته يقول:** ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٨٣] **ثم هدأ**) أي سكن صوتُه (**فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلامًا، فقلت لوصيف له: انظر أنائم هو. فلما دخل صاح، فوثبتُ فإذا هو ميت**) رواه أبو نعيم في الحلية[1] قال: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا ابن المبارك، عن جرير بن حازم، عن المغيرة بن حكيم قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر قالت: كنت أسمع عمر كثيرًا يقول: اللهم أخْفِ عنهم موتي ولو ساعة. فقلت له يومًا: لو خرجتُ عنك فقد سهرتَ يا أمير المؤمنين لعلك تغفىٰ. فخرجتُ إلىٰ جانب البيت الذي كان فيه، فسمعتُه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ الآية، فجعل يردِّدها، ثم أطرق، فلبثت ساعةً ثم قلتُ لوصيف له كان يخدمه: ادخل فانظر. قالت: فدخل فصاح، فدخلتُ فإذا هو قد أقبل بوجهه إلىٰ القبلة وغمض عينيه بإحدىٰ يديه، وضمَّ فاه بالأخرىٰ.

(**وقيل له لمَّا حضره الموتُ: اعهدْ يا أمير المؤمنين. قال: أحذِّركم مثل**

= أبي الدنيا في المحتضرين ص ٨٠ – ٨١ عن معاذ بن معاذ العنبري وبعض أهل العلم.

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٥ من طريق ابن المبارك كما ترىٰ وهو في الزهد ٨٨٧.

مصرعي هذا، فإنه لا بد لكم منه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين[١].

(ورُوي أنه لمَّا ثقلَ عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ (دُعي له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرىٰ الرجل قد سُقي السم، ولا آمَنُ عليه الموتَ. فرفع عمر) رحمه الله تعالىٰ (بصره وقال: ولا تأمن الموتَ أيضًا علىٰ مَن لم يُسْقَ السم. قال الطبيب: هل حسستَ بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قد عرفت ذلك حين وقع في بطني. قال: فتعالج يا أمير المؤمنين؟ فإني أخاف أن تذهب نفسُك. قال: ربِّي خير مذهوب إليه، واللهِ لو علمتُ أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعتُ يدي إلىٰ أذني فتناولتُه، اللهم خِرْ لعمر في لقائك. فلم يلبث إلا أيامًا حتىٰ مات) رواه ابن أبي الدنيا[٢] عن محمد بن الحسين، حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي، حدثنا أبو زيد الدمشقي قال: لمَّا ثقُلَ عمر بن عبد العزيز دُعي له طبيب ... فساقه. ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات[٣] من طريقه.

(وقيل: لمَّا حضرته الوفاةُ بكىٰ، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشِرْ، فقد أحيا الله بك سننًا، وأظهر بك عدلاً. فبكىٰ، ثم قال: أليس أُوقَف فأُسئل عن أمر هذا الخَلق؟ فواللهِ لو عدلتُ فيهم لخفتُ علىٰ نفسي أن لا تقوم بحُجَّتها بين يدي الله، إلا أن يلقِّنها الله حُجَّتها، فكيف بكثير ممَّا صنعنا؟ وفاضت عيناه فلم يلبث إلا يسيرًا حتىٰ مات)[٤] وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا الميموني، حدثني عبد الله بن كريم، عن أبي المليح، عن ميمون بن مهران قال: كان أكثر دعاء عمر بن عبد العزيز بالموت، فقلت له: لا تفعل، فقد أحيا الله بك سننًا وأمات بك

---

(١) كتاب المحتضرين ص ٨٢ عن عمرو بن قيس السكوني، وزاد: «وإذا وضعتموني في قبري فانزعوا عني لبنة، ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه».

(٢) السابق ص ٨٢ - ٨٣.

(٣) الثبات عند الممات ص ١٥٠.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٨٣ عن يحيىٰ بن أبي كثير، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٥٤.

بدعًا. فقال: أفلا أكون كالعبد الصالح حين جمع الله شمله وأقرَّ عينه قال: رب توفَّني مسلمًا وألحِقْني بالصالحين[(١)].

قال الميموني: وحدثني أبي، عن عمِّه عمرو، عن أبيه ميمون قال: رأيت عمر بن عبد العزيز في مرضه وأكثرُ دعائه الموت ... فساقه نحوه، وزاد: فلما حضره الموتُ قال له مَسلمة بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، إنَّا لا نُصِيب لك بدينارين إلا كفنًا غليظًا، فازدَدْ علىٰ ذلك. فقال: جِئني به يا مسلمة. فنظر إليه ساعةً ثم قال: إن يكن لي عند ربِّي خيرٌ فلن يرضىٰ لي به حتىٰ يبدلني خيرًا منه، وإن كان عليَّ ساخطًا فيوشك أن يسلبه أعنف السلب، ثم ما لي كسوة إلا النار، أعوذ بالله من سوء القضاء.

(ولمَّا قرُبَ وقتُ موته قال: أجلِسوني. فأجلَسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصَّرتُ، ونهيتني فعصيتُ - ثلاث مرات - ولكن لا إله إلا الله. ثم رفع رأسه فأحَدَّ النظرَ، فقيل له في ذلك، فقال: إني لأرىٰ حضرةً ما هم ناس ولا جن. ثم قُبض) رواه أبو نعيم في الحلية[(٢)] عن أبي حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا عباس بن أبي طالب، حدثنا الحارث بن بهرام، حدثنا النضر، حدثني الليث بن أبي رقية قال: لما كان عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي قُبِض فيه قال: أجلِسوني. فأجلسوه ... فساقه، إلا أنه لم يقل: ثلاث مرات[(٣)].

ورواه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين عن محمد بن جبلة، حدثنا يحيىٰ ابن بكير، حدثنا الليث قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز حين احتضر قال لمَن عنده: اخرجوا عني، فإني أرىٰ وجوهًا ليست بوجوه جن ولا إنس. فخرجوا،

(١) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ٥/ ١٨٢، والثعالبي في المحاسن والأضداد ص ٢٥٤ (ط - مطبعة السعادة).

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٥.

(٣) وهي عند ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص ٨٤.

فسمعوه يقول: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا ﴾ الآية، ثم دخلوا فوجدوه مغمض العينين مسجًّىٰ موجَّهًا.

ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات[1] فقال: أخبرنا محمد بن الحسين الحاجي، أخبرنا أبو الحسين ابن المهتدي، أنبأنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن جامع، أنبأنا محمد بن سعيد الحَرَّاني، حدثنا هلال بن العلاء، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن بن عون الرَّقِّي، عن عبيدة بن حسان قال: لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال: اخرجوا عني فلا يبقىٰ عندي أحدٌ. فخرجوا فقعدوا علىٰ الباب، فسمعوه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جان. ثم قال: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ الآية. ثم هدأ الصوت، فقال مسلمة لفاطمة: قد قُبِض صاحبك. فوجدوه قد قُبض وغُمِّض وسُوِّي.

وقال [محمود]: حدثنا الميموني، حدثنا يحيىٰ بن بُكَير، حدثنا الليث، حدثني فَضالة بن أبي سعيد قال: سمعت عمر بن عبد العزيز علىٰ المنبر يقول: يا أهل الشام، إنه قد بلغني عنكم أحاديثُ، وما أنا بالراجي لخيركم، ولا بالآمن من شرِّكم، ولقد مللتموني ومللتكم، فأراحكم الله مني وأراحني منكم. ثم نزل عن المنبر، فما علاه حتىٰ مات[2].

قال: وحدثني الميموني، حدثنا الواقدي، حدثني محمد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن محمد بن عبدٍ القاريِّ أن عمر بن عبد العزيز أوصىٰ بشعر من شعر رسول الله ﷺ وأظفار من أظفاره أن يُجعَل في كفنه، ففعلوا[3].

وقال الميموني: حدثني عبد الله بن كريم، عن أبي المليح قال: أراد أهلُه أن يأخذوا ماءه ليُروه الياذق الطبيبَ، فأبَىٰ عليهم، حتىٰ أخذوه في طست، ثم جُعل في

(١) الثبات عند الممات ص ١٥٠.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٨٣.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٣٩٤.

زجاجة، فأتوا به الياذدق وهو لا يعرفه، وقد غدا الناسُ عليه بمياه مرضاهم، فجعل يصف لكل إنسان ما يعالَج به، فلما نظر إلىٰ ماء عمر قال: سبحان الله! يا غلام، إنَّ في هذا الماء لَعجبًا، هذا ماء رجل نقب الحزنُ عن كبده.

قال محمود بن محمد: وحدثنا محمد بن جبلة، حدثنا يحيىٰ بن بكير، حدثنا الليث، عن يحيىٰ بن سعيد قال: كان من دعاء عمر بن عبد العزيز: رب رَضِّني بقضائك وبارِكْ لي في قَدَرك حتىٰ لا أحب لِما عجَّلتَ تأخيرًا ولا لِما أخَّرتَ تعجيلاً. حتىٰ مات، وإنه لَيقولُ: لقد أصبحت وما لي في الأمور هوًىٰ إلا في مواقع قضاء الله فيها(١).

وممَّن يُلحَق به جماعةٌ من هذا البيت، قال محمود بن محمد: حدثنا محمد ابن جبلة، حدثنا ابن عائشة أن هشام بن عبد الملك لما احتضر نظر إلىٰ أهله وحشمه يبكون عليه، فقال لهم: جادَ لكم هشام بالدنيا وجُدْتم عليه بالبكاء، فترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما احتمل، ما أعظم منقلَبك يا هشام إن لم يغفر لك ربُّك الغفور الرحيم(٢).

وقال أبو الحسن المدائني: عن عمرو بن مروان قال: لمَّا أحيطَ بالوليد بن

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله بقضائه ص ٧٥ والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٩٣ - ٣٩٤ من طريق إسحاق بن محمد الفروي، حدثنا مالك، عن يحيىٰ بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كان يقول: لقد تركني هؤلاء الدعوات، وما لي في شيء من الأمور كلها أردت إلا في مواقع قدر الله. وكان كثيرا ما يدعو بها: اللهم رضني بقضائك وبارك لي في قدرك حتىٰ لا أحب تعجيل شيء أخرته، ولا تأخير شيء عجلته.

(٢) رواه بنحوه: الزبير بن بكار في الأخبار الموفقيات ص ٣٨٥، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٧/ ١٩٠، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٦٨، وابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٨٧. ورواه المعافىٰ بن زكريا في الجليس الصالح الكافي ٢/ ٣٨٦ وزاد في أوله: «قال هشام يوما وهو يسير في موكبه: يا لك من دنيا ما أحسنك لولا أنك ميراث لآخرتك وآخرك كأولك. فلما حضرته الوفاة ...» فذكره.

يزيد وعلمَ أنه مقتول وضع المصحف في حجره وقال: يوم كيوم عثمان. فقتلوه واحتزُّوا رأسه(١).

قال: وحدثتني عالية السوداء عن فاطمة بنت عبد الملك قالت: دخلتُ علىٰ يزيد بن الوليد وهو يموت، فسألتُه عن وجعه، فأومأ إلىٰ أرنبته، فقلت: يا يزيد ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾ [آل عمران: ٦٠] فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم. فكان آخر ما كلَّمني به حتىٰ فارق الدنيا.

قال محمود: وحدثنا الحسن بن بِشر بن الأخنس الأسدي، عن عبد الصمد، عن عبيد بن الضحضح الأسدي قال: كنت مع مروان بن محمد ببوصير(٢) حين لحقته خيول المسودة، فدَعَوه بالأمان فلم يقبل، وشدَّ عليه ثوبَه، وجعل يحمل وهو يقول:

أذلُّ الحياة وهول الممات ... وكلاًّ أراه وخيمًا وبيلا
فإن كان لابـد إحداهما ... فسيري إلىٰ الموت سيرًا جميلا(٣)

إلىٰ أن قُتل، قتله رجل من أهل الكوفة يقال له أبو رمَّانة، وعلىٰ الجيش عامر ابن إسماعيل المُسْلي(٤).

---

(١) ذكره ضمن خبر طويل: أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٧/ ٥٨ - ٦١، والطبري في تاريخ الرسل والملوك ٧/ ٢٤٣ - ٢٤٧، وابن الجوزي في المنتظم ٧/ ٢٤٨ - ٢٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٣/ ٣٣٧ - ٣٤٠، والبلاذري في أنساب الأشراف ٩/ ١٧٤ - ١٧٩.

(٢) بوصير: قرية تقع بين محافظتي الفيوم وبني سويف بمصر.

(٣) البيتان لبشامة بن عمرو الغطفاني، ويقال له بشامة بن الغدير، وهو خال زهير بن أبي سلمىٰ. طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ص ١٩٨ (ط - دار الكتب العلمية). أنساب الأشراف للبلاذري ١٣/ ١٣٣. ربيع الأبرار للزمخشري ٢/ ٣٤٨. معجم البلدان لياقوت ٣/ ٣٧٤. مختارات شعراء العرب لابن الشجري ص ٦٣ - ٦٤ (ط - دار الجيل).

(٤) انظر قصة مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في: تاريخ الرسل والملوك للطبري ٧/ ٤٣٧ - ٤٤٢، البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٥٤ - ٢٦٦، الكامل لابن الأثير ٥/ ٧٣ - ٧٧، المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٣٠١ - ٣٠٣.

مضتْ بنو أمية، وشرع المصنِّف في بني العباس. قال أبو الحسن المدائني: عن بكر بن عبد الله قال: دخلت علىٰ أمير المؤمنين أبي العباس، فلقيني الطبيبُ فقال: أصبح أمير المؤمنين صالحًا. فقلت: يا أمير المؤمنين، قد بشَّرني الطبيب بصلاحك. فقال: كيف يكون صالحًا مَن هذا حاله؟ ورفع يده اليمنىٰ بيده اليسرىٰ فتناثر لحمُها علىٰ النطع. قال: وجعل يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع يحيىٰ بن محمد بأهل الموصل، ومما صنع عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس، ومما صنع داود بن علي بكداء والطائف[1].

وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا محمد بن موسىٰ بن داود العمي، حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي، حدثني أبي قال: شهدت موتَ أبي جعفر المنصور، فدخلت عليه أنا ومحمد بن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، فوجدناه قلِقًا، وقال: إذا كان غدًا نقلني الفرَّاشون نحو الطائف، فما أحبُّ أن أقيم عليلاً في الحرم. كأنَّه استوبأها، ورجا إن نقلتُه تكسبه عافيةً، ثم غدونا عليه، فإنَّا لَوقوفٌ علىٰ بابه إذ خرج أبو العنبر الخادم وجيبه مشقوق، وعلىٰ رأسه التراب، وهاج، فدخلنا فإذا هو علىٰ سريره مكشوف الوجه، فدفنَّاه ببئر ميمون[2].

وقال محمد بن موسىٰ العمي: حدثني علي بن محمد العمي، حدثني أبي قال: شهدتُ موتَ المنصور، فقال له عيسىٰ بن ماهان جدُّ ربيعة: اعهدْ لابنك المهديِّ. فقال: تريدونني علىٰ مثل ما عمل عبدُ الملك بن مروان؟ حسبي ما جنيت علىٰ نفسي، ويكفيني ما تقلَّدتُ من هذا الأمر وما في عنقي. ثم مات.

---

(١) رواه البلاذري في أنساب الأشراف ٤/ ٢٣٨ مختصرا فقال: «حدثني أبو الحسن المدائني قال: قال لأبي العباس بعض عمومته: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فقال الطبيب: أصبح صالحا. فسلت ذراعه بيده فتناثر لحمه وقال: كيف يكون صالحا من هذه حاله»؟ ولم يذكر قوله: اللهم إني أبرأ ... الخ.

(٢) هذه القصة ذكرها مطولة: الطبري في تاريخ الرسل والملوك ٨/ ١١٠ - ١١٢، وابن الجوزي في المنتظم ٨/ ٢٠٦ - ٢٠٧، وابن الأثير في الكامل ٥/ ٢٢٥ - ٢٢٦.

وقال العمي: عن عبيد الله بن سعد، عن صالح صاحب المصلَّىٰ، عن علي ابن يقطين قال: تغدَّينا مع المهدي في وقت الضحىٰ، ثم نهض إلىٰ رواق فنام فيه، وتنحَّينا فنمنا، فانتبهنا ببكائه، فدخلنا فزعين، وسألناه عن ذلك، فقال: قام علىٰ باب البهو شيخٌ لو كان بين ألف إنسان عرفتُه، فقال:

كأني بهذا البهو قد باد أهلُه   وأوحشَ منه ركنُه ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة   ومُلْك إلىٰ رَمْس عليه جنادله
فلم يبقَ إلا ذِكره وحديثُه   تنادي بليل معوِلات ثواكله

قال: فسلَّيناه، فلم يلبث إلا قليلا حتىٰ خرج للصيد، فاتَّبع طريدةً فسقط، وأقبل فرسُه عائدًا، فنظرناه فإذا هو ميت[1].

وقال صاحب صفوة التاريخ: كان سبب موت المهدي فيما حُكي أن جارية حسناء أهدت إلىٰ طلة ضَرَّتها جامًا فيه قطائف مسمومة، فمُرَّ بالجام عليه، فدعا بها، فأخذ قطيفة منها فعضَّها وابتلع منها لقمة ثم ردَّها وقال: احذروا أن تأكلوا منه شيئًا فإنه مسموم. ودعا بكلب فأطعمه باقي القطيفة التي أكل منها، فمات الكلب من ساعته، فأشيرَ علىٰ المهدي أن يشرب من السمن ما أمكنه ويتقيَّأ، ففعل، وسكن عنه بلا قذف بعضُ ما كان يجده، وصلىٰ بأصحابه الظهر والعصر والمغرب والعشاء الأخيرة، ثم التفت إليهم فقال: أستودعكم اللهَ، وإليه أرغب في حُسن الخلافة عليكم، وأعظمَ اللهُ أجرَكم في خليفتكم. فارتاعوا لذلك وقالوا: نرجو أن يكون يومنا قبل يومك. فقال: حدثني المنصور أن أباه محمد بن علي حدثه عن أبيه عن عبد الله بن عباس أنه لمَّا نزلت سورة «إذا جاء نصر الله والفتح» قال رسول الله ﷺ: «نُعيتْ إليَّ نفسي». قال المهدي: فكنت منذ سمعتُ هذا الحديث أتجنَّب

---

(١) ذكره الطبري في تاريخه ٨/ ١٧٠ بنحوه. وذكره أيضا المسعودي في مروج الذهب ٣/ ٢٦٧. ورواه بنحوه الخطيب في تاريخ بغداد ١/ ٣٩٤. وانظر: الكامل لابن الأثير ٥/ ٢٥٩ - ٢٦٠، المنتظم لابن الجوزي ٨/ ٣١٥ - ٣١٦، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٥٥٠ - ٥٥٢.

قراءةَ هذه السورة في العلَّة، فلما بُليت في يومي هذا بأكل هذا الطعام ثم صلَّيت بكم الظهر فأُنسيتُ جميع ما أنزل الله بعد أم الكتاب خلا هذه السورة، فقرأتها وتطيَّرتُ، ثم صلَّيت الركعة الثانية، فواللهِ ما انطلق لساني بغيرها، ثم كانت حالي في العصر والمغرب والعشاء مثل حالي في الظهر، فقلت: إن نفسي قد نُعيتْ إليَّ. فلما انتصف الليلُ مات.

(وحُكي عن هارون الرشيد أنه انتقَىٰ أكفانَه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾)[1] [الحاقة: ٢٨ - ٢٩] وكانت وفاته بطوس سنة ١٩٣.

وروىٰ علي بن محمد النوفلي، عن ابن جامع المروزي، عن أبيه قال: كنت فيمَن جاء بأخي رافع بن الليث إلىٰ الرشيد، فأدخلناه إليه وهو علىٰ سريره، والمرآة في يده، وهو يقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. ما أشد ما قد أثَّرت فيَّ العلةُ. ثم نظر إلىٰ أخي رافع فقال: إني لأرجو كما لم تفتني أن لا يفوتني أخوك، واللهِ لو لم يبقَ من أجلي إلا أن أحرِّك شفتيَّ بقتلك لقلت: اقتلوه. ثم دعا بقَصَّاب فقال: لا تشحذْ مُداك، وفَصِّلْه عضوًا عضوًا، وعجِّلْ، لا يحضرني أجلي وعضو من أعضائه في جسده. ففصَّله حتىٰ جعله أشلاء، ثم قال: اعددْ ما فصَّلتَ منه. فإذا هي أربعة عشر عضوًا، فرفع يديه فقال: اللهم كما أمكنتني من ثأرك فمكِّني من أخيه. ثم مات بعد ساعة[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٨٨ عن مسرور الخادم قال: أمرني هارون أمير المؤمنين لما احتضر أن آتيه بأكفانه، فأتيته بها، فجعل ينتقيها علىٰ عينه، ثم أمرني فحفرت قبره، ثم أمر فحمل إليه، فجعل يتأمله ويقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ ويبكي، ثم تمثل ببيت شعر.
وانظر: مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٣٠٢. تاريخ دمشق لابن عساكر ٧٣/ ٣٢٢. التذكرة للقرطبي ص ١٦٦.

(٢) القصة بسياق مقارب في: تاريخ الرسل والملوك للطبري ٨/ ٣٤٢. المنتظم لابن الجوزي ٩/ ٢١٦. البداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ٢٥. تجارب الأمم وتعاقب الهمم لمسكويه ٤/ ١٦ - ١٨ =

وقال العمِّي: حدثني كهلان، عن أبي الخطاب قال: أخبرني مَن شهد موتَ الرشيد قال: لما اشتدَّ به الوجعُ قال لعمر بن سادر: اخرجْ إلىٰ العراق، وامْضِ منها إلىٰ الأهواز فاقتضِ أموالَ جبريل بن بختيشوع ومال فرج الزنجي ومال هارون بن أبان، فأرجو أن تكون عوضًا عن الأموال التي أنفقناها في سفرنا هذا، واعلمْ أني في أثرك لا بد لي من أن أنحدر إلىٰ البصرة فأطلب أحمد بن عيسىٰ الطالبي فأقتله، ثم أعبرُ إلىٰ عُمان فأطلب بدم عيسىٰ بن جعفر بن سليمان، فإنه لم يَطُلْ دمُ رجل من أهل البيت قط. ومات بعد أربع ليالٍ.

(**وفرش**) عبد الله (**المأمون**) ابن الرشيد (**رمادًا واضطجع عليه، وكان يقول: يا مَن لا يزول مُلكُه ارحمْ مَن قد زال مُلكُه**)[1] وكانت وفاته سنة ٢١٨.

(**وكان المعتصم**) بالله أبو إسحاق محمد بن هارون (**يقول عند موته: لو علمتُ أن عمري هكذا قصير ما فعلتُ ما فعلت**)[2] وكان قد استُخلِف عند موت أخيه المأمون، وتوفي سنة ٢٢٧، وكانت خلافته تسع سنين، وعمره ثمانية وأربعون سنة.

(**وكان المنتصر**) بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل أبي الفضل جعفر ابن المعتصم (**يضطرب علىٰ نفسه عند موته، فقيل له: لا بأس عليك يا أمير**

= (ط - دار سروش بطهران). غرر الخصائص الواضحة لأبي إسحاق الوطواط ص ٥٢٠ (ط - دار الكتب العلمية).

(١) ذكره ابن العمراني في الإنباء في تاريخ الخلفاء ص ١٠٣ (ط - دار الآفاق العربية) وعبارته: «لما كان في يوم الثلاثاء السادس عشر من رجب اشتدت علته، وكان نازلا في دار خاقان المفلحي خادم الرشيد المرابط بطرسوس، فأمر أن يفرش له الرماد وينقل عن الفرش التي كان نائما عليها ويوضع علىٰ الرماد عريانا، ففُعل به ذلك، وكان يتقلب علىٰ الرماد ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه. وتوفي من ساعته».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٨٩. وأورده الطبري في تاريخه ٩/ ١١٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٧٣/ ٢٤٣، وابن الجوزي في المنتظم ١١/ ١٢٨.

المؤمنين. فقال: ليس إلا هذا، لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة)[١] وكانت ولايته في الليلة التي قُتل فيها أبوه المتوكل، ووفاته سنة ٢٤٨، ومدة خلافته ستة أشهر.

(وقال عمرو بن العاص) رضي الله عنه **(في الوفاة وقد نظر إلىٰ صناديق لبنيه: مَن يأخذها بما فيها؟ ليته كان بعرا)**[٢] رواه هشام بن الكلبي عن صالح بن كيسان.

وقال أبو الحسن المدائني: أخبرني إسحاق بن أيوب قال: لما حُضر عبد الله ابن عبد الملك بُشِّر بمجيء مال له كان بمصر، فقال: ما لي وله؟ ليته كان بعرًا حائلاً بنجد[٣].

(وقال الحجاج) بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي **(عند موته: اللهم اغفرْ لي، فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي)** وهذا لِما كان فيه من سوء السيرة، وثقل الوطأة، وقبح السياسة، وعسف الرعية، والتهاون بالدماء وشدة الإقدام علىٰ سفكها، علىٰ ما قد عُرف وشُهر، وأُحصيَ مَن قتل صبرًا سوىٰ مَن قتل في عساكره وبعوثه فوُجِدوا مائة وخمسين ألفًا، ومات في حبسه خمسون ألفًا من الرجال، وثلاثون ألفًا من النساء، وكان حبسه فضاء مكشوفًا ليس فيه سقف يُظِلُّ ولا شيء يستر من شمس ولا مطر ولا حر ولا قرٍّ، وكان هلاكه لأربع بقينَ من رمضان سنة ١٩٥ عن ثلاث وخمسين سنة بواسط، ولما أتىٰ الوليدَ بن عبد الملك نعيُه وجمَ لذلك وقال: يرحمك الله أبا محمد، واللهِ لأشفعنَّ لك عند الله يوم القيامة **(فكان عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله **(تعجبه هذه الكلمةُ منه ويغبطه عليها)** رواه أبو نعيم في الحلية[٤]

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٨٩ عن عبد الله بن هارون بن معمر التغلبي.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٩٤ عن الحسن البصري. ورواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٥٥٦ عن قتادة بلفظ: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال: كيلوا مالي. فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مدا، فقال: من يأخذه بما فيه؟ يا ليته كان بعرا.

(٣) رواه المبرد في التعازي والمراثي ص ١٣٦. ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٩٩ عن حماد بن موسىٰ الخشني. وفيه أن مقدار هذا المال ثلاثمائة مدي ذهب.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٣٤٥، ولفظه: «قال عمر بن عبد العزيز: ما حسدت الحجاج عدو الله علىٰ =

(ولمَّا حُكي ذلك للحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ **(قال: أقالها؟ قيل: نعم. قال: عسىٰ)**(١) أي أن يُغفَر له، أي نظرًا إلىٰ حُسن ظنِّه بالله عَزَّوَجَلَّ.

قال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا عبيد الله بن محمد، حدثنا علي ابن الجعد، أخبرنا الماجشون، عن الزهري قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما آسَىٰ إلا علىٰ كلمة بلغني أن الحجاج قالها عند موته: اللهم اغفرْ لي، فإن الناس يزعمون أنك لا تغفر لي.

قال: وحدثنا علي بن عثمان النُّفَيلي، حدثنا أبو مُسهِر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما حسدتُ أحدًا علىٰ شيء قط إلا الحجاج، حسدتُه علىٰ اثنتين: حبه للقرآن وإعطائه عليه، وقوله عند موته: اللهم إن الناس يزعمون أنك لا تغفر لي، فاغفرْ لي.

قال: وأخبرنا حبيش بن موسىٰ، أخبرنا المدائني، عن جويرية أن الحجاج قال عند الموت: اللهم اغفر لي، فإن هؤلاء يزعمون أنك لا تغفر لي. فبلغت الحسنَ كلمتُه قال: أوَ قالها؟ قالوا: نعم. قال: عسىٰ.

قال: وحدثنا عبد الله بن الهيثم قال: أخبرنا الوليد بن هشام قال: لمَّا احتضر الحجاج جعل يقول: لئن كنتُ علىٰ ضلالة لبئس حين المَنزع، ولئن كنت علىٰ هدًىٰ لبئس حين المجزع(٢).

= شيء حسدي إياه علىٰ حبه القرآن وإعطائه أهله، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل».

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١٠١.

(٢) هذه الأخبار الأربعة رواها كمال الدين ابن العديم في بغية الطلب ٥/ ٢٠٩٠ - ٢٠٩١ من طريق محمود بن محمد بن الفضل.

بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم من أهل التصوُّف ﷺ أجمعين

ذكر فيه من الصحابة معاذًا وسلمان وبلالاً ﷺ، ونحن نزيد بعون الله تعالىٰ ما وصل إلينا عن غيرهم، قال: (**لمَّا حضرت معاذَ** بن جبل ﷺ **الوفاةُ قال: اللهم إني قد كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار**) كذا في النسخ، وفي بعضها: لكري الأنهار. أي حفرها وإجرائها (**ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حِلَق الذِّكر**) رواه أحمد في الزهد[1] فقال: حدثنا شجاع بن الوليد، عن عمرو بن قيس، عمَّن حدثه عن معاذ بن جبل قال لما حضره الموتُ: انظروا أصبحنا. فأُتي فقيل له: لم تصبح. فقال: انظروا أصبحنا. فأُتي فقيل له: لم تصبح. حتىٰ أُتي في بعض ذلك فقيل له: قد أصبحتَ. فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلىٰ النار، مرحبًا بالموت مرحبًا زائر مُغِبٌّ، حبيب جاء علىٰ فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك ... فذكره.

ورواه أبو نعيم في الحلية[2] وابن الجوزي في كتاب الثبات[3] من هذا الوجه.

(**ولمَّا اشتدَّ به النزعُ ونزعَ نزعًا لم ينزعه أحدٌ فكان كلَّما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال: رب اخنقني خنقك، فوعزَّتك إنك تعلم أن قلبي يحبك**) رواه أبو نعيم في الحلية[4] قال: حدثنا أبو جعفر اليَقطيني، حدثنا الحسين بن عبد الله القَطَّان، حدثنا

---

(١) الزهد ص ١٤٨.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٣٩.

(٣) الثبات عند الممات ص ١١٨ - ١١٩.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٤٠.

عامر بن سَيَّار، حدثنا عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن ابن غُنْم، عن الحارث بن عميرة قال: قال معاذ حين طُعن واشتدَّ به النزعُ نزع الموت فنزعَ نزعًا لم ينزعه أحدٌ، فكان كلَّما أفاق ... فذكره.

ورواه ابن أبي الدنيا[1] عن محمد بن الحسين، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ، حدثنا شيبان، عن الأعمش، عن شهر بن حوشب، عن الحارث بن عميرة الزَّبيدي قال: إني لَجالسٌ عند معاذ بن جبل وهو يموت، فهو يغمىٰ عليه مرةً ويفيق [مرةً] فسمعتُه يقول عند إفاقته: اخنقْ خنقَك، فوعزَّتك إني أحبك.

ورواه ابن الجوزي[2] من طريقه.

وقال ابن سعد في الطبقات[3]: أخبرنا عبيد الله بن موسىٰ، أخبرنا موسىٰ بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع قال: لـمَّا أصيبَ أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذَ بن جبل واشتدَّ الوجعُ، فقال الناس لمعاذ: ادْعُ اللهَ يرفع عنا هذا الرِّجز. قال: إنه ليس برجز، ولكنه دعوة نبيِّكم، وموت الصالحين قبلكم، وشهادةٌ يختصُّ اللهُ بها مَن شاء منكم، اللهم آتِ آلَ معاذ نصيبَهم الأوفىٰ من هذه الرحمة. فطُعن ابناه، فقال: كيف تجدانكما؟ قالا: يا أبانا ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٧] فقال: وأنا ستجداني إن شاء الله من الصابرين. ثم طُعنت امرأتاه فهلكتا، وطُعن هو في إبهامه، فجعل يمصُّها بفيه ويقول: [اللهم] إنها صغيرة، فبارِكْ فيها، فإنك تبارك في الصغير. حتىٰ هلك.

ورواه أبو نعيم بالسند السابق من طريق الحارث بن عميرة قال: طُعن معاذ وأبو عبيدة وشُرَحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد، فقال معاذ: إنه رحمة ربِّكم، ودعوة نبيِّكم، وقبضُ الصالحين قبلكم، اللهم آتِ آلَ معاذ النصيبَ

---

(١) كتاب المحتضرين ص ١١١.

(٢) الثبات عند الممات ص ١١٨.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٥٤٤، ٩/ ٣٩٢.

الأوفر من هذه الرحمة. فما أمسىٰ حتىٰ طُعن ابنه عبد الرحمن بِكرُه الذي كان يكنَّىٰ به وأحب الخَلق إليه، فرجع من المسجد فوجده مكروبًا، فقال: يا عبد الرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له فقال: يا أبتِ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين. فأمسكه ليلةً، ثم دفنه من الغد.

(ولمَّا حضرت سلمانَ) رضي الله عنه **(الوفاةُ بكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا علىٰ الدنيا، ولكن عهدَ إلينا رسولُ الله ﷺ أن تكون بُلغةُ أحدنا من الدنيا كزاد الراكب. فلما مات سلمان نُظِر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا)** قال العراقي[١]: رواه أحمد والحاكم وصحَّحه، وقد تقدم[٢].

قلت: رواه أبو نعيم في الحلية[٣] فقال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن شعيب التاجر، حدثنا محمد بن عيسىٰ الدامغاني، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: دخل سعد علىٰ سلمان يعوده، فقال: أبشِرْ أبا عبد الله، توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ. قال: كيف يا سعد وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لتكنْ بُلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب».

كذا رواه الدامِغاني عن جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، وقال أبو معاوية وغيره: عن الأعمش عن أبي سفيان عن أشياخه.

حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد، حدثنا عبد الله بن شيرويه، حدثنا إسحاق ابن راهويه، أخبرنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن أشياخه أن سعد بن أبي وقَّاص دخل علىٰ سلمان يعوده، فبكىٰ سلمان، فقال له سعد: ما

---

(١) المغني ٢/ ١٢٢٤.

(٢) في كتاب الصبر والشكر.

(٣) حلية الأولياء ١/ ١٩٥ - ١٩٧.

يبكيك؟ تلقَىٰ أصحابَك، وتَرِدُ علىٰ رسول الله ﷺ الحوضَ، وتوفي رسول الله وهو عنك راضٍ. فقال: ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا علىٰ الدنيا، ولكن رسول الله عهدَ إلينا فقال: «لتكنْ بُلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب». وهذه الأساود حولي. وإنما حوله مطهرة أو إجَّانة ونحوها، فقال له سعد: اعهدْ إلينا عهدًا نأخذ به بعدك. فقال: اذكرْ ربَّك عند همِّك إذا هممتَ، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمتَ.

رواه مورق العِجلي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وعامر بن عبد الله عن سلمان.

حدثنا أبي، حدثنا زكريا الساجي، حدثنا هُدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حبيب عن الحسن، وحميد عن مورق العِجلي أن سلمان لمَّا حضرته الوفاةُ بكىٰ، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: عهدٌ عهدَه إلينا رسول الله ﷺ فقال: «ليكنْ بلاغ أحدكم كزاد الراكب». قالا: فلما مات نظروا في بيته فلما يروا إلا إكافًا ووِطاء ومتاعًا قُوِّمَ نحوًا من عشرين درهمًا.

وممَّن رواه عن الحسن: السريُّ بن يحيىٰ، والربيع بن صبيح، والفضل بن دلهم، ومنصور بن زاذان، وغيرهم عن الحسن.

حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر، حدثنا بِشر بن موسىٰ، حدثنا عبد الصمد بن حسان، حدثني السري بن يحيىٰ، عن الحسن قال: لما حضرت سلمانَ الوفاةُ جعل يبكي، فقيل له: يا أبا عبد الله، ما يبكيك؟ أليس فارقتَ رسولَ الله ﷺ وهو عنك راضٍ؟ فقال: واللهِ ما بي جزعُ الموت، ولكن رسول الله عهدَ إلينا عهدًا: «ليكنْ متاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب».

وحديث سعيد بن المسيب حدثناه أبي، حدثنا زكريا الساجي، حدثنا هُدبة ابن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب أن

سعد بن مالك وعبد الله بن مسعود دخلا علىٰ سلمان يعودانه، فبكىٰ، فقالا: ما يبكيك أبا عبد الله؟ فقال: عهدٌ عهدَه إلينا رسولُ الله ﷺ فلم يحفظه أحدٌ منا، قال: «ليكنْ بلاغ أحدكم كزاد الراكب».

وحديث عامر بن عبد الله حدثناه أبو عمرو ابن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا حرملة بن يحيىٰ، حدثنا ابن وهب قال: أخبرني أبو هانئ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عامر بن عبد الله، عن سلمان الخير أنه حين حضره الموتُ عرفنا به بعضَ الجزع، فقالوا: ما يجزعك أبا عبد الله وقد كانت لك سابقةٌ في الخير؟ شهدتَ مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة وفتوحًا عظامًا. فقال: يجزعني أن حبيبي محمدًا ﷺ عهدَ إلينا حين فارقَنا فقال: «لِيَكْفِ المؤمنَ كزاد الراكب»، فهذا الذي أحزنني. قال: فجُمع مال سلمان فكانت قيمته خمسة عشر دينارًا.

كذا قال عامر بن عبد الله: دينارًا[١]، واتفق الباقون علىٰ: بضعة عشر درهمًا.

ورواه أنس بن مالك عن سلمان، حدثناه عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن عمرو البزَّار، حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجُرجاني، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت البُناني، عن أنس بن مالك قال: دخلت علىٰ سلمان، فقلت له: لِمَ تبكي؟ فقال: إن رسول الله ﷺ عهدَ إليَّ عهدًا: «أن يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب».

إلىٰ هنا سياق الحلية.

وروىٰ الطبراني[٢] من طريق علي بن بذيمة قال: بِيعَ متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهمًا.

---

(١) أي من هذا الطريق، إذ رواه الطبراني في الكبير ٦/ ٢٦٨ من طريق أحمد بن صالح عن ابن وهب بلفظ درهمًا. وهو عند ابن السني في القناعة ص ٥٣ (ط الرشد) من طريق هارون بن سعيد عن ابن وهب بلفظ عشرين درهمًا. والله أعلم.

(٢) المعجم الكبير ٦/ ٢١٤.

وقال صاحب الحلية[١]: حدثنا أبو عمرو ابن حمدان، حدثنا الحسن [بن سفيان] حدثنا علي بن حُجْر، حدثنا حماد بن عمرو، عن سعيد بن معروف، عن سعيد بن سوقة قال: دخلنا علىٰ سلمان الفارسي نعوده وهو مبطون، فأطلنا الجلوسَ عنده، فشقَّ عليه، فقال لامرأته: ما فعلتِ بالمسك الذي جئنا به من بَلَنْجَر[٢]؟ فقالت: هو ذا. قال: ألقيه في الماء، ثم اضربي بعضه ببعض، ثم انضحي حول فراشي، فإنه الآن يأتيني قومٌ ليسوا بإنس ولا جن. ففعلتْ، وخرجنا، ثم أتيناه فوجدناه قد قُبِض.

وقال الطبراني[٣]: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ، حدثنا شيبان، عن فِراس، عن الشعبي قال: حدثني الجزل، عن امرأة سلمان بُقَيرة قالت: لما حضر سلمانَ الموتُ دعاني وهو في عِلِّية لها أربعة أبواب، فقال: افتحي هذه الأبواب يا بُقَيرة، فإنَّ لي اليوم زُوَّارًا لا أدري من أيِّ هذه الأبواب يدخلون عليَّ. ثم دعا بمسك له، ثم قال: أذيبيه في تور. ففعلتْ، ثم قال: انضحيه حول فراشي، ثم انزلي فامكثي، فسوف تطلعينَ فتريني علىٰ فراشي. فاطَّلعتُ فإذا هو قد أُخِذ روحه فكأنَّه نائم علىٰ فراشه، أو نحوًا من هذا.

(**ولما حضرت بلالاً**) رضي الله عنه (**الوفاةُ**) وذلك بداريَّا من دمشق (**قالت امرأته: واحزناه! فقال**) بلال: (**بل واطرباه! غدًا نلقَىٰ الأحبَّةَ محمدًا وحزبَه**) رواه ابن أبي الدنيا[٤] فقال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد، حدثنا أبو مُسهِر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: قال بلال حين حضرته الوفاةُ: غدًا نلقَىٰ الأحبَّةَ محمدًا وحزبَه.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٠٧.

(٢) بلنجر: مدينة قديمة كانت تقع في نطاق جمهورية داغستان في أقصىٰ جنوب روسيا.

(٣) المعجم الكبير ٦/ ٢١٤ - ٢١٥.

(٤) كتاب المحتضرين ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

قال: تقول امرأته: واويلاه! قال: يقول هو: وافرحاه!

قلت: سعيد بن عبد العزيز التَّنُوخي الدمشقي، روىٰ له مسلم والأربعة، وقد أسند عن عدَّة من التابعين[١].

ونذكر هنا بعض الصحابة الذين أقاويلهم علىٰ شرط المصنف:

* **عامر بن فُهَيرة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال ابن سعد في الطبقات[٢]: أخبرنا محمد بن عمر، عمَّن سمَّىٰ من رجاله أن جبَّار بن سُلْمَىٰ طعن عامر بن فهيرة يوم بئر معونة فأنفذه، فقال عامر: فزتُ ورب الكعبة.

* **عمار بن ياسر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال الطبراني[٣]: حدثنا الحسن بن علي المعمري، حدثنا محمد بن سليمان بن أبي رجاء، حدثنا أبو معشر، حدثنا جعفر بن عمرو الضمري، عن أبي سنان الدؤلي قال: رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب، فأُتي بقدح من لبن، فشرب منه، ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقَىٰ الأحبَّةَ محمدًا وحزبه، إن رسول الله ﷺ قال: «إن آخر شيء تزوَّدُه من الدنيا ضَيْحة لبن».

* **سعد بن الربيع الأنصاري** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال ابن سعد[٤]: أخبرنا معن، حدثنا مالك بن أنس، عن يحيىٰ بن سعيد قال: لمَّا كان يوم أُحُد قال رسول الله ﷺ: «مَن يأتيني بخبر سعد بن الربيع»؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله. فذهب الرجل يطوف بين القتلىٰ، فقال له سعد بن الربيع: ما شأنك؟ قال: بعثني النبي ﷺ لآتيه بخبرك. قال: اذهبْ إليه فأقرِئه مني السلامَ وأخبِرْه أني قد طُعِنتُ اثنتىٰ عشرة طعنة، وأنه قد أُنفِذتْ مَقاتِلي، وأخبِرْ قومَك أنه لا عذر لهم عند الله إن قُتل رسول الله ﷺ وأحدٌ

---

(١) انظر: تهذيب الكمال ١٠/ ٥٣٩ - ٥٤٥.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢١٢. وفيه: «فزت والله. وذُهب بعامر علوا في السماء، فقال رسول الله ﷺ: فإن الملائكة وارت جثته وأُنزل عليين».

(٣) ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٤١ - ١٤٢.

(٤) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٤٨٥.

منهم حيٌّ.

* **عبد الله بن رواحة** رضي الله عنه: قال أبو نعيم في الحلية(١): حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا محمد بن يحيىٰ، حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة ابن الزبير قال: لما تجهَّز الناسُ للخروج إلىٰ مؤتة قال المسلمون: صحبَكم الله ودفع عنكم. فقال ابن رواحة:

لكني أسأل الرحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذات فرع تقذف الزَّبَدا
أو طعنةً بيدىٰ حران مُجهِزةً ... بحربة تنفذ الأحشاءَ والكبدا
حتىٰ يقولوا إذا مرُّوا علىٰ جَدَثي ... أرشدك اللهُ من غازٍ وقد رشدا(٢)

ثم مضوا حتىٰ نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمَّت إليه المستعربةُ في مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلىٰ رسول الله ﷺ فنخبره. فسمع ابنُ رواحة فقال: يا قوم، إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناسَ بعدَّة ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلِقوا، فإنما هي إحدىٰ الحُسنيين: إما ظهور، وإما شهادة. فقال الناس: قد واللهِ صدق.

وقال ابن أبي الدنيا(٣): حدثني أبي، حدثنا عبد القدوس بن عبد الواحد، حدثني الحكم بن عبد السلام أن جعفر بن أبي طالب حين قُتل دعا الناسُ: يا عبد الله بن رواحة. وهو في جانب العسكر، ومعه ضلع جمل ينتهشه، ولم يكن ذاق طعامًا قبل ذلك بثلاث، فرمىٰ بالضلع، ثم قال: وأنت مع الدنيا؟! فتقدَّم فقاتَل،

(١) حلية الأولياء ١/ ١١٩.
(٢) الأبيات في ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٤٧.
(٣) محاسبة النفس ص ٦٨.

فأُصيبت أصبعه، فجعل يقول:

هل أنتِ إلا أصبع دميتِ ... وفي سبيل الله ما لقيتِ
يا نفس إلا تُقتَلي تموتي ... هذا حياض الموت قد صليتِ
وما تمنَّيتِ فقد لقيتِ ... إن تفعلي فِعلهما هُديتِ
وإن تأخَّرتِ فقد شقيتِ[(١)]

ثم قال: يا نفس، إلىٰ أيِّ شيء تتوقين؟ إلىٰ فلانة؟ فهي طالق ثلاثًا، وإلىٰ فلان وفلان – غلمان له – وإلىٰ معجف – حائط له – فهو لله ولرسوله ﷺ:

يا نفس ما لكِ تكرهين الجنه ... أُقسمُ بالله لتنزلنَّه
طائعةً أو لمكرهنَّه ... فطالما قد كنتِ مطمئنَّه
هل أنتِ إلا نطفة في شَنَّه ... قد أجلب الناسُ وشدُّوا الرنَّه[(٢)]

وقُتل ابن رواحة في هذا اليوم رضي الله عنه.

* **عُمَير بن الحُمام**: قُتل ببدر، رضي الله عنه. قال أحمد في الزهد[(٣)]: حدثنا هاشم، حدثنا سليمان، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «قوموا إلىٰ جنَّة عرضُها السموات والأرض». فقال عُمَير بن الحُمام: بخٍ بخٍ. فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك علىٰ قولك بخ بخ»؟ قال: لا واللهِ يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها». قال: فأخرج تمرات من قَرَنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: إن أنا حييتُ حتىٰ آكُل تمراتي هذه إنها لَحياةٌ طويلة. فرمىٰ بما كان معه من

---

(١) الرجز في ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥٤، وفيه بعد قوله «صليت»:

إن تسلمي اليوم فلن تفوتي ... أو تبتلي فطالما عوفيت

(٢) الرجز في ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥٣، مع اختلاف، وفي آخره:

جعفر ما أطيب ريح الجنه

(٣) ورواه أيضا في مسنده ١٩/ ٣٨٩ - ٣٩٠. والحديث في صحيح مسلم ٢/ ٩١٧.

التمر، ثم قاتلهم حتىٰ قُتل.

* **أبو سفيان بن الحارث ابن عمِّ رسول الله ﷺ**: قال ابن سعد[١]: حدثنا الفضل بن دُكَين، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق قال: لما حضرت أبا سفيان الوفاةُ قال لأهله: لا تبكوا عليَّ، فإني لم أتنطَّف[٢] بخطيئة منذ أسلمتُ.

ورواه محمود بن محمد بن الفضل عن أحمد بن بزيع، حدثنا أبو نعيم هو الفضل بن دُكَين، وفيه: فما قارفتُ خطيئةً منذ أسلمتُ.

* **خُبَيب بن عديٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال البخاري[٣]: حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم، أخبرنا ابن شهاب قال: أخبرني عمرو بن جارية، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ عشرةً عينًا، فأُسِر منهم خبيب، فلما خرجوا به ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين. فركع ركعتين، قال: واللهِ لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعٌ لزدتُ. وقال:

فلستُ أبالي حين أُقتَل مسلمًا ... علىٰ أيِّ جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك علىٰ أوصال شِلْوٍ ممزَّعِ

ثم قتلوه.

وقال أبو نعيم في الحلية[٤]: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا الحسن بن علي الطوسي، حدثنا محمد بن عبد الكريم، حدثنا الهيثم بن عديٍّ، حدثنا ثور ابن يزيد، حدثنا خالد بن معدان قال: قال سعيد بن عامر بن حِذْيَم: شهدتُ مصرعَ خبيب، وقد بضعت قريشٌ لحمَه، ثم حملوه علىٰ جذعة فقالوا: أتحب أن محمدًا

(١) الطبقات الكبرىٰ ٤/ ٤٩.
(٢) أي أتلطخ. وانظر تاج العروس ٢٤/ ٤٢٢.
(٣) صحيح البخاري ٣/ ٨٩.
(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٤٥ - ٢٤٦.

مكانك؟ فقال: واللهِ ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدًا يُشاكُّ بشوكة. ثم نادىٰ: يا محمد.

* **زيد بن الدثنة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أُسِر يوم الرجيع مع خبيب، فقدَّموه للقتل فقالوا: ننشدك اللهَ أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمدًا مكانك؟ قال: واللهِ ما أحب أن محمدًا يشاكُّ في مكانه بشوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي[1].

* **ثابت بن قيس بن شَمَّاس** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال ابن سعد[2]: أخبرنا عفَّان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت، عن أنس أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنَّط ولبس ثوبين أبيضين تكفَّنَ فيهما وقد انهزم القومُ، فقال: اللهم إني أبرأ إليك ممَّا جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء. ثم قال: بئسما عوَّدتم أقرانكم، خلُّوا بيننا وبينهم ساعةً. فحمل فقاتل حتىٰ قُتل.

* **عمرو بن الجَمُوح** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وكان أعرج، فلم يشهد بدرًا، فلما حضرت أُحُدٌ أراد الخروجَ، فمنعه بنوه وقالوا: قد عذرك اللهُ. فأتىٰ رسولَ الله ﷺ فقال: إن بنيَّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج، واللهِ إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال: «أما أنت فقد عذرك اللهُ». وقال لبنيه: «لا عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله عَزَّوَجَلَّ يرزقه الشهادةَ». فتركوه. قالت امرأته: كأنِّي أنظر إليه موليًا قد أخذ دَرَقته وهو يقول: اللهم لا تردَّني إلىٰ حزبي. وهي منازل بني سلمة، فقُتل هو وابنه خلاَّد[3].

---

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة ٣/ ١١٨٤ عن عاصم بن عمر بن قتادة. وفيه أن الذي قال له: نشدتك الله ... الخ هو أبو سفيان بن حرب. وفي آخر الحديث: «فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا. ثم قتله نسطاس مولىٰ صفوان بن أمية».
ورواه أيضا ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٥٣. وانظر قصة يوم الرجيع في: السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٢٣ - ١٣٦، ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٢٣ - ٣٣٢.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٤/ ٣٤٥.

(٣) رواه بنحوه: الواقدي في المغازي ص ٢٦٤. ورواه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٥٣) عن أبيه عن أشياخ من بني سلمة. ومن طريقه رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ٩/ ٤٢، وأبو =

* **عُبادة بن الصامت** رضي الله عنه: قال أحمد[١]: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا ليث، عن ابن عجلان، عن محمد بن يحيىٰ بن حَبَّان، عن ابن مُحَيريز، عن الصُّنابحي قال: دخلتُ علىٰ عُبادة بن الصامت وهو في الموت، فبكيتُ، فقال: مهلاً، لِمَ تبكي؟ فواللهِ لئن استُشهدتُ لأشهدنَّ لك، ولئن شُفِّعتُ لأشفعنَّ لك، ولئن استطعتُ لأنفعنَّك. ثم قال: واللهِ ما حديثٌ سمعتُه من رسول الله ﷺ لكم فيه خيرٌ إلا حدثتكموه، إلا حديثًا واحدًا سوف أحدِّثكموه اليوم وقد أحيطَ بنفسي، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرَّم الله عليه النارَ».

انفرد بإخراجه مسلم[٢].

* **أبو الدرداء** رضي الله عنه: قال أحمد: حدثنا زيد بن يحيىٰ الدمشقي، حدثنا سعيد ابن عبد العزيز، حدثنا إسماعيل بن عبيد الله أن أبا مسلم الخولاني قال: جئتُ أبا الدرداء وهو يجود بنفسه، فقال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ [ثم قُبض]. ورواه أحمد[٣] أيضًا عن الوليد بن [مسلم، عن ابن] جابر، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن أم الدرداء أن أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول ... فساقه نحوه، وزاد: ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

* **خالد بن الوليد** رضي الله عنه: قال ابن سعد[٤]: حدثنا الواقدي، عن عبد الرحمن

= نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ١٩٨٥. ورواه ابن المبارك في الجهاد ص ٩٩ عن عكرمة مولىٰ ابن عباس. ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٥/ ١٤٤.

(١) مسند أحمد ٣٧/ ٣٨٤.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٣٥.

(٣) ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٧، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٠٠.

(٤) ومن طريقه رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ١٩٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦/ ٢٧٣.

ابن أبي الزناد، عن أبيه: أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاةُ قال: لقد لقيت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شبرٌ إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنا أموت علىٰ فراشي حتف أنفي، فلا نامت أعين الجبناء.

* **حرام بن مِلْحان** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال أحمد(١): حدثنا عبد الصمد، حدثنا همَّام، حدثنا إسحاق، عن أنس: أن رسول الله ﷺ لما بعث حرامًا خالَه أخا أم سُلَيم يوم بئر معونة قال لهم حرام: أتؤمِّنوني أبلِّغكم رسالةَ رسول الله ﷺ إليكم؟ قالوا: نعم. فجلس يحدِّثهم، وأومأوا إلىٰ رجل منهم من خلفه فطعنه حتىٰ أنفذه بالرمح، فقال: الله أكبر، فزتُ ورب الكعبة.

* **أبو بكرة الثقفي** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال ابن أبي الدنيا(٢): حدثنا أبي، أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثني عيينة بن عبد الرحمن [عن أبيه] قال: لما ثقُلَ أبو بكرة بكت ابنتُه، فقال: لا تبكي. قالت: يا أبتاه، إن لم أبكِ عليك فعلىٰ مَن أبكي؟ قال: لا تبكي، فوالذي نفسي بيده ما في الأرض نفسٌ أحب إليَّ أن تكون خرجتْ من نفسي هذه، ولا نفْس هذا الذباب. ثم أقبل علىٰ حُمران فقال: ألا أخبرك لماذا؟ خشيتُ واللهِ أن يجيء أمرٌ يحول بيني وبين الإسلام.

* **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال أبو عبد الله المرزباني: حدثنا أحمد بن محمد الجوهري، حدثنا الغَزِّي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الذَّرَّاع، حدثنا الوليد بن هشام القحذمي، أخبرني عبد الله بن المغيرة، عن المطيعي، عن أبيه، عن عروة قال: أتيت عبدَ الله بن الزبير حين دنا الحجاج منه فقلت: قد لحق فلانٌ بالحجاج، ولحق فلان بالحجاج. فقال:

---

(١) مسند أحمد ٢٠/ ٤٢٠ - ٤٢١. والحديث رواه البخاري ٢/ ٣٠٦، ٣/ ١١٣. ومسلم ٢/ ٩١٨. وانظر قصة بئر معونة في: السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٣٧ - ١٤٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٣٨ - ٣٥٣.

(٢) كتاب المحتضرين ص ١١٥ - ١١٦.

فـرَّت سـلامان وفـرَّت النمـر ... وقـد نلاقـي معهـم فـلا نفـر

فقلت له: قد أُخِذت دار فلان ودار فلان. فقال:

اصبرْ عصـام إنـه شـرٌّ بـاقِ ... قد سنَّ أصحابك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا على ساق

فعرفت أنه لا يسلم نفسه، فغاظني، فقلت: إنهم واللهِ إن يأخذوك يقطِّعوك إرَبًا. فقال:

ولست أبالي حين أُقتَل مسلمًا ... على أيِّ جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلْوٍ ممزَّع

فعرفت أنه لا يمكِّن من نفسه(١).

* **عبد الله بن حُذافة السهمي** رضي الله عنه: لما أسروه وأرادوا قتله بكى وقال: إنما أبكي إذ ليس لي إلا نفس واحدة يُفعَل بها هذا في الله عز وجل، كنت أحب أن تكون لي أنفُس بعدد كل شعرة فيَّ [ثم يُفعَل بي] هذا(٢).

* **أنس بن مالك** رضي الله عنه: قال ابن أبي الدنيا(٣): حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا فهد بن حيَّان، حدثنا حفص بن عبد الملك قال: سمعت أنس بن سيرين يقول: شهدتُ أنسَ بن مالك وحضره المماتُ، فجعل يقول: لَقِّنوني «لا إله إلا الله». فلم يزل يقولها حتى قُبِض.

---

(١) رواه ابن الجوزي في الثبات عند الممات ص ١٣٢ - ١٣٣. وانظر قصة مقتل عبد الله بن الزبير في: تاريخ الرسل والملوك للطبري ٦/ ١٨٧ - ١٨٢، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٧٧ - ٢١٩، المنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٢٤ - ١٢٧، الكامل لابن الأثير ٤/ ١٢١ - ١٢٨.

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة ٣/ ١٦١٦ عن ابن عباس. ورواه أيضا ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٥٩.

(٣) كتاب المحتضرين ص ٢٣.

* **طلحة** رضي الله عنه: قال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا يحيىٰ بن بكير، حدثنا الليث، عن يحيىٰ بن سعيد قال: لما رُمي طلحة جعل يقول: دم شيخ ذهب ضياعًا، اللهم خذْ لعثمان مني حتىٰ ترضىٰ. ثم قال:

ندمتُ ندامةَ الكُسَعيِّ لمَّا ... شريتُ رضا بني جَرْم برَغْمي[(١)]

* **الزبير** رضي الله عنه: قال أبو الحسن المدائني: عن سعيد بن بشير قال: قال الزبير ابن العوام لمَّا طعنه عمرو بن جرموز: ما له قاتله اللهُ يذكِّر بالله وينساه. ثم أنشد:

أرىٰ الموت أعداد النفوس ولا أرىٰ ... بعيدًا غدًا ما أقرب اليوم من غد[(٢)]

* **المغيرة بن شعبة** رضي الله عنه: قال المدائني: عن يعقوب بن عون، عن عبد الملك ابن نوفل بن المغيرة قال: لمَّا احتضر المغيرة بن شعبة قال: اللهم هذه يدي بايعتُ بها رسولَك وجاهدتُ بها في سبيلك، فاغفرْ لي ما يعلمون من ذنوبي وما لا يعلمون[(٣)].

---

(١) رواه خليفة بن خياط في تاريخه ص ١٥٨ من طريق حماد بن زيد عن يحيىٰ بن سعيد من قوله (اللهم خذ) حتىٰ آخره. ورواه البلاذري في أنساب الأشراف ٣/ ٤٤ دون بيت الشعر عن الحسن البصري بلفظ: أصيبت ثغرة نحر طلحة يوم الجمل بسهم، فجعل يقول: ما رأيت مصرع شيخ أضيع، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتىٰ ترضىٰ. والبيت للحطيئة، وهو في ديوانه ص ١٨٠ (ط - دار الكتب العلمية)، وفيه: بني سهم، بدل: بني جرم.

(٢) رواه البلاذري في أنساب الأشراف ٣/ ٥٤ والمبرد في التعازي والمراثي ص ١٣٢ من طريق المدائني عن عامر بن أبي محمد وسعيد بن عبد الرحمن السلمي، ولكن عندهما بدل البيت المذكور بيت آخر وهو:

ولقد علمت لو أن علمي نافعي ... أن الحياة من الممات قريب

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/ ٤٢٠ من طريق الأصمعي عن عبد الله بن عون دون بيت الشعر. وقوله: أرىٰ الموت ... الخ. هذا البيت لطرفة بن العبد من معلقته المشهورة، وهو في ديوانه ص ٤٤ (ط - برتراند الفرنسية) أو ص ٣٦ (ط - قازان الروسية). وهو غير موجود في بعض طبعات الديوان.

(٣) ذكره البلاذري في أنساب الأشراف ١٣/ ٣٤٦، والمبرد في التعازي والمراثي ص ١٣٥.

* **عائشة** ﷺ: قال محمود بن محمد: حدثنا الميموني، حدثنا سريج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن أبيه، عن الشعبي قال: حضرتُ عائشةَ ﷺ، فقالت: إني قد أحدثتُ بعد رسول الله ﷺ حدثًا، ولا أدري ما حالي عنده، فلا تدفنوني معه، فإني أكره أن أجاور رسولَ الله ﷺ ولا أدري ما حالي عنده. ثم دعتْ بخرقة من قميص رسول الله ﷺ فقالت: ضعوا هذه علىٰ صدري وادفنوها معي لعلِّي أنجو بها من عذاب القبر(١).

* **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال المدائني: عن الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل ابن عقرب قال: لمَّا احتضر عمرو بن العاص وضع يده موضع الغلِّ في عنقه وقال: اللهم إنك أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فارتكبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك الواسعة. فكانت هِجِّيراه حتىٰ مات(٢).

وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا أبو صالح المعافَىٰ بن مدرك، حدثنا ضمرة، عن السري، عن الحسن قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاةُ قال لمواليه: البسوا سلاحَكم. فلبسوه، ثم جاؤوه، فقال: أتستطيعون أن تدفعوا عني؟ قالوا: لا. قال الحسن: وقد علمَ، ولكنه أراد أن يوبِّخ نفسه، فقال: اللهم إنك أمرتنا بأشياء فتركناها، ونهيتنا عن أشياء فارتكبناها. ثم جمع يديه إلىٰ عنقه وقال: إلا أني أشهد أن لا إله إلا الله. فلم يزل يردِّدها حتىٰ مات. قال الحسن: كيف إذا جاء بـ «لا إله إلا الله» وقد قتل أهلَ لا إله إلا الله(٣).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٨٧ مختصرا عن قيس بن أبي حازم قال: كانت عائشة تحدث نفسها أن تدفن في بيتها مع رسول الله ﷺ وأبي بكر، فقالت: إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثا، ادفنوني مع أزواجه. فدفنت بالبقيع.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٥٤، وأحمد في مسنده ٢٩/ ٣١٩ - ٣٢٠، وابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٩٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٦/ ١٩٦.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٩٦ بنحوه عن محمد بن زياد الألهاني قال: إن عمرو بن العاص حين حضره الموت قال: اللهم أمرتنا بأشياء فتركناها، ونهيتنا عن أشياء فانتهكناها، =

قال: وحدثنا محمد بن جبلة، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شماسة، عن عبد الله بن عمرو أنه قال لعمرو بن العاص أبيه عند الموت وقد جزع: لا تجزعْ أبا عبد الله، فقد بايعتَ رسولَ الله ﷺ وجاهدتَ في سبيل الله. فقال له عمرو: تَركْتَ أفْضلَ مِن ذلكَ: شهادة أن لا إله إلا الله(١).

قال: وحدثنا عبيد الله بن محمد، حدثني أبو يحيىٰ محمد بن عبد الحميد الميموني، حدثنا هشام بن الكلبي، عن صالح بن كيسان قال: لمَّا حضرت عمرو ابن العاص الوفاةُ قال: واللهِ لَوددتُ أني كنت عبدًا حبشيًّا أرعىٰ عنزًا خصيبات، اللهم إني لست ببرئ فأعتذر، ولا قويٍّ فأنتصر، ولا حول لي ولا قوة إلا بك، وأنا معتصم بـ «لا إله إلا الله». وقبض علىٰ يديه وشدَّهما حتىٰ خرجت نفسه(٢).

* **سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنه: قال محمود: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا سعيد ابن عُفَير، حدثنا ليث، عن عقيل، عن الزهري قال: لما حضرت سعد بن أبي

= ولكن أشهد أنه لا إله إلا الله. ثم قبض عليها بيده اليمنىٰ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ثم قبض عليها بيده اليسرىٰ، فقبض وإن يديه لمقبوضتان.

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٥٤ ومن طريقه أحمد في مسنده ٢٩/ ٣١٨ بلفظ: «لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكىٰ، فقال له ابنه عبد الله: لِم تبكي؟ أجزعا علىٰ الموت؟ فقال: لا والله، ولكن مما بعد. فقال له: قد كنت علىٰ خير. فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحه بالشام، فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك كله: شهادة أن لا إله إلا الله». ورواه مسلم في صحيحه ١/ ٦٦ من طريق حيْوة بن شريح عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة بلفظ: «حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت يبكي طويلا، وحول وجهه إلىٰ الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله».

(٢) الشطر الثاني من الأثر رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٨١ من طريق أبي حرب بن أبي الأسود عن عبد الله بن عمرو بلفظ: «فلا بريء فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، ولكن لا إله إلا الله. فما زال يقولها حتىٰ مات».

وقاص الوفاةُ قال: ائتوني بجُبَّتي. فأُتي بجُبَّة من صوف خلقة، فقال: كفِّنونى فيها، فإني لقيت بها المشركين يوم بدر مع رسول الله ﷺ[١].

* **معاذ بن جبل** رضي الله عنه: قال محمود: حدثنا هلال بن العلاء، حدثني عمرو ابن عثمان، حدثنا سفيان، سمعت عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله قال: لما احتضر معاذٌ قال: لأحدثنَّكم حديثًا ما كتمتكموه إلا لكيلا تتَّكلوا، فأما الآن فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قال لا إله إلا الله صادقًا من قلبه دخل الجنة»[٢].

* **عبد الله بن عامر بن كُرَيز العبشمي**: له رواية. قال محمود: حدثنا عبيد الله ابن عمر، حدثنا مصعب الزبيري قال: لما احتضر عبد الله بن عامر بن كريز وهو بماله بعرفة خرج إليه ابن الزبير وابن عباس، وكانا صديقيه، فقال وهو يجود بنفسه: إن أخويَّ صائمان، فلا تغفلوا إفطارَهما. فقال ابن الزبير: لو ألهاك عن المجد شيءٌ لألهاك عنه الموتُ. ولقد مات وإن طعامه بين يدي أضيافه، ما شغله عنهم ما به، وأوصىٰ أن يُدفَن بماله بعرفة لئلاَّ يبيعه ولدُه فيعيَّروا ببيعهم قبر أبيهم.

* **عنبسة بن أبي سفيان** رضي الله عنه: يقال[٣]: له رؤية، وقال أبو نعيم: اتفق الأئمَّة علىٰ أنه تابعي[٤]. روىٰ له مسلم والأربعة.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٦٠٩ - ٦١٠، والطبراني في المعجم الكبير ١/ ١٤٣، وأحمد في الزهد ص ١٥٣، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ١٣٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٦٤. وزادوا في آخره: وإنما كنت أخبئها لهذا. وليس عندهم (مع رسول الله ﷺ).

(٢) حديث معاذ رواه البخاري ١/ ٦٢ - ٦٣ ومسلم ١/ ٣٧ من طريق قتادة عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ - ومعاذ رديفه علىٰ الرحل - قال: «يا معاذ بن جبل». قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله علىٰ النار». قال: يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذًا يتكلوا». وأخبر بها معاذ عند موته تأثما.

(٣) تقريب التهذيب ص ٧٥٦.

(٤) عبارة أبي نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ٢٢٣٤: «أدرك النبي ﷺ، ولم تصح له صحبة ولا رواية، واتفق متقدمو أئمتنا علىٰ أنه من التابعين».

قال محمود: حدثني هلال بن العلاء، حدثني أبو سلمة، حدثنا جرير بن حازم، عن عبد الملك بن عمير، عن سالم بن منقذ، عن عمرو بن أوس قال: دخلت علىٰ عنبسة بن أبي سفيان وهو في النزع، فجعل يقول: ما أحب أنك وذاك. ثم قال: لأحدثنَّك حديثًا حدثتنيه أختي أم حبيبة عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «مَن صلىٰ لله اثنتي عشرة ركعة مع صلاة النهار كل يوم بنىٰ الله له بيتًا في الجنة»(١).

* **الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط أخو عثمان لأمِّه** رضي الله عنه: قال محمود: حدثنا حبيش بن موسىٰ، أخبرنا هشام بن الكلبي، عن عوانة قال: لما احتضر الوليد ابن عقبة قال: اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا عليَّ فلا تُلَقِّ روحي روحًا ولا ريحانًا، وإن كانوا كذبوا عليَّ فاجعلْ ذلك كفارةً لذنوبي(٢).

* **سعيد بن العاص** رضي الله عنه: قال محمود: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي النحوي، حدثني عمر بن خالد العثماني، عن شيبة بن الوليد، عن عمِّه قال: لما حضرت سعيدَ بن العاص الوفاةُ قال لبنيه: أيُّكم يتكفَّل لي بثلاث؟ قال: قال له عمرو الأشدق: أنا. قال: دَيني اقضِه، وهو ثمانون ألف دينار، واللهِ ما استدنتُه إلا في كريم سددت خلَّته أو لئيم وقيتُ عِرضي منه. قال: عليَّ دَينُك يا أبتِ. قال: بقيتْ اثنتان. قال: وما هما؟ قال: بناتي لا تزوجهن إلا الأكفاء ولو بفلق من خبز الشعير. قال: أفعلُ. قال: بقيت واحدةٌ هي أشدهنَّ عليَّ: إن فقد إخواني وجهي فلا يفقدون معروفي. يا بني، ثلاثة ضِقتُ بمكافأتهم ذرعًا: رجل اغبرَّ وجهه في التردُّد للتسليم عليَّ، ورجل ضاق بي مجلسٌ فتزحزح لي، ورجل نزل به مهمٌّ من الأمور، فبات

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٣/ ٢٣٠، وأبو يعلىٰ في مسنده ١٣/ ٥٨، وأبو طاهر في المخلصيات ١/ ٣٠٣. وهو في صحيح مسلم ١/ ٣٢٩ من طريق النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يتسار إليه ... فذكره.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٩٦ بنحوه عن عبد الله بن المبارك. وأورده البلاذري في أنساب الأشراف ٩/ ٣٤٥ والمبرد في التعازي والمراثي ص ١٣٨. وفي كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٩/ ١٨٠.

متململاً علىٰ فراشه يقلِّب أمره ظهرًا لبطن، فلما أصبح رآني موضعًا لحاجته، فلن أكافئه ولو خرجتُ من جميع ما أملك[١].

* **شرحبيل بن السمط** رضي الله عنه: قال محمود: حدثنا النفيلي، حدثنا أبو مُسهِر، عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما احتضر شرحبيل بن السمط قال لبنيه: قوموا فالعبوا، فإن الله يؤثر قضاءه علىٰ يُتْمكم[٢].

* **أبو رفاعة العدوي** رضي الله عنه: قال محمود: حدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا سعيد ابن عامر، عن جويرية بن أسماء قال: كان أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه من الصحابة، فكان كلَّما صلىٰ قال: اللهم ارزقني شهادةً تسبق بُشراها أذاها، وفرحها حزنها، وتختلني بها عن نفسي ختلاً. فغزا سجستان مع عبد الرحمن بن سمرة، فطرقه العدوُّ وهو نائم في المسجد فذبحوه[٣].

قلت: وقبره ببيهق[٤]، كما قاله مسلم وغيره.

ثم شرع المصنف في ذكر أقاويل التابعين ومَن بعدهم من الصلحاء عند الموت، فقال: (**وقيل: فتح عبد الله بن المبارك**) رحمه الله تعالىٰ (**عينه عند الوفاة وضحك وقال:** ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۝٦١﴾) [الصافات: ٦١] رواه القشيري في الرسالة[٥].

(**ولما حضرت إبراهيمَ**) بن يزيد (**النخعيَّ**) رحمه الله تعالىٰ (**الوفاةُ بكىٰ،**

---

(١) أورده أبو إسحاق الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ص ٣١٢. وذكره البلاذري في أنساب الأشراف ٦/ ٥١ والمبرد في التعازي والمراثي ص ٧٩ بنحوه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال ص ٧٩٤.

(٣) ذكره البلاذري في أنساب الأشراف ١١/ ٢٩٥، ولكن سماه أبا قتادة.

(٤) انظر: تاريخ بيهق لظهير الدين البيهقي ص ١١٨ - ١١٩ (ط - دار اقرأ بدمشق). الإصابة لابن حجر ١١/ ١٣٢ - ١٣٣. وبيهق تسمىٰ الآن: سبزوار، وتقع في محافظة خراسان شمال شرق إيران.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٥٠١.

فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أنتظر من الله رسولاً يبشِّرني بالجنة أو بالنار)[١] رواه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين قال: حدثنا حبيش، أخبرنا المدائني، عن قيس بن الربيع قال: بلغني أن إبراهيم النخعي حين احتضر بكىٰ، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: إنما أنتظر مبشِّرًا يبشِّرني بالجنة أو بالنار، ووددت أنها تجلجلُ في صدري إلىٰ يوم القيامة[٢].

(**ولما حضرت ابنَ المنكدر**) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهُدَير التيمي المدني، روىٰ له الجماعة (**الوفاةُ بكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: واللهِ ما أبكي لذنب أعلمُ أني أتيته، ولكني أخاف أني أتيت شيئًا حسبتُه هيِّنًا وهو عند الله عظيم**) رواه ابن أبي الدنيا هكذا[٣].

وقال أبو نعيم في الحلية[٤]: حدثنا أبو الفرج أحمد بن جعفر، حدثنا جعفر بن محمد الفِرْيابي، حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار، حدثنا عفيف بن سالم، عن عكرمة، عن محمد بن المنكدر أنه جزعَ عند الموت، فقيل له: لِمَ تجزع؟ قال: أخشىٰ آيةً من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ۝٤٧﴾ [الزمر: ٤٧] فأنا أخشىٰ أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٥٣. وعند أحمد في الزهد ص ٢٩٥ وأبي نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٢٤: «أنتظر ملك الموت».

(٢) ذكره المبرد في التعازي والمراثي ص ١٣٧، ولكن فيه: «فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ولم لا أبكي وإنما أنتظر ...» الخ.

(٣) كتاب المحتضرين ص ١٧٠ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه ذكر عمر وأبا بكر ابني المنكدر قال: لما حضر أحدهما الموت بكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟ إن كنا لنغبطك بهذا اليوم. قال: أما والله ما أبكي أن أكون ركبت شيئا من معاصي الله اجتراء علىٰ الله، ولكني أخاف أن أكون أتيت شيئا هينا وهو عند الله عظيم. وبكىٰ الآخر عند الموت، فقيل له مثل ذلك، فقال: إني سمعت الله يقول لقوم: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ۝٤٧﴾ فأنا أنتظر ما ترون، والله ما أدري ما يبدو لي.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ١٤٦.

(ولما حضرت عامرَ بن عبد قيس) العنبري البصري الزاهد **(الوفاةُ بكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا علىٰ الدنيا، ولكن أبكي علىٰ ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلىٰ قيام الليل بالشتاء)**(١) رواه أبو نعيم في الحلية(٢) فقال: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا أبو شعيب الحَرَّاني، حدثنا خالد بن يزيد العمري، حدثنا عبد العزيز بن أبي رَوَّاد، عن علقمة بن مرثد قال: مرض عامرُ بن عبد قيس، فبكىٰ، فقيل له: ما يبكيك وقد كنتَ وقد كنت وقد كنت؟ فيقول: ما لي لا أبكي؟ ومَن أحق بالبكاء مني؟ واللهِ ما أبكي حرصًا علىٰ الدنيا ولا جزعًا من الموت، ولكن لبُعد سفري وقلة زادي، وأني أمسيت في صعود وهبوط، جنة أو نار، فلا أدري إلىٰ أيِّهما أصير.

قال: وحدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثني أبو حميد أحمد بن محمد الحِمصي، حدثنا يحيىٰ بن سعيد، عن يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مرثد قال: كان عامر بن عبد قيس يقول: ما أبكي علىٰ دنياكم رغبةً فيها، ولكن أبكي علىٰ ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء.

(ولمَّا حضرت فضيلاً) بن عياض رحمه الله تعالىٰ **(الوفاةُ غشي عليه، ثم فتح عينيه وقال: وابُعد سفراه وقلة زاداه)** رواه ابن أبي الدنيا.

(ولما حضرت ابنَ المبارك) عبد الله رحمه الله تعالىٰ **(الوفاةُ قال لنصر مولاه: اجعلْ رأسي علىٰ التراب. فبكىٰ نصر، فقال له: ما يبكيك؟ قال: ذكرتُ ما كنتَ فيه من النعيم، وأنت هو ذا تموت فقيرًا غريبًا)** أي في هِيت، وكان خرج غازيًا **(قال: اسكتْ، فإني سألت الله تعالىٰ أن يحييني حياةَ الأغنياء، وأن يميتني موتَ**

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١١٦ - ١١٧ والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٢٠ وابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١٤٠ - ١٤١ وأحمد في الزهد ص ١٨٣ وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٩/ ١١٠ - ١١١ عن قتادة.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٨٧ - ٨٨.

الفقراء. ثم قال له: لقِّني، ولا تُعِدْ عليَّ ما لم أتكلم بكلام ثانٍ)[١] قال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر بن يوسف، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا أبو أسامة الكلبي، حدثنا الحسن بن الربيع قال: سمعت ابنَ المبارك حين حضرته الوفاةُ وأقبل نصرٌ يقول له: يا أبا عبد الرحمن، قل: لا إله إلا الله. فقال له: يا نصر، قد ترىٰ شدة الكلام عليَّ، فإذا سمعتني قد قلتُها فلا تردِّدها عليَّ حتىٰ تسمعني قد أحدثتُ بعدها كلامًا، فإنما كانوا يستحبُّون أن يكون آخر كلام العبد ذلك[٢].

(وقال) أبو[٣] محمد **(عطاء بن يسار)** الهلالي المدني، مولىٰ ميمونة، روىٰ له الجماعة **(تبدَّىٰ إبليس لرجل عند الموت فقال له: نجوتَ. فقال: ما أمنتك بعدُ)**[٤] وقد جرىٰ نحو ذلك للإمام أحمد، كما سيأتي عند ذِكره.

(وبكىٰ بعضهم[٥] **عند الموت، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: آية في كتاب الله تعالىٰ، قوله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة: ٢٧].

ودخل الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ **(علىٰ رجل يجود بنفسه، فقال: إنَّ أمرًا هذا أوله لَجديرٌ أن يُتَّقَىٰ آخرَه، وإنَّ أمرًا هذا آخره لَجديرٌ أن يُزهَد في أوله)**[٦] رواه أبو نعيم في الحلية.

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٢٥٤ عن الحسن بن عيسىٰ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢/ ٤٧٥.

(٢) رواه ابن الجوزي في الثبات عند الممات ص ١٥٨ من طريق أبي نعيم.

(٣) تقريب التهذيب ص ٦٧٩.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٢٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٥) هو عامر بن عبد الله بن عبد قيس، كما رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١٤١، والطبري في جامع البيان ٨/ ٣٢٧ - ٣٢٨، والبلاذري في أنساب الأشراف ١٣/ ٢١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٣ - ٣٤، ٤٠.

(٦) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٢١٦ عن أبي المنذر قال: نظر الحسن إلىٰ ميت يدفن، فقال: والله إن أمرا هذا أوله لحري أن يخاف آخره، وإن أمرا هذا آخره لحري أن يزهد في أوله.

ورُوي نحو ذلك عن الأحنف بن قيس، قال إذا مرَّت به جنازةٌ: رحم اللهُ عبدًا أجهد نفسَه لمثل هذا. رواه محمود بن محمد[(١)].

وهذه أقاويل جماعة من التابعين على شرط المصنف:

* **علقمة بن قيس رحمه الله تعالى**: قال أبو نعيم في الحلية[(٢)]: حدثنا أبو محمد ابن حيان، حدثنا أحمد بن علي بن الجارود، حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن الأشعث، عن الحكم، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قال: لا تنعوني كنعي [أهل] الجاهلية، ولا تؤذِنوا بي أحدًا، وأغلِقوا الباب، ولا تتبعني امرأةٌ، ولا تتبعوني بنار، وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله [فافعلوا].

* **عمرو بن عُتبة بن فرقد السلمي الكوفي رحمه الله تعالى**: قال أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن زيد قال: خرجنا في جيش فيهم عمرو بن عتبة، فخرج وعليه جُبَّة جديدة بيضاء فقال: ما أحسن الدم يتحادر على هذه. فخرج فتعرَّض للقصر، فأصابه حجرٌ فشجَّه، فتحادر عليها الدم، ثم مات منها، ولما أصابه الحجرُ فشجَّه جعل يلمسها بيده ويقول: إنها صغيرة، وإن الله عَزَّوَجَلَّ لَيباركُ في الصغير[(٣)].

---

(١) ومن طريقه ابن العديم في بغية الطلب ٣/ ١٣٠٥، وابن الشجري في الأمالي الخميسية ٢/ ٢٤. ورواه أيضا ابن أبي الدنيا في القبور ص ٦٥، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٢٦. وعندهما: (لمثل هذا اليوم).

(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٠١.

(٣) هكذا ساقه ابن الجوزي في الثبات عند الممات ص ١٣٥ من طريق أحمد. وقد رواه أبو نعيم في حلية الأولياء في ترجمة عمرو بن عتبة ٤/ ١٥٥ من طريق أحمد بالشطر الأول فقط، وفيه: فتحدر الدم عليها فمات منها فدفناه. ورواه ٤/ ١٥٩ - ١٦٠ في ترجمة معضد العجلي بنفس الإسناد، ولكن بسياق أطول، وفيه أن القائل «إنها لصغيرة وأن الله يبارك في الصغير» هو معضد العجلي وليس عمرو بن عتبة.

* **الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ**: قال أبو نعيم في الحلية[١]: حدثنا محمد بن علي، حدثنا أحمد بن علي بن المثنّىٰ، حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع، حدثنا بقية، عن أبان بن محبَّر، عن الحسن أنه لما حضره الموتُ دخل عليه رجال من أصحابه، فقالوا: زوِّدْنا منك كلمات ينفعنا الله عَزَّوَجَلَّ بهن. قال: إني مزوِّدكم ثلاث كلمات ثم قوموا [عني] ودعوني وما توجَّهتُ له: ما نُهيتم عنه من أمر فكونوا من أكره[٢] الناس له، وما أُمِرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا أن خُطاكم خطوتان: خطوة لكم وخطوة عليكم، فانظروا أين تغدون وأين تروحون.

وقال الحسن بن دينار: كان الحسن يغمىٰ عليه ثم يفيق فيقول: صبراً واحتسابًا وتسليمًا لأمر الله. حتىٰ قضىٰ رحمه الله[٣].

وقال محمود بن محمد: حدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا أبو عامر، عن صالح بن رستم قال: لما احتضر الحسن جعل يقول: نازلة صبر واستسلام، اللهم بخير وإلىٰ خير[٤].

* **محمد بن سيرين رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن أبي الدنيا[٥]: حدثنا هارون بن أبي يحيىٰ أنه حُدِّث عن الحسن بن دينار أن محمد بن سيرين رحمه الله تعالىٰ كان يقول وهو في الموت: في سبيل الله نفسي أعزُّ الأنفُس عليَّ

* **الربيع بن خُثَيم رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن أبي الدنيا[٦]: حدثنا داود بن

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٥٤.

(٢) في الحلية: من أترك.

(٣) ذكره المبرد في التعازي والمراثي ص ١٣٦، وابن الجوزي في الثبات عند الممات ص ١٣٦.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١١٦ - ١١٧ عن عبد الله بن عون أن الحسن لما حضرته الوفاة استرجع، وأخرج ذراعيه فحركها وقال: هذه منزلة صبر واستسلام.

(٥) كتاب المحتضرين ص ١١٨.

(٦) السابق ص ١٢٠.

عمرو الضَّبِّي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن سُرِّية للربيع قالت: لما احتضر الربيع بكت ابنته، فقال: يا بنيَّة، لا تبكي، ولكن قولي: يا بشرىٰ، اليوم لقي أبي الخيرَ.

ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه(١).

* **مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن أبي الدنيا(٢): حدثني محمد بن الحسين، حدثنا خالد بن يزيد، حدثنا روح بن المسيب، عن عبد الله ابن مسلم العبدي قال: قال مطرِّف لما حضره الموتُ: اللهم خِرْ لي فيما قضيتَه عليَّ من أمر الدنيا والآخرة، وأمرهم أن يحملوه إلىٰ قبره. فختم فيه القرآن قبل أن يموت.

* **سعيد بن جبير رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن الجوزي في كتاب الثبات(٣): أخبرنا إسماعيل بن أحمد، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر، حدثنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف، حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازي، حدثنا هارون بن عيسىٰ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ، حدثنا حرملة بن عمران، حدثنا ابن ذكوان: أن الحجاج بعث إلىٰ سعيد بن جبير، فأصابه الرسول بمكة، فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله، فقال له الرسول: واللهِ إني [لأعلمُ أني] أذهب بك إلىٰ مَن يقتلك، فاذهب أيَّ الطريق شئتَ. فقال له سعيد: إنه سيبلغ الحجاجَ أنك أخذتني، فإن خلَّيتَ عني خِفتُ أن يقتلك، ولكن اذهبْ بي إليه. فذهب به، فلما دخل قال له الحجاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير. فقال: بل شقيُّ بن كُسَير. فقال: أمِّي سمَّتني. فقال: شقيتَ. قال: الغيب يعلمه غيرُك.

---

(١) بل رواه ٢/ ١١٤ من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن مهدي عن سرية الربيع، وفيه: «يا بشراي، أتىٰ الخير»، وهو في المصنف ١٣/ ٤٠٠

(٢) كتاب المحتضرين ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٣) الثبات عند الممات ص ١٣٩ - ١٤٠.

قال الحجاج: أما واللهِ لأبدلنَّك من دنياك نارًا تلظَّىٰ. قال: لو علمتُ أن ذلك إليك ما اتَّخذتُ إلهًا غيرك. فسأله عن رسول الله ﷺ وأصحابه .. إلىٰ أن قال: ما تقول فيَّ؟ قال: أنت بنفسك أعلم. قال: بُثَّ فيَّ علمك. قال: إذًا أسوءك ولا أسرُّك. قال: بُثَّ. قال: نعم، ظهر منك جورٌ في حدِّ الله وجراءة علىٰ معاصيه بقتلك أولياء الله. قال: واللهِ لأقطِّعنَّك قِطَعًا. قال: إذًا تُفسِد عليَّ دنياي وأُفسِد عليك آخرتَك، والقصاص أمامك. قال: الويل لك. قال: الويل لمَن زُحزِح عن الجنة وأُدخِل النار. قال: اذهبوا به فاضربوا عنقه. قال سعيد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. فلما ذهبوا به ليُقتَل تبسَّم، فقال الحجاج: ممَّ ضحكتَ؟ قال: من جراءتك علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ. فقال: أضجِعوه للذبح. فأُضجِع، فقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] قال: اقلبوا ظهره إلىٰ القِبلة. فقرأ سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فقال: كُبُّوه علىٰ وجهه. فقرأ سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝﴾ [طه: ٥٥] فذُبح، فبلغ ذلك الحسنَ فقال: اللهم قاصم الجبابرة اقصِم الحجاجَ. فما بقي إلا ثلاثًا حتىٰ وقع الدود في جوفه فهلك.

* **خيثمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالىٰ**: قال عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد(1): حدثني [خَلَّاد بن أسلم، حدثنا] سعيد بن خثيم، عن محمد بن خالد الضَّبِّي قال: لم نكن ندري كيف يقرأ خيثمة القرآن حتىٰ مرض فثقُل، فجاءته امرأته فجلست تبكي، فقال: ما يبكيكِ؟ الموت لا بد منه. فقالت: الرجال بعدك عليَّ حرامٌ. فقال: ما كل هذا أردتُ منكِ، إنما كنت أخاف رجلاً واحدًا وهو أخي محمد، وهو رجل فاسق يتناول الشراب، فكرهتُ أن يشرب الشراب في بيتي بعد أن كان القرآن يُتلَىٰ فيه كل ثلاث.

* **طلحة بن مصرِّف رحمه الله تعالىٰ**: قال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبو سعيد

---

(1) الزهد ص ٢٩٠.

الأشج، حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه قال: دخلنا علىٰ طلحة بن مصرف نعوده، فقال له أبو كعب: شفاك الله. قال: أستخير الله[١].

قال الأشج: وحدثنا ابن إدريس، عن ليث قال: حدثت طلحة بن مصرف في مرضه الذي مات فيه أن طاووسًا كان يكره الأنينَ، فما سُمِع طلحة يئنُّ حتىٰ مات[٢].

* **زبيد اليامي رحمه الله تعالىٰ:** قال عبد الله بن أحمد: حدثني أبو سعيد الأشج، حدثني المحاربي، عن سفيان قال: دخلنا علىٰ زبيد اليامي نعوده، فقلنا: شفاك الله. فقال: أستخير الله[٣].

* **أبو الجلد رحمه الله تعالىٰ:** قال ابن أبي الدنيا[٤]: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا داود بن المحبَّر، حدثنا صالح المُرِّي، سمعت أبا عمران الجوني قال: أوصاني أبو الجلد بأن ألقِّنه لا إله إلا الله، فكنت عند رأسه وقد أخذه كربُ الموت، فجعلت أقول له: يا أبا الجلد، قلْ لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا الله، بها أرجو نجاة نفسي، لا إله إلا الله. ثم قُبِض.

* **مكحول الشامي رحمه الله تعالىٰ:** قال القشيري في الرسالة[٥]: كان الغالب عليه الحزن، فدخلوا عليه في مرض موته وهو يضحك، فقيل له في ذلك، فقال: ولِمَ لا أضحك وقد دنا فراقُ مَن كنت أحذره وسرعة القدوم علىٰ مَن كنت أرجوه وأؤمِّله.

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٦ - ١٧.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٢٣٢، وابن الجعد في مسنده ص ٩٧٦.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣٠.

(٤) كتاب المحتضرين ص ٢٣ - ٢٤.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٥٠١.

* **محمد بن واسع رحمه الله تعالىٰ**: قال العتبي: حدثني محمد بن عبد الله مولىٰ الثقفيين قال: دخلنا علىٰ محمد بن واسع وهو يقضي، فقال: يا أخوتاه، هبوني وإيَّاكم سألنا الله الرجعةَ فأعطاكموها ومنعنيها، فلا تخسروا أنفسَكم[١].

* **ثابت البُناني رحمه الله تعالىٰ**: قال أحمد: حدثنا علي بن مسلم، حدثنا جعفر، حدثنا محمد بن ثابت البُناني قال: ذهبت ألقِّن أبي وهو في الموت فقلت: يا أبتِ، قل لا إله إلا الله. فقال: يا بني، خَلِّ عني، فإني في وِردي السادس أو السابع[٢].

* **مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن أبي الدنيا[٣]: حدثني أحمد بن [محمد بن] عبد الله المكِّي، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لمَّا حضره الموتُ قال: لولا أني أكره أن أصنع ما لم يصنعه أحدٌ قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا متُّ أن يقيِّدوني ويجمعوا يدي إلىٰ عنقي فينطلقوا بي علىٰ تلك الحال حتىٰ أُدفَن، كما يُصنَع بالعبد الآبِق.

زاد في رواية: فإذا سألني ربِّي قلت: أيْ رب، لم أرضَ لك نفسي طرفة عين قط.

قال[٤]: وحدثني أسيد بن عاصم[٥]، حدثنا [هدبة] بن خالد، حدثنا حزم قال: دخلنا علىٰ مالك بن دينار وهو في مرضه [الذي مات فيه] وهو يكيد بنفسه، فرفع رأسه إلىٰ السماء ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرْج.

* **أبو مسلم الخَوْلاني رحمه الله تعالىٰ**: قال محمود بن محمد: حدثنا

---

(١) رواه ابن الجوزي في الثبات عند الممات ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٢٢، وابن الجعد في مسنده ص ٦١٩. ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١٢٨، إلا أنه قال: «فإني في وردي السابع. كأنه يقرأ ونفسه تخرج».

(٣) محاسبة النفس ص ١٢٣.

(٤) كتاب المحتضرين ص ٢٠٨.

(٥) في المحتضرين: أسد بن عمار التميمي.

علي بن عثمان النُّفَيلي، عن أبي مُسهِر، عن سعيد بن عبد العزيز قال: حضرتُ أبا مسلم الخولانيَّ الوفاةُ وهو بأرض الروم، فعاده أمير الجيش فقال له: يا أبا مسلم، هل لك من حاجة؟ أتوصيني بوصية؟ قال: نعم، تدعو بقناة وخرقة، وتعقد لي لواء علىٰ كل مَن مات بأرض الروم. ففعل الأمير ذلك. قال: فظننا أنه أحب أن يُبعَث عليهم يوم القيامة.

* **سليمان التيمي رحمه الله تعالىٰ**: قال أبو نعيم في الحلية(١): حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، سمعت سوار بن عبد الله يقول: سمعت المعتمر يقول: قال أبي حين حضره الموتُ: يا بني، حدِّثْني بالرُّخَص لعلِّي ألقىٰ اللهَ تعالىٰ وأنا حَسنُ الظن به.

وهذا قد تقدم للمصنف قريبًا.

* **حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن أخي ميمي(٢) في جزئه: حدثنا جعفر الخَوَّاص، حدثنا ابن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا حاتم بن سليمان، حدثنا غاضرة بن قرهد قال: دخلنا علىٰ حسان بن أبي سنان وقد حضره الموتُ، فقال له بعض إخوانه: أتجد كربًا شديدًا؟ فبكىٰ، ثم قال: إنَّ ذاك. ثم قال: ينبغي للمؤمن أن يسلو عن كرب الموت وألمه لِما يرجو من السرور في لقاء الله عَزَّوَجَلَّ(٣).

* **أبو بكر عبد الله بن أبي مريم رحمه الله تعالىٰ**: قال أبو نعيم في الحلية(٤):

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٣١.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن أخي ميمي الدقاق، اظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٦٤.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١٥٢ بلفظ: دخلنا علىٰ حسان بن أبي سنان وقد حضره الموت وقال له بعض إخوانه: كيف تجدك؟ قال: أجدني بحال الموت. قالوا: أفتجد له أبا عبد الله كربا شديدا؟ ... فذكره.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٨٩، وزاد في آخره: «وكان لا يقدر أحد أن ينظر إليه من خواء فمه من الصيام».

حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الصمد بن سعيد قال: سمعت أبا أيوب يقول: سمعت يزيد بن عبد ربِّه يقول: عُدتُ أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع، فقلت له: رحمك الله، لو جرعتَ جرعةَ ماء. فقال بيده لا، ثم جاء الليل، فقال: إذًا. فقلت: نعم. فقطرنا في فمه قطرة ماء، ثم مات.

* **سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ**: قال محمود: حدثنا عبد الملك الميموني، عن عمرو بن ميمون قال: احتضر سعيد بن المسيب، وكان له ثمانون دينارًا، فجعلها في يده وجعل يقول: اللهم إنما كنت أصون بها ديني وعِرضي.

* **عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي رحمه الله تعالىٰ**: قال الخطيب في التاريخ[١]: حدثني محمد بن علي الصوري، حدثنا عبد الرحمن بن عمر المصري، حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، حدثنا الفضل بن يوسف الجُعْفي، سمعت حسين بن عمرو العَنْقَزي قال: لما نزل بابن إدريس الموتُ بكت ابنته، فقال: لا تبكي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

* **عبد الله بن عبد العزيز العمري المدني رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن أبي الدنيا[٢]: حدثني أبو زيد النُّمَيري، حدثنا أبو يحيىٰ الزُّهري قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمري [عند موته]: بنعمة ربي أحدِّث، إني لم أصبح [أملك علىٰ الناس] إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلتُه بيدي. وبنعمة ربي أحدِّث، لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني من أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتُها.

* **علي بن صالح بن حي رحمه الله تعالىٰ**: قال أبو علي ابن شاذان: أخبرنا أحمد بن كامل، حدثنا عيسىٰ بن إسحاق الأنصاري، حدثنا أحمد بن عمران البغدادي، حدثنا يحيىٰ بن آدم قال: قال الحسن بن حي: قال لي أخي عليٌّ في الليلة

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٧٥.

(٢) الزهد ص ١٣٩.

التي توفي فيها: اسقِني ماءً. وكنت قائمًا أصلي، فلما قضيت صلاتي أتيته بماء، فقلت: يا أخي، هذا ماء. قال: قد شربت الساعةَ. قلت: ومَن سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ قال: أتاني جبريل الساعة بماء فسقاني وقال لي: أنت وأخوك وأبوك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين. وخرجت روحه(١).

ورواه كذلك أبو محمد الخَلاَّل في كتاب كرامات الأولياء(٢)، وابن منده في كتاب الأحوال(٣).

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا علي بن عثمان النُّفَيلي، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ قال: مات علي بن صالح بن حي وأنا غائب، فلما قدمتُ أتيت الحسنَ بن صالح أخاه أعزِّيه وأنا أبكي، فقال لي: لا تبكِ حتىٰ أحدِّثك، إنه لما احتضر واشتدَّ عليه استسقَىٰ، فجئته بقدح من ماء، فقلت له: ألا تشرب؟ قال: لا، قد سُقيتُ. قلت: ومَن سقاك؟ قال: محمد رسول الله ﷺ ومعه الملائكة صفوف. فأردت أن أستثبت عقلَه فقلت: وكيف صفوف الملائكة؟ فقال: هكذا بعضها فوق بعض. ورفع يديه فجعل اليمنىٰ فوق اليسرىٰ.

* **أبو بكر بن عيَّاش رحمه الله تعالىٰ:** قال الخطيب(٤): أخبرنا عبد الله بن أحمد، حدثنا جعفر بن محمد بن نُصَير، أخبرنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعت الحِمَّاني يقول: لما حضرت أبا بكر بن عيَّاش الوفاةُ بكت أختُه، فقال لها:

---

(١) رواه ابن الجوزي في الثبات عند الممات ص ١٥٤.

(٢) كرامات الأولياء ص ٣٥٠ (ط - المكتبة الإسلامية بالقاهرة). وقد رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٣٢٩ بسياق آخر، ولفظه: «لما احتضر أخي علي بن صالح رفع بصره ثم قال: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. ثم خرجت نفسه، فنظرنا إلىٰ جنبه فإذا ثقب في جنبه وقد وصل إلىٰ جوفه، وما علم به أحد من أهله».

(٣) الأحوال والإيمان بالسؤال، وهو مفقود فلا عين ولا أثر.

(٤) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٥٦.

ما يبكيكِ؟ انظري إلىٰ تلك الزاوية التي في البيت، قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة.

فصل في ذِكر أقوال جماعة من المحتضرين علىٰ غير ترتيب في طبقاتهم:

* **أبو عطية بن قيس المذبوح رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن المبارك في الزهد[١]: أخبرنا أبو بكر بن أبي مريم، حدثني حماد بن سعيد بن أبي عطية المذبوح قال: لما حضر أبا عطية الموتُ جزعَ وقال: إنما هي ساعة، ثم لا أدري أين يُسلَك بي.

* **عبيد الله بن الحسن رحمه الله تعالىٰ**: قال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثني عبيد الله بن محمد، حدثنا خالد بن خِداش، عن معاذ بن معاذ قال: دخلت علىٰ عبيد الله بن الحسن أعوده، فقلت: أراك بحمد الله صالحًا. فقال:

لا يغرَّنَّك عيشٌ ساكن قد يوافي بالمنيَّات السَّحَرْ

فلما كان السَّحَر سمعتُ الواعيةَ[٢] عليه[٣].

* **رجل من بني يربوع**: قال محمود: حدثني عبيد الله بن محمد، حدثني أبو عدنان الهيثم بن الجون، أخبرنا الهيثم بن عديٍّ، أخبرنا ابن شُبْرُمة قال: احتضر رجل من بني يربوع، وكان له بُنَيٌّ يحبه، فنظر إليه وهو يجود بنفسه، فبكىٰ، ثم قال:

ألا ليت شِعري عن بُنَي بُعَيد ما يمهَّد لي في قبلة القبر مَضجعُ
وعن وصل أقوام أتىٰ الموتُ دونهم أيرعون ذاك الأمر أم سيضيَّعُ
وما يحفظ الأبناء إلا موفَّق من القوم مرضيُّ الأمانة مقنعُ

---

(١) الزهد والرقائق ص ١٥٤.

(٢) أي الصارخة. وانظر: تاج العروس ٤٠/ ٢١٥.

(٣) ذكره الطبري في تاريخ الرسل والملوك ١١/ ٦٥٨ - ٦٥٩، ولكن رواية البيت فيه:

لا يغرنك عِشاء سالم سوف يأتي بالمنيات السحر

قال ابن شبرمة: فرأيت واللهِ ابنَه ضائعًا لم يلتفت إليه أحد من إخوانه(١).

* **رجل من بني ضَبَّة**: وبالسند المتقدم إلىٰ أبي عدنان قال: أخبرنا الهيثم بن عديٍّ، عن ابن عيَّاش، عن شيخ من ضبة قال: حضرتُ منا رجلاً يجود بنفسه، وابن له يسمَّىٰ معمرًا يدبُّ بين يديه، فنظر إليه مليًّا وتنفَّس الصعداء، ثم أنشأ يقول لامرأته:

وإني لأخشىٰ أن أموت فتنكحي ويُقذَف في أيدي المراضع معمرُ
فحالت ستورٌ دونه ووليدة ويشغلها عنه خَلُوق ومِجمرُ

قالت: كلاَّ. قال: فواللهِ ما لبثت أن انقضت عِدَّتها أن تزوجت شابًا من الحي، فرأيتُ معمرًا علىٰ ما وصف(٢).

* **رجل من الصدر الأول**: قال ابن أبي الدنيا(٣): حدثني محمد بن الحسين، حدثنا داود بن المحبَّر، حدثنا الحسن بن دينار قال: سمعت الحسن يقول: احتضر رجل من الصدر الأول، فقال لابنه: اقعدْ عند رأسي فلقِّنِّي لا إله إلا الله، فنِعم الزاد هي للآخرة.

* **زياد ابن أبيه رحمه الله تعالىٰ**: قال المدائني: عن حباب بن موسىٰ، عن قيس الأرقط قال: طُعن زياد في أصبعه، فأقام خمس عشرة ليلة إذا جهده ذلك الموضعُ وضع أصبعه في خلٍّ حامض فيجد لذلك راحةً، وجاءه الهيثم بن الأسود

---

(١) فمات، فوالله ما عاد أحد علىٰ ولده بشيء. والأبيات - مع اختلاف - في تاريخ ابن معين برواية الدوري ٣/ ٤٤٦ من إنشاده، ونسبها وكيع في أخبار القضاة ص ٥٤٩ لابن شبرمة.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١٩٣ - ١٩٤ بنحوه من طريق عمر بن بكير النحوي عن شيخ من طيئ قال: احتضر رجل من بني ضبة، فنظر إلىٰ ابن له يدرج عند رأسه، فأقبل علىٰ أمه فقال: يا هذه: وإني لأخشىٰ ... فذكر القصة والبيتين. وأورده ابن قتيبة في عيون الأخبار ٤/ ١١٣، وأبو الطيب محمد بن إسحاق في كتاب الموشىٰ ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٣) كتاب المحتضرين ص ٢٠ - ٢١.

بعهده على الحجاز، فأُعلِمَ بذلك، فقال: وما أصنع به؟ ليت لي بما جاء به الهيثمُ شربة من ماء أسيغها. وقال له شريح: لو قطعتَ أصبعك. فقال: إذًا أقطع قلبي، إنما أجد الوجع في قلبي. فقال لهم شريح: ما نكفِّنه به؟ فقال زياد: خفِّفوا عليكم، فقد تقارَبَ مني سلبُ عاجل أو كسوة فاخر. ومات.

* **أبو شعيب صالح بن زياد رحمه الله تعالىٰ**: قال محمود: حدثني أبو محمد عمرو بن عبيد بن عمر الهوزني قال: دخلت علىٰ أبي شعيب صالح بن زياد أعوده، فوجدته في النزع، فقال: ألا أبشِّرك؟ رأيت ههنا شخصًا فأنكرته، فقلت: مَن أنت؟ قال: أنا ملك الموت. فقلت: ارفقْ بي. فقال: بهذا أُمِرتُ.

* **مالك بن أنس الإمام رحمه الله تعالىٰ**: قال الحارث بن أبي أسامة: حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا ابن أبي أويس قال: اشتكىٰ مالك أيامًا يسيرة، فسألتُ بعض أهلنا عمَّا قال عند الموت، فقال: تشهَّد ثم قال: لله الأمر من قبل ومن بعد[١].

* **أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن شاذان: حدثنا محمد بن عبد الله ابن عمرويه قال: سمعت عبد الله بن أحمد يقول: لما حضرت أبي الوفاةُ جلستُ عنده وبيدي الخرقة لأشدَّ بها لحييه، فجعل يعرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا: لا بعد، لا بعد. ففعل هذا مرةً وثانيةً، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبتِ، أيُّ شيء هذا قد لهجتَ به في هذا الوقت؟ تعرق حتىٰ نقول قد قضيتَ، ثم تعود فتقول: لا بعد، لا بعد. فقال: يا بني، ما تدري؟ قلت: لا. قال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاضٌّ علىٰ أنامله يقول لي: يا أحمد، قد فُتَّني. فأقول له: لا بعدُ حتىٰ أموت[٢].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٥٧٥.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٨٣، وابن الجوزي في الثبات عند الممات ص ١٦٠. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ٣٢٤ - ٣٢٥ عن صالح بن أحمد بن حنبل. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٥٦ - ٢٥٧ عن كليهما.

* **آدم بن أبي إياس العسقلاني رحمه الله تعالىٰ**: قال الخطيب في التاريخ(١): أخبرنا أحمد بن عبد الواحد، حدثنا إسماعيل بن سعيد المعدِّل، حدثنا أبو علي الكوكبي، حدثنا أبو علي المقدسي قال: لما حضرت آدمَ بن أبي إياس الوفاةُ ختم القرآن وهو مسجًّىٰ، ثم قال: بحبِّي لك إلا رفقتَ بي في هذا المصرع، كنت أؤمِّلك لهذا اليوم، كنت أرجوك، ثم قال: لا إله إلا الله، ثم قضىٰ.

* **عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك**: قال محمود: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا سعيد بن عفير قال: كان عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر مقيمًا بحلوان، وخليفته علىٰ مصر عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيج، فكان ابن حديج يرسل إليه كل يوم بأخبار مصر وما يحدث فيها وموت من يموت فيها، وأمره أن يختار الرسول حَسن الوجه والاسم، فأغفل يومًا فأرسل رجلاً، فقال له عبد العزيز: ما اسمك؟ قال: أبو طالب. قال: أسألك عن اسمك. قال: مدرك. قال: فتغيَّر وجهُ عبد العزيز وتطيَّر ومرِض، فلما احتضر قال: أروني أكفاني. فجاؤوه بها، فنظر إليها، ثم حوَّل وجهه وقال: أف لكِ من دنيا! ما أشد غرورك وأقل كثيرك وأقصر طويلك! ومات، فأُخرِج بجنازته وحولها مجامر العود، ولبس نساء إخوانه السوادَ وخرجن صارخات عليه، وذلك لحُسن آثاره عندهم(٢).

* **محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس**: قال أبو الحسن المدائني: عن عمر بن مساور الأهوازي، أخبرني جماعة من موالي محمد بن سليمان بن علي وخاصَّته أنه لما حضره الموتُ جعلوا يلقِّنونه الشهادةَ، وهو يقول:

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٤٨٩.

(٢) القصة بسياق مقارب في: فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٢٦٤ (ط - مكتبة الثقافة الدينية)، وأخبار القضاة لوكيع ص ٦٣٤. وروىٰ ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ٩٧ عن داود بن المغيرة قال: لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة قال: ائتوني بكفني الذي تكفنوني فيه. فلما وضع بين يديه ولاهم ظهره، فسمعوه وهو يقول: أف لك! ما أقصر طويلك وأقل كثيرك!

ألا ليت أمّي لم تلدني ولم أكن لقيتُ بفخ لا حسينًا ولا حسن[(١)]

* **ذو الرُّمة الشاعر**: قال محمود: حدثنا عبد الله بن الهيثم، عن أبي اليقظان، عن جويرية بن أسماء قال: مات ذو الرمة بالبادية، فقال وهو يكيد بنفسه:

يا رب قد أسرفتْ نفسي وقد علمتْ علمًا يقينًا لقد أحصيتَ آثاري
يا رب فاغفر ذنوبًا قد أحطتُ بها يوم الحساب وزحزِحْني عن النار[(٢)]

قال: وحدثنا أحمد بن الأسود، حدثنا الجُمَحي، أخبرنا الزيادي قال: لما احتضر ذو الرمة قيل له: كيف تجدك؟ قال: أجدني أجد ما لا أجد أيام الكذب، فأزعم أني أجد فأقول:

كأنّي غَداة البَين يا أم مالك أجود بنفس قد تدانَىٰ حِمامُها[(٣)]

* **جرير الشاعر**: قال الأصمعي: حدثنا عبَّاد بن كسيب العنبري قال: احتضر جرير ببادية المردة، فدخل عليه إخوانه يعودونه، فقال:

أهلاً وسهلاً بقوم زيَّنوا حَسَبي وإن مرضتُ فهم أهلي وعُوَّادي
لو أن ليثًا أبا شِبْلين أوعدني لم يُسلِموني لليث الغابة العادي

---

(١) رواه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين ص ٢٢٩ (ط - دار الكتب العلمية). وزاد في آخره: فجعل يرددها حتىٰ مات. وأورده الزمخشري في ربيع الأبرار ٥/ ١٩١، وابن حمدون في تذكرته ٩/ ٢٩٥. ويوم فخ: معركة حدثت بمكان يقال له فخ علىٰ بعد ٣ أميال من مكة بين جيش العباسيين والعلويين الذين كان يقودهم الحسين بن علي بن الحسن المثلث، وكان ذلك سنة ١٦٩ هـ، وقتل فيها الحسين ابن علي وجماعة من أهل بيته، وبقيت جثثهم ثلاثة أيام حتىٰ أكلتها السباع. انظر: تاريخ الرسل والملوك ٨/ ١٩٢ - ٢٠٣. البداية والنهاية ١٣/ ٥٥٣ - ٥٥٤. معجم البلدان ٤/ ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) البيتان في ديوان ذي الرمة ص ١٣٠، ولكن رواية البيت الثاني فيه هكذا:

يا مخرج الروح من جسمي إذا احتضرت وفارج الكرب زحزحني عن النار

(٣) لم أقف علىٰ هذا البيت في ديوان ذي الرمة.

إن تجْـرِ طيـرٌ بأمـر فيـه صالحـةٌ　　　أو بالفـوات فقـد أحسنتم زادي[١]

* **أبو الدُّقَيش**: قال محمود: حدثني أحمد بن الأسود، حدثني الجُمَحي قال: قيل لأبي الدقيش وقد احتضر: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي ما لا أجد، وأجد ما لا أشتهي[٢].

* **بكر بن المعتمر رحمه الله تعالىٰ**: قال محمود: حدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا العتبي قال: لما حضرت بكرَ بن المعتمر الوفاةُ رأوه مسرورًا، فقيل له في ذلك، فقال: ما أخرج إلىٰ سلطان غير سلطان ربِّي عَزَّوَجَلَّ.

* **هُدبة بن الخُشرم الشاعر**: قال محمود: حدثني محمد بن موسىٰ، حدثني ابن السِّكِّيت، حدثني ابن الأعرابي قال: لمَّا قُدِّم هدبة بن الخشرم ليُقتَل قال له ابن حسان بن ثابت: أنشِدْني أبياتًا. قال: علىٰ هذه الحال؟ قال: نعم. فأنشده:

ألا عَلِّلاني قبل نوح النوائح　　　وقبل فراق الروح بين الجوانح

وقبل غدٍ يا لهفَ نفسي علىٰ غدٍ　　　إذا راح أصحابي ولستُ برائح

إذا راح أصحابي تفيض دموعهم　　　وغودِرتُ في لحد علىٰ صفائح

---

(١) رواه أبو الفرج في الأغاني ٨/ ٦٤ عن محمد بن مهاجر قال: دخلنا علىٰ جرير في نفر من قريش نعوده في علته التي مات فيها، فالتفت إلينا فقال: أهلا وسهلا ... الأبيات، ولكن بتقديم البيت الثالث علىٰ الثاني. والأبيات في ديوان جرير ص ١٠٨، مع اختلاف.

(٢) رواه الأزهري في تهذيب اللغة ١/ ١٣ عن أبي زيد اللغوي قال: دخلت علىٰ أبي الدقيش الأعرابي وهو مريض، فقلت: كيف تجدك يا أبا الدقيش؟ فقال: أجد ما لا أشتهي، وأشتهي ما لا أجد، وأنا في زمان سوء، زمان من وجد لم يجُد، ومن جاد لم يجِد. وذكره أيضا: ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ٥٧، والزمخشري في ربيع الأبرار ١/ ٣٣ - ٣٤. وأورده ياقوت في معجم الأدباء ٣/ ١٢٩٢ والصفدي في الوافي بالوفيات ١٤/ ١٦ من رواية الخليل ابن أحمد قال: دخلنا علىٰ أبي الدقيش ... فذكره. وروىٰ البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٣٣١ مثله عن أبي العباس ثعلب.

يقولون هل أصلحتم لأخيكم وما اللحد في الأرض الفضاء بصالح[١]

* **مسلمة بن عبد الملك بن مروان:** قال محمود: حدثني ابن الهيثم، حدثني العتبي، عن أبيه قال: لما احتضر مسلمة بن عبد الملك جعل يبكي، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: واللهِ ما أجزع من الموت، وإني لَواثقٌ، ولكن بعد ثلاثين غَزاة أموت علىٰ الفراش كما تموت النساء.

* **عبد الله بن الفضل بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب رحمه الله تعالىٰ:** قال أبو الحسن المدائني: عن مسلمة بن محارب، عن محرَّر بن جعفر [عن أبيه] قال: دخلت علىٰ عبد الله بن الفضل بن ربيعة وهو يكيد بنفسه وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أبكي لنُسَيَّات وراء هذا الستر، لولاهنَّ لهانَ عليَّ الموتُ، إني لَمؤمنٌ بالله، تائب إلىٰ الله، وإن الله لَغفورٌ رحيم. قلت: والذي ترجوه لمغفرة ذنبك فارْجُه لخير بناتك. فقال: صدقتَ، جزاك الله خيرا[٢].

* **إياس بن قتادة العبشمي رحمه الله تعالىٰ:** قال أبو الحسن المدائني: عن عبد الله بن فائد، عن أشياخ من بني تميم: أن إياس بن قتادة العبشمي نظر يومًا في المرآة، فرأىٰ بياض الشعر في رأسه ولحيته، فقال: ما بعد هذا إلا التشاغل بأمور الآخرة، هذا وداع من الدنيا. فأقبل علىٰ الاجتهاد والعبادة، فخرج يوم الجمعة من المسجد، فنظر إلىٰ السماء فقال: مرحبًا بك، قد كنت أنتظر مجيئك. ثم التفت إلىٰ

---

(١) الأبيات – مع اختلاف يسير – في ديوان هدبة ص ٨٩، وبعدها بيت خامس هو:

يقولون لا تبعد وهم يدفنوني وليس مكان البعد إلا ضرائحي

وقد نسبت هذه الأبيات أيضا لأبي الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي، وهي في ديوان شعره المنشور بمجلة المورد العراقية، العدد الثالث من المجلد السابع عشر، ص ١٥٨.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١٩٢ – ١٩٣، وفيه بعد قوله «لخير بناتك»: فمغفرة الذنب أعظم من الرزق. وذكره المبرد في التعازي والمراثي ص ١٣٤.

مَن حوله فقال: إذا أنا متُّ فاحملوني إلىٰ ملحوب[١]، فادفنوني بها. ثم سقط ميتًا، فحُمل إلىٰ ملحوب، فقبره بها[٢].

* **زيد بن علي بن الحسين رحمه الله تعالىٰ**: قال المدائني: لما رُمي زيد بن علي قال لابنه عيسىٰ بن زيد:

أبنـي إمـا أهلكـنَّ فـلا تكـن ... دَنِـس الفِعـال مبيَّـض الأثـواب
واحـذرْ مصاحبـة اللئـام فإنمـا ... يردي الكرامَ فسولة الأصحاب[٣]

* **أرطاة ابن سُهَيَّة الشاعر**: قال محمود: حدثني أبو محمد اليقطيني، حدثني أبو السكن الطائي، حدثني عم أبي زحر بن حصن، عن جدِّه حميد بن منهب قال: لما احتضر أرطاة بن سهية جعل يردِّد هذه الأبيات:[٤]

يقول الفتىٰ ثمَّرتُ مالي وإنما ... لوارثه قد يثمِّر المالَ كاسبُه
يحاسب فيه نفسه في حياته ... ويتركه نهبًا لمَن لا يحاسبه
فكلْه وأطعِمْه وخالِسْه وارثًا ... شحيحًا ودهرًا تعتريه نوائبُه
يخيب الفتىٰ من حيث يُرزَق غيرُه ... ويعطي الفتىٰ من حيث يُحرَم صاحبُه

* **إبراهيم بن هانئ صاحب أحمد بن حنبل رحمه الله**: قال الدارقطني[٥]:

---

(١) في معجم البلدان ٥/ ١٩١: «ملحوب: اسم موضع، قال الكلبي عن الشرقي: سمي ملحوب ومليحيب بابني تريم بن مهيع بن عردم بن طسم. وملحوب: اسم ماء لبني أسد بن خزيمة، ومليحيب: علم علىٰ تل. وقال الحفصي: ملحوب ومليحيب قريتان لبني عبد الله بن الدئل بن حنيفة باليمامة».

(٢) رواه ابن الشجري في الأمالي الخميسية ٢/ ٢٤٦.

(٣) رواه ابن العديم في بغية الطلب ٩/ ٤٠٤٣.

(٤) الأبيات في ديوان أرطأة بن سهية ص ١٢٦، في قسم الشعر المنسوب له ولغيره.

(٥) العلل ٦/ ٢٩. وفيه بعد قوله «وأنت متطوع»: «قال لا وأنا عطشان».

سمعت أبا بكر النيسابوري يقول: حضرتُ إبراهيم بن هانئ يوم وفاته، فدعا ابنَه إسحاقَ فقال: هل غربت الشمس؟ قال: لا. ثم قال: يا أبتِ، رُخِّص لك في الإفطار في الفرض، وأنت متطوِّع. قال: أمهِلْ. ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات: ٦١]. ثم خرجت نفسه.

* **وكيع بن أبي سُوْد**[١]: قال محمود: حدثنا عبيد الله بن محمد، حدثنا ابن أبي شيخ قال: لما احتضر وكيع بن أبي سود قال لولده: لو قدمت، لقد جاءكم قوم قد حفُّوا شواربَهم وحكُّوا جِباههم وشمَّروا مآزرهم، فبكوا عليَّ وقالوا: اقضوا ما علىٰ أبيكم من الدَّين، فلا تطيعوهم، فإنَّ علىٰ أبيكم من الذنوب ما إن غفرها الله له كان الدَّين من أيسرها، وإن لم يغفرها لم تُخدعوا عن أموالكم[٢].

* **أبو يعلىٰ محمد بن الحسين بن الفَرَّاء رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن الجوزي[٣]: لما احتضر غزل أكفانَ نفسه، وأوصىٰ أن لا يكفَّن بغيرها، ولا يُخرق عليه ثوب، ولا يُقعَد لعزاء.

* **أبو حكيم الخَبْري رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن الجوزي[٤]: حدثني أبو

---

(١) قال المزي كما جاء في حواشي تهذيب الكمال: هو وكيع بن أبي سود البصري، واحد الفرسان والشعراء. انظر: تهذيب الكمال حاشية رقم ٢، والمقتفىٰ في سرد الكنىٰ للذهبي ٢/ ٨٠.

(٢) أورده المبرد في التعازي والمراثي ص ١٥٢ قال: «قال أبو الحسن المدائني: عن كليب بن خلف قال: قال وكيع بن أبي سود عند موته لأهله وولده: إني إذا مت جاءكم قوم قد سودوا جباههم ونشروا لحاهم وعرضوا نعالهم، يقولون: إن علىٰ أبيكم دينا فاقضوه، فلا تقضوا عني شيئا، فإن علىٰ أبيكم من الذنوب ما إن غفرها الله فالدين من أيسرها». وذكره الراغب في محاضرات الأدباء ٢/ ٤٨٦ بلفظ: «لما حضرت وكيعا الوفاة دعا بنيه فقال: يا بني، إن قوما سيأتونكم قد قرحوا جباههم وعرضوا لحاهم، يدَّعون أن لهم عند أبيكم دينا، فلا تقضوهم، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفرها الله له لم تضره هذه، وإلا فهي معها».

(٣) الثبات عند الممات ص ١٧٦.

(٤) السابق ص ١٧٦.

الفضل ابن ناصر عن جدِّه أبي حكيم الخبري أنه كان قاعدًا ينسخ، فوضع القلم من يده وقال: إن كان هذا موتًا فواللهِ إنه موتٌ طيب. فمات.

* **أبو الوفاء ابن عقيل رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن الجوزي(١): حُدِّثتُ عنه أنه لما احتضر بكىٰ أهلُه، فقال لهم: لي خمسون سنة أوقِّع عنه، فدعوني أتهنَّأ بلقائه.

* **الإمام أبو حامد الغزالي مصنِّف هذا الكتاب رحمه الله**: قال ابن الجوزي(٢): قال أخوه أحمد: لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلىٰ وقال: عليَّ بالكفن. فأخذه وقبَّله وتركه علىٰ عينيه وقال: سمعًا وطاعة للدخول علىٰ الملك. ثم مدَّ رجليه، واستقبل القِبلة، ومات قبل الإسفار.

* **أبو بكر بن حبيب رحمه الله تعالىٰ**: من مشايخ ابن الجوزي، قال(٣): لما احتضر شيخنا أبو بكر بن حبيب قال له أصحابه: أوصِنا. قال: أوصيكم بثلاث: بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، فقد عشتُ إحدىٰ وستين سنة وما كأنِّي رأيت الدنيا. ثم قال لبعض أصحابه: انظرْ هل ترىٰ جبيني يعرق؟ فقال: نعم. فقال: الحمد لله، هذه علامة المؤمن. ثم بسط يده عند الموت وقال:

هـا قـد مـددتُ يـدي إليـك فرُدَّهـا ... بالفضـل لا بشـماتة الأعـداء

* **أبو الوقت عبد الأول بن عيسىٰ راوي البخاري رحمه الله**: قال ابن الجوزي(٤): حدثني أبو عبد الله التكريتي قال: لما احتضر عبد الأول أسندتُه إليَّ، فكان آخر كلمة قالها: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧].

---

(١) السابق ص ١٧٧ - ١٧٨.
(٢) السابق ص ١٧٨ - ١٧٩.
(٣) السابق ص ١٧٩ - ١٨٠.
(٤) السابق ص ١٨١.

* **أبو محمد ابن الخَشَّاب رحمه الله تعالىٰ**: قال ابن الجوزي[١]: دخلت عليه في مرض موته، وهو ساكن غير منزعج، فقال لي: عند الله أحتسب نفسي.

ثم شرع المصنف رحمه الله تعالىٰ في ذِكر أقاويل المحتضرين من السادة الصوفية[٢]، فقال: (**وقال الجُرَيري**) وهو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين، نُسب إلىٰ جدِّه جُرَير مصغَّرًا، من أكابر أصحاب الجنيد، وصحبَ سهلاً التستري (**كنت عند الجنيد**) أبي القاسم (**في حال نزعِه، وكان يوم الجمعة ويوم النيروز**) أي أول يوم من السنة العجمية، وأصله: نو روز: أي النهار الجديد (**وهو يقرأ القرآن، فختم، فقلت له: في هذه الحالة يا أبا القاسم؟! فقال: ومَن أَولىٰ بذلك مني؟ وهو ذا تُطوَىٰ صحيفتي**)[٣] نقله القشيري في الرسالة.

وقال أبو نعيم في الحلية[٤]: سمعت عبد المنعم بن عمر يقول: سمعت أبا سعيد ابن الأعرابي يقول: سمعت أبا بكر العطَّار يقول: حضرتُ الجنيدَ عند الموت في جماعة من أصحابنا، فكان قاعدًا يصلي ويثني رجليه كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتىٰ خرجت الروح من رجله وثقلت عليه حركتُها، فمدَّ رجليه وقد تورَّمتا، فرآه بعض أصدقائه فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ فقال: هذه نعم الله، الله أكبر. فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري: لو اضطجعتَ. قال: يا أبا محمد، هذا وقت يؤخَذ منه، الله أكبر. فلم يزل ذلك حاله حتىٰ مات رحمه الله تعالىٰ.

(**وقال**) أبو محمد (**رُوَيم**) بن أحمد البغدادي رحمه الله تعالىٰ: (**حضرتُ**

---

(١) السابق ص ١٨٢.

(٢) انظر الكلام عن أحوال الصوفية عند الخروج من الدنيا في: الرسالة القشيرية ص ٥٠٠ – ٥٠٨، وشرحها إحكام الدلالة ٢/ ٨٤٩ – ٨٦٧.

(٣) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٣، ٥٤٤.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٢٨١.

وفاة أبي سعيد) أحمد بن عيسىٰ (الخَرَّاز) رحمه الله تعالىٰ (وهو يقول) في آخر نفَسه:

(حنين قلوب العارفين إلىٰ الذِّكر ... وتَذْكارُهم وقتَ المناجاة للسر
أُديرتْ كؤوس للمنايا عليهم ... فأغفَوا) (عن الدنيا كإغفاء ذي السُّكْر
همومهم جَوَّالة بمعسكر ... به أهلُ ودِّ الله كالأنجُم الزُّهْر
فأجسامهم في الأرض قتلىٰ بحبِّه) ... وأرواحهم في الحُجْب نحو العلىٰ تسري

وفي بعض النسخ: تبلَىٰ، بدل: قتلىٰ

أي تقطعها بسرعة إلىٰ نحو العلىٰ حتىٰ لم يبقَ علىٰ قلوبهم حجابٌ يحجبها عنه؛ لإعراضهم عن الدنيا

(فما عرَّسوا) أي ما نزلوا، أي في سفرهم (إلا بقرب حبيبهم
وما عرَّجوا من مسٍّ بؤس ولا ضر)[1]

أي أحوالهم في الدنيا مع مولاهم هي التي حملتهم علىٰ حنين قلوبهم إليه وقت الارتحال، ولم يجدوا لِما هم فيه من نزع الروح والأهوال ألمًا؛ لإعراضهم عن الدنيا. نقله القشيري في الرسالة.

(وقيل للجنيد: إن أبا سعيد الخَرَّاز كان كثير التواجُد عند الموت. فقال: لم يكن بعَجب أن تطير روحه اشتياقًا) للقاء ربِّه. نقله القشيري في الرسالة. وفيه إشارة إلىٰ كمال حال الخراز في دوام شغله بالله وأنسه به في سائر أحواله[2].

(وقيل لذي النون) المصري رحمه الله تعالىٰ (عند موته: ماذا تشتهي؟ قال):

---

(١) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٣.

(٢) انظر: اللمع للطوسي ص٢٨٢ (ط دار الكتب الحديثة، مصر)، والرسالة للقشيري ص ٦١٢، وإحكام الدلالة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ٢/ ٨٥٤.

أشتهي (**أن أعرفه**) فوق معرفتي له (**قبل موتي بلحظة**)[١] رواه القشيري في الرسالة. والمعنىٰ أن ذا النون رأىٰ نفسه مقصِّرًا عن القيام بحق معرفته، فعدَّ معرفتَه كلا معرفةَ، فطلب أن يستغرق في جلال الله وكماله بحسب ما علمَه من ذلك.

(**وقيل لبعضهم وهو في النزع: قل الله**) أي اذكرْه بلسانك (**فقال: إلىٰ متىٰ تقولون**) لي قل (**الله وأنا محترق بالله**)[٢] فلست بغافل عنه، فلا أحتاج إلىٰ مَن يذكِّرني به. نقله القشيري في الرسالة. وهذا يدل علىٰ كمال حضوره مع الله، شديد المراقبة له.

(**وقال بعضهم: كنت عند**) أبي علي (**ممشاد الدينوري**) رحمه الله تعالىٰ وجماعته (**فقَدِمَ**) عليهم (**فقيرٌ**) من الفقراء أرباب الأحوال (**وقال: السلام عليكم**) فردُّوا عليه السلام، فقال لهم: (**هل ههنا موضعٌ نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه؟ فأشاروا إليه بمكان**) عيَّنوه له (**وكان ثَم عين ماء، فجدَّد**) ذلك (**الفقيرُ الوضوءَ**) منها (**وركع ما شاء الله، ومضىٰ إلىٰ ذلك المكان**) الذي أشاروا إليه (**ومدَّ رجليه ومات**) نقله القشيري في الرسالة، وابن خميس في مناقب الأبرار[٣]، وابن الملقن في الطبقات[٤]. وهذا من خرق العوائد، وهو مستثنىٰ من عموم «خمس من الغيب لا يعلمهنَّ إلا الله»، فيُطلِع اللهُ الوليَّ علىٰ ذلك، وفائدة هذه الحكاية أنه كان في مجلس الدينوري مَن ينكر خرق العوائد، فأتىٰ اللهُ به جهارًا مرتَّبًا علىٰ سؤال وجواب؛ ليرجع إليه مَن ينكره وينتفع به، ويتقوَّىٰ به [يقينُ] مَن ينظره.

---

(١) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٥ وفيه زيادة لم تذكر في الرسالة.

(٢) السابق ص٥٤٥.

(٣) مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار للحسين بن نصر ابن خميس الموصلي ص ٦١٧ (ط - مركز زايد للتراث والتاريخ).

(٤) طبقات الأولياء ص ٥١، ٥٢ في ترجمة أبي علي الروذباري، وأظنها قصة أخرىٰ للخلف في سياقها. والله أعلم.

(**وكان أبو العباس**) أحمد[١] بن محمد (**الدينوري**) رحمه الله تعالىٰ، صحب يوسفَ بن الحسين وابن عطاء والجريري، وكان عالمًا فاضلاً، ورد نيسابورَ وأقام بها مدةً يعظ ويتكلم علىٰ لسان أهل المعرفة، ثم ذهب إلىٰ سمرقند، فمات بها بعد الأربعين وثلاثمائة (**يتكلم**) للرجال والنساء (**في مجلسه**) بنيسابور (**فصاحت امرأةٌ**) ممَّن حضرنَ مجلسَه لسماع الوعظ (**تواجُدًا**) بما سمعتْه منه من الحِكَم وذِكر مقامات القُرب إلىٰ الله تعالىٰ، فكرهَ منها ذلك بحضرة الرجال (**فقال لها: موتي**) إن كنتِ صادقة مغلوبة (**فقامت المرأة، فلما بلغت بابَ الدار التفتت إليه**) ورجعت إلىٰ الله بالاضطرار أن لا يفضحها، وأن يميتها؛ لتَسلم من نسبتها إلىٰ التكلُّف لأحوال الفقراء، فأجاب الله دعاءها (**وقالت: قد متُّ. ووقعت ميتةً**) رحمها الله تعالىٰ. نقله القشيري في الرسالة قال: سمعت أبا عبد الرحمن السُّلَمي يقول: كان أبو العباس ... فذكره.

(**ويُحكَىٰ عن فاطمة**) ابنة محمد (**أخت أبي علي**) أحمد بن محمد (**الروذباري**) البغدادي ثم المصري، وكانت من العارفات، وهي والدة أبي العباس أحمد بن عطاء، لها كلام حسن، روىٰ عنها أخوها، وعاشت بعده (**قالت: لما قربَ أجلُ**) أخي (**أبي علي الروذباري، وكان رأسه في حِجْري، فتح عينيه**) وكان قد أغمي عليه (**وقال: هذه أبواب السماء قد فُتحت، وهذه الجنان قد زُيِّنت، وهذا قائل يقول**) لي: (**يا أبا علي، قد بلَّغناك الرتبةَ القصوىٰ**) وإن لم تسألها، وأعطيناك درجةَ الأكابر (**وإن لم تُرِدْها**) وهذا لأن المحتضر قد يُكشَف له من الأمور الملكوتية فيرىٰ ما لا يراه الغير، كما تقدم (**ثم أنشأ يقول**[٢]):

وحقِّـك لا نظـرتُ إلـىٰ سـواكا ... بعيـن مـودَّة حتـىٰ أراكا

أراك معذبِّـي بفتـورِ لحـظٍ ... وبالخـد المـورَّد مـن جنـاكا)

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٢٢.

(٢) تهذيب الأسرار للخركوشي ص٥٤٦، وفيه أن فاطمة هذه زوج الروذباري لا أخته.

نقله القشيري في الرسالة، وابن الملقن في الطبقات[1]، وابن خميس في مناقب الأبرار[2]، وزادوا: ثم قال: يا فاطمة، الأول ظاهر، والثاني [فيه] إشكالٌ. أي أول البيتين ظاهر؛ إذ هو قَسَمٌ بعظمته وجلاله تعالىٰ أن لا يلتفت إلىٰ غيره، والثاني منهما فيه إشكال علىٰ مَن لم يعرف المراد به ويتوهَّم أنه راجع إلىٰ ربِّه. وفي بعض نسخ الرسالة بعد البيت الثاني:

فلو قطَّعتني في الحب إربًا لَما حنَّ الفؤادُ إلىٰ سواكا

(وقيل للجنيد) قُدِّس سره عند النزع: **(قل: لا إله إلا الله. فقال: ما نسيتُه فأذكره)**[3] نقله القشيري في الرسالة. يشير إلىٰ أن الذِّكر يكون عن الغفلة عن المذكور، وأنا لم أغفل عنه طرفة عين، فكيف أذكره؟ وهو مقام الاستغراق.

قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا حاتم السِّجِسْتاني يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: قال أبو يزيد عند موته: ما ذكرتُك إلا عن غفلة، ولا قبضتني إلا علىٰ فترة[4].

(وسأل) أبو[5] محمد **(جعفر بن)** محمد بن **(نصير)** البغدادي المعروف بالخلدي، صحب الجنيدَ وانتمىٰ إليه، وصحب النوريَّ وسمنون، مات ببغداد سنة ٣٤٨ **(بكران الدينوريَّ خادم الشبلي)** رحمه الله تعالىٰ: **(ما الذي رأيت منه)**؟ أي عند وفاته **(فقال)** بكران: **(قال)** لي الشبلي: **(عليَّ درهم مظلمة، وتصدَّقتُ عن صاحبه بألوف، فما علىٰ قلبي شغلٌ أعظم منه)** لأجل براءة الذمَّة **(ثم قال)** لي: **(وضِّئني للصلاة. ففعلتُ)** أي وضَّأتُه **(فنسيت تخليلَ لحيته، وقد أُمسِكَ)**

---

(١) طبقات الأولياء ص ٥٢.

(٢) مناقب الأبرار ص ٦٨٢.

(٣) تهذيب الأسرار للخركوشي ص٥٤٩.

(٤) اللمع للطوسي ص ٢٨٠.

(٥) الرسالة القشيرية ص ١١٦. لباب الأنساب ١/ ٤٥٦.

بالبناء للمفعول (علىٰ لسانه) أي لم يُطِق التكلمَ (فقبض علىٰ يدي وأدخلها في لحيته) لأخلِّلها (ثم مات[١]. فبكىٰ جعفر) السائل (وقال: ما تقولون في رجل لم يفُتْه في آخر عمره أدبٌ من آداب الشريعة)؟ وفيه دلالة علىٰ كمال فضيلة الشبلي وتعظيمه للشريعة وثباته عليها عند الموت. ورواه القشيري[٢] في الرسالة فقال: سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: سأل جعفرُ بن نصير بكرانَ الدينوري، وكان يخدم الشبلي ... فساقه. ورواه ابن الملقن في الطبقات[٣]، إلا أنه سمَّىٰ خادمه: بكيرًا الدينوريَّ.

(وقيل لبشر بن الحارث) الملقَّب بالحافي قُدِّس سره (لمَّا احتضر وكان يشقُّ عليه: كأنَّك) يا أبا نصر (تحب الحياة. فقال: القدوم علىٰ الله شديد) رواه القشيري في الرسالة[٤].

وقد رُوي عن سفيان الثوري أنه لما احتضر قال: كنا نتمنَّاه، فإذا هو شديد[٥].

(وقيل لصالح بن مسمار) البصري العابد، سكن الجزيرة: (ألا توصي بابنك وعيالك؟ فقال: إني لأستحي من الله أن أوصي بهم إلىٰ غيره)[٦] تعالىٰ.

---

(١) اللمع للطوسي ص٢٨١.

(٢) ومن طريقه رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧١ - ٥٧٢. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٣٧١ فقال: أخبرني جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال: حضرت وفاة الشبلي، فأمسك لسانه وعرق جبينه، فأشار إلىٰ وضوء الصلاة، فوضأته، ونسيت تخليل لحيته، فقبض علىٰ يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخللها، فبكيت وقلت: أي شيء يتهيأ أن يقال لرجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزوع روحه وإمساك لسانه وعرق جبينه؟

(٣) طبقات الأولياء ص ٢١٢.

(٤) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٢.

(٥) نص القشيري في الرسالة: «قيل: كان سفيان الثوري إذا قال له بعض أصحابه إذا سافر: أتأمر بشغل؟ يقول: إن وجدت الموت فاشتره لي. فلما قربت وفاته كان يقول: كنا نتمناه، فإذا هو شديد».

(٦) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٢.

(ولما احتضر أبو سليمان) عبد الرحمن بن أحمد (الداراني) رحمه الله تعالىٰ (أتاه أصحابه فقالوا) له: (أبشِرْ، فإنك تقدُم علىٰ رب) كريم (غفور رحيم. فقال لهم: ألا تقولون: احذرْ، فإنك تقدُم علىٰ ربٍّ يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير) [١] وهذا مقامُ مَن غلب علىٰ قلبه الخوفُ فلم يطمئن.

(ولما احتضر الواسطيُّ) هو أبو بكر محمد بن موسىٰ، صحب الجنيد والنوريَّ (قيل له: أوصِنا. فقال: احفظوا مرادَ الحق فيكم) [٢] وهي كلمة جامعة للخيور كلِّها، فإن مراد الحق من عبده أن يكون له خاصةً، فلا يضاف إلا له، ولا ينتسب إلا إليه، وهذا هو التوحيد الخالص.

(واحتضر بعضُهم، فبكت امرأتُه، فقال لها: ما يبكيكِ؟ فقالت: عليك أبكي. فقال: إن كنتِ باكية فابكي علىٰ نفسكِ، فلقد بكيتُ لهذا اليوم أربعين سنة.

وقال الجنيد) قُدِّس سره: (دخلت علىٰ) أستاذي (السري السقطي أعوده في مرض موته، فقلت: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كيف أشكو إلىٰ طبيبي ما بي ... والذي بي أصابني من طبيبي)

وهو مثل قول الصدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمَّا قيل له: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. وقول حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما قيل له ذلك: الطبيب أمرضني (فأخذت المروحة لأروِّحه، فقال: كيف يجد روح المروحة مَن جوفُه يحترق؟ ثم أنشأ يقول:

القلب محترق والدمع مستبق ... والكرب مجتمع والصبر مفترقُ

كيف القرارُ علىٰ مَن لا قرار له ... ممَّا جناه الهوىٰ والشوق والقلقُ

---

(١) السابق.

(٢) السابق ص ٥٤٣.

يا رب إن يك شيءٌ فيه لي فرجٌ فامنُنْ عليَّ به ما دام بي رمقُ[(١)]

وحُكي أن قومًا من أصحاب) أبي بكر (الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت، فقالوا له: قل: لا إله إلا الله. فأنشأ يقول:

إن بيتًا أنت ساكنه غير محتاج إلىٰ السُّرُج

وجهك المأمول حُجَّتنا يوم يأتي الناس بالحجج

لا أتاح الله لي فرجًا يوم أدعو منك بالفرج)[(٢)]

قال القشيري[(٣)] في الرسالة: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج الطوسي يقول: بلغني عن أبي محمد الهروي قال: مكثتُ عند الشبلي الليلةَ التي مات فيها، فكان يقول طول ليلته هذين البيتين ... فساقهما، ولم يذكر البيت الثالث.

(وحُكي أن أبا العباس) أحمد بن محمد بن سهل (بن عطاء) الآدمي، من أقران الجنيد (دخل علىٰ الجنيد في وقت نزعِه، فسلَّم عليه، فلم يجبْه، ثم أجاب بعد ساعة وقال: اعذرْني، فإني كنت في وِردي) الذي التزمتُه، فما أمكنني قطعه لردِّ السلام (ثم ولَّىٰ وجهَه إلىٰ القبلة وكبَّر ومات)[(٤)] نقله القشيري في الرسالة بلفظ:

---

(١) السابق ص ٥٤٤، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٢٧٣. ومن طريق أبي نعيم رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٥.

(٢) اللمع للطوسي ص ٢٨٠، ولم يذكر البيت الثالث، والأبيات - مع بيتين آخرين - في ديوان الشبلي ص ١٣٩، في قسم الشعر المنسوب له ولغيره. وقد نسبت هذه الأبيات أيضا لعبد الصمد بن المعذل، وهي في ديوانه ص ٧٧ - ٧٨ (ط - المجمع العلمي العراقي). ونسبت إلىٰ ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي، وهي في ديوانه ص ١٦١ (ط - دار الثقافة ببيروت). والبيتان الأول والثاني فقط في ملحق ديوان الحلاج ص ٤٢٥.

(٣) ومن طريقه رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧١.

(٤) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٧.

وقيل: دخل ابن عطاء علىٰ الجنيد وهو يجود بنفسه، فسلَّم، فأبطأ في الجواب، ثم ردَّ وقال: اعذرْني، فلقد كنت في وِردي. ثم مات[١].

(**وقيل للكتاني**) أبي[٢] بكر محمد بن علي البغدادي، من أصحاب الجنيد، مات بمكة سنة ٣٢٢ (**لما حضرته الوفاةُ: ما كان عملُك؟ فقال: لو لم يقرُب أجلي ما أخبرتكم به؟ وقفتُ علىٰ باب قلبي أربعين سنة، فكلَّما مرَّ فيه غيرُ الله حجبتُه عنه**[٣].

وحُكي عن المعتمر قال: كنت فيمَن حضر الحكم بن المطلب) بن[٤] عبد الله بن المطلب بن حَنْطَب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم المخزومي، أحد أجواد بني مخزوم، قدم منبج وسكنها مرابطًا. ترجمته في تاريخ حلب[٥] مبسوطة. ووالده[٦] المطلب روىٰ له البخاري في جزء القراءة والأربعة، وهو صدوق، كثير التدليس والإرسال. وأخوه[٧] عبد الله بن المطلب مدني، روىٰ له النسائي (**حين جاءه الحقُّ، فقلت: اللهم هوِّنْ عليه سكرات الموت، فإنه كان وكان. فذكرتُ محاسنه، فأفاق فقال: مَن المتكلم؟ فقلت: أنا. فقال: إن ملك الموت** ﷺ **يقول لي: إني بكل سخيٍّ رفيقٌ. ثم طفئ**)[٨] رواه الزبير بن بكَّار في أنساب قريش قال: سمعت القاسم بن محمد بن المعتمر بن عياض بن حَمْنَن بن عوف الزهري يحدِّث أبي بمِنىٰ سنة أربع وتسعين ومائة قال: حدثني حميد بن

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٥٤٢، والخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ١٧٢.
(٢) الرسالة القشيرية ص ١٠٩.
(٣) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٨.
(٤) تاريخ دمشق ١٥/ ٣٧.
(٥) بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ٦/ ٢٨٦٦ - ٢٨٧٦.
(٦) تقريب التهذيب ص ٩٤٩.
(٧) السابق ص ٥٤٧.
(٨) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٨.

معيوف الهَمْداني، عن أبيه معيوف بن يحيىٰ قال: كنت فيمَن حضر الحكمَ بن المطلب المخزومي عند موته بمنبج، فأغمي عليه ولقي شدةً، فقال بعض مَن حضره: اللهم هوِّنْ عليه. فأفاق وقال: مَن المتكلم؟ فقال المتكلم: أنا. فقال: هذا ملك الموت يقول لي: إني بكل سخيٍّ رفيقٌ(١).

وقد أخرجه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين فقال: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا الزبير بن بكّار ... فساقه.

وقد عرفتَ بهذا أن المعتمر في سياق المصنِّف ليس هو التيمي كما يُظَن به عند بادئ الرأي، وليس له رواية في هذه القصة، وإنما هي لحفيده.

وقال محمود أيضًا: حدثنا عبيد الله بن محمد، حدثنا مصعب الزبيري قال: مات ابنٌ للمطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب يقال له الحارث أبو الحكم وعبد العزيز، وكان موته بمكة، فحجَّ أبوه من قابل، فلما أتىٰ قبرَه قال: يا بني، أتيتُك زائرًا ومشتاقًا فلم أرَك. وشهق شهقةً فخرَّ ميتًا فدُفن إلىٰ جنبه.

(ولما حضرت) أبا محمد **(يوسف بن أسباط)** الشيباني الزاهد **(الوفاةُ شهده حذيفةُ)** المرعشي، وكان بينهما توادٌّ **(فوجده قلِقًا)** أي مضطربًا **(فقال)** حذيفة: **(يا أبا محمد، هذا أوان القلق والجزع؟! فقال: يا أبا عبد الله، كيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقتُ اللهَ في شيء من عملي. فقال حذيفة: واعجبًا لهذا الرجل! يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدقَ اللهَ في شيء من عمله)**(٢) وقد روىٰ أبو نعيم في الحلية(٣) من طريق موسىٰ بن طريف قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: لي

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص ١٥٢، والدارقطني في المؤتلف والمختلف ٢/ ٦٧٥، وابن حبان في روضة العقلاء ص ٢٤٦، والفاكهي في أخبار مكة ٣/ ٣٢٩ - ٣٣٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥/ ٤٥ - ٤٦. وزادوا في آخره: فكأنما كان فتيلة فأطفئت.

(٢) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٨.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٤، ١٠/ ١٦٩.

أربعون سنة ما حاكَ في صدري شيءٌ إلا تركتُه.

(وعن) أبي أحمد (**المغازلي**) له ذِكرٌ في الرسالة (**قال: دخلت علىٰ شيخ لي من أصحاب هذه القصة وهو عليل**) محتضر (**وهو يقول**) مخاطبًا لربِّه: (**يمكنك أن تعمل بي ما تريد، فارفقْ بي**)[١] طلب من الله تعالىٰ أن يرفق به في قبضِ الروح.

(**ودخل بعض المشايخ علىٰ ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له: فعل اللهُ تعالىٰ بك وصنع، من باب الدعاء، فضحك، ثم قال: منذ ثلاثين سنة تُعرَض عليَّ الجنة بما فيها فما أعرتُها طرفي**)[٢] وهو يشير إلىٰ مقام الاستغراق بالله، فلا يرىٰ شيئًا سواه من النعيم. ولفظ القشيري في الرسالة: ما فعل اللهُ بك وصنع. فقال: منذ ثلاثين سنة ... الخ. وفي بعض النسخ: فقالوا: أبشِرْ، فقد فعل الله بك وصنع. وزاد في آخره: وقالوا له عند النزع: كيف تجد قلبَك؟ فقال: منذ ثلاثين سنة فقدتُ قلبي.

(**وقيل لرُوَيم**) بن أحمد البغدادي (**عند الموت: قل: لا إله إلا الله. فقال: لا أُحسِنُ غيرَه**)[٣].

ولما حضرت) أبا الحسين (**النُّوري**) بضم النون (**الوفاةُ قيل له: قل: لا إله إلا الله. فقال: أليس ثم أمر؟**)[٤] ولفظ الرسالة: أليس إليه أعود؟

قال القشيري: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج يقول: كان سببُ وفاة أبي الحسين النوري أنه سمع هذا البيت:

لا زلتُ أنزِلُ من ودادك منزلاً ... تتحيَّرُ الألبابُ عند نزولِه

فتواجَدَ النوريُّ، وهامَ في الصحراء، فوقع في أَجَمة قصب قد قُطعت وبقيت

---

(١) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٨.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق ص٥٤٩.

أصولُها مثل السيوف، فكان يمشي عليها ويعيد البيت إلىٰ الغَداة، والدم يسيل من رجليه، ثم وقع مثل السكران، فورمت قدماه فمات.

وقد تقدَّم للمصنف ذلك في كتاب الوجد والسماع.

(ودخل) أبو يحيىٰ إسماعيل (**المُزَني علىٰ الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه، فقال له: كيف أصبحتَ يا أبا عبد الله؟ فقال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وبكأس المنيَّة شاربًا، وعلىٰ الله تعالىٰ واردًا، ولا أدري أروحي تصير إلىٰ الجنة فأهنِّيها أمْ إلىٰ النار فأعزِّيها. ثم أنشأ يقول:**

ولمَّا قسا قلبي وضاقت مذاهبي	**جعلتُ رجائي نحو عفوك سُلَّمًا**
تعاظمني ذنبي فلمَّا قرنتُه	**بعفوك ربِّي كان عفوك أعظما**
فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل	تجود وتعفو منَّةً وتكرُّمًا
فلولاك لم يُغوَ بإبليس عابدٌ	**فكيف وقد أغوَىٰ صفيَّك آدما)** (١)

رواه البيهقي في مناقبه(٢).

(**ولما حضرت**) أبا(٣) حامد (**أحمد بن خضرويه**) البلخي، من كبار مشايخ خراسان، صحبَ أبا تراب النخشبيَّ، وكان كبيرًا في الفتوَّة (**الوفاةُ سُئل عن مسألة، فدمعت عيناه وقال: يا بني، باب كنت أدقُّه خمسًا وتسعين سنة هو**

---

(١) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٩، ٥٥٠.

(٢) مناقب الشافعي ٢/ ١١١، ٢٩٣ - ٢٩٤. ورواه أيضا ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١/ ٤٣٠. والأبيات ضمن قصيدة للشافعي في ديوانه ص ٩٥ (ط - دار القلم). وانظر: معجم الأدباء لياقوت ٦/ ٢٤٠٤ - ٢٤٠٥، طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ١/ ٢٩٥ - ٢٩٦، الوافي بالوفيات للصفدي ٢/ ١٢٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٧٥ - ٧٦.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٧١.

ذا يُفتَح الساعة لي، لا أدري أيُفتَح بالسعادة أو بالشقاوة فأنَّىٰ لىٰ أوان الجواب)؟
ولفظ القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور ابن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: كنت جالسًا عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع، وكان قد أتىٰ عليه خمسٌ وتسعون سنة، فسأله بعض أصحابه عن مسألة، فدمعت عيناه وقال: يا بني، باب كنت أدقُّه منذ خمس وتسعين سنة، هو ذا يُفتَح لي الساعةَ، لا أدري أبالسعادة يُفتَح أم بالشقاوة، أنَّىٰ لي أوان الجواب؟ قال: وكان عليه سبعمائة دينار، وغرماؤه عنده، فنظر إليهم وقال: اللهم إنك جعلتَ الرهون وثيقة لأرباب الأموال، وأنت تأخذ عنهم وثيقتَهم، اللهم فأدِّهم عني. قال: فدقَّ داقٌّ البابَ وقال: أين غرماء أحمد؟ فقضىٰ عنه، ثم خرجت روحه.

مات سنة أربعين ومائتين.

ورواه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا محمد بن الحسين بن موسىٰ قال: سمعت منصور بن عبد الله ... فساقه مثله.

وممَّا ذكره القشيري من أحوال المحتضرين قال: حُكي عن عبد الله بن منازل أنه قال: إن حمدون القَصَّار أوصىٰ إلىٰ أصحابه أن لا يتركوه في حال الموت بين النسوان.

وقيل: لما حضرت بعضَهم[2] الوفاةُ قال: يا غلام، اشدُدْ كتافي وعَفِّرْ خدِّي. ثم قال: دنا الرحيلُ، ولا براءة لي من ذنب، ولا عذر أعتذر به، ولا قوة أنتصر بها، أنت لي، أنت لي. ثم صاح صيحةً ومات، فسمعوا صوتًا: استكان العبدُ لمولاه

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٤٢.

(٢) سماه ابن الجوزي في صفة الصفوة ص ٤١٢: ضرغام بن وائل الحضرمي، قال: «عن الطلحي قال: كان رجل بأرض اليمن يقال له: ضرغام بن وائل الحضرمي، وكان زاهد قومه، فقال لغلامه ذات يوم: اشدد كتافي ...» فذكره.

فقبلَه[١].

وقال بعضهم: كنت عند ممشاد عند مماته، فقيل له: كيف تجد العلة؟ فقال: سلوا العلَّة عني [كيف تجدني]. فقيل له: قل: لا إله إلا الله. فحوَّل وجهه إلى الجدار وقال:

أفنيتُ كلِّي بكلِّك هذا جزاء مَن يحبك[٢]

وقيل لأبي محمد الدَّبِيلي وقد حضرته الوفاةُ: قل: لا إله إلا الله. فقال: هذا شيء قد عرفناه، وبه نفنىٰ. ثم أنشأ يقول:

تسربلَ ثوبَ التِّيه لما عرفتُه[٣] وصدَّ ولم يرضَ بأن أكُ عبدَه[٤]

وقيل للشِّبْلي عند وفاته: قل: لا إله إلا الله. فقال:

قال سلطان حبِّه أنا لا أقبل الرِّشا
فسلوه فديتُه لِمَ بقتلي تحرشا[٥]

قلت: هذا قد رواه ابن الجوزي في كتاب الثبات[٦] فقال: أنبأنا ابن ناصر، عن المبارك بن عبد الجبار، عن أبي علي الحسن بن غالب قال: سمعت أبا الحسين

---

(١) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٤.

(٢) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٥.

(٣) في الرسالة: هويته.

(٤) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٥، وعجز البيت فيه: وصد فلا يرضىٰ بأني عبده.

(٥) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٦، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧١ والسراج في مصارع العشاق ١/ ٣٠٦ عن منصور بن عبد الله قال: دخل قوم علىٰ الشبلي في مرضه الذي مات فيه، فقالوا: كيف تجدك يا أبا بكر؟ فأنشأ يقول: إن سلطان ... الخ.
والبيتان في ديوان الشبلي ص ١٠٧.

(٦) الثبات عند الممات ص ١٧٥.

السَّوسَنْجِرْدي[1] يقول: قالت أخت الشبلي: كان أخي ينزع وأنا عنده فقلت: يا أخي، قل: لا إله إلا الله. فقال: إن سلطان حبه قال: لا أقبل الرِّشا. ثم مات رحمه الله تعالىٰ.

ثم قال القشيري: سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت بعض الفقراء يقول: لمَّا مرضَ يحيىٰ الإصطخريُّ جلسنا حوله، فقال له رجل منا: قل: أشهد أن لا إله إلا الله. فجلس مستويًا، ثم أخذ بيد واحد منا وقال له: قل: أشهد أن لا إله إلا الله. ثم أخذ بيد الآخَر .. حتىٰ عرض الشهادةَ علىٰ جميع الحاضرين، ثم مات.

قال: وسمعت بعض الفقراء يقول: لمَّا قربت وفاةُ أحمد بن نصر قال له واحد: قل: أشهد أن لا إله إلا الله. فنظر إليه فقال له بالفارسية: بي حرمتي مكن. أي: لا تترك الحرمة.

وقال بعضهم: رأيت فقيرًا يجود بنفسه غريبًا، والذباب يقع علىٰ وجهه، فجلست أذبُّ [الذبابَ] عن وجهه، ففتح عينيه وقال: مَن هذا؟ أنا منذ كذا وكذا سنة في طلب وقت يصفو لي، فلم يتفق إلا الآن، جئت أنت توقِع نفسَك فيه، مُرَّ عافاك اللهُ.

قال: وسمعت منصورًا المغربي يقول: دخل يوسف بن الحسين علىٰ إبراهيم الخَوَّاص عائدًا له بعد ما أتت عليه أيامٌ لم يَعُدْه ولم يتعهَّده، فلما رآه قال للخوَّاص: أتشتهي شيئًا؟ قال: نعم، قطعة كبد مشويٍّ.

قال القشيري: لعلَّ الإشارة فيه أنه أراد: أشتهي قلبًا يرقُّ لفقير، وكبدًا يشتوي لغريب؛ لأنه كالمستجفي ليوسف بن الحسين، حيث لم يتعهَّده.

قال: وسمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي

---

(١) قال السمعاني في الأنساب ٣/ ٣٢٥: «هذه النسبة إلىٰ قرية بنواحي بغداد يقال لها: سوسنجرد».

التميمي يقول: سمعت أبا بكر الدقي يقول: كنا عند أبي بكر الزَّقَّاق بالغَداة، فقال: إلهي، كم تبقيني ههنا. فما بلغ الصلاةَ الأولىٰ حتىٰ مات.

قال: وحُكي عن أبي علي الروذباري أنه قال: رأيت بالبادية شابًا حدثًا، فلما رآني قال: أما يكفيه أن شغفني بحبِّه حتىٰ علَّني. ثم رأيته يجود بروحه، فقلت له: قل: لا إله إلا الله. فأنشأ يقول:

أيا مَن ليس لي منه   وإن عذَّبني بُدُّ
ويا مَن نال من قلبي   منالاً ما له حدُّ
أجِرْني من تجنِّيك   فقد أقلقني الجهدُ
إذا لم يرحم المولىٰ   إلىٰ مَن يشتكي العبدُ

قال: وسمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا الحسن الطرطوسي يقول: سمعت علوشًا الدينوري يقول: سمعت المزين الكبير يقول: كنت بمكة، فوقع بي انزعاجٌ، فخرجت أريد المدينةَ، فلما وصلت إلىٰ بئر ميمون إذا أنا بشاب مطروح، فعدلت إليه وهو ينزع فقلت له: قل: لا إله إلا الله. ففتح عينيه فأنشأ يقول:

أنا إن متُّ فالهوىٰ حشو قلبي   وبداء الهوىٰ يموت الكرامُ

[فشهقَ شهقةً] ثم مات، فغسَّلته وكفَّنته وصليتُ عليه، فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي من إرادة السفر فرجعت إلىٰ مكة(١).

---

(١) رواه ابن العديم في بغية الطلب ١٠/ ٤٣٩٤ من طريق القشيري. ورواه بنحوه ابن الجوزي في مثير العزم الساكن ١/ ١٩٨ - ١٦٩، وفيه: «فبينا أنا أمشي بين المسجدين إذا أنا بشاب مطروح إلىٰ جانب ميل عليه خرقتان وهو ينزع». وروىٰ السلفي في الطيوريات ٣/ ٨٦٨ عن علي بن إسماعيل قال: صحبت رجلا من إخواني إلىٰ الكعبة، فمرض في بعض الطريق، فلما حضر قلت له: يا أخي، قل: لا إله إلا الله. فرفع رأسه إليَّ وهو يقول: =

قال: وقيل لبعضهم: أتحب الموت؟ قال: القدوم علىٰ مَن يُرجَىٰ خيره خيرٌ من البقاء مع مَن لا يؤمَن شرُّه.

قلت: رواه أبو نعيم في الحلية[١] من طريق عبد ربه بن صالح قال: دُخِلَ علىٰ مكحول في مرضه الذي مات فيه، فقيل له: أحسن اللهُ عافيتَك يا أبا عبد الله. فقال: كلاَّ، الإلحاق بمَن يُرجَىٰ عفوه خيرٌ من البقاء مع مَن لا يؤمَن شرُّه. ا.هـ.

ثم قال: وحُكي عن الجنيد أنه قال: كنت عند أستاذي ابن الكَرنبي[٢] وهو يجود بنفسه، فنظرت إلىٰ السماء فقال: بعدُ، ثم نظرت إلىٰ الأرض فقال: بعدُ.

يعني أنه أقرب إليك من أن تنظر إلىٰ السماء أو إلىٰ الأرض، بل هو وراء المكان.

قال: وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا عليٍّ الروذباري يقول: دخلت مصر، فرأيت الناس مجتمعين، فقالوا: كنا في جنازة فتىٰ سمع قائلاً يقول:

كبرت همَّةُ عينٍ طمعتْ في أن تراكا[٣]

= فويلي من الحمىٰ وويلي من الهوىٰ وما منهما إلا عليَّ شديد

فأعدت عليه، قل: لا إله إلا الله، ففتح عينيه ثم قال:

أنا إن مت فالهوىٰ حشو قلبي فبداء الهوىٰ يموت الكرام

ثم قال: يا من لا يموت أبدا ارحم من يموت غدا. ثم مات.

(١) حلية الأولياء ٥/ ١٧٧. وروىٰ الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٤٢٠ - ٤٢١ عن صالح المري قال: كان لي أخ، فمرض، فقلت له: يا أخي، استقل الله إن عافاك أن تتوب. قال: يا أخي، لا أفعل. قلت: لِم؟ قال: القدوم علىٰ من يرجىٰ خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره.

(٢) كذا في مطبوعة الإتحاف، والصواب: الكُرِّيني بياء ونون، وكرين قرية من قر طبس بنواحي قهستان. انظر: اللمع للطوسي ص ٢٨١، والرسالة ص ٦٢٧، معجم البلدان لياقوت ٤/ ٤٥٨.

(٣) ورواه الرافعي في التدوين ١/ ١٨٩ عن أبي علي الروذباري قال: دخل أحمد بن أبي الحواري مصر، فاستقبلته جنازة فيها عالم من الناس، فسأل عنها، فقالوا: جنازة فتىٰ سمع قائلا يقول: كبرت همة ... البيت، فصرخ ومات.

فشهق شهقةً ثم مات.

وقد تقدم في كتاب السماع.

ورواه ابن الملقن في الطبقات(١)، وزاد بيتًا:

أوَ ما حَسْبُ عينٍ أن ترىٰ مَن قد رآكا(٢)

قال القشيري: وسمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: قال الوجيهي: كان سبب موت بنان الحمَّال أنه ورد علىٰ قلبه شيء، فهامَ علىٰ وجهه، فلحقوه في وسط متاهة بني إسرائيل في الرمل، ففتح عينيه وقال: ارتعْ، فهذا مَرتع الأحباب. وخرجت روحه.

وقال أبو يعقوب النهرجوري: كنت بمكة، فجاءني فقير ومعه دينار، فقال: إذا كان غدًا فأنا أموت، فأصلِحْ لي بنصف هذا قبرًا، والنصف [الثاني] لجهازي، فقلت في نفسي: [دوخِلَ الشاب] كأنَّه أصابته فاقةُ الحجاز، فلما كان الغد جاء، ودخل الطوافَ، ثم مضىٰ، وامتدَّ علىٰ الأرض، فقلت: هو ذا يتماوت، فذهبت إليه، فحرَّكتُه فإذا هو ميت، فدفنتُه كما أمر.

وقيل: لما تغيَّرت الحالُ علىٰ أبي عثمان الحيري مزَّق ابنه أبو بكر قميصًا، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: إن خلاف السنَّة في الظاهر من رياء في الباطن(٣).

وحكىٰ أبو علي الروذباري قال: قدمَ علينا فقيرٌ، فمات، فدفنته، وكشفت

---

(١) طبقات الأولياء ص ٥٣.

(٢) قائل هذين البيتين هو إبراهيم بن العباس الصولي، كما في كتاب الزهرة لمحمد بن داود الأصفهاني ص ١٥٩ (ط - مكتبة المنار)، ومعجم الأدباء لياقوت ١/ ٨٣.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٥ والبيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ٤٤٥ وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٩٨ عن عبد الله الرازي. وعندهم: «من رياء باطن في القلب». وروىٰ الهروي في ذم الكلام وأهله ٢/ ٤٠٢ عن أبي بكر بن أبي عثمان قال: آخر كلمة تكلم بها أبي سمعته يقول: خلاف السنة في الظاهر من رياء باطن في القلب.

عن وجهه لأضعه في التراب ليرحم الله غربتَه، ففتح عينيه وقال: يا أبا علي، أتدلِّلني بين يدي مَن دلَّلني؟! فقلت: يا سيدي، أحياة بعد موت؟ فقال: بلىٰ، أنا حيٌّ، وكل محب لله حيٌّ، لأنصرنَّك غدًا بجاهي يا روذباري.

ورواه ابن الملقن في الطبقات[1]، ولفظه: قدمَ علينا فقيرٌ في يوم عيد في هيئة رَثَّة، فقال: هل عندك مكان نظيف يموت فيه فقير غريب؟ فقلت له كالمتهاون به: ادخلْ ومتْ حيث شئتَ. فدخل فتوضأ، وصلىٰ ركعات، ثم اضطجع فمات، فجهَّزتُه ... والباقي سواء.

قال: ويُحكَىٰ عن علي بن سهل الأصفهاني أنه قال: أترون أني أموت كما يموت الناس مرض وعيادة؟ إنما أُدعَىٰ فيقال لي: يا علي، فأجيب. فكان يمشي يومًا فقال: لبيك. ومات.

قال: وسمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت أبا عبد الله ابن خفيف يقول: سمعت أبا الحسن المزين الكبير يقول: لمَّا مرِض أبو يعقوب النهرجوري مرض وفاته قلت له وهو في النزع: قل: لا إله إلا الله. فتبسَّم إليَّ وقال: إياي تعني؟ وعزَّة مَن لا يذوق الموتَ ما بيني وبينه إلا حجاب العزة. وانطفأ من ساعته. وكان المزين يأخذ بلحيته ويقول: حجَّام مثلي يلقِّن أولياءَ الله الشهادةَ؟! واخجلتاه منه. وكان يبكي إذا ذكر هذه الحكايةَ.

وقال أبو الحسين المالكي: كنت أصحب خيرًا النَّسَّاج سنين كثيرة، فقال لي قبل موته بثمانية أيام: أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب، وأُدفَن يوم الجمعة قبل الصلاة، وستنسىٰ هذا، فلا تنسَ. قال أبو الحسين: فأُنسيته إلىٰ يوم الجمعة، فلقيني مَن أخبرني بموته، فخرجت لأحضر جنازته، فوجدت الناس

---

(١) طبقات الأولياء ص ٥١ - ٥٢. وأورده الكلاباذي في التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٧٥ بسياق آخر.

راجعين يقولون: يُدفَن بعد الصلاة. فلم أنصرف وحضرتُ، فوجدت الجنازة قد أُخرجتْ قبل الصلاة كما قال، فسألت مَن حضر وفاتَه، فقال: إنه غشي عليه، ثم أفاق، ثم التفت إلىٰ ناحية البيت وقال: قفْ عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، والذي أُمرتَ به لا يفوتك، والذي أُمِرتُ به يفوتني. فدعا بماء فجدَّد [وضوءه] وصلىٰ، ثم تمدَّد وغمض عينيه، فرُؤي في المنام بعد موته فقيل له: كيف حالك؟ فقال: لا تسلْ، لكني تخلَّصت من دنياكم الوضرة(١).

قلت: وقد رواه أبو نعيم في الحلية(٢) فقال: سمعت علي بن هارون الحربي يحكي عن غير واحد ممَّن حضر موتَ خير النسَّاج من أصحابه أنه غشي عليه عند صلاة المغرب، ثم أفاق فنظر إلىٰ ناحية من باب البيت ... فساقه، وفيه بعد قوله «يفوتني»: فدعني أمضي لِما أُمِرتُ به ... والباقي سواء.

قال القشيري: وسمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر بن قيس [بمصر] يقول: سمعت أبا سعيد الخَرَّاز يقول: كنت بمكة، فجُزتُ يومًا بباب بني شيبة، فرأيت رجلاً حَسن الوجه ميتًا، فنظرت في وجهه، فتبسَّم في وجهي وقال لي: يا أبا سعيد، أما علمتَ أن الأحبَّاء أحياء وإن ماتوا؟ وإنما يُنقَلون من دار إلىٰ دار.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: بلغني أنه قيل لذي النون عند النزع: أوصِنا. قال: لا تشغلوني، فإني متعجِّب من محاسن لطفه.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت أبا عثمان

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٢/ ٣٨١، والوضر: الدرن والدسم، وفي المحكم: وسخ الدسم واللبن. تاج العروس ١٤/ ٣٦٣.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٧.

الحيري يقول: سُئل أبو حفص في حال وفاته: ما الذي تعظنا به؟ فقال: لست أقوَىٰ علىٰ القول. ثم رأىٰ من نفسه قوةً، فقلت له: قلْ حتىٰ أحكي عنك. فقال: [موعظتي] الانكسار بكل القلب علىٰ التقصير.

هذا كله سياق القشيري في الرسالة.

وممَّا نقلته من طبقات ابن الملقن[١]: قال الحسين بن الفضل: حضرتُ أبا الحسين النوريَّ وهو في الموت، فقلت له: ألك حاجة أو في نفسك شهوة؟ فرفع رأسه إليَّ وقد انكسر لسانُه فقال: إي واللهِ، أشتهي شهوة كبيرة. قلت: وما هي؟ قال: أشتهي أن أرىٰ الله تعالىٰ. ثم تنفَّس [ثلاثًا] عاليًا كالواجد بحاله، وفارق الدنيا.

قال[٢]: وقال الجنيد: دخلت علىٰ السري وهو في النزع، فجلست عند رأسه، ووضعت خدي علىٰ خده، فدمعت عيناي، فوقع دمعي علىٰ خده [ففتح عينيه] وقال لي: مَن أنت؟ قلت: خادمك الجنيد. فقال: مرحبًا. فقلت: أوصِني بوصية أنتفع بها [بعدك]. قال: إيَّاك ومصاحبة الأشرار وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار[٣].

ولما حضرته الوفاةُ قلت له: يا سيدي، لا يرون بعدك مثلك. قال: ولا أخلف عليهم بعدي مثلك[٤].

قال[٥]: وقيل لحبيب العجمي في مرض الموت: ما هذا الجزع الذي ما كنا نعرفه منك؟ فقال: سفري بعيد بلا زاد، ويُنزَل بي في حفرة من الأرض موحشة بلا

---

(١) طبقات الأولياء ص ٦٩.

(٢) السابق ص ١٦٤.

(٣) رواه ابن العديم في بغية الطلب ٩/ ٤٢٢٨. وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ص ٤٥١.

(٤) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ١٧٥، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠/ ١٩٧.

(٥) طبقات الأولياء ص ١٨٥.

مؤنس، وأقدِم علىٰ ملك جبَّار قد قدَّم إليَّ العذرَ[١].

ويروىٰ أنه جزِعَ جزعًا شديدًا عند الموت، فجعل يقول: أريد سفرًا ما سافرتُه قط، أريد أن أسلك طريقًا ما سلكتُه قط، أريد أن أزور سيدًا ومولًىٰ ما رأيتُه قط، أريد أن أشرف علىٰ أهوال ما شاهدتُ مثلَها قط، أريد أن أدخل تحت التراب وأبقىٰ [تحته] إلىٰ يوم القيامة، ثم أقف بين يدي الله تعالىٰ، فأخاف أن يقول لي: يا حبيب، هاتِ تسبيحة واحدة سبَّحتني في ستين سنة لم يظفر الشيطان منها بشيء، فماذا أقول وليست لي حيلة؟ أقول: يا رب، هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلىٰ عنقي.

قال الراوي: فهذا رجل عبدَ اللهَ ستين سنة مشتغلاً به ولم يشتغل من الدنيا بشيء قط، فكيف حالنا[٢]؟

وقال ابن الجوزي في كتاب الثبات[٣]: أخبرنا عمر بن ظفر، أخبرنا جعفر بن أحمد، حدثنا عبد العزيز بن علي، أخبرنا أبو الحسن ابن جهضم، أخبرنا أحمد ابن محمد بن عيسىٰ، حدثني يوسف بن الحسين قال: قال فتح بن شخرف: دخلت علىٰ ذي النون المصري عند موته، فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

أموت وما ماتت إليك صَبابتي ... ولا رويتُ من صِدق حبِّك أوطاري

مُناي المنىٰ كل المنىٰ أنت لي مُنًىٰ ... وأنت الغِنىٰ كل الغنىٰ عند إقتاري

وأنت مدىٰ سؤلي وغاية رغبتي ... وموضع آمالي ومكنون إضماري

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٣٧ عن داود بن رشيد، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ٥٩.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٣٩٩ عن عبد الواحد بن زيد، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ٦٠. وعندهما أنه قال ذلك باللغة الفارسية. والقائل: فهذا رجل ... الخ هو عبد الواحد بن زيد. وجزم محقق طبقات الأولياء بأن قائله هو ابن الملقن، فوهم.

(٣) الثبات عند الممات ص ١٦٣ - ١٦٥.

وبين ضلوعي منك ما لا أبثُّه ولم أُبْدِ باديه لأهل ولا جار
سرائر لا يخفَىٰ عليك خفيُّها وإن لم أبُحْ حتىٰ التَّنادي بأسراري
فهَبْ لي نسيمًا منك أحيا بروحه وجُدْ لي بيُسْر منك يطرد إعساري
أنرْتَ الهدىٰ للمهتدين ولم يكن من العلم في أيديهم عُشر مِعشار
فأبصارهم محجوبة وقلوبهم تراك بأوهام حديداتِ أبصار
ألستَ دليلَ الرَّكْب إن هم تحيَّروا وعصمة مَن أمسىٰ علىٰ جُرُف هارِ

قال الفتح بن شخرف: فلما ثقلَ قلت له: كيف تجدك؟ فقال:

ومالي سوىٰ الإطراق والصمت حيلةٌ ووضعي علىٰ خدِّي يدي عند تذكاري
وإن طرقتني عَبرةٌ بعد عبرة تجرَّعتُها حتىٰ إذا عيلَ تَصْباري
أفضتُ دموعًا جمَّة مستهِلةً أطفئ بها حرًّا تضمَّن أسراري
ولست أبالي فائتًا بعد فائت إذا كنت في الدارين يا واحدي جاري

وأوردها ابن الملقن في الطبقات[1] من كتاب «بهجة الأسرار» لابن جهضم[2]، وفيه زيادة أبيات، منها بعد البيت الرابع:

تحمَّل قلبي فيك ما لا أبثُّه وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري
وبي منك في الأحشاء داء مخامرٌ وقد هدَّ مني الركنَ وأنبتَ أسراري

ومنها بعد البيت الثامن:

(١) طبقات الأولياء ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) وهو متهم بوضع الحديث، وقيل كان يكذب، انظر: الكشف الحثيث، لسبط ابن العجمي ص ١٨٨ (ط مكتبة النهضة العربية، بيروت).

حملت لها القدر المفرِّق والتقىٰ ... علىٰ قدر والهمُّ يجري بمقدار[١]

ومنها قبل البيت الأخير:

فيا منتهَىٰ سؤل المحبِّين كلهم ... أبِحْني محلَّ الأنس مع كل زَوَّار

وقال ابن جهضم بسنده إلىٰ عبد الجبار قال: صحبتُ فتح بن شخرف ثلاثين سنة، فلم أرَه رفع رأسه إلىٰ السماء، فرفع رأسه وفتح عينيه ونظر إلىٰ السماء وقال: قد طال شوقي إليك، فعجِّل قدومي عليك. فما أتت عليه الجمعة حتىٰ مات[٢].

وقال صاحب مصارع العشاق[٣] بسنده إلىٰ أبي إسماعيل الموصلي، وكان من أصحاب الفتح بن سعيد: شهد فتحٌ العيدَ ذات يوم بالموصل، ورجع بعدما تفرَّق الناس، ورجعت معه، فنظر إلىٰ الدخان يفور من نواحي المدينة، فبكىٰ ثم قال: قد قرَّب الناس قربانهم، فليت شِعري ما فعلتَ في قرباني عندك أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًّا عليه، فجئت بماء فمسحت به وجهه، فأفاق، ثم مضىٰ حتىٰ دخل بعض أزقَّة المدينة، فرفع رأسه إلىٰ السماء وقال: قد علمتَ طول حزني وغمي وتَرْدادي في أزقَّة الدنيا، فحتىٰ متىٰ تحبسني أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًّا عليه، فجئت بماء فمسحت به وجهه فأفاق، فما عاش بعد ذلك إلا أيامًا حتىٰ مات.

وقال ابن الجوزي في كتاب الثبات[٤]: أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا حمد بن

---

(١) هذا البيت والذي بعده ليسا في طبقات ابن الملقن. والقصة والأبيات في تاريخ دمشق ١٧/ ٤٣٩ - ٤٤٠ من طريق ابن جهضم. والأبيات فقط في طبقات الصوفية للسلمي ص ٣٠ - ٣١ عن سعيد بن عثمان قال: أنشدني ذو النون ... فذكرها، وفي حلية الأولياء ٩/ ٣٩٠ عن إسرافيل قال: سمعت ذا النون يقول ... فذكرها.

(٢) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ص ٤٥٩. وليس عنده ولا عند ابن الملقن قوله (فما أتت عليه الجمعة حتىٰ مات).

(٣) مصارع العشاق ١/ ٢٢٣. وهذه القصة تقدمت في كتاب المحبة والشوق.

(٤) الثبات عند الممات ص ١٦٢ - ١٦٣.

أحمد، حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال: حدثنا أبي، حدثنا [خالي] أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا أبي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم الطوسي قال: دخلت عليه قبل موته بأربعة أيام فقال: تعالَ أبشِّرك بما صنع الله بأخيك من الخير، قد نزل بي الموتُ، وقد منَّ اللهُ تعالىٰ عليَّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني عليه، أغلِق الباب ولا تأذن لأحد عليَّ حتىٰ أموت، واعلمْ أني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثًا غير كسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ فيه وكتبي. وكانت معه صَرَّة كان فيها نحو ثلاثين درهمًا، فقال: هذا لابني، أهداه له قريبٌ له، ولا أعلم شيئًا أُحِلَّ لي منه؛ لأن النبي ﷺ قال: «أنت ومالك لأبيك»، فكفِّنوني منها، فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا علىٰ جنازتي لبدي، وغطُّوا عليها بكسائي، وتصدَّقوا بإنائي، أعطوه مسكينًا يتوضأ منه. ثم مات في اليوم الرابع(١).

وقال أبو الحسن ابن جهضم في بهجة الأسرار: أخبرنا أحمد بن محمد بن علي، حدثني عثمان بن سهل قال: دخلت علىٰ عمرو بن عثمان المكِّي في علَّته التي توفي فيها، فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: أجد سرِّي واقفًا مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام(٢).

وقال الخطيب(٣): أخبرنا أحمد بن علي المحتسب، حدثنا الحسن بن الحسين ابن حَمْكان، سمعت أبا الحسن علي بن إبراهيم البغدادي يقول: سمعت أبا عبد الله الخنقاباذي(٤) يقول: حضرنا يوسفَ بن الحسين وهو يجود بنفسه(٥).

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٤١.

(٢) رواه ابن الجوزي في الثبات عند الممات ص ١٦٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٦٦.

(٤) نسبة إلىٰ خنقاباذ، ويقال أيضا: خمقاباذ، وهي قرية من قرىٰ مرو. معجم البلدان ٢/ ٣٨٩. الأنساب ٢/ ٣٩٨.

(٥) بعده في تاريخ بغداد: «فقيل له: يا أبا يعقوب، قل شيئا».

فقال: اللهم إني نصحت خلقك ظاهرًا، وغششت نفسي باطنًا، فهَبْ لي غشِّي لنفسي لنصحي لخلقك. ثم خرجت روحه.

وقال ابن الجوزي[1]: قال أبو الوفاء ابن عقيل، ونقلتُه من خطِّه: قال بعض أصحاب عبد الصمد الزاهد: حضرته عند موته وهو يقول: يا سيدي، لليوم خبَّأتُك، ولهذه الساعة اقتنيتك، حقِّقْ حُسن ظني بك.

(فهذه أقاويلهم) عند سفرهم للآخرة **(وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم)** من خوفهم ورجائهم وحبِّهم للقاء الله تعالىٰ **(فغلب علىٰ بعضهم الخوفُ، وعلىٰ بعضهم الرجاءُ، وعلىٰ بعضهم الشوق والحبُّ)** للقاء الله تعالىٰ **(فتكلم كل واحد منهم علىٰ مقتضَىٰ حاله)** بما أقامه اللهُ فيه **(والكل صحيح بالإضافة إلىٰ أحوالهم)** وبالله التوفيق.

(١) الثبات عند الممات ص ١٧٥ - ١٧٦.

الباب السادس:

في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر، وحكم زيارة القبور

(اعلمْ) بصَّرك اللهُ تعالىٰ (أن الجَنازة) بالفتح[١] والكسر [والكسر] أفصح، وقال الأصمعي: بالكسر الميت نفسه، وبالفتح السرير. وروىٰ أبو عمر الزاهد عن ثعلب عكس هذا فقال: بالكسر السرير، وبالفتح الميت نفسه (عبرة للبصير، وفيها تنبيه وتذكير إلا لأهل الغفلة، فإنها لا تزيدهم مشاهدتُها إلا قساوة؛ لأنهم يظنون أنهم أبدًا إلىٰ جنازة غيرهم ينظرون، ولا يحسبون أنهم لا محالة علىٰ الجنائز) أي السُّرر (يُحمَلون، أو يحسبون ذلك ولكنهم علىٰ القرب لا يقدِّرون) أي لا يقدِّرون الموتَ علىٰ أنفسهم قريبًا (ولا يتفكَّرون أن المحمولين علىٰ الجنائز هكذا كانوا يحسبون، فبطلَ حسبانُهم، وانقرض علىٰ القرب زمانُهم، فلا ينظرنَّ عبدٌ إلىٰ جنازة إلا ويقدِّر نفسَه محمولاً عليها، فإنه محمول عليها علىٰ القرب، وكأنْ قد) حُمِل عليها (ولعله في غد أو بعد غد) وما أقرب ذلك؛ إذ كل آتٍ قريبٌ.

(ويُروَىٰ عن أبي هريرة) رضي الله عنه (أنه كان إذا رأىٰ جنازة قال: امضوا فإنَّا علىٰ الأثر)[٢] أي لاحقون بكم. قال أبو نعيم في الحلية[٣]: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر قال: بلغني عن أبي هريرة أنه كان إذا مرَّ بجنازة قال: روحي فإنَّا غادون، أو اغدي فإنَّا رائحون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، يذهب الأول، ويبقىٰ الآخِر لا عقل له.

---

(١) المصباح المنير ص ١١١.

(٢) رواه هناد في الزهد ١/ ٢٩٠ وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٢٥٥ عن أبي المهزم.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٨٣.

(وكان) أبو عبد الله **(مكحول الدمشقي)** فقيه الشام رحمه الله تعالىٰ **(إذا رأىٰ جنازة قال: اغدوا فإنَّا رائحون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، يذهب الأول، والآخِر لا عقل له)** هذا القول رُوي عن أبي هريرة كما ذُكر قبل هذا، وعن أبي الدرداء أيضًا، رواه أبو نعيم في الحلية(١) فقال: حدثنا عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش، عن شرحبيل أن أبا الدرداء كان إذا رأىٰ جنازة قال: اغدوا فإنَّا رائحون، أو روحوا فإنَّا غادون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، كفىٰ بالموت واعظًا، يذهب الأول فالأول، ويبقىٰ الآخِر لا حِلم له.

ورواه صاحب كتاب المتفجعين فقال: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا الهيثم ابن خارجة، حدثنا إسماعيل، عن شرحبيل بن مسلم عن أبي الدرداء أنه كان إذا رأىٰ جنازة قال: روحي فإنَّا غادون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، كفىٰ بالموت واعظًا يذهب الأول ويبقىٰ الآخِر لا فكرة له ولا حلم.

(وقال) أبو(٢) يحيىٰ **(أُسَيد بن حُضَير)** بالتصغير فيهما، ابن سِماك بن عَتيك الأنصاري الأشهلي، أحد النقباء، رضي الله عنه، مات سنة عشرين أو اثنتين وعشرين **(ما شهدتُ جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوىٰ ما هو مفعول به وما هو صائر إليه)** رواه ابن المبارك في الزهد(٣) وأحمد في مسنده(٤) من طريق فاطمة ابنة الحسين بن علي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أسيد من أفاضل الناس، وكان يقول: لو أني أكون كما أكون علىٰ أحوال ثلاث [من أحوالي] لكنتُ: حين أقرأ القرآن أو حين أسمعه يُقرأ، وإذا سمعتُ خطبة رسول الله ﷺ، وإذا شهدتُ جنازةً، وما شهدتُ جنازة قط

---

(١) السابق ١/ ٢١٧.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٧٥ - ٧٦. وفيه: «أرخ البغوي وغيره وفاته سنة عشرين، وقال المدائني: سنة إحدىٰ وعشرين». وانظر أيضا: الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٦٤ - ٦٥.

(٣) الزهد والرقائق ص ١٠٧.

(٤) مسند أحمد ٣١/ ٤٣٩.

فحدَّثتُ نفسي بسوى ما هو مفعول بها وما هي صائرة إليه.

(**ولما مات أخو مالك بن دينار**) البصري الزاهد رحمه الله تعالىٰ (**خرج مالك في جنازته**) وهو (**يبكي ويقول: واللهِ لا تقرُّ عيني حتىٰ أعلم إلىٰ ماذا صرتَ إليه، ولا أعلم ما دمتُ حيًّا**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور(١).

(**وقال**) سليمان بن مهران (**الأعمش**) رحمه الله تعالىٰ: (**كنا نشهد الجنائز فلا ندري مَن نعزِّي؛ لحزن الجميع**) قال أبو نعيم في الحلية(٢): حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا عمرو الأودي، حدثنا وكيع، عن الحسن بن صالح، عن الأعمش قال: إنْ كنا لَنشهدُ الجنازة، فلا ندري مَن نعزِّي لحزن القوم.

(**وقال**) أبو محمد (**ثابت**) بن أسلم (**البُناني**) رحمه الله تعالىٰ: (**كنا نشهد الجنائز، فلا نرىٰ إلا متقنِّعًا باكيًا**) قال أبو نعيم في الحلية(٣): حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الحارث وعبد الله بن أبي زياد قالا: حدثنا سيَّار، حدثنا جعفر، حدثنا ثابت قال: كنا نتَّبع الجنازة، فما نرىٰ إلا متقنِّعًا باكيًا أو متقنِّعًا متفكِّرًا.

(**فهكذا كان خوفهم من الموت، والآن لا تنظر إلىٰ جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون، ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلَّفه لورثته، ولا**

---

(١) وذكره ابن عساكر في تعزية المسلم ص ٣٣ (ط - مكتبة الصحابة بطنطا) من رواية ابن أبي الدنيا عن شيخه محمد بن العباس عن رجل من بني ليث يقال له أبو عبد الرحمن القرشي. وفيه أن اسم أخيه: ملحان.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٥٠.

(٣) السابق ٢/ ٣٢٢. زاد ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٢٨٠ من طريق أشرس أبي شيبان عن ثابت: كأنما علىٰ رؤوسهم الطير. وزاد ابن أبي الدنيا في القبور ص ٦٦ في آخره: «قال ثابت: وإنك لترىٰ الجنازة اليوم علىٰ عواتقهم وإن أحدهم ليضحك».

يتفكَّر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعضَ ما خلَّفه) نسأل الله التوفيقَ.

وقد روىٰ صاحب كتاب المتفجعين عن الميموني، عن أحمد بن حنبل، عن سفيان قال: رأىٰ ابن مسعود رجلاً يضحك في جنازة، فقال: أتضحك مع الجنازة؟! لا أكلِّمك أبدًا. ذكر سفيان إسناده فقال: قال عبد الرحمن بن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف عن رجل من بني عَبْس يقال له أبو بحر. قال الميموني: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي قال: سمعت أبي يذكر ذلك عن بُرَيد بن عبد الله عن بعض أصحابه قال: رأىٰ عبد الله رجلاً يضحك في جنازة، فقال: أتضحك وأنت تتبع الجنازة؟! واللهِ لا أكلِّمك أبدًا. وقال الميموني: حدثنا أحمد بن حنبل قال: سمعت وكيعًا يقول: أبو بحر الذي روىٰ عنه حسن هو صاحب لنا، وكان معنا، وقد رأيتُه، يقال له: بريد بن عبد الله، حدثني عنه أصحابُنا أن ابن مسعود رأىٰ رجلاً يضحك في جنازة، فقال له: أتضحك في الجنازة؟! واللهِ لا أكلِّمك أبدًا[1].

ومن طريق ضمرة بن حبيب عن عمِّه المهاجر قال: موطنان لا ينبغي لمؤمن أن يضحك فيهما: القرد حين يراه، ومطلعه إلىٰ القبر[2].

(ولا يتفكَّر واحد منهم - إلا ما شاء الله - في جنازة نفسه وفي حاله إذا حُمِل عليها، ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب، حتىٰ نسينا اللهَ تعالىٰ و) نسينا **(اليوم الآخر و)** نسينا **(الأهوال)** العظيمة **(التي بين أيدينا،**

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص ١٣٣، والبيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٦٠، والدارقطني في المؤتلف والمختلف ١/ ١٧٥، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم ص ٥٠٦.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ١٠٤ عن ضمرة بن حبيب بن صهيب عن أبيه بلفظ: موطنان لا ينبغي لأحد أن يضحك فيهما: معاينة القرد، واطلاعه إلىٰ القبر. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٦٠ مرفوعا من حديث أبي هريرة بلفظ: كان رسول الله ﷺ يكره الضحك في موطنين: عند رؤية القرد، وعند الجنازة.

فصِرنا نلهو) ونلعب **(ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا)** ولا يهمُّنا **(فنسأل الله تعالىٰ اليقظةَ)** والانتباه **(من هذه الغفلة، فإن أحسن أحوال الحاضرين علىٰ الجنائز بكاؤهم علىٰ الميت، ولو عقلوا لبكوا علىٰ أنفسهم لا علىٰ الميت)** يُحكىٰ أنه **(نظر إبراهيم الزيَّات)** رحمه الله تعالىٰ **(إلىٰ أناس يترحَّمون علىٰ ميت، فقال: لو تَرحَّمون علىٰ أنفسكم لكان خيرًا لكم، إنه نجا من أهوال ثلاثة)** كلٌّ منها أعظم من الآخر، الهول الأول: **(وجه ملك الموت وقد رأىٰ)** فقد وردت الأخبار بأن كل ميت يراه بصورته فيذهل من مشاهدتها **(و)** الهول الثاني: **(مرارة الموت وقد ذاق)** وناهيك بها مرارة لا تدخل تحت الوصف **(و)** الهول الثالث: **(خوف الخاتمة)** بأن يُسلَب الإيمان **(وقد أمنَ)** منه.

(وقال أبو عمرو بن العلاء) بن[1] عمَّار بن العُريان المازني النحوي القارئ، ثقة، من علماء العربية، واختُلف في اسمه علىٰ أقوال، فقيل: زَبَّان، وقيل: العريان، وقيل: يحيىٰ، وقيل: جَزْء. والأول أشهر، والثاني أصحُّ عند الصولي. مات سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة، روىٰ له البخاري معلقًا، وأبو داود في كتاب القَدَر له، وابن ماجه في التفسير له **(جلسنا إلىٰ جرير)** بن الخطفي واسمه عطية بن حذيفة **(وهو يملي علىٰ كاتبه شعرًا)** فيكتبه **(فاطلعت جنازة، فأمسك)** عن الإملاء **(وقال: شيَّبتني واللهِ هذه الجنائز. وأنشأ يقول:**

تروِّعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثُلَّة لمُغار ذئب فلما غاب عادت راتعات)[2]

---

(١) تقريب التهذيب ص ١١٨٢.

(٢) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ١٣٦ بلفظ: «قال أبو عمرو بن العلاء: لقد جلست إلىٰ جرير وهو يملي علىٰ كاتبه:

ودع أمامة حان منك رحيل

ثم طلعت جنازة، فأمسك وقال: شيبتني هذه الجنازة. قلت: فلم تساب الناس؟ قال: يبدءونني =

الروعة: المخافة. والثُّلَّة: جماعة الغنم. والمُغار: الإغارة.

وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي قال: أنشدنا نصر بن قديد الليثي لعروة بن أُذَينة الليثي:

نُراعُ إذا الجنائز قابلتنا ويحزننا بكاء الباكيات
كروعة ثلَّة لمُغار سبع فلما غاب عادت راتعات[1]

قال: وحدثنا أحمد بن الأسود قال: سمعت ابن عائشة يقول: سمعت سفيان ابن عيينة يتعجَّب لبيتَي لبيد:

ونُحدِث فزعات لدىٰ كل روعة ونُسرِع نسيانًا ولم يأتنا أمنُ
وإنَّا ولا كفران لله ربَّنا لكالبُدْن ما تدري متىٰ يومها البُدْنُ[2]

(فمن آداب حضور الجنائز: التفكُّر والتنبُّه والاستعداد، والمشي أمامها علىٰ هيئة التواضع، كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه[3]**. ومن آدابه: حسن الظن بالميت وإن كان فاسقًا، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح، فإن الخاتمة مخطرة لا تُدرَىٰ حقيقتها، ولذلك رُوي عن)** أبي[4] ذر **(عمر بن**

= ثم لا أعفو، وأعتدي ولا أبتدي. ثم أنشأ يقول: تروعنا الجنائز ...» البيتين. والبيتان في ديوان جرير ص ٧١، والشطر الأول من البيت الثاني فيه هكذا:

كروعة هجمة لمغار سبع

(١) البيتان في ديوان عروة بن أذينة ص ٣٠٩ - ٣١٠ (ط - دار القلم بالكويت).

(٢) لم أقف علىٰ هذين البيتين في ديوان لبيد، وقد نسبتهما إليه كثير من المصادر، انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٧١/ ٢٦٧ - ٢٧٧، والإكمال في رفع الارتياب لابن بشكوال ٤/ ٤٠، والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ٤/ ٢١٣، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٤/ ١٥٦. وفي كتاب القبور لابن أبي الدنيا ص ٧٥ أن لبيد لم يقل في الإسلام إلا هذين البيتين. وهما في حلية الأولياء ٧/ ٢٢١ والبيان والتبيين ٣/ ١٨١ بلا نسبة.

(٣) انظر مثلا: الوسيط ٢/ ٣٦١ وما بعدها.

(٤) تقريب التهذيب ص ٧١٨.

ذر) بن عبد الله بن زرارة الهَمْداني - بسكون الميمم - المُرْهبي الكوفي، ثقة، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة، روىٰ له البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير له (**أنه مات واحد من جيرانه، وكان مسرفًا علىٰ نفسه، فتجافىٰ كثير من الناس عن جنازته**) أي لم يحضروها (**فحضرها هو وصلىٰ عليها، فلما دُلِّي في قبره**) أي أُنزِلَ (**وقف علىٰ قبره وقال: يرحمك الله يا أبا فلان، فلقد صحبتَ عمرَك بالتوحيد، وعفَّرت وجهَك بالسجود، وإن قالوا: مذنب وذو خطايا، فمَن منا غير مذنب وغير ذي خطايا**)[1] وروىٰ أبو نعيم في الحلية[2] من طريق النضر بن إسماعيل قال: شهدتُ عمر بن ذر في جنازة وحوله الناس، فلما وُضع الميت علىٰ شفير القبر بكىٰ عمر ثم قال: أيها الميت، أما أنت فقد قطعتَ سفر الدنيا، فطوبىٰ لك إن توسَّدتَ في قبرك خيرًا.

(**ويُحكَىٰ أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة، فلم تجد امرأته مَن يعينها علىٰ حمل جنازته؛ إذ لم يدرِ بها أحدٌ من جيرانه لكثرة فسقه**) وانهماكه في الفجور (**فاستأجرت حمَّالين وحملتها إلىٰ المصلَّىٰ، فما صلىٰ عليه واحد، فحملتها إلىٰ الصحراء للدفن، وكان علىٰ جبل قريب من الموضع زاهدٌ من الزهاد الكبار، فرأوه كالمنتظر للجنازة، ثم قصد أن يصلي عليها، فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد**) المذكور قد (**نزل**) من صومعته (**ليصلي علىٰ فلان**) الفاسق (**فخرج أهل البلد**) يهرعون إليه (**فصلىٰ الزاهد وصلوا عليه**) موافقةً له (**وتعجَّب الناس من صلاة الزاهد عليه**) وسألوه عن ذلك (**فقال: قيل لي في المنام: انزلْ إلىٰ موضع فلان ترىٰ فيه جنازة ليس معها إلا امرأة، فصلِّ عليه، فإنه مغفور له. فزاد**

---

(١) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢/ ٢١٠، ٣/ ١٢٩، ٢٠١. وفي كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٥/ ١٥٨: «وقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه علىٰ قبر مرثد بن حوشب فقال: يرحمك الله يا مرثد، لقد شيعت عمرك بالتوحيد، وعفرت وجهك بالسجود، وإن قال الناس مذنب فمه، فأينا لم يذنب»؟

(٢) حلية الأولياء ٥/ ١١٦.

تعجُّبُ الناسُ) من ذلك (فاستدعىٰ الزاهدُ امرأتَه وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته؟ قالت: كما عُرف) بين الناس (كان طول نهاره في الماخور) أي بيت الخمر (مشغولاً بشرب الخمر. فقال: انظري هل تعرفين منه شيئًا من أعمال الخير؟ قالت: نعم، ثلاثة أشياء) الأول: أنه (كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه) أي يغيِّرها (ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة، ثم يعود إلىٰ الماخور ويشتغل بالفسق) من الشرب وغيره (والثاني: أنه كان أبدًا لا يخلو بيتُه عن يتيم أو يتيمين) يكفلهم (وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلىٰ أولاده، وكان شديد التفقُّد لهم. والثالث: أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول: يا رب، أيَّ زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث؟ يعني نفسه، فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكالُه من أمره) وأخبر الناس بذلك.

(وعن) أبي الصهباء (صلة بن أشيم) العدوي البصري الزاهد (وقد دُفن أخ له فقال علىٰ قبره:

إن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا)[1]

هذا السياق مُزال عن أصله، وقد رواه أبو نعيم في الحلية[2] علىٰ أصله فقال: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن سهل بن الصبَّاح، حدثنا حميد بن مسعدة، حدثنا جعفر بن سليمان، عن هشام، عن الحسن قال: مات أخٌ لنا، فصلَّينا عليه، فلما وُضع في قبره ومُدَّ عليه الثوب جاء صلة بن أشيم فأخذ بناحية الثوب، ثم نادىٰ: يا فلان ابن فلان، إنك

(١) ينسب هذا البيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ص ٢٩٢. ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين ١/ ٣٦٧ والبلاذري في أنساب الأشراف ١٢/ ٣٠٩ وابن قتيبة في المعارف ص ٥٥٧ للأسود بن سريع التميمي الصحابي. ونسبه محمد بن سلام في طبقات فحول الشعراء ص ٧٤ وياقوت في معجم الأدباء ٦/ ٢٧٨٧ والنويري في نهاية الأرب ٣/ ٧٠ للفرزدق، ولم أقف عليه في ديوانه.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٤١.

إن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا

قال: فبكىٰ وأبكىٰ الناسَ.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود، حدثنا الصلت بن مسعود، حدثنا جعفر بن سليمان، عن هشام بن حسان، عن الحسن قال: كنا في جنازة، فلما دُفن الميت قام صلة بن أشيم العدوي علىٰ القبر فقال:

إن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وقال أيضًا: حدثنا أحمد بن الأسود، حدثنا ابن عائشة، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن قيس قال: وقف عسعس بن سلامة علىٰ قبر فقال:

إن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا

فقيل: يا أبا صُفرة، في هذا الموضع؟ قال: نعم[1]. انتهىٰ.

وقال أحمد في الزهد: حدثنا عفَّان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت أن أخًا لصلة بن أشيم مات، فجاءه رجل وهو يَطعم فقال: يا أبا الصهباء، إن أخاك مات. فقال: هلمَّ فكلْ، فقد نُعي إلينا. فقال: والله ما سبقني إليك أحدٌ، فمَن نعاه؟ قال: يقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ﴾ [الزمر: ٣٠][2].

---

(١) رواه أبو عبد الله الرازي في مشيخته ص ٢٧٨ - ٢٧٩ (ط - دار الهجرة) من طريق محمود بن محمد ابن الفضل. ورواه بنحوه: ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٠٤ عن هارون بن رئاب، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٩/ ١٥٤ عن ثابت البناني.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٣٨ - ٢٣٩، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٩/ ١٣٧، والبيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ٤٣٧.

بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور

(**قال الضحَّاك**) بن[1] مزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني المفسِّر، صدوق، كثير الإرسال، مات بعد المائة، روىٰ له الأربعة (**قال رجل: يا رسول الله، مَن أزهد الناس؟ قال: مَن لم ينسَ القبر والبِلَىٰ، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقىٰ علىٰ ما يفنىٰ، ومَن لم يعدَّ غدًا من أيامه، وعدَّ نفسَه من أهل القبور**) رواه البيهقي في الشعب[2] عن الضحاك مرسلاً، وقد تقدم في كتاب الزهد والفقر. وقال أبو بكر ابن أبي شيبة في المصنَّف[3]: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش[4]، عن الضحَّاك بن مزاحم قال: أتىٰ النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال ... فساقه، وفيه: «وترك أفضل زينة الدنيا». وفيه: «وعدَّ نفسَه من الموتىٰ».

(**وقيل لعليٍّ كرَّم الله وجهه: ما شأنك جاورتَ المقبرة؟ قال: إني أجدهم خير جيران، إني أجدهم جيران صِدق، يكفُّون الألسنةَ ويذكِّرون الآخرةَ**) رواه أبو بكر ابن أبي شيبة[5] عن أبي أسامة، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه قال: قيل لعلي: ما شأنك أبا حسن جاورتَ المقبرةَ؟ ... فذكره.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[6] في ترجمة زيد بن أسلم قال: سكن رجل المقابرَ، فعوتِب في ذلك، فقال: جيران صِدق، ولي فيهم عبرةٌ.

---

(١) تقريب التهذيب ص ٤٥٩.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٤٤.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٦.

(٤) في المصنف: عن سليمان بن فروخ. وكذا هو في الشعب وفي الزهد لابن أبي الدنيا ص ٦١.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٦٩.

(٦) حلية الأولياء ٣/ ٢٢٣.

(وقال رسول الله ﷺ: ما رأيتُ منظرًا إلا والقبر أفظع منه) رُوي ذلك من حديث عثمان، وقد تقدم في الباب الثالث من كتاب آداب الصحبة، وسيأتي له ذِكرٌ أيضًا.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ المقابر، فجلس إلىٰ قبر، وكنت أدنىٰ القومِ منه، فبكىٰ وبكيتُ وبكوا، فقال: ما يبكيكم؟ قلنا: بكينا لبكائك. قال: هذا قبر أمي آمنة بنت وهب، استأذنت ربي في زيارتها فأذنَ لي، فاستأذنته أن أستغفر لها فأبَىٰ عليَّ، فأدركني ما يدرك الولدَ من الرقَّة) قال العراقي[١]: تقدم في آداب الصحبة أيضًا، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث ابن مسعود، وفيه ذِكرٌ لعمر بن الخطاب. انتهىٰ.

قلت: حديث الاستئذان بزيارة قبر الأم قد ورد من طرق من حديث أبي هريرة وبريدة بن الحصيب وابن مسعود. فحديث أبي هريرة، قال ابن أبي شيبة في المصنَّف[٢]: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: زار رسول الله ﷺ قبرَ أمِّه، فبكىٰ وأبكىٰ مَن حوله، فقال: «استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذنَ لي، فزوروا القبورَ فإنها تذكِّركم الموتَ». وقد رواه كذلك أحمد[٣] ومسلم[٤] وأبو داود[٥] والنسائي[٦] وابن حبان[٧].

---

(١) المغني ٢/ ١٢٢٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٠٠.

(٣) مسند أحمد ١٥/ ٤٣٠.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٦٨.

(٦) سنن النسائي ص ٣٢٤.

(٧) صحيح ابن حبان ٧/ ٤٤٠.

وحديث بريدة بن الحصيب رواه ابن أبي شيبة(١) أيضًا فقال: حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة أتىٰ حذم قبر فجلس إليه، فجعل يحرِّك يده ورأسه كهيئة المخاطِب، وجلس الناس حوله، فقام وهو يبكي، فتلقَّاه عمرُ - وكان من أجرأ الناس عليه - فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما الذي أبكاك؟ قال: «هذا قبر أمي، سألت ربي الزيارةَ فأذنَ لي، وسألته الاستغفار فلم يأذن لي، فذكرتها فرقَّت نفسي فبكيت». قال فلم يُرَ يومٌ كان أكثر باكيًا منه يومئذٍ.

وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثني محمد بن علي بن ميمون، حدثنا الفِريابي، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة قال: أتىٰ نبيُّ الله ﷺ رسم قبر، فجلس، وجلس الناس عنده، فجعل يحرك يده ورأسه كالمخاطِب، وقام يبكي، فقال له عمر: «ما يبكيك يا نبي الله»؟ قال: «استأذنت ربي عَزَّ وَجَلَّ في زيارة قبر أم محمد فأذن لي، وسألته الاستغفار لها فأبَىٰ عليَّ».

قلت: هكذا هو في سياق السند: عن سليمان بن بريدة، قال: ولعله سقط لفظُ «عن أبيه»، والله أعلم.

وحديث ابن مسعود رواه الحاكم(٢)، ولفظه: «إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر [أمي] آمنة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذنَ لي فيه، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه، ونزل عليَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] فأخذني ما يأخذ الولدَ للوالدة من الرقَّة، فذلك الذي أبكاني».

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٠٠.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٩٩.

وقال ابن أبي شيبة[١]: حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن زيد، حدثنا فرقد السبخي، حدثنا جابر بن زيد، حدثنا مسروق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إني نهيتكم عن زيارة القبور، فإنه قد أُذِن لمحمد في زيارة قبر أمِّه، فزوروها تذكِّركم».

وقد تقدم الكلام علىٰ شيء من ذلك في كتاب آداب الصحبة.

(وكان عثمان بن عفَّان رضي الله عنه إذا وقف علىٰ قبر بكىٰ حتىٰ يبلَّ لحيتَه، فسُئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا وقفتَ علىٰ قبر؟! فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبُه فما بعده أيسرُ منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدُّ) قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] وحسَّنه، وابن ماجه[٤]، والحاكم[٥] وصحَّحه. وتقدم في آداب الصحبة.

انتهىٰ.

قلت: ورواه كذلك هنَّاد بن السري[٦] وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد[٧] والبيهقي[٨].

وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن جبلة والميموني قالا: حدثنا يحيىٰ بن معين، حدثنا هشام بن يوسف الصنعاني، حدثني

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٠١.

(٢) المغني ٢/ ١٢٢٥.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٤٢.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٥١ - ٦٥٢.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٢٠، ٤/ ٤٧٦.

(٦) الزهد ١/ ٢١١.

(٧) الزهد ص ١٠٦.

(٨) السنن الكبرىٰ ٤/ ٩٢ - ٩٣.

عبد الله ابن بحير، عن هانئ مولىٰ عثمان عن عثمان أنه كان إذا وقف علىٰ القبر بكىٰ حتىٰ تبلَّ الدموعُ لحيتَه، فقيل له: إنك تذكر الجنة والنار فلا نراك تبكي، وتبكي من القبر؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسرُ منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده شر منه». وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبرُ أفظعُ منه». قال عثمان: وكان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال: «استغفِروا لصاحبكم وسَلُوا له التثبيتَ فإنه الآن يُسأل».

ورواه أبو نعيم في الحلية(١) مختصرًا فقال: حدثنا فاروق الخَطَّابي، حدثنا أبو مسلم [الكشي] حدثنا علي بن عبد الله المديني، حدثنا هشام بن يوسف، حدثنا عبد الله بن بحير، عن هانئ مولىٰ عثمان بن عفان قال: كان عثمان إذا وقف علىٰ قبر بكىٰ حتىٰ يبلَّ لحيتَه.

(**وقيل: إن عمرو بن العاص**) رضي الله عنه (**نظر إلىٰ المقبرة**) يومًا (**فنزل**) عن دابَّته (**وصلىٰ ركعتين، فقيل له: هذا شيء لم تكن تصنعه**) فهل له من سبب؟ (**فقال**): نعم (**ذكرتُ أهلَ القبور وما حيلَ بينهم وبينه، فأحببت أن أتقرَّب إلىٰ الله بهما**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور(٢).

(**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالىٰ: (**أول ما يكلِّم ابنَ آدم حفرتُه فتقول: أنا بيت الدود، وبيت الوحدة، وبيت الغربة، وبيت الظُّلمة، هذا ما أعددتُ لك، فماذا أعددتَ لي**)؟ ويُروَىٰ نحوه مرفوعًا من حديث أبي الحجاج الثُّمالي والبراء بن عازب وغيرهما، وأقرب السياق إليه حديثُ البراء وقول عبيد بن عمير، كما سيأتي قريبًا إن شاء الله تعالىٰ في بيان كلام القبر للميت.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٦١.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٥٦، ولكن فيه أن صاحب القصة هو عبد الله بن عمرو بن العاص. ومن طريق ابن المبارك رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣١/ ٢٦٥.

(وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه: **(ألا أخبركم بيوم فقري؟ يوم أوضَع في قبري)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه **(يقعد إلىٰ القبور، فقيل له في ذلك، فقال: أجلس إلىٰ قوم يذكِّروني معادي، وإذا قمتُ لم يغتابوني)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(وكان) أبو عبد الله **(جعفر بن محمد)** بن علي بن الحسين رحمه الله تعالىٰ **(يأتي القبورَ ليلاً ويقول: يا أهل القبور، ما لي إذا دعوتكم لا تجيبوني؟ ثم يقول: حِيلَ واللهِ بينهم وبين جوابي، وكأنِّي بي أكون مثلهم. ثم يستقبل الصلاة إلىٰ طلوع الفجر)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ **(لبعض جلسائه: يا فلان)** كذا في النسخ، وفي الحلية: يا أبا فلان **(لقد أرقتُ الليلةَ أتفكَّر[1])** قال: فيمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: **(في القبر وساكنه، إنك لو رأيتَ الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشتَ من قربه بعد طول الأنس منك به)** ولفظ الحلية: بناحيته **(ولرأيت بيتًا تجول فيه الهوامُّ، ويجري فيه الصديد، وتخترقه الديدان، مع تغيُّر الريح، وبلي الأكفان، بعد حُسن الهيئة، وطِيب الريح، ونقاء الثوب. ثم شهق شهقةً خرَّ مغشيًّا عليه)** رواه أبو نعيم في الحلية[2] فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، حدثني أبي، حدثنا أبو بكر ابن سفيان، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا عمرو بن جرير، حدثني أبو السريع الشامي قال: قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه ... فساقه، وزاد بعد قوله «مغشيًّا عليه»: فقالت فاطمة: يا مزاحم، ويحك! أخرِجْ هذا الرجلَ عنا، فلقد نغَّص علىٰ أمير المؤمنين الحياةَ منذ وليَ، فليته لم يَلِ. قال: فخرج الرجل، فجاءت فاطمة تصبُّ علىٰ وجهه الماءَ وتبكي حتىٰ أفاق من غشيته، فرآها تبكي، فقال: ما يبكيكِ يا فاطمة؟ قالت: يا أمير المؤمنين، رأيتُ مصرعك بين أيدينا فذكرتُ به مصرعَك

---

(١) في أ، وب، ط المنهاج ٩/ ٤٤٣: تفكرًا.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٨.

بين يدي الله تعالىٰ للموت وتخلِّيك من الدنيا وفراقك لنا، فذلك الذي أبكاني. فقال: حسبكِ يا فاطمة، فلقد أبلغتِ. ثم مالَ ليسقط فضمَّته إلىٰ نفسها فقالت: بأبي أنت يا أمير المؤمنين، ما نستطيع أن نكلِّمك بكل ما نجد لك في قلوبنا. فلم يزل علىٰ حاله تلك حتىٰ حضرته الصلاةُ، فصبَّت علىٰ وجهه ماءً، ثم نادته: الصلاة يا أمير المؤمنين، فأفاق فزِعًا.

قلت: أبو بكر ابن سفيان في سياق السند هو ابن أبي الدنيا، وهكذا أورده بهذا السياق كلِّه في كتاب القبور له.

(وكان يزيد) بن أبان **(الرقاشي)** البصري التابعي رحمه الله تعالىٰ **(يقول: أيها المقبور في حفرته، المتخلِّي في القبر بوحدته، المستأنس في بطن الأرض بأعماله، ليت شِعري بأيِّ أعمالك استبشرتَ؟ وبأيِّ إخوانك اغتبطتَ؟ ثم يبكي حتىٰ يبلَّ عمامتَه ثم يقول: استبشر واللهِ بأعماله الصالحة، واغتبط واللهِ بإخوانه المتعاونين علىٰ طاعة الله تعالىٰ. وكان إذا نظر إلىٰ القبور خارَ كما يخور الثور)**[1] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ: قال يزيد الرقاشي: بلغني أن الميت إذا وُضع في قبره احتوشته أعماله، ثم أنطقها اللهُ فقالت: أيها العبد المنفرد في حفرته، انقطع عنك الأخلاَّء والأهلون، فلا أنيس لك اليوم غيرنا.

ورواه الخطيب في التاريخ[2]، وزاد: ثم يبكي يزيد ويقول: فطوبَىٰ لمَن كان أنيسه صالحًا، والويل لمَن كان أنيسه عليه وبالاً.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[3] من طريق أبي إسحاق الخميسي قال: كان يزيد الرقاشي يقول في قصصه: يا معشر مَن القبرُ بيته والموت موعده ألا تبكون؟ قال:

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٥/ ٨٧ - ٨٨ عن محمد بن صبيح، دون قوله: وكان إذا نظر ... الخ.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٦٦٤.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٥١.

فبكىٰ حتىٰ سقطت أشفار عينيه.

(**وقال**) أبو عبد الرحمن (**حاتم**) بن [علوان بن] يوسف (**الأصم**) مولىٰ المثنَّىٰ المحاربي رحمه الله تعالىٰ (**مَن مر بالمقابر فلم يتفكَّر لنفسه ولم يدْعُ لهم فقد خان نفسَه وخانهم**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(**وكان بكر**) بن محمد (**العابد**) رحمه الله تعالىٰ، حكىٰ عن مالك بن دينار، له ذِكرٌ في الحلية (**يقول**) لأمه: (**يا أمَّاه، ليتكِ كنتِ بي عقيمًا، إن لابنك في القبر حبسًا طويلاً، وبعد ذلك منه رحيلاً**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[١].

(**وقال يحيىٰ بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالىٰ: (**يا ابن آدم، دعاك ربُّك إلىٰ دار السلام، فانظر من أين تجيبه، إن أجبتَه من دنياك واشتغلتَ بالرحلة إليه دخلتَها، وإن أجبتَه من قبرك مُنِعتَها**)[٢] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(**وكان الحسن بن صالح**) بن[٣] [صالح بن] حي - وهو حيَّان - بن شُفَيٍّ الهَمْداني الثوري الكوفي العابد، مولده سنة مائة، ومات سنة تسع وستين [ومائة] روىٰ له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة (**إذا أشرف علىٰ المقابر يقول: ما أحسن ظواهرك، إنما الدواهي في بواطنك**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[٤].

وروىٰ أبو نعيم من طريق يحيىٰ بن يونس قال: كان الحسن بن صالح ينظر

---

(١) قال ابن أبي الدنيا في كتاب المتمنين ص ٤١: «حدثنا محمد بن يحيىٰ بن أبي حاتم الأزدي، حدثنا الحسن بن مالك، حدثنا بكر العابد قال: كان عابد من أهل الشام قد حمل علىٰ نفسه في العبادة، فقالت له أمه: يا بني، عملت ما لم يعمل الناس، أما تريد أن تهجع؟ فأقبل يرد عليها وهو يبكي: ليتك كنت بي عقيما، إن لبنيِّك في القبر حبسا طويلا».

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٦٠.

(٣) تقريب التهذيب ص ٢٣٩.

(٤) القبور ص ٤٦ عن أبي جعفر الفراء قال: كان الحسن بن صالح إذا صعد الصومعة يشرف علىٰ أهل القبور فيقول: ما أحسن ظاهرك، إنما الدواهي بواطنك.

إلىٰ المقبرة فيصرخ ويغشىٰ عليه.

(**وكان عطاء السليمي**) البصري العابد رحمه الله تعالىٰ (**إذا جنَّ عليه الليلُ خرج إلىٰ المقبرة، ثم يقول: يا أهل القبور، متُّم، فواموتاه! وعاينتم أعمالَكم، فواعملاه! ثم يقول: غدًا عطاء في القبور. فلا يزال ذلك دأبه حتىٰ يصبح**) قال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن قال: سمعت عبد الخالق ابن عبد الله العبدي قال: كان عطاء إذا جنَّ عليه الليلُ خرج إلىٰ المقابر فوقف علىٰ أهل القبور ثم قال: يا أهل القبور، متُّم، فواموتتاه! ثم يبكي ويقول: يا أهل القبور، عاينتم ما عملتم، فواعملاه. فلا يزال كذلك حتىٰ يصبح.

قال: وحدثنا أبو محمد ابن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا بَسَّار بن حاتم، حدثني بِشر بن منصور قال: كنت أسمع عطاء السليمي كلَّ عشيَّة بعد العصر يقول: غدًا عطاء في القبر، غدًا عطاء في القبر.

وبالسند إلىٰ أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن، حدثني أبي، عن حماد بن زيد قال: كان عطاء لا يتكلم، فإذا تكلم قال: عطاء غدًا هذه الساعة في القبر.

قال: وحدثنا محمد بن أحمد بن النضر، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، حدثنا محمد بن مخزوم[2]، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا الصلت بن حكيم، حدثنا العلاء بن محمد البصري قال: شهدتُ عطاء السليميَّ خرج في جنازة، فغشي عليه أربع مرَّات حتىٰ صُلِّي عليها، كل ذلك يغشىٰ عليه، ثم يفيق، فإذا نظر إلىٰ الجنازة[3] خرَّ مغشيًّا عليه.

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٢٢٠ - ٢٢٣.

(٢) في الحلية: محمد بن يحيىٰ.

(٣) في الحلية: الجبَّان.

(وقال سفيان) الثوري: (مَن أكثرَ من ذِكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومَن غفل عن ذِكره وجده حفرة من حُفَر النار)[١] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(وكان الربيع بن خثيم) الثوري الكوفي العابد: (قد حفر في داره قبرًا، فكان إذا وجد في قلبه قساوةً دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] يردِّدها، ثم يردُّ علىٰ نفسه: يا ربيع، قد رجعتك فاعملْ) رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال أحمد بن حرب) النيسابوري الزاهد، روىٰ عن ابن عيينة، قال الذهبي[٢]: صاحب مناكير (تتعجَّب الأرض من رجل يمهِّد مضجعَه ويسوِّي فراشَه للنوم، فتقول: يا ابن آدم، لِمَ لا تذكر طول بِلاك[٣] وما بيني وبينك شيء)؟ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[٤].

(وقال ميمون بن مِهران) الجَزَري الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز: (خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلىٰ المقبرة، فلما نظر إلىٰ القبور بكىٰ، ثم أقبل عليَّ فقال: يا ميمون، هذه قبور آبائي بني أميَّة، كأنَّهم لم يشاركوا أهلَ الدنيا في لذَّاتهم وعيشهم، أما تراهم صرعَىٰ، قد حلَّت بهم المَثُلاتُ، واستحكم فيهم البِلَىٰ، وأصابت الهوامُّ مقيلاً في أبدانهم. ثم بكىٰ وقال: واللهِ ما أعلم أحدًا أنعم ممَّن صار إلىٰ هذه القبور وقد أمِنَ من عذاب الله) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور قال: حدثني محمد بن

---

(١) ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ٢٩.

(٢) المغني في الضعفاء ١/ ٧٤.

(٣) في التذكرة للقرطبي ص ٣٢٢ والعاقبة لعبد الحق الإشبيلي ص ١٩٦: «ألا تذكر طول رقادك في جوفي»؟

(٤) المخطوط الذي وصل إلينا من كتاب القبور فيه نقص شديد، فهذا والذي قبله والذي قبله لا أثر لهم في المطبوع من القبور.

الحسين، حدثني أبو منصور الواسطي، حدثنا المغيرة بن مطرف الرؤاسي، حدثنا خالد بن صفوان، عن ميمون بن مهران قال: خرجت مع عمر بن عبد العزيز ... فذكره، إلا أنه قال: ثم أقبل عليَّ فقال: يا أبا أيوب. وفيه: ثم بكىٰ حتىٰ غشي عليه، ثم أفاق فقال: انطلِقْ بنا، فوالله ما أعلم أحدًا ... والباقي سواء. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية[1] من طريقه فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، حدثني أبي، حدثنا أبو بكر ابن سفيان. وهو ابن أبي الدنيا، نسبه إلىٰ جده.

(وقال) أبو محمد **(ثابت)** بن أسلم **(البُناني)** رحمه الله تعالىٰ: **(دخلتُ المقابر، فلما قصدتُ الخروجَ منها فإذا بصوت قائل يقول: يا ثابت، لا يغرَّنَّك صموتُ أهلها، فكم من نفس مغمومة فيها)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ: كنت في مقبرة، فحدثتُ نفسي إذ هتف بي هاتفٌ: يا ثابت، إن تراهم ساكنين فكم فيهم من مغموم. فالتفتُّ فلم أرَ أحدًا[2].

وروىٰ صاحب الحلية[3] عن ابن السمَّاك قال: لا يغرَّنَّكم سكونُ هذه القبور فما أكثر المغمومين فيها، ولا يغرَّنَّكم استواؤها فما أشد تفاوتهم فيها.

(ويُروَىٰ أن فاطمة بنت الحسن نظرت إلىٰ جنازة زوجها الحسن بن الحسين) هكذا في نسخ الكتاب، ولعل الصواب: أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلىٰ جنازة زوجها الحسن بن الحسن. وهي والدة عبد الله المحض، وإنما لُقِّب بذلك لمكان أمِّه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده هو الحسن

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٩.

(٢) لفظ ابن أبي الدنيا في القبور ص ١٠٥: «بينا أنا أمشي في المقابر إذا هاتف يهتف من ورائي وهو يقول: يا ثابت، لا يغرنك سكونها، فكم من مغموم فيها. فالتفت فلم أر أحدا». ورواه في موضع آخر ص ٥٣ فقال: «حدثني أبو أيوب مولىٰ بني هاشم قال: بينا ثابت البناني في مقبرة يحدث نفسه، فهتف هاتف، إن تراهم ساكتين فكم فيهم من مغموم».

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٠٧.

المثنَّىٰ بن الحسن السبط **(فغطَّت وجهها وقالت:**

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزيَّةً   لقد عظُمتْ تلك الرَّزايا وجلَّت[١]

وقيل: إنها ضربت علىٰ قبره فسطاطًا واعتكفت عليه سنةً، فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة، فسمعوا صوتًا من جانب البقيع: هل وجدوا ما فقدوا؟ فسمعوا من الجانب الآخَر: بل يئسوا فانقلبوا)[٢] وكانت[٣] وفاة الحسن المثنَّىٰ في زمن الوليد بن عبد الملك، وعمره خمس وثلاثون سنة[٤]، وكان قد شهد الطفَّ مع عمه الحسين وأُثخِن بالجراح، فحماه أسماء بن خارجة الفزاري، وهو من أخواله، وكان عبد الرحمن بن أحمد بن الأشعث قد دعا إليه وبايعه، فلما قُتل عبد الرحمن توارَىٰ الحسن حتىٰ مات. وكان الحسن قد خطب إلىٰ عمِّه الحسين إحدىٰ بناته، فأبرز إليه فاطمة وسكينة فقال: يا ابن أخي، اخترْ أيَّتهما شئتَ. فاستحيا الحسن وسكت، فقال الحسين: قد زوَّجتُك فاطمة فإنها أشبه الناس بأمي.

(وقال أبو موسىٰ التميمي) البصري[٥] إسرائيل بن موسىٰ، ثقة، روىٰ له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي **(توفيت)** النوار **(امرأة الفرزدق)** غالب بن

---

(١) البيت لسليمان بن قتة العدوي من أبيات يرثي بها الحسين بن علي. نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٤١. مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص ١٢١. أنساب الأشراف للبلاذري ٣/ ٤٢٠. التعازي والمراثي للمبرد ص ٥٢. الوافي بالوفيات للصفدي ١٢/ ٢٦٦. الأمالي الخميسية لابن الشجري ١/ ١٦١. ونسبه ياقوت في معجم البلدان ٤/ ٣٦ لأبي دهبل الجمحي.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧٠/ ١٩ - ٢٠. وفي صحيح البخاري ١/ ٤٠٨ معلقا: «ولما مات الحسن بن الحسن بن علي ضربت امرأته القبة علىٰ قبره سنة، ثم رفعت، فسمعوا صائحا يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا». وقد وصله ابن أبي الدنيا في هواتف الجنان ص ٩٢ عن ابن خالد بن مسلمة القرشي.

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبة ص ٩٠ - ٩٢.

(٤) لعل صوابها: ثلاثة وخمسون. والله أعلم.

(٥) تقريب التهذيب ص ١٣٤.

ناجية بن عقال بن صعصعة[١] التميمي، الشاعر المشهور (**فخرج في جنازتها وجوهُ البصرة**) أي رؤساؤها (**وفيهم الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ (**فقال له الحسن: يا أبا فِراس**) وهي كنية الفرزدق (**ماذا أعددتَ لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة. فلما دُفنت أقام الفرزدق علىٰ قبرها فقال:**

أخاف وراء القبر إن لم تعافني ... أشد من القبر التهابًا وأضيقا
إذا جاءني يومَ القيامة قائدٌ ... عنيف وسوَّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم مَن مشىٰ ... إلىٰ النار مغلول القِلادة أزرقا)[٢]

وروىٰ ابن عساكر في التاريخ من طريق حجاج بن تميلة قال: شهدتُ الحسنَ والفرزدق عند قبر، فقال الحسن للفرزدق: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. فسكت الحسن. قال لبطة بن الفرزدق: فرأيت أبي في النوم بعد موته فقال لي: يا بني، نفعتني الكلمةُ التي خاطبتُ بها الحسن[٣].

وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن موسىٰ العمِّي، حدثنا محمد بن عبد المنعم بن إدريس، حدثنا هشام بن الكلبي، عن أبيه وعوانة قالا: بلغ الفرزدق سنًّا حتىٰ قارب المائةَ، فأصابته الدبيلةُ وهو بالبادية،

---

(١) الصحيح في اسمه: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٢٨٨. ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٤٧٢ بسياق أطول. والأبيات في ديوان الفرزدق ص ٣٩٩، مع اختلاف في الترتيب، وزيادة بيت رابع:

إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم ... يذوبون من حر الصديد تمزقا

وفي المجالسة زيادة بيت خامس:

يساق إلىٰ دار الجحيم مسربلا ... سرابيل قطران لباسا محرقا

(٣) هكذا ذكره السيوطي في شرح الصدور ص ٢٨٨. ونص ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧٤/ ٧١: «قال لبطة بن الفرزدق: رأيت أبي في النوم، فقال لي: يا بني، نفعتني الكلمة التي خاطبت بها الحسن. يعني لما قال له: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة».

فقُدِمَ به البصرة، فأُتي برجل من بني قيس بن ثعلبة يتطبَّب، فسقاه القار الأبيض، فجعل يقول: ويحكم! أتعجِّلون لي النارَ في الدنيا قبل الآخرة؟! فمات، وصلىٰ عليه بلال بن أبي بُردة(١).

قال: وحدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا محمد بن أبي صفوان الثقفي، عن الأصمعي قال: لما احتضر الفرزدق أوصىٰ وأعتق رقيقه، ثم أنشأ يقول:

أروني مَن يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جلَّ عن الخطاب
إلىٰ مَن تفزعون إذا حثوتم ... بأيديكم عليَّ من التراب

فقالت جارية ممَّن كان أعتق: نفزع إلىٰ الله تعالىٰ. فقال: يا فاعلة، امحوا اسمَها من العتق(٢).

(وقد أنشدوا في أهل القبور) أبياتًا سيذكر بعضها، منها قول بعضهم:

(قِفْ بالقبور وقلْ علىٰ ساحاتها ... مَن منكم المغمور في ظلماتها
ومَن المكرَّم منكم في قعرها ... قد ذاق برد الأمن من روعاتها

---

(١) رواه البلاذري في أنساب الأشراف ١٢/ ٧٩ ومن طريقه أبو الفرج في الأغاني ٢١/ ٢٧٣ عن أبي اليقظان قال: أسن الفرزدق حتىٰ قارب المائة، فأصابته الدبيلة وهو بالبادية، فقدم به إلىٰ البصرة، فأتي برجل من بني قيس متطبب، فأشار بأن يكوىٰ ويشرب النفط الأبيض، فقال: أتعجلون لي النار في الدنيا؟! وجعل يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جل عن العتاب

وأورده ياقوت في معجم الأدباء ٦/ ٢٧٨٨.

(٢) رواه البلاذري في أنساب الأشراف ١٢/ ٧٨ - ٧٩. ورواه بنحوه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٣١٤ عن لبطة بن الفرزدق. ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين ص ١٨٩ عن سفيان الثوري، وفيه أن ابنه هو الذي قال: نفزع إلىٰ الله. والخبر في الأغاني ٢١/ ٢٦٩ - ٢٧٠ بروايات مختلفة، وفي إحداها أن بلال بن أبي بردة هو القائل: نفزع إلىٰ الله. وأورده المبرد في التعازي والمراثي ص ١٤٨، والراغب في محاضرات الأدباء ٢/ ٤٩٦. والبيتان في ديوان الفرزدق ص ٨٨.

أما السكون لدىٰ العيون فواحدٌ لا يستبين الفضلَ في درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسنٍ تصف الحقائقَ بعدُ من حالاتها
أما المطيع فنازلٌ في روضة يفضي إلىٰ ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلِّب في حفرة يأوي إلىٰ حيَّاتها
وعقارب تسعىٰ إليه فروحُه في شدة التعذيب من لدغاتها[1]

ومر) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالىٰ (علىٰ امرأة تبكي علىٰ قبر وهي تقول:

عَدِمْتُ الحياة ولا نلتُها إذا كنتَ[2] في القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق طعم الكَرَىٰ وأنت بيُمناك قد وسَّدوكا

ثم قالت: يا أبتاه، ليت شِعري بأيِّ خدَّيك بدأ الدود؟ فصعق داودُ مكانه وخرَّ مغشيًّا عليه) رواه القشيري في الرسالة، وقيل: كان ذلك سبب توبته[3].

(وقال) أبو يحيىٰ (مالك بن دينار) البصري الزاهد رحمه الله تعالىٰ: (مررت بالمقبرة فأنشأتُ أقول:

أتيتُ القبورَ فناديتُها أين المعظَّم والمحتقَرْ
وأين المُدِلُّ بسلطانه وأين المزكَّىٰ إذا ما افتخرْ

---

(١) لم أقف علىٰ قائل هذه الأبيات، وقد أوردها ابن الجوزي في بستان الواعظين ص ٢٧٥ (ط - دار الريان).

(٢) في أ، وط المنهاج ٩/ ٤٤٧ : أنت.

(٣) نص القشيري في الرسالة ص ٥٩ : «سمعت بعض الفقراء ببغداد يقول: إن سبب زهد داود أنه سمع نائحة تنوح وتقول:

بأي خديك تبدىٰ البلىٰ وأي عينيك إذا سالا»

وقد رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٢٠٩.

قال: فنوديتُ من بينها أسمع صوتًا ولا أرىٰ شخصًا وهو يقول:

تفانَوا جميعًا فما مخبِرٌ ... وماتوا جميعًا ومات الخبرْ

تروح وتغدو بنات الثَّرىٰ ... فتمحوا محاسنَ تلك الصورْ

فيا سائلي عن أُناس مضوا ... أما لك فيمَن ترىٰ معتبَرْ

قال: فرجعت وأنا باكٍ)[1].

وقال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سَيَّار، حدثنا جعفر قال: كنا نخرج مع مالك بن دينار زمن الحطمة، فيجيء الموتىٰ، فيجهِّزهم، ثم يخرج علىٰ حمار قصير وعليه عباءة مرتديًا بها. قال: فيعظنا في الطريق، حتىٰ إذا أشرف علىٰ القبور وأحسَّ بنا أقبل بصوت له محزون يقول:

ألا حي القبورَ ومَن بهنَّه ... وجوهٌ في التراب أحبهنَّه

فلو أن القبور أجبْنَ حيًّا ... إذًا لأجبنني إذ زرتهنَّه

ولكن القبور صمتنَ عني ... فعدتُ حزينًا من عندهنَّه[3]

قال: فإذا سمعنا صوته جئنا إليه، فيقول: إنما الخير في الشباب، إنما الخير في الشباب. قال: ثم يجمعهم فيصلي عليهم.

وهذه (أبيات وُجِدت مكتوبةً علىٰ القبور) فمن ذلك: (وُجد مكتوبًا علىٰ

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٤٠٨ - ٤٠٩ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٤١٦، دون عبارة: (فرجعت وأنا باكٍ) وهي عند ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/ ٣٢٦. ورواه أيضا ابن الجوزي في مثير العزم الساكن ٢/ ٣١٨، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٧٣.

(٣) في الحلية وعيون الأخبار ٢/ ٣٢٨: فأُبْتُ بحسرة من عندهنه.

قبر:

تناجيك أجداثٌ وهنَّ صُموت ... وسكَّانها تحت التراب خُفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمَن تجمع الدنيا وأنت تموت) ؟

أورده ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[١].

(ووُجِد علىٰ قبر آخر مكتوبًا:

أبا غانم أمَّا ذَراك فواسعٌ ... وقبرك معمور الجوانب محكَم
وما ينفع المقبورَ عمرانُ قبره ... إذا كان فيه جسمُه يتهدَّم)[٢]

نقله ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(وقال ابن السَّمَّاك) محمد بن صبيح البغدادي الواعظ: (مررت بالمقابر، فإذا علىٰ قبر مكتوب) عليه ما صورته:

(يمر أقاربي جنبات قبري ... كأنَّ أقاربي لم يعرفوني
وذوو الميراث يقتسمون مالي ... وما يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا ... فيالله أسرع ما نسوني)

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[٣].

---

(١) القبور ص ١٥٢ عن أبي جعفر القرشي.
وأوردهما ابن الجوزي في مثير العزم الساكن ٢/ ٣٢١ - ٣٢٢. وفيه: وأجسامهم، بدل: وسكانها.

(٢) البيتان لأبي العتاهية يرثي بهما أبا غانم حميد بن حميد الطوسي، وهما في ديوانه ص ٤١١.

(٣) في كتاب أهوال القبور لابن رجب ص ٢٤٦ - ٢٤٧ (ط - دار الكتاب العربي) نقلا عن ابن أبي الدنيا أن قائل الأبيات هو ابن السماك، ونصه: «قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن خلف قال: سمعت أبي يقول: رجعنا من ميت مع ابن السماك، فأنشأ ابن السماك يقول ...» فذكرها. وأورد الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢/ ١٦٧ البيت الأول فقط وعزاه ليحيىٰ بن معاذ الرازي.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية(١) من طريق عبد الله بن محمد بن عقبة بن أبي الصهباء قال: قال محمد ابن السَّمَّاك: لا يغرَّنَّكم سكونُ هذه القبور فما أكثر المغمومين فيها، ولا يغرَّنَّكم استواؤها فما أشد تفاوتهم فيها.

(ووُجِد علىٰ قبر مكتوبًا) ما صورته:

(إن الحبيب من الأحباب مختلَس ... لا يمنع الموتَ بوَّاب ولا حرسُ
فكيف تفرح بالدنيا ولذَّتها ... يا مَن يُعَدُّ عليه اللفظ والنفَس
أصبحتَ يا غافلاً في النقص منغمسًا ... وأنت دهرَك في اللذَّات منغمس
لا يرحم الموتُ ذا جهلٍ لغِرَّته ... ولا الذي كان منه العلم يُقتبَس
كم أخرسَ الموتُ في قبر وقفتَ به ... عن الجواب لسانًا ما به خرسُ
قد كان قصرك معمورًا له شرفٌ ... فقبرك اليوم في الأجداث مندرس)

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(ووُجِد علىٰ قبر آخر مكتوبًا:

وقفتُ علىٰ الأحبَّة حين صُفَّتْ ... قبورهم كأفراس الرهان
فلما أنْ بكيتُ وفاض دمعي ... رأت عيناي بينهم مكاني)

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(ووُجِد علىٰ قبر طبيب مكتوبًا) ما صورته:

(قد قلتُ لمَّا قال لي قائل ... قد صار لقمان إلىٰ رَمْسه
فأين ما يوصَف من طبِّه ... وحِذقِه في الماء مع جسِّه
هيهات لا يدفع عن غيره ... مَن كان لا يدفع عن نفسه)(٢)

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٠٧.

(٢) تنسب هذه الأبيات لمحمود الوراق، وهي في ديوانه ص ١٣٦ برواية: =

أورده ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(ووُجِد علىٰ قبر آخر مكتوبًا:

يا أيها الناس كان لي أملٌ قصَّر بي عن بلوغه الأجلُ
فليتَّق اللهَ ربَّه رجلٌ أمكنَه في حياته العملُ
ما أنا وحدي نُقِلتُ حيث ترىٰ كلٌّ إلىٰ مثله سينتقل)[1]

كذا في كتاب القبور لابن أبي الدنيا.

وقال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا فاروق، حدثنا هشام بن علي السيرافي، حدثنا فطر بن حماد بن واقد، حدثنا أبي، حدثنا مالك بن دينار قال: أتيتُ علىٰ قبر، فإذا عليه مكتوب:

يا أيها الرَّكْب سيروا إن قصاركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حُثُّوا المَطايا وأرخُوا من أزِمَّتها قبل الممات وقضُّوا ما تقضُّونا
كنا أناسًا كما كنتم فغيَّرنا دهرٌ فسوف كما كنا تكونونا

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[3] عن سليمان بن يسار الحضرمي قال:

قد قلت لما قال لي قائل قد صار بقراط إلىٰ رمسه
فأين ما دون من كتبه وجمعه الأحجار مع جسه
لم يغنه إذا حم مقداره ولم يساو العشر من فلسه
هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه

(١) ذكر عبد الحق الإشبيلي في العاقبة ص ٢٠٥ أنه وقع في كتاب المجالسة للدينوري أن هذه الأبيات وجدت علىٰ قبر الخليل إبراهيم عليه السلام. ولم أقف علىٰ ذلك في كتاب المجالسة.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٨٣.

(٣) القبور ص ٥٧، وفيه:

يا أيها الركب سيروا من قبل أن لا تسيروا =

كان قوم يسيرون يومًا بالمقابر إذ سمعوا من قبر قائلاً يقول: يا أيها الرَّكْب سيروا من قبل أن لا تسيروا، فكما كنتم كنا فغيَّرنا ريبُ المَنُون، وسوف كما كنا تكونون.

قلت: ووجدتُ في رحلة الإمام أبي سالم العيَّاشي أنه أمر بعضُهم أن يكتب علىٰ قبره:

إذا أمسىٰ فراشي من تراب ... وصِرتُ مجاور الرب الرحيم

فهنُّوني أخِلاَّئي وقولوا ... هنيئًا قد قدمتَ علىٰ كريم[1]

وقد كتبتُهما علىٰ قبر زوجتي أم الفضل زبيدة ابنة المرحوم ذي الفقار الدمياطي رحمهما الله تعالىٰ.

وأمر آخَر أن يُكتَب علىٰ قبره:

ولم أجزع لهول الموت لكن ... بكيتُ لقلة الباكي عليَّا[2]

= فهذه الدار حقا ... فيها إلينا المصير

كم منعم في نعيم ... وتسلينه الدهور

وآخر في عذاب ... لبئس ذاك المصير

فكما كنتم ... الخ. ورواه في هواتف الجنان ص ٤٥ بنفس الإسناد بلفظ: كان ناس يسيرون ليلا عند باب الشرق مما يلي المقابر، فسمعوا صوتا ... فذكره كما أورده الشارح دون زيادة.

(١) لم أقف علىٰ ذلك في الرحلة العياشية. وقد نسب هذان البيتان لغير واحد، فنسبهما ابن علان في دليل الفالحين ٤/ ٩٨ (ط - دار الكتاب العربي) للإمام الرافعي، ونسبهما ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ١٦/ ١١١ ليوسف بن مسعود بن بركة الشيباني التلعفري. ونسبهما قطب الدين اليونيني في ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٢٨ (ط دائرة المعارف العثمانية بالهند) لابنه محمد بن يوسف، وهما في ديوانه ص ٦٠٣ (ط - دار الينابيع بدمشق). وفي كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب ٢/ ٢٨٩ (ط - المطبعة المارونية بحلب) لكامل بن حسين الغزي: «تربة بني الشحنة شمالي الفردوس، وهي قبة عامرة لها باب موجه شمالا مكتوب عليه البيتان المشهوران اللذان أولهما: إذا أمسىٰ فراشي من تراب ... إلخ».

(٢) البيت لأبي الفضل جعفر بن محمد بن شرف القيرواني، وهو مع أبيات أخرىٰ في: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ٢/ ٢٨٠، ونفح الطيب للتلمساني ٣/ ٢٢٩، والرحلة العياشية ٢/ ٣٣٥.

وروىٰ ابن عساكر في التاريخ[١] عن صدقة بن يزيد قال: نظرت إلىٰ ثلاثة أقبُرٍ علىٰ شرف من الأرض بناحية أَطْرابُلُس[٢]، أحدها مكتوب عليه:

وكيف يلذُّ العيشَ مَن هو موقن ... بأن المَنايا بغتةً ستعاجله
وتسلبه مُلكًا عظيمًا ونخوةً ... وتُسكِنه البيتَ[٣] الذي هو آهله

وعلىٰ القبر الثاني:

وكيف يلذُّ العيشَ مَن هو عالِم ... بأن إله الخَلق لا بد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

وعلىٰ القبر الثالث:

وكيف يلذُّ العيشَ مَن هو صائرٌ ... إلىٰ جَدَث تُبلِي الشبابَ منازلُه
ويذهب حُسنُ الوجه من بعد ضوئه ... سريعًا ويبلىٰ جسمُه ومفاصلُه[٤]

فنزلت قرية بالقرب منها، فقلت لشيخ بها: قد رأيتُ عجبًا. قال: وما ذاك؟ قلت: هذه القبور. قال: حديثها أعجبُ ممَّا رأيتَ عليها. قلت: فحدِّثْني. قال: كانوا ثلاثة إخوة، واحد يصحب السلطانَ ويؤمَّر علىٰ الجيوش والبلدان، وآخَر تاجر موسر مطاع في تجارته، وآخر زاهد قد تخلَّىٰ وتفرَّد لعبادة ربِّه. فحضرت العابدَ الوفاةُ، فأتاه أخوه صاحب السلطان، وكان عبد الملك بن مروان قد ولاَّه بلادَنا، وأتاه التاجر، فقالا له: توصي بشيء؟ قال: واللهِ ما لي مالٌ أوصي فيه، ولا عليَّ

---

(١) تاريخ دمشق ٢٤/ ٤٣ - ٤٦. ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا في القبور ص ١٦٦ - ١٧٢، ولكنه سمىٰ الراوي: صدقة بن مرداس البكري.

(٢) طرابلس: وتسمىٰ: طرابلس الشرق، تمييزا لها عن طرابلس الغرب عاصمة ليبيا.

(٣) في تاريخ دمشق: القبر.

(٤) بعده في تاريخ دمشق: «فإذا هي قبور مسنمة علىٰ قدر واحد، بعضها إلىٰ جنب بعض».

دَينٌ أوصي به، ولا أخلف من الدنيا عَرَضًا[١]، ولكن أعهدُ إليكما عهدًا فلا تخلفاه، إذا متُّ فادفناني علىٰ نَشز من الأرض، واكتبا علىٰ قبري: وكيف يلذُّ العيشَ ... البيتين، ثم زورا قبري ثلاثة أيام لعلَّكما تتَّعظان. ففعلا ذلك[٢]، فلما كان اليوم الثالث أتىٰ أخوه صاحبُ السلطان القبرَ، فلما أراد الانصرافَ سمع من داخل القبر هدَّة أرعبتْه وأفزعته، فانصرف مذعورًا وجِلاً، فلما كان الليل رأىٰ أخاه في منامه، فقال: أي أخي، ما الذي سمعتُ من قبرك؟ قال: تلك هدَّة المِقمعة، قيل لي: رأيتَ مظلومًا فلم تنصره. فأصبح فدعا أخاه وخاصَّته فقال[٣]: إني أُشهِدكم أني لا أقيم بين ظهرانيكم أبدًا. فترك الإمارة، ولزم العبادةَ[٤]، وكان مأواه البراري والجبال وبطون الأودية، فحضرته الوفاةُ[٥]، فحضره أخوه فقال: يا أخي، ألا توصي [إليَّ]؟ قال: ما لي مالٌ، ولا عليَّ دَينٌ [فأوصيك] ولكن أعهدُ إليك يا أخي إذا أنا متُّ فاجعلْ قبري إلىٰ جانب قبر أخي، واكتب عليه: وكيف يلذُّ العيشَ ... البيتين، ثم تعاهدْ قبري ثلاثًا[٦]. فلما مات فعل أخوه ذلك، فلما كان في اليوم الثالث من إتيانه القبر أراد أن ينصرف، فسمع وجبة من القبر كادت تذهل عقلَه، فرجع مرعوبًا، فلما كان الليل رأىٰ أخاه في منامه[٧]، فقال: كيف أنت؟ قال: بكل خير، وما أجمع التوبة

---

(١) بعده في تاريخ دمشق: «فقال ذو السلطان: هذا مالي يا أخي، فاعهد إليَّ بما أحببت. فأمسك عنه، وقال التاجر: قد عرفت مكسبي، ولعل في قلبك غصة من الخير لم تبلغها إلا بالإنفاق، فاحكم في مالي بما أنفذه لك. قال: لا حاجة لي في مالكما، ولكن أعهد إليكما ...».

(٢) بعده في تاريخ دمشق: «وكان أخوه يركب في جنوده حتىٰ يأتي قبره فيقرأ عليه ويبكي».

(٣) بعده في تاريخ دمشق: «ما أرىٰ أخي أراد بما أوصانا أن يكتب علىٰ قبره إلا لنعتبر ونراجع ونتوب، وإني أشهدكم ...».

(٤) بعده في تاريخ دمشق: «وبلغ ذلك عبد الملك، فقال: خلوه وما اختار لنفسه».

(٥) بعده في تاريخ دمشق: «وهو مع بعض الرعاة، فأتىٰ الراعي أخاه فأعلمه، فأتاه فحمله إلىٰ منزله قبل موته، فقال: يا أخي، ألا توصي ...».

(٦) بعده في تاريخ دمشق: «وادع الله عَزَّوَجَلَّ لي لعله أن يرحمني».

(٧) بعده في تاريخ دمشق: «قال: فوثبت إليه لما تداخل قلبي من السرور، فقال: أتيتنا زائرا أم راغبا؟ قال: هيهات، بعد المزارُ واطمأنت بنا الدار، فليس لنا مزار».

لكل خير! قال: فكيف أخي؟ قال: مع الأئمَّة الأبرار. قال: فما أمرنا قبلكم؟ قال: مَن قدَّم شيئًا وجده، فاغتنِمْ وُجْدك قبل فقرك. فأصبح الأخ الثالث معتزلاً للدنيا، وفرَّق ماله [وقسم متاعه] وأقبل علىٰ طاعة الله، ونشأ ابن له في المكاسب حتىٰ أتت أباه الوفاةُ، فقال: يا أبتِ، ألا توصي؟ فقال: يا بني، ما لي مالٌ فأوصي فيه، ولكن أعهدُ إليك إذا أنا متُّ أن تدفنِّي مع عمَّيك، وأن تكتب علىٰ قبري: وكيف يلذُّ العيشَ ... البيتين، ثم تعاهدْ قبري ثلاثًا [وادْعُ الله لي] ففعل الفتىٰ ذلك، فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتًا هالَه، فانصرف مهمومًا، فلمَّا كان الليل رأىٰ أباه في منامه، فقال له: يا بني، أنت عندنا عن قليل، والأمر جدٌّ، فاستعِدَّ وتأهَّبْ لرحيلك وطول سفرك، وحوِّلْ جهازَك من المنزل الذي أنت عنه ظاعنٌ إلىٰ المنزل الذي أنت له قاطنٌ، ولا تغترَّ بما اغترَّ به البطَّالون من طول آمالهم فقصَّروا في أمر معادهم، فندموا عند الموت، وأسفوا علىٰ تضييع العمر، فلا الندامة عند الموت نفعتهم، ولا الأسف علىٰ التقصير أنقذهم، أي بني، فبادِرْ ثم بادر ثم بادر. قال الشيخ: فدخلتُ علىٰ الفتىٰ صبيحة [ثالثة] رؤياه فقصَّها عليَّ وقال: ما أرىٰ الأمر الذي قال أبي إلا قد أظلَّني، ولا أحسب بقي من أجلي إلا ثلاثة أشهر أو ثلاثة أيام؛ لأنه أنذرني بالمبادرة ثلاثًا. فلما كان آخر اليوم الثالث دعا أهله وولده فودَّعهم، ثم استقبل وتشهَّد، ثم مات من الليل(١).

(فهذه أبيات كُتبت علىٰ قبور؛ لتقصير سكَّانها عن الاعتبار قبل الموت) لأجل أن يعتبر بها قارئها ويترحَّم علىٰ الأموات **(والبصير هو الذي ينظر إلىٰ قبر غيره**

---

(١) في تاريخ دمشق: «فقصها علي وقال: ما أرىٰ الأمر الذي قال أبي إلا قد أظلني. فجعل يفرق ماله، ويقضي دينه، واستحل معاملته، وودعهم وداع من أيقن أمرا فهو يتفجعه، وكان يقول: قال أبي: بادر ثم بادر ثم بادر، ولا أحسبها إلا ثلاثة أشهر أو ثلاثة أيام، ولعلي لا أدركها؛ لأنه أنذرني بالمبادرة ثلاثا، فلما كان في آخر اليوم الثالث دعا أهله وولده فودعهم، ثم استقبل القبلة، وتشهد، وجعل يدعو ويستغفر، فلما وجد الموت سجىٰ نفسه، ومد الثوب علىٰ وجهه، ثم مات من الليل، فمكث الناس ثلاثا يزورونه».

فيرىٰ مكانه بين أظهُرهم فيستعد للحوق بهم، ويعلم أنهم لا يبرحون عن مكانهم ما لم يلحق بهم) ولذلك قال داود الطائي لما سأله رجلٌ النصيحةَ: إنَّ عسكر الموتىٰ ينتظرونك. كما في الحلية[١] (وليتحقَّق أنه لو عُرِضَ عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيِّع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها) أي بأجمعها (لأنهم عرفوا قدْر الأعمال، وانكشفت لهم حقائق الأمور) التي كانت غائبة عنهم (فإنما حسرتهم علىٰ يوم من العمر ليتدارك المقصِّر به تقصيرَه فيتخلَّص من العقاب، وليستزيد الموفَّق به رتبتَه فيتضاعف له الثوابُ، فإنهم إنما عرفوا قدْر العمر بعد انقطاعه، فحسرتهم علىٰ ساعة من الحياة، وأنت قادر علىٰ تلك الساعة، ولعلَّك تقدر علىٰ أمثالها ثم أنت مضيِّع لها، فوطِّنْ نفسك علىٰ التحسُّر علىٰ تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار؛ إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك علىٰ سبيل الابتدار، فقد قال بعض الصالحين: رأيت أخًا لي في الله فيما يرىٰ النائمُ، فقلت: يا فلان، عشت الحمد لله رب العالمين. قال: لأنْ أقدر علىٰ أن أقولها - يعني: الحمد لله رب العالمين - أحب إليَّ من الدنيا وما فيها. ثم قال: ألم ترَ حيث كانوا يدفونني؟ فإن فلانًا قد قام فصلىٰ ركعتين، لأنْ أكون أقدر علىٰ أن أصلِّيهما أحب إليَّ من الدنيا وما فيها)[٢] ورویٰ أبو نعيم في الحلية[٣] من طريق عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس أنه كان يمر علىٰ المقابر بدمشق يهجر يوم الجمعة، فسمع قائلاً يقول: هذا يونس بن حلبس قد هجَّر، تحجُّون وتعتمرون كل شهر، وتصلُّون كل يوم خمس صلوات، أنتم تعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نعمل. قال: فالتفت

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٥٦.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٧٧ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١٧١ وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٢٣٥ عن زيد بن وهب الجهني قال: خرجت إلىٰ الجبانة فجلست فيها، فإذا رجل قد جاء إلىٰ قبر فسواه ثم تحول إليَّ فجلس، فقلت له: ما هذا القبر؟ قال: أخ لي في الله مات، فرأيته البارحة فيما يرىٰ النائم ... فذكره.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٢٥١.

يونس فسلَّم، فلم يردُّوا عليه، قال: سبحان الله، أسمع كلامكم وأسلِّم عليكم فلا تردُّون؟! قالوا: قد سمعنا كلامك، ولكنها حسنة، وقد حيلَ بيننا وبين الحسنات والسيئات.

قلت: هو[١] يونس بن ميسرة بن حلبس، تابعي، ثقة، وقد يُنسَب إلىٰ جدِّه، روىٰ له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

وروىٰ ابن عساكر[٢] من طريق الأوزاعي قال: مر يونس بن حلبس بمقابر باب توما، وقائد يقوده، وكان مكفوفًا، فقال: السلام عليكم أهل القبور، أنتم لنا سلفٌ، ونحن لكم تبعٌ، فرحمنا اللهُ وإياكم، وغفر لنا ولكم، فكأنَّا قد صِرنا إلىٰ ما صِرتم إليه. فردَّ الله الروح في رجل منهم فأجابه فقال: طوبَىٰ لكم يا أهل الدنيا حين تحجُّون في الشهر أربع مرات. فقال: وإلىٰ أين يرحمك الله؟ قال: إلىٰ الجمعة، أفما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبَّلة؟ قال: ما خير ما قدَّمتم؟ قال: الاستغفار، وقد غلقت رهوننا فلا في حسنة تزيد، ولا من سيئة تنقص[٣].

وروىٰ صاحب كتاب المتفجعين من طريق قتادة قال: كان العلاء بن زياد يقول: ليُنزِل أحدُكم نفسَه أنه قد حضره الموتُ فاستقال ربَّه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ[٤].

ومن طريق الأصمعي قال: كان حماد بن سلمة إذا نُعي إليه أحد من إخوانه

---

(١) تقريب التهذيب ص ١٠٩٩.

(٢) تاريخ دمشق ٣٥/ ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٣) في تاريخ دمشق: «قال: الاستغفار يا أهل الدنيا. قال: فما يمنعك أن ترد السلام؟ قال: يا أهل الدنيا، السلام والحسنات قد رفعت عنا، فلا في حسنة تزيد، ولا من سيئة تنقس، غلقت رهوننا يا أهل الدنيا».

(٤) رواه أحمد في الزهد ص ٢٠٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٤٤، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٣٢٩، ٥/ ٢٦٤، وابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف ص ٢٨٧.

صلىٰ ركعتين وترحَّم علىٰ الميت وقال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. الحمد لله الذي أعطانيهن بعده.

بيان أقاويلهم عند موت الولد

أعمُّ من أن يكون ذكرًا أو أنثىٰ.

اعلمْ أنه (**حقٌّ علىٰ مَن مات ولدُه أو قريب من أقاربه أن يُنزِله في تقدُّمه عليه في الموت منزلةَ ما لو كانا في سفر فسبقه الولد إلىٰ البلد الذي هو مستقرُّه ووطنه، فإنه لا يعظُم عليه تأسُّفه**) ولا يشتدُّ به حزنُه (**لعلمه بأنه لاحقٌ به علىٰ القرب، وليس بينهما إلا تقدُّمٌ وتأخُّرٌ**) فتقدَّم هذا وتأخَّر هذا (**وهكذا الموت، فإن معناه السبق إلىٰ الوطن إلىٰ أن يلحق المتأخرُ**) وهذا معنىٰ قول داود الطائي لمَن طلب منه النصيحة: عسكر الموتىٰ ينتظرونك (**وإذا اعتقد هذا قلَّ جزعُه**) وسكن حزنُه. قال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا سعيد بن عامر، عن جويرية بن أسماء قال: أتىٰ الحسن رجلاً يعزِّيه عن ابنه، فرأىٰ الجزع قد بلغ منه، فقال: كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم. قال: فهَبْها غيبة غابها عنك، فكأنَّك عليه قدمتَ[1] (**لا سيَّما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزِّىٰ به كل مصاب. قال رسول الله ﷺ: لأنْ أقدِّم سقطًا أحب إليَّ من أن أخلِّف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله**) أي[2] بعد موتي، وذلك لأن الوالد إذا مات ولدُه قبله يكون أجر مُصابه بفقده في ميزان الأب، وإذا مات الوالد قبله يكون أجر المصيبة في ميزان الابن، وهذه تسلية عظيمة

---

(١) رواه أبو الحسن المدائني في التعازي ص ٤٩ بنحوه عن الحسن بن دينار قال: جزع رجل علىٰ ابن له، فشكىٰ ذلك إلىٰ الحسن، فقال له الحسن: هل كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم، كان مغيبه أكثر من حضوره. قال: فاتركه غائبا، فإنه لم يغب عنك غيبة الأجر لك فيها أعظم من هذه الغيبة. قال: يا أبا سعيد، هونت وجدي علىٰ ابني.

(٢) فيض القدير ٥/ ٢٦٥.

في موت الأولاد، وفيه ردٌّ علىٰ العز ابن عبد السلام[١] في ذهابه إلىٰ أنه لا أجر في المصيبة؛ لأنها ليست من كسب العبد، بل في الصبر عليها[٢].

قال العراقي[٣]: لم أجد فيه ذِكر مائة فارس[٤]، وروىٰ ابن ماجه[٥] من حديث أبي هريرة: «لَسقطٌ أقدِّمه بين يديَّ أحب إليَّ من فارس أخلفه خلفي». انتهىٰ.

قلت: بل رُوي ذلك من حديث حميد بن عبد الرحمن الحِمْيَري مرسلاً بلفظ: «لأن أقدِّم سقطًا أحب إليَّ من مائة مستلئم». رواه كذلك أبو عبيد في الغريب[٦] والبيهقي في الشعب[٧]. والمستلئم: المتسلِّح.

وحديث أبي هريرة المذكور رواه أيضًا أبو بكر بن أبي شيبة في المصنَّف[٨]

---

(١) قواعد الأحكام الكبرىٰ ١/ ١٨٨ - ١٩٠. الإمام في بيان أدلة الأحكام ص ١٧٦ (ط - دار البشائر الإسلامية).

(٢) قال الحافظ في الفتح: الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر بمجرد حصول المصيبة، وأما الصبر والرضا فقدر زائد يمكن أن يثاب عليهما زيادة علىٰ ثواب المصيبة، قال القرافي: المصائب كفارات جزما سواء اقترن بها الرضا أم لا، لكن إن اقترن بها الرضا عظم التكفير وإلا قل. كذا قال!، والتحقيق: أن المصيبة كفارة لذنب يوازيها، وبالرضا يؤجر علىٰ ذلك، فإن لم يكن للمصاب ذنب عوض عن ذلك من الثواب بما يوازيه. انظر: فتح الباري ١٠/ ١١٠ (ط الريان)، الفروق للقرافي ٤/ ٣٤٣-٣٤٧.

(٣) المغني ٢/ ١٢٢٦.

(٤) قد أورده ابن أبي زمنين في تفسيره ١/ ٢٢٥ (ط - مؤسسة الفاروق الحديثة) باللفظ الذي ذكره الغزالي من حديث الحسن مرسلا.

(٥) سنن ابن ماجه ٣/ ١٢١.

(٦) غريب الحديث ١/ ١٣٠ (ط - دائرة المعارف العثمانية بالهند)، وفيه: «قال رجل لرسول الله ﷺ: ما لي من ولدي؟ قال: من قدمت منهم. قال: فمن خلفت منهم بعدي؟ قال: لك منهم ما لمضر من ولده. وقال حميد: لأن أقدم سقطا أحب إليَّ من أن أخلف بعدي. قال أبو عبيد: لا أدري كيف قال حميد: مائة مستلئم كلهم قد حمل السلاح». وهذا النص ساقط من نسخة المطبعة الأميرية.

(٧) شعب الإيمان ١٢/ ٢١٩.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥١٦.

هو وابن ماجه من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن رومان عن أبي هريرة. ويزيد بن عبد الملك ضعيف؛ قاله الذهبي في الكاشف[١].

(وإنما ذكر السقط تنبيهًا بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ، وإلا فالثواب علىٰ قدْر محل الولد من القلب) والسقط بالتثليث: الولد يسقط قبل تمامه.

(وقال زيد[٢] **بن أسلم)** العدوي مولاهم، أبو عبد الله المدني العالِم الثقة، روىٰ له الجماعة **(توفي ابن لداود عليه السلام، فحزنَ عليه حزنًا شديدًا، فقيل له: ما كان عِدله عندك؟ قال: ملء الأرض ذهبًا. قيل له: فإنَّ لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك)**[٣] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء.

(وقال رسول الله ﷺ: لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جُنَّة من النار. فقالت امرأة) كانت جالسة **(عند رسول الله ﷺ: أو اثنان؟ قال: أو اثنان)** رواه مسلم وابن حبَّان من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثةٌ من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة». قالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان». وعند ابن حبان أيضًا: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثةٌ من الولد فتمسَّه النارُ إلا تَحِلَّة القَسَم». وفي المتفق عليه: «لا يموت لمسلم ثلاثةٌ من الولد فيلج النارَ إلا تَحِلَّة القسم»[٤]. وقد تقدم في كتاب النكاح.

(وليخلص الوالدُ الدعاءَ لولده بعد الموت، فإنه أرجىٰ دعاءً وأقربه إلىٰ الإجابة. وقف محمد بن سليمان) بن علي بن عبد الله بن عباس، أحد الأشراف، وهو أخو جعفر وعبد الله وعلي وإسحاق **(علىٰ قبر ولده فقال: اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك**

---

(١) الكاشف ٢/ ٣٨٧.

(٢) تقريب التهذيب ص ٣٥٠.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٤٠، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ٢٢٣.

(٤) حديث أبي هريرة رواه: البخاري ١/ ٣٨٧، ٤/ ٢٢٠، ومسلم ٢/ ١٢١٦، وابن حبان ٧/ ٢٠٣ - ٢٠٤.

عليه، فحقِّقْ رجائي، وآمِنْ خوفي)[١] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(**ووقف أبو سِنان**) ضِرار[٢] بن مُرَّة الشيباني الكوفي، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، روىٰ له مسلم والترمذي والنسائي (**علىٰ قبر ابنه فقال: اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه، فاغفرْ له ما وجب لك عليه، فإنك أجود وأكرم**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(**ووقف أعرابي علىٰ قبر ابنه فقال: اللهم إني قد وهبتُ له ما قصَّر فيه من برِّي، فهَبْ له ما قصَّر فيه من طاعتك**)[٣] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(**ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر**) بن عبد الله بن زرارة الهَمْداني الكوفي العابد (**بعدما وُضع في لحده فقال: يا ذر، لقد شغلنا الحزنُ لك عن الحزن عليك، فليت شِعري ماذا قلتَ؟ وماذا قيل لك؟ ثم قال: اللهم إن هذا ذر، متَّعتني به ما متَّعتني، ووفَّيتَه أجلَه ورزقه ولم تظلمه، اللهم وقد كنتَ ألزمتَه طاعتَك وطاعتي، اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبتُ له ذلك، فهَبْ لي عذابَه ولا تعذِّبه. فأبكىٰ الناسَ، ثم قال عند انصرافه: ما علينا بعدك من خَصاصة يا ذر، وما بنا إلىٰ إنسان مع الله حاجةٌ، فلقد مضينا وتركناك، ولو أقمنا ما نفعناك**) قال أبو نعيم في الحلية[٤]: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبدوس بن كامل، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا محمد بن كناسة قال: لما مات ذر بن عمر

---

(١) ذكره: المدائني في التعازي ص ٨٣، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ٢٠٠، وابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/ ٣٤٠، وابن عبد البر في بهجة المجالس ١/ ٢٧٨ (ط - دار الكتب العلمية). وفي مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١٤٩ أن الذي قال ذلك هو الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك عندما وقف علىٰ قبر ابنه أيوب.

(٢) تقريب التهذيب ص ٤٥٩.

(٣) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٢٤. وذكره الجاحظ في البيان والتبيين ٣/ ٢٧٣، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٤/ ٩.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ١٠٨ - ١٠٩.

الهَمْداني - وكان موته فجأةً - جاء أباه أهلُ بيته يبكونه، فقال: ما لكم؟ إنَّا واللهِ ما ظُلِمنا، ولا قُهِرنا، ولا ذُهِب لنا بحق، ولا أُخطئَ بنا، ولا أُريدَ غيرنا، وما لنا علىٰ الله معتب. فلما وضعه في قبره قال: رحمك الله يا بني، واللهِ لقد كنتَ بي بارًّا، ولقد كنت عليك حدبًا، وما بي إليك من وحشة، ولا إلىٰ أحد بعد الله فاقة، ولا ذهبت لنا بعزٍّ، ولا أبقيت علينا من ذل، ولقد شغلني الحزنُ لك عن الحزن عليك. يا ذر، لولا هول المطَّلَع ومحشره لتمنَّيتُ ما صرتَ إليه، فليت شِعري يا ذر ما قيل لك؟ وماذا قلتَ؟ ثم قال: اللهم إنك وعدتني الثوابَ بالصبر علىٰ ذر، اللهم فعلىٰ ذر صلواتك ورحمتك، اللهم إني قد وهبت ما جعلتَ لي من أجر علىٰ ذر لذرٍّ صلةً مني، فلا تعرِّفه قبيحًا، وتجاوزْ عنه، فإنك أرحم مني به، اللهم إني قد وهبت لذرٍّ إساءته إليَّ، فهَبْ له إساءته إليك، فإنك أجود مني وأكرم. فلما ذهب لينصرف قال: يا ذر، انصرفنا وتركناك، ولو أقمنا ما نفعناك.

قال: وحدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا سفيان بن عيينة. ح. وحدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا محمد بن أبي عمر العَدَني، حدثنا سفيان بن عيينة قال: لما مات ذر بن عمر بن ذر قال عمر بن ذر: شغلنا يا ذر الحزنُ لك عن الحزن عليك، فليت شِعري ماذا قلتَ؟ وماذا قيل لك؟ اللهم إني قد وهبت لذرٍّ ما فرَّط فيه من حقِّي، فهَبْ له ما قصَّر فيه من حقِّك.

قال: وحدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن علي بن المثنَّىٰ، حدثنا عبد الصمد بن يزيد، سمعت عمرو بن جرير الهجري صاحب محمد بن جابر يقول: لما مات ذر بن عمر بن ذر قال أصحابه: الآن يضيع الشيخ؛ لأنه كان بارًّا بوالديه، فسمعها الشيخ، فبقي متعجِّبًا: أنا أضيع واللهُ حي لا يموت؟! فسكت حتىٰ واراه الترابَ، ثم وقف علىٰ قبره ليُسمِعهم فقال: رحمك اللهُ يا ذر، ما علينا بعدك من خَصاصة، وما بنا إلىٰ أحد بعد الله حاجة، وما يسرُّني أن أكون المقدَّم قبلك، ولولا

هول المطَّلَع لتمنَّيت أن أكون مكانك، لقد شغلني الحزنُ لك عن الحزن عليك، فيا ليت شِعري ماذا قيل لك؟ وماذا قلتَ؟ يعني منكرًا ونكيرًا. ثم رفع رأسه فقال: اللهم إني قد وهبت حقي فيما بيني وبينه له، اللهم فهَبْ حقَّك فيما بينك وبينه له. قال: فبقي القوم متعجِّبين ممَّا جاء منهم ومما جاء منه من الرضا عن الله والتسليم له.

(ونظر رجل إلىٰ امرأة بالبصرة فقال: ما رأيتُ مثل هذه النضارة، وما ذاك إلا من قلة الحزن. فقالت: يا عبد الله، إني لفي حزن ما يشركني فيه أحدٌ. قال: فكيف؟ قالت: إن زوجي ذبح شاة في يوم عيد الأضحىٰ، وكان لي صبيَّانِ مليحان يلعبان، فقال أكبرهما للآخَر: أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاةَ؟ قال: نعم. فأخذه وذبحه، وما شعرنا به إلا متشحطًا في دمه، فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام، فلجأ إلىٰ جبل، فرهقه ذئبٌ فأكله، وخرج أبوه يطلبه فمات عطشًا من شدة الحر. قالت: فأفردني الدهرُ كما ترىٰ) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء[1].

ويشبه هذه القصةَ ما رواه صاحب كتاب المتفجعين عن حبش بن موسىٰ قال: أخبرنا المدائني قال: حدثني رجل من أهل الجزيرة من الأزد قال: كان رجل يجالسنا بأحسن مجالسة، فربما أخذته غشيةٌ حتىٰ يُغلَب ثم يفيق، فقلت له يومًا: ما هذا الذي نراه بك؟ قال: أنا رجل من أهل الموصل، وكان لي ابن من أنفس الأولاد، فلما استعرض يحيىٰ بن محمد بن علي أهلَ الموصل فقتلهم هربت أنا وابني إلىٰ جبل من جبال الموصل، فلجأنا إلىٰ غار فيه، فأقمنا حتىٰ بلغ الجوعُ منا، فقلت لابني: لو خرجتَ فالتمستَ لنا زادًا وأخفيتَ شخصك. فخرج من الغار، فأبطأ عني يومين، فلما كان اليوم الثالث سمعت حس رجل

---

(١) ورواه أيضا في كتاب الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان ص ٥٧ عن سعيد أبي عثمان، وفيه بعد قوله «فأفردني الدهر»: «فقيل لها: فكيف صبرك؟ فقالت: لو رأيت في الجزع دركا ما اخترت عليه».

عليه خف يطأ به وطئًا شديدًا، فقلت: هذا رجل من المسودة من أصحاب يحيىٰ ابن محمد قد ظفر بابني وقد جاء به ليدلَّه عليَّ، فانتضيت سيفي، فلما أدخل رجليه ضربتهما بسيفي فقطعتهما، فسقط وهو يقول: قتلتني يا أبتِ. فأقام ساعةً ينزف، ثم مات، وكان ابني في خروجه من الغار وجد خفًّا ملقًىٰ فلبسه، فكلما ذكرتُه أصابني هذا الذي ترون.

وقال أيضًا: حدثنا عبيد الله بن محمد، حدثنا أبو عبد الله ابن الأعرابي أن أعرابيًّا من أعراب بني سعد حُبِس في دوَّار سجن اليمامة في تهمة، فمات في السجن، فدُفع إلىٰ أمِّه، فلما نظرت إليه قالت: يا بني، خرجتَ من دار البلاء إلىٰ دار البِلَىٰ.

(فأمثال هذه المصائب ينبغي أن تُتذكَّر عند موت الأولاد؛ ليُتسلَّىٰ بها عن شدة الجزع، فما من مصيبة إلا ويُتصوَّر ما هو أعظم منها، وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر) وأحسن ما يُتسلَّىٰ به قول بعضهم:

أرىٰ ولد الفتىٰ ضررًا عليه ... لقد سعدَ الذي أضحىٰ عقيما

فإما أن يربِّيه عدوًّا ... وإما أن يخلِّفه يتيما

وإما أن يوافيه حِمامٌ ... فيبقىٰ حزنه أبدًا مقيما[1]

---

(١) الأبيات في كتاب المحاضرات والمحاورات للسيوطي ص ٣٣٢ بلا نسبة. والبيت الأول والثاني في ديوان اللزوميات لأبي العلاء المعري ٢/ ٣٠٠ مع ثلاثة أبيات أخرىٰ برواية:

وجدت الموت للحيوان داء ... وكيف أعالج الداء القديما

وما دنياك إلا دار سوء ... ولست علىٰ إساءتها مقيما

أرىٰ ولد الفتىٰ عبئًا عليه ... لقد سعد الذي أمسىٰ عقيما

أما شاهدت كل أبي وليد ... يؤم طريق حتف مستقيما

فإما أن يربيه عدوا ... وإما أن يخلفه يتيما

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلَّق به

اعلمْ أن (زيارة القبور مستحبَّة علىٰ الجملة للتذكُّر والاعتبار، وزيارة قبور الصالحين) خاصةً (محبوبة) أي مرغوب إليها (لأجل التبرُّك مع الاعتبار، وقد كان رسول الله ﷺ نهىٰ عن زيارة القبور ثم أذنَ في ذلك بعدُ) كما رواه مسلم من حديث بريدة، وقد تقدم. وقد (رُوي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكِّركم الآخرة، غير أن لا تقولوا هُجْرًا) بضم[(١)] فسكون، أي قبيحًا أو فحشًا. وكان سبب النهي عن زيارة القبور حدثان العهد بالكفر، ثم لما انمحت آثارُ الجاهلية واستحكم الإسلامُ وصاروا أهل يقين وتقوىٰ أُذِنَ لهم في الزيارة، ولكن بشروط يأتي ذِكرُها للمصنف بعدُ. وقال القاضي[(٢)]: الفاء متعلق بمحذوف، أي نهيتكم عن زيارتها مباهاةً بتكاثر الأموات فِعل الجاهلية، وأما الآن فقد جاء الإسلام وهدم قواعد الشرك، فزوروها، فإنها تورث رِقَّةَ القلب، وتذكِّر الموتَ والبِلَىٰ. ا.هـ. ونِعم الدواء هي لمَن قسا قلبُه ولزمه ذنبُه، فإن انتفع بالإكثار منها فذاك، وإلا أكثرَ من مشاهدة المحتضرين، فليس الخبر كالعيان[(٣)]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٤)]: قد أذنَ النبيُّ ﷺ في زيارتها بعد النهي، وعلَّله بأنها تذكِّر الموتَ والدار الآخرة، وأذنَ إذنًا عامًّا في زيارة قبر المسلم والكافر، والسبب الذي ورد عليه لفظُ الخبر يوجب دخولَ الكافر، والعلة موجودة في ذلك كله، وقد كان النبي ﷺ يأتي قبورَ البقيع والشهداء للدعاء والاستغفار لهم، فهذا المعنىٰ

---

(١) فيض القدير ٥/ ٥٥ - ٥٦.

(٢) هذا ليس كلام القاضي، وإنما هو كلام الطيبي في شرح مشكاة المصابيح ٤/ ١٤٣٣.

(٣) هذا المعنىٰ مأخوذ باختصار عن نص القرطبي في التذكرة ص ١٣٢ - ١٣٤.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٢/ ١٨١ - ١٨٢ (ط - دار إشبيلية بالرياض).

يختصُّ بالمسلمين. ا.هـ. وقال المناوي في شرح الجامع الصغير: «نهيتكم» خطاب رجال، فلا تدخل فيه الإناث علىٰ المختار عند أصحابنا، فلا يُندَب لهن، لكن يجوز علىٰ الكراهة، ثم الزيارة بمجرَّد هذا القصد يستوي فيها سائرُ القبور، ولا يُخَص قبر دون قبر. قال السبكي[١]: متىٰ كانت الزيارة بهذا القصد لا يُشرَع فيها قصدُ قبر بعينه، ولا تُشَدُّ الرِّحال لها، وعليه يُحمَل ما في شرح مسلم من منع شدِّ الرحال لزيارة القبور، وكذا بقصد التبرُّك، إلا للأنبياء فقط. ا.هـ. وقال بعضهم[٢]: استُدِلَّ به علىٰ حِلِّ زيارة القبور، هَبِ الزائرَ ذكرًا أم أنثىٰ، والمزور مسلمًا أم كافرًا، قال النووي[٣]: وبالجواز قطع الجمهور، وقال صاحب الحاوي[٤]: لا تجوز زيارة قبر الكافر. وهو غلطٌ.

قال العراقي[٥]: هذا الحديث رواه أحمد[٦] وأبو يعلىٰ[٧] في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب القبور واللفظ له، ولم يقل أحمد وأبو يعلىٰ: «غير أن لا تقولوا هجرًا». وفيه علي بن زيد بن جدعان عن ربيعة بن النابغة، قال البخاري: لم يصحَّ[٨]. وربيعة ذكره ابن حبان في الثقات[٩].

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ص ٢٥١ - ٢٥٢ (ط - دار الكتب العلمية).

(٢) هو ابن حجر في فتح الباري ٣/ ١٧٩.

(٣) المجموع شرح المهذب ٥/ ٣١٠ - ٣١١.

(٤) الحاوي الكبير ٣/ ١٩، ونصه: «إذا ثبت جواز غسل المشرك ودفنه فليس لهم أن يصلوا عليه ولا يزوروا قبره ولا يدعوا له؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾».

(٥) المغني ٢/ ١٢٢٦.

(٦) مسند أحمد ٢/ ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٧) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٢٤٠.

(٨) نص البخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٢٨٩: «ربيعة بن النابغة. عن أبيه عن علي عن النبي ﷺ: لا تشربوا مسكرا. ورخص في الأضاحي. ولا يصح؛ لأن أبا صالح قال: حدثني الليث عن عقيل ويونس عن ابن شهاب سمع أبا عبيد سمع عليا: نهىٰ النبي ﷺ أن تأكلوا من نسككم، فلا تأكلوا. ولا يرفعه ابن عيينة. وتابعه أبو حصين عن أبي عبد الرحمن عن علي قوله».

(٩) الثقات ٦/ ٣٠٠.

قلت: ورواه أيضًا ابن أبي شيبة في المصنَّف[١] فقال: حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن ربيعة بن النابغة، عن أبيه، عن علي قال: نهىٰ رسول الله ﷺ عن زيارة القبور، ثم قال: «إني [كنت] نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها تذكِّركم الآخرةَ». أما لفظ أحمد وأبي يعلىٰ: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكِّركم الآخرةَ».

وقد رُوي هذا الحديث من طرق عن بريدة وعائشة وابن مسعود وأنس وابن عباس وأبي سعيد وواسع بن حبان وأم سلمة:

فحديث بريدة عند مسلم[٢]: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها». زاد الترمذي[٣]: «فإنها تذكِّركم الآخرةَ». وهو عند الحاكم[٤] بزيادة: «ولتزدكم زيارتُها خيرًا». وعند أبي داود[٥] بزيادة: «فإنَّ في زيارتها تذكرةً».

وحديث عائشة رواه الحاكم في معجم شيوخه وابن النجار[٦] بلفظ الترمذي.

وحديث ابن مسعود رواه ابن ماجه[٧] والحاكم[٨] بلفظ: «فزوروا القبورَ، فإنها تزهِّد في الدنيا وتذكِّر الآخرةَ».

وحديث أنس رواه الحاكم[٩] وابن النجار: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور،

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٠٠.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٣٤، ٢/ ٩٥٠.

(٣) سنن الترمذي ٢/ ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٢٦.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٦٩.

(٦) وكذلك الطبراني في المعجم الأوسط ٤/ ٦٩، والبزار في مسنده ١٨/ ٢١٥.

(٧) سنن ابن ماجه ٣/ ٩٥.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٢٥.

(٩) السابق ١/ ٥٢٦ - ٥٢٧.

ثم بدا لي، ألا فزوروها، فإنها تُرِقُّ القلبَ، وتُدمِع العينَ، وتذكِّر الآخرةَ، ولا تقولوا هُجْرًا».

وحديث ابن عباس عند الطبراني[١] بلفظ: «فزوروها، ولا تقولوا هجرًا».

وحديث أبي سعيد وواسع بن حبان عند الحاكم[٢] بلفظ: «فإنَّ فيها عبرة».

وحديث أم سلمة عند الطبراني[٣] بلفظ: «فإنَّ لكم فيها عبرة».

وروى الطبراني في الصغير[٤] من حديث زيد بن ثابت: «زوروا القبور، ولا تقولوا هُجْرًا».

(وزار رسول الله ﷺ قبر أمِّه في ألف مقنَّع، فلم يُرَ باكيًا أكثر من يومئذٍ، وفي هذا اليوم قال: أُذِنَ لي في الزيارة دون الاستغفار. كما أوردنا من قبل) قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[٦] من حديث بريدة، وشيخه أحمد بن عمران الأخنسي متروك. ورواه بنحوه من وجه آخر: كنا معه قريبًا من ألف راكب، وفيه أنه لم يأذن له في الاستغفار لها. ورواه مسلم[٧] من حديث أبي هريرة: «استأذنت ربِّي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذنَ لي».

قلت: روى ابن أبي شيبة في المصنَّف[٨]: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا

---

(١) المعجم الكبير ١١/ ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١/ ٥٢٥ من رواية واسع بن حبان عن أبي سعيد الخدري.

(٣) المعجم الكبير ٢٣/ ٢٧٨.

(٤) المعجم الصغير ٢/ ١١٨.

(٥) المغني ٢/ ١٢٢٦ - ١٢٢٧.

(٦) وكذلك الحاكم في المستدرك على الصحيحين ١/ ٥٢٥ - ٥٢٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ١٢٨، وفي شعب الإيمان ١١/ ٤٧٠.

(٧) صحيح مسلم ١/ ٤٣٣.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٠٠، ٥٠١.

يزيد بن كَيْسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمِّه، فبكىٰ وأبكىٰ من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذنَ لي، فزوروا القبورَ، فإنها تذكِّركم الموتَ».

ورویٰ أيضًا من طريق مسروق عن عبد الله رفعه: «إني نهيتكم عن زيارة القبور، فإنه قد أُذِنَ لمحمد في زيارة قبر أمِّه، فزوروها فإنها تذكِّركم».

(**وقال ابن أبي مُلَيكة**) هو[1] عبد الله بن عبيد الله، وأبو مُلَيكة - بالتصغير - اسمه زهير بن عبد الله بن جُدعان التيمي المدني، تابعي جليل، أدرك ثلاثين من الصحابة، روىٰ له الجماعة (**أقبلت عائشةُ ﷺ يومًا من المقابر، فقلت: يا أم المؤمنين، من أين أقبلتِ؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن. فقلت: أليس كان رسول الله ﷺ نهىٰ عنها؟ قالت: نعم، ثم أمر بها**) قال العراقي[2]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[3] بسند جيد.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[4] فقال: حدثنا عيسىٰ بن يونس، عن ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة قال: توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بالحُبْشي - قال ابن جريج: الحبشي علىٰ اثني عشر ميلاً من مكة[5] - فدُفن بمكة، فلما قدمت عائشةُ أتت قبرَه فقالت:

---

(١) تقريب التهذيب ص ٥٢٤.

(٢) المغني ٢/ ١٢٢٧.

(٣) وكذلك الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٢٦، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٤/ ١٣١، وأبو يعلىٰ في مسنده ٨/ ٢٨٤.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٠١.

(٥) في معجم البلدان لياقوت ٢/ ٢١٤: «حبشي: جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك، يقال: به سميت أحابيش قريش، وبينه وبين مكة ستة أميال، مات عنده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فجأة، فحمل علىٰ رقاب الرجال إلىٰ مكة، فقدمت عائشة من المدينة وأتت قبره وصلت عليه وتمثلت: وكنا كندامي ...» البيتين.

وكنا كنَدْمانَيْ جذيمة حِقبةً ... من الدهر حتىٰ قيل لن يتصدَّعا

فلما تفرَّقنا كأنِّي ومالكًا ... لطول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا[١]

ثم قالت: أما واللهِ لو حضرتُك لدفنتُك حيث متَّ، ولو شهدتُك ما زرتك.

(ولا ينبغي أن يُتمسَّك بهذا فيؤذَن للنساء في الخروج إلىٰ المقابر، فإنهن يكثرن الهُجرَ) أي الفحش من القول **(علىٰ رؤوس المقابر، فلا يفي خيرُ زيارتهن بشرِّها، ولا يخلون في الطريق عن تكشُّف)** للعورة **(وتبرُّج)** أي تزيُّن **(وهذه عظائم، والزيارة سنَّة)** مستحبَّة **(فكيف يُحتمَل ذلك لأجلها؟ نعم، لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة)** أي حقيرة **(تردُّ أعينَ الرجال عنها، وذلك بشرط الاقتصار علىٰ الدعاء)** والاستغفار **(وتركِ الحديث علىٰ رأس القبر)** إلا ما أهمَّ.

(وقال أبو ذر) الغِفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: زُرِ القبورَ تذكَّر بها الآخرةَ، واغسل الموتىٰ فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة، وصلِّ علىٰ الجنائز لعل ذلك أن يحزنك، فإن الحزين في ظلِّ الله)** قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والحاكم[٣] بإسناد جيد.

قلت: رواه الحاكم من طريق موسىٰ الضبِّي، عن يعقوب بن إبراهيم، عن يحيىٰ بن سعيد، عن أبي مسلم الخولاني، عن [عبيد] بن عمير، عن أبي ذر، وزاد في آخره: «يوم القيامة يتعرَّض لكل خير». ثم قال: رجاله ثقات. قال الذهبي: لكنه منكر، ويعقوب واهٍ، ويحيىٰ لم يدرك أبا مسلم، فهو منقطع[٤]. ا.هـ. ورواه

---

(١) البيتان لمتمم بن نويرة اليربوعي من قصيدة يرثي بها أخاه مالك بن نويرة، وهما في ديوانه ص ١١١ - ١١٢ (ط - مطبعة الإرشاد ببغداد).

(٢) المغني ٢/ ١٢٢٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٢٧، ٤/ ٤٧٦.

(٤) عبارة الذهبي في التلخيص: «لكنه منكر، ويعقوب هو القاضي أبو يوسف، حسن الحديث، ويحيىٰ لم يدرك أبا مسلم، فهو منقطع، أو أن أبا مسلم رجل مجهول».

البيهقي[١] كذلك وقال: هذا متن منكر، وفيه يعقوب بن إبراهيم، أظنه المدني المجهول.

والشطر الأول من الحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «زوروا القبور، فإنها تذكِّر الموتَ»[٢]. ورواه ابن ماجه[٤] وابن منيع بلفظ: «زوروا القبور، فإنها تذكِّركم الآخرة».

(وقال ابن أبي مُلَيكة) عبد الله بن عبيد الله التيمي التابعي: **(قال رسول الله ﷺ: زوروا موتاكم وسلِّموا عليهم، فإنَّ لكم فيهم عبرةً)** قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[٦] هكذا مرسلاً، وإسناده حسن.

قلت: لفظ ابن أبي الدنيا: «فسلِّموا عليهم وصلُّوا عليهم». وقد رواه الديلمي[٧] من حديث عائشة متصلاً بلفظ: «زوروا إخوانكم وسلِّموا عليهم وصلُّوا [عليهم] فإنَّ لكم فيهم عبرة».

(وعن نافع عن ابن عمر) رضي الله عنهما **(أنه كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلَّم عليه)** قال ابن أبي شيبة في المصنَّف[٨]: حدثنا يحيىٰ بن آدم، عن زهير، عن موسىٰ بن عُقبة أنه رأىٰ سالم بن عبد الله لا يمر بليل ولا نهار بقبرٍ إلا سلَّم عليه ونحن مسافرون معه، يقول: السلام عليكم. فقلت له في ذلك، فأخبرنيه عن أبيه أنه كان يصنع ذلك.

---

(١) شعب الإيمان ١١/ ٤٧٠.

(٢) هذا بقية حديث زيارة النبي ﷺ لقبر أمه.

(٤) سنن ابن ماجه ٣/ ٩٤.

(٥) المغني ٢/ ١٢٢٧ - ١٢٢٨.

(٦) وكذلك عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٥٧٠، والفاكهي في أخبار مكة ٤/ ٥٢.

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٩٤، وهو عند الطبراني في الأوسط ٥/ ٢٤٣.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٤٩٦.

قال[١]: وحدثنا حفص بن غياث، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان إذا قَدِمَ وقد مات بعضُ ولده قال: دلُّوني علىٰ قبره. فيدلُّونه عليه، فينطلق فيقوم عليه ويدعو له.

(**وعن جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (**عن أبيه**) محمد بن علي (**أن**) جدَّته (**فاطمة بنت رسول الله ﷺ**) ورضي عنها (**كانت تزور قبر عمِّها**) أي عم أبيها (**حمزة**) بن عبد المطلب رضي الله عنه (**في الأيام فتصلي وتبكي عنده**)[٢] وروىٰ البيهقي في الشعب[٣] عن الواقدي قال: كان النبي ﷺ يزور الشهداء بأُحُد في كل حول، وإذا بلغ رفع صوته فيقول: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤] ثم أبو بكر كل حول يفعل مثل ذلك، ثم عمر، ثم عثمان، وكانت فاطمة ﵂ تأتيهم وتدعو، وكان سعد بن أبي وقاص يسلِّم عليهم، ثم يُقبِل علىٰ أصحابه فيقول: ألا تسلِّمون علىٰ قوم يردُّون عليكم السلامَ؟

(**وقال النبي ﷺ: مَن زار قبر أبويه**) وفي لفظ: والديه (**أو أحدهما في كل جمعة غُفِر له وكُتِب برًّا**) بهما. قال العراقي[٤]: رواه الطبراني في الصغير[٥] والأوسط[٦] من حديث أبي هريرة، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور[٧] من رواية محمد بن النعمان يرفعه، وهو معضَل، ومحمد بن النعمان مجهول، وشيخه عند الطبراني يحيىٰ بن

---

(١) السابق ٤/ ٥٠١.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٥٧٢ مختصرا بلفظ: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تزور قبر حمزة كل جمعة. ورواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٢٧، ٣/ ٣٣ والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٤/ ١٣١ تاما عن الحسين بن علي.

(٣) بل في دلائل النبوة ٣/ ٣٠٨. والحديث في مغازي الواقدي ص ٣١٣.

(٤) المغني ٢/ ١٢٢٨.

(٥) المعجم الصغير ٢/ ١٦٠.

(٦) المعجم الأوسط ٦/ ١٧٥.

(٧) ورواه أيضا في مكارم الأخلاق ص ٨٣.

العلاء البَجَلي متروك.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر[١] من حديث أبي هريرة، ورواه أيضًا البيهقي[٢] من رواية محمد بن النعمان. ولفظ الجميع: «في كل جمعة مرةً». وقال الذهبي في ذيل الديوان[٣]: محمد بن النعمان، روىٰ عنه محمد بن المثنىٰ وغيره، لكن قال: مجهول. ويحيىٰ[٤] بن العلاء الرازي البجلي، روىٰ له أبو داود وابن ماجه، قال أحمد: كذَّاب يضع الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي.

وقد جاء في فضل زيارة الوالدين عدةُ أخبار، منها ما رواه الحكيم[٥] وابن عدي[٦] من حديث ابن عمر: «مَن زار قبر أبويه أو أحدهما احتسابًا كان كعدل حجة مبرورة، ومَن كان زَوَّارًا لهما زارت الملائكة قبرَه».

وروىٰ أبو الشيخ في الثواب والديلمي وابن النجار والرافعي[٧] من رواية عائشة عن أبي بكر مرفوعًا: «مَن زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة فقرأ عنده يس غفر الله له بعدد كل حرف منها»[٨].

(وعن ابن سيرين) محمد رحمه الله تعالىٰ **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن**

---

(١) نوادر الأصول ص ٧٣.

(٢) شعب الإيمان ١٠/ ٢٩٨.

(٣) بل في المغني في الضعفاء ٢/ ٢٧٤، وعبارته: «محمد بن النعمان، شيخ لمحمد بن المثنىٰ، مجهول».

(٤) تهذيب الكمال ٣١/ ٤٨٤ - ٤٨٨. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ١٨٠. الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٣/ ٢٠٠.

(٥) نوادر الأصول ص ٧٣ موقوفا.

(٦) الكامل في الضعفاء ٢/ ٨٠١ مرفوعا بلفظ: «من زار قبر أبيه أو أمه أو عمته أو خالته أو أحد قراباته كانت له حجة مبرورة، ومن كان زائرا لهما حتىٰ يموت زارت الملائكة قبره».

(٧) التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٣٧.

(٨) وهو موضوع كما قال ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٢٣٩.

الرجل لَيموتُ والداه وهو عاقٌّ لهما فيدعو اللهَ لهما من بعدهما فيكتبه اللهُ من البارِّين) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[٢]، وهو مرسل صحيح الإسناد. ورواه ابن عدي[٣] من رواية يحيىٰ بن عُقبة بن أبي العيزار عن محمد ابن جحادة عن أنس، قال: ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جحادة عن قتادة عن أنس. ويحيىٰ بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف.

قلت: ورواه ابن عساكر[٤] من حديث أنس - وقال: فيه يحيىٰ بن عقبة، كذَّبه ابنُ معين[٥] - ولفظه: «إن الرجل يموت والداه أو أحدهما وإنه لَعاقٌّ لهما فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتىٰ يكتبه الله بَرًّا».

(وقال النبيٰ ﷺ من زار قبرىٰ) أي[٦] مَن زارني في قبري، فقصدُ البقعة نفسها ليس بقربة. كذا ذكره السبكي في شفاء السقام، وحمل عليه ما نُقل عن مالك من منع شدِّ الرحل لمجرَّد زيارة القبر من غير إرادة إتيان المسجد للصلاة فيه **(فقد وجبت له شفاعتي)** أي حقَّت وثبتت ولزمت، قال السبكي: يحتمل كون المراد له بخصوصه بمعنىٰ أن الزائرين يُخصَّون بشفاعة لا تحصل لغيرهم، أو يكون إفرادهم بذلك تشريفًا وتنويهًا بسبب الزيارة، أو المراد [أنه] ببركة الزيارة يجب دخولهم في عموم مَن تناله الشفاعةُ، وفائدته البشرىٰ بأنه يموت مسلمًا، وعليه يجب إجراء اللفظ علىٰ عمومه؛ إذ لو أُضمِر فيه شرط الوفاة علىٰ الإسلام لم يكن لذكر الزيارة معنىٰ؛ إذ الإسلام وحده كافٍ في نيلها، وعلىٰ الأوَّلينِ يصح هذا

---

(١) المغني ٢/ ١٢٢٨.

(٢) وكذلك البيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ٢٩٨.

(٣) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٦٨٠.

(٤) تاريخ دمشق ٧٣/ ١٠٦.

(٥) في تاريخ ابن معين برواية الدوري ٣/ ٤٠٢: «ليس بشيء». وفي تاريخه برواية ابن محرز ١/ ٦١: «كذاب خبيث عدو الله، كان يسخر به، ليس ممكن يكتب حديثه».

(٦) شفاء السقام للسبكي ص ١٠٢ - ١٠٣، ٢٥٩ - ٢٦١. فيض القدير ٦/ ١٤٠.

الإضمارُ، والحاصل أن أثر الزيارة إما الموت علىٰ الإسلام مطلقًا لكل زائر، وإما شفاعة تخصُّ الزائرَ أخص من العامة، وقوله «شفاعتي» في الإضافة إليه تشريف لها؛ إذ الملائكة وخواص البشر يشفعون، فللزائر نسبة خاصة، فيشفع هو فيه بنفسه، والشفاعة تعظُم بعِظَم الشافع.

رواه ابن عدي[(١)] والدارقطني[(٢)] والبيهقي[(٣)] من حديث ابن عمر، وقد تقدم في كتاب أسرار الحج. قال ابن القَطَّان[(٤)]: وفيه عبد الله بن عمر العمري، قال أبو حاتم[(٥)]: مجهول. وموسىٰ بن هلال البصري، قال العقيلي[(٦)]: لا يصح حديثه ولا يتابَع عليه. وقال السبكي[(٧)]: بل حسن أو صحيح. وقال الذهبي[(٨)]: طرقه كلها ليِّنة، ولكن يتقوَّىٰ بعضُها ببعض. وقال ابن حجر[(٩)]: حديث غريب، أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وقال: في القلب من سنده شيءٌ، وأنا أبرأ إلىٰ الله من عهدته. قال ابن حجر: وغفل مَن زعم أن ابن خزيمة صحَّحه. وبالجملة فقول ابن تيمية[(١٠)]

---

(١) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٣٥٠.

(٢) سنن الدارقطني ٣/ ٣٣٤.

(٣) شعب الإيمان ٦/ ٥١.

(٤) بيان الوهم والإيهام ٤/ ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٥) الذي جهله أبو حاتم هو موسىٰ بن هلال، أما عبد الله بن عمر العمري فقد قال عنه: «رأيت أحمد بن صالح يحسن الثناء عليه، وهو أحب إليَّ من عبد الله بن نافع، يكتب حديثه ولا يحتج به». الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ١٠٩ - ١١٠، ٨/ ١٦٦.

(٦) الضعفاء الكبير ٤/ ١٣٣١.

(٧) شفاء السقام ص ١٠٠، ونصه: «أقل درجات هذا الحديث أن يكون حسنا إن نوزع في دعوىٰ صحته».

(٨) تاريخ الإسلام ١١/ ٢١٢ - ٢١٣، وعبارته: «هذا حديث منكر، وفي الباب الأخبار اللينة مما يقوي بعضه بعضا؛ لأن ما في رواتها متهم بالكذب».

(٩) لسان الميزان ٨/ ٢٢٨ - ٢٣١.

(١٠) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٢٥، ٢٩.

«موضوع» غير صواب.

(**وقال ﷺ: مَن زارني بالمدينة**) أي[1] في حياتي أو بعد وفاتي (**محتسبًا**) أي ناويًا بالزيارة وجه الله تعالىٰ وثوابه، وقيل له محتسبًا؛ لاعتداده بعمله، فجعل حال مباشرته الفعل كأنَّه معتدٌّ به (**كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة**) هكذا في النسخ بالواو، والصحيح «أو»، أي شهيدًا للبعض وشفيعًا لباقيهم، أو شهيدًا للمطيع شفيعًا للعاصي. و«أو» فيه بمعنىٰ الواو للتقسيم، كما تقرَّر، وجعلُها للشك ردَّه عياضٌ[2]. قالوا: وزيارة قبره الشريف من كمالات الحج، بل عند الصوفية فرضٌ، وعندهم الهجرة إلىٰ قبره ميتًا كهي إليه حيًّا.

رواه البيهقي[3] من حديث أنس، وقد تقدم في كتاب أسرار الحج.

(**وقال كعب الأحبار**) رحمه الله تعالىٰ: (**ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفًا من الملائكة حتىٰ يحفُّوا بالقبر**) أي بقبره ﷺ (**يضربون بأجنحتهم ويصلُّون علىٰ النبي ﷺ، حتىٰ إذا أمسوا عرجوا**) إلىٰ السماء (**وهبط مثلُهم فصنعوا مثل ذلك، حتىٰ إذا**) تمَّ عمرُ الدنيا و(**انشقَّت الأرض**) بمَن فيها (**خرج**) ﷺ (**في سبعين ألفًا من الملائكة يوقِّرونه**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[4] عن كعب أنه دخل علىٰ عائشة ﵂، فذكروا رسولَ الله ﷺ، فقال كعب: ما من فجر ... فذكره، إلا أنه قال في آخره: فيقودونه، بدل: فيوقِّرونه[5]. ورواه كذلك ابن النجار في تاريخ المدينة[6]،

---

(١) فيض القدير ٦/ ١٤٠.

(٢) إكمال المعلم ٤/ ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٣) شعب الإيمان ٦/ ٥٠.

(٤) وكذلك ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٤٣٤، والدارمي في سننه ١/ ٥٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣٩٠، وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ١٠١٨ - ١٠١٩، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٥٦، وابن الجوزي في مثير العزم الساكن ٢/ ٢٩٧.

(٥) وفي بعض المصادر: يزفونه.

(٦) الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ص ٢٢٣ (ط - مكتبة الثقافة الدينية).

والقرطبي في التذكرة[١].

(والمستحَب في زيارة القبور أن يقف مستدبرًا للقبلة، مستقبلاً بوجهه الميتَ، وأن يسلِّم) عليه بالخصوص فيقول: السلام عليك يا فلان ورحمة الله وبركاته. أو هو مع غيره فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم لنا فَرَطٌ، ونحن لكم تَبَعٌ، أسأل الله لنا ولكم العافيةَ»، كما ورد ذلك من حديث بريدة عند النسائي[٢]. أو يقول: «ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون»، كما في حديث عائشة عند الترمذي[٣]. أو يقول: «السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفُنا، ونحن بالأثر»، كما في حديث ابن عباس عند الترمذي[٤] أيضًا. أو يقول: «السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبعٌ عما قليل لاحق، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم»، كما في معجم الطبراني[٥] عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وروىٰ ابن أبي شيبة[٦] عن أبي هريرة قال: إذا مررتَ بالقبور قد كنت تعرفهم فقل: السلام عليكم أصحابَ القبور، وإذا مررت بالقبور لا تعرفهم فقل: السلام علىٰ المسلمين.

تنبيه: روىٰ أبو داود[٧] والترمذي[٨] وصحَّحه من حديث أبي جُرَيٍّ الهُجَيمي قال: أتيت النبيَّ ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله. قال: «لا تقل: عليك

---

(١) التذكرة ص ٤٩٩.

(٢) سنن النسائي ص ٣٢٦. والحديث في صحيح مسلم ١/ ٤٣٣.

(٣) الحديث ليس في سنن الترمذي، وقد رواه مسلم في صحيحه ١/ ٤٣٣.

(٤) سنن الترمذي ٢/ ٣٥٧.

(٥) المعجم الكبير ٤/ ٥٦ موقوفا.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٤٩٧.

(٧) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٥.

(٨) سنن الترمذي ٤/ ٤٤٣ - ٤٤٤.

السلام، فإن عليك السلام تحية الموتىٰ».

فهذا[١] يُشعِر بأن السنَّة في السلام علىٰ الموتىٰ بتقديم الصلة، وقد صحَّ أنه ﷺ قال لهم: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»، فيُحتاج إلىٰ الجمع، حتىٰ إن بعضهم قال: إن هذا أصح من حديث النهي. وذهب آخرون إلىٰ أن السنَّة ما دلَّ عليه حديثُ النهي. وقد أجاب ابن القيم في البدائع[٢] بأن كلاً من الفريقين إنما أُتوا من عدم فهم مقصود الحديث، فإن قوله ﷺ «عليك السلام تحية الموتىٰ» ليس تشريعًا منه وإخبارًا عن أمر شرعيٍّ، وإنما هو إخبار عن الواقع المعتاد الذي جرىٰ علىٰ ألسنة الناس في الجاهلية، فإنهم كانوا يقدِّمون اسمَ الميت علىٰ الدعاء، وهو في أشعارهم كثيرٌ، والإخبار عن الواقع لا يدل علىٰ الجواز فضلاً عن الاستحباب[٣]، فتعيَّن المصير إلىٰ ما ورد عنه ﷺ من تقديم لفظ السلام حين يسلم علىٰ الأموات. قال: فإن تخيَّل متخيِّل في الفرق أن السلام علىٰ الأحياء يُتوقَّع جوابه فقُدِّم الدعاء علىٰ المدعوِّ له بخلاف الميت، قلنا: والسلام علىٰ الميت يُتوقَّع جوابه أيضًا، كما ورد به الحديثُ.

(و) أن (**لا يمسح القبر ولا يمسه**) بيده أو ثوبه (**ولا يقبِّله**) بفمه (**فإنَّ ذلك من عادة النصارىٰ**) وكذا السجود عليه أو إليه، وكل ذلك بدعة منكرة، إنما يفعلها الجُهَّال، كما قاله السبكي[٤] (**قال نافع: كان ابن عمر**) رضي الله عنه (**رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلىٰ القبر فيقول: السلام علىٰ النبي**) ﷺ (**السلام علىٰ أبي بكر**) رضي الله عنه (**السلام**

---

(١) قوت المغتذي علىٰ جامع الترمذي ٢/ ٦٩١ - ٦٩٣، شرح الصدور ص ٢٢٨ - ٢٢٩، كلاهما للسيوطي.

(٢) بدائع الفوائد ص ٦٦٠ - ٦٦١ (ط - دار عالم الفوائد).

(٣) في البدائع: فضلا عن كونه سنة.

(٤) شفاء السقام ص ٣٠٥ - ٣٠٦، ٣١٢.

علىٰ أبي) رضي الله عنه **(وينصرف)**[١] رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٢] فقال: حدثنا أبو معاوية، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان إذا أراد أن يخرج دخل المسجد فصلىٰ، ثم أتىٰ قبرَ النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه. ثم يلوي وجهه، وكان إذا قدمَ من سفر أتىٰ المسجدَ ففعل ذلك قبل أن يدخل منزله.

وقال أبو نعيم في الحلية[٣]: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بِشر بن موسىٰ، حدثنا خَلاَّد بن يحيىٰ، عن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد قال: سمعت نافعًا يقول: كان عبد الله إذا قدم المدينةَ أتىٰ قبرَ النبي ﷺ فاستقبل وجهه وصلىٰ عليه ودعا له، ثم أقبل علىٰ أبي بكر فاستقبل وجهه وصلىٰ عليه ودعا له، ثم أقبل علىٰ عمر فاستقبل وجهه وصلىٰ عليه ودعا له، ثم يقول: يا أبتاه، يا أبتاه.

رواه حماد بن زيد عن أيوب مثله.

(وعن أبي أُمامة) بن سهل بن حنيف رضي الله عنه **(قال: رأيت أنس بن مالك)** رضي الله عنه **(أتىٰ قبرَ النبي ﷺ فوقف، فرفع يديه حتىٰ ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلَّم علىٰ النبي ﷺ، ثم انصرف**[٤]**)**.

وقالت عائشة رضي الله عنها**: قال رسول الله ﷺ: ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به وردَّ عليه حتىٰ يقوم)** قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وفيه عبد الله بن سمعان، ولم أقف علىٰ حاله. ورواه ابن عبد البر في

---

(١) رواه الآجري في الشريعة ٥/ ٢٣٧٤ - ٢٣٧٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٤٩٨.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٠٨.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٥٣ عن منيب بن عبد الله بن أبي أمامة الأنصاري.

(٥) المغني ٢/ ١٢٢٩.

التمهيد من حديث ابن عباس نحوه، وصحَّحه عبد الحق الإشبيليُّ[(١)].

قلت: إن كان هو عبد[(٢)] الله بن محمد بن أبي يحيىٰ، لقبه سَحْبَل، واسم أبيه سمعان، فهو ثقة، وهو الظاهر، فإنه يُنسَب إلىٰ جدِّه، روىٰ له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود، مات سنة اثنتين وسبعين [ومائة][(٣)]. ويحتمل أن يكون هو عبد[(٤)] الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي المدني، وهو أحد الضعفاء المشهورين، اتَّهمه أبو داود بالكذب، وقد روىٰ له أبو داود في المراسيل وابن ماجه. وهذا هو الذي استقرَّ عليه رأيُ السيوطي في أمالي الدرة، ولم يذكر الذي قبله.

وقرأت في مشارق الأنوار[(٥)] للقاضي عياض ما لفظه: وأما عبد الله بن سمعان فأكثر الناس يقولونه مفتوحًا، وكذلك ضبطه الشيوخ، وسمعناه من كافَّتهم، وحكىٰ ابن مكي أنه غلطٌ، وأن صوابه بالكسر، وحكىٰ القاضىٰ الحافظ أبو علي أن شيخه أبا بكر بن عبد الباقي كان يقوله بكسر السين.

قلت: وهو هكذا بفتح السين بخط الحافظ الذهبي في الديوان[(٦)]، وقال فيه: تركوه.

وأما حديث ابن عباس الذي رواه ابن عبد البر في التمهيد فلفظه: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلِّم عليه إلا عرفه وردَّ عليه السلام». وقد رواه

(١) قال ابن رجب في الأهوال ص ١٤١عن حديث ابن عباس: رواته كلهم ثقات؛ إلا أنه غريب بل منكر.

(٢) تهذيب الكمال ١٦/ ١٠٠ - ١٠٢.

(٣) كذا ذكره ابن حجر في تقريب التهذيب ص ٥٤٤. والذي في تهذيب الكمال نقلا عن ثقات ابن حبان أنه مات سنة أربع وسبعين ومائة.

(٤) تهذيب الكمال ١٤/ ٥٢٦ - ٥٣٢.

(٥) مشارق الأنوار ٢/ ٢٣٥.

(٦) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٢١٦، وفيه: «مجمع علىٰ ضعفه وتركه».

كذلك في الاستذكار[١]. وهذا الذي صحَّحه عبدُ الحق في العاقبة[٢].

ورُوي نحو ذلك من حديث أبي هريرة: «ما من رجل يزور قبر أخيه فيسلِّم عليه ويقعد عنده إلا ردَّ عَلَيْكَلِامِ وأنسَ به حتىٰ يقوم من عنده». رواه أبو الشيخ والديلمي[٣].

(**وقال سليمان**[٤] **بن سُحَيم**) أبو أيوب المدني، صدوق، روىٰ له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه (**رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقلت له: يا رسول الله، هؤلاء الذين يأتونك ويسلِّمون عليك أتفقه سلامَهم؟ قال: نعم، وأردُّ عليهم**) رواه ابن أبي الدنيا[٥] في كتاب القبور، وأورده أيضًا عياض في الشفاء[٦].

وقد روىٰ أبو داود[٧] وابن ماجه من حديث أبي هريرة: «ما من أحد يسلِّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتىٰ أردَّ عَلَيْكَلِامِ». ورواه البيهقي[٨] بلفظ: «ما من عبد يسلِّم عليَّ عند قبري إلا وكَّل اللهُ بها ملَكًا يبلغني، وكُفي أمر آخرته ودنياه، وكنتُ له شهيدًا وشفيعًا يوم القيامة». وعند ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة: «مَن صلىٰ عليَّ عند قبري سمعتُه، ومَن صلىٰ عليَّ نائيًا بُلِّغتُه»[٩].

---

(١) الاستذكار ٢/ ١٦٥.

(٢) بل في الأحكام الوسطىٰ ٢/ ١٥٢ - ١٥٣. وقد ذكره في العاقبة ص ٢١١، لكنه لم يصححه.

(٣) الحديث في الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٩٠ عن عائشة، وأورد محققه إسناده نقلا عن زهر الفردوس من رواية أبي هريرة. وفيه: حميمه، بدل: أخيه. وأخرجه تمام في الفوائد ١/ ٦٣، والخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٥٩، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل ٢/ ٩١١، وقال: هذا حديث لايصح.

(٤) تقريب التهذيب ص ٤٠٨.

(٥) ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٥٤.

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢/ ٨٠.

(٧) سنن أبي داود ٢/ ٥٣٩.

(٨) شعب الإيمان ٦/ ٥٠.

(٩) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ١٤١، والخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٤٦٩، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٤/ ١٢٩٠، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٠٣.

قال صاحب المواهب[١]: ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم السلام ثابتة [معلومة] مستمرة، و[حياة] نبيِّنا ﷺ أكمل وأتمُّ من حياة سائرهم، فإن قال سقيم الفهم: لو كانت حياته ﷺ مستمرة ثابتة لَما كان لردِّ روحه معنىٰ، كما قال: «إلا ردَّ الله عليَّ روحي». يُجاب عن ذلك من وجوه، أحدها: أن ذلك إعلام بثبوت وصف الحياة دائمًا لثبوت ردِّ السلام دائمًا، فوصفُ الحياة لازمٌ لردِّ السلام اللازم، واللازم يجب وجوده عند وجود ملزومه أو ملزوم ملزومه، فوصفُ الحياة لازم ثابت دائمًا؛ لأن ملزوم ملزومه ثابت دائمًا، وهذا من نَفَّاثات سحر البيان في إثبات المقصود بأكمل أنواع البلاغة وأجمل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمىٰ.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلَّم عليه ردَّ عليه السلام وعرفه، وإذا مرَّ بقبر لا يعرفه فسلَّم عليه ردَّ عليه السلام**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب[٢] عن أبي هريرة موقوفًا. وفي لفظ آخر من حديثه: «ما من عبد يمر علىٰ قبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلِّم عليه إلا عرفه وردَّ عليه السلام». رواه كذلك ابن أبي الدنيا في القبور والصابوني في المائتين[٣].

(**وقال رجل من آل عاصم الجحدري**) منسوب إلىٰ جحدر: قبيلة من ربيعة ابن نَزار[٤] (**رأيت عاصمًا**) المذكور (**في منامي بعد موته بسنتين**) وفي نسخة: بسنين (**فقلت: أليس قد متَّ؟ قال: بلىٰ. فقلت: فأين أنت؟ قال: أنا واللهِ في روضة من**

---

(١) المواهب اللدنية للقسطلاني ٤/ ٥٨٥ - ٥٨٦.

(٢) شعب الإيمان ١١/ ٤٧٣.

(٣) ورواه أيضا: تمام في فوائده ٢/ ١٢٢، وابن حبان في المجروحين من المحدثين ٢/ ٢٤، والخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٦٠، وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٩١١.

(٤) قال ابن الأثير في لباب الأنساب ١/ ٢٦٠: «الجحدري: نسبة إلىٰ جحدر، واسمه ربيعة بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وعامتهم سكنوا البصرة». وانظر: معجم قبائل العرب ١/ ١٦٨.

رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي، نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلىٰ بكر بن عبد الله المُزَني فنتلاقَىٰ أخبارَكم. قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات! بليت الأجسامُ، وإنما تتلاقَىٰ الأرواحُ. قال: قلت: فهل تعلمون بزيارتنا إيَّاكم؟ قال: نعم، نحن نعلم بها عشيَّةَ الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلىٰ طلوع الشمس. قلت: وكيف ذاك دون سائر الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعِظَمه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[١] والبيهقي في الشعب[٢].

(وكان محمد بن واسع) البصري الزاهد رحمه الله تعالىٰ (يزور يوم الجمعة، فقيل له: لو أخَّرتَ إلىٰ يوم الاثنين. قال: بلغني أن الموتىٰ يعلمون بزُوَّارهم يوم الجمعة ويومًا قبله ويومًا بعده) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب[٣].

(وقال الضحَّاك) بن مزاحم الهلالي المفسِّر: (مَن زار قبرًا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: لمكان يوم الجمعة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب[٤].

وفي شرح الصدور[٥] للسيوطي: قال السبكي[٦]: عَوْدُ الروح إلىٰ الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتىٰ فضلاً عن الشهداء [فضلاً عن الأنبياء] وإنما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حيًّا بها كحالته في الدنيا أو حيًّا

---

(١) ورواه في المنامات ص ٤٧ حتىٰ قوله (وإنما تتلاقىٰ الأرواح).

(٢) شعب الإيمان ١١/ ٤٧٥.

(٣) السابق ١١/ ٤٧٥ عن جسر بن فرقد القصاب قال: كنت أغدو مع محمد بن واسع في كل غداة سبت حتىٰ نأتي الجبان فنقف علىٰ القبور فنسلم عليهم وندعو لهم ثم ننصرف، فقلت له ذات يوم: ولو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين. فقال: بلغني أن الموتىٰ يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده.

(٤) السابق ١١/ ٤٧٦.

(٥) شرح الصدور ص ٢٠٤ - ٢٠٥، ٢٢٤.

(٦) شفاء السقام ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

بدونها وهي حيث شاء الله تعالىٰ، فإن ملازمة الحياة للروح أمر عاديٌّ لا عقليٌّ، فهذا - أي إن البدن يصير بها حيًّا كحالته في الدنيا - مما يجوِّزه العقلُ[1]، فإن صحَّ به سمعٌ اتُّبع، وقد ذكره جماعة من العلماء، وتشهد له صلاةُ موسىٰ ﷺ في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسدًا حيًّا، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام، ولا يلزم من كونها حياة حقيقيةً أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلىٰ الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل يكون لها حكم آخَر، وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا نشك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتىٰ [فكيف بالأنبياء]؟

وقال ابن القيم[2] في مسألة تزاوُر الأرواح وتلاقيها: إن الأرواح قسمان: منعَّمة ومعذَّبة، فأما المعذَّبة فهي في شغل عن التزاوُر والتلاقي، وأما المنعَّمة المرسَلة غير المحبوسة فتتلاقَىٰ وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكونُ من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو علىٰ مثل عملها، وروح نبيِّنا ﷺ في الرفيق الأعلىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية [النساء: ٦٩] وهذه المعيَّة ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء، والمرء مع مَن أحب في هذه الدور الثلاثة.

وقال اليافعي: مذهب أهل السنَّة أن أرواح الموتىٰ تُرَدُّ في بعض الأوقات من عِلِّيِّين أو من سِجِّين إلىٰ أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالىٰ وخصوصًا ليلة الجمعة، ويجلسون ويتحدثون، وينعَّم أهل النعيم، ويعذَّب أهل العذاب. قال: وتختصُّ الأرواح دون الأجساد بالنعيم أو العذاب ما دامت في عِلِّيِّين أو سِجِّين، وفي القبر يشترك الروح والجسد.

وقال ابن القيم: الأحاديث والآثار تدل علىٰ أن الزائر متىٰ جاء علمَ به

---

(١) في مطبوعة شفاء السقام: ما يجوزه العقل. وهي طبعة سقيمة كعادة طبعات دار الكتب العلمية.

(٢) الروح ص ٤٤.

المَزُور وسمع سلامه وأنسَ به وردَّ عليه، وهذا عامٌّ في حق الشهداء وغيرهم، وأنه لا توقيت في ذلك، وهو أصحُّ من أثر الضحَّاك الدالِّ على التوقيت.

(وقال) أبو[(١)] محمد **(بِشر بن منصور)** السَّليمي الأزدي البصري، ثقة، عابد، روىٰ له مسلم وأبو داود والنسائي، مات سنة ثمانين [ومائة] **(لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلىٰ الجَبَّان)** أي المقبرة **(فيشهد الصلاةَ علىٰ الجنائز، فإذا أمسىٰ وقف علىٰ باب المقابر فقال: آنسَ اللهُ وحشتكم، ورحم غربتكم، وتجاوز عن سيئاتكم، وقبل اللهُ حسناتكم. لا يزيد علىٰ هذه الكلمات. قال الرجل: فأمسيتُ ذات ليلة فانصرفت إلىٰ أهلي، ولم آتِ المقابر فأدعو كما كنت أدعو، فبينما أنا نائم إذا بخَلْق كثير قد جاؤوني، فقلت: ما أنتم؟ وما حاجتكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر. قلت: ما جاء بكم؟ قالوا: إنك قد عوَّدتنا منك هديةً عند انصرافك إلىٰ أهلك. قلت: وما هي؟ قالوا: الدعوات التي كنتَ تدعو لنا بها. قلت: فإني أعود لذلك، فما تركتُها بعد ذلك)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب[(٢)].

(وقال بشَّار بن غالب النجراني: رأيت) أم إسماعيل **(رابعة)** بنت إسماعيل **(العدوية)** البصرية **(العابدة)** المتوفية في سنة ١٣٥ **(في منامي، وكنت كثير الدعاء لها، فقالت لي: يا بشَّار بن غالب، هداياك تأتينا علىٰ أطباق من نور مخمَّرة)** أي مغطَّاة **(بمناديل الحرير. قلت: وكيف ذاك؟ قالت: وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتىٰ فاستُجيبَ لهم جُعل ذلك الدعاء علىٰ أطباق النور وخُمِّر بمناديل الحرير ثم أُتي به الميت فقيل له: هذه هدية فلان إليك)** رواه ابن أبي الدنيا[(٣)] في كتاب القبور. وفي قولها «فاستُجيبَ لهم» إشارة إلىٰ أن الدعاء للميت ينفع إذا استُجيب فيُمنع الإطلاق، ولكن قد يقال: إن الدعاء للميت مستجاب كما أطلقوا

---

(١) تقريب التهذيب ص ١٧١.

(٢) شعب الإيمان ١١/ ٤٧٤.

(٣) ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٧٤.

اعتمادًا علىٰ فضل الله الواسع، وقد أثنىٰ الله علىٰ القائلين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الآية [الحشر: ١٠].

(**وقال رسول الله ﷺ: ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوِّث**) أي طالب الغوث (**ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار**) قال العراقي[(١)]: رواه الديلمي[(٢)] في مسند الفردوس من حديث ابن عباس، وفيه الحسن بن علي ابن عبد الواحد [قال الذهبي[(٣)]]: حدَّث عن هشام بن عمار بحديث باطل.

قلت: لفظ الديلمي: «ما الميت في قبره إلا شِبه الغريق المتغوِّث ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإن الله عَزَّوَجَلَّ لَيُدخِل علىٰ أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال، وإنَّ هدية الأحياء للأموات الاستغفار لهم والصدقة عنهم». وورواه البيهقي في الشعب[(٤)]، قال: وقال أبو علي الحسين بن علي الحافظ: هذا حديث غريب من حديث عبد الله بن المبارك، لم يقع عند أهل خراسان.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن أبي التَّيَّاح قال: كان مطرِّف يبدو، فإذا كان يوم الجمعة أدلج، وكان ينوِّر له في سوطه، فأقبل ليلةً، حتىٰ إذا كان عند المقابر هوَّمَ وهو علىٰ فرسه، فرأىٰ كأنَّ أهل القبور كل صاحب قبر جالس علىٰ قبره، فقالوا: هذا مطرِّف أتىٰ يوم الجمعة. قلت: أوَ تعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم، ونعلم ما يقول فيه الطير. قلت: وما يقولون؟ قالوا: يقولون: سلام

---

(١) المغني ٢/ ١٢٢٩.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٠٣.

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ٥٠٩.

(٤) شعب الإيمان ١٠/ ٣٠١، ١١/ ٤٧٢.

سلام يوم صالح[١].

يقال: هوَّم الرجلُ: إذا طأطأ رأسه من النعاس[٢].

وروىٰ أيضًا عن الفضل بن الموفَّق ابن خال سفيان بن عيينة قال: لما مات أبي جزعت جزعًا شديدًا، فكنت آتي قبرَه في كل يوم، ثم إني قصَّرت عن ذلك، فرأيته في النوم، فقال: يا بني، ما أبطأ بك عني؟ قلت: وإنك لَتعلمُ بمجيئي؟ قال: ما جئتَ مرةً إلا علمتُها، وقد كنتَ تأتيني فأُسَرُّ بك ويُسَرُّ مَن حولي بدعائك. قال: فكنت آتيه بعدُ كثيرًا[٣].

وروىٰ أيضًا عن سفيان قال: كان يقال: الأموات أحوج إلىٰ الدعاء من الأحياء إلىٰ الطعام والشراب.

وروىٰ البيهقي[٤] عن أبي الدرداء هاشم بن محمد قال: سمعت رجلاً من أهل العلم يقول: إنه كان يزور قبر أبيه، فطال عليه ذلك. قال: فقلت: أزور التراب، فرأيته في منامي، فقال: يا بني، ما لك لا تفعل كما كنت تفعل؟ فقلت: أزور التراب.

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص ١٩٩، والبيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٧٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٠٥. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٩٠ - ١٩١ من طريق غيلان بن جرير عن مطرف قال: رأيت في المنام كأني خرجت أريد الجمعة، فأتيت علىٰ مقابر من الحي، فإذا أهل القبور جلوس، فجعلت أسلم وأمضي، قالوا: يا عبد الله، أين تريد؟ قلت: أريد الجمعة. ثم قلت: تدرون ما الجمعة؟ قالوا: نعم، ونعلم ما يقول الطير يومئذٍ. قلت: ما يقول الطير يومئذٍ؟ قالوا: يقول: سلام سلام يوم صالح.

(٢) ذكره الجوهري في الصحاح ٥/ ٢٠٦٢، ولكن فيه: هز، بدل: طأطأ.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ٢٩٩. وفيه: «ثم إني قصرت عن ذلك ما شاء الله، ثم إني أتيته يوما، فبينا أنا جالس عند القبر غلبتني عيناي فنمت، فرأيت كأن قبر أبي قد انفرج، وكأنه قاعد في قبره، متوشحا أكفانه، عليه سحنة الموتىٰ، وكأني بكيت لما رأيته، فقال: يا بني، ما أبطأ بك عني ...» الخ.

(٤) شعب الإيمان ١٠/ ٣٠٠.

فقال: لا تقل ذلك يا بني، فوالله لقد كنتَ تشرف عليَّ فيبشِّرني بك جيراني، ولقد كنتَ تنصرف فما أزال أراك حتىٰ تدخل الكوفة.

وروىٰ ابن أبي الدنيا والبيهقي(١) عن عثمان بن سودة - وكانت أمه من العابدات، وكان يقال لها راهبة - قال: لما ماتت كنت آتيها في كل جمعة فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور، فرأيتها ليلةً في منامي فقلت: يا أمَّهْ، كيف أنت؟ فقالت: يا بني، إن الموت لَشديدٌ كربه، وأنا بحمد الله في برزخ محمود، أفترش فيه الريحان، وأتوسَّد فيه السندس والإستبرقَ. فقلت: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم. قلت: ما هي؟ قالت: لا تدع ما تصنع من زيارتنا والدعاء لنا، فإني آنَسُ بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلتَ من أهلك [يقال: يا راهبة، قد أقبل من أهلك] زائرٌ، فأُسَرُّ ويُسَرُّ بذلك مَن حولي من الأموات.

وقال الحافظ أبو طاهر السِّلفي(٢): سمعت أبا البركات عبد الواحد بن عبدالرحمن بن غلاَّب السوسي بالإسكندرية يقول: سمعت والدتي تقول: رأيت أمي في المنام [بالقيروان] بعد موتها وهي تقول: يا بنتي، إذا جئتيني زائرةً فاقعدي عند قبري ساعةً أتملَّىٰ من النظر إليك، ثم ترحَّمي عليَّ، فإنك إذا ترحَّمت عليَّ صارت الرحمة بيني وبينك كالحجاب ثم شغلتني [عنك].

وقال الحافظ ابن رجب(٣): أنبأني علي بن عبد الصمد بن أحمد البغدادي، عن أبيه قال: أخبرني قسطنطين بن عبد الله الرومي، سمعت أسد بن موسىٰ يقول: كان لي صديق، فمات، فرأيته في المنام وهو يقول لي: سبحان الله! جئتَ إلىٰ قبر فلان صديقك قرأتَ عنده وترحَّمت عليه، وأنا ما جئت إلي ولا قربتني. قلت له: وما يدريك؟ قال: لما جئتَ إلىٰ قبر صديقك فلان رأيتك. قلت: كيف رأيتني

(١) السابق ١٠/ ٣٠١.
(٢) معجم السفر ص ١٨٦ - ١٨٧.
(٣) أهوال القبور ص ١٤٦.

والتراب عليك؟ قال: أما رأيتَ الماء إذا كان في الزجاج أما يتبيَّن؟ قلت: بلىٰ. قال: فكذلك نحن نرىٰ مَن يزورنا.

(وقال بعضهم: مات أخ لي، فأُريته في المنام، فقلت: ما كان حالك حيث) وفي نسخة: حين **(وُضِعتَ في قبرك؟ قال: أتاني آتٍ بشهاب من نار، فلولا أن داعيًا دعا لي لرأيتُ أنه سيضربني به)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(ومن هذا يُستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له) بالتثبيت. قال الحكيم في نوادر الأصول[1]: الوقوف علىٰ القبر وسؤال التثبيت في وقت الدفن مددٌ للميت بعد الصلاة؛ لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له، والوقوف علىٰ القبر لسؤال التثبيت في وقت الدفن مددٌ للعسكر، وتلك ساعة شغلِ الميت؛ لأنه يستقبل هول المطَّلَع وسؤال الفَتَّانين.

(وقال سعيد بن عبد الله الأودي) من بني أود بن سعد العشيرة. وفي بعض النسخ: الأزدي. فإن كان كذلك فهو سعيد بن عبد الله بن ضِرار بن الأزور، وضِرار ابن الأزور أسدي، ويقال في الأزدي: الأَسْدي، وسعيد ضعيف، كما تقدَّم **(شهدتُ أبا أمامة)** صُدَيَّ بن عجلان **(الباهلي)** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(وهو في النزع، فقال: يا سعيد، إذا متُّ فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله** ﷺ **فقال: إذا مات أحدكم فسوَّيتم عليه الترابَ فليقُمْ أحدكم علىٰ رأس قبره ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمع ولا يجيب)** أي لا يستطيع الجواب **(ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة)** المرة **(الثانية، فإنه يستوي قاعدًا، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة)** المرة **(الثالثة، فإنه يقول: أرشِدْنا يرحمك الله، ولكن لا تسمعون)** وفي لفظ: لا تشعرون **(فيقول)** وفي لفظ: فليقل له: **(اذكرْ ما خرجتَ عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأنك رضيتَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد** ﷺ **نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، فإن منكرًا ونكيرًا يتأخر كلُّ واحد**

---

(١) نوادر الأصول ص ١٠١٩.

منهما) وفي لفظ: يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه **(فيقول: انطلِقْ بنا، ما يُقعِدنا عند هذا وقد لُقِّن حُجَّته، ويكون الله ﷻ حجيجه دونهما)** وفي لفظ: ولكن الله حجته دونهما **(فقال رجل: يا رسول الله، فإن لم يعرف اسم أمِّه؟ قال: فلينسبه إلىٰ حوَّاء)** أي فليقل: يا فلان ابن حواء. قال العراقي[١]: رواه الطبراني بسند ضعيف.

قلت: لعله لمكان سعيد بن عبد الله[٢]، إن كان هو ابن ضِرار، فقد قال أبو حاتم[٣]: إنه ليس بقوي؛ نقله الذهبي[٤]. هكذا رواه الطبراني في الكبير[٥] وفي كتاب الدعاء[٦] وابن منده في كتاب الروح وابن عساكر[٧] والديلمي.

ورواه ابن منده من وجه آخر عن أبي أمامة قال: إذا متُّ فدفنتموني فليقُمْ إنسان عند رأسي فليقل: يا صُدَيَّ بن عجلان، اذكرْ ما كنتَ عليه في الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ورواه ابن عساكر من وجه آخر عن أبي أمامة رفعه: «إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقُمْ أحدكم عند رأسه فليقل: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمع، فليقل: يا فلان ابن فلانة، فإنه يستوي قاعدًا، فليقل: يا فلان ابن فلانة، فإنه سيقول له: أرشِدْني يرحمك الله. فليقل: اذكرْ ما خرجتَ عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن

---

(١) المغني ٢/ ١٢٢٩.

(٢) بل قال الهيثمي في المجمع ٣/ ٤٥: في إسناده جماعة لم أعرفهم. وضعفه الحافظ في الفتح ١٠/ ٥٦٣، وابن القيم في زاد المعاد ١/ ٢٠٦، وقال في سبل السلام: «يتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف، والعمل به بدعة». وانظر في تمشية العمل به: فتاوىٰ ابن الصلاح ١/ ٢٦١، والمجموع للنووي ٥/ ٣٠٤.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٣٦.

(٤) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ١٦٠.

(٥) المعجم الكبير ٨/ ٢٩٨.

(٦) الدعاء ص ١٣٦٨.

(٧) تاريخ دمشق ٢٤/ ٧٣.

محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله باعث مَن في القبور. فإن منكرًا ونكيرًا عند ذلك يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول: قمْ، ما نصنع عند رجل لُقِّن حُجَّته؟ فيكون الله تعالىٰ حجيجهما دونه»[1].

ومما ورد في الأخبار والآثار من التلقين: ما رواه البزار[2] عن علي بن أبي طالب قال: إذا بلغت الجنازةُ القبرَ فجلس الناس فلا تجلس، ولكن قمْ علىٰ شفير القبر، فإذا دُلِّيَ في قبره فقل: بسم الله، وفي سبيل الله، وعلىٰ ملَّة رسول الله ﷺ، اللهم عبدك نزل بك، وأنت خير منزول به، خلَّف الدنيا خلف ظهره، فاجعلْ ما قَدِمَ عليه خيرًا مما خلَّف، فإنك قلت: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وروىٰ ابن أبي شيبة[3] عن قتادة أن أنسًا دفن ابنًا له فقال: اللهم جافِ الأرضَ عن جنبيه، وافتح أبواب السماء لروحه، وأبدِلْه دارًا خيرًا من داره.

وروىٰ سعيد بن منصور عن أنس أنه كان إذا وضع الميت في قبره قال: اللهم جافِ الأرضَ عن جنبيه، وصعِّدْ روحَه، وتقبَّله، وتلقَّه منك بروح[4].

وروىٰ ابن ماجه[5] والبيهقي في السنن[6] عن ابن المسيب قال: حضرتُ ابنَ عمر في جنازة ابنة له، فلما وضعها في اللحد قال: بسم الله وفي سبيل الله [وعلىٰ ملة رسول الله] فلما أُخِذ في تسوية [اللبن علىٰ] اللحد قال: اللهم أجِرْها من الشيطان ومن عذاب القبر. فلما سُوِّي الكثيبَ عليها قام جانبَ القبر ثم قال: اللهم جافِ الأرضَ عن جنبيها، وصعِّدْ روحَها، ولَقِّها منك رضوانًا. ثم قال: سمعته من

---

(١) الحديث في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١١/ ٨٣، وليس هو في التاريخ الكبير.

(٢) مسند البزار ٢/ ١٢٤.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٤٨١ - ٤٨٢.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٥٥.

(٥) سنن ابن ماجه ٣/ ٨٢.

(٦) السنن الكبرىٰ ٤/ ٩١ - ٩٢.

رسول الله ﷺ.

وروىٰ ابن أبي شيبة[(١)] عن مجاهد أنه كان يقول: بسم الله، وفي سبيل الله، اللهم أفسِحْ له في قبره، ونوِّرْ له فيه، وألحِقْه بنبيِّه.

وروىٰ الحكيم[(٢)] عن عمرو بن مُرَّة قال: كانوا يستحبُّون إذا وُضع الميت في اللحد أن يقولوا: اللهم أعِذْه من الشيطان الرجيم.

وروىٰ ابن أبي شيبة[(٣)] عن خيثمة قال: كانوا يستحبُّون إذا دفنوا الميت أن يقولوا: بسم الله، وفي سبيل الله، وعلىٰ ملَّة رسول الله، اللهم أجِرْه من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن شر الشيطان الرجيم.

وروىٰ سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يقف علىٰ القبر بعدما يسوَّىٰ عليه فيقول: «اللهم نزل بك صاحبُنا وخلَّف الدنيا خلف ظهره، اللهم ثبِّتْ عند المسألة منطقَه، ولا تفتنه في قبره بما لا طاقة له به».

وروىٰ سعيد بن منصور عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم بن عمير قالوا: إذا سُوِّي علىٰ الميت قبره وانصرف الناس عنه كان يُستحب أن يقال للميت عند قبره: يا فلان، قل: لا إله إلا الله، ثلاث مرات، يا فلان، قل: ربِّي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد ﷺ. ثم ينصرف.

وقال أبو بكر الآجُرِّي[(٤)]: يُستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً، والدعاء للميت مستقبلاً وجهه بالثبات فيقال: اللهم هذا عبدك، وأنت أعلم به منا، ولا نعلم منه إلا خيرًا، وقد أجلستَه لتسأله، اللهم فثبِّته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبَّتَه في

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٤٨١، ٩/ ٦١١. وزاد في آخره: «وأنت عنه راضٍ غير غضبان».

(٢) نوادر الأصول ص ١٠٢٠.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٤٨١، ٩/ ٦١١.

(٤) في كتاب النصيحة، كما في التذكرة للقرطبي ص ٣٣٥.

الدنيا، اللهم ارحمْه، وألحِقْه بنبيِّه، ولا تفتنَّا بعده، ولا تحرمنا أجره.

وروى ابن سعد في الطبقات[١] [عن الضحَّاك] قال: قال لي النزَّال بن سبرة: إذا أدخلتني قبري فقل: اللهم بارِكْ في هذا القبر وفي داخله.

وروى ابن أبي شيبة[٢] عن أنس أنه كان إذا سُوِّي على الميت قبره قام عليه فقال: اللهم عبدُك رُدَّ إليك، فارأفْ به وارحمْه، اللهم جافِ الأرضَ عن جنبيه، وافتحْ أبواب السماء لروحه، وتقبَّلْه منك بقبول حسن، اللهم إن كان محسنًا فضاعِفْ له في إحسانه - أو قال: فزِدْ في إحسانه - وإن كان مسيئًا فتجاوزْ عنه.

(ولا بأس بقراءة القرآن على القبر) وفي نسخة: القبور. قال السيوطي في شرح الصدور[٣]: وأما قراءة القرآن على القبر فجزم بمشروعيَّتها أصحابُنا وغيرُهم، قال الزعفراني: سألت الشافعيَّ عن القراءة عند القبر، فقال: لا بأس به. وقال النووي في شرح المهذَّب[٤]: يُستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسَّر من القرآن ويدعو لهم عقبها؛ نصَّ عليه الشافعيُّ واتفق عليه الأصحاب. زاد في موضع آخر[٥]: وإن ختموا القرآن على القبر كان أفضل. انتهى.

وقد سُئل الشمس محمد بن علي بن محمد بن عيسى العسقلاني الكِناني السمنُّودي الشافعي، عُرف بابن القَطَّان، المتوفى في سنة ٨١٣، وهو من مشايخ الحافظ ابن حجر، عن مسائل فأجاب، ومنها: وهل يصل ثوابُ القراءة للميت أم لا؟ فأجاب عنها في رسالة سمَّاها: القول بالإحسان العميم في انتفاع الميت بالقرآن

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٢٠٦.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٤٨٢، ٩/ ٦١٢.

(٣) شرح الصدور ص ٣١١.

(٤) المجموع شرح المهذب ٥/ ٣١١.

(٥) السابق ٥/ ٢٩٤.

العظيم. وأنا أذكر منها هنا ما يليق بالمقام مع الاختصار، قال[١] رحمه الله تعالىٰ: اختلف العلماء في ثواب القراءة للميت، فذهب الأكثرون إلىٰ المنع، وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك، ونُقل عن جماعة من الحنفية، وقال كثيرون منهم: يصل، وبه قال الإمام أحمد بعد أن قال: القراءة علىٰ القبر بدعة. بل نُقل عنه أنه يصل إلىٰ الميت كل شيء من صدقة وصلاة وحج وصوم واعتكاف وقراءة وذِكر وغير ذلك، ونُقل ذلك عن جماعة من السلف، ونُقل عن الشافعي انتفاع الميت بالقراءة علىٰ قبره. واختاره شيخنا شهاب الدين ابن عقيل. وتواتر أن الشافعي زار الليث بن سعد، وأثنىٰ عليه خيرًا، وقرأ عنده ختمة وقال: أرجو أن تدوم. فكان الأمر كذلك. وقد أفتىٰ القاضي حسين بأن الاستئجار للقراءة علىٰ رأس القبر جائز كالاستئجار للأذان وتعليم القرآن. قال النووي في زيادات الروضة[٢]: ظاهر كلامه صحة الإجارة مطلقًا، وهو المختار، فإن موضع القراءة موضع بركة وتنزُّلِ الرحمة، وهذا مقصود ينفع الميتَ. وقال الرافعي[٣] وتبعه النوويُّ: عَوْدُ المنفعة إلىٰ المستأجر شرطٌ في الإجارة، فيجب عَوْدُ المنفعة في هذه الإجارة إلىٰ المستأجر أو ميته، لكن المستأجر لا ينتفع بأن يقرأ الغير له، ومشهور أن الميت لا يلحقه ثوابُ القراءة المجرَّدة، فالوجه تنزيل الاستئجار علىٰ صورة انتفاع الميت بالقراءة أقرب إجابةً وأكثر بركةً. وقال[٤] في كتاب الوصية: الذي يُعتاد من قراءة القرآن علىٰ رأس القبر قد ذكرنا في باب الإجارة طريقين في عَوْد فائدتها إلىٰ الميت، وعن القاضي أبي الطيب طريق ثالث وهو أن الميت كالحي الحاضر فتُرجَىٰ له الرحمة ووصول البركة إذا أهدىٰ الثوابَ إلىٰ القارئ. وعبارة الروضة: إذا أوصلَ[٥] الثواب

(١) القول بالإحسان العميم ص ٢٥٣ - ٢٧١ [ضمن مجموع رسائل / ط - الدار الأثرية بالأردن].

(٢) روضة الطالبين ٥/ ١٩١.

(٣) فتح العزيز ٦/ ١٠٧.

(٤) فتح العزيز ٧/ ١٣١. روضة الطالبين ٦/ ٢٠٣.

(٥) في المطبوعة: وصل. ولعل ما هنا أصح.

إلىٰ القارئ. انتهىٰ. وعن القاضي أبي الطيب: الثواب للقارئ، والميت كالحاضر، فتُرجَىٰ له الرحمة والبركة. وقال عبد الكريم الشالوسي[١]: القارئ إن نوىٰ بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه إذا جعل ذلك قبل حصوله، وتلاوته عبادة البدن، فلا تقع عن الغير، وإن قرأ ثم جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه؛ إذ قد جعل من الأجر لغيره، والميت يؤجر بدعاء الغير له[٢].

وقال القرطبي[٣]: وقد استدلَّ بعض علمائنا علىٰ قراءة القرآن علىٰ القبر بحديث العسيب الرطْب الذي شقَّه النبيُّ ﷺ باثنين ثم غرس علىٰ قبر نصفًا وعلىٰ قبر نصفًا وقال: «لعلَّه يخفَّف عنهما ما لم ييبسا» رواه الشيخان[٤]. قال: ويُستفاد من هذا غرسُ الأشجار وقراءة القرآن علىٰ القبور، وإذا خُفِّف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن؟

وقال النووي: استحبَّ العلماء قراءة القرآن عند القبر، واستأنسوا لذلك بحديث الجريدتين، وقالوا: إذا وصل النفع إلىٰ الميت بتسبيحهما حالَ رطوبتهما فانتفاع الميت بقراءة القرآن عند قبره أَولىٰ[٥]. ا.هـ. فإن قراءة القرآن من إنسان أعظم وأنفع من التسبيح من عود، وقد نفع القرآنُ بعضَ مَن حصل له ضررٌ في حال الحياة فالميت كذلك[٦].

---

(١) هو عبد الكريم بن أحمد الطبري الشالوسي، أحد أئمة العلم والدين، زاهدا من أهل بيت علم وزهد، توفي رحمه الله سنة ٤٦٥ هـ، وشالوس قرية من نواحي آمل بطبرستان. انظر: طبقات الشافعية لابن السبكي ٥/ ١٥٥، ١٥٦.

(٢) المهمات للإسنوي ٦/ ١٤٥ (ط دار ابن حزم).

(٣) التذكرة ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٨٩، ٩٠، ٤١٨، ٤٢٣، ٤/ ١٠١. صحيح مسلم ١/ ١٤٧.

(٥) عبارة النووي في شرح صحيح مسلم ٣/ ٢٦٠: «استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر لهذا الحديث؛ لأنه إذا كان يرجىٰ التخفيف بتسبيح الجريد فتلاوة القرآن أولىٰ».

(٦) يشير رحمه الله تعالىٰ إلىٰ حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري ٥٠٠٧، ومسلم ٢٢٠١.

قال ابن الرفعة: الذي دلَّ عليه الخبرُ بالاستنباط أن بعض القرآن إذا قُصد به نفع الميت وتخفيف ما هو فيه نفعَه؛ إذ ثبت أن الفاتحة لمَّا قصد بها القارئ نفع الملدوغ نفعتْه، وأقرَّ النبيُّ ﷺ ذلك بقوله: «وما يدريك أنها رُقية»؟ وإذا نفعت الحيَّ بالقصد كان نفعُ الميت بها أَولىٰ؛ لأن الميت يقع عنه من العبادات بغير إذنه ما لا يقع من الحي. نعم، يبقىٰ النظر في أن ما عدا الفاتحة من القرآن الكريم إذا قُرئ وقُصد به ذلك هل يلتحق به. انتهىٰ. نعم، يلتحق به، فروىٰ ابن السني[١] من حديث ابن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلىٰ فأفاق، فقال له رسول الله ﷺ: «ما قرأتَ في أذنه»؟ قال: قرأت ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] حتىٰ فرغتُ من آخر السورة. فقال ﷺ: «لو أن رجلاً [موقنًا] قرأ بها علىٰ جبل لزال». ومثل ذلك ما جاء في القراءة بالمعوِّذتين والإخلاص وغير ذلك، وفي الرقية بالفاتحة دليل علىٰ صحة الإجارة والجعالة لينتفع بها الحيُّ، فكذلك الميت. وممَّا يشهد لنفع الميت بقراءة غيره حديثُ معقل بن يسار: «اقرؤوا يس علىٰ موتاكم». رواه أبو داود[٢]. وحديث: «اقرؤوا يس علىٰ موتاكم». رواه النسائي[٣] وابن ماجه[٤] وابن حبان[٥]. وحديث: «يس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد اللهَ والدار الآخرة إلا غفر الله له، فاقرؤوها علىٰ موتاكم». رواه أحمد[٦]. وأوَّلَ جماعةٌ من التابعين [وصول] القراءة للميت بالمحتضر، والتأويل خلاف الظاهر، ثم يقال عليه: إذا انتفع المحتضرُ بقراءة «يس» وليس من سعيه فالميت كذلك، والميت كالحي الحاضر، يسمع كالحي الحاضر، كما ثبت في الحديث.

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ٣٨٣.

(٢) سنن أبي داود ٤/ ٢١.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٩٤.

(٤) سنن ابن ماجه ٣/ ١٥.

(٥) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٦٩.

(٦) مسند أحمد ٣٣/ ٤١٧.

انتهىٰ ما نقلتُه من كلام ابن القَطَّان.

(ورُوي عن علي بن موسىٰ الحدَّاد قال: كنت مع) الإمام **(أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالىٰ **(في جنازة، ومحمد**[١] **بن قُدامة الجَوْهَري)** الأنصاري، أبو جعفر البغدادي، فيه لينٌ، وقال أبو داود: ضعيف. روىٰ له البخاري في جزء القراءة خلف الإمام[٢]، مات سنة سبع وثلاثين ومائتين **(معنا، فلما دُفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا، إن القراءة عند القبر بدعة. فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد: يا أبا عبد الله، ما تقول في مبشِّر**[٣] **بن إسماعيل الحلبي)** أبي إسماعيل الكلبي مولاهم، صدوق، مات سنة مائتين بحلب، روىٰ له الجماعة **(فقال: ثقة. قال: هل كتبتَ عنه شيئًا؟ قال: نعم. قال: أخبرني مبشر بن إسماعيل عن عبد**[٤] **الرحمن بن العلاء بن اللجلاج)** نزيل حلب، مقبول، روىٰ له الترمذي **(عن أبيه)** العلاء[٥] بن اللجلاج الشامي، يقال إنه أخو خالد، ثقة، روىٰ له الترمذي. ولأبيه اللجلاج[٦] صحبة، عاش مائة وعشرين [سنة] خمسين في الجاهلية، وسبعين في الإسلام. قال أبو الحسن ابن سُمَيع: اللجلاج والد العلاء غَطَفانيٌّ، واللجلاج والد خالد عامريٌّ **(أنه أوصىٰ إذا دُفن أن يُقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها. وقال: سمعت ابن عمر)** رضي الله عنهما **(يوصي بذلك. فقال له أحمد: فارجعْ إلىٰ الرجل فقل له يقرأ)**[٧] وهكذا أورده القرطبي في التذكرة[٨].

---

(١) تهذيب الكمال ٢٦/ ٣١٠ - ٣١٣. تقريب التهذيب ص ٨٩٠.

(٢) بل في كتاب خلق أفعال العباد.

(٣) تقريب التهذيب ص ٩١٩.

(٤) السابق ص ٥٩٤.

(٥) السابق ص ٧٦٢.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ٩/ ١٢.

(٧) رواه أبو بكر الخلال في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٨٨ (ط - دار الكتب العلمية).

(٨) التذكرة ص ٢٧٤.

وعند الطبراني[١] من طريق عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج قال: قال لي أبي: يا بني، إذا وضعتني في لحدي فقل: بسم الله وفي سبيل الله وعلىٰ ملّة رسول الله، ثم سنَّ عليَّ الترابَ سنًّا، ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك.

هكذا هو عند الطبراني، وكأنَّه سقط منه «فإني سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ»[٢]، فإن الصحبة للجلاج لا للعلاء.

وأما قول ابن عمر فقد رُوي مرفوعًا، رواه البيهقي في الشعب[٣] عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلىٰ قبره، وليُقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة، وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة [في قبره]». ورواه الطبراني[٤] كذلك، إلا أنه قال: عند رأسه بفاتحة الكتاب. والباقي سواء.

(**وقال محمد بن أحمد المروزي**) هكذا في النسخ، والصواب: أحمد ابن محمد المروزي، كنيته أبو بكر، والمروزي نسبة إلىٰ مرو الروذ: مدينة بخراسان، بينها وبين مرو الشاهجان خمس مراحل. وأما محمد[٥] بن أحمد المروزي يكنَّىٰ أبا زيد، فهو من أئمَّة الشافعية، حدَّث عن الفربري، مات سنة ٣٧١ (**سمعت أحمد بن حنبل**) رحمه الله (**يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوِّذتين وقل هو الله أحد، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر، فإنه يصل إليهم**)[٦] كذا أورده عبد الحق الأزدي في

---

(١) المعجم الكبير ١٩/ ٢٢١.

(٢) بل هو ثابت عند الطبراني في المعجم الكبير بلفظ: «حدثني عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه قال: قال لي أبي: يا بني ...» الخ.

(٣) شعب الإيمان ١١/ ٤٧٢.

(٤) المعجم الكبير ١٢/ ٤٤٤.

(٥) طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٣/ ٧١ - ٧٧.

(٦) انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلىٰ ٢/ ٢٢٤.

كتاب العاقبة عن أبي بكر أحمد بن محمد المروزي، على الصواب.

وروى النسائي والرافعي في تاريخه[١] وأبو محمد السمرقندي[٢] في فضائل سورة الإخلاص[٣] من حديث عليٍّ: «مَن مرَّ على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدىٰ عشر مرة ثم وهب أجره للأموات أُعطيَ من الأجر بعدد الأموات».

قال الشمس ابن القَطَّان[٤]: ولقد حكىٰ لي [بعض] مَن أثق به من أهل الخير أنه مرَّ بقبور، فقرأ «قل هو الله أحد» وأهدىٰ ثوابها لهم، فرأىٰ واحدًا منهم في المنام فأخبره أن الله تعالىٰ غفر له ولسائر القبور، فخصَّه ثواب رأس واو[٥] من سورة «قل هو الله أحد»، وتقسَّم الباقون باقيها ببركة سورة «قل هو الله أحد».

وفي العاقبة[٦] لعبد الحق قال: حدثني أبو الوليد إسماعيل بن أحمد – عُرف بابن افرند، وكان هو وأبوه صالحينِ معروفينِ – قال: قال أبو الوليد: مات أبي رحمة الله عليه، فحدثني بعض إخوانه ممَّن يوثَق به وبحديثه نسيت أنا اسمه قال لي: زرتُ قبر أبيك، فقرأت عليه حزبًا من القرآن، ثم قلت له: يا فلان، هذا قد أهديتُه لك، فماذا لي؟ قال: فهبَّتْ عليَّ نفحةُ مسك غشيتني وأقامت معي ساعةً، ثم انصرفتُ وهي معي، فما فارقتني إلا وقد مشيتُ نحو نصف الطريق.

---

(١) التدوين في أخبار قزوين ٢/ ٢٩٧.

(٢) هو الشيخ الامام، المحدث المتقن، أبو محمد عبد الله أحمد بن عمر بن أبي الاشعث بن السمرقندي، الدمشقي المولد، البغدادي الدار، كان فاضلاً عالمًا، ثقة، ذا لسن وعربية، توفي رحمه الله سنة ٥١٦ هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٤٦٥.

(٣) جزء ابن السمرقندي مفقود فلا عين ولا أثر، وهو عند الخلال في فضائل سورة الإخلاص ص ١٠١ (ط – مكتبة لينة بدمنهور).

(٤) القول بالإحسان العميم ص ٢٧٥.

(٥) في المطبوعة: ثوابًا دائمًا. وهو خطأ جزمًا.

(٦) العاقبة ص ٢١٩.

(وقال أبو قلابة) عبد[1] الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرَّقاشي البصري، يكنىٰ أبا محمد، و«أبو قلابة» لقب. صدوق يخطئ، تغيَّر حفظُه لما سكن بغداد، روىٰ له ابن ماجه، مات سنة ست وسبعين ومائتين وله ست وثمانون سنة **(أقبلتُ من الشام إلىٰ البصرة، فنزلت الخندق، فتطهَّرت وصلَّيت ركعتين بليل، ثم وضعت رأسي علىٰ قبر)** من القبور التي هناك **(فنمت، ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول: لقد آذيتني منذ الليلة. ثم قال: إنكم)** تعملون و**(لا تعلمون، ونحن نعلم ولا نقدر علىٰ العمل. ثم قال: للركعتان اللتان ركعتَهما خيرٌ من الدنيا وما فيها. ثم قال: جزىٰ اللهُ عنا أهلَ الدنيا خيرًا، أقرئهم السلامَ، فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نورٌ أمثال الجبال)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

وروىٰ صاحب كتاب المتفجعين عن محمد بن جبلة، حدثنا محمد بن قدامة، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن سليمان التيمي، عن مياس قال: خرجت إلىٰ الظهر، ثم صليت ركعتين، ثم جئت إلىٰ قبر فاتَّكأت عليه، فأخذتني نعسةُ الشيوخ، فسمعت صوتًا من القبر: اعْلُ عني فقد آذيتني، إنكم تعملون ولا تعلمون، وإنَّا نعلم ولا نعمل، واللهِ لَوددتُ أني خُيِّرتُ بين الدنيا وبين ركعتيك إذًا كنت أختار ركعتيك.

هكذا قال: عن مياس، وإخاله تحريفًا.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الدلائل[2] من طريق المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان النهدي، عن ابن ميناء [أو ميناس] قال: دخلت الجبَّانة، فصليت ركعتين خفيفتين، ثم اضطجعت إلىٰ قبر، فواللهِ إني لنبهان إذ سمعت قائلاً في القبر يقول: قمْ فقد آذيتني، إنكم لَتعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نعمل، فواللهِ لأن أكون صليت مثل ركعتيك أحب إليَّ من الدنيا وما فيها.

---

(١) تقريب التهذيب ص ٦٢٦ - ٦٢٧.

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٤٠.

قلت: وابن[١] ميناء هو الحكم، أنصاري مدني، صدوق، من أولاد الصحابة، روىٰ له مسلم وأبو داود في كتاب فضائل الأنصار له والنسائي وابن ماجه، وليس له عندهم إلا حديث واحد[٢].

وروىٰ ابن أبي الدنيا أيضًا والبيهقي في الشعب[٣] عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير قال: كنت بالمقبرة، فصليت قريبًا من قبر ركعتين خفيفتين لم أرضَ إتقانَهما، ونعست فرأيت صاحب القبر يكلِّمني فقال: ركعتَ ركعتين لم ترضَ إتقانَهما؟ قلت: قد كان ذلك. قال: تعملون ولا تعلمون، ونعلم ولا نستطيع أن نعمل، لأن أكون ركعتُ مثل ركعتيك أحب إليَّ من الدنيا بحذافيرها.

وهذا السياق أشبهُ بسياق المصنف، وقد تقدم شيء من ذلك بعد ذِكر الأبيات التي كُتبت علىٰ القبور.

وروىٰ القرطبي في التذكرة[٤] من حديث أنس: «إنك لتصدَّق عن ميِّتك بصدقة فيجيء بها ملَكٌ من الملائكة في أطباق من نور، فيقوم علىٰ رأس القبر فينادي: يا صاحب القبر الغريب، أهلك قد أهدوا إليك هذه الهديةَ، فاقبلْها. قال: فيُدخِلها إليه في قبره، ويُفسَح له في مدخله، وينوَّر له فيه، فيقول: جزىٰ الله عني أهلي خير الجزاء. قال: فيقول لزيقُ ذلك القبر: أنا لم أخلف لي ولدًا ولا أحدًا يذكرني بشيء. فهو مهموم، والآخَر يفرح بالصدقة».

قلت: هو عند الطبراني في الأوسط[٥] بلفظ: «ما من أهل بيت يموت منهم

---

(١) تهذيب الكمال ٧/ ١٤٣ - ١٤٦. تقريب التهذيب ص ٢٦٤.

(٢) هو حديث ابن عباس وابن عمر: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله علىٰ قلوبهم ثم ليكتبن من الغافلين».

(٣) شعب الإيمان ١١/ ٤٤٣.

(٤) التذكرة ص ٢٩٨.

(٥) المعجم الأوسط ٦/ ٣١٥.

ميت فيتصدَّقون عنه بعد موته إلا أهداها له جبريل علىٰ طبق من نور، ثم يقف علىٰ شفير القبر فيقول: يا صاحب القبر العميق، هذه هدية أهداها إليك أهلُك، فاقبلْها. فتدخل عليه، فيفرح بها ويستبشر، ويحزن جيرانه الذين لا يُهدَىٰ إليهم شيء». وروىٰ ابن أبي الدنيا[١] في كتاب القبور عن عمرو بن جرير قال: إذا دعا العبدُ لأخيه الميت أتاه بها إلىٰ قبره ملَكٌ فقال: يا صاحب القبر الغريب، هذه هدية من أخ عليك شفيق.

وروىٰ أيضًا عن بعض المتقدِّمين قال: مررت بالمقابر، فترحَّمت عليهم، فهتف بي هاتفٌ: نعم، فترحَّمْ عليهم، فإنَّ فيهم المهموم والمحزون[٢].

وقال الحافظ ابن رجب[٣]: روىٰ جعفر الخلدي قال: حدثنا العباس بن يعقوب بن صالح الأنباري، سمعت أبي يقول: رأىٰ بعض الصالحين أباه في النوم، فقال له: يا بني، لِمَ قطعتم هديتكم عنا؟ قال: يا أبتِ، وهل تعرف الأموات هدية الأحياء؟ قال: يا بني، لولا الأحياء لهلكت الأموات.

وروىٰ ابن النجار في تاريخه عن مالك بن دينار قال: دخلت المقبرة ليلة الجمعة، فإذا أنا بنور مشرق فيها، فقلت: لا إله إلا الله، نرىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ قد غفر لأهل المقابر. فإذا أنا بهاتف يهتف من البعد وهو يقول: يا مالك بن دينار، هذه هدية المؤمنين إلىٰ إخوانهم من أهل المقابر. قلت: بالذي أنطقك إلا أخبرتني ما هو؟ قال: رجل من المؤمنين قام في هذه الليلة، فأسبغ الوضوء، وصلىٰ ركعتين وقرأ فيهما فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وقال: اللهم إني قد وهبت ثوابها لأهل المقابر من المؤمنين. فأدخل الله علينا الضياء والنور

---

(١) ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٧٣.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في هواتف الجنان ص ٤٤ عن شيخ يقال له رباح كان ينزل بالعدوية عن جار له قال: مررت بالمقابر ... فذكره.

(٣) أهوال القبور ص ٢١٩.

والفسحة والسرور في المشرق والمغرب. قال مالك: فلم أزل أقرؤها في كل [ليلة] جمعة، فرأيت النبي ﷺ في منامي يقول لي: يا مالك، قد غفر الله لك بعدد النور الذي أهديتَه إلىٰ أمَّتي، ولك ثواب ذلك. ثم قال لي: وبنىٰ الله لك بيتًا في الجنة في قصر يقال له: المنيف. قلت: وما المنيف؟ قال: المطلُّ علىٰ أهل الجنة(١).

وقال السيوطي في شرح الصدور(٢): فصلٌ في قراءة القرآن للميت أو علىٰ القبر: اختُلِف في وصول ثواب القراءة للميت، فجمهور السلف والأئمَّة الثلاثة علىٰ الوصول، وخالف في ذلك إمامُنا الشافعيُّ رضي الله عنه مستدلاً بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾(٣) [النجم: ٣٩] وأجاب الأوَّلون عن الآية بوجوه، أحدها: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ الآية [الطور: ٢١] أُدخِل الأبناء الجنة بصلاح الآباء. الثاني: أنها خاصة بقوم إبراهيم وموسىٰ عليهما السلام، فأمَّا هذه الأمَّة فلها ما سعتْ وما سُعي لها؛ قاله عكرمة. الثالث: أن المراد بالإنسان هنا هو الكافر، فأما المؤمن فله ما سعىٰ وما سُعي له؛ قاله الربيع بن أنس. الرابع: ليس للإنسان إلا ما سعىٰ من طريق العدل، فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده اللهُ ما شاء؛ قاله الحسين بن الفضل. الخامس: أن اللام بمعنىٰ «علىٰ»، أي ليس علىٰ الإنسان إلا ما سعىٰ.

قلت: وقد أورد ابن القَطَّان في الرسالة المذكورة هذه الأجوبة وقال(٤):

---

(١) رواه أبو الحسن الهكاري في كتاب هدية الأحياء إلىٰ الأموات ص ١٨٣ [ضمن مجموع رسائل/ ط - الدار الأثرية بالأردن].

(٢) شرح الصدور ص ٣١٠ - ٣١٢.

(٣) انظر أقوال المفسرين عن هذه الآية في: جامع البيان للطبري ٢٢/ ٧٩ - ٨٠. الدر المنثور للسيوطي ١٤/ ٤٩. معالم التنزيل للبغوي ٧/ ٤١٦. زاد المسير لابن الجوزي ص ١٣٦٦. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٤٦٥. التفسير البسيط للواحدي ٢١/ ٦٧ - ٦٨. البحر المحيط لأبي حيان ٨/ ١٦٤. الهداية لبلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ١١/ ٧١٧١ - ٧١٧٢.

(٤) القول بالإحسان العميم ص ٢٧٦ - ٢٨٠.

القول بالنسخ رُوي عن ابن عباس، قال: فيُجعل الولد الطفل في ميزان أبيه، ويشفِّع اللهُ تعالىٰ الآباء في الأبناء، والأبناء في الآباء، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١]. وذكر القول الثالث، ونقل عن القرطبي[١] أن كثيرًا من الأحاديث يدل علىٰ هذا القول. ونقل عنه أيضًا أنه قال: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ خاص بالسيئة؛ لِما في الحديث: «وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبتُها له حسنة». قال ابن القَطَّان: وكنت بحثت مع الشيخ سراج الدين البُلقيني بالخشَّابية بجامع عمرو بن العاص هل تضعَّف هذه الحسنة أيضًا؟ فقلت: وينبغي أن تضعَّف، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠] فقال: نعم، وتضعَّف من جنس ما همَّ به. ثم قال: ومن المفسرين مَن قال: المراد بالإنسان أبو جهل، أو عُقبة بن أبي مُعَيط، أو الوليد بن المغيرة. قال: ومنهم مَن قال: الإنسان بسعيه في الخير وحُسن صحبته وعشرته اكتسب الأصحابَ وأسدَىٰ لهم الخيرَ وتودَّد إليهم، فصار ثوابه له بعد موته من سعيه. وهذا حَسنٌ. ومنهم مَن قال: الإنسان في الآية للحي دون الميت. ومنهم مَن قال: لم ينفِ في الآية انتفاع الرجل بسعي غيره له، وإنما نفىٰ عمله بسعي غيره، وبين الأمرين فرقٌ. ثم نقل عن الزمخشري[٢] ما لفظه: فإن قلتَ: أما صحَّ في الأخبار الصدقة عن الميت والحج عنه؟ قلت: فيه جوابان، أحدهما: أنَّ سعي غيره لمَّا لم ينفعه إلا مبنيًّا علىٰ سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنًا مصدِّقًا فكذلك كان سعيُ غيره كأنَّه سعي بنفسه؛ لكونه تابعًا له وقائمًا بقيامه. والثاني: أنَّ سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه، ولكن إذا نواه به فهو في حكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه. ا.هـ. ثم قال: والصحيح من الأجوبة أن قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ عامٌّ مخصوص؛

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٥٤ - ٥٦.

(٢) الكشاف ٥/ ٦٤٨.

لِما تقدَّم من الآية، وكذا ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥٤] وكذا «إذا مات الإنسان انقطع عملُه إلا من ثلاث».

هذا كله كلام ابن القَطَّان.

ثم قال السيوطي: واستدلُّوا علىٰ الوصول بالقياس علىٰ الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق، فإنه لا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة، وبالأحاديث الواردة فيه، وهي وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل علىٰ أن لذلك أصلاً، وبأن المسلمين ما زالوا في كل عصر يجتمعون ويقرأون لموتاهم من غير نكير، فكان ذلك إجماعًا. ذكر ذلك كلَّه الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي في جزء أَلَّفه في المسألة[١].

قال القرطبي[٢]: وقد كان الشيخ العز ابن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلىٰ الميت ثوابُ ما يُقرأ له[٣]، فلما توفي رآه بعض أصحابه فقال له: إنك كنت تقول إنه لا يصل إلىٰ الميت ثوابُ ما يُقرأ أو يُهدَي إليه، فكيف الأمر؟ قال له: كنت أقول ذلك في دار الدنيا، والآن قد رجعتُ عنه لمَّا رأيتُ من كرم الله في ذلك، وأنه يصل إليه ذلك.

ثم قال السيوطي: ومن الوارد في قراءة القرآن علىٰ القبور ما تقدَّم من حديث ابن عمر والعلاء بن اللجلاج مرفوعًا كلاهما.

وأخرج الخَلاَّل في الجامع[٤] عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلىٰ قبره يقرأون له القرآن.

---

(١) «الكلام علىٰ وصول القراءة للميت» ص ٢٢٠، طبع هذا الجزء ضمن مجموع في بابها بعناية شوكت بن رفقي وصدرت عن الدار الأثرية بالأردن.

(٢) التذكرة ص ٢٩٢.

(٣) فتاوىٰ العز ابن عبد السلام ص ٩٦.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص ٨٩.

وأخرج أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني في فوائده عن أبي هريرة رفعه: «مَن دخل المقابر ثم قرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وألهاكم التكاثر، ثم قال: اللهم إني جعلتُ ثوابَ ما قرأتُ من كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات، كانوا شُفَعاء له إلىٰ الله تعالىٰ».

وأخرج القاضي أبو بكر بن عبد الباقي الأنصاري في مشيخته[١] عن سلمة ابن عبيد قال: قال حماد المكي: خرجت ليلةً إلىٰ مقابر مكة، فوضعت رأسي علىٰ قبر فنمت، فرأيت أهل المقابر حلقةً حلقةً، فقلت: قامت القيامة؟ قالوا: لا، ولكن رجل من إخواننا قرأ «قل هو الله أحد» وجعل ثوابها لنا، فنحن نقتسمه منذ سنة.

وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال[٢] من حديث أنس: «مَن دخل المقابر فقرأ سورة يس خفَّف الله عنهم، وكان له بعدد مَن دُفن فيها حسنات».

وقال القرطبي[٣] في حديث «اقرأوا علىٰ موتاكم يس»: يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته، ويحتمل أن تكون عند قبره.

قال السيوطي: وبالأول قال الجمهور، وبالثاني قال ابن عبد الواحد المقدسي في جزئه الذي تقدَّم ذِكره، وبالتعميم في الحالين قال المحب الطبري[٤] من متأخري أصحابنا.

وقال القرطبي[٥]: وقيل: إن ثواب القراءة للقارئ، وللميت ثواب الاستماع،

---

(١) مشيخة أبي بكر بن عبد الباقي ص ١٣٦٣ (ط - دار عالم الفوائد).

(٢) وأخرجه أيضا الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ١١٩.

(٣) التذكرة ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٤) غاية الإحكام في أحاديث الأحكام للمحب الطبري ٤/ ٤١ (ط - دار الكتب العلمية) ونصه: «قال أصحابنا: إن الميت إذا قرئ عنده القرآن أو قرئ علىٰ القبر فإن ثواب القراءة للقارئ، ولكن الرحمة تنزل حيث يقرأ القرآن وترجىٰ بركته أن تعم الرحمة الميت ولو كان في قبره؛ لأنه كالجالس معهم».

(٥) التذكرة ص ٢٨٨.

وكذلك تلحقه الرحمةُ، ولا يبعُد في كرم الله أن يلحقه ثوابُ القراءة والاستماع معًا، ويلحقه ثواب ما يُهدَىٰ إليه من القراءة وإن لم يسمع كالصدقة والدعاء.

تنبيه: سُئل ابن القَطَّان: هل يكفي «ثواب» أو يتعيَّن «مثل ثواب»؟ فأجاب في الرسالة المذكورة ما لفظه[1]: ولا يُشترط في وصول الثواب لفظ هذا ولا جعل ثوابٍ، بل تكفي النيةُ قبل القراءة وبعدها، خلافًا لِما نقلناه عن عبد الكريم الشالوسي في القَبْلية. نعم، لو فعله لنفسه ثم نوىٰ جعله للغير لم ينفع الغيرَ، ويكفي للقارئ ذِكرُ «ثواب»، ولا يتعيَّن «مثل ثواب». وقال النووي: المختار أن يدعو بالجَعل فيقول: اللهم اجعل ثوابها واقعًا لفلان. وقال في الأذكار[2]: الاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه: اللهم أوصِلْ ثوابَ ما قرأتُه إلىٰ فلان. ا.هـ. وليس «ثواب» علىٰ تقدير المِثل، بل لو قال: مثل ثواب، تكون «مثل» زائدة، كما هو أحد الأقوال في قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] نعم، إن قيل: للقارئ ثواب قراءته، وللمقروء له مثل ثوابها، فيكون ثوابها علىٰ تقدير، وهو خلاف ظاهر مختار النووي وخلاف الأئمَّة المهديين، فإنهم حين يهدون يقولون: اجعلْ ثواب، والأصل عدم التقدير. وينقدح في قوله «اجعل ثواب» احتمالان: أن يكون للمهدَىٰ له، وللقارئ مثلها. الثاني: أن يكون للمهدِي وهو القارئ، وللمهدَىٰ له مثلها. والله أعلم.

(فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها، وللمَزُور الانتفاع بدعائه، فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت) وهل يقدِّم الدعاءَ لنفسه ثم للميت أو بالعكس؟ الظاهر الثاني؛ إذ الدعاء للميت مستجاب لا محالة قياسًا علىٰ دعاء الغائب، ثم يكون الدعاء لنفسه، فهو أحرَىٰ أن يُستجاب نظرًا لكرم الله تعالىٰ وسعة فضله **(ولا)** يغفل أيضًا **(عن الاعتبار به، وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصوِّر في قلبه الميتَ كيف تفرَّقت أجزاؤه)** بعد أن كانت مجموعة **(وكيف يُبعَث**

---

(١) القول بالإحسان العميم ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) الأذكار ص ١٤٠.

من قبره) بعد ذلك التفرُّق **(وأنه علىٰ القرب سيلحق به)** فتصوير هذه الثلاثة من أعظم ما يعتبر به الزائر من الميت، وفي أثناء ذلك تصوُّرات كثيرة لا تُحصَىٰ **(كما رُوي عن مطرف بن أبي بكر الهُذَلي)** رحمه الله **(قال: كانت عجوز في)** بني **(عبد القيس متعبِّدة)** أي كثيرة العبادة **(فكانت إذا جاء الليل تحزَّمت)** أي شدَّت حزامها لتستعين به علىٰ القيام **(ثم قامت إلىٰ المحراب)** تصلي عامةَ الليل **(وإذا جاء النهار خرجت إلىٰ القبور)** فتكون عامةَ النهار هناك **(فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها المقابرَ، فقالت: إن القلب القاسي إذا جفا لم يليِّنه إلا رسوم البِلَىٰ)** أي النظر إليها **(وإني لآتي القبورَ، فكأنِّي أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها، وكأنِّي أنظر إلىٰ تلك الوجوه المتعفِّرة، وإلىٰ تلك الأجسام المتغيِّرة، وإلىٰ تلك الأكفان الدسمة، فيا لها من نظرة لو أشربها العِباد قلوبَهم! ما أنكل مرارتها للأنفُس، وأشد تلفها للأبدان)!** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ **(حيث دخل عليه فقيهٌ فتعجَّب من تغيُّر صورته)** وتبدُّل حليته عمَّا كان عليها **(لكثرة الجهد والعبادة، فقال له: يا فلان، لو رأيتني بعد ثلاث وقد أُدخِلتُ قبري، وقد خرجت الحَدَقتان فسالتا علىٰ الخدَّين، وتقلَّصت الشفتان عن الأسنان)** أي يبستا **(وخرج الصديد من الفم، وانفتح الفم، ونتأ البطن)** أي ارتفع **(فعلا علىٰ الصدر، وخرج الصلب من الدُّبر، وخرج الدود والصديد من المناخر، لرأيتَ أعجب ممَّا تراه الآن)** رواه ابن أبي الدنيا[1] في كتاب القبور.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[2] نحوًا منه من طريق أبي حازم الخُناصِري

---

(١) ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٥١٨ عن وهيب بن الورد. والفقيه المذكور هو محمد بن كعب القرظي، فقد رواه ابن أبي الدنيا في القبور ص ١١١ عنه. ورواه بنحوه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٩ - ٣٠٠.

الأسدي قال: قدمت دمشقَ في خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة، والناس رائحون إلىٰ الجمعة ... ثم ساق الحديث، وفيه: فلما أنْ بصر بي عرفني، فناداني: يا أبا حازم، إليَّ مقبلاً. فدنوت من المحراب، فلما أنْ صلىٰ بالناس التفت إليَّ، فقلت له: تاللهِ لقد كنتَ عندنا بالأمس بخُناصِرة أميرًا لعبد الملك بن مروان، وكان وجهك وضيئًا، وثوبك نقيًّا، ومركبك وطيئًا، وطعامك شهيًّا، وحرسك شديدًا، فما الذي غيَّرك وأنت أمير المؤمنين؟ فقال لي: يا أبا حازم، أناشدك الله إلا حدثتني الحديثَ الذي حدثتني بخناصرة. قلت له: نعم، سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين أيديكم عقبة كؤودًا لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول». قال أبو حازم: فبكىٰ أمير المؤمنين بكاء عاليًا حتىٰ علا نحيبُه، ثم قال: يا أبا حازم، أفتلومني أن أضمر نفسي لتلك العقبة لعلي أن أنجو منها، وما أظنني منها بناجٍ.

(**ويُستحَب الثناء علىٰ الميت، وأن لا يُذكَر إلا بالجميل. قالت عائشة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **قال رسول الله ﷺ: إذا مات صاحبكم**) أي[1] المؤمن الذي كنتم تصاحبونه لقرابة أو صهارة أو جوار أو صداقة أو نحو ذلك (**فدعوه**) أي اتركوه من الكلام فيه بما يؤذيه لو كان حيًّا (**ولا تقعوا فيه**) أي لا تتكلموا في عِرضه بسوء ولا في شيء من أخلاقه الذميمة، فغيبة الميت أفظع من غيبة الحي؛ لأنه يُرجَىٰ استحلاله، بخلافه، وتخصيص الصاحب للاهتمام وبيان أنه بذلك أحرىٰ، وإلا فالكف عن مساوئ الأموات مطلقًا مطلوب.

قال العراقي[2]: رواه أبو داود[3] [من حديث عائشة] بإسناد جيد.

قلت: ويوجد في بعض نسخ المتن بدون واو.

---

(١) فيض القدير ١/ ٤٣٩.

(٢) المغني ٢/ ١٢٢٩.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٣١٣.

(وقال ﷺ: **لا تسبُّوا الأمواتَ**) أي[١] المسلمين، كما دلَّ عليه لام العهد، فالكفار سبُّهم قربة (**فإنهم قد أفضوا**) أي وصلوا (**إلىٰ ما قدَّموا**) من خير وشرٍّ، والله هو المُجازِي، إن شاء عفا، وإن شاء عذَّب، فلا فائدة في سبِّهم. ويُستثنَىٰ منه ما فيه مصلحة شرعية كسبِّ أهل البدع والفسقة للتحذير من الاقتداء بهم، وكجرح المجروح من الرواة حيًّا وميتًا؛ لابتناء أحكام الشرع علىٰ بيان حالاتهم.

قال العراقي[٢]: رواه البخاري[٣] من حديث عائشة.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٤] والنسائي[٥]. ورواه ابن النجار بلفظ: إلىٰ ما كسبوا.

(وقال ﷺ: **لا تذكروا موتاكم إلا بالخير، فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا، وإن يكونوا من أهل النار فحسبُهم ما هم فيه**) قال العراقي[٦]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة، وهو عند النسائي[٧] من حديثها بإسناد جيد مقتصرًا علىٰ الجملة الأولىٰ بلفظ «هلكاكم»، وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس، وعلَّمه علامة النسائي والطبراني[٨].

قلت: وروىٰ النسائي أيضًا عن صفية بنت شيبة[٩] قالت: ذُكر عند النبي ﷺ

---

(١) فيض القدير ٦/ ٣٩٨.

(٢) المغني ٢/ ١٢٣٠.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٤٢٩، ٤/ ١٩٤.

(٤) مسند أحمد ٤٢/ ٢٩٦.

(٥) سنن النسائي ص ٣١١.

(٦) المغني ٢/ ١٢٣٠.

(٧) سنن النسائي ص ٣١٠.

(٨) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ١٥٥ بلفظ: «لا تقولوا لموتاكم إلا خيرا». وروىٰ في الدعاء ص ١٧٢٥ عن عطاء بن أبي رباح قال: ذُكر عند عائشة رجل فنالت منه، فقيل لها: إنه قد مات. فترحمت عليه، فقيل لها: ترحمت عليه؟! فقالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير».

(٩) الحديث عند النسائي من رواية صفية عن عائشة، وهو الذي ذكره العراقي آنفا.

هالك بسوء، فقال: «لا تذكروا هلكاكم إلا بخير».

وفي الباب عن [ابن] عمر بن الخطاب رفعه: «اذكروا محاسن موتاكم، وكُفُّوا عن مساوئهم». رواه أبو داود(١) والترمذي(٢) وابن أبي الدنيا.

وروىٰ الديلمي(٣) من حديث عائشة: «الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته».

(وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه: **(مرَّت جنازة علىٰ رسول الله ﷺ، فأثنوا عليها شرًّا، فقال)** ﷺ: **(وجبتْ. ومرُّوا بأخرىٰ، فأثنوا عليها خيرًا، فقال: وجبتْ. فسأله عمر)** رضي الله عنه **(عن ذلك، فقال: إنَّ هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنةُ، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النارُ، وأنتم شهداء الله في الأرض)** قال العراقي(٤): متفق عليه(٥).

قلت: وكذلك رواه الطيالسي(٦) وأحمد(٧) والنسائي(٨)، ولفظهم جميعًا: «مَن أثنيتم عليه خيرًا وجبتْ له الجنةُ، ومَن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النارُ، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض».

وروىٰ الطبراني(٩) من حديث سلمة بن الأكوع: «أنتم شهداء الله في الأرض، والملائكة شهداء الله في السماء».

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣١٣.

(٢) سنن الترمذي ٢/ ٣٢٨.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٩٩.

(٤) المغني ٢/ ١٢٣٠.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٤٢٠، ٢/ ٢٤٨. صحيح مسلم ١/ ٤٢٢.

(٦) مسند الطيالسي ٣/ ٥٤١.

(٧) مسند أحمد ٢٠/ ٢١٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣٣٧، ٢١/ ١٩٣، ٤٠٩.

(٨) سنن النسائي ص ٣١٠.

(٩) المعجم الكبير ٧/ ٢٥.

(وقال أبو هريرة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: إن العبد لَيموتُ فيثني عليه القوم الثناءَ يعلم الله منه غيرَه فيقول الله تعالىٰ لملائكته: أُشهِدكم أني قد قَبِلتُ شهادة عبيدي علىٰ عبدي وتجاوزتُ عن علمي في عبدي منه)** قال العراقي[(١)]: رواه أحمد[(٢)] من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربِّه عَزَّ وَجَلَّ: «ما من عبد مسلم يموت فتشهد له ثلاثة أبيات من جيرانه الأدنينَ بخير إلا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: قد قبلتُ شهادة عبادي علىٰ ما علموا، وغفرت له ما أعلم».

قلت: ورواه[(٣)] ابن النجار بلفظ: «إذا مات المؤمن وقال رجلان من جيرانه: ما علمنا منه إلا خيرًا، وهو في علم الله علىٰ غير ذلك، قال الله تعالىٰ للملائكة: اقبلوا شهادة عبدَيَّ في عبدِيْ، وتجاوزوا عن علمي فيه».

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٠.

(٢) مسند أحمد ١٤/ ٥٤٠، ١٥/ ١٦٩.

(٣) كنز العمال ١٥/ ٦٨٥.

الباب السابع:

في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت(١)

(اعلمْ) بصَّركَ اللهُ تعالىٰ (أن للناس في حقيقة الموت ظنونًا كاذبة) وآراء مختلفة (قد أخطؤوا فيها، فظن بعضهم أن الموت هو العدم) المحض (وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر، وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات. وهذا رأي الملحدين وكل مَن لا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهم طوائف من العرب الذين أنكروا الإحياء والإعادة بعد الموت، وهم الذين أخبر الله عنهم أنهم ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المؤمنون: ٨٢ - ٨٣] وقال في بعض هذه الطائفة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ الآية [يس: ٧٨] وهؤلاء من العرب في الجاهلية غير مَن مال منهم إلىٰ النصرانية، فتنصَّر من عرب الشام من قُضاعة وغسَّان وبعض ربيعة، وغير مَن تهوَّد منهم من ملوك حِمْيَر وبني كِنانة وبني كِنْدة، وغير مَن تمجَّس منهم لقربهم من الفُرس كبني زُرارة بن عدس(٢). ومنهم من غُلاة الإمامية المنصورية أصحاب أبي منصور العجلي، كفروا بالقيامة وبالإحياء بعد الموت، واستحلُّوا المحارم والمحرَّمات. ومنهم المعمرية: صنف من الخَطَّابية، زعموا

---

(١) هذا العنوان في الجميع دون الزبيدي.

(٢) زرارة بن عدس: بطن من بني دارم، من تميم، من العدنانية، وهم بنو زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم. معجم قبائل العرب ٢/ ٤٦٨.

أن الدنيا لا تفنَىٰ، وأنكروا الإعادة والإحياء بعد الموت[١] **(وظن قوم أنه ينعدم بالموت، ولا يتألَّم بعقاب ولا يتنعَّم بثواب ما دام في القبر إلىٰ أن يُعاد في وقت الحشر)** وهو مذهب الجَهْمية والخوارج، قالوا: إن إحياء الأموات لا يكون إلا في القيامة، وينكرون عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، وإلىٰ هذا القول ذهب ضِرار وبشر المريسي والنجَّارية، وقال ضِرار: إن منكرًا هو العمل السيئ، ونكيرًا هو النَّكير من الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ صاحب الفعل المنكَر[٢]. ويقرُب من ذلك قولُ مَن زعم من المعتزلة أن إحياء الأموات وردَّ أهلِ القبور إنما يكون بين النفختين؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨] قالوا: فجائز أن يكونوا معذَّبين بين النفختين، وأن يكونوا منعَّمين بينهما، وهذا قول أبي الهذيل وبشر بن المعتمر وأتباعهما من القَدَرية. ومنهم مَن شكَّ في وقت الإحياء بعد الموت وقبل القيامة وقال: يجوز أن يكون إحياء الميت بعد دخوله القبر، ويجوز أن يكون بعده. ولم يقطعوا علىٰ وقته. وهذا قول الجُبَّائي وأتباعه من القَدَرية **(وقال آخرون: إن الروح باقية لا تنعدم بالموت، وإنما المُثاب والمعاقَب هي الأرواح دون الأجساد، وأن الأجساد لا تُبعَث ولا تُحشَر أصلاً)** والقائلون بهذا أصناف، منهم مَن قال: إن الإحياء يكون في القيامة دون القبر، إلا أن عذاب القبر لأهل العذاب صحيح ثابت علىٰ الوجه الذي يشعر به الميت وهو ميت، وشبَّه الميتَ في ذلك بالنائم والمغلوب علىٰ عقله. وهذا القول حكاه الكعبي عن غسان القاضي. قال أبو منصور التميمي: وغلطَ الحاكي عنه، فإنَّ غسانًا كان من أصحابنا، وقوله في هذه المسألة كقولنا، وإنما يصح هذا القولُ علىٰ مذهب الكَرَّامية الذين زعموا أن الميت يصح أن يكون فيه علمٌ بالألم وغيره، ولا أعلم أحدًا قال بمثل هذا من

---

(١) راجع الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ١٨٠ (ط دار المعرفة).

(٢) انظر: شرح المواقف للعضد الإيجي ٢/ ٤٥٢، ٤٥٣ (ط العامرة)، وبعض المعتزلة يثبتون عذاب القبر ومنكر ونكير، انظر: الفائق للخوارزمي ص ٥٣٩- ٥٤١ (ط دار الكتب المصرية).

أصحاب الحديث إلا محمد بن جرير الطبري. ومنهم مَن زعم أن الإحياء يكون في القيامة، وأن الميت في قبره قد يُحدِث اللهُ فيه الألمَ وهو لا يشعر، فإذا حُشر وجد ذلك الألمَ في وقته الذي حُشر فيه، وشبَّهوه بسكران نام في الشمس فأثَّرت فيه وهو لا يشعر بذلك، فإذا أفاق وجد ألم ذلك في نفسه، وكذلك المغشيُّ عليه إذا ضُرب في حال الغشيِّ **(وكل هذه ظنون فاسدة)** وآراء **(مائلة عن الحق، بل الذي تشهد له طرقُ الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغيُّر حالٍ فقط)** وانتقال من دار إلىٰ دار، وليس بعدم محض ولا فناء صِرْف **(وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد، إما معذَّبة وإما منعَّمة)** وهذا قول أهل السنَّة والجماعة وفقهاء الحجاز والعراق ومتكلِّمي الصِّفاتية **(ومعنىٰ مفارقتها للجسد: انقطاع تصرُّفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها، حتىٰ إنها تبطش باليد، وتسمع بالأذن، وتبصر بالعين، وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب، والقلب ههنا عبارة عن الروح، والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة، ولذلك قد يتألَّم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد، ويتنعَّم بأنواع الفرح والسرور، وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء، فكل ما هو وصفٌ للروح بنفسها فيبقىٰ معها بعد مفارقة الجسد، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطَّل بموت الجسد إلىٰ أن تُعاد الروح إلىٰ الجسد)** قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام[1]: في كل جسد روحان، إحداهما روح اليقظة التي أجرىٰ اللهُ العادةَ أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظًا، فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان ورأت تلك الروحُ المنامات، والأخرىٰ روح الحياة التي أجرىٰ الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان حيًّا، فإن فارقتْه مات، فإذا رجعت إليه حييَ، وهاتان الروحان في باطن الإنسان لا يعرف مقرَّهما إلا مَن أطلعه اللهُ علىٰ ذلك، فهما كجنينينِ في بطن امرأة واحدة، وقال بعض المتكلمين: الذي يظهر أن الروح بقرب القلب. قال ابن عبد السلام: ولا يبعُد عندي أن تكون الروح في

(١) قواعد الأحكام الكبرىٰ ٢/ ٣٨٠ - ٣٨٢.

القلب. قال: ويدل علىٰ روح الحياة قولُه تعالىٰ: [﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية [السجدة: ١١] ويدل علىٰ وجود روحَي الحياة واليقظة قوله تعالىٰ]: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ الآية [الزمر: ٤٢] تقديره: يتوفىٰ الأنفُسَ التي لم تمُتْ أجسادُها في منامها، فيمسك الأنفسَ التي قضىٰ عليها الموتَ عنده ولا يرسلها إلىٰ أجسادها، ويرسل الأنفس الأخرىٰ - وهي أنفُس اليقظة - إلىٰ أجسادها إلىٰ انقضاء أجل مسمىٰ وهو أجل الموت، فحينئذٍ تُقبَض أرواح الحياة وأرواح اليقظة جميعًا من الأجساد، ولا تموت أرواح الحياة، بل تُرفَع إلىٰ السماء حيةً، فتُطرَد أرواح الكافرين ولا تُفتَح لها أبواب السماء، وتُفتَح أبواب السماء لأرواح المؤمنين إلىٰ أن تُعرَض علىٰ رب العالمين، فيا لها من عرضة ما أشرفها!

قال السيوطي في شرح الصدور[1]: وما ذكره من أن الروح في القلب قد جزم به الغزاليُّ في كتابه الانتصار، وقد ظفرتُ له بحديث: أخرج ابن عساكر في تاريخه[2] عن الزهري أن خزيمة بن حكيم السلمي ثم البَهْزي قدمَ علىٰ النبي ﷺ يوم فتح مكة، فقال: يا رسول الله، أخبِرْني عن ظلمة الليل وضوء النهار، وحرِّ الماء في الشتاء وبرده في الصيف، ومَخرج السحاب، وعن قرار ماء الرجل وماء المرأة، وعن موضع النفْس من الجسد ... فذكر الحديث إلىٰ أن قال: قال رسول الله ﷺ: «وأما موضع النفْس ففي القلب، والقلب معلَّق بالنِّياط، والنياط يسقي العروقَ، فإذا هلك القلب انقطع العِرق ...» الحديث بطوله، وهذا مرسَل، وله طرق أخرىٰ مرسلة وموصولة في المعجم الأوسط للطبراني وتفسير ابن مردويه وكتاب الصحابة لأبي موسىٰ المديني وابن شاهين، قال ابن حجر في الإصابة: والحديث فيه غريب كثير، وإسناده ضعيف جدًّا. انتهىٰ.

---

(١) شرح الصدور ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٧٢ - ٣٧٦.

قلت: قال في الإصابة(١) في ترجمته: رواه ابن مردويه في التفسير من طريق أبي عمران الحَرَّاني، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن جابر أن خزيمة بن ثابت - وليس بالأنصاري - سأل النبيَّ ﷺ عن البلد الأمين، فقال: «مكة». ورواه الطبراني في الأوسط(٢) من هذا الوجه مطولاً جدًّا وقال: لم يروِه عن ابن جريج إلا أبو عمران. قال أبو موسىٰ: رواه أبو معشر وعبيد بن حكيم عن ابن جريج عن الزهري مرسلاً، لكن قال: خزيمة بن حكيم السلمي. وكذا سمَّاه ابن شاهين من طريق يزيد بن عياض عن الزهري .. فذكره مطولاً في نحو ورقتين، وفيه غريب كثير، وإسناده ضعيف جدًّا مع انقطاعه، ورويناه في تاريخ ابن عساكر من طريق عبيد بن حكيم عن ابن جريج مطولاً كذلك، ورُوي عن منصور بن المعتمر عن قبيصة عن خزيمة بن حكيم أيضًا.

(ولا يبعُد أن تُعاد الروح إلىٰ الجسد في القبر، ولا يبعُد أن تؤَخَّر إلىٰ يوم البعث) من القبر **(والله أعلم بما حكم به علىٰ كل عبد من عباده)**(٣) وأهل السنَّة أثبتوا الإحياءَ في كلٍّ من الحالين، وأما بين النفختين فهو حال خمود وهمود، يموت الخَلق بينهما من غير أن يكون بينهما حي سوىٰ الملك الإله الواحد القهَّار، والدليل علىٰ الإحياء في القبر مبنيٌّ علىٰ صحة ما ورد به الخبرُ ونزل عليه القرآن من عذاب القبر؛ لأن العذاب والألم لا يصح إلا لحيٍّ **(وإنما تعطُّل الجسد بالموت يضاهي تعطُّلَ أعضاء الزمِن بفسادِ مزاجٍ يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذَ الروح فيها، فتكون الروح العالمة العاقلة المدرِكة باقية مستعملة لبعض الأعضاء، وقد استعصىٰ عليها بعضُها، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها، وكل**

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٩٦ - ٩٧.

(٢) المعجم الأوسط ٧/ ٣٦٠ - ٣٦١.

(٣) قال ابن القيم في الروح ١/ ١١٥- ١٢٠: قد كفانا رسول الله ﷺ أمر هذه المسالة وأغنانا عن أقوال الناس حيث صرح باعادة الروح إليه. ثم ذكر ابن القيم حديث البراء الطويل، ثم قال: وذهب إلىٰ القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث من سائر الطوائف.

الأعضاء آلات، والروح هي المستعملة لها، وأعني بالروح المعنىٰ الذي يدرك من الإنسان العلومَ وآلام الغموم ولذَّات الأفراح، ومهما بطلَ تصرُّفها في الأعضاء لم تبطل منها العلومُ والإدراكات، ولا بطل منها الأفراح والغموم، ولا بطلَ منها قبولُها للآلام واللذَّات، والإنسان بالحقيقة هو المعنىٰ المدرِك للعلوم وللآلام واللذَّات، وذلك لا يموت، أي لا ينعدم، ومعنىٰ الموت: انقطاع تصرُّفه عن البدن، وخروج البدن عن أن يكون آلة له، كما أن معنىٰ الزمانة: خروج اليد عن أن تكون آلة مستعمَلة، فالموت زَمانة مطلقة في الأعضاء كلها، وحقيقة الإنسان نفسُه وروحه، وهي باقية) قال السيوطي في شرح الصدور[١]: ذهب[٢] أهل الملل من المسلمين وغيرهم إلىٰ أن الروح تبقىٰ بعد موت البدن، وخالف فيه الفلاسفة، دليلنا: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧] والذائق لا بد أن يبقىٰ بعد المَذُوق، وعلىٰ هذا فهل يحصل لها [عند القيامة] فناءٌ ثم تُعاد توفيةً بظاهر قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦] أو لا بل تكون من المستثنىٰ في قوله: ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧، الزمر: ٦٨] قولان حكاهما السبكي في تفسيره المسمَّىٰ بـ «الدُّر النظيم»، وقال: الأقرب أنها لا تفنىٰ، وأنها من المستثنَىٰ، كما قيل في الحور العين. انتهىٰ. وفي كتاب الروح[٣] لابن القيم: اختُلِف في أن الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده، علىٰ قولين، والصواب أنه إن أريدَ بذوقها الموت مفارقتها للجسد فنعم هي ذائقة الموت بهذا المعنىٰ، وإن أريدَ أنها تُعدَم فلا، بل هي باقية بعد خلقها بالإجماع في نعيم أو عذاب. انتهىٰ. وقد أخرج ابن عساكر[٤] عن محمد بن وضَّاح أحد أئمَّة المالكية قال: سمعت سحنون بن سعيد وذُكر له عن رجل يذهب

---

(١) شرح الصدور ص ٢٥٥، ٣٢٤.

(٢) من هنا إلىٰ قوله (الحور العين) منقول عن كتاب الغيث الهامع شرح جمع الجوامع لولي الدين العراقي ص ٧٧٥ - ٧٧٦ (ط - دار الكتب العلمية).

(٣) الروح ص ٩٧ - ٩٨.

(٤) تاريخ دمشق ٥٦/ ١٨٠.

إلىٰ أن الأرواح تموت بموت الأجساد، فقال: معاذ الله، هذا قول أهل البدع[١]. وقد[٢] قال بهذا القول جماعة من فقهاء الأندلس قديمًا، منهم عبد الأعلىٰ بن وهب بن محمد بن عمر ابن لُبابة[٣]، ومن متأخِّريهم كالسهيلي وابن العربي. وقد اشتدَّ نكيرُ العلماء لهذه المقالة، والنصوص الكثيرة الدالَّة علىٰ بقاء الأرواح بعد مفارقتها للأبدان تردُّ ذلك وتبطله[٤]. وأما ما أخرجه ابن السني[٥] عن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان إذا دخل المقابر قال: «السلام عليكم أيتها الأرواح الفانية والأبدان البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بالله مؤمنة، اللهم أدخِلْ عليهم روحًا منك وسلامًا منا»، فإنه مع ضعف سنده مؤوَّل بأن المراد بفناء الأرواح ذهابها من الأجساد المشاهَدة.

(نعم تغيُّر حاله من جهتين، إحداهما: أنه سُلِب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه، وسُلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه، وسُلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودُوره وعقاره وسائر أملاكه. ولا فرق بين أن تُسلَب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يُسلَب الإنسان من هذه الأشياء، فإن المؤلم هو الفراق، والفراق يحصل تارةً بأن يُنهَب مال الرجل، وتارةً بأن يُسبَىٰ الرجل عن المُلك والمال، والألم واحد في الحالين، وإنما معنىٰ الموت: سلبُ الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلىٰ عالَم آخر لا يناسب هذا العالَم، فإن كان له في الدنيا شيء يأنس

---

(١) انظر: أصول السنة، لابن أبي زمنين ١/ ٤٨١ (ط مكتبة ابن عباس بالمنصورة، جمهورية مصر العربية).

(٢) من هنا إلىٰ آخر الفقرة منقول عن كتاب أهوال القبور لابن رجب ص ٢٠٤ - ٢٠٨.

(٣) كذا هو في أهوال القبور، وهو خطأ، والصواب أنهما اثنان، الأول: عبد الأعلىٰ بن وهب، والثاني: محمد بن عمر بن لبابة. وانظر ترجمتهما في ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ٢٢٧، ٦٥٦ (ط مكتبة الثقافة الدينية).

(٤) أفاض ابن القيم في كتاب الروح ص ٩٧ - ١٠٦ في بيان هذه المسألة.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ٣٥٨.

به ويستريح إليه ويعتدُّ بوجوده فيعظُم تحسُّره عليه بعد الموت ويصعُب شقاؤه في مفارقته، بل يلتفت قلبه إلىٰ واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره، حتىٰ إلىٰ قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به، وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به، عظُمَ نعيمُه وتمَّت سعادتُه؛ إذ خُلِّي بينه وبين محبوبه، وقُطعت عنه الشواغل والعوائق؛ إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذِكر الله) ومانعة من الأنس به (فهذا أحد وجهَي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة. والثاني: أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفًا له) قبلُ (في الحياة، كما قد ينكشف للمتيقِّظ ما لم يكن مكشوفًا في النوم، والناس) كما قيل (نيام، فإذا ماتوا انتبهوا) رُوي ذلك من قول علي رضي الله عنه، كما سبق الكلام عليه مِرارًا. وانكشاف الأحوال لهم عند الموت دلَّ عليه قولُ عمر رضي الله عنه: احضُروا موتاكم، ولَقِّنوهم لا إله إلا الله، فإنهم يرون ويقال لهم. وفي رواية: واعقِلوا ما تسمعون من المطيعين منهم، فإنه تتجلَّىٰ لهم أمورٌ صادقة. وقد تقدم (وأول ما ينكشف له ما يضرُّه وينفعه من حسناته وسيئاته) فيفرح ويحزن (وقد كان ذلك مسطورًا في كتاب مطويٍّ في سر قلبه، وكان يشغله عن الاطِّلاع عليه شواغلُ الدنيا) وعلائقُها (فإذا انقطعت الشواغل) وبطلت العوائق (انكشف له جميعُ أعماله، فلا ينظر إلىٰ سيئة إلا ويتحسَّر عليها تحسُّرًا يؤثِر) أي يختار (أن يخوض غمرةَ النار للخلاص من تلك الحسرة) فلا يمكنه ذلك (وعند ذلك يقال له: كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيبًا) وقد روىٰ الديلمي[1] من حديث جابر: «إذا حضرت الإنسانَ الوفاةُ جُمع له كل شيء يمنعه عن الحق فيُجعَل بين عينيه، فعند ذلك يقول: رب ارجعونِ لعلِّي أعمل صالحًا فيما تركتُ» (وينكشف كلُّ ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن، وتشتعل فيه نيرانُ الفراق، أعني فراقَ ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبُلغة) أي القدْر الذي يتبلَّغ به إلىٰ أعمال الآخرة (فإنَّ مَن طلب الزادَ للبُلغة) أي المقصد (فإذا بلغ المقصدَ فرح بمفارقته بقية الزاد؛ إذ لم يكن يريد الزاد لعينه) بل لأجل التبلُّغ (وهذا حال مَن لم يأخذ من

---

(١) ورواه أيضا ابن المقرئ في معجمه ص ٢٥٥.

الدنيا إلا بقدْر الضرورة) الداعية **(وكان يودُّ أن تنقطع ضرورتُه ليستغني عنه)** كما رُوي عن مالك بن دينار أنه كان يأخذ الحصاة من المسجد فيقول: لَوددتُ أن هذه أجزأتني في الدنيا ما عشتُ، لا أزيد علىٰ مصِّها من الطعام والشراب. وكان يقول: لو صلُحَ لي أن آكل الرماد لأكلتُه، ولو صلُحَ لي أن أعمد إلىٰ بُرْدي فأقطعه باثنين فأتَّزِر بقطعة وأرتدي بقطعة لفعلتُ. رواه أبو نعيم في الحلية[1] من طريق يوسف بن عطية الصَّفَّار. ورُوي عنه أيضًا أنه قال: خلطتُ دقيقي بالرماد فضعفتُ عن الصلاة، ولو قويتُ علىٰ الصلاة ما أكلت غيرَه. رواه أبو نعيم[2] من طريق معلَّىٰ الورَّاق **(فقد حصل ما كان يودُّه واستغنىٰ عنه. فهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه)** عند انقطاع النفس **(قبل الدفن، ثم عند الدفن قد تُرَدُّ روحه إلىٰ الجسد)** كما هو مذهب أهل السنَّة والجماعة **(لنوع آخر من العذاب، وقد يُعفَىٰ عنه)** إن أدركه الفضلُ **(ويكون حال المتنعِّم بالدنيا المطمئن إليها كحال مَن تنعَّم عند غيبة ملك من الملوك في داره ومُلكه وحريمه اعتمادًا علىٰ أن الملك يتساهل في أمره)** فلا يؤاخذه **(أو)** اعتمادًا **(علىٰ أن الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله، فأخذه الملك بغتةً)** من غير ترقُّب **(وعرض عليه جريدةً)** وهي شِبه الدفتر **(قد دُوِّنت)** أي حُرِّرت وجُمعت **(فيها جميع فواحشه وجناياته ذرَّة ذرة وخطوة خطوة، والملك قاهر متسلِّط، وغيور علىٰ حرمه، ومنتقم من الجُناة علىٰ مُلكه، وغير ملتفت إلىٰ مَن يتشفَّع إليه في العصاة عليه. فانظر إلىٰ)** حال **(هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسُّر والندم[3]، فهذا حال الميت الفاجر المغترِّ بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به، بل عند موته، نعوذ بالله منه، فإنَّ الخزي والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحلُّ بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما)** فإن كلاً من الضرب والقطع يُرجَىٰ برء

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٦٧.

(٢) السابق ٢/ ٣٦٧.

(٣) في أ، ب، وط المنهاج ٩/ ٤٧٢: التندم.

ألمه، وهتك الستر والفضوح لا برء له، وإليه يشير الخبرُ: «فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة» (**فهذه إشارة إلىٰ حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوىٰ من مشاهدة العين، وشهدت لذلك شواهدُ الكتاب والسنَّة. نعم، لا يمكن كشف الغطاء عن كُنْه حقيقة الموت؛ إذ لا يعرف الموت مَن لا يعرف الحياة، ومعرفة الحياة**) منوطة (**بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهيَّة ذاتها، ولم يؤذَن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها، ولا أن يزيد علىٰ أن يقول: الروح من أمر ربِّي**) روىٰ الشيخان(١) من حديث ابن مسعود قال: كنت مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو متَّكئ علىٰ عسيب، فمرَّ بقوم من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه. فسألوه فقالوا: يا محمد، ما الروح؟ فما زال متوكِّئًا علىٰ العسيب، فظننت أنه يوحَىٰ إليه، فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد تقدم.

وأخرج ابن جرير بسند مرسل(٢) أن الآية لمَّا نزلت قالت اليهود: هكذا نجده عندنا.

وقد اختلف الناس في الروح علىٰ فرقتين: فرقة أمسكت عن الكلام فيها؛ لأنها سرٌّ من أسرار الله تعالىٰ لم يؤتِ علمَه البشرَ، وهذه الطريقة هي المختارة، قال الجنيد: الروح شيء استأثر الله بعلمه، ولم يُطلِع عليه أحدًا من خلقه، فلا يجوز لعباده البحثُ عنه بأكثر من أنه موجود(٣). وعلىٰ هذا ابنُ عباس وأكثر السلف، وقد ثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسِّر الروح، فأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: سُئل ابن عباس عن الروح، قال: الروح من أمر ربِّي، لا تنالوا هذه المسألة، فلا

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٦١، ٣/ ٢٥٣، ٤/ ٣٦٣، ٣٩٦، ٣٩٧. صحيح مسلم ٢/ ١٢٨٦.

(٢) بل رواه في جامع البيان ١٥/ ٧٠ موصولا من حديث عبد الله بن مسعود.

(٣) ذكره الكلاباذي في التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧٣.

تزيدوا عليها، قولوا كما قال الله وعلَّم نبيَّه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٨٥﴾.

قال السيوطي[١]: مسألة أبهمها اللهُ في القرآن والتوراة وكتم عن خلقه علمَها من أين للمتعمِّقين الاطِّلاع علىٰ حقيقة أمرها؟ وقد نقل أبو القاسم السعدي في الإفصاح: أن أماثل الفلاسفة أيضًا توقَّفوا عن الكلام فيها وقالوا: هذا أمر غير محسوس لنا، ولا سبيل للعقول إليه. قال: ووقوف علمِنا عن إدراك حقيقة الروح كوقوفه عن إدراك سر القدَر.

قال ابن بَطَّال[٢]: الحكمة في ذلك تعريف الخَلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتىٰ يضطرَّهم إلىٰ ردِّ العلم إليه.

وقال القرطبي[٣]: حكمته إظهار عجزِ المرء؛ لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجودها كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق سبحانه وتعالىٰ من باب الأَولىٰ.

وفرقة تكلَّمت فيها وبحثت عن حقيقتها. قال النووي: وأصحُّ ما قيل في ذلك قول إمام الحرمين: أنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباكَ الماء بالعود الأخضر[٤].

(فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطَّلع عليه) وقد اختلف أهل الطريقة الأولىٰ هل علمها النبيُّ ﷺ؟ فروىٰ ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن بُرَيدة قال: لقد قُبِض النبي ﷺ وما يعلم الروح[٥]. وقالت طائفة:

---

(١) شرح الصدور ص٣١٨ - ٣١٩.

(٢) شرح صحيح البخاري ١/ ٢٠٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) عبارة إمام الحرمين في الإرشاد ص ٣٧٧: «الأظهر عندنا أن الروح أجسام لطيفة مشابكة للأجسام المحسوسة، أجرىٰ الله العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها، فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة في استمرار العادة».

(٥) رواه أبو الشيخ في العظمة ٣/ ٨٦٧ - ٨٦٨ بلفظ: «ما تبلغ الجن والإنس والملائكة والشياطين عشر الروح، ولقد مات رسول الله ﷺ وما يدري ما الروح».

بل علمَها وأطلعه اللهُ عليها، ولم يأمره أن يُطلِع عليها أمَّته، وهو نظير الخلاف في علم الساعة.

(**وإنما المأذون فيه ذِكرُ حال الروح بعد الموت، ويدل علىٰ أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آياتٌ وأخبار. أما الآيات فما ورد في**) حق (**الشهداء**) وهم المقتولون في المعركة (**إذ قال تعالىٰ**: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

و) أما الأخبار، فقد رُوي أنه (**لما قُتل صناديد قريش**) أي رؤساؤهم (**يوم بدر**) في الوقعة الكبرىٰ وأُمِر بهم فسُحِبوا إلىٰ قليب هناك (**ناداهم رسول الله ﷺ**) بعد أن وقف علىٰ شفير القليب (**فقال: يا فلان، يا فلان، يا فلان**) وسمَّاهم بأسمائهم (**قد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقًّا**) من النصرة (**فهل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقًّا**) من الخزي والقتل؟ (**فقيل: يا رسول الله، أتناديهم وهم أموات**)؟! القائل لذلك عمر بن الخطاب (**فقال ﷺ: والذي نفسي بيده، إنهم لأسمعُ لهذا الكلام منكم، إلا أنهم لا يقدرون علىٰ الجواب**) قال العراقي[(١)]: رواه مسلم[(٢)] من حديث عمر بن الخطاب. انتهىٰ.

قلت: وروىٰ[(٣)] الطبراني[(٤)] من حديث أنس قال: أنشأ رسولُ الله ﷺ يحدِّثنا عن أهل بدر[(٥)] يقول: «هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله تعالىٰ». قال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدودَ التي حدَّها ﷺ [فجُعلوا في بئر بعضُهم علىٰ بعض،

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣١.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٣١٤ - ١٣١٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٧/ ٣٥٢ - ٣٥٤. المواهب اللدنية للقسطلاني ١/ ٣٦٦ - ٣٦٩.

(٤) المعجم الأوسط ٨/ ٢١٩.

(٥) لفظ الطبراني: «أنشأ عمر بن الخطاب يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ أرانا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: هذا مصرع فلان ...» الخ.

فانطلق رسول الله ﷺ] حتىٰ انتهىٰ إليهم فقال: «يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقًّا؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقًّا». وفي رواية: فنادىٰ: «يا عُتبة بن ربيعة، ويا شيبة ابن ربيعة، ويا أميَّة بن خلف، ويا أبا جهل ابن هشام». وفي بعضه نظرٌ، فقد روىٰ عروة بن الزبير من حديث عائشة قالت: أمر رسول الله ﷺ بالقتلىٰ أن يُطرَحوا في القليب، فطُرِحوا فيه، إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملأها، فألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة[1]. لكن يُجمَع بينهما بأنه كان قريبًا من القليب فنودي فيمَن نودي؛ لكونه كان من جملة رؤسائهم. وقال ابن إسحاق: حدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قال: «يا أهل القليب، بئس العشيرة كنتم، كذَّبتموني وصدَّقني الناس»[2]. فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، كيف تكلِّم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: «ما أنتم بأسمع لِما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردُّوا عليَّ شيئًا». وفي رواية: أتخاطب قومًا قد جيفوا؟!

(فهذا نصٌّ في بقاء روح الشقيِّ وبقاء إدراكها ومعرفتها) وقال قتادة: أحياهم اللهُ تعالىٰ توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة[3]. وقد رُوي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنما أراد النبي ﷺ أنهم الآن لَيعلمون أن الذي أقول لهم الحق. ثم قرأت:

---

(١) رواه ابن إسحاق [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٨٠] ومن طريقه أحمد في مسنده ٤٣/ ٣٨٠، والبزار في مسنده ١٨/ ١٣٩، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات ٢/ ٣٧٦.

(٢) نص ابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ٢٨١: «قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال يوم هذه المقالة: يا أهل القليب، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس. ثم قال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ للمقالة التي قال». وليس فيه قول عمر، ولا قول النبي ﷺ: ما أنتم ... الخ. وهما ثابتان عند مسلم في صحيحه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٣/ ٨٦ عقيب حديث أنس عن أبي طلحة في مخاطبة النبي ﷺ لأهل القليب بلفظ: «أحياهم الله حتىٰ أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقيمة وحسرة وندما».

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية[١] [النمل: ٨٠] فهذا فيه الإنكارُ. وأجيبَ بأنه رُوي أنها رجعت عن ذلك؛ لِما روىٰ أحمد من حديثها أنها قالت: «ما أنتم بأسمع لِما أقول منهم». وهو في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد[٢]. وقال الإسماعيلي: الجمع بينهما ممكن؛ لأن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لا ينافي قولَه ﷺ: «إنهم الآن يسمعون»؛ لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المُسمِع في أذن السامع، فالله تعالىٰ هو الذي أسمعهم بأنْ أبلغهم صوتَ النبي ﷺ [بذلك]. ا.هـ. [وقال السهيلي[٣]]: فإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالِمينَ جاز أن يكونوا سامعين، إما بآذان رؤوسهم إذا قلنا إن الروح تُعاد إلىٰ الجسد أو إلىٰ بعضه عند المُساءلة، وهو قول أكثر أهل السنَّة. وإما بأذن القلب أو الروح، علىٰ مذهب مَن يقول بتوجُّه السؤال إلىٰ الروح من غير رجوع إلىٰ الجسد أو إلىٰ بعضه. قال: وقد رُوي عن عائشة أنها احتجَّت بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ الآية [فاطر: ٢٢] وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ [الزخرف: ٤٠] أي إن الله هو الذي يهدي ويوفِّق ويوصل الموعظةَ إلىٰ آذان القلوب لا أنت، فإذًا لا تعلُّق بالآية من وجهين، أحدهما: أنها إنما نزلت في دعاء الكفار إلىٰ الإيمان. الثاني: أنه إنما نفىٰ عن نبيِّه أن يكون هو المُسمِع لهم، وصدق اللهُ، فإنه لا يُسمِعهم إذا شاء إلا هو، يفعل ما يشاء، وهو علىٰ كل شيء قدير. انتهىٰ.

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٨٧ ومسلم ١/ ٤١٤ عن عروة بن الزبير قال: ذُكر عند عائشة أن ابن عمر يرفع إلىٰ النبي ﷺ: «إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله عليه». فقالت: وهلَ، إنما قال رسول الله ﷺ: «إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن»، وذاك مثل قوله: إن رسول الله ﷺ قام علىٰ القليب يوم بدر وفيه قتلىٰ بدر من المشركين فقال لهم ما قال: «إنهم ليسمعون ما أقول». وقد وهلَ، إنما قال: «إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق». ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ يقول: حين تبوءوا مقاعدهم من النار.

(٢) لم أقف علىٰ هذا اللفظ عند أحمد ولا في سيرة ابن هشام من حديث عائشة، وإنما هو عندهما من حديث أنس بن مالك.

(٣) الروض الأنف ٥/ ١٧٥ - ١٧٦.

(والآية) المذكورة (نصٌّ في) بقاء (أرواح الشهداء) قال ابن عباس[١]: نزلت في قتلىٰ أُحُد، استشهد منهم سبعون رجلاً، أربعة من المهاجرين[٢]، وسائرهم من الأنصار. رواه الحاكم وصحَّحه. جعل الله أرواحم في أجواف طير خضر تَرِدُ أنهارَ الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلىٰ قناديل من ذهب [معلَّقة] في ظل العرش. رواه أحمد[٣] وأبو داود[٤] والبيهقي في الدلائل[٥] وابن جرير[٦] وابن المنذر[٧].

(ولا يخلو الميتُ من سعادة أو شقاوة، وقال ﷺ: **القبر إما حفرة من حُفَر النار أو روضة من رياض الجنة**) رواه الترمذي[٨] والطبراني من حديث أبي سعيد، لكن بتقديم الجملة الثانية علىٰ الأولىٰ. ورواه الطبراني[٩] أيضًا من حديث أبي هريرة، وسندهما ضعيف. ورواه البيهقي في كتاب عذاب القبر[١٠] من حديث ابن عمر بلفظ: «القبر حفرة من حُفَر جهنم ...» والباقي سواء. وقد تقدم في كتاب

---

(١) هذا الأثر ليس عن ابن عباس، وإنما هو عن أبي الضحىٰ مسلم بن صبيح، كذا رواه عنه سعيد بن منصور في تفسيره ٣/ ١١٠٣، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ١٥.

(٢) وهم: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان، وعبد الله بن جحش.

(٣) مسند أحمد ٤/ ٢١٨.

(٤) سنن أبي داود ٣/ ٢٢٢.

(٥) دلائل النبوة ٣/ ٣٠٤.

(٦) جامع البيان ٦/ ٢٢٨.

(٧) تفسير ابن المنذر ص ٤٩٠. وكلهم رووه مرفوعا من حديث ابن عباس بلفظ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلىٰ قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم. فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ الآية».

(٨) سنن الترمذي ٤/ ٢٤٨.

(٩) المعجم الأوسط ٨/ ٢٧٣.

(١٠) إثبات عذاب القبر ص ٥٥.

الرجاء والخوف.

(وهذا نصٌّ صريح في أن الموت معناه تغيُّر حالٍ فقط، وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجَّل عند الموت من غير تأخُّر، وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله.

وروىٰ أنس) رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ أنه قال: الموت القيامة، فمَن مات فقد قامت قيامته)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت بإسناد ضعيف، وقد تقدم. ورواه الديلمي[1] وابن لال في مكارم الأخلاق بلفظ: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامتُه». وقد تقدم في «أكثِروا ذِكر هاذم اللذَّات».

وروىٰ الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون: القيامة القيامة، وإنما قيامة الرجل موتُه[2].

(وقال ﷺ: إذا مات أحدكم عُرِض عليه مقعده غدوةً وعشيَّةً، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار) قال العراقي[3]: متفق عليه[4] من حديث ابن عمر.

قلت: وكذلك رواه الترمذي[5] وابن ماجه[6] **(و)** تمامه عندهم: **(يقال: هذا مقعدك حتىٰ يبعثك الله إليه يوم القيامة)** وفي لفظ لهم: «إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعده بالغَداة والعَشِيِّ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتىٰ يبعثك الله إليه يوم القيامة».

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٨٥، وتمامه: «فاعبدوا الله كأنكم ترونه، واستغفروه كل ساعة».

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ٢٣/ ٤٦٩، والدولابي في الكنىٰ والأسماء ص ٩٣٠.

(٣) المغني ٢/ ١٢٣١ - ١٢٣٢.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٤٢٣، ٢/ ٤٣١، ٤/ ١٩٤. صحيح مسلم ٢/ ١٣١٢.

(٥) سنن الترمذي ٢/ ٣٧١.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٥٤.

ورواه كذلك أيضًا الطيالسي[1] وأحمد[2] والنسائي[3] وأبو يعلىٰ[4] والطبراني[5]، فالبخاري والنسائي روياه من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر، ومن طريق الليث عن نافع. والترمذي وابن ماجه من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع. ومسلم من طريق الزهري عن سالم عن ابن عمر. وأبو يعلىٰ والطيالسي من طريق جُوَيرية عن نافع عن ابن عمر. والطبراني من طريق يحيىٰ بن سعيد عن نافع عن ابن عمر. ورواه هنَّاد في الزهد[6] بلفظ: «إن الرجل لَيُعرَض عليه مقعده من الجنة والنار غدوةً وعشيَّةً في قبره». ورواه اللالكائي في السنَّة[7] بلفظ: «ما من عبد يموت إلا وتُعرَض روحه ...» والباقي سواء.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] قال: فهم اليوم يُغدَىٰ بهم ويُراح إلىٰ أن تقوم الساعة.

(وليس يخفَىٰ ما في مشاهدة المقعدينِ من عذاب ونعيم في الحال) قال القرطبي[8]: قيل: هذا العرض مخصوص بالمؤمن الذي لا يعذَّب، وقيل: لا، ويحتمل أن المؤمن الذي يعذَّب يرىٰ مقعديه جميعًا في وقتين أو في وقت واحد، ثم قيل: هذا العرض إنما هو علىٰ الروح وحدها، ويجوز أن يكون عليها مع جزء من البدن، ويجوز أن يكون عليها مع جميع الجسد فترُدُّ إليه الروح كما تُرَدُّ عند

---

(١) مسند الطيالسي ٣/ ٣٧٠.

(٢) مسند أحمد ٨/ ٢٨٣، ٩/ ١٢٨، ١٠/ ١٥٤، ٢٤١.

(٣) سنن النسائي ص ٣٣٠.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ١٠/ ١٩٨.

(٥) المعجم الأوسط ٢/ ٢٥٥، ٨/ ١٣٤. المعجم الصغير ٢/ ١٤٢.

(٦) الزهد ١/ ٢٢٠.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ١١٢٩.

(٨) التذكرة ص ٤٢٦ - ٤٢٧.

المسألة.

(وعن أبي قيس) عبد[١] الرحمن بن ثابت، مولىٰ عمرو بن العاص، مات قديمًا سنة أربع وخمسين، روىٰ له الجماعة **(قال: كنا مع علقمة)** بن[٢] قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، مات بعد الستين، روىٰ له الجماعة **(في جنازة فقال: أما هذا فقد قامت قيامته)** رواه الطبراني من طريق سفيان عن أبي قيس قال: شهدتُ جنازة فيها علقمة، فلما دفن قال: أما هذا فقد قامت قيامتُه[٣].

(وقال علي كرَّم الله وجهه: حرامٌ علىٰ نفس أن تخرج من الدنيا حتىٰ تعلم) أنها **(من أهل الجنة هي أمْ من أهل النار)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية رجل لم يُسَمَّ عن علي موقوفًا، وكذلك رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف. وفي رواية: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتىٰ تعلم إلىٰ أين مصيرها إلىٰ الجنة أم إلىٰ النار. وتقدم للمصنف بلفظ: «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتىٰ يعلم أين مصيره، وحتىٰ يرىٰ مقعده من الجنة أو النار».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: مَن مات مريضًا مات شهيدًا، ووُقِي فَتَّانَي القبر، وغُدِيَ ورِيحَ عليه برزقه من الجنة)** قال العراقي[٤]: رواه ابن ماجه[٥] بسند ضعيف وقال: فتنة القبور. وقال ابن أبي الدنيا: فُتَّان.

قلت: وفي لفظ لابن ماجه: «فتنة القبر». وهكذا رواه أبو نعيم في الحلية[٦]

---

(١) تقريب التهذيب ص ١١٩٤. والصحيح أن المراد هنا عبد الرحمن بن ثروان الأودي، المتوفى سنة ١٢٠ هـ.

(٢) السابق ص ٦٨٩.

(٣) رواه الطبري في جامع البيان ٢٣/ ٤٦٩، والدولابي في الكنىٰ والأسماء ص ٩٣٠.

(٤) المغني ٢/ ١٢٣٢.

(٥) سنن ابن ماجه ٣/ ١٢٦.

(٦) حلية الأولياء ٨/ ٢٠١.

والبيهقي في الشعب[١].

قال القرطبي[٢]: هذا عامٌّ في جميع الأمراض، لكن يقيَّد بالحديث الآخَر: «مَن قتله بطنُه لم يعذَّب في قبره». رواه النسائي[٣] وغيره، والمراد به الاستسقاء، وقيل: الإسهال. والحكمة في ذلك أنه يموت حاضر العقل، عارفًا بالله تعالىٰ، فلم يحتجْ إلىٰ إعادة السؤال عليه، بخلاف مَن يموت بسائر الأمراض فإنهم تغيب عقولُهم.

قال السيوطي في شرح الصدور[٤]: لا حاجة إلىٰ شيء من هذا التقييد، فإن الحديث غلطَ فيه الراوي باتفاق الحفَّاظ، وإنما هو: «مَن مات مرابطًا»، لا: مَن مات مريضًا. وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات[٥] لأجل ذلك.

قلت: وقد رواه ابن ماجه[٦] أيضًا بهذا اللفظ: «مَن مات مرابطًا في سبيل الله أُجرِيَ عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل، وأُجرِيَ عليه رزقه، وأَمِنَ من الفُتَّان، وبعثه الله يوم القيامة آمنًا من الفزع». ورواه أحمد[٧] بلفظ: «مَن مات مرابطًا وُقِيَ فتنة القبر، وأومِنَ من الفزع الأكبر، وغُدِيَ عليه ورِيحَ برزقه من الجنة، وكُتِب له أجر المُرابِط إلىٰ يوم القيامة».

وروىٰ نحوه الحكيم[٨] من حديث سلمان: «مَن مات مرابطًا في سبيل الله

(١) شعب الإيمان ١٢/ ٣٠٢.
(٢) التذكرة ص ٤٢٤ - ٤٢٥.
(٣) سنن النسائي ص ٣٢٧ عن سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة.
(٤) شرح الصدور ص ١٤٨.
(٥) الموضوعات ٣/ ٢١٦ - ٢١٧.
(٦) سنن ابن ماجه ٤/ ٣١٦.
(٧) مسند أحمد ١٥/ ١٣٧.
(٨) نوادر الأصول ص ١٢١٨.

أُجيرَ من فتنة القبر، وجرىٰ عليه صالحُ عمله الذي كان يعمله إلىٰ يوم القيامة». ورواه البغوي[1] وابن حبان[2] وابن عساكر[3] بلفظ: «مَن مات مرابطًا في سبيل الله أمِنَ من عذاب القبر، ونما له أجره إلىٰ يوم القيامة».

وروىٰ مسلم[4] من حديث سلمان: «رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات أُجرِيَ عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه، وأمِنَ من الفتَّان».

وروىٰ الترمذي[5] وصحَّحه من حديث فَضالة بن عبيد: «كل ميت يُختَم علىٰ عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلىٰ يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر». وأخرجه أبو داود[6] بلفظ: «ويؤمَّن من فَتَّانَي القبر».

وروىٰ أحمد[7] والطبراني[8] من حديث عُقبة بن عامر: «كل ميت يُختَم علىٰ عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه يُجرَىٰ عليه أجر عمله حتىٰ يبعثه الله، ويؤمَّن من فتَّاني القبر».

وروىٰ البزار[9] من حديث عثمان: «مَن مات مرابطًا في سبيل الله أُجري عليه أجر عمله الصالح، وأُجري عليه رزقه، وأمِنَ من الفتَّان، ويبعثه الله تعالىٰ [يوم القيامة] آمنًا من الفزع الأكبر».

---

(١) معجم الصحابة ٣/ ١٦٩.

(٢) صحيح ابن حبان ١٠/ ٤٨٥.

(٣) تاريخ دمشق ٢٢/ ٤٥٦.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ٩٢٣.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٢٦٥.

(٦) سنن أبي داود ٣/ ٢١٢.

(٧) مسند أحمد ٢٨/ ٥٨٩، ٦٤٦.

(٨) المعجم الكبير ١٧/ ٣٠٨.

(٩) مسند البزار ١٥/ ١١٠ - ١١١ عن عثمان بن عفان وأبي هريرة معا.

وروىٰ الطبراني في الأوسط(١) من حديث أبي سعيد الخدري: «مَن توفِّي مرابطًا وُقي فتنة القبر وأُجري عليه رزقه».

فهذه الأحاديث التي سردناها دالَّة علىٰ أن الصواب من الحديث المتقدم: من مات مرابطًا، لا: مريضًا.

(**وقال مسروق**) ابن الأجدع الهَمْداني التابعي الثقة، اسمه عبد الرحمن (**ما غبطت أحدًا ما غبطت مؤمنًا في اللحد، قد استراح من نَصَب الدنيا وأمِنَ من عذاب الله**) رواه ابن المبارك في الزهد(٢) وابن أبي الدنيا في الموت، وهذا لفظ الأخير، ولفظ ابن المبارك: ما غبطت شيئًا بشيء كمؤمن في لحده قد أمِنَ من عذاب الله واستراح من أذىٰ الدنيا. ورواه ابن أبي شيبة(٣) عن وكيع، عن مسعر، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن مسروق قال: ما من شيء خيرٌ للمرء من لحدٍ، قد استراح فيه من هموم الدنيا وأمِنَ من عذاب الله. هكذا رواه أبو نعيم في الحلية(٤) من طريقه. وفي رواية: ما من شيء خير للمؤمن.

وقد رُوي نحو هذا القول عن عمر بن عبد العزيز، رواه أبو نعيم في الحلية(٥). وعن أبي عطية المذبوح، رواه ابن المبارك في الزهد(٦)، ولفظه: أنا أخبركم عمَّن هو أنعم منه، جسدٌ في لحد قد أمِنَ من العذاب.

وقد تقدم شيء من ذلك في فضل الموت.

(**وقال يعلىٰ بن الوليد: كنت أمشي يومًا مع أبي الدرداء**) رضي الله عنه (**فقلت له: ما تحب**

(١) المعجم الأوسط ٦/ ٣١٧.
(٢) الزهد والرقائق ص ١١٥.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٤٦.
(٤) حلية الأولياء ٢/ ٩٧.
(٥) السابق ٥/ ٢٦٩، ولفظه: «ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلىٰ هذه القبور وقد أمن عذاب الله».
(٦) الزهد والرقائق ص ١١٥.

لمَن تحب؟ قال: الموت. قلت: فإن لم يمُتْ؟ قال: يقلُّ ماله وولدُه) رواه ابن سعد في الطبقات[١] وابن أبي شيبة في المصنَّف[٢] وأحمد في الزهد[٣]. قال ابن أبي شيبة: حدثنا محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن غيلان بن بشير، عن يعلَىٰ بن الوليد قال: كنت أمشي مع أبي الدرداء، قال: قلت: يا أبا الدرداء ... فذكره.

(**وإنما أحَبَّ الموتَ لأنه لا يحبه إلا المؤمن**) ولذلك كان غنيمته كما في حديث عائشة، وتحفته كما في حديث عبد الله بن عمرو (و) لمَّا كانت الدنيا سجن المؤمن كان (**الموت إطلاق المؤمن من السجن**) وقد روىٰ ابن أبي الدنيا أنه قيل لعبد الأعلىٰ التيمي: ما تشتهي لنفسك ولمَن تحب من أهلك؟ قال: الموت (**وإنما أحب قلةَ المال والولد لأنه فتنة وسبب للأنس بالدنيا، والأنس بمَن لا بد من فراقه غاية الشقاء، فكل ما سوىٰ الله وذِكرِه والأنس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة**) وقد روىٰ ابن أبي شيبة[٤] عن عبادة بن الصامت قال: أتمنَّىٰ لحبيبي أن يقلَّ ماله ويعجِّل موته.

وروىٰ ابن السكن في المعرفة[٥] من حديث زُرعة بن عبد الله: «يحب الإنسان الحياة، والموت خيرٌ لنفسه. ويحب الإنسان كثرة المال، وقلة المال أقل للحساب».

وروىٰ أحمد في الزهد[٦] من حديث محمود بن لبيد: «اثنتان يكرههما ابنُ آدم: يكره الموت، والموت خيرٌ له من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقلُّ للحساب».

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٣٩٦.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٨٧.

(٣) الزهد ص ١١٥.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٣٥.

(٥) وكذلك البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٤٦.

(٦) بل في المسند ٣٩/ ٣٦.

(ولهذا قال عبد الله بن عمرو) بن العاص ﷺ: **(إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو)** قال **(روحه)** شكٌّ من الراوي **(مثل رجل كان في سجن فأُخرِج منه فهو يتفسَّح في الأرض ويتقلَّب فيها)** رواه ابن المبارك في الزهد[1] بلفظ: الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأُخرِج منه فجعل يتقلَّب في الأرض ويتفسَّح فيها.

وقال ابن أبي شيبة في المصنَّف[2]: حدثنا غُنْدَر [عن شعبة] حدثنا يعلَىٰ بن عبيد، عن يحيىٰ بن قَمْطة، عن عبد الله بن عمرو قال: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فإذا مات المؤمن يُخلَىٰ به يسرح حيث شاء.

(وهذا الذي ذكره حالُ مَن تجافَىٰ عن الدنيا وتبرَّم بها، ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالىٰ، وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه، ومقاساة الشهوات تؤذيه، فكان في الموت خلاصُه من جميع المؤذيات، وانفراده بمحبوبه الذي كان به أنسُه من غير عائق ولا دافع، وما أجدر ذلك بأن يكون منتهَىٰ النعيم واللذات).

(وأكملُ اللذَّاتِ للشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله) فقد روىٰ النسائي[3] وابن أبي الدنيا[4] والطبراني[5] من حديث عُبادة بن الصامت: «ما علىٰ الأرض من نفس تموت ولها عند الله خيرٌ تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يحب أن يرجع فيُقتَل مرةً أخرىٰ؛ لِما يرىٰ من ثواب الله له» **(لأنهم ما أقدموا علىٰ القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا، مشتاقين إلىٰ لقاء الله، راضين بالقتل في طلب مرضاته، فإن نظر إلىٰ الدنيا فقد باعها طوعًا بالآخرة، والبائع لا**

---

(١) الزهد والرقائق ص ١٩٩.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١١٦.

(٣) سنن النسائي ص ٤٨٨.

(٤) كتاب المتمنين ص ٢٤.

(٥) المعجم الأوسط ١/ ١٢٥.

يلتفت قلبه إلىٰ المبيع، وإن نظر إلىٰ الآخرة فقد اشتراها وتشوَّق إليها، فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه! وما أقل التفاته إلىٰ ما باعه إذا فارقه، وتجرُّد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الأحوال، ولكن لا يدركه الموتُ عليه فيتغيَّر، والقتال سبب للموت، فكان سببًا لإدراك الموت علىٰ مثل هذه الحالة) وقد روىٰ أبو نعيم في الحلية[1] من طريق أبي المخارق، عن عبد الله بن عمرو قال: ألا أخبركم بأفضل الشهداء عند الله منزلةً يوم القيامة؟ الذين يلقون العدوَّ وهم في الصف الأول، فإذا واجهوا عدوَّهم لم يلتفت يمينًا ولا شمالاً، واضعٌ سيفه علىٰ عاتقه، يقول: اللهم إني اخترتك اليوم بما أسلفتُ في الأيام الخالية. فيُقبِل فيُقتَل علىٰ ذلك، فذلك من الشهداء الذين يتلبطون في الغُرَف العُلَىٰ من الجنة حيث شاؤوا **(فلهذا عظُمَ النعيم؛ إذ معنىٰ النعيم أن ينال الإنسان ما يريده، قال الله تعالىٰ: ولهم فيها ما يشتهون)** كذا في النسخ، والتلاوة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١] **(فكان هذا أجمع عبارة لمعاني لذَّات الجنة، وأعظم العذاب أن يُمنَع الإنسان عن مراده، كما قال تعالىٰ:** ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] **فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم، وهذا النعيم يدركه الشهيد، كما انقطع نفسه من غير تأخير، وهذا أمرٌ انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين، وإن أردتَ عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه)** دلالةً صريحة أو ضِمنية (و) كذا **(كل حديث يشتمل علىٰ التعبير عن منتهَىٰ نعيمهم بعبارة أخرىٰ، فقد رُوي عن عائشة ﵂ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر)** ابن عبد الله الأنصاري ﵁: **(ألا أبشِّرك يا جابر؟ وقد كان استشهد أبوه)** عبد[2] الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي، معدود في أهل العَقَبة وبدر، وكان من النُّقَباء، واستشهد **(يوم أُحُد. قال: بلىٰ، بشَّرك الله بالخير. قال: إن الله قد أحيا أباك فأقعده بين يديه فقال: تَمَنَّ عليَّ عبدي ما شئتَ**

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٩١.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ١٧٤.

أعطيكه. قال: يا رب، ما عبدتُك حقَّ عبادتك، أتمنَّىٰ عليك أن تردَّني إلىٰ الدنيا فأقاتل مع نبيِّك فأُقتَل فيك مرةً أخرىٰ. قال له: إنه قد سبق مني أنك إليها لا ترجع) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت بإسناد فيه ضعفٌ، وللترمذي[٢] وحسَّنه وابن ماجه[٣] من حديث جابر: «ألا أبشِّرك بما لقي اللهُ به أباك»؟ قال: بلىٰ يا رسول الله ... الحديث، وفيه: «فقال: يا عبدي، تمنَّ عليَّ أُعطِك. قال: يا رب، تحييني فأُقتَل فيك ثانيةً. قال الرب سبحانه: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون».

قلت وكذلك رواه البيهقي في الدلائل[٤] وابن مردويه في التفسير، ولفظهم جميعًا: عن جابر قال: لقيني النبيُّ ﷺ فقال: «يا جابر، ما لي أراك منكسرًا»؟ قلت: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالاً ودَينًا. فقال: «ألا أبشِّرك بما لقي اللهُ به أباك»؟ قال: بلىٰ. قال: «ما كلَّم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلَّمه كِفاحًا وقال: يا عبدي، تمنَّ عليَّ أُعطِك. قال: يا رب، تحييني فأُقتَل فيك ثانيةً. قال الرب تعالىٰ: قد سبق مني أنهم لا يرجعون. قال: أيْ رب، فأبلِغْ مَن ورائي. فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩].

وأما حديث عائشة فرواه كذلك الحاكم في المستدرك[٥] بلفظ: «ألا أبشِّرك؟ أشعرتَ أن الله أحيا أباك ...» فساقه سياقَ ابن أبي الدنيا وصحَّحه، وتعقَّبه الذهبيُّ.

وروىٰ مالك في الموطأ[٦] عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٢.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ١١٠.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ١٩٠، ٤/ ٣٣٧.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٢٤٣، وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: فيض بن وثيق كذاب.

(٦) الموطأ ٢/ ٤٧٠.

ابن الجَمُوح وعبد الله بن عمرو بن حرام كانا قد حفر السيل عن قبرهما، وكانا في قبر واحد مما يلي السيلَ، فحُفِرَ عنهما فوُجِدا لم يتغيَّرا كأنَّهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما وضع يده على جرحه، فدُفِن وهو كذلك، فأُميطتْ يده عن جرحه ثم أُرسِلت فرجعت كما كانت، وكان بين الوقتين ثنتا وأربعون سنة[1].

(**وقال كعب**) الأحبار رحمه الله تعالىٰ: (**يوجد رجل في الجنة يبكي، فيقال له: لِمَ تبكي وأنت في الجنة؟ قال: أبكي لأني لم أُقتَل في الله إلا قتلة واحدة، فكنت أشتهي أن أُرَدَّ فأُقتَل فيه قتلات**) رواه ابن أبي الدنيا[2] في الموت.

(**واعلمْ أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله**) وعظمته (**ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والمضيق، ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فُتِح له باب إلىٰ بستان واسع الأكناف**) بعيد الأقطار (**لا يبلغ طرفُه أقصاه، فيه أنواع الأشجار والأزهار والطيور والثمار، فلا يشتهي العَوْدَ إلىٰ السجن**) الضيق (**المظلم**) وقد نقل ابن القيم في كتاب الروح[3] أن للنفس أربع دُورٍ، كل دار أعظم من التي قبلها، الأولىٰ: بطن الأم، وذلك محل الحصر والضِّيق [والغم] والظلمات الثلاث. الثانية: هذه الدار التي نشأتَ فيها وألفتَها واكتسبت فيها الخير والشر. الثالثة: دار البرزخ، وهي أوسع من هذه الدار وأعظم، ونسبة هذه الدار إليها كنسبة الدار الأولىٰ إلىٰ هذه. الرابعة [الدار] التي لا دار بعدها: دار القرار الجنة أو النار. ولها في كل دار من هذه الدُّور حكمٌ وشأن غير شأن الأخرىٰ.

(**وقد ضرب له رسول الله ﷺ مثلاً فقال لرجل مات: أصبح هذا مرتحلاً عن الدنيا وتركها لأهلها، فإن كان قد رضي فلا يسرُّه أن يرجع إلىٰ الدنيا، كما لا**

---

(١) في الموطأ: «وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة».

(٢) ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٤٤، وفيه: «فأقتل فيه ثلاث قتلات».

(٣) الروح ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

يسرُّ أحدَكم أن يرجع إلىٰ بطن أمه) قال العراقي[(١)]: رواه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلاً، ورجاله ثقات.

قلت: وكذلك عزاه السيوطي في شرح الصدور[(٢)] لابن أبي الدنيا، ولفظه: قال عمرو بن دينار: إن رجلاً مات، فقال رسول الله ﷺ: «أصبح هذا مرتحلاً ...» فذكره.

(فعرَّفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلىٰ الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلىٰ ظلمة الرحم) وعالَم البرزخ داخل في الآخرة.

(وقال ﷺ: إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه، إذا خرج من بطنها بكىٰ علىٰ مَخرجه، حتىٰ إذا رأىٰ الضوء ورضع لم يحبَّ أن يرجع إلىٰ مكانه، وكذلك المؤمن يجزع من الموت، فإذا أفضىٰ إلىٰ ربِّه لم يحبَّ أن يرجع إلىٰ الدنيا، كما لا يحب الجنين أن يرجع إلىٰ بطن أمه) قال العراقي[(٣)]: رواه ابن أبي الدنيا في الموت من رواية بقية عن جابر بن غانم السلفي عن سليم بن عامر الخبائري مرسلاً هكذا.

قلت: بقية[(٤)] بن الوليد الكَلاعي من رجال مسلم، صدوق، كثير التدليس عن الضعفاء.

وجابر[(٥)] بن غانم السُّلَفي، بضم السين المهملة وفتح اللام، نسبة إلىٰ السُّلَف: بطن من الكَلاع[(٦)]. روىٰ عن سليم بن عامر وأسد بن وداعة، وعنه يحيىٰ بن صالح الوحاظي وبقية، وكان ينزل حَماة.

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٢.

(٢) شرح الصدور ص ٢٥٦.

(٣) المغني ٢/ ١٢٣٣.

(٤) تقريب التهذيب ص ١٧٤.

(٥) لباب الأنساب لابن الأثير ٢/ ١٢٦.

(٦) والكلاع بطن من حمير.

وسُلَيم[(١)] بن عامر الكَلاعي، ويقال له: الخَبائري، بخاء معجمة وموحدة، أبو يحيىٰ الحِمصي، ثقة، تابعي، روىٰ له مسلم والأربعة، قال أبو حاتم في المراسيل: روىٰ عن عوف بن مالك مرسلاً، ولم يدرك المقداد بن الأسود ولا عمرو بن عبسة[(٢)]. وأرخوا وفاته سنة ثلاثين ومائة.

وممَّا يقوِّي هذا المرسَل ما رواه الحكيم في نوادره[(٣)] من حديث أنس: «ما شبَّهتُ خروج المؤمن من الدنيا إلا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلىٰ روح الدنيا».

(وقيل لرسول الله ﷺ: إن فلانًا قد مات. فقال: مستريح أو مُستراح منه) قال العراقي[(٤)]: متفق عليه[(٥)] من حديث أبي قتادة بلفظ: مُرَّ عليه بجنازة فقال ذلك. وهو عند ابن أبي الدنيا في الموت باللفظ الذي أورده المصنِّف. ا.هـ.

قلت: ورواه كذلك مالك[(٦)] وأحمد[(٧)] وعبد بن حميد[(٨)] والترمذي بلفظ: كنا مع رسول الله ﷺ إذ مرَّت جنازة، فقال: «مستريح أو مُستراح منه ...» الحديث.

(أشار بالمستريح إلىٰ المؤمن، وبالمستراح منه إلىٰ الفاجر؛ إذ يستريح أهل الدنيا منه) قلت: هو في حديث أبي قتادة عند الشيخين: قالوا: يا رسول الله، ما

---

(١) تهذيب الكمال ١١/ ٣٤٤ - ٣٤٦. تقريب التهذيب ص ٤٠٤. الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٣٧.

(٢) نص ابن أبي حاتم في المراسيل ص ٨٥: «سمعت أبي يقول: سليم بن عامر لم يدرك عمرو بن عبسة ولا المقداد بن الأسود». وقال في الجرح والتعديل ٤/ ٢١١: «روىٰ عن أبي الدرداء وأبي أمامة، وروىٰ عن عوف بن مالك مرسل، لم يلقه».

(٣) نوادر الأصول ص ٢٢٢. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٢٣ من قول سفيان الثوري.

(٤) المغني ٢/ ١٢٣٣.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ١٩٣ - ١٩٤. صحيح مسلم ١/ ٤٢٣.

(٦) الموطأ ١/ ٢٤١.

(٧) مسند أحمد ٣٧/ ٢٢٢، ٢٦٩، ٢٨٢.

(٨) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ١٩٢.

المستريح والمستراح منه؟ فقال: «العبد المؤمن يستريح من نَصَب الدنيا وأذاها إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، والفاجر يستريح منه العِباد والبلاد والشجر والدواب».
وعند النسائي[١] من حديث أبي قتادة: «المؤمن يموت فيستريح من أوصاب الدنيا ونَصَبها وأذاها، والفاجر [يموت] فيستريح منه العِباد والبلاد والشجر والدواب».

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[٢] عن يزيد بن أبي زياد قال: مُرَّ بجنازة علىٰ أبي جُحَيفة فقال: استراح واستُرِيحَ منه.

(وقال أبو عمر صاحب السُّقيا: مرَّ بنا) عبد الله **(ابن عمر)** رضي الله عنه **(ونحن صبيان، فنظر إلىٰ قبر، فإذا جمجمة بادية، فأمر رجلاً فواراها ثم قال: إنَّ هذه الأبدان ليس يضرُّها هذا الثرىٰ شيئًا، وإنما الأرواح التي تعاقَب وتُثاب إلىٰ يوم القيامة)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور أنه نزل ابن عمر إلىٰ جانب قبور قد درست، فإذا جمجمة ... الخ.

ونحو ذلك ما رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٣] وابن أبي الدنيا في كتاب العزاء عن صفيَّة بنت شيبة قالت: كنت عند أسماء بنت أبي بكر حين صلب الحجاجُ ابنَها عبد الله بن الزبير، فأتاها ابن عمر يعزِّيها [فيه] فقال: يا هذه، اتَّقي الله واصبري، فإن هذه الجثث ليست بشيء، وإنما الأرواح عند الله. قالت: وما يمنعني من الصبر وقد أُهديَ رأس يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام إلىٰ بغيٍّ من بَغايا بني إسرائيل.

وروىٰ سعيد بن منصور في سننه أن ابن عمر عزَّاها فقال: لا تحزني، فإن الأرواح عند الله تعالىٰ في السماء، وإنما هذه جثَّة.

وروىٰ ابن سعد في الطبقات[٤] عن خالد بن معدان قال: لمَّا انهزمت الروم

---

(١) سنن النسائي ص ٣٠٩ - ٣١٠.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٤٠.
(٣) السابق ١٠/ ١٧٩، ٤٤٢.
(٤) الطبقات الكبرىٰ ٤/ ١٨٠.

يوم أجنادين انتهوا إلىٰ موضع لا يعبره إلا إنسان إنسان، فجعلت الروم تقاتل عليه، فتقدَّم هشام بن العاص فقاتلهم حتىٰ قُتل ووقع علىٰ تلك الثلمة فسدَّها، فلما انتهىٰ المسلمون إليها هابوا أن يوطئوه الخيلَ، فقال عمرو بن العاص: إن الله قد استشهده ورفع روحه، وإنما هو جثَّة، فأوطئوه الخيلَ. ثم أوطأه هو وتبعه الناسُ حتىٰ قطَّعوه.

ورواه الواقدي كذلك وزاد: ثم جمعه عمرو بعد ذلك في نِطْع فواراه.

قال السيوطي في شرح الصدور[1]: قال ابن رجب[2]: هذه الآثار لا تدل علىٰ أن الأرواح لا تتصل بالأبدان بعد الموت، إنما تدل علىٰ أن الأجساد لا تتضرَّر بما ينالها من عذاب الناس لها ومن أكلِ التراب لها، فإن عذاب القبر ليس من جنس عذاب الدنيا، وإنما هو نوع آخر يصل إلىٰ الميت بمشيئة الله تعالىٰ [وقدرته].

(**وعن عمرو**[3] **بن دينار**) المكِّي، أبو محمد الأثرم الجُمَحي مولاهم، ثقة ثبت، مات سنة ست وعشرين ومائة، روىٰ له الجماعة (**قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده، وإنهم ليغسِّلونه ويكفِّنونه وإنه لَينظرُ إليهم**) رواه أبو نعيم في الحلية. وسيُذكَر قريبًا نحوه من حديث أبي سعيد الخدري وغيره. وقد ورد ما يدل علىٰ أن ذلك للشهيد خاصةً، فأخرج ابن منده[4] من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن حيَّان بن جبلة قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشهيد إذا استشهد أنزل الله له جسدًا كأحسن جسد كان، ثم يقال لروحه: ادخلي

---

(١) شرح الصدور ص ٢٠١.

(٢) أهوال القبور ص ١٣٩.

(٣) تقريب التهذيب ص ٧٣٤.

(٤) ورواه ابن المبارك في الجهاد ص ٩٢ بلفظ: «إذا استشهد الشهيد أخرج الله له جسدا كأحسن جسد، ثم أمر بروحه فأدخل فيه، فينظر إلىٰ جسده الذي خرج منه كيف يُصنع به، وينظر إلىٰ من حوله ممن يتحزن عليه، فيظن أنهم يسمعونه أو يرونه، فينطلق إلىٰ أزواجه».

فيه. فينظر إلىٰ جسده الأول ما يُفعَل به، ويتكلم فيظن أنهم يسمعون كلامه، وينظر إليهم فيظن أنهم يرونه، حتىٰ تأتيه أزواجه - يعني من الحور العِين - فيذهبن به».

(وقال مالك بن أنس) رحمه الله تعالىٰ: **(بلغني أن أرواح المؤمنين مرسَلة تذهب حيث شاءت)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن خالد بن خِداش: سمعت مالك بن أنس يقول ذلك. ورواه ابن منده من طريقه فقال: أخبرنا الحسين ابن محمد، أخبرنا محمد بن أحمد بن عمر، أخبرنا ابن أبي الدنيا ... فذكره[١].

ومسألة مستقَرِّ أرواح المؤمنين بعد مفارقتها الأجساد مشهورة مختلَف فيها، وهذا أحد الأقوال، ورُوي نحو هذا القول عن سلمان ﷺ قال: أما المؤمنون فإن أرواحهم في الجنة، وهي تذهب حيث شاءت. رواه البيهقي في البعث[٢].

وفي لفظ: إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت. رواه ابن المبارك في الزهد[٣].

وفي لفظ: إن أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتىٰ يردَّها الله إلىٰ أجسادها[٤].

(وقال النعمان بن بشير) الأنصاري ﷺ: **(سمعت رسول الله ﷺ علىٰ المنبر يقول: ألا إنه لم يبقَ من الدنيا إلا مثل الذباب تمور)** أي تضطرب **(في جوِّها)** وهو

(١) وأورده ابن عبد البر في الاستذكار ٨/ ٣٦١.

(٢) البعث والنشور ص ١٥٥ عن سعيد بن المسيب قال: إن سلمان الفارسي وعبد الله بن سلام التقيا، فقال أحدهما لصاحبه: إن لقيت ربك قبلي فأخبرني ماذا لقيت منه. فقال أحدهما لصاحبه: أو يلقىٰ الأحياء الأموات؟ قال: نعم، أما المؤمنون فإن أرواحهم في الجنة، وهي تذهب حيث شاءت. فتوفي أحدهما قبل صاحبه، فلقيه في المنام، فكأنه سأله، فقال الميت: توكل وأبشر، فلم أرَ مثل التوكل قط».

(٣) الزهد والرقائق ص ١٥١، وزاد: ونفس الكافر في سجين.

(٤) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٦٧٠.

ما بين السماء والأرض (**فالله الله في إخوانكم من أهل القبور، فإن أعمالكم تُعرَض عليهم**) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا وأبو بكر ابن لال من رواية مالك بن أدَّىٰ عن النعمان من قوله: الله الله. ورواه بكماله الأزديُّ في الضعفاء وقال: لا يصح إسناده. وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل[٢] بكماله في ترجمة أبي إسماعيل السكوني عن مالك بن أدىٰ، ونقل عن أبيه أن كلاً منهما مجهول، وقد ذكر ابن حبان في الثقات[٣]: مالك بن أدَّىٰ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[٤] وكذا الحكيم في النوادر[٥] والبيهقي في الشعب[٦]، كلهم عن النعمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الله اللهَ في إخوانكم من أهل القبور، فإن أعمالكم تُعرَض عليهم». ورواه بكماله أيضًا الحكيم وابن لال[٧].

ووقع في نسخة الكمال الدميري: «إلا مثل الذباب يمر في قِيٍّ». وعلىٰ الهامش: القِيُّ: الأرض القفر الخالية[٨].

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال النبي ﷺ: لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم، فإنها تُعرَض علىٰ أوليائكم من أهل القبور**) قال العراقي[٩]: رواه ابن أبي

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٣.

(٢) الجرح والتعديل ٩/ ٣٣٦.

(٣) الثقات ٥/ ٣٨٨.

(٤) المنامات ص ٦.

(٥) نوادر الأصول ص ٦٧٠.

(٦) شعب الإيمان ١٢/ ٤٧١.

(٧) وهو عند الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٠٧، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورده الذهبي وقال: فيه مجهولان.

(٨) انظر: تاج العروس ٣٩/ ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٩) المغني ٢/ ١٢٣٣ - ١٢٣٤.

الدنيا[١] والمحاملي بإسناد ضعيف. ولأحمد[٢] من رواية مَن سمع أنسًا عن أنس: «إن أعمالكم تُعرَض علىٰ أقاربكم وعشائركم من الأموات ...» الحديث.

قلت: حديث أبي هريرة رواه أيضًا الديلمي في مسند الفردوس[٣] والأصبهاني في الترغيب[٤].

وأما حديث أنس فرواه أيضًا الحكيم في النوادر[٥] وابن منده في كتاب الأحوال، وتمامه: «فإن كان خيرًا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تُمِتْهم حتىٰ تهديهم كما هديتنا».

ونحو ذلك ما رواه الطيالسي في مسنده[٦] من حديث جابر بن عبد الله: «إن أعمالكم تُعرَض علىٰ عشائركم وأقاربكم في قبورهم، فإن كان خيرًا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهِمْهم أن يعملوا بطاعتك».

وروىٰ ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن أبي أيوب قال: تُعرَض أعمالكم علىٰ الموتىٰ، فإن رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا، وإن رأوا سوءًا قالوا: اللهم راجِعْ به[٧].

وروىٰ الحكيم في النوادر[٨] من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده رفعه: «تُعرَض الأعمال يوم الاثنين والخميس علىٰ الله تعالىٰ، وتُعرَض علىٰ

---

(١) المنامات ص ٧.

(٢) مسند أحمد ٢٠/ ١١٤.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٢٩.

(٤) الترغيب والترهيب ١/ ١٤٢.

(٥) نوادر الأصول ص ٦٧١.

(٦) مسند الطيالسي ٣/ ٣٤٠.

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٨ مختصرا، ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٥٥ مطولاً.

(٨) نوادر الأصول ص ٦٧١.

الأنبياء وعلىٰ الآباء والأمَّهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا، فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم».

وروىٰ ابن أبي الدنيا وابن منده وابن عساكر(١) عن أحمد بن عبد الله بن أبي الحواري قال: حدثني أخي محمد بن عبد الله قال: دخل عَبَّادٌ الخَوَّاص علىٰ إبراهيم بن صالح الهاشمي وهو أمير فلسطين، فقال له إبراهيم: عِظْني. فقال: قد بلغني أن أعمال الأحياء تُعرَض علىٰ أقاربهم من الموتىٰ، فانظر ما يُعرَض علىٰ رسول الله ﷺ من عملك.

(**ولذلك قال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزىٰ به عند عبد الله بن رواحة**) بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري، أحد السابقين، رضي الله عنه (**وكان قد مات**) شهيدًا بمؤتة، وكان ثالث الأمراء بها في جمادىٰ الأولىٰ سنة ثمان، وتأخر أبو الدرداء إلىٰ خلافة عثمان (**وهو خاله**) أخو أمه. وأبو الدرداء اسمه عويمر، وهو ابن عامر بن قيس بن أميَّة بن عامر بن عديٍّ بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، وقال خليفة بن خياط(٢): أم أبي الدرداء محبة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مَناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج. وهذا القول قد رواه ابن المبارك في الزهد(٣) والأصبهاني في الترغيب(٤) عن أبي الدرداء أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً يخزىٰ به عبد الله بن رواحة. وكان يقول: إن أعمالكم تُعرَض علىٰ موتاكم فيُسَرُّون ويُساؤون.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب الموت(٥) عنه أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي عبد الله بن رواحة إذا لقيتُه.

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٤٤٦ - ٤٤٧.
(٢) طبقات خليفة ص ١٦٥، ٣٠٣.
(٣) الزهد والرقائق ص ٤٦٨.
(٤) الترغيب والترهيب ١/ ١٤٢ - ١٤٣.
(٥) ورواه أيضا في المنامات ص ١٠.

وفي الباب ما رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف(١) والحكيم في النوادر(٢) وابن أبي الدنيا(٣) عن إبراهيم بن ميسرة قال: غزا أبو أيوب القسطنطينيةَ، فمرَّ بقاصٍّ وهو يقول: إذا عملَ العبدُ العملَ في صدر النهار عُرِض علىٰ معارفه إذا أمسىٰ من أهل الآخرة، وإذا عمل العبد العمل في آخر النهار عُرِض علىٰ معارفه إذا أصبح من أهل الآخرة. فقال أبو أيوب: اللهم إني أعوذ بك أن تفضحني عند عُبادة بن الصامت وسعد بن عبادة بما عملتُ بعدهما. فقال القاصُّ: واللهِ لا يكتب الله ولايتَه لعبد إلا ستر عوراته وأثنىٰ عليه بأحسن عمله.

وروىٰ ابن المبارك في الزهد(٤) عن عثمان بن عبد الله بن أوس أن سعيد بن جبير قال له: استأذِنْ لي علىٰ ابنة أخي. وهي زوجة عثمان، وهي ابنة عمرو بن أوس، فاستأذن له عليها، فدخل، فقال: كيف يفعل بك زوجُك؟ قالت: إنه إليَّ لَمحسنٌ فيما استطاع. فقال: يا عثمان، أحسِنْ إليها، فإنك لا تصنع بها شيئًا إلا جاء عمرَو بن أوس. فقلت: وهل يأتي الأمواتَ أخبارُ الأحياء؟ قال: نعم، ما من أحد له حميم إلا وتأتيه أخبارُ أقاربه، فإن كان خيرًا سُرَّ به وفرح وهنئ به، وإن كان شرًّا ابتأسَ وحزنَ.

(وسُئل عبد الله بن عمرو بن العاص) ﷺ **(عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين)** تكون **(هي؟ قال: في صور طير بِيض في ظل العرش، وأرواح الكافرين في الأرض السابعة)** رواه ابن أبي الدنيا في الموت وابن المبارك في الزهد(٥)، إلا أن الأخير

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٧٥.

(٢) نوادر الأصول ص ٦٧٢.

(٣) الأولياء ص ٢١.

(٤) الزهد والرقائق ص ١٥٦. وزاد في آخره: «حتىٰ إنهم يسألون عن الرجل قد مات فيقال: ألم يأتكم؟ فيقولون: لقد خولف به إلىٰ أمه الهاوية».

(٥) السابق ص ٤٦٧.

قال: في صور طير. وزاد(١) ابن أبي الدنيا بعد قوله «السابعة»: فإذا مات المؤمن مُرَّ به علىٰ المؤمنين وهم في أندية، فيسألونه عن بعض أصحابهم، فإن قال: مات، قالوا: سُفِل به، وإذا كان كافرًا هُوِيَ به إلىٰ الأرض السافلة، فيسألونه عن الرجل، فإن قال: مات، قالوا: عُلِيَ به.

اعلمْ أن الأخبار الواردة في مقرِّ الأرواح بعد الموت كثيرة، وفيها اختلاف، فمنها في أرواح المؤمنين عامةً، ومنها في الشهداء منهم خاصةً، ومنها في ولدان المؤمنين وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحِنثَ، ومنها في أرواح الكفار. فالوارد في أرواح المؤمنين عامةً هذا القول عن عبد الله بن عمرو أنها في صور طير بِيض في ظل العرش، وقول مالك السابق: إنها مرسلة تذهب حيث شاءت.

ونحو قول ابن عمرو ما رواه ابن منده والطبراني وأبو الشيخ عن ضمرة بن حبيب مرسلاً قال: سُئل النبي ﷺ عن أرواح المؤمنين، فقال: «في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت». قالوا: يا رسول الله، وأرواح الكفار؟ قال: «[محبوسة] في سِجِّين».

وروىٰ البيهقي في البعث(٢) والطبراني(٣) وأبو نعيم(٤) عن عبد الله بن عمرو قال: «الجنة مطويَّة في قرون الشمس، تُنشَر في كل عام مرتين، وأرواح المؤمنين في طير كالزرازير تأكل من ثمر الجنة». وأخرجه ابن منده عنه مرفوعًا، وأخرجه الخَلاَّل عنه موقوفًا بلفظ: أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر كالزرازير، يتعارفون فيها ويُرزَقون من ثمرها.

وروىٰ ابن منده عن أم كبشة بنت المعرور قالت: دخل علينا النبي ﷺ، فسألناه عن هذه الأرواح، فوصفها صفةً، لكنه أبكىٰ أهلَ البيت، فقال: «إن أرواح

---

(١) هذه الزيادة عند ابن المبارك أيضا.

(٢) البعث والنشور ص ١٥٤.

(٣) المعجم الكبير ١٣/ ٣٥٠.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٩٠.

المؤمنين في حواصل طير خضر ترعىٰ في الجنة، وتأكل من ثمارها، وتشرب من مياهها، وتأوىٰ إلىٰ قناديل من ذهب تحت العرش، يقولون: ربَّنا ألحِقْ بنا إخوانَنا وآتِنا ما وعدتنا. وإن أرواح الكفار في حواصل طير سود تأكل من النار، وتشرب من النار، وتأوي إلىٰ جُحْر في النار، يقولون: ربَّنا لا تُلحِق بنا إخوانَنا ولا تؤتِنا ما وعدتنا»[١].

ويقرُب من ذلك ما رواه مالك في الموطأ[٢] وأحمد[٣] والنسائي[٤] بسند صحيح عن كعب بن مالك رفعه: «إنما نَسَمة المؤمن طائر يَعلق في شجر الجنة حتىٰ يرجعه اللهُ إلىٰ جسده يوم يُبعَث».

وروىٰ أحمد[٥] والطبراني[٦] بسند حسن عن أم هانئ أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرىٰ بعضُنا بعضًا؟ فقال ﷺ: «تكون النَّسَم طيرًا تَعلق بالشجر، حتىٰ إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها».

وروىٰ ابن سعد[٧] من طريق محمود بن لبيد عن أم بشر بنت البراء أنها قالت:

---

(١) رواه أبو نعيم بنحوه في معرفة الصحابة ٦/ ٣٤٧٤ من طريق عبد الله بن يزيد، عن أم بشر بنت البراء ابن معرور قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي في نفر من أصحابه يأكل من طعام صنعته لهم، فسألوه عن الأرواح، فذكرها بذكر امتنع القوم عن الطعام، ثم قال من بعد: «أرواح المؤمنين طيور خضر في حجر من الجنة، يأكلون من الجنة ويشربون ويتعارفون، يقولون: ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا. وأرواح أهل النار في حجر من النار، يأكلون من النار، ويشربون من النار، يقولون: ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا».

(٢) الموطأ ١/ ٢٤٠.

(٣) مسند أحمد ٢٥/ ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦٥، ٨٤.

(٤) سنن النسائي ص ٣٣٠.

(٥) مسند أحمد ٤٥/ ٣٨٣.

(٦) المعجم الكبير ٢٤/ ٤٣٩، ٢٥/ ١٣٧.

(٧) الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ٢٩٦.

يا رسول الله، هل يتعارف الموتىٰ؟ قال: «تَرِبتْ يداكِ، النفس الطيبة طير خضر في الجنة، فإن كان الطير يتعارفون في رؤوس الشجر فإنهم يتعارفون».

وروىٰ ابن عساكر[1] من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن أم فروة بنت معاذ السلمية عن أم مبشر امرأة أبي معروف قالت: سألتُ رسول الله ﷺ: أنتزاور يا رسول الله إذا متنا يزور بعضُنا بعضًا؟ فقال: «تكون النَّسَم طيرًا تَعلق شجرةً، حتىٰ إذا كان يوم القيامة دخلت في جثَّتها».

وروىٰ ابن ماجه[2] والطبراني[3] والبيهقي في البعث[4] بسند حسن عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: لما حضرت كعبًا الوفاةُ أتته أمُّ بشر بنت البراء فقالت: يا أبا عبد الرحمن، إن لقيتَ فلانًا فأقرئه مني السلامَ. فقال: يغفر الله لكِ يا أم بشر، نحن أشغلُ من ذلك. فقالت: أما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت، ونسمة الكافر في سِجِّين»[5]؟ قال: بلىٰ. قالت: فذاك.

ومنها ما رواه البيهقي في الدلائل[6] وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث أبي سعيد الخدري: «أُتيتُ بالمعراج الذي تعرج عليه أرواحُ بني آدم، فلم يرَ الخلائقُ أحسن من المعراج، أما رأيتَ الميت حين يُشَقُّ بصره طامحًا إلىٰ السماء؟ فإنَّ ذلك عجبُه بالمعراج، فصعدتُ أنا وجبريل، فاستفتح بابَ السماء، فإذا أنا بآدم تُعرَض عليه أرواح ذرِّيته المؤمنين فيقول: روح طيبة ونفس طيبة،

(١) تاريخ دمشق ٥٣/ ٣٠٨.
(٢) سنن ابن ماجه ٣/ ١٦.
(٣) المعجم الكبير ١٩/ ٦٥.
(٤) البعث والنشور ص ١٥٣.
(٥) هذا المتن ليس عند ابن ماجه ولا الطبراني، وإنما لفظهما: «إن أرواح المؤمنين في أجواف طير تعلق بشجر الجنة». ورواه البيهقي باللفظين معا.
(٦) دلائل النبوة ٢/ ٣٩٠ - ٣٩٢.

اجعلوها في عِلِّيِّين. ثم تُعرَض عليه أرواح ذرِّيته الفجَّار فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة، اجعلوها في سِجِّين».

وروىٰ أبو نعيم[(١)] بسند ضعيف من حديث أبي هريرة: «إن أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلىٰ منازلهم في الجنة».

وروىٰ أبو نعيم[(٢)] أيضًا عن وهب بن منبه قال: إنَّ لله في السماء السابعة دارًا يقال لها: البيضاء، تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقَّته الأرواحُ فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدمَ عليهم.

ومن ذلك ما تقدَّم من قول ابن عمر لأسماء حين عزَّاها في ابنها عبد الله بن الزبير: لا تحزني، فإن الأرواح عند الله في السماء. رواه سعيد بن منصور في سننه.

وقيل: إنها بين السماء والأرض. روىٰ سعيد بن منصور في سننه وابن جرير في كتاب الأدب له عن المغيرة بن عبد الرحمن قال: لقي سلمانُ الفارسي عبدَ الله بن سلام فقال له: إن متَّ قبلي فأخبِرْني بما تلقَىٰ، وإن متُّ قبلك أخبرتك [بما ألقَىٰ]. قال: وكيف وقد متَّ؟ قال: إن الروح إذا خرجت من الجسد كانت بين السماء والأرض حتىٰ ترجع إلىٰ جسده. فقُضي أن سلمان مات، فرآه [ابن سلام] في المنام فقال: أخبِرْني أيَّ شيء وجدتَه أفضل؟ قال: رأيتُ التوكل شيئًا عجيبًا[(٣)].

وروىٰ ابن المبارك في الزهد[(٤)] والحكيم في النوادر وابن أبي الدنيا وابن منده عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال: إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض

---

(١) تاريخ أصفهان ١/ ١٦٦.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٦٠.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢٠٥ وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٤/ ٨٧ مختصرا دون ذكر الروح، وعندهما: «فرآه ابن سلام في المنام فقال له: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ قال: بخير».

(٤) الزهد والرقائق ص ١٥١.

تذهب حيث شاءت، ونفس الكافر في سِجِّين.

قال ابن القيم[١]: البرزخ هو الحاجز بين الشيئين، فكأنَّه أراد في أرض بين الدنيا والآخرة.

وروىٰ الحكيم[٢] عن سلمان قال: إن أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتىٰ يردَّها الله إلىٰ أجسادها.

ومنها ما رواه المروزي في كتاب الجنائز[٣] عن العباس بن عبد المطلب قال: تُدفَع أرواح المؤمنين إلىٰ جبريل فيقال: أنت وليُّ هذه إلىٰ يوم القيامة.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه قال: أرواح المؤمنين إذا قُبِضت تُدفَع إلىٰ ملَك يقال له: رميائيل، وهو خازن أرواح المؤمنين.

وروىٰ عن أبان بن تغلب عن رجل من أهل الكتاب قال: الملَك الذي علىٰ أرواح الكفار يقال له: دومة.

وروىٰ ابن منده من طريق سفيان عن أبان بن تغلب عن رجل قال: بتُّ ليلةً بوادي بَرَهوت[٤]، فكأنَّما حُشِرت فيه أصوات الناس وهم يقولون: يا دومة، يا

---

(١) الروح ص ٣٢٧.

(٢) نوادر الأصول ص ٦٧٠.

(٣) وكذلك أبو نعيم في تاريخ أصفهان ٢/ ٣٧.

(٤) قال ياقوت في معجم البلدان ١/ ٤٠٥ - ٤٠٦: «برهوت: وادٍ باليمن توضع فيه أرواح الكفار. وقيل: بئر بحضرموت. وقيل: هو اسم للبلد الذي فيه هذه البئر. وقال محمد بن أحمد: بقرب حضرموت وادي برهوت، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: إن فيه أرواح الكفار والمنافقين، وهي بئر عادية في فلاة واد مظلم. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: أبغض بقعة في الأرض إلىٰ الله عز وجل وادي برهوت بحضرموت، فيه أرواح الكفار، وفيه بئر ماؤها أسود منتن تأوي إليه أرواح الكفار. وعنه أنه قال: شر بئر في الأرض بئر بلهوت في برهوت، تجتمع فيه أرواح الكفار. وحكىٰ الأصمعي عن رجل من حضرموت قال: إنا نجد من ناحية برهوت الرائحة المنتنة الفظيعة جدا، فيأتينا =

دومة. وحدثنا رجلٌ من أهل الكتاب أن دومة هو الملَك الموكَّل بأرواح الكفار(١).

ومنها ما رواه المروزي في كتاب الجنائز وابن منده وابن عساكر(٢) عن عبد الله بن عمرو قال: أرواح الكفار تُجمَع ببرهوت: سبخة بحضرموت، وأرواح المؤمنين تُجمَع بالجابية. برهوت باليمن، والجابية بالشام.

وروىٰ ابن عساكر عن عروة بن رُوَيم قال: الجابية تُجبَىٰ إليها كل روح طيبة.

وروىٰ أبو بكر النجّاد في جزئه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خير وادي الناس وادي مكة، وشر وادي الناس وادي الأحقاف، وادٍ بحضرموت [يقال له برهوت] وفيه أرواح الكفار(٣).

وروىٰ ابن منده وابن أبي الدنيا عن علي قال: أبغضُ بقعةٍ في الأرض إلىٰ الله وادٍ بحضرموت يقال له: برهوت، فيه أرواح الكفار(٤).

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن علي قال: أرواح المؤمنين في بئر زمزم.

وروىٰ الحاكم في المستدرك(٥) عن الأخنس بن خليفة الضَّبِّي أن كعب

= بعد ذلك أن عظيما من عظماء الكفار مات، فنرىٰ أن تلك الرائحة منه». قلت: بئر برهوت يقع في منطقة فيجوت بمديرية شحن بمحافظة المهرة بأقصىٰ شرق اليمن، وهو عبارة عن فجوة كبيرة يبلغ اتساعها حوالي ١٠٠ متر، وعمقها أكثر من ٢٥٠ مترا، وتسكنها بعض الأفاعي كبيرة الحجم.

(١) رواه بنحوه: البيهقي في البعث والنشور ص ٢٦٦، والفاكهي في أخبار مكة ٢/ ٤٤.

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٣٤٤. ورواه أيضا ابن حبان في صحيحه ٧/ ٢٨٤.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ١١٦ والأزرقي في تاريخ مكة ص ٥٦٠ والفاكهي في أخبار مكة ٢/ ٤٣ بلفظ: «خير واديين في الناس وادي مكة، ووادٍ في الهند هبط به آدم فيه هذا الطيب الذي تطيبون به. وشر واديين في الناس وادي الأحقاف، ووادٍ بحضرموت يقال له: برهوت. وخير بئر في الناس زمزم، وشر بئر في الناس بلهوت، وهي بئر في برهوت تجتمع فيه أرواح الكفار».

(٤) أورده ابن القيم في الروح ص ٣٢٢ - ٣٢٣، وزاد في آخره: وفيه بئر ماؤها بالنهار أسود كأنه قيح تأوي إليه الهوام.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٦٤٩.

الأحبار أرسل إلىٰ عبد الله بن عمرو يسأله عن أرواح المسلمين أين تجتمع وأرواح أهل الشرك أين تجتمع؟ فقال عبد الله: أما أرواح المسلمين فتجتمع بأريحا، وأما أرواح أهل الشرك فتجتمع بصنعاء. فرجع رسول كعب إليه فأخبره بالذي قال، فقال: صدق.

فصل: وأما أرواح الشهداء، فروىٰ مسلم[١] من حديث ابن مسعود: «أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير خُضر تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلىٰ قناديل تحت العرش».

وروىٰ أحمد[٢] وأبو داود[٣] والحاكم[٤] والبيهقي[٥] عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لمَّا أصيبَ أصحابكم بأُحُد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضر تَرِدُ أنهارَ الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلىٰ قناديل من ذهب معلَّقة في ظل العرش».

وروىٰ سعيد بن منصور[٦] عن ابن عباس قال: أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خُضر تعلق في ثمر الجنة.

وروىٰ [بقي بن مخلد[٧]] عن أبي سعيد الخدري رفعه: «الشهداء يغدون ويروحون [إلىٰ رياض الجنة] ثم يكون مأواهم إلىٰ قناديل معلَّقة بالعرش، فيقول

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٩١٢، ولفظه: «أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل».

(٢) مسند أحمد ٤/ ٢١٨.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٢٢٢.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ١٠٨، ٣٥٥.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٧٥.

(٦) ورواه أيضا: عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٢٦٤، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات ص ٣٠٥، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ١١٤٩، والبيهقي في البعث والنشور ص ١٥١، وسعيد بن منصور في سننه ٢/ ٢١٧.

(٧) ورواه أيضا: ابن عبد البر في التمهيد ١١/ ٦١.

لهم الرب تعالىٰ: هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمكتموها؟ فيقولون: لا، غير أنَّا وددنا أنك أعدْتَ أرواحَنا إلىٰ أجسادنا حتىٰ نقاتل مرة أخرىٰ فنُقتَل في سبيلك».

وروىٰ هنَّاد في الزهد[1] وابن منده من حديث أبي سعيد: «إن أرواح الشهداء في طير خضر ترعىٰ في رياض الجنة، ثم يكون مأواها إلىٰ قناديل معلَّقة بالعرش، فيقول الرب ...» وذكر نحوه.

وروىٰ أبو الشيخ من حديث أنس: «يبعث الله الشهداء من حواصل طير بِيض كانوا في قناديل معلَّقة بالعرش».

وروىٰ ابن منده عن سعيد بن سويد أنه سأل ابنَ شهاب عن أرواح المؤمنين، قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلَّقة بالعرش تغدو ثم تروح إلىٰ رياض الجنة تأتي ربَّها سبحانه وتعالىٰ [كل يوم] تسلِّم عليه.

وروىٰ ابن أبي حاتم[2] عن ابن مسعود قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم ترجع إلىٰ قناديلها.

وروىٰ عن أبي الدرداء أنه سُئل عن أرواح الشهداء، فقال: هي طير خُضر في قناديل معلَّقة تحت العرش تسرح في رياض الجنة حيث شاءت.

وروىٰ أحمد[3] وعبد بن حميد[4] وابن أبي شيبة[5].

---

(١) الزهد ١/ ١٢١.

(٢) ورواه أيضا: الدارمي في سننه ٢/ ٢٧٢، والطبري في جامع البيان ٦/ ٢٢٩، والطيالسي في مسنده ١/ ٢٣٣.

(٣) مسند أحمد ٤/ ٢٢٠.

(٤) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٥٣٢.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٦٠٢.

والطبراني[1] والبيهقي[2] بسند حسن من حديث ابن عباس: «الشهداء علىٰ بارق نهر بباب الجنة في قبَّة خضراء، يخرج إليهم رزقُهم من الجنة غُدوةً وعشيَّةً».

وروىٰ هنَّاد في الزهد[3] وابن أبي شيبة[4] عن أبيٍّ بن كعب قال: الشهداء في قِباب في رياض بفناء الجنة، يُبعَث إليهم ثور وحوت فيعتركان، فيلهون بهما، فإذا احتاجوا إلىٰ شيء عقر أحدُهما صاحبَه، فيأكلون منه فيجدون فيه طعم كل شيء في الجنة.

وروىٰ البخاري[5] عن أنس قال: لمَّا قُتل حارثة قالت أمه: يا رسول الله، قد علمتَ منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر، وإن يكن غير ذلك ترىٰ ما أصنع. فقال رسول الله ﷺ: «إنها جِنان كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلىٰ».

وروىٰ ابن أبي شيبة والبيهقي[6] عن ابن عباس عن كعب قال: جنة المأوَىٰ فيها طير خضر ترتعي فيها أرواح الشهداء تسرح في الجنة، وأرواح آل فرعون في طير سود تغدو علىٰ النار وتروح.

وروىٰ هنَّاد في الزهد[7] عن هزيل قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وأرواح آل فرعون في أجواف طير سود تروح وتغدو علىٰ النار، فذلك عرضُها.

وروىٰ الترمذي[8] من حديث كعب بن مالك: «إن أرواح الشهداء في طير

---

(١) المعجم الكبير ١٠/ ٤٠٥. المعجم الأوسط ١/ ٤٥ - ٤٦.
(٢) شعب الإيمان ٦/ ١٠٥.
(٣) الزهد ١/ ١٢٦.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٦١١.
(٥) صحيح البخاري ٢/ ٣٠٨، ٣/ ٨٧، ٤/ ٢٠٠، ٢٠٣.
(٦) البعث والنشور ص ١٥٤.
(٧) الزهد ١/ ٢٢١.
(٨) سنن الترمذي ٣/ ٢٧٨.

خضر تعلُق من ثمر الجنة، أو شجر الجنة».

قوله «تعلُق» بضم اللام، أي تأكل العُلقة وهي ما يُتبلَّغ به من العيش[١].

وروىٰ ابن أبي شيبة[٢] عن عكرمة قال: أرواح الشهداء في طير بِيض فقاقيع في الجنة.

وروىٰ عبد الرزاق[٣] عن قتادة قال: بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بِيض تأوي إلىٰ قناديل معلَّقة تحت العرش.

فصل: وأما أرواح أطفال المسلمين، فروىٰ ابن أبي حاتم في التفسير عن أبي الدرداء[٤] قال: إن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت.

وروىٰ أحمد[٥] والحاكم[٦] وصحَّحه والبيهقي في البعث[٧] وابن أبي الدنيا أيضًا في كتاب العزاء[٨] من طرق من حديث أبي هريرة: «أولاد المؤمنين في جبل في الجنة، يكفلهم إبراهيم وسارَّة حتىٰ يردُّوهم إلىٰ آبائهم يوم القيامة».

---

(١) ذكره الجوهري في الصحاح ٤/ ١٥٢٩، وعبارته: «العَلَق: ما تتبلغ به الماشية من الشجر، وكذلك العُلقة، وكل ما يُتبلغ به من العيش فهو عُلقة».

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٦٤٥.

(٣) مصنف عبد الرزاق ٥/ ٢٦٣، وفيه: «عن معمر، عن قتادة قال: بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طيور بيض تأكل من ثمار الجنة. وقال الكلبي: عن النبي ﷺ: في صورة طيور بيض تأوي إلىٰ قناديل معلقة تحت العرش».

(٤) بل عن ابن مسعود، وهو بقية الأثر الذي أوله: إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ... الخ، وقد تقدم قريبا.

(٥) مسند أحمد ١٤/ ٧١.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٣٦.

(٧) البعث والنشور ص ١٥٥.

(٨) ورواه أيضا في كتاب العيال ص ٣٦٧.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر: «كل مولود يولَد في الإسلام فهو في الجنة شبعان ريَّان، يقول: يا رب، أورِدْ عليَّ أبويَّ».

وأخرج فيه أيضًا عن خالد بن معدان قال: إن في الجنة لَشجرةً يقال لها: طوبَىٰ، كلها ضروع، فمَن مات من الصبيان الذين يرضعون يرضع من طوبَىٰ، وحاضنُهم إبراهيم عليه السلام.

وروىٰ أيضًا عن عبيد بن عمير قال: إن في الجنة لَشجرةً لها ضروع كضروع البقر يغذَّىٰ بها ولدان أهل الجنة(١).

وروىٰ سعيد بن منصور(٢) من مرسل مكحول: «إن ذراري المسلمين أرواحهم في عصافير خُضر في شجر في الجنة، يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه السلام».

وروىٰ ابن أبي حاتم عن خالد بن معدان [قال]: إنَّ في الجنة شجرة يقال لها: طوبَىٰ، كلها ضروع، ترضع صبيانَ أهل الجنة، وإنَّ سقط المرأةِ يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلَّب فيه حتىٰ تقوم القيامة فيُبعَث ابن أربعين سنة.

وروىٰ ابن أبي شيبة عن ابن عباس عن كعب قال: إن [أرواح] أطفال المسلمين في عصافير في الجنة(٣).

وروىٰ هناد في الزهد عن هزيل(٤) قال: أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحِنثَ عصافير من عصافير الجنة ترعىٰ وتسرح.

فصل: قال ابن القيم في كتاب الروح(٥): مسألة [مقرّ] الأرواح بعد الموت

---

(١) رواه ابن معين في تاريخه رواية الدوري ٣/ ٤١٩، وزاد في آخره: حتىٰ إنهم ليستنون كاستنان البكارة.

(٢) سنن سعيد بن منصور ١/ ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) هذا بقية الأثر الذي تقدم قريبا وأوله: جنة المأوىٰ فيها طير خضر ... الخ.

(٤) هذا بقية الأثر الذي تقدم عنه قريبا وأوله: إن أرواح الشهداء ... الخ.

(٥) الروح ص ١٢٧ - ١٢٨، ٢٧٤ - ٣٥٠.

عظيمة لا تُتلقَّىٰ إلا من السمع، فقيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة، الشهداء وغيرهم، إذا لم تحبسهم كبيرةٌ؛ لظاهر حديث كعب وأم هانئ وأم بشر وأبي سعيد وضمرة ونحوها، ولقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩] قسَّم الأرواحَ عقب خروجها من البدن إلىٰ ثلاثة: مقرَّبين، وأخبر أنها في جنة نعيم. وأصحاب يمين، وحكمَ لها بالسلام، وهو يتضمَّن سلامتَها من العذاب. ومكذِّبة ضالة، وأخبر أنَّ لها نُزُلاً من حميم وتصلية جحيم. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ الآية [الفجر: ٢٧ - ٢٨] وقال جماعة من الصحابة والتابعين: إنه يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا علىٰ لسان الملَك بشارةً، ويؤيِّده قولُه تعالىٰ في مؤمن آل يس: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧]. وقيل: الأحاديث مخصوصة بالشهداء، كما صُرِّح به في رواية أخرىٰ، ولقوله في غيرهم: «إذا مات أحدكم عُرِض عليه مقعده بالغَداة والعشيّ ...» الحديث. ولحديث أبي هريرة السابق: «إنهم في السماء السابعة ينظرون إلىٰ منازلهم في الجنة». وقال ابن حزم[1] في طائفة: مستقرُّها حيث كانت قبل [خلق] أجسادها. أي عن يمين آدم وشماله، قال: وهذا ما دلَّ عليه الكتاب والسنَّة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١١] فصحَّ أن الله تعالىٰ خلق الأرواح جملةً، وكذلك أخبر ﷺ: «إن الأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكَرَ منها اختلف». وأخذ الله عهدها وميثاقها وشهادتها له بالربوبية وهي مخلوقة مصوَّرة عاقلة قبل أن تؤمَر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن يُدخِلها في الأجساد، والأجساد يومئذٍ تراب وماء، ثم أقرَّها حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولِّدة

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٥٦ - ٦٠ (ط - مكتبة السلام العالمية).

من المنيِّ. قال: فصحَّ أن الأرواح أجسام حاملة لأعراضها من التعارف والتناكُر، وأنها عارفة مميِّزة، فيبلوهم الله في الدنيا كما يشاء، ثم يتوفَّاها فترجع إلىٰ البرزخ الذي رآها فيه رسول الله ﷺ ليلةَ أُسري به إلىٰ سماء الدنيا، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، عند منقطَع العناصر «الماء والهواء والتراب والنار» تحت السماء، ولا يدل ذلك علىٰ تعادلهم، بل هؤلاء عن يمينه في العلوِّ والسعة، وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن، وتعجَّل أرواح الأنبياء والشهداء إلىٰ الجنة. قال: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه، وقال: علىٰ هذا أجمع أهلُ العلم. قال ابن حزم: وهو قول جميع أهل الإسلام، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة: ٨ - ١٢] وقوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ الآية [الواقعة: ٨٨ - ٨٩] فلا تزال الأرواح هناك حتىٰ يتم عددُها بنفخها في الأجسام، ثم برجوعها إلىٰ البرزخ، فتقوم الساعة فيعيدها عَزَّوَجَلَّ إلىٰ الأجساد، وهي الحياة الثانية. هذا كله كلام ابن حزم. وقيل: هي علىٰ أفنية قبورها، قال ابن عبد البر: وهذا أصحُّ ما قيل. قال: وأحاديث السؤال وعرضِ المقعد وعذاب القبر ونعيمه وزيارة القبور والسلام عليها ومخاطبتهم مخاطبةَ الحاضر العاقل دالَّة علىٰ ذلك[١]. قال ابن القيم: هذا القول إن أريدَ به أنها ملازمِة للقبور لا تفارقها فهو خطأ يردُّه الكتابُ والسنَّة.

تنبيه: عرضُ المقعد لا يدل علىٰ أن الأرواح في القبر ولا علىٰ فِنائه[٢]، بل علىٰ أنَّ لها اتصالاً به يصح أن يُعرَض عليها مقعدها، فإن للروح شأنًا آخر، فتكون

---

(١) عبارة ابن عبد البر في التمهيد ١٤/ ١٠٩: «حديث ابن عمر: إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده ... الخ، استدل به من ذهب إلىٰ أن الأرواح علىٰ أفنية القبور، وهو أصح ما ذُهب إليه في ذلك من طريق الآثار؛ لأن الأحاديث الدالة علىٰ ذلك ثابتة متواترة، وكذلك أحاديث السلام علىٰ القبور».

(٢) بكسر الفاء، مفرد أفنية.

في الرفيق الأعلىٰ، وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلَّم المسلِّم علىٰ صاحبها ردَّ عَلَيْكَلَامُ وهي في مكانها هناك، وإنما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب علىٰ الشاهد فيُعتقَد أن الروح من جنس ما يُعهَد من الأجسام التي إذا شغلتْ مكانًا لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض، وقد رأىٰ النبي ﷺ ليلة الإسراء موسىٰ عَلَيْكَلَامُ قائمًا يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة، فالروح كانت هناك في مثل البدن، ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويردُّ علىٰ مَن يسلِّم عليه وهو في الرفيق الأعلىٰ، ولا تنافي بين الأمرين، فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، وقد مثَّل ذلك بعضُهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض، وإن كان غير تام المطابقة من حيث إن الشعاع إنما هو عَرَضٌ للشمس، وأما الروح فهي نفسها تنزل [وتصعد] وكذلك رؤية النبي ﷺ الأنبياء عليهم السلام ليلة الإسراء في السموات الصحيحُ أنه رأىٰ فيها الأرواح في مثال الأجساد، مع ورود أنهم أحياء في قبورهم يصلُّون، فلا منافاة بين كون الروح في عِلِّيين أو الجنة أو السماء وأن لها بالبدن اتصالاً بحيث تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ، وإنما يُستغرَب هذا لكون الشاهد الدنيوي ليس فيه ما يشابه هذا، وأمور البرزخ والآخرة علىٰ نمط غير المألوف في الدنيا. هذا كله كلام ابن القيم.

وحكىٰ في موضع آخر: للروح من سرعة الحركة والانتقال الذي كلمح البصر ما يقتضي عروجَها من القبر إلىٰ السماء في أدنىٰ لحظة، وشاهد ذلك روح النائم، فقد ثبت أن روح النائم تصعد حتىٰ تخترق السبع الطِّباق وتسجد لله بين يدي العرش ثم تُرَدُّ إلىٰ جسده في أيسر زمان.

ثم قال ابن القيم بعد أن أورد بقية الأقوال في مستقر الأرواح: ولا نحكم علىٰ قول من هذه الأقوال بعينه بالصحة، ولا غيره بالبطلان، بل الصحيح أن الأرواح متفاوتة في مستقرِّها في البرزخ أعظم تفاوت، ولا تعارُض بين الأدلة، فإنَّ كلاً منها وارد علىٰ فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة أو الشقاوة، فمنها أرواح

في أعلىٰ عِلِّيِّين في الملأ الأعلىٰ وهم الأنبياء، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء. ومنها أرواح في حواصل طير خُضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، فإنَّ منهم مَن يُحبَس عن دخول الجنة لدَين أو غيره، كما في حديث محمد بن عبد الله بن جحش عند أحمد[١]. ومنهم مَن يكون [محبوسًا] علىٰ باب الجنة، كما في حديث ابن عباس. ومنهم مَن يكون محبوسًا في قبره، كحديث صاحب الشملة: «إنها لَتشتعلُ عليه نارًا في قبره». ومنهم مَن يكون محبوسًا في الأرض لم تَعْلُ روحُه إلىٰ الملأ الأعلىٰ؛ لأنها كانت روحًا سفلية أرضية، فإن الأنفُس الأرضية لا تجامع الأنفس السمائية، كما أنها لا تجامعها في الدنيا، فإن الروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأصحاب عملها، فالمرء مع مَن أحب. ومنها أرواح تكون في تَنُّور الزناة. وأرواح في نهر الدم ... إلىٰ غير ذلك، فليس للأرواح سعيدها وشقيِّها مستقر واحد، وكلها علىٰ اختلاف مَحالِّها وتبايُنِ مَقارِّها لها اتصال بأجسادها في قبورها؛ ليحصل له من النعيم أو العذاب ما كُتِب له.

انتهىٰ كلام ابن القيم.

وقال القرطبي[٢]: الأحاديث دالَّة علىٰ أن أرواح الشهداء خاصةً في الجنة دون غيرهم، وحديث كعب ونحوه محمول علىٰ الشهداء، وأما غيرهم فتارةً تكون في السماء لا في الجنة، وتارة تكون علىٰ أفنية القبور، وقد قيل: إنها تزور قبورها كل جمعة علىٰ الدوام.

وقال ابن العربي: بحديث الجريدة يُستدَل علىٰ أن الأرواح في القبور تنعَّم

(١) مسند أحمد ٢٨/ ٤٩١ - ٤٩٢، ٣١/ ٤٣٠، ولفظه: «جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ماذا لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: الجنة. فلما ولىٰ قال: إلا الدين، سارني به جبريل آنفا».

(٢) التذكرة ص ٤٣٠ - ٤٣٥.

أو تعذَّب[١].

ثم قال القرطبي: وبعض الشهداء أرواحهم خارج الجنة أيضًا، كما في حديث ابن عباس: «علىٰ بارق نهر بباب الجنة»، وذلك إذا حبسهم عنها دَينٌ أو شيء من حقوق الآدميين. قال: وذهب بعض العلماء إلىٰ أن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوَىٰ، ولذلك سُمِّيت جنة المأوىٰ؛ لأنها تأوي إليها الأرواح، وهي تحت العرش، فيتنعمَّون بنعيمها، ويتنسَّمون بطِيبَ نسيمها. قال: والأول أصح.

وقال الحافظ ابن حجر في فتاويه: أرواح المؤمنين في عِلِّيِّين، وأرواح الكفار في سِجِّين، ولكل روح بجسدها اتصال معنويٌّ لا يشبه الاتصالَ في الحياة الدنيا، بل أشبهُ شيء به حالُ النائم، وإن كان هو أشد من حال النائم اتصالاً. قال: وبهذا يُجمَع بين ما ورد أن مقرَّها في علِّيين أو سجِّين وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور أنها عند أفنية قبورها[٢]. قال: ومع ذلك فهي مأذون لها في التصرُّف، وتأوي إلىٰ محلِّها من علِّيين أو سجِّين. قال: وإذا نُقل الميت من قبر إلىٰ قبر فالاتصال المذكور مستمر، وكذا لو تفرَّقت الأجزاء.

وقال القرطبي[٣] في حديث كعب «نسمة المؤمن طائر»: وهو يدل علىٰ أن نفسها تكون طائرًا، أي علىٰ صورته، لا أنها تكون فيها، ويكون الطائر ظرفًا لها، وكذا في رواية عن ابن مسعود عند ابن ماجه: أرواح الشهداء عند الله كطير خُضر. قال: وفي لفظ عن ابن عباس: تجول في طير خضر. وفي لفظ ابن عمرو: في صور طير بِيض. وفي لفظ عن كعب: [أرواح] الشهداء طير خُضر. قال: وهذا كله أصح

---

(١) في كتاب المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي ٣/ ٦٠١ (ط - دار الغرب الإسلامي): «قال قوم: إن الأرواح كلها في الصور، وهو حديث ضعيف، والصحيح أن الأرواح تنعم وتعذب حيثما كانت في علم الله».

(٢) لم ينقله عن الجمهور، بل عن ابن وضاح وغيره، انظر: التمهيد ١١/ ٦٥ (ط قرطبة).

(٣) التذكرة ص ٤٣٦ - ٤٣٧.

من رواية «في جوف طير». وقال القابسي: أنكر العلماء رواية «في حواصل طير خُضر»؛ لأنها حينئذٍ تكون محصورة مضيَّقًا عليها. ورُدَّ بأن الرواية ثابتة، والتأويل محتمل بأن يُجعَل «في» بمعنىٰ: علىٰ، وجائز أن يسمَّىٰ الطير جوفًا؛ إذ هو محيط به ومشتمل عليه؛ قاله عبد الحق.

وقال غيره: لا مانع من أن تكون في الأجواف حقيقةً ويوسِّعها الله تعالىٰ لها حتىٰ تكون أوسع من الفضاء(١).

وقال العز ابن عبد السلام في أماليه(٢) في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]: فإن قيل: الأموات كلهم كذلك، فكيف خصَّص هؤلاء؟ فالجواب: أن الكل ليس كذلك، فالمجاهد تُنقَل روحه إلىٰ طير أخضر، فقد انتقلت من جسد إلىٰ آخر، بخلاف غيرها فإنها تُنفَىٰ من الأجساد. قال: وأما حديث كعب: نَسَمة المؤمن ... الخ، فهذا العموم محمول علىٰ المجاهدين، فقد ورد أن الروح في القبر يُعرَض عليها مقعدها من الجنة والنار، ولأنَّا أُمِرنا بالسلام علىٰ القبور، ولولا أن الأرواح تدرك لَما كان فيه فائدة. انتهىٰ.

قال السيوطي(٣): فاختار في أرواح الشهداء أنها كائنة في طير لا أنها نفسها طير، ويؤيِّده ما رُوي عن ابن عمرو أنها تركَّب في جسد آخر، وهو وإن كان موقوفًا فله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قِبَل الرأي.

وقال صاحب الإفصاح: المنعَّم علىٰ جهات مختلفة: منها ما هو طائر [يعلق] في شجر الجنة، ومنها ما هو في حواصل طير خضر، ومنها ما يأوي إلىٰ قناديل تحت العرش، ومنها ما هو في حواصل طير بِيض، ومنها ما هو في حواصل

---

(١) أسقط هذا الإيراد من أصله ملا علي القاري في مراعاة المفاتيح ٣/ ١١٨٣ (ط دار الفكر).

(٢) فوائد في مشكل القرآن للعز ابن عبد السلام ص ١٠٧ (ط - دار الشروق بجدة).

(٣) شرح الصدور ص ٢٤٦.

طير كالزرازير، ومنها ما هو في أشخاص وصور من صور الجنة، ومنها ما هو في صورة تُخلَق لهم من ثواب أعمالهم، ومنها ما تسرح وتتردَّد إلىٰ جثّتها تزورها [ومنها ما تتلقىٰ أرواح المقبوضين] وممَّن سوىٰ ذلك ما هو في كفالة [ميكائيل، ومنها ما هو في كفالة] آدم، ومنها ما هو في كفالة إبراهيم.

قال القرطبي(١): وهذا قول حَسن يجمع الأخبارَ حتىٰ لا تتدافع.

وقال الحكيم في النوادر(٢): الأرواح تجول في البرزخ فتبصر أحوال الدنيا والملائكة، تتحدَّث في السماء عن أحوال الآدميين، وأرواح تحت العرش، وأرواح طيَّارة إلىٰ الجنان وإلىٰ حيث شاءت علىٰ أقدارهم من السعي إلىٰ الله أيام حياتهم.

وقال ابن القيم(٣): لا مُنافاة بين حديث أنه طائر يعلق في شجر الجنة وبين حديث عرضِ المقعد، بل تَرِدُ روحُه أنهارَ الجنة وتأكل من ثمارها ويُعرَض عليه مقعده؛ لأنه لا يدخله إلا يوم الجزاء، فدخول الجنة التام إنما يكون للإنسان التام روحًا وبدنًا، ودخول الروح فقط أمرٌ دون ذلك.

وفي بحر الكلام(٤): الأرواح علىٰ أربعة أوجه: أرواح الأنبياء تخرج من جسدها وتصير صورتها مثل المسك والكافور، وتكون في الجنة تأكل وتشرب وتتنعَّم وتأوي بالليل إلىٰ قناديل معلَّقة تحت العرش. وأرواح الشهداء تخرج من جسدها، وتكون في أجواف طير خضر في الجنة، تأكل وتتنعَّم وتأوي بالليل إلىٰ قناديل معلَّقة تحت العرش. وأرواح المطيعين من المؤمنين برَبَض الجنة، لا تأكل ولا تتمتَّع، ولكن تنظر في الجنة. وأرواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء

---

(١) التذكرة ص ٤٣٨.

(٢) نوادر الأصول ص ٦٧٠.

(٣) الروح ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٤) بحر الكلام لأبي المعين النسفي ص ٢٥٤ - ٢٥٥ (ط - دار الفرفور بدمشق).

والأرض في الهواء. وأما أرواح الكفار فهي في سجِّين في جوف طير سود تحت الأرض السابعة، وهي متصلة بأجسادها، فتعذَّب الأرواح وتتألَّم الأجساد منه كالشمس في السماء ونورها في الأرض. انتهىٰ.

وقال الحافظ ابن رجب في كتاب أهوال القبور[١]: الباب التاسع في ذِكر [محل] أرواح الموتىٰ في البرزخ: أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا شك أن أرواحهم عند الله في أعلىٰ علِّيين، وأما الشهداء فأكثر العلماء علىٰ أنهم في الجنة، ورُوي عن مجاهد أنه قال: ليس الشهداء في الجنة، ولكن يُرزَقون منها. وروىٰ آدم بن أبي إياس عنه قال: يُرزَقون من ثمر الجنة ويجدون ريحها، وليسوا فيها[٢]. وأما حديث ابن عباس «الشهداء علىٰ بارق نهر بباب الجنة» فلعله في عموم الشهداء، والذين في القناديل حول العرش خواصُّهم، أو المراد بالشهداء هنا غير قتيل المعركة كالمطعون والمبطون والغريق وغيرهم ممَّن ورد النصُّ بأنه شهيد، أو سائر المؤمنين، فقد يطلق الشهيد علىٰ مَن حقَّق الإيمانَ، كما دلَّ عليه قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الحديد: ١٩] وحكم بقية المؤمنين سوىٰ الشهداء فأهل تكليف، وغيرهم كأطفال المؤمنين الجمهورُ علىٰ أنهم في الجنة، وأما المكلَّفون من المؤمنين سوىٰ الشهداء فاختلف العلماء فيهم قديمًا وحديثًا، فنصَّ الإمام أحمدُ علىٰ أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار، واستدلَّ بحديث كعب بن مالك وأم هانئ وأبي هريرة وأم بشر وعبد الله بن عمرو ونحوها، ورُوي عن هلال بن يساف أن ابن عباس سأل كعبًا عن علِّيين وسجِّين، فقال كعب: أما علِّيون فالسماء السابعة فيها أرواح المؤمنين، وأما سجين فالأرض السابعة السفلىٰ فيها أرواح الكفار تحت خد إبليس[٣]. وقد

---

(١) أهوال القبور ص ١٦٠ - ٢٠٧.

(٢) رواه ابن المبارك في الجهاد ص ٩٠، والطبري في جامع البيان ٢/ ٦٩٩، وابن المنذر في تفسيره ص ٤٩١.

(٣) رواه الحسين المروزي في زوائد الزهد والرقائق ص ٣٤٩ - ٣٥٠ من طريق جعفر بن أبي =

ثبت بالأدلة أن الجنة فوق السماء السابعة، وأن النار تحت الأرض السابعة. وقالت طائفة: الأرواح في الأرض، ثم اختلفوا، فقالت فرقة: الأرواح تستقر علىٰ أفنية القبور؛ قاله ابن وضَّاح، وحكاه ابن حزم عن عامة أصحاب الحديث. ورجَّح ابن عبد البر أن أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح غيرهم علىٰ أفنية القبور تسرح حيث شاءت، واستدلُّوا بأحاديث السلام عليهم وعرضِ المقعد، ولا دليل في ذلك علىٰ أن الأرواح ليست في الجنة، فإن العرض علىٰ الجثَّة، وللروح بها اتصال، والروح وحدها في الجنة. وكذا السلام علىٰ أهل القبور لا يدل علىٰ استقرار أرواحهم علىٰ أفنية قبورهم، فإنه يسلَّم علىٰ قبور الأنبياء والشهداء وأرواحهم في أعلىٰ علِّيين، ولكن لها مع ذلك اتصال سريع بالجسد، ولا يعلم كُنْه ذلك وكيفيَّته علىٰ الحقيقة إلا الله تعالىٰ، ويشهد لذلك الأحاديث المرويَّة في أن النائم يُعرَج بروحه إلىٰ العرش، هذا مع تعلُّقها ببدنه وسرعة عَوْدها إليه عند استيقاظه، فأرواح الموتىٰ المتجرِّدة عن أبدانهم أَولىٰ بعروجها إلىٰ السماء وعَوْدها إلىٰ القبر في مثل تلك السرعة. وقالت فرقة: تُجمَع الأرواح بموضع من الأرض، فأرواح المؤمنين تُجمَع بالجابية، وقيل: ببئر زمزم، وأرواح الكفار تُجمَع ببئر برهوت. ورجَّحه القاضي أبو يعلىٰ من الحنابلة في كتاب المعتمد[1]. وهو مخالف لنص أحمد أن

= المغيرة، عن شمر أن ابن عباس سأل كعب الأحبار عن قول الله ﷿: ﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ ﴾ قال: إن روح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلىٰ السماء، فتفتح لها أبواب السماء، وتلقاه الملائكة بالبشرىٰ، حتىٰ ينتهَىٰ بها إلىٰ العرش، وتعرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رق فيختم ويرقم ويوضع تحت العرش بمعرفة النجاة للحساب يوم القيامة، وقوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ ﴾ قال: إن روح الفاجر يُصعد بها إلىٰ السماء، فتأبىٰ السماء أن تقبلها، فيهبط بها إلىٰ الأرض فتأبىٰ أن تقبلها، فتدخل تحت سبع أرضين حتىٰ ينتهىٰ بها إلىٰ سجين وهو خد إبليس، فيخرج لها من تحت خد إبليس كتاب، فيختم ويوضع تحت خد إبليس لهلاكه للحساب. ورواه الطبري في جامع البيان ٢٤/ ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٠٨ مفرقا.

(١) الذي في المعتمد للقاضي أبي يعلىٰ ابن الفراء ص ٩٩ (ط - دار المشرق ببيروت) ترجيح قول من قال إن أرواح المسلمين في حواصل طير خضر تعلق في الجنة، وأرواح الكفار في حواصل طير =

أرواح الكفار في النار، ولعل لبئر برهوت اتصالاً بجهنم في قعرها، كما رُوي في البحر أن تحته جهنم. ورُوي عن صفوان بن عمرو قال: سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان: هل لأنفُس المؤمنين مجتمَع؟ فقال: يقال إن الأرض التي يقول الله: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] هي الأرض التي تجتمع فيها أرواح المؤمنين حتىٰ يكون البعث. أخرجه ابن منده[١]. وهذا غريب جدًّا، وتفسير الآية به أغرب. وروىٰ ابن منده عن شهر بن حوشب قال: كتب عبد الله بن عمرو إلىٰ أبيِّ بن كعب[٢] يسأله: أين تلتقي أرواح أهل الجنة وأرواح أهل النار؟ فقال: أما أرواح أهل الجنة فبالجابية، وأما أرواح الكفار فبحضرموت. وقالت طائفة من الصحابة: الأرواح عند الله. صح ذلك عن ابن عمرو. وروىٰ ابن منده من طريق الشعبي عن حذيفة قال: إن الأرواح موقوفة عند الرحمن تنتظر موعدها حتىٰ يُنفَخ فيها. وهذا لا ينافي ما وردت به الأخبارُ من محل الأرواح، علىٰ ما سبق. وقالت طائفة: أرواح بني آدم عند أبيهم آدم عن يمينه وشماله؛ لِما ثبت في قصة الإسراء في الصحيحين[٣]: «فلما فُتِح علونا السماءَ، فإذا رجل قاعد عن يمينه أسودة، وعلىٰ يساره أسودة، فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل يساره بكىٰ، فقلت لجبريل: مَن هذا؟ فقال: آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نَسَمُ بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار ...» الحديث. وظاهر هذا اللفظ يقتضي أن أرواح الكفار في السماء، وهو مخالف للقرآن والحديث أن السماء لا تُفتَح لروح الكافر، وقد ورد في بعض طرق الحديث ما يزيل الإشكالَ، ولفظه: «وإذا هو يُعرَض عليه أرواح ذرِّيته، فإذا كان روح المؤمن قال: روح طيبة،

= سود تعلق في النار، قال: «وقد ورد بهذا الخبر، وهو أشبه».

(١) وأخرجه أيضا الطبري في جامع البيان ١٦/ ٤٣٦ - ٤٣٧.

(٢) في مسائل الإمام أحمد رواية ابنه صالح ٢/ ٦١ - ٦٣ (ط - الدار العلمية بالهند) أن المسؤول هو كعب الأحبار وليس أبي بن كعب.

(٣) صحيح البخاري ١/ ١٣٢، ٢/ ٤٥٤. صحيح مسلم ١/ ٨٨، من حديث أبي ذر الغفاري.

اجعلوها في علِّيين. وإذا كان روح الكافر قال: روح خبيثة، اجعلوها في سِجِّين ...» الحديث. ففي هذا أنه تُعرَض عليه أرواح ذرِّيته في السماء الدنيا، وأنه يأمر بجعل الأرواح في مستقرِّها، فدلَّ علىٰ أن الأرواح ليس محل استقرارها في السماء الدنيا. وزعم ابن حزم أن الله تعالىٰ خلق الأرواح جملةً قبل الأجساد، وأنه جعلها في برزخ، وذلك البرزخ عند منقطع العناصر حيث لا ماء ولا هواء ولا تراب ولا نار ... إلىٰ آخر ما قال حسبما أسلفناه. وهذا قول لم يقلْه أحدٌ من المسلمين، ولا هو من جنس كلامهم، وإنما هو من جنس كلام المتفلسفة. قال: والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين، أحدهما: أن أرواح الشهداء تُخلَق لها أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها؛ ليكمُل بذلك نعيمُها، ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجرَّدة عن الأجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله، فعُوِّضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ. والثاني: أنهم يُرزقَون من الجنة، وغيرهم لم يثبُت في حقِّه مثل ذلك، وإن جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة، فقيل: معناه التعلُّق، وقيل: الأكل من الشجر، فلا تلزم مساواتُهم للشهداء في كمال تنعُّمهم في الأكل. والله أعلم.

انتهىٰ كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالىٰ، وهو غاية في بابه، لا مزيد عليه. ولنرجع إلىٰ شرح كلام المصنف:

(وقال أبو سعيد الخدري) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الميت يعرف مَن يغسِّله ومَن يحمله ومَن يدليه في قبره)** قال العراقي[1]: رواه أحمد[2] من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسيه عبد الملك بن حسن.

قلت: وبخط الحافظ ابن حجر: الذي في المسند: عن عبد الملك، عن سعيد

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٤.

(٢) مسند أحمد ١٧/ ٢٩، ١٨/ ١٤٢ - ١٤٣.

ابن عمرو بن سليم، عن رجل من قومه يقال له فلان بن معاوية، أو معاوية بن فلان.

قلت: قال أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد الملك بن حسن، حدثنا سعيد ابن عمرو بن سليم قال: سمعت رجلاً منا - قال عبد الملك: نسيت اسمه، ولكن اسمه معاوية أو ابن معاوية - يحدِّث عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «إن الميت يعرف مَن يغسله ويحمله ويدلِّيه في قبره». فقال ابن عمر وهو في المجلس: ممَّن سمعتَ هذا؟ قال: من أبي سعيد. فانطلق ابن عمر إلىٰ أبي سعيد فقال: يا أبا سعيد، ممَّن سمعتَ هذا؟ قال: من النبي ﷺ.

وقد رواه أيضًا مسدَّد في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب الموت[1] والطبراني في الأوسط[2] والمروزي في الجنائز وابن منده في كتاب الأحوال بزيادة «ومَن يكفِّنه» بعد قوله «ومَن يحمله». وفي لفظ «في حفرته» بدل: قبره. وفي أخرىٰ بإسقاط «ومَن يحمله». ولفظ الطبراني: «إن الميت لَيعلمُ مَن يغسِّله ويكفِّنه ومَن يدلِّيه في حفرته». رواه عن محمد بن أبان، عن إسماعيل بن عمرو البَجَلي، عن فضيل ابن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد.

وروىٰ أبو الحسن ابن البراء[3] في كتاب الروضة بسند ضعيف من حديث ابن عباس: «ما من ميت يموت إلا وهو يعرف غاسله ويناشد حاملَه إن كان بُشِّر بروح وريحان وجنة نعيم أن يعجِّله، وإن كان بُشِّر بنُزُل من حميم وتصلية جحيم أن يحبسه».

وروىٰ ابن أبي الدنيا[4] عن مجاهد قال: إذا مات الميت فملَكٌ قابض نفسه،

---

(١) ورواه أيضا في المنامات ص ١١.

(٢) المعجم الأوسط ٧/ ٢٥٧.

(٣) ومن طريقه الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق ١/ ٨٠. وذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٣١ - ٣٢.

(٤) المنامات ص ١٥.

فما من شيء إلا وهو يراه عند غسله وعند حمله حتىٰ يوصله إلىٰ قبره.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[١] عن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملَك ينظر إلىٰ جسده كيف يغسَّل وكيف يكفَّن وكيف يُمشَىٰ به، ويقال له وهو علىٰ سريره: اسمعْ ثناء الناس عليك.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عنه قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده، وإنهم ليغسِّلونه ويكفِّنونه وإنه لَينظرُ إليهم.

وروىٰ[٢] أيضًا عن بكر بن عبد الله المُزَني قال: بلغني أنه ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملَك الموت، فهم يغسِّلونه ويكفِّنونه، وهو يرىٰ ما يصنع أهله به، فلو يقدر علىٰ الكلام لنهاهم عن الرنَّة والعويل.

وروىٰ[٣] أيضًا عن سفيان قال: إن الميت لَيعرفُ كل شيء، حتىٰ إنه لَيناشدُ غاسلَه: بالله عليك إلا خفَّفتَ عليَّ غسلي.

وروىٰ أيضًا عن ابن أبي نجيح قال: ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملَك ينظر إلىٰ جسده كيف يغسَّل وكيف يكفَّن وكيف يُمشَىٰ به إلىٰ قبره، ثم تُعاد إليه روحه فيُجلَس في قبره.

(وقال) أبو[٤] بِشر (صالح) ابن بشير بن وادع (**المُرِّي**) البصري القاصُّ الزاهد، ضعيف، مات سنة اثنتين وسبعين ومائة، روىٰ له الترمذي (**بلغني أن الأرواح تتلاقَىٰ عند الموت، فتقول أرواح الموتىٰ للروح التي تخرج إليهم: كيف كان مأواك؟ وفي أيِّ الجسدين كنتِ في طيب أو خبيث**)؟ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب

(١) حلية الأولياء ٣/ ٣٤٩.
(٢) المنامات ص ١٦.
(٣) السابق ص ١٦.
(٤) تقريب التهذيب ص ٤٤٣.

الموت[١] فقال: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إسحاق قال: سمعت صالحًا المري يقول: بلغني ... فذكره، إلا أنه قال: كيف كان ما وراءك؟ ورواه ابن منده من طريقه فقال: أخبرنا الحسن بن محمد، أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر، أخبرنا ابن أبي الدنيا ... فذكره.

(وقال) أبو[٢] عاصم **(عبيد بن عمير)** ابن قتادة الليثي المكّي، قاصُّ أهل مكة، من كبار التابعين، مُجمَع علىٰ ثقته **(أهل القبور يتوكَّفون الأخبار)** قال الجوهري في الصحاح[٣]: التوكُّف: التوقُّع، يقال: ما زلت أتوكَّفه حتىٰ لقيته **(فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتِكم؟ أوَ ما قدم عليكم؟ فيقولون: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، سُلِك به غير سبيلنا)** رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٤] وابن أبي الدنيا بلفظ: إن أهل القبور ليتوكَّفون الميتَ كما يُتلقَّىٰ الراكب يسألونه، فإذا سألوه: ما فعل فلانٌ ممَّن مات [قبله] فيقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، سُلِك به غير طريقنا، ذُهب به إلىٰ أمِّه الهاوية. هذا لفظ ابن أبي الدنيا. وقال ابن أبي شيبة: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد العزيز بن رُفَيع، عن قيس بن سعد، عن عبيد بن عمير قال: إن أهل القبور لَيتلقَّون الميتَ كما يُتلقَّىٰ الراكب يسألونه، فإذا سألوه: ما فعل فلان؟ ممَّن قد مات، فيقول: ألم يأتِكم؟ فيقولون: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ذُهب به إلىٰ أمِّه الهاوية. وفي لفظ لابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن جابر، عن عبد العزيز ابن رُفَيع، عن قيس مولىٰ خَبَّاب، عن عبيد بن عمير قال: إذا مات الميت تلقَّته الأرواح يستخبرونه كما يُستخبَر الراكب: ما فعل فلان وفلان؟

---

(١) ورواه أيضا في المنامات ص ٤٨.

(٢) تقريب التهذيب ص ٦٥١.

(٣) الصحاح ٤/ ١٤٤١.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦٥، ١٦٧.

وذكر الثعلبي مثل ذلك من حديث أبي هريرة، وفي آخره: «حتىٰ إنهم لَيسألونه عن هِرِّ البيت».

وروىٰ الحاكم[1] من مرسل الحسن: «إذا مات العبد [المؤمن] تلقَّت روحَه أرواحُ المؤمنين فيقولون له: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات، قالوا: ذُهِب به إلىٰ أمه الهاوية، فبئست الأم، وبئست المربِّية».

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن ثابت البُناني قال: بلغنا أن الميت إذا مات احتوشه أهلُه وأقاربه الذين قد تقدَّموه من الموتىٰ، فلهو أفرحُ بهم وهم أفرحُ به من المسافر إذا قدمَ علىٰ أهله.

(وعن جعفر بن سعيد) كذا في النسخ كلها، وهو غلطٌ من النُّسَّاخ، والصواب: عن جعفر عن سعيد هو ابن المسيب[2]، والراوي عنه جعفر هو ابن سليمان الضُّبَعي البصري الزاهد، روىٰ له مسلم والأربعة **(قال: إذا مات الرجل استقبله ولدُه كما يُستقبَل الغائب)** هكذا رواه ابن أبي الدنيا[3] فقال: حدثني محمد بن يزيد الرفاعي، حدثنا يحيىٰ بن يمان، حدثنا أشعث، عن جعفر، عن سعيد ... فذكره.

(وقال مجاهد) ابن جبر المكِّي التابعي: **(إن الرجل لَيبشَّرُ بصلاح ولده في قبره)** رواه ابن أبي الدنيا[4] هكذا، ورواه أبو نعيم بلفظ: بصلاح ولده من بعده؛ لتقرَّ عينه.

وقال السُّدِّي في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٢٧.

(٢) بل هو سعيد بن جبير، كما في شرح الصدور ص ٩٢، والحجة في بيان المحجة لقوام السنة ٢/ ٣١٢ (ط - دار الراية بالرياض).

(٣) المنامات ص ١٩.

(٤) السابق ص ١٩ بلفظ: «إنه ليبشر المؤمن بصلاح ولده من بعده لتقر عينه».

خَلْفِهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٠]: يؤتَىٰ الشهيد بكتاب فيه ذِكر مَن يقدُم عليه من إخوانه يبشَّر به فيستبشر به كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا(١).

(وروىٰ أبو أيوب) خالد بن زيد بن كُلَيب (الأنصاري) البدري رضي الله عنه (عن النبي ﷺ أنه قال: إن نفس المؤمن إذا قُبِضت تلقَّاها أهل الرحمة من عند الله) كذا في النسخ، والصواب: من عِباد الله (كما يُتلقَّىٰ البشير في الدنيا، فيقولون: أنظِروا أخاكم) وفي لفظ: صاحبكم. والإنظار: الإمهال (حتىٰ يستريح، فإنه كان في كرب شديد. فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ وماذا فعلت فلانة؟ وهل تزوجت فلانة؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال: مات قبلي، قالوا: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ذُهِب به إلىٰ أمِّه الهاوية) قال العراقي(٢): رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في مسند الشاميين(٣) بإسناد ضعيف. ورواه ابن المبارك في الزهد(٤) موقوفًا علىٰ أبي أيوب بإسناد جيد، ورفعه ابن صاعد في زوائده علىٰ الزهد، وفيه سلام الطويل، ضعيف. وهو عند النسائي(٥) وابن حبان(٦) نحوه من حديث أبي هريرة بإسناد جيد.

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان ٦/ ٢٣٨ بلفظ: «إن الشهيد يؤتىٰ بكتاب فيه من يقدم عليه من إخوانه وأهله، فيقال: يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر حين يقدم عليه كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا».

(٢) المغني ٢/ ١٢٣٤.

(٣) مسند الشاميين ٢/ ٣٨٣، ٤/ ٣٧١.

(٤) الزهد والرقائق ص ١٥٥.

(٥) سنن النسائي ص ٢٩٦.

(٦) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٨٣ - ٢٨٥. ولفظ الحديث: «إذا حضر الموت المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك إلىٰ روح الله وريحان ورب غير غضبان. فتخرج كأطيب ريح المسك، حتىٰ إنه ليناولها بعضهم بعضا، حتىٰ يأتون بها باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض! ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك، حتىٰ يأتون بها أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتىٰ يستريح فإنه كان في غم الدنيا. فإذا قال: قد مات، أما أتاكم؟ =

قلت: لفظ الطبراني: «فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: أيهات، قد مات ذاك قبلي. فيقولون: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ذُهِب به إلىٰ أمِّه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربِّية». ورواه هكذا ابن مردويه في التفسير. وزاد الطبراني وابن أبي الدنيا بعده: «وقال: إن أعمالكم تَرِدُ علىٰ أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة، فإن كان خيرًا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذا فضلك ورحمتك، فأتِمْ نعمتَك عليه وأمِتْه عليها. ويُعرَض عليهم عمل المسيء فيقولون: اللهم ألهِمْه عملاً صالحًا ترضىٰ به ويقرِّبه إليك». هكذا رواه في الأوسط فقال: حدثنا أحمد بن يحيىٰ بن خالد بن حَيَّان، حدثنا محمد بن سفيان الحضرمي، حدثنا مَسلمة بن علي، عن زيد بن واقد وهشام بن الغاز، عن مكحول، عن عبد الرحمن بن سلامة، عن أبي رُهْم، عن أبي أيوب مرفوعًا. ثم قال: لم يروِه عن مكحول إلا زيد وهشام، تفرَّد به مَسلمة.

قال السيوطي[1]: وهو ضعيف.

ولفظ ابن المبارك في الزهد: إذا قُبِضت نفس العبد تلقَّاه أهلُ الرحمة من عِباد الله كما يلقون البشيرَ في الدنيا، فيُقبِلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أنظِروا أخاكم حتىٰ يستريح، فإنه كان في كرب. فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله قال لهم: إنه قد هلك. فيقولون: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ذُهِب به إلىٰ أمِّه الهاوية [فبئست الأم] وبئست المربية، فتُعرَض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا وقالوا: هذه نعمتك علىٰ عبدك فأتِمَّها. وإن رأوا سوءًا قالوا: اللهم راجِعْ بعبدك.

= قالوا: ذهب به إلىٰ أمه الهاوية. وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلىٰ عذاب الله ﷻ. فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتىٰ يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح! حتىٰ يأتون به أرواح الكفار في الأرض السفلىٰ».

(١) الحاوي للفتاوي ٢/ ١٧٠.

قال ابن صاعد: ورواه سلام الطويل عن ثور فرفعه.

قلت: وقد رُوي نحو ذلك من حديث أنس وأبي هريرة ومن مرسل الحسن وعبيد بن عمير والأشعث بن عبد الله الأعمىٰ. أما حديث أنس فلفظه: «إذا مات المؤمن تلقَّته أرواحُ المؤمنين يسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ فإن كان مات ولم يأتِهم قالوا: خولِفَ به إلىٰ أمه الهاوية، فبئست الأمُّ، وبئست المربِّية، حتىٰ يقولوا: ما فعل فلان؟ هل تزوج؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فيقولون: دعوه يستريح، فقد خرج من كرب الدنيا»[١].

وأما حديث أبي هريرة فقد رواه البزار[٢] عن سعيد بن بحر، عن الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عنه، أحسبه رفعه قال: «إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين فيودُّ لو خرجت نفسه، والله يحب لقاءه، وإن المؤمن تصعد روحه إلىٰ السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الدنيا، فإذا قال: تركت فلانًا في الدنيا، أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلانًا قد مات، قالوا: ما جيء به إلينا».

قال السيوطي: هذا حديث صحيح رجاله ثقات.

وروىٰ الثعلبي في تفسيره من حديث أبي هريرة: «إذا مات الميت تلقَّته الأرواح يستخبرونه كما يُستخبَر الراكب: ما فعل فلان وفلان؟ حتىٰ إنهم لَيسألونه عن هِرِّ البيت».

وأما مرسَل الحسن فقد رواه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن المبارك بن فضالة عنه رفعه: «إذا مات العبد [المؤمن] تلقىٰ روحه أرواح المؤمنين، فيقولون

---

(١) رواه ابن مردويه في تفسيره، كما في البداية والنهاية لابن كثير ٢٠/ ١٦١ - ١٦٢، والدر المنثور للسيوطي ١٥/ ٦١١.

(٢) مسند البزار ١٧/ ١٥٤.

له: ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات قبلي، قالوا: ذُهِب به إلىٰ أمه الهاوية، فبئست الأمُّ، وبئست المربِّية».

وقد رواه الحاكم من طريقه.

وروىٰ سعيد بن منصور في سننه وابن أبي الدنيا عن الحسن قال: إذا احتضر المؤمن حضره خمسمائة ملَكٌ، فيقبضون روحه، فيعرجون به إلىٰ السماء الدنيا، فتلقاهم أرواحُ المؤمنين الماضية، فيريدون أن يستخبروه، فتقول لهم الملائكة: ارفقوا به، فإنه خرج من كرب عظيم. ثم يستخبرونه، حتىٰ يستخبر الرجل عن أخيه وعن صاحبه، فيقول: هو كما عهدتَ. حتىٰ يستخبروه عن إنسان قد مات قبله، فيقول: أوَ ما أتىٰ عليكم؟ فيقولون: أوَ قد هلك؟ فيقول: إي واللهِ. فيقولون: أُراه قد ذُهِب به إلىٰ أمه الهاوية، فبئست الأم، وبئست المربِّية[1].

وأما مرسَل الأشعث فأخرجه عبد الرزاق[2] وابن جرير[3] قال: إذا مات المؤمن ذُهِب بروحه إلىٰ أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوِّحوا أخاكم، فإنه كان في غمٍّ الدنيا. ويسألونه: ما فعل فلان؟ فيخبرهم فيقول: صالح. حتىٰ يسألوه: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أما جاءكم؟ فيقولون: لا، ذُهِب به إلىٰ أمه الهاوية.

وروىٰ هنَّاد في كتاب الزهد[4] من طريق ابن إسحاق عن إسحاق بن عبد الله بن

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ١١٤٩ - ١١٥٠ بلفظ: «إذا قُبضت روح المؤمن عرج بها إلىٰ السماء، فتلقاه أرواح المؤمنين، فيسألونه: ما فعل؟ فيقول الملك: ارفقوا به، فإنه خرج من غم وكرب شديد. فيسألونه: ما فعل فلان؟ فيقول: خير. فيقولون: اللهم هديته لذلك فثبته لذلك، ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: لا والله، ولا مر بنا، سُلك به إلىٰ أمه الهاوية، فبئست الأم، وبئست المربية».

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٩٢.

(٣) جامع البيان ٢٤/ ٥٩٦.

(٤) الزهد ١/ ١٢٧ - ١٢٨.

أبي فروة قال: حدثنا بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشهداء ثلاثة، فأدنىٰ الشهداء عند الله منزلةً رجل خرج منبوذًا بنفسه وماله ...» فذكر الحديث، وفيه: «فإذا انتهىٰ إلىٰ إخوانه سألوه كما تسألون الراكب يقدُم عليكم من بلادكم فيقولون: ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فيقول: أفلس فلان. فيقولون: ما فعل فلان؟ [فيقول: ما أهلك] مالَه؟ فواللهِ إنْ كان لَكيِّسًا جَمُوعًا تاجرًا؟ [فيقولون]: إنَّا لا نعدُّ المفلسَ ما تعدُّون، إنما [نعدُّ] المفلسَ من الأعمال، فما فعل فلان وامرأته فلانة؟ فيقول: طلَّقها. فيقولون: ما الذي جرىٰ بينهما حتىٰ طلَّقها؟ فواللهِ إن كان بها لمعجَبًا. فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: مات قبلي بزمان. فيقولون: هلك، واللهِ ما سمعنا له بذكر، إنَّ لله طريقين، أحدهما علينا، والآخَر مخالَف به عنا، فإذا أراد الله بعبد خيرًا مر به علينا فعرفنا متىٰ مات، وإذا أراد الله بعبد شرًّا خولِف به عنا فلم نسمع له بذكر ...» الحديث.

بيان كلام القبر للميت

(وكلام الموتىٰ إما بلسان المقال أو بلسان الحال التي هي أفصح في تفهيم الموتىٰ من لسان المقال في تفهيم الأحياء) ويشهد للأول ما رواه ابن أبي الدنيا عن جابر قال: إن للقبر لسانًا ينطق ... الحديث، كما سيأتي (قال رسول الله ﷺ: يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ويحك يا ابن آدم! ما غرَّك بي؟ ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظُّلمة وبيت الوحدة وبيت الدود؟ ما غرَّك بي إذ كنتَ تمر بي فَدَّادًا؟ فإن كان مصلحًا أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكَر. فيقول القبر: إني إذًا أتحوَّل عليه خضرًا. ويعود جسده عليه نورًا، وتصعد روحه إلىٰ الله تعالىٰ) وفي لفظ: إلىٰ رب العالمين. قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور[٢] والطبراني في الكبير[٣] وفي مسند الشاميين[٤] وأبو أحمد الحاكم في الكنىٰ[٥] من حديث أبي الحجاج الثمالي بإسناد ضعيف.

قلت: ورواه كذلك الحكيم في النوادر[٦] وأبو يعلىٰ[٧] وأبو نعيم في الحلية[٨]. وإنما قال «بإسناد ضعيف» لأن فيه أبا بكر بن أبي مريم، فيه ضعفٌ لاختلاطه،

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٤ - ١٢٣٥.

(٢) ورواه في التواضع والخمول ص ٢١٤ حتىٰ قوله (فدادا).

(٣) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٧٧.

(٤) مسند الشاميين ٢/ ٣٦١.

(٥) الأسامي والكنىٰ ٤/ ٨٦.

(٦) نوادر الأصول ص ٥١١.

(٧) مسند أبي يعلىٰ ١٢/ ٢٨٦.

(٨) حلية الأولياء ٦/ ٩٠.

وبقية مدلِّس، وقد عنعنَه. وأبو[1] الحجاج الثُّمالي صحابي، اسمه عبد الله بن ابن عبد، ويقال: ابن عابد، ويقال: عبد بن عبد، وثُمالة: بطن من الأزد. نزل حِمص، قال ابن السكن: معروف بكنيته.

(**والفَدَّاد**) كشداد (**هو الذي يقدِّم رجلاً ويؤخِّر أخرىٰ؛ كذلك فسَّره الراوي**) قال الجماعة المذكورون: قيل لأبي الحجاج الثمالي: ما الفَدَّاد؟ قال: الذي يقدِّم رِجلاً ويؤخِّر أخرىٰ. يعني الذي يمشي مشية المتبختر.

وقد رُوي نحو ذلك من قول عبد الله بن عمرو، قال ابن أبي شيبة في المصنَّف[2]: حدثنا زيد بن الحُباب، حدثنا معاوية بن صالح، أخبرنا يحيىٰ بن سعد الكَلاعي، عن عمرو بن عائذ الأزدي، عن غضيف بن الحارث الكِندي قال: جلست أنا وأصحاب لي إلىٰ عبد الله بن عمرو، قال: فسمعته يقول: إن العبد إذا وُضع في القبر كلَّمه فقال: يا ابن آدم، ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الظُّلمة وبيت الحق؟ يا ابن آدم، ما غرَّك بي؟ قد كنت تمشي حولي فَدَّادًا. قال: فقلت لغضيف: يا أبا أسماء، ما فَدَّادًا؟ قال: اختيالاً. فقال له صاحبي، وكان أَسَنَّ مني: فإذا كان مؤمنًا؟ قال: وُسِّع له، وجُعِل منزله أخضر، وعُرِج بنفسه إلىٰ الجنة.

وهذا في حكم المرفوع؛ إذ لا مجال فيه للرأي.

(**وقال عبيد بن عمير**) ابن قتادة (**الليثي**) أبو عاصم المكِّي التابعي القاصُّ، روىٰ له الجماعة (**ليس من ميت يموت إلا نادته حفرتُه التي يُدفَن فيها: أنا بيت الظُّلمة والوحدة والانفراد، فإن كنتَ في حياتك لله مطيعًا كنتُ عليك اليوم رحمةً، وإن كنتَ**) لربِّك في حياتك (**عاصيًا فأنا اليوم عليك نقمةً، أنا**) البيت (**الذي مَن دخلني مطيعًا خرج**) منه (**مسرورًا، ومَن دخلني عاصيًا خرج**) منه (**مثبورًا**) أي حزينًا

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ١٥١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١١٤.

خاسرًا. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ: «مَن دخله» في الموضعين، قال: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن حرب المكي، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مُلَيكة، حدثني أبي، عن عبيد بن عمير الليثي ... فذكره.

(وقال محمد بن صَبِيح) كأمير، هو أبو العباس ابن السَّمَّاك الواعظ البغدادي: (بلغنا أن الرجل إذا وُضِع في قبره فعُذِّب أو أصابه بعضُ ما يكره ناداه جيرانُه من الموتىٰ: أيها المتخلِّف في الدنيا بعد أخدانه وجيرانه) الأخدان جمع خِدْن وهو الصاحب. وفي نسخة: بعد إخوانه (أما كان لك فينا معتبَر؟ أما كان لك في تقدُّمنا إياك فكرة؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة؟ فهلاَّ استدركتَ ما فات من إخوانك؟ وتناديه بقاعُ الأرض: أيها المغترُّ بظاهر الدنيا) وفي لفظ: بظهر الأرض (هلاَّ اعتبرتَ بمَن غُيِّب من أهلك في بطن الأرض ممَّن غرَّته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلىٰ القبور وأنت تراه محمولاً تهاداه أَحِبَّته إلىٰ المنزل الذي لا بد منه) رواه ابن أبي الدنيا[1] في كتاب القبور.

(وقال) أبو عمرو (يزيد) ابن أبان (الرَّقاشي) البصري القاصُّ الزاهد (بلغني أن الميت إذا وُضِع في قبره احتوشته أعمالُه، ثم أنطقها الله فقالت: أيها العبد المنفرد في حفرته، انقطع عنك الأخِلاَّء والأهلون، فلا أنيس لك اليوم غيرنا) ويوجد في النسخ: عندنا. والرواية ما ذكرناه. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، ورواه أيضًا الخطيب في تاريخه[2] وزاد: ثم يبكي يزيد ويقول: طوبىٰ لمَن كان أنيسه صالحًا، والويل لمَن كان أنيسه عليه وبالاً.

وقد تقدم نحوه للمصنف قريبًا.

(وقال كعب) رحمه الله تعالىٰ: (إذا وُضِع العبد الصالح في القبر احتوشته

---

(١) ومن طريقه ابن الجوزي في المقلق ص ٥٦.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٦٦٤.

أعمالُه الصالحة: الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة. قال: فتجيء ملائكة العذاب من قِبَل رجليه، فتقول الصلاة: إليكم عنه، فلا سبيل لكم عليه، فقد أطالَ بي القيامَ لله عليهما. فيأتونه من قِبَل رأسه، فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه، فقد أطال ظمأه لله تعالىٰ في دار الدنيا، فلا سبيل لكم عليه. فيأتونه من قِبَل جسده، فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه، فقد أنصب نفسه وأتعب بدنَه وحج وجاهد لله، فلا سبيل لكم عليه. قال: فيأتونه من قِبَل يديه، فتقول الصدقة: كُفُّوا، خلُّوا عن صاحبي، فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتىٰ وقعت في يد الله تعالىٰ ابتغاءَ وجهه، فلا سبيل لكم عليه. قال: فيقال له: هنيئًا، طِبْتَ حيًّا وطِبتَ ميتًا. قال: وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشًا من الجنة ودِثارًا من الجنة، ويُفسَح له في قبره مد بصره، ويؤتَىٰ بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلىٰ يوم يبعثه الله من قبره) رواه ابن أبي الدنيا بنحوه من قول أبي هريرة، كما سيأتي للمصنف قريبًا في الباب الذي يلي البابَ الآتي. ورواه هنَّاد في الزهد وابن أبي شيبة من حديثه مرفوعًا نحوه، كما سيأتي أيضًا. وفي حديث عُبادة بن الصامت عند ابن أبي الدنيا في كتاب التهجُّد: إن القرآن يصعد إلىٰ ربِّه فيسأل له فراشًا ودِثارًا، فيؤمَر له بفراش ودِثار وقنديل من نور الجنة، فتدخل عليه الملائكة فيحملونه ويفرشون ذلك [الفراش] ويضعون الدِّثار تحت رجليه، فلا يزال ينظر إلىٰ الملائكة حتىٰ يَلِجوا في السماء». ورواه البزَّار من حديث معاذ بنحوه. وكل ذلك سيأتي.

(وقال عبد[1] **الله بن عبيد بن عمير)** ابن قتادة بن سعد بن عامر بن جُنْدَع ابن ليث الليثي ثم الجندعي، أبو هاشم المكي، والد محمد، قال أبو زرعة وأبو حاتم: ثقة. مات سنة ثلاث عشرة ومائة، روىٰ له الجماعة سوىٰ البخاري **(في جنازة: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيِّعيه، فلا يكلِّمه شيء إلا قبره، يقول: ويحك ابن آدم! أليس قد حُذِّرتني وحُذِّرت ضيقي ونتني**

(١) تهذيب الكمال ١٥/ ٢٥٩ - ٢٦١. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ١٠١.

وهولي ودودي؟ فماذا أعددتَ لي)؟ قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلاً، ورجاله ثقات. ورواه ابن المبارك في الزهد[٢]، إلا أنه قال عنه: بلغني، ولم يرفعه.

قلت: ولفظ ابن أبي الدنيا: فلا يكلِّمه شيء أول من حفرته فتقول. وفيه: وضنكي، بدل: ونتني. وفيه: أعددت لك، فماذا أعددتَ لي.

وظاهر سياقه يدل علىٰ أن عبد الله بن عبيد تابعيٌّ، وهو الذي فهمه الحافظ العراقيُّ، حيث قال: هكذا مرسلاً. والصحبة إنما هي لجدِّه عمير بن قتادة ممَّن شهد الفتحَ[٣]، وأما ولده عبيد فمن كبار التابعين، ويظهر أن هذا من روايته عن أبيه، ثم رأيت ابن أبي شيبة في المصنَّف[٤] قد صرَّح بذلك فقال: حدثنا عبد الله ابن نُمَير، حدثنا مالك بن مِغْوَل، عن الفضل، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبيه قال: إن القبر لَيقولُ: يا ابن آدم، ماذا أعددتَ لي؟ ألم تعلم أني بيت الغربة وبيت الوحدة وبيت الأكلة وبيت الدود.

وبهذا يصح أن يكون مرسَلاً وارتفع الإشكال.

وممَّا ورد في مخاطبة القبر للميت من جنس ما أورده المصنف حديثُ أبي سعيد الخدري الذي رواه الترمذي[٥] وحسَّنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكثِروا ذِكر هاذم اللذَّات، فإنه لم يأتِ علىٰ القبر يومٌ إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود. فإذا دُفِن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبًا وأهلاً، أما إن كنتَ لأحَبَّ مَن يمشي علىٰ ظهري إليَّ؛ فإذ وُلِّيتُك اليوم

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٥.

(٢) الزهد والرقائق ص ٤٦٧.

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة ٧/ ١٦٧.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦٧.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٢٤٨.

وصرتَ إليَّ فسترىٰ صنيعي بك. فيتسع له مد بصره ويُفتَح له باب إلىٰ الجنة. وإذا دُفِن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبًا ولا أهلاً، أما إن كنتَ لأبغَضُ من يمشي علىٰ ظهري إليَّ، فإذ وُلِّيتُك اليوم وصرتَ إليَّ فسترىٰ صنيعي بك. قال: فيلتئم عليه حتىٰ تلتقي وتختلف أضلاعه». قال: قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضَها في جوف بعض، قال: «ويقيِّض الله له سبعين تِنِّينًا، لو أن واحدًا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئًا ما بقيت الدنيا، فتنهشه وتخدشه حتىٰ يُفضَىٰ به إلىٰ الحساب». قال: وقال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حُفَر النار».

وروىٰ الطبراني في الأوسط[1] عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس إلىٰ قبر، فقال: «ما يأتي علىٰ هذا القبر من يوم إلا وهو ينادي بصوت [طلق] ذلق: يا ابن آدم، كيف نسيتني؟ ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضِّيق إلا مَن وسَّعني الله عليه». ثم قال رسول الله ﷺ: «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حُفَر النار».

وروىٰ ابن منده في كتاب الروح من طريق مجاهد عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا احتضر أتاه ملَكٌ في أحسن صورة ...» فساق الحديث إلىٰ أن قال: «فإذا وُضِع المؤمن في لحده تقول له الأرض: إن كنت لَحبيبًا إليَّ وأنت علىٰ ظهري، فكيف إذ صرتَ في بطني؟ سأريك ما أصنع بك. فيُفسَح له في قبره مده بصره، ويُفتَح له باب عند رجليه إلىٰ الجنة، فيقال له: انظرْ إلىٰ ما أعدَّ الله لك من الثواب. ويُفتَح له باب عند رأسه إلىٰ النار، فيقال له: انظرْ إلىٰ ما صرف الله عنك من العذاب. ثم يقال له: نَمْ قرير العين. فليس شيء أحب إليه من قيام الساعة»[2].

---

(١) المعجم الأوسط ٨/ ٢٧٣.

(٢) رواه قوام السنة في الحجة في بيان المحجة ٢/ ٩٤ - ٩٦.

وروىٰ ابن أبي شيبة[١] عن يزيد بن شجرة قال: يقول القبر للرجل الكافر أو الفاجر: أما ذكرتَ ظلمتي؟ أما ذكرتَ وحشتي؟ أما ذكرتَ ضِيقي؟ أما ذكرت غمِّي؟

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن جابر [رفعه] قال: «يقول القبر: يا ابن آدم، كيف نسيتني؟ ألم تعلم أني بيت الوحشة [وبيت الغربة] وبيت الدود وبيت الضِّيق إلا ما وسَّع الله عَزَّوَجَلَّ».

وقال أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر الفقيه الحنبلي في كتاب الشافي في الفقه: وقال إسماعيل بن إبراهيم الشيرازي، حدثنا محمد بن حماد، قُرِئ علىٰ عبد الرزاق وأنا حاضر، عن الثوري، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فوجدنا القبر لم يُلحَد، فجلس وجلسنا حوله، فقال رسول الله ﷺ: «إذا وُضِع الميت في قبره ثم سُوِّي عليه كلَّمته الأرضُ فقالت: أما علمتَ أني بيت الوحشة والغربة والدود؟ فماذا أعددتَ لي»[٢]؟

وروىٰ البيهقي في الشعب[٣] عن بلال بن سعد قال: ينادي القبر في كل يوم: أنا بيت الغربة وبيت الدود والوحشة، وأنا حفرة من حُفَر النار أو روضة من رياض الجنة. وإن المؤمن إذا وُضِع في لحده كلَّمته الأرض من تحته فقالت: واللهِ لقد كنت أحبك وأنت علىٰ ظهري، فكيف وقد صرتَ في بطني، فإذ وُلِّيتُك فستعلم ما أصنع. فتتسع له مد بصره. وإذا وُضِع الكافر قالت: واللهِ لقد كنت أبغضك وأنت [تمشي]

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٦٢.

(٢) الحديث في مصنف عبد الرزاق ٣/ ٤٦٢ من هذا الطريق حتىٰ قوله (وجلسنا) ولم يذكر ما بعده، أما بقيته فرواه ابن الشجري في الأمالي الخميسية ٢/ ٢٩٨ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ: «إذا وضع الرجل في القبر كلمه القبر فقال: أما علمت أني بيت الوحشة؟ أما علمت أني بيت الظلمة؟ أما علمت أني بيت الدود؟ فما أعددت لي»؟

(٣) شعب الإيمان ١/ ٦٢٢.

علىٰ ظهري، فإذ وُلِّيتُك فستعلم ما أصنع. فتضمه ضمةً تختلف منها أضلاعُه.

وروىٰ الديلمي من حديث ابن عباس: «تجهَّزوا لقبوركم، فإن القبر له في كل يوم سبع مرات يقول: يا ابن آدم الضعيف، ترحَّمْ في حياتك علىٰ نفسك قبل أن تلقاني أترحَّم عليك وتُكفَىٰ مني الرَّدَىٰ[١]».

وروىٰ ابن أبي الدنيا في القبور وابن منده عن عمر بن ذر قال: إذا دخل المؤمن حفرته نادته الأرضُ: أمطيع أم عاصٍ؟ فإن كان صالحًا ناداه منادٍ من ناحية القبر: عودي عليه خضرةً، وكوني عليه رحمةً، فنِعم العبد كان لله ونِعم المردود إليك. فتقول الأرض: الآن حين استحقَّ الكرامةَ.

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف والصابوني في المائتين وابن منده عن علي بن أبي طالب أنه خطب فقال: القبر حفرة من حُفَر النار أو روضة من رياض الجنة، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الدود، أنا بيت الظُّلمة، أنا بيت الوحشة[٢].

---

(١) في كنز العمال ١٥/ ٥٥٢: وتلقىٰ مني السرور.

(٢) رواه قوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ٤١١ - ٤١٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٩٦ - ٤٩٧.

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال السيوطي في شرح الصدور(١): قال بعض العلماء(٢): عذاب القبر هو عذاب البرزخ، أضيفَ إلىٰ القبر لأنه الغالب، وإلا فكل ميت إذا أراد الله تعذيبه ناله ما أراده به، قُبِرَ أو لم يُقبَر، ولو صُلِبَ أو غرق في البحر أو أكلته الدوابُّ أو حُرِّقَ حتىٰ صار رمادًا وذُرِّي في الريح، ومحله الروح والبدن جميعًا باتفاق أهل السنَّة، وكذا القول في النعيم.

قال ابن القيم(٣): ثم عذاب القبر قسمان: قسم دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة، ومنقطع وهو عذاب مَن خفَّت جرائمهم من العصاة، فإنه يعذَّب حسب جريمته ثم يُرفَع عنه، وقد يُرفَع عنه بدعاء أو صدقة أو نحو ذلك.

وقال اليافعي في روض الرياحين(٤): بلغنا أن الموتىٰ لا يعذَّبون ليلة الجمعة

---

(١) شرح الصدور ص ١٨١ - ١٨٢.

(٢) هو ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٥٦.

(٣) الروح ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٤) روض الرياحين في حكايات الصالحين ص ٩٧ (ط - المطبعة الميمنية) ونصه: «مذهب أهل السنة أن أرواح الموتىٰ ترجع في بعض الأوقات من عليين أو سجين إلىٰ أجسادهم في قبورهم عندما يريد الله تعالىٰ وخصوصا في ليلة الجمعة ويومها، ويجلسون ويتحدثون، وينعم أهل النعيم، ويعذب أهل العذاب، وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم ما كان منها في عليين، وفي العذاب ما كان منها في سجين، وفي القبر يشترك الروح والجسد في النعيم والعذاب عندما تعود الروح إلىٰ الجسد، إلا ليلة الجمعة ويومها فإنه بلغنا أنهم لا يعذبون فيها رحمة من الله وشرفا للوقت. ويحتمل أن يكون رفع العذاب في هذا الوقت عن عصاة المسلمين دون الكفار لأمرين، أحدهما: أن الكافر مخلد في العذاب دون المسلم. والثاني: أن المسلم كان يعتقد فضل الجمعة وبركتها دون الكافر».

تشريفًا لهذا الوقت. قال: ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار.

وعمَّمَ النسفيُّ في بحر الكلام[١] فقال: إن الكافر يُرفَع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان. قال: وأما المسلم العاصي فإنه يعذَّب في قبره، لكن يُرفَع عنه يوم الجمعة وليلتها، ثم لا يعود إليه إلىٰ يوم القيامة، وأما من مات يوم الجمعة أو ليلتها يكون له العذاب ساعة واحدة، وضغطة القبر كذلك، ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إليه إلىٰ يوم القيامة. انتهىٰ.

وهذا يدل علىٰ أن عصاة المسلمين لا يعذَّبون سوىٰ جمعة واحدة أو دونها، وأنهم إذا وصلوا إلىٰ يوم الجمعة انقطع ثم لا يعود، وهو يحتاج إلىٰ دليل.

وقال ابن القيم في البدائع[٢]: نقلت من خط القاضي أبي يعلىٰ في تعاليقه: لا بد من انقطاع عذاب القبر؛ لأنه من عذاب الدنيا، والدنيا وما فيها تنقطع، فلا بد أن يلحقهم الفَناء والبِلَىٰ، ولا يُعرَف مقدار مدة ذلك.

قال السيوطي: ويؤيِّد ذلك ما رواه هنَّاد في الزهد[٣] عن مجاهد قال: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتىٰ يوم القيامة، فإذا صِيحَ بأهل القبور يقول الكافر: يا ويلنا! مَن بعثنا من مرقدنا هذا؟ فيقول المؤمن إلىٰ جنبه: هذا ما وعد الرحمنُ وصدق المرسلون.

(**قال البراء**[٤] **بن عازب**) بن الحارث بن عديٍّ الأنصاري الأوسي، صحابي ابن صحابي، نزل الكوفة، مات سنة اثنتين وسبعين (**خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فجلس رسول الله ﷺ علىٰ قبره منكِّسًا رأسه، ثم قال: اللهم**

(١) بحر الكلام ص ٢٥٠ - ٢٥١.
(٢) بدائع الفوائد ص ١٠١١.
(٣) الزهد ١/ ١٩٦.
(٤) تقريب التهذيب ص ١٦٤.

إني أعوذ بك من عذاب القبر. ثلاثًا. ثم قال: إن المؤمن إذا كان في) انقطاع من الدنيا و(قُبلٍ من الآخرة) أي إقبال منها (بعث الله) إليه (ملائكة كأنَّ وجوههم الشمس) أي في الإضاءة والإنارة (معهم حنوطه وكفنه، فيجلسون مد بصره) أي حيث ينتهي إليه بصرُه (فإذا خرجت روحه صلىٰ عليه كل ملَك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء) أي من غير الذين بُعِثوا إليه (وفُتحت أبواب السماء، فليس منها باب إلا أنه يحب أن يدخل بروحه منه، فإذا صُعِد بروحه قيل: أيْ رب، عبدُك فلان. فيقول: أرجِعوه فأروه ما أعددتُ له من الكرامة، فإني وعدته ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ الآية [طه: ٥٥] وإنه لَيسمعُ خفق نعالهم إذا ولَّوا مدبرين، حتىٰ يقال: يا هذا، مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقول: ربِّي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد ﷺ. قال: فينتهرانه انتهارًا شديدًا، وهي آخر فتنة تُعرَض علىٰ الميت، فإذا قال ذلك نادىٰ منادٍ: أنْ قد صدقتَ. وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٧] ثم يأتيه آتٍ حَسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول: أبشِرْ برحمة ربِّك وجنات فيها نعيم مقيم. فيقول: وأنت فبشَّرك اللهُ بخير، مَن أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، واللهِ ما علمتُ إن كنتَ لَسريعًا في طاعة الله، بطيئًا عن معصية الله، فجزاك الله خيرًا. قال: ثم ينادي منادٍ: أن افرشوا له من فرش الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة. فيُفرَش له من فرش الجنة، ويُفتَح له باب إلىٰ الجنة، فيقول: اللهم عجِّلْ قيامَ الساعة حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي. قال: وأما الكافر فإنه إذا كان في قُبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غِلاظ شِداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران، فيحتوشونه، فإذا خرجت نفسه لعنه كلُّ ملَك بين السماء والأرض وكل ملَك في السماء، وغُلِّقت أبواب السماء، فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه، فإذا صُعِد بروحه نُبِذ) أي طُرِح (وقيل: أيْ رب، عبدُك فلان لم تقبله سماءٌ ولا أرض. فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: أرجِعوه فأروه ما أعددتُ له من الشر) أي أنواع العذاب (إني وعدته ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ الآية، وإنه

لَيسمعُ خفق نعالهم إذا ولَّوا مدبرين، حتىٰ يقال له: يا هذا، مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دريتَ. ثم يأتيه آتٍ قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشِرْ بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم. فيقول: بشَّرك الله بشرٍّ، مَن أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، واللهِ إن كنتَ لَسريعًا في معصية الله، بطيئًا عن طاعة الله، فجزاك الله شرًّا. فيقول: وأنت فجزاك الله شرًّا. ثم يقيَّض له أصم أعمىٰ أبكم، معه مرزبَّة من حديد لو اجتمع عليها الثَّقَلان علىٰ أن يقلُّوها) أي يحملوها (لم يستطيعوا) ذلك (لو ضُرِب بها جبل صار ترابًا، فيضربه بها ضربةً فيصير ترابًا، ثم تعود فيه الروح، فيُضرَب بها بين عينيه ضربة يسمعها مَن علىٰ الأرض ليس الثَّقَلين): الجن والإنس (قال: ثم ينادي منادٍ: أن افرشوا له لوحين من نار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار. فيُفرَش له لوحان من نار، ويُفتَح له باب إلىٰ النار) قال العراقي[1]: رواه بطوله أبو داود[2] والحاكم[3] بكماله وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين. وضعَّفه ابن حبان، ورواه النسائي[4] وابن ماجه[5] مختصرًا. انتهىٰ.

قلت: وكذلك رواه أحمد[6] وابن أبي شيبة في المصنَّف[7] والطيالسي[8] وعبد بن حميد في مسنديهما وهناد في الزهد[9] وابن جرير[10] وابن أبي حاتم في

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٥.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢٥٠.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٨٦ - ٩٠.

(٤) سنن النسائي ص ٣٢٠.

(٥) سنن ابن ماجه ٣/ ٧٩ - ٨٠.

(٦) مسند أحمد ٣٠/ ٤٩٩، ٥٧٦.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٥٢.

(٨) مسند الطيالسي ٢/ ١١٤.

(٩) الزهد ١/ ٢٠٥.

(١٠) جامع البيان ١٣/ ٦٦٠ - ٦٦١، ٦٦٥، ٦٦٨.

تفسيريهما والبيهقي في كتاب عذاب القبر[1] وغيرهم من طرق صحيحة، ولفظ أبي داود في السنن: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير. وحدثنا هناد بن السَّري، حدثنا أبو معاوية - وهذا لفظ هناد - عن الأعمش، عن المِنهال، عن زاذان، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر ولمَّا يُلحَد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنَّما علىٰ رؤوسنا الطير، وفي يده عودٌ ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثًا. زاد في حديث جرير ههنا: قال: «وإنه لَيسمعُ خفق نعالهم إذا ولَّوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك»؟ وقال هناد: «ويأتيه ملَكان فيُجلِسانه فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ قال: فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنتُ به وصدَّقت». زاد في حديث جرير: فذلك قول الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ الآية. قال: «فينادي منادٍ من السماء: أنْ صدق عبدي، فأفرِشوه من الجنة، وألبِسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة. قال: فيأتيه من رَوحها وطِيبها. قال: ويُفتَح له فيها مد بصره. قال: وإن الكافر ...» فذكر موته قال: «وتُعاد روحه في جسده، ويأتيه ملَكان فيُجلِسانه فيقولان: مَن ربُّك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فينادي منادٍ من السماء: أنْ كذب، فأفرِشوه من النار، وألبِسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار. قال: فيأتيه من حرِّها وسَمُومها. قال: ويضيَّق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه». زاد في حديث جرير قال: «ثم يقيَّض له أعمىٰ أبكم، معه مرزبَّة من حديد لو ضُرِب بها جبل لصار ترابًا. قال: فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق

---

(١) إثبات عذاب القبر ص ٣٧ - ٤١، ٥١.

والمغرب إلا الثَّقَلين، فيصير ترابًا. قال: ثم تُعاد فيه الروح».

حدثنا هناد بن السري، حدثنا عبد الله بن نُمَير، حدثنا الأعمش، حدثنا المِنهال، عن أبي عمر زاذان قال: سمعت البراء عن النبي ﷺ قال ... فذكر نحوه. انتهىٰ.

ولفظ الحاكم في المستدرك: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بِيض الوجوه، كأنَّ وجوههم الشمسُ، معهم كفن من أكفان الجنة، وحَنُوط من حنوط الجنة، حتىٰ يجلسوا منه مدَّ البصرِ، ثم يجيء ملك الموت حتىٰ يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِي السِّقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفةَ عين حتىٰ يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحَنُوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدت علىٰ وجه الأرض. قال: فيصعدون بها، فلا يمرون علىٰ ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمُّونه بها في الدنيا، حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيُفتَح لهم، فيشيِّعه من كل سماء مقرَّبوها إلىٰ السماء التي تليها، حتىٰ يُنتهَىٰ بها إلىٰ السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عِلِّيِّين، وأعيدوه إلىٰ الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أخرىٰ. قال: فتُعاد روحه في جسده، فيأتيه ملَكان، فيجلسانه فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: وما علمُك؟ فيقول: قرأتُ كتاب الله، فآمنت به وصدَّقت. فينادي منادٍ من السماء: أنْ صدق عبدي، فأفرِشوه من الجنة، وألبِسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة. قال: فيأتيه من رَوحها وطِيبها، ويُفسَح له في قبره مدَّ بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول:

أبشِرْ بالذي يسرُّك، هذا يومك الذي كنت توعَد. فيقول: مَن أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: ربِّ أقِم الساعة رب أقم الساعةَ حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكةٌ سود الوجوه، معهم المُسوح، فيجلسون منه مدَّ البصر، ويجيء ملك الموت حتىٰ يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلىٰ سخط من الله وغضب. فتفرَّقُ في جسده، فينتزعها كما يُنتزَع السفُّود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفةَ عين حتىٰ يجعلوها في تلك المُسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجِدت علىٰ وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرُّون بها علىٰ ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمَّىٰ بها في الدنيا، حتىٰ يُنتهَىٰ به إلىٰ السماء الدنيا، فيُستفتَح له، فلا يُفتَح له». ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سِجِّين في الأرض السفلىٰ. فتُطرَح روحه طرحًا». ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] فتُعاد روحه في جسده، ويأتيه ملَكان، فيُجلِسانه فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فينادي منادٍ من السماء: أنْ كذب عبدي، فأفرِشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار. فيأتيه من حرِّها وسَمُومها، ويضيَّق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشِرْ بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعَد. فيقول: مَن أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربِّ لا تُقِم الساعةَ».

قال السيوطي في أمالي الدُّرَّة: هذا حديث صحيح، أخرجه أبو داود

بطوله والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال مختصرًا، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، فقد احتجَّا بالمنهال وزاذان. قال: وله شواهد يُستدَلُّ بها علىٰ صحته. وقال الحافظ العراقي متعقِّبًا عليه: لم يحتجَّ مسلم بالمنهال، ولا روىٰ له في صحيحه شيئًا، وقد وثَّقه النسائيُّ والعِجلي[1] وابن حبان وغيرهم، ولم يحتجَّ البخاري بزاذان، وإنما روىٰ له في الأدب المفرد، ووثَّقه ابن معين وغيره[2].

قال السيوطي: ليس مراد الحاكم أن كِلا الشيخين احتجَّا بكلٍّ من المنهال وزاذان، وإنما عبَّر بلفٍّ ونشر مجمَل، ومراده أن واحدًا منهما احتجَّ بالمنهال، والآخَر بزاذان، ونظير ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] أي قال اليهودُ الأولَ، والنصارىٰ الثاني، لكن أهل الحديث غالبًا لا يتأمَّلون دقائقَ هذه العبارات لعدم اعتنائهم بها، وإنما ذلك دأب أهل البيان والبديع. ا.هـ.

ومن الشواهد التي أشار إليها الحاكم لحديث البراء: حديثُ تميم الداري، رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلىٰ في مسنده الكبير من رواية أنس عن تميم مرفوعًا، وقد تقدم بطوله في آخر الباب الثالث من هذا الكتاب.

ومن شواهده أيضًا: حديث أبي هريرة، وله طرق، وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

ومن شواهده أيضًا: حديث أبي سعيد الخدري، ولفظه: «إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وإدبار من الدنيا نزلت ملائكة من ملائكة الله تعالىٰ كأنَّ وجوههم الشمس بكفنه وحَنُوطه من الجنة، فيقعدون منه حيث ينظر إليهم، فإذا خرجت روحه صلىٰ عليه كل ملَك بين السماء والأرض». رواه ابن منده هكذا

---

(١) معرفة الثقات ٢/ ٣٠٠.

(٢) انظر: تهذيب الكمال ٩/ ٢٦٣ - ٢٦٥.

مختصرًا في كتاب الأحوال.

(وقال) أبو جعفر (محمد بن علي) بن الحسين بن علي رضي الله عنه: (ما من ميت يموت إلا تُمثَّل له عند الموت أعمالُه الحسنة وأعماله السيئة. قال: فيشخص) أي يرفع بصره (إلىٰ حسناته) أي فرحًا بها (ويطرف) أي يغضُّ بصرَه (عن سيِّئاته) أي تندُّمًا منها. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

وروىٰ أيضًا عن الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ [القيامة: ١٣] قال: ينزل عند الموت عليه حَفَظتُه، فتعرض عليه الخير والشرَّ، فإذا رأىٰ حسنة بهش وأشرق، وإذا رأىٰ سيئة غضَّ وقطب.

وروىٰ أيضًا عن مجاهد قال: بلغنا أن نفس المؤمن لا تخرج حتىٰ يُعرَض عليه عمله خيره وشره[1].

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان) جمع ضِبارة بالكسر، وهي الجماعات في تفرقة؛ قاله ابن الأثير، وقد تقدم ضبطُه في حديث تميم الداري (فتُسَلُّ روحه كما تُسَلُّ الشعرة من العجين، ويقال: أيتها النفس المطمئنة، اخرجي راضيةً ومرضيًّا عنكِ إلىٰ روح الله وكرامته. فإذا خرجت روحه وُضِعت علىٰ ذلك المسك والريحان وطُويت عليها الحريرة وبُعِث بها إلىٰ عِلِّيِّين. وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمِسح) بالكسر: قطعة من الكساء الأسود (فيه جمرة) أي من جهنم (فتُنزَع روحه انتزاعًا شديدًا، ويقال: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي ساخطةً ومسخوطًا عليكِ إلىٰ هوان الله وعذابه. فإذا خرجت روحه وُضِعت علىٰ تلك الجمرة وإن لها نشيشًا) أي صوتًا (ويُطوَىٰ عليها المِسح ويُذهَب بها إلىٰ سِجِّين) قال العراقي[2]: رواه النسائي

---

(١) رواه أبو القاسم الختلي في الديباج ص ٩٨ عن حنظلة بن الأسود قال: مات مولىٰ لي، فجعل يغطي وجهه مرة ويكشفه أخرىٰ، فذكرت ذلك لمجاهد فقال: بلغنا ... فذكره.

(٢) المغني ٢/ ١٢٣٥.

وابن حبان مع اختلاف، والبزار بلفظ المصنف.

قلت: هذا لفظ البزار[١]، ورواه أحمد[٢] والنسائي[٣] وابن حبان[٤] والحاكم[٥] واللفظ له والبيهقي[٦] بلفظ: «إن المؤمن إذا قُبِض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضيةً مرضيًّا عنكِ إلىٰ روح الله وريحان وربٍّ غير غضبان. فتخرج كأطيب ريح المسك، حتىٰ إنه ليناوله بعضُهم بعضًا فيشمُّونه حتىٰ يأتوا به إلىٰ باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءت من الأرض! كلما أتوا سماءً قالوا ذلك، حتىٰ يأتوا به إلىٰ أرواح المؤمنين، فلهم أفرحُ به من أحدكم بغائبه إذا قدمَ عليه، فيسألونه: ما فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتىٰ يستريح، فإنه كان في غمِّ الدنيا. فإذا قال لهم: أما أتاكم، فإنه قد مات؟ يقولون: ذُهِب به إلىٰ أمه الهاوية. وأما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب بمِسح فيقولون: اخرجي ساخطةً مسخوطًا عليكِ إلىٰ عذاب الله وسخطه. فتخرج كأنتن ريح جيفة، فينطلقون به إلىٰ باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح! كلما أتوا علىٰ أرض قالوا ذلك حتىٰ يأتوا به إلىٰ أرواح الكفار». لفظ الحاكم إلىٰ قوله «باب الأرض»، وما بعده لفظ النسائي.

وأخرجه أبو بكر المروزي في كتاب الجنائز عن القواريري، عن حماد بن زيد، عن بُدَيل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي هريرة قال: إذا خرجت روح المؤمن تلقَّاها ملَكان فصعدا بها. فذكر من طِيبها. ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قِبَل الأرض، صلىٰ الله عليك وعلىٰ جسد كنتِ تعمُرينه. فينطلقون

(١) مسند البزار ١٧/ ٢٩ - ٣٠.

(٢) مسند أحمد ١٤/ ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٣) سنن النسائي ص ٢٩٦.

(٤) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٨٣ - ٢٨٥.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١٤٩٨ - ٤٩٩.

(٦) إثبات عذاب القبر ص ٤٦.

به إلىٰ ربِّه تعالىٰ.

ولحديث أبي هريرة طريق أخرىٰ: روىٰ ابن ماجه[١] والبيهقي[٢] عنه مرفوعًا قال: «[الميت] تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدةً، وأبشِري بروح وريحان وربٍّ راضٍ غيرِ غضبان. فلا تزال يقال لها ذلك حتىٰ تخرج، ثم يُعرَج بها إلىٰ السماء، فيُفتَح لها فيقال: مَن هذا؟ فيقولون: فلان ابن فلانة. فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدةً، وأبشِري برَوح وريحان ورب راضٍ غيرِ غضبان. فلا تزال يقال لها ذلك حتىٰ تنتهي إلىٰ السماء السابعة، فإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمةً، وأبشِري بحميم وغَسَّاق وآخَر من شكله أزواجٌ. فلا تزال يقال لها ذلك حتىٰ تخرج، ثم يعرج بها إلىٰ السماء، فيستفتح لها، فيقال: مَن هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمةً، فإنها لا تُفتَح لكِ أبواب السماء. فترسَل من السماء، ثم تصير إلىٰ القبر».

وروىٰ مسلم[٣] عن أبي هريرة قال: إذا خرجت روح المؤمن تلقَّاها ملَكان، فيصعدان بها. فذكر من طِيبها. ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قِبَل الأرض، صلىٰ الله عليكِ وعلىٰ جسد كنتِ تعمُرينه. فينطلقون به إلىٰ ربِّه تعالىٰ، ثم يقول: انطلِقوا به إلىٰ آخر الأجل. وإن الكافر إذا خرجت روحه. فذكر من نتنها، وذكر لعنًا، فيقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قِبَل الأرض. فيقال: انطلِقوا به إلىٰ آخر الأجل.

فحديث أبي هريرة بطرقه المذكورة شاهد جيد لحديث البراء السابق.

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٤٨.

(٢) إثبات عذاب القبر ص ٤٥.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٣١٤.

ومن شواهده أيضًا ما رواه هناد في الزهد وعبد بن حميد في التفسير والطبراني في الكبير[١] بسند رجاله ثقات عن عبد الله بن عمرو قال: إذا توفَّىٰ الله العبد المؤمن أرسل إليه ملَكين بخرقة من الجنة وريحان من [ريحان] الجنة فقالا: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلىٰ روح وريحان ورب غير غضبان، اخرجي، فنِعم ما قدَّمتِ. فتخرج كأطيب ريح مسك وجدها أحدكم بأنفه، وعلىٰ أرجاء السماء ملائكة يقولون: سبحان الله! لقد جاء من الأرض اليوم روح [ونسمة] طيبة. فلا يمر بباب إلا فُتِح له، ولا ملَكٍ إلا صلىٰ عليه وشفع له، حتىٰ يؤتَىٰ به ربَّه عَزَّوَجَلَّ، فتسجد الملائكة قبله، ثم يقولون: ربنا، هذا عبدك فلان توفَّيناه، وأنت أعلم به. فيقول: مروه بالسجود. فتسجد النسمة، ثم يُدعَىٰ ميكائيل فيقال: اجعلْ هذه النَّسَمة مع أنفُس المؤمنين حتىٰ أسألك عنها يوم القيامة. فيؤمَر بقبره فيوسَّع له طوله سبعون، وعرضه سبعون، ويُنبَذ فيه الريحان، ويُبسَط له فيه الحرير، وإن كان معه شيء من القرآن نوَّره، وإلا جُعِل له نور مثل نور الشمس، ثم يُفتَح له باب إلىٰ الجنة، فينظر إلىٰ مقعده في الجنة بكرةً وعشيًّا. وإذا توفىٰ الله العبد الكافر أرسل إليه ملكين، وأرسل إليه بِجادًا أنتن من كل نتن، وأخشن من كل خشن، فقالا: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلىٰ جهنم وعذاب أليم ورب عليكِ ساخط، اخرجي، فساءَ ما قدَّمتِ. فتخرج كأنتن جيفة وجدها أحدكم بأنفه قط، وعلىٰ أرجاء السماء ملائكة يقولون: سبحان الله! لقد جاء [اليوم] من الأرض جيفة ونسمة خبيثة، فلا يُفتَح لها باب السماء. فيؤمَر بجسده فيضيَّق عليه في القبر، ويُملأ حيَّات مثل أعناق البُخْت تأكل لحمه، فلا تدع من عظامه شيئًا. ثم يرسل عليه ملائكة صُم عُمي، معهم فطاطيس من حديد، لا يبصرونه فيرحمونه، ولا يسمعون صوته فيرحمونه، فيضربونه ويخبطونه، ويُفتَح له باب من النار، فينظر إلىٰ مقعده من النار بكرةً وعشيًّا، يسأل اللهَ أن يديم ذلك عليه فلا يصل إلىٰ ما وراءه من النار.

---

(١) المعجم الكبير ١٣/ ٣٥٥ - ٣٥٩.

أرجاء السماء: نواحيها.

والبِجاد: الكساء الغليظ(١).

والفطاطيس جمع فِطِّيس، كسِكِّير: المطرقة العظيمة(٢).

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف(٣) والبيهقي(٤) واللالكائي(٥) عن أبي موسىٰ الأشعري قال: تخرج نفس المؤمن وهي أطيب ريحًا من المسك، فتصعد بها الملائكة الذين يتوفَّونها، فتلقاهم ملائكةٌ دون السماء فيقولون: مَن هذا معكم؟ فيقولون: فلان. ويذكرونه بأحسن عمله، فيقولون: حيَّاكم اللهُ وحيَّا مَن معكم. فتُفتَح له أبواب السماء، فيشرق وجهُه، فيأتي الربَّ ولوجهه برهانٌ مثل الشمس. قال: وأما الكافر فتخرج نفسه وهي أنتن من الجيفة، فتصعد بها الملائكة الذين يتوفَّونها، فتلقاهم ملائكةٌ دون السماء فيقولون: مَن هذا [معكم]؟ فيقولون: فلان. ويذكرونه بأسوأ عمله، فيقولون: رُدُّوه، فما ظلمه الله شيئًا. وقرأ أبو موسىٰ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وروىٰ ابن المبارك(٦) من طريق شمر بن عطية أن ابن عباس سأل كعب الأحبار عن قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: ١٨] قال: إن روح المؤمن إذا قُبِضت عُرِج بها إلىٰ السماء، فتُفتَح لها أبواب السماء، وتلقاها

---

(١) في تاج العروس ٧/ ٣٩٩: «البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب. وقيل: إذا غُزل الصوف يسرة ونسج بالصيصة فهو بجاد».

(٢) انظر: تاج العروس ١٦/ ٣٣٨.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٥٥، ١٢/ ١٣٦.

(٤) إثبات عذاب القبر ص ١٣٣.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ١١٤٩. وفيه بعد قوله «أنتن من الجيفة»: وهو بوادي حضرموت، ثم أسفل الثرىٰ من سبع أرضين.

(٦) الزهد والرقائق ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

الملائكة بالبشرىٰ حتىٰ يُنتهَىٰ بها إلىٰ العرش، وتعرج الملائكة، فتُخرِج لها الملائكة من تحت العرش رَقًّا، فيُختَم ويُرقم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة للحساب يوم القيامة، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠﴾ [المطففين: ١٨ - ٢٠] قال: وقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧﴾ [المطففين: ٧] قال: إن روح الفاجر يُصعَد بها إلىٰ السماء، فتأبىٰ السماء أن تقبلها، فيُهبَط بها إلىٰ الأرض، فتأبىٰ الأرض أن تقبلها، فيُدخَل بها تحت سبع أرضين حتىٰ يُنتهَىٰ بها إلىٰ سِجِّين وهو خد إبليس، فيُخرَج لها من تحت خد إبليس كتاب، فيُختَم ويوضع تحت خد إبليس لهلاكه للحساب، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩﴾ [المطففين: ٨ - ٩].

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن إبراهيم النخعي قال: بلغنا أن المؤمن يُستقبَل عند موته بطِيب من طِيب الجنة وريحان من ريحان الجنة، فتُقبَض روحه فتُجعَل في حريرة من حرير الجنة، ثم يُنضَح بذلك الطِّيب، ويُلَف في الريحان، ثم ترتقي به ملائكة الرحمة حتىٰ يُجعَل في عِلِّيِّين.

وروىٰ ابن مردويه وابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نفس تفارق الدنيا حتىٰ ترىٰ مقعدها في الجنة أو النار»: ثم قال: «فإذا كان عند ذلك صُفَّ له سِماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين، كأنَّ وجوههم الشمس، فينظر إليهم ما يرىٰ غيرَهم، وإن كنتم ترون أنه ينظر إليكم، مع كل ملَك منهم أكفان وحَنُوط، فإن كان مؤمنًا بشَّروه بالجنة وقالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة إلىٰ رضوان الله وجنَّته، فقد أعدَّ الله لك من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها. فلا يزالون يبشِّرونه ويحفون به، فهم ألطفُ به وأرأف من الوالدة بولدها، ثم يسلُّون روحه من تحت كل ظفر ومفصل، ويموت الأول فالأول، ويهوَّن عليه وإن كنتم ترونه شديدًا حتىٰ تبلغ ذقنَه، فهي أشد كراهيةً للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم، فيبتدرونها كلٌّ منهم أيُّهم يقبضها، فيتولَّىٰ قبضها ملكُ

الموت. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] فيتلقَّاها بأكفان بِيض، ثم يحتضنها إليه، فلهو أشد لزومًا لها من المرأة لولدها، ثم يفوح منها ريحٌ أطيب من [ريح] المسك، فيستنشقون ريحَها، ويتباشرون بها، ويقولون: مرحبًا بالريح الطيبة والروح الطيب، اللهم صلِّ عليه روحًا وصلِّ علىٰ جسد خرجت منه. فيصعدون بها إلىٰ الله، ولله خلقٌ في الهواء لا يعلم عدَّتهم إلا هو، فيفوح لهم منها ريحٌ أطيب من المسك، فيصلُّون عليها، ويتباشرون بها، وتُفتَح لهم أبواب السماء، فيصلي عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم، حتىٰ يُنتَهَىٰ بها إلىٰ الملِك، فيقول الجبَّار جلَّ جلالُه: مرحبًا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه. وإذا قال الرب جلَّ جلاله لشيء «مرحبًا» رحَّب له كلُّ شيء، ويذهب عنه كل ضِيق، ثم يقول لهذه النفس الطيبة: أدخِلوها الجنةَ [وأروها مقعدها من الجنة] واعرِضوا عليها ما أعددتُ لها من الكرامة والنعيم، ثم اذهبوا بها إلىٰ الأرض، فإني قضيت أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أخرىٰ. فوالذي نفسي بيده لهي أشد كراهيةً للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد وتقول: أين تذهبون بي؟ إلىٰ ذلك الجسد الذي كنتُ فيه؟ فيقولون: إنَّا مأمورون بهذا، فلا بد لكِ منه. فيهبطون بها علىٰ قدْر فراغهم من غسله وأكفانه، فيُدخِلون ذلك الروحَ بين جسده وأكفانه.

وروىٰ ابن أبي حاتم(١) عن السُّدِّي قال: إن الكافر إذا أُخِذ روحه ضربته ملائكةُ الأرض حتىٰ يرتفع في السماء، فإذا بلغ السماء ضربته ملائكة السماء فهبط، فضربته ملائكة الأرض فارتفع، فضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط إلىٰ أسفل الأرضين.

(**وعن محمد**(٢) **بن كعب**) بن سليم بن أسد، أبو حمزة (**القُرَظي**) المدني،

---

(١) ورواه أيضا الطبري في جامع البيان ١٠/ ١٨٣.

(٢) تقريب التهذيب ص ٨٩١.

نزيل الكوفة، وُلِد سنة أربعين على الصحيح، روى له الجماعة **(أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾** [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] **قال: أيَّ شيء تريد؟ في أيِّ شيء ترغب؟ أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغِراس وتبني البنيان وتشقِّق الأنهار؟ قال: لا ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قال: فيقول الجبَّار: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي ليقولنَّها عند الموت)**[1] رواه ابن أبي الدنيا.

وروى ابن جرير[2] وابن المنذر في تفسيريهما عن ابن جريج قال: قال النبي ﷺ لعائشة: «إذا عاين المؤمن الملائكةَ قالوا: نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ بل قُدُمًا إلى الله. وأما الكافر فيقولون له: نرجعك؟ فيقول: ربِّ ارجعونِ لعلي أعمل صالحًا فيما تركتُ».

وروى الديلمي من حديث جابر: «إذا حضرت الإنسانَ الوفاةُ يُجمَع له كل شيء يمنعه عن الحق فيُجعَل بين عينيه، فعند ذلك يقول: رب ارجعونِ لعلي أعمل صالحًا فيما تركتُ»[3].

وفي الآية وجه آخر تقدم ذِكرُه في كتاب الزكاة.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ: المؤمن في قبره في روضة خضراء، ويرحب)** أي يوسَّع **(له قبره سبعين ذراعًا)** وفي بعض النسخ: في قبره سبعون ذراعًا **(ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون في ماذا أُنزلت ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾** [طه: ١٢٤]**؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: في عذاب الكافر في قبره، يسلَّط عليه تسعة وتسعون تِنِّينًا؟ هل تدرون ما التِّنِّين؟ تسعة وتسعون حية، لكل حية سبعة**

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان ١٧/ ١٠٧.

(٢) جامع البيان ١٧/ ١٠٧.

(٣) رواه ابن المقرئ في معجمه ص ٢٥٥.

رؤوس، يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلىٰ يوم يُبعَثون) وفي لفظ: إلىٰ يوم القيامة. قال العراقي[١]: رواه ابن حبان[٢].

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في الموت والحكيم في النوادر[٣] وأبو يعلىٰ[٤] وابن جرير[٥] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والآجري[٦] وابن منده.

وروىٰ أحمد[٧] وأبو يعلىٰ[٨] والبيهقي في عذاب القبر[٩] والآجري[١٠] من حديث أبي سعيد الخدري: «يسلَّط علىٰ الكافر في قبره تسعة وتسعون تِنِّينًا تلدغه حتىٰ تقوم الساعة».

وروىٰ عبد الرزاق[١١] وسعيد بن منصور[١٢] ومسدَّد في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير[١٣] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم[١٤]

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٥.

(٢) صحيح ابن حبان ٧/ ٣٩٢.

(٣) نوادر الأصول ص ٥٠٤.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ١١/ ٥٢١.

(٥) جامع البيان ١٦/ ١٩٨.

(٦) الشريعة ٣/ ١٢٧٣.

(٧) مسند أحمد ١٧/ ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٨) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٤٩١.

(٩) إثبات عذاب القبر ص ٦٠.

(١٠) الشريعة ٣/ ١٢٧٤ - ١٢٧٥. والحديث عند أحمد والآجري مرفوع، وعند البيهقي وأبي يعلىٰ موقوف.

(١١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢١.

(١٢) تفسير سعيد بن منصور ٦/ ٢٨٣.

(١٣) جامع البيان ١٦/ ١٩٦ - ١٩٨.

(١٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٤٩.

وصحَّحه والبيهقي في عذاب القبر[١] من حديث أبي سعيد الخدري في قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «عذاب القبر». ولفظ ابن أبي حاتم: «ضغطة القبر». ولفظ عبد الرزاق قال: «يضيِّق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه».

وروىٰ البزار[٢] وابن أبي حاتم من حديث أبي هريرة: «المعيشة الضنك أن يسلَّط عليه تسعة وتسعون حية تنهش لحمه حتىٰ تقوم الساعة».

وروىٰ ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم[٣] من وجه آخر من حديث أبي هريرة قال: «معيشة ضنكًا: عذاب القبر».

وقد رُوي عن ابن مسعود وأبي صالح والربيع مثله.

وروىٰ ابن منده من حديث أبي هريرة: «المؤمن في قبره في روضة خضراء ... الحديث إلىٰ قوله «ليلة البدر».

وروىٰ علي بن معبد عن معاذة عن عائشة قالت: إن كان مؤمنًا فُسح له في قبره أربعون ذراعًا.

(ولا ينبغي أن يُتعجَّب من هذا العدد علىٰ الخصوص، فإن أعداد هذه الحيَّات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات، فإنَّ لها أصولاً معدودة، ثم تتشعَّب منها فروعٌ معدودة، ثم تنقسم فروعها إلىٰ أقسام، وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات، وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيَّات، فالقوي منها يلدغ لدغ التِّنِّين، والضعيف يلدغ لدغ العقرب، وما بينهما يؤذي إيذاء الحية. وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها، إلا أن مقدار عددها لا يوقَف عليه إلا بنور النبوَّة،

(١) إثبات عذاب القبر ص ٥٩ - ٦٠. وبعضهم رواه مرفوعا، وبعضهم موقوفا.

(٢) مسند البزار ١٦/ ٢٣٨.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٣١ موقوفا.

فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفيَّة، ولكنها عند أرباب البصائر واضحة، فمَن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها، بل أقل درجات الإيمانِ التصديقُ والتسليم) قال المصنِّف في آخر كتاب الجواهر[١]: وأما قولك: إن المشهور من عذاب القبر التألُّمُ بالنيران والعقارب والحيَّات، فهذا صحيح، وهو كذلك، لكني أراك عاجزًا عن فهمه ودَرْك سرِّه وحقيقته، إلا أني أنبِّهك على أنموذج منه تشويقًا لك إلى معرفة الحقائق والتشمير للاستعداد لأمر الآخرة، فإنه نبأ عظيم أنتم عنه مُعرِضون، فقد قال ﷺ: «المؤمن في قبره في روضة خضراء ...» فذكر الحديث بتمامه، ثم قال: فانظرْ إلى هذا الحديث، واعلمْ أن هذا حق على هذا الوجه، شاهده أهلُ البصائر ببصيرة أوضح من البصر الظاهر، والجاهل ينكر ذلك؛ إذ يقول: أنا أنظر في قبره فلا أرى ذلك أصلاً. فليعلم الجاهل أن هذا التنين ليس خارجًا عن ذات الميت، أعني ذاتَ روحه، لا ذات جسده، فإن الروح هي التي تتنعَّم وتتألَّم، بل كان معه قبل موته، متمكِّنًا من باطنه، لكنه لم يكن يحس بلدغه لخدر كان فيه من غلبة الشهوات، فأحس بلدغه بعد الموت، وليتحقَّق أن هذا التنين مركَّب من صفاته، وعدد رؤوسه بعدد أخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا، فأصل هذا التنين حب الدنيا، وتتشعَّب عنه رؤوسٌ بعدد ما يتشعَّب عن حب الدنيا من الحسد والحقد والكبر والرياء والشَّرَه والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء، وأصل ذلك معلوم بالبصيرة، وكذا كثرة رؤوسه اللادغة. وأما انحصار عددها في تسعة وتسعين إنما يوقَف عليه بنور النبوَّة فقط، فهذا التنين متمكِّن من صميم فؤاد الكافر، لا بمجرد جهله بالكفر، بل لِما يدعو إليه الكفرُ، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ الآية [الأحقاف: ٢٠] وهذا التنين لو كان كما تظنه خارجًا عن ذات الميت لكان أهون؛ إذ ربما يتصوَّر [أن

(١) الأربعين في أصول الدين ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

ينحرف] عنه التنين أو ينحرف هو عنه، لا بل هو متمكِّن من صميم فؤاده، يلدغه لدغًا أعظم مما تفهمه من لدغ التنين، وهو بعينه صفاته التي كانت معه في حياته، كما أن التنين الذي يلدغ قلب العاشق إذا باع جاريته هو بعينه العشق الذي كان مستكنًّا في قلبه استكنانَ النار في الحجر، وهو غافل عنه، فقد انقلب ما كان سبب لذَّته سببَ ألمه، وهذا سر قوله ﷺ: «إنما هي أعمالكم تُرَدُّ عليكم». وسر قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] بل سر قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝﴾ [التكاثر: ٥ - ٦] أي إن الجحيم في باطنكم، فاطلبوها بعلم اليقين لتروها قبل أن تدركوها بعين اليقين. بل هو سر قوله تعالىٰ: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝﴾ [العنكبوت: ٥٤] ولم يقل: إنها ستحيط، بل قال: هي محيطة. وقوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] ولم يقل: إنها ستحيط بهم. وهو معنىٰ قوله: إن الجنة والنار مخلوقتان. وقد أنطق الله لسانه بالحق، ولعله لم يطَّلع علىٰ سر ما يقوله، فإن لم تفهم بعض معاني القرآن كذلك فليس لك نصيب من القرآن إلا في قشوره، كما ليس للبهيمة نصيب من البُر إلا في قشوره الذي هو التبن، والقرآن غذاء الخَلق كلِّهم علىٰ اختلاف أصنافهم، ولكن اغتذاءهم به علىٰ قدْر درجاتهم، وفي كل غذاء مخ ونُخالة وتبن، وحرصُ الحمار علىٰ التبن أشد منه علىٰ الخبز المتخَذ من اللُّب، فأنت شديد الحرص علىٰ أن لا تفارق درجةَ البهيمة ولا أن ترقَىٰ إلىٰ درجة الإنسانية فضلاً عن الملائكية، فدونك الانسراح في رياض القرآن، ففيه متاع لكم ولأنعامكم.

(فإن قلت: فنحن نشاهد الكافر في قبره مدةً ونراقبه، ولا نشاهد شيئًا من ذلك) أي من أنواع العذاب من الحيَّات والعقارب **(فما وجه التصديق علىٰ خلاف المشاهدة؟ فاعلمْ أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا:**

أحدها، وهو الأظهر والأصح والأسلم: أن تصدِّق بأنها موجودة، وهي تلدغ

الميت) نظرًا لظاهر الأخبار الصحيحة **(ولكنك لا تشاهد ذلك، فإن هذه العين)** التي تبصر بها الأمورَ الظاهرة **(لا تصلُح لمشاهدة الأمور الملكوتية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالَم الملكوت)** فإنه ضد عالم الشهادة **(أما ترىٰ الصحابة)** رضوان الله عليهم **(كيف كانوا يؤمنون)** أي يصدِّقون **(بنزول جبريل)** عليه السلام علىٰ النبي ﷺ **(وما كانوا يشاهدونه)** علىٰ هيئته التي هو عليها **(ويؤمنون)** مع ذلك **(بأنه** ﷺ**)** كان **(يشاهده)** مشاهدة عيان **(فإن كنت لا تؤمن بهذا)** القدْر **(فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهمُّ عليك)** من كل شيء **(وإن آمنت به وجوَّزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمَّةُ فكيف لا تجوِّز هذا في الميت، وكما أن الملَك لا يشبه الآدميين والحيوانات، فالحيَّات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيَّات عالَمنا)** ولا من جنس عقاربه **(بل هي من جنس آخر، وتُدرَك بحاسَّة أخرىٰ)** غير حاسة البصر.

(المقام الثاني: أن تتذكَّر أمر النائم، وأنه قد يرىٰ في نومه حية تلدغه، وهو يتألَّم بذلك حتىٰ تراه يصيح في نومه) من ذلك الألم **(ويعرق جبينُه)** من شدته **(وقد ينزعج من مكانه. كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذىٰ به كما يتأذَّىٰ اليقظان وهو يشاهده، وأنت ترىٰ ظاهره ساكنًا)** لا يتحرك **(ولا ترىٰ حواليه حية، والحية موجودة في حقِّه، والعذاب حاصل، ولكنه في حقك غير مشاهَد، وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تُتخيَّل أو تشاهَد.**

المقام الثالث: أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم، بل الذي يلقاك منها هو السم، ثم السم ليس هو الألم، بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم، فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سمٍّ لكان العذاب قد توفَّر، وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلىٰ السبب الذي يفضي إليه في العادة، فإنه لو خُلِقت في الإنسان لذَّة الوقاع مثلاً من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه؛ لتكون الإضافة للتعريف بالسبب، وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن

لم تحصل صورة السبب، والسبب يُراد لثمرته لا لذاته، وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت، فتكون آلامها كالآم لدغ الحيَّات من غير وجود حيَّات، وانقلاب الصفة مؤذيةً يضاهي انقلابَ العشق مؤذيًا عند موت المعشوق، فإنه كان لذيذًا فطرأت حالةٌ صار اللذيذ بنفسه مؤلمًا حتىٰ نزل بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنَّىٰ معه أنه لم يكن قد تنعَّم بالعشق والوصال، بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت، فإنه قد سلَّط العشق في الدنيا علىٰ نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه، ولو أخذ جميع ذلك في حياته مَن لا يرجو استرجاعَه منه فماذا ترىٰ يكون حاله؟ أليس يعظُم شقاؤه) ويكثُر أسفُه (ويشتد عذابه ويتمنىٰ) ويتلهَّف (ويقول: ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا أتأذَّىٰ بفراقه) ولا أتألَّم عند انقطاعه (فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعةً واحدة) كما قال الشاعر:

(ما حال مَن كان له واحدٌ غُيِّب عنه ذلك الواحد[1]

فما حال مَن لا يفرح إلا بالدنيا، فتؤخذ منه الدنيا وتسلَّم إلىٰ أعدائه، ثم ينضاف إلىٰ هذا العذاب تحسُّره علىٰ ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالىٰ) وهو أعظم ما يتحسَّر عليه (فإنَّ حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعُّم به، فيتوالَىٰ عليه ألمُ فراق جميع محبوباته وحسرتُه علىٰ ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالىٰ، وذلك هو الذي يعذَّب به؛ إذ لا يتَّبع نار الفراق إلا نار جهنم، كما قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾) [المطففين: ١٥ - ١٦] فحجابهم عن ربِّهم سبب لدخولهم الجحيم (وأما مَن لم يأنس بالدنيا) ولم يطمئن إليها (ولم يحب إلا الله وكان مشتاقًا إلىٰ لقاء الله فقد تخلَّص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها) فكان الموت في حقه تحفة وإطلاقًا من السجن (وقدم علىٰ محبوبه، وانقطعت عنه العوائق والصوارف،

(١) تقدم هذا البيت في كتاب ذم الدنيا.

وتوفَّر عليه النعيم مع الأمن عن الزوال أبد الآباد) وإليه أشار القطب سيدي علي وفا قُدِّس سره:

سكن الفؤادُ فعِشْ هنيئًا يا جسد غدًا النعيم هو المقيم إلىٰ الأبد[١]

(ولمثل ذلك فليعمل العاملون، والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خُيِّر بين أن يؤخَذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبرَ علىٰ لدغ العقرب) علىٰ أخذ الفرس منه (فإذًا ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب، وحبه للفرس هو الذي يلدغه إذا أُخِذ منه فرسه، فليستعدَّ لهذه اللدغات، فإن الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه، ويأخذ منه جاهه وقبوله، بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه، وييأس من رجوع جميع ذلك كله إليه، فإذا لم يحبَّ سواه وقد أُخِذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه من العقارب والحيَّات، وكما لو أُخِذ ذلك منه وهو حي فيعظُم عقابه. فكذلك إذا مات؛ لأنَّا قد بيَّنَّا أن المعنىٰ الذي هو المدرك للآلام واللذَّات لم يمُتْ، بل عذابه بعد الموت أشد؛ لأنه في الحياة يتسلَّىٰ بأسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة، ويتسلَّىٰ برجاء العَود إليه، ويتسلَّىٰ برجاء العوض عنه، ولا سلوة بعد الموت؛ إذ قد انسدَّت عليه طرقُ التسلِّي وحصل اليأس، فإذًا كل قميص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشقُّ عليه لو أُخِذ منه فإنه يبقىٰ متأسِّفًا عليه ومعذَّبًا به، فإن كان مخِفًّا من الدنيا سَلِمَ، وهو المعنيُّ بقولهم: نجا المُخِفُّون) والمشتهر علىٰ الألسنة: فاز المخفُّون. وهو بمعناه. وفي حديث أبي الدرداء: «أمامكم عقبة كؤود لا يجوزها المثقلون». رواه الحاكم في المستدرك[٢]. وهو في النهاية[٣] لابن الأثير بلفظ: «إن بين أيدينا عقبة كؤودًا لا يتجاوزها إلا الرجل المُخِفُّ».

---

(١) البيت في ديوانه ص ٨٧ (ط - كتاب ناشرون ببيروت).

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٥/ ٣٧.

(٣) النهاية ٢/ ٥٤، ٤/ ١٣٧.

وفي الحلية[١] لأبي نعيم في قصة التقاء عمر بن الخطاب بأويس القرني وعرض عليه نفقة وأباها أنه قال: يا أمير المؤمنين، إن بين يدي ويديك عقبة كؤودًا لا يجاوزها إلا كل ضامر مُخِفٍّ».

وعند الطبراني[٢] من حديث أنس: «يا أبا ذر، أعلمتَ أن بين أيدينا عقبة كؤودًا لا يصعدها إلا المُخِفُّون».

وقد قال الشاعر:

هذا الزمان الذي قال الرسول لنا خفُّوا الرِّحالَ فقد فاز المُخِفُّونا[٣]

(**وإن كان مثقلاً عظُم عذابُه**) واشتد تعبُه (**وكما أن حال مَن يُسرَق منه دينار أخفُّ من حال مَن يُسرَق منه عشرة دنانير، فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين، وهو المعنيُّ بقوله ﷺ: صاحب الدرهم أخفُّ حسابًا من صاحب الدرهمين**) قال العراقي[٤]: لم أجد له أصلاً.

قلت: بل رواه الحاكم في تاريخه من حديث أبي هريرة بلفظ: «ذو الدرهمين أشدُّ حسابًا من ذي الدرهم، وذو الدينارين أشد حسابًا من ذي الدينار»[٥].

وقد رُوي نحو ذلك من قول أبي ذر، قال أحمد في الزهد[٦]: حدثنا يحيىٰ بن سعيد، عن سفيان، حدثني سليمان، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: ذو الدرهمين أشد حسابًا من ذي درهم واحد.

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٨٣.
(٢) المعجم الأوسط ٥/ ١٠٧.
(٣) تقدم هذا البيت مع بيتين آخرين في كتاب آداب السفر.
(٤) المغني ٢/ ١٢٣٦.
(٥) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٤٥.
(٦) الزهد ص ١٢١.

ورواه أبو نعيم في الحلية[١] من هذا الوجه.

(وما من شيء من الدنيا يتخلَّف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت، فإن شئتَ فاستكثِرْ، وإن شئتَ فاستقللْ، فإن استكثرتَ فلست مستكثرًا إلا من الحسرة، وإن استقللت فلست تخفِّف إلا عن ظهرك) وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٢] من طريق أبي أسماء الرحبي أنه دخل علىٰ أبي ذر وهو بالرَّبَذة، وعنده امرأة سوداء شعثة، ليس عليها أثر المجاسد والخلوق. قال: فقال: ألا تنظرون إلىٰ ما تأمرني به هذه السوداءُ؟ تأمرني أن آتي العراقَ، فإذا أتيتُ العراق مالوا عليَّ بدنياهم، وإن خليلي عهدَ إليَّ أنَّ دون جسر جهنم طريقًا ذا دَحَضٍ ومزلَّة، وإنَّا إن نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدارٌ أحرَىٰ أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير **(وإنما تكثُر الحيَّات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبُّوا الحياة الدنيا علىٰ الآخرة وفرحوا بها واطمأنُّوا إليها)** وإنما كثرتها بكثرة صفاتهم الخبيثة.

(فهذه مقامات الإيمان في حيَّات القبر وعقاربه وفي سائر أنواع عذابه).

ويُروَىٰ أنه **(رأىٰ أبو سعيد الخَرَّاز)** رحمه الله **(ابنًا له قد مات في المنام، فقال له: يا بني، عِظْني. قال: لا تخالف اللهَ تعالىٰ فيما يريد. قال: يا بني، زِدني. قال: يا أبتِ، لا تطيق)** أي لصعوبته **(قال: قل. قال: لا تجعل بينك وبين الله قميصًا. فما لبس قميصًا ثلاثين سنة)** أورده القشيري في الرسالة[٣]، إلا أنه قال: يا بني، أوصِني. فقال: يا أبتِ، لا تعامل اللهَ علىٰ الجبن. فقال: يا بني، زِدني. فقال: لا تخالف اللهَ فيما يطالبك به ... والباقي سواء[٤].

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١٦٤.

(٢) السابق ١/ ١٦١.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٦١٥.

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ١٣١ من طريق أبي علي الأهوازي قال: سمعت الجلاء بمكة يقول: بلغني أن أبا سعيد الخراز كان مقيما بمكة، وكان من أفقه الصوفية، وكان له ابنان، =

(فإن قلتَ: فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث؟ فاعلمْ أن في الناس مَن لم يُثبِت إلا الأول وأنكر ما بعده. ومنهم مَن أنكر الأول وأثبت الثاني. ومنهم مَن لم يُثبِت إلا الثالث. وإنما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك في حيِّز الإمكان، وأن مَن ينكر بعض ذلك فهو لضِيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالىٰ وعجائب تدبيره، فينكر من أفعال الله تعالىٰ ما لم يأنس به ويألفه، وذلك جهل وقصور، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة، والتصديق بها واجب، ورُب عبد يعاقَب بنوع واحد من هذه الأنواع، ورُب عبد تُجمَع عليه هذه الأنواع الثلاثة. نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره. هذا هو الحق، فصدِّقْ به تقليدًا، فيعزُّ) أي ينذُر (علىٰ بسيط الأرض مَن يعرف ذلك تحقيقًا) لأنه ليس من جنس معارف هذا العالَم (والذي أوصيك به أن لا تُكثِر نظرَك في تفصيل ذلك، ولا تشتغل بمعرفته) فتضيع وقتَك (بل اشتغِلْ بالتدبير) والاحتيال (في رفع العذاب) عنك (كيفما كان) وبأيِّ وجه أمكن (فإن أهملتَ العمل والعبادة واشتغلتَ بالبحث عن ذلك كنت كمَن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه) ويمثِّل به (فأخذ طول الليل يتفكَّر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسىٰ) أو غير ذلك من آلات القطع (وأهمل طريق الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه، وهذا غاية الجهل، فقد عُلِم علىٰ القطع) واليقين (أن العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم أو من نعيم مقيم، فينبغي أن يكون الاستعداد له، فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييعُ زمانٍ) وفيه غاية الخسران.

قال المصنِّف في آخر كتاب الأربعين[1] الذي ختم به كتاب الجواهر ما نصه: فإن قلتَ: فهل يتمثَّل هذا التنين تمثُّلاً يشاهده مشاهدةً تضاهي إدراكَ البصر أو هو

= فمات أحدهما قبله، فرآه في المنام، فقال له: يا بني أوصني. فقال: يا أبت، لا تعامل الله علىٰ الحمق ... الخ.

(١) الأربعين في أصول الدين ص ٢٧٥ - ٢٨٨.

تألُّمٌ محض في ذاته كتألُّم العاشق إذا حيلَ بينه وبين معشوقه؟ فأقول: لا، بل هو يتمثَّل له حتىٰ يشاهده، ولكن تمثُّلاً روحانيًّا، لا علىٰ وجه يدركه مَن هو بعدُ في عالم الشهادة إذا نظر في قبره، فإنَّ ذلك من عالم الملكوت. نعم، العاشق أيضًا قد ينام فيتمثَّل له حالُه في المنام، فربما يرىٰ حية تلدغ صميم فؤاده؛ لأنه بعُدَ بالنوم عن عالم الشهادة قليلاً، فلذلك تتمثَّل له حقائق الأشياء تمثُّلاً محاكيًا للحقيقة، منكشفًا له من عالم الملكوت، والموت أبلغُ في الكشف من النوم؛ لأنه أقمعُ لنوازع الحس والخيال، وأبلغُ في تجريد جوهر الروح من غشاوة هذا العالم، فلذلك يكون التمثُّل تامًّا متحقِّقًا دائمًا لا يزول، فإنه نوم لا ينتبه منه إلا يوم القيامة فيقال له: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢] واعلمْ أن المستيقظ بجنب النائم إن كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النائم فذلك غير مانع من وجود الحية التي تلدغ النائم في حقِّه وحصول الألم به، كذلك حال الميت في قبره.

ولعلك تقول: قد ابتدعتَ قولاً مخالفًا للمشهور، منكَرًا عند الجمهور؛ إذ زعمتَ أن أنواع عذاب الآخرة تُدرَك بنور البصيرة والمشاهدة إدراكًا مجاوزًا حدَّ التقليد الشرعي، فهل يمكنك - إن كان كذلك - حصرُ أصناف العذاب وتفاصيله؟ فاعلمْ أن مخالفتي للجمهور لا أنكرها، وكيف تُنكَر مخالفة المسافر للجمهور؟ فالجمهور مستقرُّون في البلد الذي هو مسقط رؤوسهم ومحل ولادتهم، وهو المنزل الأول من منازل وجودهم، وإنما يسافر منهم الآحاد.

واعلمْ أن البلد منزل البدن والقالب، وإنما منازل روح الإنسان عوالم الإدراكات، فالمحسوسات هي المنزل الأول، والمتخيَّلات المنزل الثاني، والتوهُّمات المنزل الثالث. وما دام الإنسان في المنزل الأول فهو دود وفَراش، فإن فَراش النار ليس له إلا الإحساس، ولو كان له تخيُّلٌ وحفظٌ للمتخيَّل بعد الإحساس لَما تهافت علىٰ النار مرةً بعد أخرىٰ وقد تأذَّىٰ بها أولاً، فإن الطير وسائر الحيوانات إذا تأذَّىٰ في موضع بالضرب يفرُّ منه ولم يعاوده؛ لأنه بلغ المنزلَ الثاني

وهو حفظُ المتخيَّلات بعد غيبوبتها عن الحس، وما دام الإنسان في المنزل الثاني بعدُ فهو بهيمة ناقصة، إنما حدُّه أن يحذر من شيء تأذَّىٰ به مرةً، وما لم يتأذَّ بشيء فلا يدري أنه يحذر منه، فإذا صار في المنزل الثالث وهو المتوهَّمات فهو بهيمة كاملة، كالفرس مثلاً، فإنه قد يحذر من الأسد إذا رآه أولاً وإن لم يتأذَّ به قط، فلا يكون حذره موقوفًا علىٰ أن يتأذَّىٰ به مرةً، بل الشاة ترىٰ الذئب أولاً فتحذره، وترىٰ الجمل والثور وهما أعظم منه شكلاً وأهولُ منه صورةً فلا تحذرهما؛ إذ ليس من طبعهما أذاها، و[هؤلاء] إلىٰ الآن في مشاركة البهائم، وبعد هذا يترقَّىٰ الإنسان إلىٰ عالم الإنسانية فيدرك أشياء لا تدخل في حس ولا تخيُّل ولا وهم، ويحذر به الأمور المستقبَلة، ولا يقتصر حذره علىٰ الأمور العاجلة اقتصارَ حذرِ الشاة علىٰ ما تشاهده في الحال من الذئب، ومن ههنا يصير إلىٰ حقيقته الإنسانية، والحقيقة هي الروح المنسوبة إلىٰ الله تعالىٰ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢] وفي هذا العالَم يُفتَح له باب الملكوت فيشاهد الأرواح المجرَّدة عن غشاوة القوالب، وأعني بهذه الأرواح: الحقائق المحض المجرَّدة عن كسوة التلبيس وغشاوة الإشكال، وهذا العالَم لا نهاية له، وأما عوالم المحسوسات والمتخيَّلات والموهومات فمتناهية؛ لأنها مجاورة للأجسام وملتصقة بها، والأجسام لا يُتصوَّر أن تكون غير متناهية. والسير في هذا العالَم مثاله الخياليُّ المشي علىٰ الماء، ثم يترقَّىٰ منه إلىٰ المشي في الهواء. وأما التردد علىٰ المحسوسات فهو كالمشي علىٰ الأرض، وفيها تتولَّد درجات الشياطين حتىٰ يتجاوز الإنسان عوالمَ البهائم فينتهي إلىٰ عالم الشياطين، ومنه يسافر إلىٰ عالم الملائكة، وقد ينزل فيه ويستقر. وفي هذه العوالم كلها منازل الهدىٰ، والهدىٰ المنسوب إلىٰ الله تعالىٰ يوجد في العالم الرابع وهو عالم الأرواح وهو قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] ومقام كل إنسان ومحله ومنزلته في العلو والسفل بقدْر إدراكه، وهو معنىٰ قول علي رضي الله عنه: الناس أبناء ما يحسنون. فالإنسان بين أن يكون دودًا أو حمارًا أو فرسًا أو شيطانًا، ثم يجاوز ذلك فيصير ملَكًا، والملائكة درجات، فمنهم الأرضية، ومنهم السماوية، ومنهم

المقرَّبون المرتفعون عن الالتفات إلىٰ السماء والأرض، القاصرون نظرهم علىٰ جمال حضرة الربوبية وملاحظة الوجه الكريم خاصةً، وهم أبدًا في دار البقاء؛ إذ ملحوظهم هو الوجه الباقي، وأما ما عدا ذلك فالفناء مصيره، أعني السموات والأرض وما يتعلق بها من المحسوسات والمتخيَّلات والموهومات، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧] وهذه العوالم منازل سفر الإنسان؛ ليترقَّىٰ من حضيض درجة البهائم إلىٰ يفاع رتبة الملائكة، ثم يترقَّىٰ من رتبتهم إلىٰ رتبة العُشَّاق منهم وهم العاكفون علىٰ ملاحظة جمال الوجه، يسبِّحون الوجه الكريم ويقدِّسونه بالليل والنهار لا يفتُرون. فانظر الآن إلىٰ خسَّة الإنسان وإلىٰ شرفه وإلىٰ بُعد مراقيه في معراجه وإلىٰ انحطاط درجاته في تسفُّله، وكل الآدميين مردودون إلىٰ أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يترقَّون منها فلهم أجر غير ممنون وهو ملاحظة جمال الوجه، وبهذا يُفهَم معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ الآية [الأحزاب: ٧٢] لأن معنىٰ الأمانة: التعرُّض للعهدة ولخطر الثواب والعقاب في الطاعة والمعصية، ولا خطر علىٰ سكان الأرض وهم البهائم؛ إذ ليس لهم إمكان الترقِّي من المنزل الثاني. ولا خطر علىٰ الملائكة؛ إذ ليس لهم خوف الانحطاط إلىٰ حضيض عالم البهائم. فانظرْ إلىٰ الإنسان وعجائب عوالمه كيف يعرج إلىٰ سماء العلو رقيًّا ويهوي إلىٰ الأرض السافلة للحقارة هويًّا متقلِّدًا هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلَّده في الوجود غيره. فيا مسكين كيف تهدِّدني بالعاقبة وتخوِّفني بمجاوزة الجمهور ومخالفة المشهور وبذلك فرحي وسروري أن الذي تكرهونه مني هو الذي يشتهيه قلبي، فاطْوِ طُومار[1] الهذيان، ولا تقعقع بعد هذا بالشِّنان[2].

---

(١) الطومار: الصحيفة. انظر: تاج العروس ١٢/ ٤٣٤.

(٢) في مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢٦١: «ما يقعقَع له بالشنان. القعقعة: تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره، والشنان جمع شن وهو القربة البالية، وهم يحركونها إذا أرادوا =

وأما مطالبتك [إيَّاي] بتفصيل عذاب الآخرة وذِكر أصنافه، فلا تطمع في التفصيل، فذلك داعية إلىٰ الملال والتطويل، فقد ظهر لي بالمشاهدة ظهورًا أوضح من العيان أن أصناف عذاب الآخرة ثلاثة، أعني الروحانيَّ منها حرقة فُرقة المشتهَيات وخزي خجلة المفضحات وحسرة فوات المحبوبات. فهذه ثلاثة أنواع من النيران الروحانية تتعاقب علىٰ روح مَن آثر الحياةَ الدنيا إلىٰ أن ينتهي إلىٰ مقاساة النار الجسمانية، فإنَّ ذلك يكون في آخر الأمر، فخذ الآن شرح هذه الأصناف:

الصنف الأول: حرقة فُرقة المشتهيات، فصورته المستعارة من عالم الحس والتخيُّل: التنين الذي وصفه الشارع ﷺ، وعدد رؤوسه وهي بعدد الشهوات ورذائل الصفات، يلدغ صميم الفؤاد لدغًا مؤلمًا، وإن كان البدن بمعزل عنه، فقَدِّرْ في عالَمك هذا مِلكًا مستوليًا علىٰ جميع الأرض، متمكِّنًا من جميع المَلاذِّ، مستهترًا بالوجوه الحسان، متهالكًا عليها، مشغوفًا باستعباد الخَلق بالطاعة، مطاعًا فيهم، فقصده رجل فاسترقَّه واستعمله [علىٰ ملأ من رعيَّته] في تعهُّد الكلاب، وصار يتمتَّع [بنعمه ويتمتَّع] بأهله وجواريه بين يديه، ويتصرَّف في خزائنه وذخائر أمواله فيفرِّقها علىٰ أعدائه ومعانديه، فانظر الآن هل ترىٰ علىٰ قلبه تنينًا ذا رؤوس كثيرة يلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه، وهو يودُّ أنه لو يُبتلَىٰ بدنه بأمراض وآلام ليتخلَّص منه، فتوهَّمْ هذا، فربما تشتمُّ به قليلاً من رائحة الحُطَمة التي فيها نار الله الموقَدة التي تطَّلِع علىٰ الأفئدة، أُعِدَّت لمَن جمع مالاً وعدَّده يحسب أن ماله أخلده.

واعلمْ أن عذاب كل ميت بعدد رؤوس هذا التنين، وعدد الرؤوس بعدد

= حث الإبل علىٰ السير لتفزع فتسرع. يضرب لمن لا يتضع لما ينزل به من حوادث الدهر، ولا يروعه ما لا حقيقة له». وقال الزمخشري في المستقصىٰ ٢/ ٢٧٤: «يضرب للرجل الشرس الصعب، أي لا يهدد ولا يفزع».

المشتهَيات، ومَن كان أفقر وتمتُّعه بالدنيا أقل كان العذاب عليه أخفَّ، ومَن لا علاقة له مع الدنيا أصلاً فلا عقاب عليه أصلاً.

الصنف الثاني: خزي خجلة المفضحات، فقَدِّرْ رجلاً خسيسًا رذلاً فقيرًا عاجزًا قرَّبه ملكٌ من الملوك [ورفعه] وقوَّاه وخلع عليه وسلَّم إليه نيابةَ مُلكه ومكَّنه من دخول حريمه وخزائنه اعتمادًا علىٰ أمانته، فلما عظُمت عليه النعمةُ طغىٰ وبغىٰ وصار يخون في خزائنه ويفجر بأهل الملك وبناته وسُرِّيَّاته، وهو في جميع ذلك يُظهِر الأمانة للملك، ويعتقد أنه غير مطَّلع علىٰ خيانته، فبينما هو في غمرة فجوره وخيانته إذ لاحظ روزنة، فرأىٰ الملكَ يطَّلع عليه منها، وعلم أنه كان يطَّلع عليه كل يوم ولكن كان يغضي عنه ويمهله حتىٰ يزداد خبثًا وفجورًا، ويزداد استحقاقًا للنَّكال لتنصبَّ عليه بالآخرة أنواع العذاب، فانظر إلىٰ قلبه كيف يحترق بنيران خزي الخجلة وبدنُه بمعزل عنه، وكيف يودُّ أن يعذَّب بدنه بكل عذاب وينكتم خزيُه، فكذلك أنت تتعاطَىٰ في الدنيا أعمالاً لها [أرواح و] حقائق خبيثة قبيحة، وأنت جاهل بها [معتقد حسنها] فتنكشف لك في الآخرة حقائقها في صورها القبيحة، فتختزي وتخجل خجلة تؤثِر عليها آلامَ بدنك.

فإن قلتَ: كيف تنكشف لي حقائقها؟ فاعلمْ أن ذلك لا تفهمه إلا بمثال، ومن جملته مثلاً أن يؤذِّن مؤذِّن في رمضان قبل الصبح فيرىٰ في المنام أنَّ في يده خاتمًا يختم به أفواه الرجال وفروج النساء، فيقول له ابن سيرين: هذا رأيتَه لأذانك قبل الصبح. فتأمل الآن أنه لمَّا بعُدَ بالنوم قليلاً عن عالم الحس انكشف له روحُ عمله [لكن] لمَّا كان بعدُ في عالم التخيُّل - لأن النائم لا يزول تخيُّلُه بالنوم - غشاه الخيالُ بمثال متخيَّل وهو الخاتم والختم به، لكنه مثال أدل علىٰ روح العمل من نفس الأذان؛ لأن عالم المنام أقرب إلىٰ عالم الآخرة، والتلبيس به أضعف قليلاً، وليس يخلو عن تلبيس، ولأجله يُحتاج إلىٰ التعبير، فلو قال قائل لهذا المؤذِّن: أما تستحي أن تختم أفواهَ الرجال وفروج النساء؟ لقال: معاذ الله أن أفعل هذا، ولأنْ

أقدَّم فتُضرَب عنقي أحَبُّ إليَّ من أن أفعل هذا. فينكره؛ لأنه يجهله، مع أنه فعلُه؛ لأن روحه قاصرة عن إدراك أرواح الأشياء [وحقائقها].

وكذلك لو أكلتَ لحمًا طريًّا علىٰ اعتقاد أنه لحم طير، فقال قائل: أما تستحي أن تأكل لحم أخيك الميت فلان؟ لقلتَ: معاذ الله أن أفعل ذلك، ولأن أموت جوعًا أهون عليَّ من ذلك. فنظرتَ فإذا هو لحم أخيك الميت قد طُبِخ وقُدِّم إليك ولُبِّس عليك. فانظر كيف تختزي وتُفتضَح به وبدنُك بمعزل عن ألمه، وكذلك المغتاب يرىٰ نفسه في الآخرة؛ لأن روح الغِيبة تمزيق أعراض الإخوان والتفكُّه بها. وفي عالم الآخرة تنكشف أرواح الأشياء وحقائقها، وهذا روح حسدك لأخيك، فإنك تحسده ولا يضرُّه، وينعكس عليك، ويهلك دينُك، وتُنقَل حسناتك إلىٰ ديوانه، وهي قرَّة عينك؛ لأنها سبب سعادة الأبد، فهي أعز من حدقة الولد، فإذا انكشف لك هذا الروح فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة وبدنُك بمعزل عنه. فالقرآن كثيرًا ما يعبِّر عن أرواح [الأعمال] فلذلك قال تعالىٰ في الغِيبة: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢] وقال في الحسد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣] ويكفيك من الأمثال مثال الأذان والغِيبة والحسد، وقِسْ عليه كلَّ فعل نهاك الشرعُ عنه، فذلك يفتح لك معرفة روح الفعل وحقيقته وحُسن ظاهره كحسن البصر الظاهر وقبح باطنه كقبح البصيرة الباطنة من مشكاة نور الله تعالىٰ[1]، وعن هذا عبَّر الشارع ﷺ حيث قال: «تُعرَض الدنيا يوم القيامة في صورة [عجوز] شوهاء زرقاء صفتُها كيت وكيت، لا يراها أحد إلا ويقول: أعوذ بالله منها، فيقال: هذه دنياكم التي كنتم تتهارشون عليها». فيصادفون في أنفسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثِرون النارَ عليه.

وإن أردتَ أن تفهم كيفية هذه الخجلة فاسمعْ حكاية رجل من أبناء الملوك

---

(١) في العبارة اضطراب واضح، ونص الغزالي في الأربعين: «فذلك لقبح روح الفعل وحقيقته وحسن ظاهره، أي ظاهره حسن للبصر الظاهر، وباطنه قبيح للبصيرة الناظرة من مشكاة نور الله تعالىٰ».

تزوج بأجمل امرأة من بنات الملوك، فشرب تلك الليلة وسكر وأخطأ بابَ الحجرة وخرج وضلَّ، فرأىٰ ضوء سراج، فقصده علىٰ ظن أنه في حجرته، فدخل الموضع، فرأىٰ جماعة قيامًا، فصاح بهم، فلم يجيبوه، فظن أنهم نيام، فطلب العروسَ، فرأىٰ واحدة نائمة في ثياب جديدة، فظن أنها العروس، فضاجعها وأخذ يقبِّلها ويغشاها ويجعل لسانه في فيها ولسانها في فيه ويمتص ريقها متلذِّذًا بذلك في سكره غايةَ التلذُّذ، ويتمسَّح بالرطوبات التي تصيبه من جميع بدنها علىٰ ظنٍّ أن ذلك عطر ادَّخرتْه له، فلما أصبح أفاق فإذا هو في ناووس المجوس[1]، وإذا النيام موتىٰ، وهذه عجوز شوهاء، قريبة العهد بالموت، عليها الحنوط وكفن جديد[2]، وإذا هو من فرقه إلىٰ قدمه ملطَّخ من قاذوراتها، ثم يتفكَّر في غشيانه لها وابتلاع ريقها ومخاطها، فيهجم علىٰ قلبه من الخزي ما يتمنَّىٰ أن يخسف الله به الأرضَ حتىٰ ينسىٰ ما جرىٰ عليه، ولا يزال يعاوده ذِكرُه ولا ينساه أصلاً، بل تجد نفسه ما عملت من سوء محضَرًا تودُّ لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا، وبدنه بمعزل من هذا الخزي والألم، وهو في عذاب دائم من الغَثَيان والقيء، ويذكر تلك المخازي، ويحذر أن يطَّلع عليه أحد فيتضاعف خزيُه، فإذا هو بأبيه وجميع حشمه قد جاؤوا في طلبه، واطَّلعوا علىٰ جميع مخازيه. فهذا حال مَن تمتَّع بالدنيا، ينكشف له ذلك في الآخرة روحه وحقيقته، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ [العاديات: ١٠] وهو أن يُعرَض عليه حاصلها، وهو روحها وحقيقتها. وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق: ٩] أي ينكشف من أسرار الأعمال وأرواحها القبيحة أو الحسنة، وكما أن أطيب الأطعمة رجيعها أقذر وأنتن، كذلك تنعُّمات الدنيا وحاصلها وسرها في الآخرة أقبح وأفضحُ، ولذلك شبَّهَ رسولُ الله ﷺ الدنيا بالطعام، وعاقبتها بالرجيع.

---

(١) أي: مقابر المجوس. انظر: تاج العروس ١٦/ ٥٨٦.

(٢) بعده في الأربعين: «فصادف في فمه وأنفه من رطوبات ريقها ومخاطها وعلىٰ بدنه من قاذورات أسافلها».

الصنف الثالث: حسرة فوات المحبوبات، فقدِّرْ نفسَك كونك في جماعة من أقرانك دخلوا في ظُلمة، فكان فيها حجارة لا تُرَىٰ ألوانها، فقال أقرانك: نحمل من هذا ما نطيق، فلعله يكون فيه ما يُنتفَع به إذا خرجنا من الظُّلمة. فقلتَ: ماذا أصنع بها؟ أتحمَّل في الحال ثقلها وأكدُّ نفسي فيها وأنا لا أدري عاقبتها؟ ما هذا إلا جهل عظيم، فإن العاقل لا يترك الراحة نقدًا لِما يتوقَّعه نسيئةً ولا يستيقنه. فأخذ كل واحد من أقرانك ما أطاق [أخذه] وأعرضتَ أنت عن ذلك وسخرتَ منهم؛ لأنهم يئنُّون تحت أعبائه وثقله، وأنت مترفِّه في الطريق تعدو وتضحك منهم، فلما جاوزوا الظُّلمةَ نظروا فإذا هي جواهر ويواقيت يساوىٰ كل واحد ألف دينار، فأقبلوا علىٰ بيعها وتوصَّلوا بها إلىٰ الجاه والنعمة، وأصبحوا ملوك الأرض، فأخذوك واستسخروك لتعهُّد دوابِّهم وينفقون عليك كل يوم قدرًا يسيرًا من فضلات الطعام، فكيف ترىٰ اشتعال نيران الحسرة في قلبِك وبدنُك بمعزل عنه؟ وكم تقول: يا حسرتَىٰ علىٰ ما فرَّطت في جنب الله. و: يا ليتنا نُرَدُّ فنعمل غيرَ الذي كنا نعمل. وتقول لهم: أفيضوا علينا مما أُفيضَ عليكم. فيقولون: هذا حرام عليك، ألم تكن تسخر منا وتضحك علينا، فلا بد أن نسخر منك اليوم كما كنت تسخر منا. فلا يزال تنقطع نياط قلبك من التحسُّر، ولا ينفعك، ولكن تتسلَّىٰ وتقول: الموت يخلِّصني من هذا كله. واعلمْ أن هذا الحال حال تارك الطاعات في الآخرة، وكذلك ينكشف له، ولكن لا مَطمع في الموت المخلِّص، بل حسرته أبدية، وألمها يتضاعف كل يوم، وإن كان البدن بمعزل عنها. وعنه العبارة بقوله تعالىٰ: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠] وكذلك إنه تعالىٰ يفيض علىٰ أهل المعرفة والطاعة من أنوار جمال الوجه ما يحصل به من اللذَّة مبلغ لا يوازيه نعيمُ الدنيا، بل يُعطَىٰ آخر مَن يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات، كما ورد به الخبرُ، لا بمعنىٰ تضاعُف المقدار بالمساحة، بل بتضاعُف الأرواح(١)، كما أن الجوهرة تكون قيمتها عشرة أمثال الفرس لا بالوزن

(١) فيه تمثيل للحقائق بالمعاني، وانظر: قانون التأويل لابن العربي ص ٣٥٧.

والمقدار بل بروح الماليَّة؛ إذ قيمتها عشرة أمثاله.

واعلمْ أن تحريم تلك اللذَّات وإفاضتها عليهم ليس من جنس تحريم الرجل نعمته علىٰ عبده بغضب أو باختيار حتىٰ يُتصوَّر تغيُّره، بل هو كتحريم الله تعالىٰ علىٰ الأبيض أن يكون أسود في حالة البياض، وعلىٰ الحار أن يكون باردًا في حال حرارته، وذلك لا يُتصوَّر فيه التبديل، بل مثال ذلك أن يقول للعالِم الكامل رجل شيخ هرم وهو من الجُهَّال الذي كان بليدًا في أصل الفطرة ولم يمارس قط علمًا ولم يتعلَّم قط لغةً: أفِضْ علىٰ [قلبي] من دقائق علومك. فيقول: إن الله تعالىٰ حرَّمه علىٰ الجاهلين. معناه أن الاستعداد لقبوله إنما يُكتسَب بذكاء فطري وممارسة طويلة للعلم بعد تعلُّم اللغة العربية وأمور أُخَر كثيرة. وإذا بطلَ الاستعدادُ وفات استحالت الإفاضة، كما تستحيل إفاضة الحرارة علىٰ البارد مع بقاء البرودة، فلا تظن أن الله تعالىٰ يغضب عليك ويعاقبك انتقامًا، ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول: لِمَ يعذِّبني ولمْ تضرُّه معصيتي؟ بل يلزم العقابُ من المعصية كما يلزم الموتُ من السم.

واعلمْ أن هذه الحسرة دائمة؛ لأن منشأها تضادُّ صفتين لا يزول تضادُّهما أبدًا، مثاله: أن الذي تعلَّق بحبل في عنقه أو رجله إنما يتألَّم لتضادِّ صفتين لا لصورة الحبل والتعليق، ولكن صفته الطبيعية تطلب الهويَّ إلىٰ أسفل، والمنع القهري بالحبل يمانع الصفةَ الطبيعية فيتولَّد الألم فيه من تمانُعهما، فكذلك الروح الإنساني [من الروح الروحاني] الإلهي بأصل فطرته له بحكم الطبع حنين وشوق إلىٰ عالم العلو عالم الأرواح وإلىٰ مرافقة الملأ الأعلىٰ، ولكن أغلال الشهوات وسلاسلها تجذبه إلىٰ أسفل السافلين، وهي شهوات الدنيا التي هي صفة عارضة قهرت الصفةَ الطبيعية ومنعتها عن نيل مقتضاها، والألم يتولَّد من بينهما، فالنار أيضًا إنما تؤلم للمضادَّة، فإن الملائم للتركيب بقاء الاتصال، والنار تضادُّ الاتصالَ بالتفريق بين الأجزاء، ولو لم تكن قد رأيتَ النار فحُدِّثتَ بأن شيئًا لطيفًا ليِّنًا يماسُّ

بدنَك فيؤلمك لاستنكرتَه وقلتَ: شيء لا صلابة فيه كيف يؤلمني [باللمس]؟ فاعلمْ أن التضادَّ مؤلم، سواء كان بسببٍ خارجٍ أو داخل، فإن سم العقرب يبقىٰ بالعضو ويؤلم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن، فلا تظنن أن الآلام كلها تدخل من خارج. فإن قلتَ: إن العقرب إنما لدغت من خارج. فاعلمْ أن ألم العين وألم السن لا يقصُر عنه، وإنما سببه انصباب خلطٍ من داخل مضادٍّ لمزاج العين والسن، وليس ذلك بأهون من لدغ الحية والعقرب. واعلمْ أن تضادَّ الصفات علىٰ القلب يؤلم القلبَ إيلامًا لا ينقُص عمَّا يؤلم السنَّ والعين، ومثاله في تضعيف الصفات أن البخيل المُرائي إذا طُلِبت منه عطية علىٰ ملأ من الناس عند مَن يريد أن يعرفوه بالسخاء يتألَّم قلبُه لتضادِّ الصفتين؛ إذ البخل يتقاضاه أن لا يعطي، وحب الجاه يتقاضاه أن يعطي، وقلبه بين هاتين الصفتين كشخص يُنشَر بمنشار نصفين. فهذا مثال حسرة الفوات، وعِظَمُها بقدْر ما ينكشف من جلالة قدْر الفائت، ولا تعلمه بالحقيقة في هذا العالَم، بل في عالم الكشف، وهو نبأ عظيم أنتم عنه مُعرِضون.

واعلمْ أن هذه الأصناف الثلاثة لها ترتيب، فالصنف الأول الذي يلقاه الميت المعذَّب هو حرقة فُرقة المشتهَيات، وذلك تنين حب الدنيا، ولذلك أضيفَ ذلك إلىٰ القبر، وإنما سيق هذا لأن أغلب الأشياء علىٰ قلب الميت في حال فراقه ما يفوته من الدنيا من مال وجاه ومنصب ونعمة، ثم بعد ذلك تنكشف له أرواح الأعمال وحقائقها القبيحة، وذلك عند الانغمار التام في الموت وبُعدِ العهد بغشاوة صفات الدنيا، فكلَّما كان إمعانه في الموت أشد فهو للكشف أقبلُ، فيفيض عند ذلك عليه خزي الفضيحة، ولذلك أضيفَ هذا إلىٰ القيامة؛ لأنه وسطٌ بين منزلة القبر وبين دار القرار، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨] أي يوم القيامة.

وأما حسرة فوات المحبوبات فتستولي عليه آخرًا عند القرار في النار، ففيها يقول: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله. وذلك أنَّ بُعد العهد عن الدنيا ربما

يخفِّف عنه عذاب النزوع [وطلب الرجوع] إليها، وطول العهد بالكشف يوجب خروجَه عن خزي الافتضاح، فإن سَوْرة عذاب الخزي تكون عند هجوم الافتضاح، ثم يألف الخزي والفضيحةَ إلفًا ما، ثم عند فتورهما قليلاً تنبعث حسرةُ الفوت؛ إذ تظهر جلالة الفائت، ثم تبقىٰ حسرة الفوت آخرًا، ويشبه أن يكون ذلك لا آخر له، وهذا كله تعرفه قطعًا إذا عرفتَ نفسك وعرفت أنك لا تموت لكن تعمىٰ عينُك وتُصَمُّ أذنُك وتُفلَج أعضاؤك، وأما الحقيقة التي أنت بها فلا تفنَىٰ بالموت أصلاً، بل يتغيَّر حالك [فقط] ويبقىٰ [معك] جميع معارفك وإدراكاتك الباطنة وشؤونك، وإنما يزيد تعذيبك بفراق ما تحب، وافتضاحك بظهور ما ينكشف في تلك الحال، وتحسُّرك علىٰ فوات ما تعرف قدْره بعد الموت لا قبله، وهذا كله مقدِّمات العذاب الحسي البدني، وذلك أيضًا حق، وله ميعاد معلوم، كما وردت به الآيات والأخبار. فاقنع الآن بهذا القدْر، فإن هذا الكلام يكاد يجاوز حدَّ مثل هذا الكتاب، ولا بد أن يحرِّك سلسلة الحمقىٰ والجاهلين، ولكنهم أخس من أن يُلتفَت إليهم، قال الله عز وجل: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩ - ٣٠] ولنقتصر علىٰ هذا.

إلىٰ هنا سياق المصنف في آخر كتاب الأربعين الذي ختم به كتابه جواهر القرآن. والله الموفِّق.

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما، وضغطة القبر، وبقية القول في عذاب القبر

اعلمْ أن فتنة القبر هي سؤال الملَكين، وقد تواترت الأحاديث بذلك عن: أبي هريرة، والبراء، وتميم الداري، وعمر بن الخطاب، وأنس، وبشير بن أكَّال، وثوبان، وجابر بن عبد الله، وحذيفة، وعُبادة بن الصامت، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وابن مسعود، وعثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وأبي أمامة، وأبي الدرداء، وأبي رافع، وأبي سعيد الخدري، وأبي قتادة، وأبي موسىٰ، وأسماء، وعائشة، ﷺ.

أما حديث أبي هريرة فله طرق، منها ما أشار إليه المصنف فقال: **(قال أبو هريرة)** رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ: إذا مات العبد)** وفي رواية: إذا قُبِر الميت **(أتاه ملَكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: منكر، وللآخر: نكير، فيقولان له: ما كنتَ تقول في النبي)**؟ وفي رواية: في هذا الرجل **(فإن كان مؤمنًا قال: هو عبد الله ورسوله)** وفي رواية: فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله **(أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)** وفي رواية: عبده ورسوله **(فيقولان: إنَّا كنا نعلم أنك لَتقولُ ذلك)** وفي رواية: لَتقولُ هذا **(ثم يُفسَح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا)** وفي رواية: ثم يُفسَح له قبره سبعون ذراعًا في سبعين **(وينوَّر له في قبره)** وفي رواية: ثم ينوَّر له فيه **(ثم يقال)** وفي رواية: فيقال **(له: نَمْ. فيقول: دعوني أرجع إلىٰ أهلي فأُخبِرُهم. فيقال له: نَمْ. فينام كنومة العروس)** وفي رواية: فيقولان: نَم كنومة العروس **(الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتىٰ يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقًا قال: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون شيئًا وكنت أقوله)** وفي رواية: قال: سمعت

الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري (**فيقولان: إنَّا كنا لَنعلمُ أنك تقول ذلك. ثم يقال للأرض: التئمي عليه. فتلتئم عليه حتىٰ تختلف فيها أضلاعه**) وفي رواية: فتختلف أضلاعه (**فلا يزال فيها معذَّبًا حتىٰ يبعثه الله**) عَزَّوَجَلَّ (**من مضجعه ذلك**) قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] وحسَّنه وابن حبان[٣] مع اختلاف.

قلت: قال الترمذي: حدثنا أبو سلمة يحيىٰ بن خلف، حدثنا بِشر بن المفضَّل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبُري، عن أبي هريرة رفعه: «إذا قُبِرَ الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ... فذكره إلىٰ آخره، وقال: حسن غريب. ورواه أيضًا ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والآجري في كتاب الشريعة[٤] وابن أبي عاصم في كتاب السنَّة[٥] والبيهقي في عذاب القبر[٦]. وأما لفظ ابن حبان فسيأتي للمصنف قريبًا، وفيه مع سياق الترمذي اختلاف كثير وتبايُن في الإسنادين، ولذلك قال: مع اختلاف.

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه الطبراني في الأوسط[٧] وابن مردويه عنه قال: شهدنا جنازةً مع رسول الله ﷺ، فلما فُرِغ من دفنها وانصرف الناس قال: «إنه الآن يسمع خَفْق نعالكم، أتاه منكر ونكير، أعينهما مثل قدور النحاس، وأنيابهما مثل صياصي البقر، وأصواتهما مثل الرعد، فيُجلِسانه فيسألانه: ما كان يعبد؟ ومَن كان نبيُّه؟ فإن كان ممَّن يعبد الله قال: كنت أعبد الله، ونبِّيي محمد ﷺ، جاءنا بالبيِّنات، فآمنَّا به واتَّبعناه. فذلك قول الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ

(١) المغني ٢/ ١٢٣٦.
(٢) سنن الترمذي ٢/ ٣٧٠.
(٣) صحيح ابن حبان ٧/ ٣٨٦.
(٤) الشريعة ٣/ ١٢٨٨.
(٥) السنة ٢/ ٤١٦.
(٦) إثبات عذاب القبر ص ٥٧.
(٧) المعجم الأوسط ٥/ ٤٤.

ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فيقال له: علىٰ اليقين حييتَ، وعليه متَّ، وعليه تُبعَث. ثم يُفتَح له باب إلىٰ الجنة، ويوسَّع له في حفرته. وإن كان من أهل الشك قال: لا أدري، سمعت الناس يقولون قولاً فقلتُه. فيقال له: علىٰ الشك حييتَ، وعليه متَّ، وعليه تُبعَث. ثم يُفتَح له باب إلىٰ النار، ويسلَّط عليه عقارب وتنانين، لو نفخ أحدهم في الدنيا ما أنبتت شيئًا، تنهشه، وتؤمَر الأرض فتنضمُّ عليه حتىٰ تختلف أضلاعه».

قال الطبراني بعد أن رواه عن عبيد الله بن محمد البرقي، حدثنا عمرو بن خالد الحَرَّاني، حدثنا ابن لهيعة، عن موسىٰ بن جُبَير الحَذَّاء أنه سمع أبا أُمامة بن سهل بن حنيف ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان يحدِّثان عن أبي هريرة ... فذكره: لم يروِه عن أبي أمامة ومحمد إلا موسىٰ، تفرَّد به ابنُ لهيعة.

وقد رواه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه.

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه ابن ماجه[١] عنه مرفوعًا: «إن الميت يصير إلىٰ القبر، فيُجلَس الرجل الصالح في قبره غير فزِع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيمَ كنتَ؟ فيقول: كنت في الإسلام. فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله، جاءنا بالبيِّنات من عند الله فصدَّقناه. فيقال له: هل رأيتَ الله؟ فيقول: لا، ما ينبغي لأحد أن يرىٰ الله. فتُفرَج له فُرجة قِبَل النار، فينظر إليها يحطِم بعضُها بعضًا، فيقال له: انظرْ إلىٰ ما وقاكَ اللهُ. ثم تُفرَج له فرجة قِبَل الجنة، فينظر إلىٰ زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك. ويقال له: علىٰ اليقين كنتَ، وعليه متَّ، وعليه تُبعَث إن شاء الله. ويُجلَس الرجل السوء في قبره فزِعًا مشعوفًا، فيقال له: فيمَ كنتَ؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلتُه. فتُفرَج له فرجة قِبَل الجنة، فينظر إلىٰ زهرتها وما فيها، فيقال له: انظرْ إلىٰ ما صرفه الله عنك. ثم تُفرَج له فرجة قِبَل النار، فينظر إليها يحطِم بعضُها بعضًا،

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٥٢.

فيقال له: هذا مقعدك، علىٰ الشك كنتَ، وعليه متَّ، وعليه تُبعَث إن شاء الله تعالىٰ».

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمر: «كيف أنت إذا رأيت منكرًا ونكيرًا»؟ قال: وما منكر ونكير؟ قال: «فتَّانا القبر، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يطآن في أشعارهما، ويحفران [الأرض] بأنيابهما، معهما عصا من حديد لو اجتمع عليها أهلُ مِنىٰ لم يقلُّوها».

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه البزار[1] وابن جرير في تهذيب الآثار[2] عنه رفعه: «إن المؤمن يُجلَس في قبره، فيُسئل: مَن ربُّك؟ فيقول: ربي الله. فيقول: مَن نبيُّك؟ فيقول: نبيِّي محمد ﷺ. فيقول: ما دينُك؟ قال: ديني الإسلام. فيُفتَح له باب في قبره، فيقال: انظرْ إلىٰ مجلسك، نَمْ قرير العين، فيبعثه الله يوم القيامة فكأنَّما كانت رقدة. وإذا كان عدوًّا لله ونزل به الموت فإذا جلس في قبره يقال له: مَن ربُّك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دريتَ. فيقال: مَن نبيُّك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دريتَ. فيقال: ما دينُك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دريتَ. فيُفتَح له باب من جهنم، ثم يُضرَب ضربة تُسمِع كلَّ دابة إلا الثَّقَلين، ثم يقال له: نَمْ كما ينام المنهوس». قيل لأبي هريرة: ما المنهوس؟ قال: الذي تنهسه الدواب والحيَّات. «ثم يضيَّق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه»

وأما حديث البراء وتميم الداري فقد تقدَّم ذِكرُهما آنفًا.

وأما حديث عمر بن الخطاب، فقال أبو بكر ابن أبي داود في كتاب البعث[3]:

---

(١) مسند البزار ١٧/ ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) تهذيب الآثار - السفر الثاني من مسند عمر ص ٥٠٢.

(٣) البعث والنشور ص ٢١ - ٢٢ (ط - مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة).

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا مفضل - يعني ابن صالح، أبا جميلة- حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي شمر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت [إذا كنت] في أربعة أذرُع في ذراعين، ورأيتَ منكَرًا ونكيرًا»؟ قلت: يا رسول الله، وما منكر ونكير؟ قال: «فَتَّانا القبر، يبحثان الأرضَ بأنيابهما، ويطآن في أشعارهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، معهما مِرْزبَّة لو اجتمع عليها أهل مِنىٰ لم يطيقوا رفعها، وهي أيسر عليهما من عصاي هذه، فامتحناك فإن تعاييتَ أو تلوَّيت ضرباك بها ضربةً تصير بها رمادًا». قلت: يا رسول الله، وأنا علىٰ حالي هذه؟ قال: «نعم». قلت: إذًا أكفيكهما.

وقد رواه كذلك الحاكم في التاريخ والبيهقي في عذاب القبر[1].

قال السيوطي في أمالي الدرة: هذا حديث ضعيف، ومفضَّل أخرج له الترمذي وقال[2]: ليس بذلك الحافظ. وقال البخاري: منكر الحديث[3]. وقال ابن حبان[4]: يروي المقلوبات عن الثقات، فوجب تركُ الاحتجاج به.

وله شاهد مرسل أشار إليه المصنف بقوله: **(وعن عطاء بن يسار)** الهلالي أبي محمد المدني، مولىٰ ميمونة **(قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا عمر، كيف بك إذا أنت متَّ، فانطلق بك قومُك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع)** كذا في النسخ، والرواية: ثلاثة أذرع وشبرًا في ذراع وشبر **(ثم رجعوا إليك فغسَّلوك وكفَّنوك وحنَّطوك، ثم احتملوك حتىٰ يضعوك فيه، ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك، فإذا انصرفوا عنك أتاك فَتَّانا القبر منكر ونكير، أصواتهما كالرعد القاصف)** أي الشديد المتجلجل **(وأبصارهما كالبرق الخاطف)** أي الذي يخطف

(١) إثبات عذاب القبر ص ٨٢.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٣٤٢.

(٣) رواه عنه ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٤٠٥.

(٤) المجروحون من المحدثين ٢/ ٣٥٦.

الأبصار (**يجرَّان أشعارَهما**) لطولها (**ويحثيان القبر**) وفي رواية: يبحثان (**بأنيابهما**) ومن قوله «يجرَّان» إلىٰ هنا لا يوجد في أكثر روايات هذا المرسل عند الجماعة، وإنما هو في حديث عمر المتقدم ذِكره (**فتلتلاك**) هو بمثنَّاتين، أي زعزعاك وأقلقاك وأزعجاك (**وترتراك**) هو أيضًا بمثناتين بمعنىٰ الأول، وضبطه السيوطي[1] بمثلثتين وفسَّره بكثرة الكلام وترديده. وأنت خبير بأن هذا المعنىٰ لا يوافق سياقَ الحديث. وفي رواية هنا زيادة: وهوَّلاك. والتهويل: التفزيع (**كيف بك**) وفي رواية: فكيف بك (**عند ذلك يا عمر؟ فقال عمر**) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يا رسول الله (**ويكون معي مثل عقلي الآن**)؟ وفي رواية: يا رسول الله، ومعي عقلي؟ (**فقال: نعم. قال: إذا أكفيكهما**) قال العراقي[2]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلاً، ورجاله ثقات. قال البيهقي في الاعتقاد[3]: ورويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلاً. قلت: وصله ابن بطة في الإبانة من حديث ابن عباس. ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر، وقال: غريب بهذا الإسناد، تفرَّد به مفضل. ولأحمد[4] وابن حبان[5] من حديث عبد الله بن عمرو: فقال عمر: أتُرَدُّ إلينا عقولنا؟ فقال: «نعم، كهيئتكم اليوم». فقال عمر: بفيه الحجرُ. ا.هـ.

قلت: هذا المرسَل رواه كذلك أبو نعيم في الحلية والآجري في الشريعة[6] والبيهقي في عذاب القبر[7]. قال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن يوسف، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا سعيد بن إبراهيم[8]، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن

---

(١) شرح الصدور ص ١٢٨.

(٢) المغني ٢/ ١٢٣٦.

(٣) الاعتقاد ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٤) مسند أحمد ١١/ ١٧٦.

(٥) صحيح ابن حبان ٧/ ٣٨٤.

(٦) الشريعة ٣/ ١٢٩٢.

(٧) إثبات عذاب القبر ص ٨١.

(٨) في بغية الباحث ص ٣٧٩: سعيد بن سليمان.

أبيه، عن عطاء بن يسار ... فذكره.

وأما حديث ابن عباس الذي أشار إليه بأنه وصله ابنُ بطة فقد رواه أيضًا البيهقي في عذاب القبر[١] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف بك يا عمر إذا انتُهِي بك إلىٰ الأرض فحُفِر لك ثلاثة أذرع وشبر في ذراع وشبر، ثم أتاك منكر ونكير أسودان، يجرَّان أشعارهما، كأنَّ أصواتهما الرعد القاصف، وكأنَّ أعينهما البرق الخاطف، يحفران الأرض بأنيابهما، فأجلساك فزِعًا فتلتلاك وتوهَّلاك». قال: يا رسول الله، وأنا يومئذٍ علىٰ ما أنا عليه؟ قال: «نعم». قال: أكفيكهما بإذن الله تعالىٰ يا رسول الله.

وأما قوله «تفرَّد به مفضَّل» فقد تقدَّم الكلام عليه قبل هذا قريبًا.

وأما ما أشار إليه من حديث عبد الله بن عمرو، فقال أحمد في المسند: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حُيَيُّ بن عبد الله أن عبد الله أبا عبد الرحمن حدَّثه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ ذكر فتَّانا القبر، فقال عمر: أتُرَدُّ إلينا عقولنا؟ ... فذكره. وهو حديث صحيح الإسناد، أخرجه الطبراني في الكبير[٢] بسند رجاله رجال الصحيح، وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والآجري في الشريعة[٣] وابن عدي[٤] وغيرهم.

(وهذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت، إنما يتغير البدن والأعضاء) بالزَّمانة فيها **(فيكون الميت عاقلاً، مدركًا، عالمًا بالآلام واللذَّات، كما كان لا يتغير من عقله شيءٌ، وليس العقل المدرِك هذه الأعضاء، بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض، بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرِك للأشياء، ولو تناثرت**

(١) إثبات عذاب القبر ص ٨١ - ٨٢.

(٢) المعجم الكبير ١٤/ ٨٢.

(٣) الشريعة ٣/ ١٢٩٣.

(٤) الكامل في الضعفاء ٢/ ٨٥٥.

أعضاء الإنسان كلها ولم يبقَ إلا الجزء المدرِك الذي لا يتجزَّأ ولا ينقسم لكان الإنسان العاقل بكماله قائمًا باقيًا، وهو كذلك بعد الموت، فإن ذلك الجزء لا يحلُّه الموتُ، ولا يطرأ عليه العدمُ).

وأما حديث أنس، فأخرج الشيخان(١) وغيرُهما من طريق قتادة عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن العبد إذا وُضِع في قبره وتولَّىٰ عنه أصحابه وإنه لَيسمعُ قرع نعالهم. قال: يأتيه ملَكان فيُقعِدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ - زاد ابن مردويه: الذي كان بين أظهُركم، الذي يقال له محمد - قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظرْ إلىٰ مقعدك من النار، فقد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة». قال النبي ﷺ: «فيراهما جميعًا». قال قتادة: وذُكِر لنا أنه يُفسَح له في قبره سبعون ذراعًا، ويُملأ عليه خَضِرًا. «وأما المنافق أو الكافر فيقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس. فيقال: لا دريتَ ولا تليت. ويُضرَب بمطارق من حديد ضربةً فيصيح صيحة يسمعها مَن يليه إلا الثَّقَلين».

وروىٰ أحمد(٢) وأبو داود في سننه(٣) والبيهقي في عذاب القبر(٤) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ هذه الأمَّة تُبتلَىٰ في قبورها، وإن المؤمن إذا وُضِع في قبره أتاه ملَكٌ فسأله: ما كنت تعبد؟ فإنِ اللهُ هداه قال: [كنت] أعبد الله. فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله. فما يُسئل عن شيء بعدها، فيُنطلَق به إلىٰ بيت كان له في النار، فيقال له: هذا بيتك كان لك في النار، ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك به بيتًا في الجنة. فيقول: دعوني حتىٰ أذهب

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٤١٠، ٤٢٢. صحيح مسلم ٢/ ١٣١٣.
(٢) مسند أحمد ٢١/ ١١٩.
(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٤٩.
(٤) إثبات عذاب القبر ص ٣٣ - ٣٥.

فأبشِّر أهلي. فيقال له: اسكنْ. وإن الكافر إذا وُضِع في قبره أتاه ملَكٌ فينتهره فيقول له: ما كنتَ تعبد؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: كنت أقول ما يقول الناس. فيضربونه بمِطراق من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها الخَلق غيرَ الثَّقَلين».

وأخرج الديلمي[١] من حديث أنس رفعه: «يدخل منكر ونكير على الميت في قبره فيُقعِدانه، فإن كان مؤمنًا قالا له: مَن ربُّك؟ قال: الله. قالا: ومَن نبيُّك؟ قال: محمد. قالا: ومَن إمامك؟ قال: القرآن. فيوسِّعان عليه قبرَه. وإن كان كافرًا يقولان له: مَن ربُّك؟ قال: لا أدري. قالا: ومَن نبيُّك؟ قال: لا أدري. قالا: ومَن إمامك؟ قال: لا أدري. فيضربانه بالعمود ضربة حتى يلتهب القبر نارًا، فيضيَّق عليه حتى تختلف أعضاؤه».

وأما حديث بشير بن أكَّال فأخرجه البزار[٢] والطبراني[٣] وابن السكن عن أيوب بن بشير عن أبيه قال: كانت ثائرةٌ في بني معاوية، فذهب رسول الله ﷺ يُصلِح بينهم، فالتفت إلى قبر فقال: «لا دريتَ». فقيل له، فقال: «إن هذا يُسئل عني فقال: لا أدري».

وأما حديث ثوبان فأخرجه أبو نعيم عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات المؤمن كانت الصلاة عند رأسه، والصدقة عن يمينه، والصيام عند صدره ...» وذكر حديث القبر نحو حديث البراء. هكذا أورده في الحلية[٤] ولم يسُقْه.

وأما حديث جابر بن عبد الله، فأخرج أحمد[٥] والطبراني في الأوسط[٦] وابن

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٥٠٩.
(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٤١١.
(٣) المعجم الكبير ٢/ ٤٦.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ١٤٧.
(٥) مسند أحمد ٢٣/ ٦٥.
(٦) المعجم الأوسط ٩/ ٣٨ - ٣٩.

أبي الدنيا والبيهقي[1] من طريق أبي الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فَتَّاني القبر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذه الأمَّة تُبتلَىٰ في قبورها، فإذا أُدخِل المؤمن قبره وتولَّىٰ عنه أصحابه جاءه ملَك شديد الانتهار فيقول له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: أقول: إنه رسول الله وعبده. فيقول له الملك: انظرْ إلىٰ مقعدك الذي كان لك من النار، قد أنجاك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترىٰ من النار مقعدَك الذي ترىٰ من الجنة. فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشِّر أهلي. فيقال له: اسكنْ. وأما المنافق فيُقعَد إذا تولَّىٰ عنه أهله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول ما يقول الناس. فيقال له: لا دريتَ، هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة، قد أبدلك الله مكانه مقعدَك من النار». قال جابر: فسمعت النبي ﷺ يقول: «يُبعَث كل عبد في القبر علىٰ ما مات عليه: المؤمن علىٰ إيمانه، والمنافق علىٰ نفاقه».

وأخرج ابن ماجه[2] وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم في السنَّة[3] عن جابر رفعه: «إذا أُدخِل الميت قبره مُثِّلت له الشمس عند غروبها، فيجلس يمسح عينيه ويقول: دعوني أصلي».

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو نعيم[4] عن جابر رفعه: «إذا أُدخِل الميت قبره رُدَّ الروح في جسده، وجاءه ملَكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان ...» الحديث.

وروىٰ ابن أبي عاصم[5] وابن مردويه والبيهقي[6] من طريق أبي سفيان عن

---

(١) إثبات عذاب القبر ص ١٢٦.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٥٥.

(٣) السنة ٢/ ٤١٩.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ١٩٠.

(٥) السنة ٢/ ٤١٩.

(٦) إثبات عذاب القبر ص ١٢٦.

جابر رفعه: «إذا وُضِع المؤمن في القبر أتاه ملَكان فانتهراه، فقام يهبُّ كما يهب النائم، فيقال له: مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيِّي. فينادي منادٍ: أنْ صدق، فأفرِشوه من الجنة، وألبِسوه من الجنة. فيقول: دعوني حتىٰ أخبر أهلي. فيقال له: اسكنْ».

وأما حديث حذيفة فقد تقدَّم عند ذِكر معرفة الميت لمَن يغسله ويكفِّنه.

وأما حديث عُبادة بن الصامت فقد تقدَّم ذِكرُه مختصرًا، وهو طويل، رواه ابن أبي الدنيا في التهجُّد وابن الضريس في فضائل القرآن[١] وحميد بن زنجويه في فضائل الأعمال، وأوله: إذا قام أحدكم في الليل فليجهر بقراءته ... الحديث، وفيه: فيصعد القرآن إلىٰ ربِّه فيسأل له فِراشًا ودِثار، فيؤمَر له بفراش ودثار وقنديل من نور الجنة وياسمين من الجنة، فيحمله ألف ملك من مقرَّبي السماء الدنيا. وفيه: فيوسَّع له مسيرة أربعمائة عام. قال أبو موسىٰ المديني: هذا خبر حسن رواه أحمد وأبو خيثمة وطبقتهما عن أبي عبد الرحمن المقرئ بسنده إلىٰ عبادة. وقد أخرجه العقيلي في الضعفاء[٢] وابن الجوزي في الموضوعات[٣] من وجه آخر عن عبادة مرفوعًا وقال: لا يصح.

وأما حديث ابن عباس فأخرج البيهقي بسند حسن عنه رفعه: «إن الميت لَيسمعُ خَفْق نعالهم حين يولُّون. قال: ثم يُجلَس فيقال له: مَن ربُّك؟ فيقول: الله. ثم يقال له: ما دينُك؟ فيقول: الإسلام. ثم يقال له: مَن نبيُّك؟ فيقول: محمد. فيقال: وما علمُك؟ فيقول: عرفته وآمنت به وصدَّقت بما جاء به من الكتاب. ثم يُفسَح له في قبره مد بصره، ويُجعَل روحه مع أرواح المؤمنين».

---

(١) فضائل القرآن ص ٦٦.

(٢) الضعفاء الكبير ٢/ ٣٨٩، وقال: حديث باطل لا أصل له.

(٣) الموضوعات ١/ ٢٥١.

وروىٰ الطبراني في الأوسط[١] بسند حسن عنه قال: اسم الملكين اللذين يأتيان في القبر: منكر ونكير.

وروىٰ ابن أبي حاتم والبيهقي[٢] عنه قال: إذا دُفِن المؤمن أُجلِس في قبره، فيقال له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربي الله. فيقال له: مَن رسولك؟ فيقول: محمد. فيقال له: ما شهادتك؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [إبراهيم: ٢٧] فيوسَّع له في قبره مد بصره. وأما الكافر فتنزل الملائكة فيبسطون أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت، فإذا أُدخِل قبره أُقعِد فقيل له: مَن ربُّك؟ فلم يرجع إليهم شيئًا، وأنساه الله ذِكر ذلك، وإذا قيل له: مَن الرسول الذي بُعِث إليكم؟ لم يهتدِ له، ولم يرجع إليهم شيئا، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾».

ولحديث ابن عباس طريق أخرىٰ تقدَّم ذِكرُها في ذِكر حديث عمر بن الخطاب، وطريق أخرىٰ رواها جويبر في التفسير عن الضحَّاك عنه بأطول مما ذُكِر، يشبه سياقُه سياقَ حديث البراء.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه الديلمي في مسند الفردوس[٣] عنه رفعه: «ألظوا ألسنتكم قول: لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الله ربنا، والإسلام ديننا، ومحمدًا نبينا، فإنكم تُسئلون عنها في قبوركم».

وأما حديث عبد الله بن عمرو فقد تقدَّم في ترجمة حديث عمر بن الخطاب.

وأما حديث ابن مسعود فله طرق، منها ما أخرجه الطبراني في الكبير[٤] بسند

---

(١) المعجم الأوسط ٣/ ١٣١.

(٢) إثبات عذاب القبر ص ١٣٤.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٠٤.

(٤) المعجم الكبير ٩/ ٢٦٦.

حسن والبيهقي في عذاب القبر[١] عنه قال: إن المؤمن إذا مات أُجلِس في قبره فيقال له: مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد ﷺ، فيوسَّع له في قبره ويفرج له فيه. ثم قرأ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية. وإن الكافر إذا أُدخِل في قبره أجلِس فيه فقيل له: مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقول: لا أدري. فيضيَّق عليه قبره ويعذَّب فيه. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ الآية [طه: ١٢٤].

ومنها ما أخرج ابن أبي شيبة[٢] والبيهقي[٣] عنه قال: إن أحدكم ليُجلَس في قبره إجلاسًا، فيقال له: ما أنت؟ فإن كان مؤمنًا قال: أنا عبد الله حيًّا وميتًا، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيُفسَح له في قبره ما شاء الله، فيرىٰ مكانه من الجنة، وتنزل عليه كسوة يلبسها من الجنة. وأما الكافر فيقال له: ما أنت؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: لا دريتَ. ثلاثًا، فيضيَّق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه، وتُرسَل عليه حيَّات من جوانب قبره تنهشه وتأكله، فإذا جزع فصاح قُمِعَ بمقمع من نار أو حديد، ويُفتَح له باب إلىٰ النار.

ومنها ما روىٰ الآجري في الشريعة[٤] عنه قال: إذا توفي العبد بعث الله إليه ملائكة، فيقبضون روحه في أكفانه، فإذا وُضِع في قبره بعث الله إليه ملكين ينتهرانه فيقولان: مَن ربُّك؟ قال: ربي الله. قالا: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام. قالا: مَن نبيُّك؟ قال: نبيِّي محمد. قالا: صدقتَ، كذلك كنتَ، أفرِشوه من الجنة، وألبِسوه منها، وأروه مقعدَه منها. وأما الكافر فيُضرَب ضربة يلتهب قبره منها نارًا، ويضيَّق عليه قبره حتىٰ تختلف عليه أضلاعه، وتُبعَث عليه حيَّات من حيات القبر كأعناق

(١) إثبات عذاب القبر ص ٢٩.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٤٩.

(٣) إثبات عذاب القبر ص ١٣٢.

(٤) الشريعة ٣/ ١٢٩٣.

الإبل[1].

ومنها ما روىٰ الخَلاَّل في كتاب شرح السنَّة عنه قال: إن المؤمن إذا نزل به الموتُ أتاه ملك الموت ... فساقه، وفيه: فإذا وُضِع في قبره أُجلِس، وجيء بالروح وجُعِلت فيه، فيقال له: مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد ﷺ. فيقال له: صدقتَ. فيوسَّع له في قبره مد بصره، ثم تُرفَع روحه فتُجعَل في أعلىٰ عِلِّيين ... الحديث.

وأما حديث عثمان فأخرج أبو داود[2] والحاكم[3] والبيهقي[4] عنه قال: مر رسول الله ﷺ بجنازة عند قبر وصاحبه يُدفَن، فقال: «استغفِروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يُسئل».

وأما حديث عمرو بن العاص فقد تقدَّم ذِكرُه في كلام المحتضرين

وأما حديث معاذ فروىٰ البزار[5] عنه رفعه: «إن البيت الذي يُقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور ...» فساقه، وفيه: «فإذا وُضِع في قبره وسُوِّيَ عليه وتفرَّق عنه أصحابه أتاه منكر ونكير، فيجلسانه في قبره ...» الحديث، وفيه: «فيقول القرآن: ليس عليك بعد مسألة منكر ونكير همٌّ ولا حزن. فيسأله منكر ونكير، ويصعدان، ويبقىٰ هو والقرآن ...» الحديث بطوله، وهو غريب، وفي إسناده جهالة وانقطاع[6].

---

(١) بعده في الشريعة: فإذا صرخ قمع بمقمع من نار أو حديد.

(٢) سنن أبي داود ٤/ ٦٤. ولفظه: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا ... الخ.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٣٠.

(٤) إثبات عذاب القبر ص ٤٧.

(٥) مسند البزار ٧/ ٩٧ - ٩٩.

(٦) قال المنذري في الترغيب ١/ ٢١٩: في إسناده من لا يعرف حاله، وفي متنه غرابة كثيرة، بل نكارة ظاهرة.

وأما حديث أبي أمامة فقد تقدَّم في التلقين.

وأما حديث أبي الدرداء، فأخرج ابن المبارك في الزهد[١] وابن أبي شيبة[٢] والآجري في الشريعة[٣] والبيهقي[٤] عنه أن رجلاً قال له: عَلِّمْني خيرًا ينفعني الله به. فقال: أما لا فاعقلْ، كيف أنت إذا لم يكن لك من الأرض إلا موضع أربعة أذرع في ذراعين، جاء بك أهلك الذين كانوا يكرهون فراقك، وإخوانُك الذين كانوا يتحزَّبون لأمرك فتلُّوك في ذلك [المِتَلِّ] ثم سدُّوا عليك من اللبن، وأكثروا عليك من التراب، فجاءك ملكان أزرقان جعدان يقال لهما منكر ونكير فقالا: مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فإن قلتَ: ربي الله وديني الإسلام ونبيِّي محمد، فقد واللهِ هُديتَ ونجوتَ، ولن تستطيع ذلك إلا بتثبيت من الله تعالىٰ مع ما ترىٰ من الشدة والتخويف، وإن قلتَ: لا أدري، فقد واللهِ هويتَ [ورديت].

وأما حديث أبي سعيد الخدري فأخرج أحمد[٥] والبزار[٦] وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم في السنَّة[٧] وابن مردويه والبيهقي[٨] بسند صحيح عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة، فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، إن هذه الأمَّة تُبتلَىٰ في قبورها، فإذا الإنسان دُفِن فتفرَّق عنه أصحابه جاءه ملَكٌ في يده مِطْراق فأقعده قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول له: صدقتَ. ثم يُفتَح له باب إلىٰ النار فيقول: هذا كان

---

(١) الزهد والرقائق ص ٤٣١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٥٠، ١٢/ ٨٩.

(٣) الشريعة ٣/ ١٢٩٠.

(٤) إثبات عذاب القبر ص ١٣٣.

(٥) مسند أحمد ١٧/ ٣٢ - ٣٤.

(٦) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٤١٢.

(٧) السنة ٢/ ٤١٧.

(٨) إثبات عذاب القبر ص ٤٣.

منزلك لو كفرتَ بربِّك، فأما إذ آمنتَ فهذا منزلك. فيُفتَح له باب إلىٰ الجنة، فيريد أن ينهض إليه، فيقول له: اسكنْ. ويُفسَح له في قبره. وإن كان كافرًا أو منافقًا قال له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا. فيقول: لا دريتَ ولا تليت ولا اهتديت. ثم يُفتَح له باب إلىٰ الجنة، فيقول: هذا منزلك لو آمنتَ بربِّك، فأما إذ كفرتَ به فإن الله أبدلك به هذا. ويُفتَح له باب إلىٰ النار، ثم يقمعه قمعةً بالمِطْراق يسمعها خلقُ الله كلُّهم غيرَ الثَّقَلين». فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما أحد يقوم عليه ملَكٌ في يده مِطْراقٌ إلا هيلَ عند ذلك. فقال رسول الله ﷺ: يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت.

وأما حديث أبي رافع، فأخرج الطبراني[1] وأبو نعيم في دلائل النبوة عنه أن رسول الله ﷺ مر علىٰ قبر فقال: «أف أف أف». فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما معك [أحد] غيري، فمنِّي أففتَ؟ قال: «لا، ولكني أففت من صاحب هذا القبر الذي سُئل عني فشكَّ فيَّ»[2].

وروىٰ البزار[3] والطبراني[4] والبيهقي[5] عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد وأنا أمشي خلفه إذ قال: «لا هُديتَ ولا اهتديت». قلت: ما لي يا رسول الله؟ قال: «لستُ إيَّاك أردتُ، ولكن أريد صاحب هذا القبر الذي سُئل عني فزعم أنه لا يعرفني». فإذا قبر مرشوش عليه ماء حين دُفِن في القبر صاحبه.

وأما حديث أبي قتادة فأخرجه ابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط[6] وابن

(١) المعجم الكبير ١/ ٣٢٢.

(٢) قال الهيثمي في المجمع ٣/ ٥٣: رواه الطبراني في الكبير، وفيه من لم أعرفه.

(٣) مسند البزار ٩/ ٣٢١.

(٤) المعجم الكبير ١/ ٣٢٥، ٣٢٧.

(٥) إثبات عذاب القبر ص ٧٨.

(٦) المعجم الأوسط ٢/ ٩٠ مختصرا.

منده عنه قال: إن المؤمن إذا مات أُجلِس في قبره، فيقال له: مَن ربُّك؟ فيقول: الله تعالىٰ. فيقال له: مَن نبيُّك؟ فيقول: محمد بن عبد الله. فيقال له ذلك ثلاث مرات، ثم يُفتَح له باب إلىٰ النار فيقال له: انظرْ إلىٰ منزلك لو زغتَ. ثم يُفتَح له باب إلىٰ الجنة فيقال له: انظرْ إلىٰ منزلك في الجنة إذ ثَبَتَّ. وإذا مات الكافر أُجلِس في قبره فيقال له: مَن ربُّك؟ مَن نبيُّك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون. فيقال له: لا دريتَ. ثم يُفتَح له باب إلىٰ الجنة فيقال له: انظرْ إلىٰ منزلك لو ثَبَتَّ. ثم يُفتَح له باب إلىٰ النار فيقال له: انظرْ إلىٰ منزلك إذ زِغْتَ. فذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: لا إله إلا الله ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ قال: المسألة في القبر.

وأما حديث أبي موسىٰ فأخرجه البيهقي في عذاب القبر[١] عقب حديث ابن مسعود، ولم يسُقْ لفظه، بل أحاله عليه.

وأما حديث أسماء بنت أبي بكر، فأخرج ابن أبي شيبة[٢] والبخاري[٣] عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه قد أوحيَ إليَّ أنكم تُفتَنون في القبور، فيقال: ما علمُك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن - أو الموقِن - فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبيِّنات والهدىٰ، فأجبنا واتَّبعنا. فيقال له: قد علمنا إن كنت لَمؤمنًا، نَمْ صالحًا. وأما المنافق - أو المرتاب - فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلتُه».

وروىٰ أحمد[٤] عنها رفعته: «إذا أُدخِل الإنسان في قبره يأتيه الملَك فيناديه: اجلسْ. فيجلس، فيقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ يعني النبيَّ ﷺ، قال: مَن؟

---

(١) إثبات عذاب القبر ص ١٣٢. وأوله: أعمقوا لي قبري.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٤٦.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٤٧، ٨٠، ٢٩٢، ٣٣٢، ٤/ ٣٦١. ورواه أيضا مسلم في صحيحه ١/ ٤٠٤.

(٤) مسند أحمد ٤٤/ ٥٣٥.

قال: محمد. قال: أشهد أنه رسول الله. قال: يقول: علىٰ ذلك عشتَ، وعليه متَّ، وعليه تُبعَث. وإن كان فاجرًا أو كافرًا جاءه الملك فأجلسه ويقول: ما تقول في هذا الرجل؟ قال: أيُّ رجل؟ قال: محمد. قال: يقول: واللهِ ما أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلتُه. قال: فيقول له الملك: علىٰ ذلك عشتَ، وعليه متَّ، وعليه تُبعَث ...» الحديث.

وأما حديث عائشة، فأخرج أحمد[١] والبيهقي[٢] بسند صحيح عنها قالت: جاءت يهودية فاستطعمتْ علىٰ بابي فقالت: أطعِموني، أعاذكم اللهُ من فتنة الدجَّال ومن فتنة عذاب القبر ... فساق الحديث، وفيه: فقال النبي ﷺ: «فأما فتنة القبر فبي تُفتَنون، وعني تُسألون، فإذا كان الرجل الصالح أُجلِس في قبره غير فزِع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيمَ كنتَ؟ فيقول: في الإسلام. فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله، جاءنا بالبيِّنات من عند الله فصدَّقناه. فتُفرَج له فُرجة قِبَل النار، فينظر إليها يحطِم بعضُها بعضًا، فيقال له: انظرْ إلىٰ ما وقاك اللهُ. ثم تُفرَج له فُرجة إلىٰ الجنة، فينظر إلىٰ زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك منها. ويقال: علىٰ اليقين كنتَ، وعليه متَّ، وعليه تُبعَث إن شاء الله تعالىٰ. وإذا كان الرجل السوء أُجلِس في قبره فزِعًا مشعوفًا، فيقال له: فيمَ كنت؟ فيقول: لا أدري. فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا. فتُفرَج له فُرجة إلىٰ الجنة، فينظر إلىٰ زهرتها وما فيها، فيقال له: انظرْ إلىٰ ما صرف الله عنك. ثم تُفرَج له فُرجة قِبَل النار، فينظر إليها يحطِم بعضُها بعضًا، ويقال له: هذا مقعدك بها، علىٰ الشك كنت، وعليه متَّ، وعليه تُبعَث. ثم يعذَّب».

وأخرج البزار[٣] عنها قالت: قلت: يا رسول الله، تُبتلَىٰ هذه الأمَّة في قبورها،

---

(١) السابق ٤٢/ ١٢.

(٢) إثبات عذاب القبر ص ٤١.

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٤١٠. ورواه أيضا ابن الأعرابي في معجمه ص ٦٢.

فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة؟ قال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

فهذه جملة الأخبار التي وردت في سؤال الملكين.

(وقال محمد بن المنكدر) التيمي رحمه الله: **(بلغني أن الكافر يسلَّط عليه في قبره دابَّة عمياء صمَّاء، في يدها سوط من حديد في رأسه مثل عُرف الجمل، تضربه به إلىٰ يوم القيامة، لا تراه فتتَّقيه، ولا تسمع صوته فترحمه)** رواه ابن أبي الدنيا[1] هكذا عنه بلاغًا. ورواه أحمد في المسند موصولاً من روايته عن أسماء بنت أبي بكر رفعته فقال: حدثنا حُجَين بن المثنَّىٰ، حدثنا عبد العزيز - يعني ابن أبي سلمة الماجِشون - عن محمد بن المنكدر قال: كانت أسماء تحدِّث عن النبي ﷺ قالت: [قال]: «إذا أُدخِلَ الإنسان في قبره، فإن كان مؤمنًا أحَفَّ به عملُه الصلاة والصيام، فيأتيه الملَك من نحو الصلاة فتردُّه، ومن نحو الصيام فيردُّه، فيناديه: اجلسْ. فيجلس، فيقول له ...» ثم ساق الحديثَ علىٰ نحو ما ذُكِر قريبًا، وفي آخره: «وتسلَّط عليه دابَّة في قبره، معها سوط ثمرته جمرةٌ مثل عرف البعير، تضربه ما شاء الله، [صمَّاء] لا تسمع صوته فترحمه». وقد أخرج الطبراني طرفًا منه في الكبير، وحديثها في الصحيح باختصار، وقد تقدَّم لفظه.

قال في الصحاح[2]: ثَمَر السوط: عُقَدُ أطرافها.

وعُرف البعير والفرس: الشعر النابت علىٰ المعرفة.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(إذا وُضِع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته، فإن أتاه من قِبَل رأسه جاءت قراءته القرآن، وإن أتاه من قِبَل رجليه جاء**

---

(١) وكذلك ابن المقري في معجمه ص ٢٣٤، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ١١٤٣.

(٢) الصحاح للجوهري ٢/ ٦٠٦.

قيامه، وإن أتاه من قِبَل يديه قالت اليدان: واللهِ لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء، لا سبيل لكم عليه من قِبَلي. وإن جاء من قِبَل فيه جاء ذكره وصيامه، وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحيةً فيقول: أما إني لو رأيتُ خللاً لكنت أنا صاحبه.

قال سفيان) الثوري راويه: **(تُجاحِش)** بجيم ثم حاء مهملة ثم شين معجمة، أي تدافع **(عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده، ثم يقال له عند ذلك: بارك الله لك في مضجعك، فنِعم الأخِلاَّء أخِلاَّؤك، ونِعم الأصحاب أصحابك)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وفيه: قال: وكذلك الصلاة. قال: والصبر ناحيةً، فيقول: أما إني لو رأيت خللاً كنت صاحبه، وتجاحش عنه أعمالُه ... إلخ، ولم يقلْ: قال سفيان.

وروىٰ ابن منده والطبراني في الأوسط[1] عن أبي هريرة رفعه قال: «يؤتَىٰ الرجل في قبره، فإذا أُتيَ من قِبَل رأسه دفعته تلاوة القرآن، وإن أُتيَ من قِبَل يديه دفعته الصدقة، وإذا أُتي من قِبَل رجليه دفعه مشيُه إلىٰ المساجد، والصبر حَجْرةً فقال: أما إني لو رأيت خللاً كنت صاحبه».

قوله «حَجْرة» بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وراء، أي ناحية.

وروىٰ هناد في الزهد[2] وابن أبي شيبة[3] وابن جرير[4] وابن المنذر والطبراني في الأوسط[5] وابن حبان في صحيحه[6] وابن مردويه والحاكم[7]

---

(١) المعجم الأوسط ٩/ ١٦٦.

(٢) الزهد ١/ ٢٠٤، وسقط أول هذا الحديث من الأصل المطبوع، وكمله طابعوه من المصادر التي عزت لهناد، والتي منها شرح الصدور وغيره.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٥٥.

(٤) جامع البيان ١٣/ ٦٦٢.

(٥) المعجم الأوسط ٣/ ١٠٦.

(٦) صحيح ابن حبان ٧/ ٣٨٠.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٣٠.

والبيهقي[(١)] من حديث أبي هريرة: «والذي نفسي بيده، إن الميت إذا وُضِع في قبره إنه لَيسمعُ خَفْق نعالهم حين يولُّون عنه، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعلُ الخيرات والمعروف والإحسان إلىٰ الناس من قِبَل رجليه، فيؤتَىٰ من قِبَل رأسه فتقول الصلاة: ليس قِبَلي مدخلٌ. فيؤتَىٰ عن يمينه فتقول الزكاة: ليس قِبَلي مدخل. ثم يؤتَىٰ من [قِبَل شماله فيقول الصوم: ليس قِبَلي مدخل. ثم يؤتَىٰ من] قِبَل رجليه فيقول فعلُ الخيرات والمعروف والإحسان إلىٰ الناس: ليس قِبَلي مدخل. فيقال له: اجلسْ. وقد مُثِّلت له الشمس وقد قرُبت للغروب، فيقال له: أخبِرْنا عمَّا نسألك [فيقول: دَعْني أصلي. فيقال: إنك ستفعل، فأخبِرْنا عمَّا نسألك]. فيقول: عمَّ تسألوني؟ فيقال له: ما تقول في هذا الرجل ...» فساقوا الحديث بطوله. وهذه إحدىٰ طرق حديث أبي هريرة في إثبات السؤال.

ورویٰ ابن أبي الدنيا وابن منده عن أبي هريرة قال: إذا احتضر المؤمن فخرجت روحه من جسده تقول الملائكة: روح طيبة من جسد طيب، فإذا أُخرِج من بيته إلىٰ قبره فهو يحب ما أُسرِع به، فإذا أُدخِل في قبره أتاه آتٍ ليأخذ برأسه فيحول سجودُه بينه وبينه، ويأتيه ليأخذ ببطنه فيحول صيامُه بينه وبينه، ويأتيه ليأخذ بيده فتحول صدقته بينه وبينه، ويأتيه ليأخذ برجليه فيحول قيامه عليهما في الصلاة وممشاه عليهما إلىٰ الصلاة بينه وبينه، فما يفزع المؤمن بعدها أبدًا، وإن مَن شاء الله من الخَلق لَيفزعُ، فإذا رأىٰ مقعده وما أُعِدَّ له قال: رب، بلِّغْني إلىٰ منزلي. فيقال له: إنَّ لك إخوانًا وأخوات لم يلحقوا بك، فنَمْ قريرَ العين ... الحديث.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن عائشة قالت: [قال رسول الله ﷺ]: «إذا أُخرِجَ سرير المؤمن نادىٰ: أنشدكم بالله لَما أسرعتم بي. فإذا أُدخِل قبره حفَّه عملُه، فتجيء الصلاة فتكون عن يمينه، ويجيء الصوم فيكون عن يساره، ويجيء عملُه بالمعروف فيكون

---

(١) إثبات عذاب القبر ص ٦١.

عند رجليه، فتقول الصلاة: ليس لكم قِبَلي مدخلٌ، كان يصلي بي. فيأتيه من قِبَل يساره، فيقول الصوم: إنه كان يصوم ويعطش. فلا يجدون موضعًا، فيأتون من قِبَل رجليه، فتخاصم عنه أعمالُه، فلا يجدون مسلكًا، وإذا كان الآخَر نادىٰ بصوت يسمعه كل شيء إلا الإنسان، فإنه لو سمعه صعق أو جزع».

فصل في فوائد[1] منثورة تتعلق بالسؤال:

الأولىٰ: روىٰ أحمد[2] في الزهد عن طاووس قال: إن الموتىٰ يُفتَنون في قبورهم سبعًا، فكانوا يستحبُّون أن يُطعَم عنهم تلك الأيام.

الثانية: قال الحكيم في نوادر الأصول[3]: عن سفيان الثوري قال: إذا سُئل الميت: مَن ربُّك؟ تراءىٰ له الشيطانُ في صورة فيشير إلىٰ نفسه: أنا ربُّك.

قال الحكيم: ويؤيِّده من الأخبار قولُه ﷺ عند دفن الميت: «اللهم أجِرْه من الشيطان»، فلو لم يكن هناك للشيطان سبيل ما دعا ﷺ بذلك.

الثالثة: قال ابن شاهين في السنَّة: حدثنا عبد الله بن سليمان، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا بقية، حدثني صفوان، حدثني راشد قال: كان النبي ﷺ يقول: «تعلَّموا حُجَّتكم، فإنكم مسئولون». حتىٰ إن كان أهل البيت من الأنصار يحضر الرجلَ منهم الموتُ فيوصونه، والغلام إذا عقلَ فيقولون له: إذا سألوك عن ربِّك فقل: الله ربي، وما دينك؟ فقل: الإسلام ديني، ومَن نبيُّك؟ فقل: محمد نبيِّي.

الرابعة: قال القرطبي[4]: جاء في رواية سؤال الملكين، وفي أخرىٰ سؤال ملَك واحد، ولا تعارُض، بل ذلك [صحيح] بالنسبة إلىٰ الأشخاص، فرُب شخص

---

(١) هذه الفوائد نقلها الشارح من كتاب شرح الصدور للسيوطي ص ١٢٠، ١٣٩ - ١٤٦.
(٢) ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١١.
(٣) نوادر الأصول ص ١٠٢٠.
(٤) التذكرة ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

يأتيه اثنان معًا [فيسألانه معًا] عند انصراف الناس؛ ليكون [السؤال] أهول في حقِّه و[الفتنة] أشد بحسب ما اقترف من الآثام، وآخَر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه تخفيفًا عليه لحصول أنسه بهم، وآخَر يأتيه ملك واحد فيكون أخفَّ عليه وأقل في المراجعة لِما قدَّمه من العمل الصالح. قال: ويحتمل أن يأتي الاثنان ويكون السائل أحدهما وإن اشتركا في الإتيان، فتُحمَل رواية الواحد علىٰ هذا.

قال السيوطي في شرح الصدور: هذا الثاني هو الصواب، فإنَّ ذِكر الملكين هو الموجود في غالب الأحاديث.

الخامسة: قال القرطبي[1]: اختلفت الأحاديث في كيفية السؤال والجواب، وذلك بحسب الأشخاص أيضًا، فمنهم مَن يُسأل عن بعض اعتقاداته، ومنهم مَن يُسأل عن كلها. قال: ويحتمل أن يكون الاقتصار علىٰ البعض من بعض الرواة وأتىٰ به غيرُه تامًّا.

قال السيوطي: هذا الثاني هو الصواب؛ لاتفاق أكثر الأحاديث عليه. نعم، يؤخذ منها خصوصًا من رواية أبي داود عن أنس: «فما يُسأل عن شيء بعدها». ولفظ ابن مردويه: «فما يُسأل عن شيء غيرها»، أنه لا يُسأل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد، وصرَّح في رواية البيهقي[2] من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، قال: الشهادة، يُسألون عنها في قبورهم بعد موتهم. قيل لعكرمة: ما هو؟ قال: يُسألون عن الإيمان بمحمد وأمر التوحيد.

السادسة: ورد في رواية أنه يُسأل في المجلس الواحد ثلاث مرات، وباقي الروايات ساكتة عن ذلك، فيُحمَل علىٰ ذلك، أو يختلف الحال بالنسبة إلىٰ الأشخاص، وقد تقدَّم عن طاووس أنهم يُفتَنون سبعة أيام.

---

(١) السابق ص ٣٥٨.

(٢) إثبات عذاب القبر ص ٣١.

السابعة: قال الباقلاني: إن مَن لم يُدفَن ممَّن بقي علىٰ وجه الأرض يقع لهم السؤال والعذاب، ويحجب الله أبصار المكلَّفين عن رؤية ذلك كما حجبها عن رؤية الملائكة والشياطين. قال[1] بعضهم: وتُرَدُّ الحياة إلىٰ المصلوب ونحن لا نشعر به، كما أنَّا نحسب المغمىٰ عليه ميتًا، وكذلك يضيِّق عليه الجو كضمَّة القبر، ولا يستنكر شيئًا من ذلك مَن خالط الإيمانُ قلبَه، وكذلك مَن تفرَّقت أجزاؤه يخلق الله الحياة في بعضها أو كلِّها ويوجَّه السؤال إليها. قاله إمام الحرمين[2]. قال بعضهم: وليس هذا بأبعد من الذَّرِّ الذي أخرجه الله من صلب آدم وأشهدَهم علىٰ أنفسهم: ألست بربِّكم؟ قالوا: بلىٰ.

الثامنة: قال ابن عبد البر: لا يكون السؤال إلا لمؤمن أو منافق كان منسوبًا إلىٰ دين الإسلام بظاهر الشهادة، بخلاف الكافر فإنه لا يُسأل[3].

وخالفه القرطبيُّ[4] وابن القيم[5] فقالا: أحاديث السؤال فيها التصريح بأن الكافر والمنافق يُسألان.

قال السيوطي في شرح الصدور: وما قالاه ممنوع، فإنه لم يُجمَع بينهما في شيء من الأحاديث، وإنما ورد في بعضها ذِكرُ المنافق، وفي بعضها بدله ذِكر الكافر،

---

(١) من هنا إلىٰ آخر الفقرة منقول عن التذكرة للقرطبي ص ٣٧٦ - ٣٧٧ بتصرف.

(٢) نص إمام الحرمين في الإرشاد ص ٣٧٦: «المرضي عندنا أن السؤال يقع علىٰ أجزاء يعلمها الله تعالىٰ من القلب أو غيره فيحييها الرب تعالىٰ فيتوجه السؤال عليها، وذلك غير مستحيل عقلا، وقد شهدت قواطع السمع به».

(٣) نص ابن عبد البر في التمهيد ٢٢/ ٢٥٢: «الآثار الثابتة في هذا الباب إنما تدل علىٰ أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق ممن كان في الدنيا منسوبا إلىٰ أهل القبلة ودين الإسلام ممن حُقن دمه بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يُسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يُسأل عن هذا أهل الإسلام».

(٤) التذكرة ص ٤١٣ - ٤١٥.

(٥) الروح ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

وهو محمول على أن المراد به المنافق، بدليل قوله في حديث أسماء: «وأما المنافق أو المرتاب»، ولم يذكر الكافر. انتهى.

وقال في أمالي الدرة: لطيفة: رأيت في النوم في العام الماضي أني أملي حديثَ السؤال، وأني أقول في آخره: وأما الفاسق فيُمتحَن بما كان يعمل في الدنيا. أو كلمة تشبه هذه، ولعمري وهذا وإن لم يُذكَر في الحديث حتى تعرَّض له بعض الأئمَّة وسأل عن حكمته؛ لأن المسئول إما مؤمن فيُجاب بالنعيم، أو لا فيُجاب بالجحيم، فهل المؤمن الفاسق كالأول أو لا؟ فلا يبعُد أن يقال: إنه يُسأل عمَّا كان يفسق به بأن يقال مثلاً لتارك الصلاة: ما تقول في الصلاة؟ ونحو ذلك، ثم يرى مقعده من الجنة بعد تعذيبه على فسقه، ثم وجدتُ حديثًا يُشعِر بذلك، فأخرج الديلمي في مسند الفردوس: «إذا احتضر المسلم العاصي قيل له: أبشِرْ بالجنة بعد انتقام كذا وكذا»[1].

التاسعة: روى صاحب الحلية عن ضمرة بن حبيب قال: فَتَّانو القبر ثلاثة: أنكر وناكور وروما[2].

وروى ابن لال وابن الجوزي في الموضوعات[3] عنه مرفوعًا: «فَتَّانو القبر أربعة: منكر، ونكير، وناكور، وسيدهم رومان». قال ابن الجوزي: هذا الحديث لا أصل له، وضمرة تابعيٌّ، ورواية الوقف عليه أثبتُ. انتهى.

وسُئل الحافظ ابن حجر[4]: هل يأتي الميتَ ملَكٌ اسمه رومان؟ فأجاب بأنه

---

(١) ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٥٣ من حديث ابن عباس بلفظ: «إذا أمر الله عَزَّوَجَلَّ ملك الموت بقبض أرواح من استوجب النار من مذنبي أمتي قال: بشرهم بالجنة بعد انتقام كذا وكذا على قدر ما يُحبسون في النار».

(٢) حلية الأولياء ٦/ ١٠٤، وفيه: وسيدهم رومان.

(٣) الموضوعات ٣/ ٢٣٤. قال: «هذا حديث موضوع لا أصل له، وهو مقطوع؛ لأن ضمرة من التابعين، وقد روي لنا عن ضمرة نفسه».

(٤) فتاوى ابن حجر في العقيدة ص ٧٨ - ٧٩ (ط - دار الصحابة بطنطا).

ورد بسند فيه لين.

قلت: ولعل المصنف رحمه الله تعالىٰ نظر إلىٰ هذا فذكر في الدرة الفاخرة[(١)]: رومان، وعزاه إلىٰ حديث ابن مسعود. وأنكر السيوطيُّ في أمالي الدرة هذا وقال: ليس في طرق أحاديث السؤال ذِكر رومان ولا فَتَّانين قبل منكر ونكير، بل هما الفَتَّانان.

العاشرة: قال الحكيم الترمذي[(٢)]: سؤال القبر خاص بهذه الأمَّة؛ لأن الأمم قبلها كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفَّت الرسلُ واعتزلوهم، وعوجِلوا بالعذاب، فلمَّا بعث الله محمدًا ﷺ بالرحمة أمسك عنهم العذاب وأعطىٰ السيف حتىٰ يدخل في دين الإسلام مَن دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ الإيمان في قلبه، فمن هنا ظهر النفاق، فكانوا يسرُّون الكفرَ ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلما ماتوا قيَّض الله لهم فَتَّانَي القبر؛ ليستخرج سرَّهم بالسؤال، وليميز الخبيثَ من الطيب. انتهىٰ.

وخالفه آخَرون فقالوا: السؤال لهذه الأمَّة ولغيرها. قال ابن عبد البر: ويدل علىٰ الاختصاص قولُه: «إن هذه الأمَّة تُبتلَىٰ في قبورها»، وقوله: «أوحيَ إليَّ أنكم تُفتَنون في قبوركم»، وقوله: «بي تُفتَنون، وعني تُسألون»[(٣)].

الحادية عشر: قال الحكيم[(٤)] أيضًا: إنما سُمِّيا فَتَّانَي القبر لأن في سؤالهما

---

(١) الدرة الفاخرة ص ٢٣، ونصه: «وقد روي عن ابن مسعود أنه قال: يا رسول الله، ما أول ما يلقىٰ الميت إذا أدخل قبره؟ قال: يا ابن مسعود، ما سألني عنه أحد إلا أنت، فأول ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر ...» وذكر بقية الحديث.

(٢) نوادر الأصول ص ١٠٢٠.

(٣) نص ابن عبد البر في التمهيد ٢٢/ ٢٥٣: «في حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنه قال: إن هذه الأمة تبتلىٰ في قبورها. ومنهم من يرويه: تُسأل في قبورها. وهذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك، وهو أمر لا يُقطع عليه».

(٤) نوادر الأصول ص ١٠١٩.

انتهارًا، وفي خُلُقهما صعوبة، وسُمِّيا منكرًا ونكيرًا لأن خَلْقهما لا يشبه خَلْق الآدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق البهائم، ولا خلق الهَوامِّ، بل هما خلق بديع، وليس في خَلْقهما أُنس للناظرين إليهما، جعلهما الله تكرمةً للمؤمن لتثبِّته وتبصِّره، وهتكًا لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يُبعَث حتىٰ يحلَّ عليه العذاب.

قال السيوطي: وهذا إنما يدل علىٰ أن الاسم «منكَر» بفتح الكاف، وهو المجزوم به في القاموس(١). وذكر ابن يونس(٢) من أصحابنا الشافعية أن اسم ملَكَي المؤمن: مبشِّر وبشير(٣).

الثانية عشر: قال القرطبي(٤): إن قيل: كيف يخاطب الملَكان جميعَ الموتىٰ في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد؟ فالجواب: أنَّ عِظَم جثَّتيهما يقتضي ذلك، فيخاطبان الخَلقَ الكثير في الجهة الواحدة في المرَّة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيَّل لكل واحد من المخاطَبين أنه المخاطَب دون مَن سواه، ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتىٰ.

قال السيوطي: ويحتمل تعدُّد الملائكة المعَدَّة لذلك كما في الحَفَظة ونحوهم. ثم رأيتُ الحليميَّ من أصحابنا ذهب إليه فقال في منهاجه(٥): والذي يشبه أن تكون ملائكة السؤال جماعة كثيرة يسمَّىٰ بعضهم منكرًا وبعضهم يسمَّىٰ نكيرًا، فيُبعَث إلىٰ كل ميت اثنان منهم كما كان الموكَّل عليه لكتابة عمله ملكينِ.

---

(١) تاج العروس ١٤/ ٢٩٠.

(٢) هو عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس بن ربيعة الموصلي، كان آية في القدرة علىٰ الاختصار، له كتاب «التعجيز مختصر الوجيز» وغيره، توفي رحمه الله سنة ٦٧١ هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرىٰ، لابن السبكي (٨/ ١٩١، ١٩٢).

(٣) ذكره في شرحه علىٰ التعجيز كما في مهمات الإسنوي ٣/ ٤٨٧.

(٤) التذكرة ص ٣٨٥.

(٥) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٤٨٩.

الثالثة عشر: وقع في فتاوىٰ العَلَم البُلْقيني أن الميت يجيب السؤالَ بالسريانية.

قال السيوطي: ولم أقف لذلك علىٰ مستنَد، وسُئل الحافظ ابن حجر[١] عن ذلك، فقال: ظاهر الحديث أنه بالعربي. قال: ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل واحد بلسانه.

الرابعة عشر: في أسئلة تتعلق بهذا الباب سُئلها الحافظ ابن حجر: سُئل عن الميت إذا سُئل هل يُقعَد أم يُسأل وهو راقد؟ فأجاب: يُقعَد. وسُئل عن الروح هل تلبس الجثة حينئذٍ كما كانت؟ فأجاب: نعم، لكن ظاهر الخبر أنها تحلُّ في نصفه الأعلىٰ[٢]. وسُئل: هل يُكشَف له حتىٰ يرىٰ النبيَّ ﷺ؟ فأجاب: إنه لم يَرِدْ في حديث، وإنما ادَّعاه بعضُ مَن لا يُحتجُّ به بغير مستنَد سوىٰ قوله «في هذا الرجل»، ولا حجة فيه؛ لأن الإشارة إلىٰ الحاضر في الذهن. وسُئل[٣] عن الأطفال هل يُسألون؟ فأجاب: الذي يظهر اختصاص السؤال بمَن يكون مكلَّفًا.

الخامسة عشر: قال ابن القيم[٤]: الأحاديث مصرِّحة بإعادة الروح إلىٰ البدن عند السؤال، لكن هذه الإعادة لا تحصل بها الحياة المعهودة التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبِّره ويحتاج معها إلىٰ الطعام ونحوه، وإنما يحصل بها للبدن حياة أخرىٰ يحصل بها الامتحان بالسؤال، وكما أن حياة النائم وهو حي غير حياة المستيقظ، فإن النوم أخو الموت، ولا يُنفَىٰ عن النائم إطلاق الحياة، فكذلك حياة الميت عند الإعادة غير حياة الحي، وهي حياة لا تنفي عنه إطلاق اسم الموت، بل أمر متوسط [بين الموت والحياة، كما أن النوم متوسط] بينهما، ولا دلالة في الحديث علىٰ أنها مستقرَّة، وإنما يدل علىٰ تعلُّق مثالها بالبدن وهي لا تزال متعلقة به وإن بليَ وتمزَّق

---

(١) فتاوىٰ ابن حجر ص ٦٧.

(٢) في فتاوىٰ ابن حجر ص ٧٣: «نعم، الروح تدخل البدن لكن بحيث يجلس فقط».

(٣) السابق ص ٧٢.

(٤) الروح ص ١٢٣ – ١٢٥.

وتقسَّم وتفرَّق.

وقال ابن تيمية(١): الأحاديث متواترة علىٰ عَوْد الروح إلىٰ البدن وقتَ السؤال، وسؤال البدن بلا روح قول طائفة منهم ابن الزاغوني، وحُكي عن ابن جرير، وأنكره الجمهور، وقابلهم آخَرون فقالوا: السؤال للروح بلا بدن، قاله ابن حزم وآخَرون منهم ابن عقيل وابن الجوزي، وهو غلطٌ، وإلا لم يكن للقبر بذلك اختصاص.

وقد تقدَّم ذلك في أول الباب.

السادسة عشر: قال اليافعي في روض الرياحين(٢): عن شقيق البلخي أنه قال: طلبنا خمسًا فوجدناها في خمس: طلبنا ترك الذنوب(٣) فوجدناه في صلاة الضحىٰ، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن، وطلبنا عبورَ الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة، وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة.

السابعة عشر: قال البزازي من الحنفية في فتاويه(٤): السؤال فيما يستقرُّ فيه الميت، حتىٰ لو أكله سبعٌ فالسؤال في بطنه، فإن جُعِل في تابوت [أيامًا] لنقله إلىٰ مكان آخر لا يُسأل ما لم يُدفَن.

---

(١) شرح حديث النزول ص ٢٧٨ - ٢٧٩ (ط - دار العاصمة بالرياض) ونصه: «الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل علىٰ عود الروح إلىٰ البدن؛ إذ المسألة للبدن بلا روح قول قاله طائفة من الناس، وأنكره الجمهور، وكذلك السؤال للروح بلا بدن قاله ابن ميسرة وابن حزم. ولو كان كذلك لم يكن للقبر بالروح اختصاص».

(٢) روض الرياحين ص ١٥٦.

(٣) في روض الرياحين: طلبنا بركة القوت.

(٤) كتاب الفتاوىٰ البزازية المعروف بالجامع الوجيز ص ٩١ (بهامش الجزء الرابع من الفتاوىٰ الهندية العالمكيرية / ط - المطبعة الميمنية).

ولما فرغ المصنف من بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما شرع في بيان ضغطة القبر التي هي من جملة الفتن فقال: **(وعن حذيفة)** بن اليمان ﷺ **(قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس على رأس القبر)** وفي رواية: فلما انتهينا إلى القبر قعد على شقِّه **(ثم جعل ينظر فيه)** وفي رواية: فجعل يردِّد بصرَه فيه **(ثم قال: يُضغَط المؤمن في هذا)** وفي رواية: يُضغَط فيه المؤمن **(ضغطةً تُرَدُّ منها حمائله)** وفي رواية: تزول منها حمائله. قال الأزهري: الحمائل هنا: عروق الأُنثيين. قال: ويحتمل أن يُراد موضع حمائل السيف، أي عواتقه وصدره وأضلاعه[1].

قال العراقي[2]: رواه أحمد[3] بسند ضعيف.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر[4] والبيهقي في عذاب القبر[5] بزيادة: «ويُملأ على الكافر فيه نارًا». وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[6]، وردَّ عليه الحافظ ابنُ حجر في القول المسدَّد[7].

(وقالت عائشة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: إن للقبر ضغطةً، ولو سَلِمَ منها - أو: نجا منها - أحد لنجا سعد بن معاذ) قال العراقي[8]: رواه أحمد[9] بسند جيد.

قلت: لفظ أحمد: «لو كان أحد ناجيًا منها لنجا منها سعدُ بن معاذ». وكذلك

---

(١) هكذا نقله ابن الأثير في النهاية ١/ ٤٤٢، ولم أقف على هذا النص في تهذيب اللغة.

(٢) المغني ٢/ ١٢٣٧.

(٣) مسند أحمد ٣٨/ ٤٤٤.

(٤) نوادر الأصول ص ٥٠٤.

(٥) إثبات عذاب القبر ص ٨٥.

(٦) الموضوعات ٣/ ٢٣١.

(٧) القول المسدد في الذب عن مسند أحمد ص ٢٨ - ٢٩ (ط - مكتبة ابن تيمية)، وفيه: «أبو البختري سعيد بن فيروز لم يدرك حذيفة، ولكن مجرد هذا لا يدل على أن المتن موضوع، فإن له شواهد».

(٨) المغني ٢/ ١٢٣٧.

(٩) مسند أحمد ٤٠/ ٣٢٧، ٤١/ ٢٠٤.

رواه البيهقي[١].

وروىٰ أحمد[٢] والحكيم[٣] والطبراني[٤] والبيهقي[٥] عن جابر بن عبد الله قال: لمَّا دُفِن سعد بن معاذ سبَّح النبيُّ ﷺ وسبَّح الناس معه طويلاً، ثم كبَّر وكبَّر الناس، ثم قالوا: يا رسول الله، لِمَ سبَّحتَ؟ قال: «لقد تضايَقَ علىٰ هذا الرجل الصالح قبرُه حتىٰ فرَّج اللهُ عنه».

وروىٰ سعيد بن منصور والحكيم[٦] والطبراني[٧] والبيهقي[٨] عن ابن عباس أن النبي ﷺ يوم دُفِن سعد بن معاذ وهو قاعد علىٰ قبره قال: «لو نجا من ضمَّة القبر أحد لنجا سعدُ بن معاذ، ولقد ضُمَّ ضمةً ثم أُرخيَ عنه».

وروىٰ النسائي[٩] والبيهقي[١٠] عن ابن عمر رفعه قال: «هذا الذي تحرَّك له العرش، وفُتِحت له أبواب السماء، وشهد جنازته سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمةً ثم فُرِّج عنه». يعني سعد بن معاذ.

قال الحسن: تحرك له العرش فرحًا بروحه. أخرجه البيهقي في الدلائل[١١].

---

(١) إثبات عذاب القبر ص ٨٢.
(٢) مسند أحمد ٢٣/ ١٥٨، ٢٧٨.
(٣) نوادر الأصول ص ١٠٢٥.
(٤) المعجم الكبير ٦/ ١٣.
(٥) إثبات عذاب القبر ص ٨٤.
(٦) نوادر الأصول ص ٥٠٧.
(٧) المعجم الكبير ١٠/ ٤٠٦، ١٢/ ٢٣٢.
(٨) إثبات عذاب القبر ص ٨٤.
(٩) سنن النسائي ص ٣٢٨.
(١٠) إثبات عذاب القبر ص ٨٣.
(١١) دلائل النبوة ٤/ ٢٨.

وروىٰ [الحكيم] الترمذي[١] والحاكم[٢] والبيهقي[٣] عنه قال: دخل رسول الله ﷺ قبر سعد بن معاذ فاحتبس، فلما خرج قيل: يا رسول الله، ما حبسك؟ قال: «ضُمَّ سعد في القبر ضمةً، فدعوتُ الله أن يكشف عنه».

وروىٰ هنَّاد في الزهد[٤] عن ابن أبي مُلَيكة قال: ما أُجيرَ من ضغطة القبر أحدٌ ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها.

وقال ابن سعد[٥]: أنبأنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان قال: بلغني أن النبي ﷺ قال وهو قائم عند قبر سعد بن معاذ: «لقد ضُغِط ضغطةً - أو هُمِز همزةً - لو كان أحد ناجيًا منها [بعمل] لنجا سعدٌ».

وروىٰ ابن أبي الدنيا[٦] وابن عساكر[٧] عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن أبيه أن نافعًا مولىٰ ابن عمر لمَّا حضرته الوفاةُ جعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرتُ سعدًا وضغطة القبر.

وروىٰ عبد الرزاق[٨] عن مجاهد قال: أشد حديث سمعناه عن النبي ﷺ قوله في سعد بن معاذ، وقوله في أمر القبر.

---

(١) نوادر الأصول ص ٥٠٦.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٢٤٧.

(٣) إثبات عذاب القبر ص ٨٤.

(٤) الزهد ١/ ٢١٥.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٩٨.

(٦) كتاب المحتضرين ص ١٧١.

(٧) تاريخ دمشق ٦١/ ٤٤٠.

(٨) مصنف عبد الرزاق ٥/ ١٧٧ - ١٧٨. وتمامه: «لما كانت غزوة تبوك قال: لا يخرج معنا إلا رجل مقوٍ. فخرج رجل علىٰ بكر له صعب فصرعه فمات، فقال الناس: الشهيد، الشهيد. فأمر النبي ﷺ بلالا أن ينادي في الناس: لا يدخل الجنة عاصٍ».

وروىٰ الحكيم[١] والبيهقي[٢] من طريق ابن إسحاق قال: حدثني أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد: ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا؟ فقالوا: ذُكِر لنا أن رسول الله ﷺ سُئل عن ذلك فقال: كان يقصِّر في بعض الطهور من البول.

قلت: روىٰ هناد في الزهد[٣] عن الحسن أن النبي ﷺ قال حين دُفِن سعد بن معاذ: «إنه ضُمَّ في القبر ضمةً حتىٰ صار مثل الشعرة، فدعوتُ الله أن يرفع عنه، وذلك بأنه كان لا يستبرئ من البول».

وروىٰ ابن سعد في الطبقات[٤] قال: أخبرنا شبابة بن سَوَّار، أخبرني أبو معشر، عن سعيد المقبُري قال: لمَّا دفن رسول الله ﷺ سعدًا قال: «لو نجا أحدٌ من ضغطة القبر لنجا سعد، ولقد ضُمَّ ضمةً اختلفت منها أضلاعُه من أثر البول».

وهذه الأخبار تؤيِّد قولَ مَن قال إن المراد به تقصيره من بول نفسه، وهو الظاهر، ويردُّ قولَ مَن وجَّهه بأنه كان له إبل كثيرة، فلعلَّه كان يدخل بينها فيصيب ثوبَه أو بدنه منها وهو لا يعلم[٥].

(**وعن أنس**) رضي الله عنه (**قال: توفِّيت زينب بنت رسول الله ﷺ**) ورضي عنها، وكانت وفاتها في أول سنة ثمان من الهجرة (**وكانت امرأة مِسقامة**) أي كثيرة الأمراض (**فتبعها رسولُ الله ﷺ، فساءنا حالُه، فلمَّا انتهينا إلىٰ القبر فدخله التمع وجهُه صفرةً، فلما خرج أسفر وجهُه، فقلنا: يا رسول الله، رأينا منك شأنًا، فممَّ ذلك؟ قال: ذكرتُ ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر، فأُتيت فأُخبِرت أنْ قد خُفِّف**

(١) نوادر الأصول ص ٥٠٦.

(٢) إثبات عذاب القبر ص ٨٥.

(٣) الزهد ١/ ٢١٥ - ٢١٦.

(٤) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٩٨.

(٥) انظر: فيض القدير ٥/ ٤٣٣، ٤٣٤ (ط مكتبة مصر).

عنها، ولقد ضُغِطت ضغطةً سمع صوتها ما بين الخافقين) قال العراقي[(١)]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية الأعمش عن أنس، ولم يسمع منه[(٢)].

قلت: رأىٰ الأعمش أنسًا، قال ابن المديني: ولم يحمل عنه، إنما رآه يخضب، ورآه يصلي، وإنما سمعها من يزيد الرقاشي وأبان عن أنس. وقال ابن معين: كل ما روىٰ الأعمش عن أنس فهو مرسَل. وعن وكيع عن الأعمش قال: رأيت أنسًا، وما منعني أن أسمع منه إلا استغنائي بأصحابي[(٣)].

قلت: وروىٰ عن أنس في سنن أبي داود والترمذي.

وقد روىٰ الطبراني[(٤)] من هذا الوجه عن أنس قال: توفِّيت زينب بنت رسول الله ﷺ، فخرجنا معه، فرأيناه مهتمًّا شديد الحزن، فقعد علىٰ القبر هنيهةً، وجعل ينظر إلىٰ السماء، ثم نزل فيه، فرأيته يزداد حزنًا، ثم خرج، فرأيته سُرِّي عنه وتبسَّم، فسألناه، فقال: «كنت أذكر ضِيقَ القبر وغمَّه وضعف زينب فكان ذلك يشقُّ عليَّ، فدعوتُ الله أن يخفِّف عنها ففعل، ولكن ضغطَها ضغطةً سمعها مَن بين الخافقين إلا الجن والإنس».

وقد رُوي نحو ذلك في ابنته رقيَّة ﷺ، روىٰ سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا[(٥)] عن زاذان أبي عمر قال: لمَّا دفن رسول الله ﷺ ابنته رقيَّة جلس عند القبر،

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٧.

(٢) والحديث عند الحاكم ٤/ ٤٦ من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن أنس. وسكت عنه الذهبي، وقال الدارقطني في العلل ١٢/ ٢٥١ بعد أن ذكر طرقه عن الأعمش: والحديث مضطرب عن الأعمش. وقال ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٢٣٢: حديث لا يصح من جميع طرقه.

(٣) هذه الأقوال الثلاثة رواها الخطيب في تاريخ بغداد ١٠/ ٦ - ٧.

(٤) المعجم الكبير ١/ ٢٥٧، ٢٣/ ٤٣٣.

(٥) ورواه أيضا: قوام السنة في الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٥٢، وابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٢٣٢.

فتربَّد وجهُه، ثم سُرِّيَ عنه، فسأله أصحابه عن ذلك، فقال: «ذكرتُ ابنتي وضعفها وعذاب القبر، فدعوتُ الله ففرَّج عنها، وايم الله لقد ضُمَّت ضمةً سمعها ما بين الخافقين».

وقد عُرِف مما تقدَّم من الأخبار والآثار أن ضمَّة القبر لكل أحد، فدخل فيه الصبيان الذين ماتوا صغارًا، وممَّا يشهد لذلك ما رواه الطبراني[1] بسند صحيح عن أبي أيوب أن صبيًّا دُفِن، فقال رسول الله ﷺ: «لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبيُّ».

وروىٰ الطبراني في الأوسط[2] عن أنس أن النبي ﷺ صلىٰ علىٰ صبي أو صبية فقال: «لو أن أحدًا نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي».

وروىٰ علي بن معبد في كتاب «الطاعة والعصيان» من طريق إبراهيم الغنوي عن رجل قال: كنت عند عائشة، فمرَّت جنازة صبي، فبكت، فقلت لها: ما يبكيكِ؟ قالت: هذا الصبي بكيتُ له شفقةً عليه من ضمة القبر.

وروىٰ عمر بن شَبَّة في كتاب المدينة[3] عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «ما عُفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد». قيل: يا رسول الله، ولا القاسم ابنك؟ قال: «ولا إبراهيم». وكان أصغرهما.

ومن الغريب ما قال الزبير بن بكَّار في الموفَّقيات: حدثني أبو غزية الأنصاري، عن إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق قال: قال عبد الله بن عمرو: توفي سعد بن معاذ، فخرج إليه رسول الله ﷺ، فبينما هم يمشون إذ تخلَّف، فوقفوا حتىٰ أدركهم، فقالوا: يا نبي الله، ما خلَّفك عنا؟ قال: «سمعت سعد بن معاذ حين ضُمَّ في

---

(١) المعجم الكبير ٤/ ١٢١.

(٢) المعجم الأوسط ٣/ ١٤٦.

(٣) تاريخ المدينة ص ١٢٣ - ١٢٤ عن محمد بن علي بن أبي طالب مرسلا، وليس عن أنس.

قبره». قالوا: ضُمَّ في قبره وقد اهتزَّ له عرش الرحمن؟! فقال: «سعد أكرم علىٰ الله أمْ يحيىٰ بن زكريا؟ فوالذي نفسي بيده لقد ضُمَّ لأنه شبع شبعةً من خبز الشعير».

قال السيوطي[١]: هذا حديث منكر بمرَّة، وإسناده معضَل، والمعروف أن الأنبياء لا يُضغَطون.

قال أبو القاسم السعدي في كتاب «الروح» له: لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح، غير أن الفرق بين المسلم والكافر فيها دوام الضغطة للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلىٰ قبره، ثم يعود إلىٰ الانفساح له فيه. قال: والمراد بضغطة القبر: التقاء جانبيه علىٰ جسد الميت[٢].

وقال الحكيم الترمذي[٣]: سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلا وقد ألَمَّ بخطيئة ما وإن كان صالحًا، فجُعِلت هذه الضغطة جزاءً له، ثم تدركه الرحمةُ، ولذلك ضُغِط سعد بن معاذ في التقصير من البول. قال: وأما الأنبياء عليهم السلام فلا نعلم أن لهم في القبور ضمةً ولا سؤالاً لعصمتهم.

وقال النسفي في بحر الكلام[٤]: المؤمن المطيع لا يكون له عذاب القبر، ويكون له ضغطة القبر، فيجد هول ذلك وخوفه؛ لِما أنه تنعَّم بنعمة الله تعالىٰ ولم يشكر النعمة.

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن محمد التيمي قال: كان يقال: إن ضمة القبر إنما أصلها أنها أمُّهم ومنها خُلِقوا، فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما رُدَّ إليها أولادها ضمَّتهم ضمةَ الوالدة التي غاب عنها ولدُها ثم قدمَ عليها، فمَن كان لله مطيعًا ضمته

---

(١) شرح الصدور ص ١١٠.

(٢) انظر: حاشية السيوطي علىٰ النسائي ٤/ ١٠١ (ط مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب).

(٣) نوادر الأصول ص ٥٠٤ - ٥٠٧ باختصار.

(٤) بحر الكلام ص ٢٥٠.

برأفة ورفق، ومَن كان عاصيًا ضمته بعنف سخطًا منها عليه لربِّها.

وروىٰ البيهقي[١] وابن منده والديلمي[٢] وابن النجار عن سعيد بن المسيب أن عائشة قالت: يا رسول الله، منذ يوم حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيءٌ. قال: «يا عائشة، إن أصوات منكر ونكير في أسماع المؤمنين كالإثمد في العين، وإن ضغطة القبر علىٰ المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداعَ فتغمز رأسه غمزًا رفيقًا، ولكن يا عائشة ويل للشاكِّين في الله كيف يُضغَطون في قبورهم كضغطة الصخرة علىٰ البيضة».

فائدة: قال بعضهم: مَن فعل سيئة فإن عقوبتها تُدفَع عنه بعشرة أسباب: أن يتوب فيُتاب عليه، أو يستغفر فيُغفَر له، أو يعمل حسنات فتمحوها، أو يُبتلَىٰ في الدنيا بمصائب فتكفَّر عنه، أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فتكفَّر عنه، أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفرون له، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه، أو يُبتلَىٰ في عرصات القيامة بأهوال تكفِّر عنه، أو تدركه شفاعةُ نبيِّه أو رحمه ربِّه.

---

(١) إثبات عذاب القبر ص ٨٥.

(٢) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٣٩٨ مختصرا من قوله (ويل للشاكين) إلىٰ آخره.

الباب الثامن:

فيما عُرِف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

(اعلمْ) بصرَّكَ الله تعالىٰ بأنوار هدايته (أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ ومن مناهج الاعتبار تعرِّفنا أحوالَ الموتىٰ علىٰ الجملة وانقسامهم إلىٰ سعداء وأشقياء، ولكن حال زيد وعمرو) منهم (بعينه لا ينكشف به أصلاً، فإنَّا إن عوَّلنا علىٰ إيمان زيد وعمرو فلا ندري علىٰ ماذا مات وكيف خُتِم له) عند موته (وإن عوَّلنا علىٰ صلاحه الظاهر) فيما يبدو لنا (فالتقوىٰ محله القلب) كما ورد في الخبر: «التقوىٰ ههنا»، وأشار إلىٰ القلب (وهو غامض يخفَىٰ علىٰ صاحب التقوىٰ) نفسه (فكيف علىٰ غيره؟!، فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوىٰ الباطن، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة: ٢٧] فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه، وإذا مات فقد تحوَّل من عالَم المُلك والشهادة إلىٰ عالم الغيب والملكوت، فلا يُرَىٰ بالعين الظاهرة) لقصورها (وإنما يُدرَكُ[1] بعين أخرىٰ، خُلِقت تلك العين في قلب كل إنسان) وهي عين البصيرة (ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية، فصار لا يبصر بها) إذ صارت محجوبةً (ولا يُتصوَّر أن يبصر بها شيئًا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه) بالتهذيب والتصفية (ولمَّا كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام) من أصل الفطرة (فلا جَرَم نظروا إلىٰ الملكوت وشاهدوا عجائبه، والموتىٰ في عالم الملكوت، فشاهدوهم

(١) في ط المنهاج (٩/ ٥٠٠)، والشعب (١٦/ ٢٩٣٦): يُرىٰ.

وأخبروا) عن أحوالهم سعادةً وشقاوةً **(ولذلك رأىٰ رسول الله ﷺ ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ)** رضي الله عنه **(وفي حق زينب ابنته)** رضي الله عنها، كما تقدَّم في الذي قبله قريبًا **(وكذلك حال)** عبد الله بن حرام **(أبي جابر)** رضي الله عنه **(لما استشهد)** بأُحُد **(إذ أخبره أن الله)** عز وجل **(أقعده بين يديه، ليس بينهما سترٌ)** أي حجاب، كما تقدم في الذي قبله **(ومثل هذه المشاهدة لا مَطمع فيها لغير الأنبياء)** عليهم السلام **(و)** لغير **(الأولياء الذين تقرُب درجتُهم منهم)** أي من الأنبياء **(وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرىٰ ضعيفة، إلا أنها أيضًا مشاهدة نبوية، وأعني بها المشاهدةَ في المنام، وهي من أنوار النبوَّة، قال رسول الله ﷺ: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوَّة)**[1] رواه البخاري من حديث أبي سعيد، ومسلم من حديث ابن عمر وأبي هريرة، وأحمد[2] والطيالسي[3] وابن ماجه[4] من حديث أبي رزين، وقد تقدم. زاد الطيالسي: «وهي معلَّقة بِرِجل طائر ما لم يحدِّث بها». ورواه مالك[5] وأحمد[6] والبخاري والنسائي[7] وابن ماجه[8] وأبو عوانة وابن خزيمة من حديث أنس بلفظ: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النبوَّة».

(وهو أيضًا انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب، فلذلك لا يوثَق إلا برؤيا الرجل الصالح) كما وقع به التقييد في حديث أنس **(الصادق)**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٣ ومسلم في صحيحه ٢/ ١٠٧٥ - ١٠٧٦ من حديث أبي هريرة، وعبادة بن الصامت، وأنس بن مالك، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري.

(٢) مسند أحمد ٢٦/ ١٠٠، ١٠٣، ١١١، ١١٥، ١١٦، ١٢٠.

(٣) مسند الطيالسي ٢/ ٤١٤.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٤١٣.

(٥) الموطأ ٢/ ٩٥٦.

(٦) مسند أحمد ١٩/ ٩٤، ٢٩١، ٤٩٠.

(٧) السنن الكبرىٰ ٧/ ١٠٤.

(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠١.

أي الذي عوَّد لسانَه بالصدق (**ومَن كثُر كذبُه لم تصدُق رؤياه**) فإن كثرة الكذب موجِبة للذنوب، فقد روىٰ العسكري في الأمثال من حديث ابن عمر: «مَن كثُر كذبُه كثرت ذنوبُه، ومَن كثرت ذنوبُه كانت النار أَولىٰ به»[١]. ومنشأ ذلك من كثرة الكلام. وروىٰ الديلمي من حديث أنس: «أصدقُهم رؤيا أصدقُهم حديثًا»[٢] (**ومَن كثُر فسادُه ومعاصيه**) التي منشؤها كثرة الكذب (**أظلم قلبُه، فكان ما يراه أضغاثَ أحلام**) لوجود حجاب الظُّلمة علىٰ القلب، فلا ينكشف له الأمرُ علىٰ حقيقته. والأضغاث[٣] أنواع، الأول: تلاعُب الشيطان ليحزن الرائي، كأنْ يرىٰ أنه قُطِع رأسه. والثاني: أن يرىٰ بعض الأنبياء يأمره بمحرَّم أو مُحال. الثالث: ما تتحدَّث به النفس في اليقظة تمنِّيًا فيراه كما هو في المنام (**ولذلك أمر رسولُ الله ﷺ بالطهارة عند النوم لينام طاهرًا**) قال العراقي[٤]: متفق عليه[٥] من حديث البراء: «إذا أتيتَ مضجعك فتوضأْ وضوءك للصلاة ...» الحديث.

قلت: وتمامه: «ثم اضطجعْ علىٰ شِقِّك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأت ظهري إليك ...» الحديث، وفيه: «فإن متَّ من ليلتك فأنت علىٰ الفطرة، واجعلهن آخرَ ما تتكلم به». ورواه كذلك أحمد[٦] وأبو

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب ١/ ٢٣٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٧٤، والطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٣٢٨. وعندهم: سقطه، بدل: كذبه.

(٢) هو عند مسلم ٤/ ١٧٧٣، وأبي داود ٥٠٢١، والترمذي ٢٢٧٠، وابن ماجه ٣٩١٧، من حديث أبي هريرة، وأما حديث أنس الذي عند الديلمي فلا تصح كما أشار إليه السيوطي في الجامع الكبير (٩/ ٢١٤)، وستأتي توهية المصنف لراوييه.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٢/ ٣٧١.

(٤) المغني ٢/ ١٢٣٨.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٩٩، ٤/ ١٥٥، ١٥٦، ٤٠٢. صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٦ - ١٢٤٧.

(٦) مسند أحمد ٣٠/ ٤٧٦، ٥٣٠، ٥٥٠، ٥٨٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦١٨.

داود[١] والترمذي[٢] والنسائي[٣] وابن خزيمة[٤] **(وهو إشارة إلىٰ طهارة الباطن أيضًا، فهو الأصل، وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها، ومهما صفا الباطنُ انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل)** من الحوادث الكونية **(كما انكشف دخول مكة لرسول الله ﷺ في النوم، حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ الآية)** [الفتح: ٢٧] قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره من رواية مجاهد مرسلاً.

قلت: ولفظه: رأىٰ رسول الله ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلِّقين رؤوسهم ومقصِّرين، فلما نحر الهَدْي بالحديبية قال له أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ فرجعوا ففتحوا خيبر، ثم اعتمر بعد ذلك، فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة. وهكذا رواه أيضًا الفِريابي وعبد بن حميد وابن جرير[٦] والبيهقي في الدلائل[٧].

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: كان تأويل رؤياه في عمرة القضاء.

وأخرج ابن جرير[٨] عن قتادة قال: أُريَ في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام وأنهم آمنون محلِّقين رؤوسهم ومقصِّرين.

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٧٠ - ٣٧١.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٤٠١، ٥٣٤.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٨٣ - ٢٨٩.

(٤) صحيح ابن خزيمة ١/ ١٠٨.

(٥) المغني ٢/ ١٢٣٨.

(٦) جامع البيان ٢١/ ٣١٦، ٣١٨.

(٧) دلائل النبوة ٤/ ١٦٤.

(٨) جامع البيان ٢١/ ٣١٦.

(وقلَّما يخلو الإنسان عن منامات دلَّت علىٰ أمور فوجدها صحيحة، والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنعِ الله تعالىٰ وبدائع فطرة الآدمي، وهو من أوضح الأدلَّة علىٰ عالم الملكوت، والخلق غافلون عنه؛ لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالَم، والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة، فلا يمكن ذِكرُه علاوةً علىٰ علم المعاملة، ولكن القدْر الذي يمكن ذِكرُه هنا مثالٌ يفهمك المقصودَ وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءىٰ فيها الصور وحقائق الأمور) علىٰ ما هي عليها (وأنَّ كل ما قدَّره الله تعالىٰ من ابتداء خلق العالَم إلىٰ آخره مسطور ومثبَت في خلقٍ خلقه اللهُ تعالىٰ يعبَّر عنه تارةً باللوح، وتارةً بالكتاب المبين، وتارةً بإمام مبين، كما ورد) كل ذلك (في القرآن) والمعنيُّ به واحد (فجميع ما جرىٰ في العالم وما سيجري) فيما بعد (مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشًا لا يشاهَد بهذه العين، ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم) أو غير ذلك (وأن الكتاب من كاغد أو رَقٍّ) أو غير ذلك (بل ينبغي أن تفهم قطعًا أن لوح الله لا يشبه لوحَ الخلق، وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق، كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم، بل إن كنتَ تطلب له مثالاً يقرِّبه إلىٰ فهمك فاعلمْ أن ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوتَ كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه، فإنه مسطور فيه حتىٰ كأنَّه حين يقرؤه ينظر إليه، ولو فتَّشتَ دماغه جزءًا جزءًا لم تشاهد من ذلك الخط حرفًا، وإن كان ليس هناك خط يشاهَد ولا حرف يُنظَر، فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشًا بجميع ما قدَّره الله تعالىٰ وقضاه، واللوح في المثال كمرآة ظهرت فيها الصور، فلو وُضِعت في مقابلة المرآة مرآة أخرىٰ لكانت صورة تلك المرآة تتراءىٰ في هذه، إلا أن يكون بينهما حجاب) يمنع من الرؤية (فالقلب مرآة تقبل رسومَ العلم، واللوح مرآة رسوم العلوم كلها، موجودة فيها، واشتغال القلب بشهواته ومقتضَىٰ حواسِّه حجاب مرسَل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت، فإن هبَّت ريحٌ حركت هذا الحجاب

ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيءٌ من عالم الملكوت كالبرق الخاطف، وقد يثبُت ويدوم) وهو النادر (وقد لا يدوم) بل ينمحي بالكلية (وهو الغالب، وما دام متيقِّظًا فهو مشغول بما توردِه الحواسُّ) الظاهرة والباطنة (عليه من عالم المُلك والشهادة، وهو حجاب عن عالم الملكوت، ومعنىٰ النوم أن تركد الحواسُّ) أي تسكن (فلا تورد علىٰ القلب، فإذا تخلَّص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيءٌ ممَّا في اللوح، كما تقع الصورة من مرآة في مرآة أخرىٰ إذا ارتفع الحجاب بينهما، إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل، وليس مانعًا للخيال عن عمله وعن تحرُّكه، فما يقع في القلب يبتدره الخيالُ فيحاكيه بمثال يقاربه، وتكون المتخيَّلات أثبت في الحفظ من غيرها، فيبقىٰ الخيال في الحفظ، فإذا انتبه لم يتذكَّر إلا الخيال، فيحتاج المعبِّر أن ينظر إلىٰ هذا الخيال حكاية أيِّ معنىٰ من المعاني، فيرجع إلىٰ المعاني بالمناسبة التي بين المتخيَّل والمعاني، وأمثلة ذلك ظاهرة عند مَن نظر في علم التعبير، ويكفيك مثال واحد وهو أن رجلاً قال لابن سيرين) وهو إمام المعبِّرين: (رأيتُ كأنَّ بيدي خاتمًا أختم به أفواهَ الرجال وفروج النساء. فقال) في تعبيره: (أنت مؤذِّن) في مسجد القوم (تؤذِّن قبل الصبح في رمضان) فيمتنعون بذلك عن الأكل والشرب والجماع (قال: صدقتَ. فنظر أن روح الختم هو المنع، ولأجله يُراد الختم، وإنما ينكشف للقلب حالُ الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعًا للناس من الأكل والشرب) والجماع (ولكن الخيال أَلِفَ المنعَ عند الختم بالخاتم فتمثَّله بالصورة الخيالية التي تتضمَّن روحَ المعنىٰ، ولا يبقىٰ في الحفظ إلا الصورة الخيالية.

فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبُه، وكيف لا وهو) أي النوم (أخو الموت) وقد روىٰ البيهقي[1] من حديث جابر: «النوم أخو الموت،

---

(١) شعب الإيمان ٦/ ٤١٠.

وفي المعجم الأوسط للطبراني ٨/ ٣٤٢: «ولا ينام أهل الجنة».

ولا يموت أهل الجنة» (وإنما الموت هو عجبٌ من العجائب، وهذا لأنه يشبهه من وجه ضعيف أثر في كشف الغطاء عن عالم الغيب، حتىٰ صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل، فماذا ترىٰ في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلِّية حتىٰ يرىٰ الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخير) أي متصلاً بالانقطاع (نفسَه إما محفوفة بالأنكال والمخازي والفضائح، نعوذ بالله من ذلك، وإما مكنوفة بنعيم مقيم ومُلكٍ كبير لا آخر له) كما وردت به الآثار، وتقدَّم ذِكرُ بعضها (وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢] ويقال) لهم أيضًا: (﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا﴾) أي النار (﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: ١٥ - ١٦] وإليهم الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾) [الزمر: ٤٧] أي ما لم يكن لهم في حسبانهم (فأعلم العلماءِ وأحكمُ الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله، ولا اختلج به ضميرُه، فلو لم يكن للعاقل همٌّ وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عمَّاذا يرتفع، وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة، لكان ذلك كافيًا في استغراق جميع العمر، والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا) ولا بد لك منها (وأعجبُ من ذلك فرحُنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذرِّياتنا[1]) وأتباعنا (بل بأعضائنا وسمعنا وبصرنا، مع أنَّا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينًا، ولكن أين مَن ينفث روح القدس في رُوعه) أي قلبه (فيقول له ما قال لسيد النبيِّين) ﷺ: (أحبِبْ مَن أحببتَ فإنك مُفارِقه، وعِشْ ما شئتَ فإنك ميت، واعملْ ما شئتَ فإنك مجزيٌّ به) تقدَّم ذلك (فلا جَرَم لمَّا كان ذلك مكشوفًا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل) وقد روىٰ أحمد[2] وابن ماجه[3] أن النبي ﷺ أخذ ببعض جسد عبد الله بن عمر

---

(١) في أ: وقوتنا. وفي ب، وط المنهاج ٩/ ٥٠٥: وذوينا.

(٢) مسند أحمد ٨/ ٣٨٣، ٩/ ٤٨.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦٠.

فقال: «يا عبد الله، كنْ في الدنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل، وعُدَّ نفسَك من أهل القبور» (لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة) تقدم ذلك (ولم يخلف دينارًا ولا درهمًا) تقدم ذلك (ولم يتخذ خليلاً ولا حبيبًا. نعم، قال: لو كنتُ متخذًا خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن) رواه مسلم[1] من حديث ابن مسعود بلفظ: «لاتَّخذت ابنَ أبي قُحافة خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله عَزَّوَجَلَّ». وقد تقدَّم (فبيَّن أن خلَّة الرحمن تخلَّلت باطنَ قلبه، وأن حبه تمكَّن من حبَّة قلبه فلم يترك فيه متسَعًا لخليل ولا حبيب) وإليه أشار الشاعر بقوله:

قد تخلَّلتَ مسلك الحب مني ... ولذا سُمِّي الخليل خليلا[2]

وقد تقدم الكلام عليه (وقد قال تعالىٰ لأمَّته: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾) [آل عمران: ٣١] فجعل محبَّته موجِبة لمحبة الله تعالىٰ (فإنما أمَّته مَن اتَّبعه) وسلك منهاجه (وما اتَّبعه إلا مَن أعرض عن الدنيا وأقبل علىٰ الآخرة، فإنه ما دعا إلا إلىٰ الله واليوم الآخر، وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة، فبقدْر ما أعرضتَ عن الدنيا وأقبلتَ علىٰ الآخرة فقد سلكتَ سبيله الذي سلكه، وبقدْر ما سلكت سبيلَه فقد اتَّبعتَه، وبقدْر ما اتَّبعتَه فقد صِرتَ من أمَّته) علىٰ الحقيقة (وبقدْر ما أقبلتَ علىٰ الدنيا عدلتَ عن سبيله ورغبتَ عن متابعته والتحقتَ بالذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩] فلو خرجتَ من مكمن الغرور وأنصفتَ نفسك يا رجل، وكلنا ذلك الرجل) أي كلنا داخلون تحت هذا الخطاب (لعلمتَ أنك من حين تصبح إلىٰ حين تمسي لا تسعىٰ إلا في الحظوظ العاجلة، ولا تتحرك ولا تسكن إلا لعاجل الدنيا) ولا يخطر ببالك أمرٌ من أمور الآخرة (ثم تطمع أن تكون غدًا من أمَّته وأتباعه) وزمرته وأشياعه (ما أبعد ظنك! وما أبرد طمعك! ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٢٠.

(٢) تقدم هذا البيت مع بيت آخر في كتاب الأنس والرضا.

﴿كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦].

ولنرجع إلىٰ ما كنا فيه وبصدده) وهو انكشاف بعض الأمور الغيبية في النوم **(فقد امتدَّ عنان الكلام إلىٰ غير مقصده، ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتىٰ ما يعظُم الانتفاعُ به)** عند سماعه **(إذ ذهبت النبوة وبقيت المبشِّرات)** وهو لفظ حديث رواه أحمد[١] وابن ماجه[٢] من حديث أم كرز الكعبية **(وليس ذلك إلا المنامات)** وقد جاء هكذا مفسَّرًا في حديث حذيفة بن أسيد: «ذهبت النبوة، فلا نبوَّة بعدي إلا المبشِّرات». قيل: وما المبشِّرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرَىٰ له». رواه الطبراني[٣] والضياء[٤] من رواية أبي الطفيل عنه. وهو عند البزار[٥] بلفظ: «لم يبقَ من مبشِّرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَىٰ له». وروىٰ البخاري[٦] من حديث أبي هريرة: «لم يبقَ من النبوة إلا المبشِّرات». قالوا: وما المبشِّرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة». ورواه البيهقي[٧] من حديث عائشة بنحو حديث حذيفة.

---

(١) مسند أحمد ٤٥/ ١١٦.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠٣.

(٣) المعجم الكبير ٣/ ٢٠٠.

(٤) الأحاديث المختارة ٨/ ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٥) مسند البزار ٧/ ٢٣٠.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٢٩٧.

(٧) شعب الإيمان ٦/ ٤١٣.

بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة في الآخرة

(**فمن ذلك رؤيا رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ: مَن رآني**) أي في نومه (**فقد رآني حقًّا، فإن الشيطان لا يتمثَّل بي**) قال العراقي[١]: متفق عليه من حديث أبي هريرة. انتهىٰ.

قلت: المتفق عليه[٢] من حديث أبي هريرة لفظه: «مَن رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثَّل الشيطان بي»[٣]. وهكذا أورده أبو داود[٤] أيضًا. ورواه الطبراني[٥] من حديث مالك بن عبد الله الخثعمي. وأما لفظ المصنف فقد رواه الديلمي من طريق يحيىٰ بن سعيد العطَّار عن سعيد بن ميسرة - وهما واهيان - عن أنس. وقد رُوي هذا الحديث بألفاظ مختلفة وروايات متعددة، منها: «مَن رآني في المنام فقد رآني». رواه أحمد[٦] وابن أبي شيبة[٧] والسَّرَّاج والبغوي والدارقطني في الأفراد من رواية أبي مالك الأشجعي عن أبيه مرفوعًا. ومنها: «مَن رآني في المنام فقد رآني، إن

---

(١) المغني ٢/ ١٢٣٩.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٥٥، ٤/ ١٢٧، ٢٩٩. صحيح مسلم ٢/ ١٠٧٧.

(٣) بل هو كما قال العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد رواه البخاري ١/ ٥٥ من طريق أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»، ومسلم ٤/ ١٧٧٥ من طريق محمد ابن سيرين عن أبي هريرة بلفظ: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي».

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٦١.

(٥) المعجم الكبير ١٩/ ٢٩٧.

(٦) مسند أحمد ٢٥/ ٢١٥، ٤٥/ ١٨٧.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ١٢٢.

الشيطان لا يتمثَّل في صورتي». رواه ابن أبي شيبة[١] من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وجابر. ومنها: «مَن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتصوَّر بصورتي». رواه ابن النجار من حديث البراء. ومنها: «مَن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثَّل بي». رواه الترمذي[٢] وحسَّنه وابن ماجه[٣] من حديث ابن مسعود. ورواه أحمد[٤] وابن ماجه[٥] والطبراني[٦] من حديث ابن عباس. والخطيب[٧] عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه. وابن أبي شيبة[٨] وابن ماجه[٩] من حديث أبي سعيد الخدري. وابن النجار من حديث عمران بن حصين. ومنها: «مَن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتصوَّر بي». رواه الروياني[١٠] والضياء من حديث البراء. ومنها: «مَن رآني في المنام فكأنَّما رآني في اليقظة، فمَن رآني فقد رآني حقًّا، فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثَّل بي». رواه الطبراني[١١] من حديث ابن عمرو، وابن عساكر[١٢] من حديث ابن عمر، وابن ماجه[١٣] وأبو يعلىٰ[١٤] والطبراني[١٥] من حديث أبي جحيفة. ومنها: «مَن

---

(١) السابق ١٠/ ١٢٢ - ١٢٣.
(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٢١ وقال: حسن صحيح.
(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠٥.
(٤) مسند أحمد ٤/ ٣١٨، ٥/ ٣٨٨.
(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠٨.
(٦) المعجم الكبير ١٢/ ٣٨، ٢١٣.
(٧) تاريخ بغداد ١١/ ٢١٧، ١٢/ ٢٢٢.
(٨) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ١٢٣.
(٩) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠٧.
(١٠) مسند الروياني ١/ ٢٩١.
(١١) المعجم الكبير ١٣/ ٦٣٤.
(١٢) تاريخ دمشق ٤٦/ ٢٢٢.
(١٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠٨.
(١٤) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ١٨٤ - ١٨٥.
(١٥) المعجم الكبير ٢٢/ ١١١، ١١٨.

رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتشبَّه بي». رواه ابن عساكر[١] من حديث أبي جحيفة. ومنها: «مَن رآني فقد رأىٰ الحق، فإن الشيطان لا يتراءىٰ بي». رواه أحمد[٢] والشيخان[٣] من حديث أبي قتادة. ومنها: «مَن رآني في المنام فقد رآني، إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثَّل في صورتي». رواه أحمد[٤] وعبد بن حميد[٥] ومسلم[٦] وابن ماجه[٧] من حديث جابر. وورواه أحمد[٨] من حديث ابن مسعود. ومنها: «مَن رآني فقد رأىٰ الحق، فإن الشيطان لا يتكوَّنني». رواه أحمد[٩] والبخاري[١٠] من حديث أبي سعيد الخدري. ومنها: «مَن رآني فإني أنا هو، فإنه ليس للشيطان أن يتمثَّل بي». رواه الترمذي[١١] من حديث أبي هريرة. ومنها: «مَن رآني في المنام فقد رأىٰ الحقَّ، فإن الشيطان لا يتشبَّه بي». رواه أحمد[١٢] من حديث أبي هريرة. ومنها: «مَن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثَّل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة». رواه ابن أبي شيبة[١٣] وأحمد[١٤] والبخاري[١٥] والترمذي في

---

(١) تاريخ دمشق ٥٢/ ٤٠١.

(٢) مسند أحمد ٣٧/ ٢٩١ - ٢٩٢.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٢٩٩. صحيح مسلم ٢/ ١٠٧٧.

(٤) مسند أحمد ٢٣/ ٩٣ - ٩٤.

(٥) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ١٤٨.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١٠٧٧.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠٧.

(٨) مسند أحمد ٦/ ٢٤، ٧/ ٢٤٩، ٣٣١.

(٩) السابق ١٨/ ٨٣.

(١٠) صحيح البخاري ٤/ ٢٩٩.

(١١) سنن الترمذي ٤/ ١٢٣.

(١٢) مسند أحمد ١٢/ ٥١٣ - ٥١٤، ١٥/ ٢٩٦.

(١٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ١٢١، ١٢٣.

(١٤) مسند أحمد ٢١/ ٣٣٩.

(١٥) صحيح البخاري ٤/ ٢٩٩.

الشمائل[١] وأبو عوانة من حديث أنس. ورواه أحمد أيضًا ومسلم وابن ماجه[٢] من حديث أبي هريرة. ومنها: «مَن رآني في المنام فقد رآني، فإني أُرَىٰ في كل صورة». رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة[٣]. ومنها: «مَن رآني في المنام فقد رأىٰ الحق، إن الشيطان لا يتمثَّل بي». رواه الخطيب في المتفق والمفترق[٤] عن ثابت بن عبيد بن أبي بكرة عن أبيه عن جده.

فهذه ألفاظ هذا الحديث، وهو متواتر كما ذكره السيوطي[٥] وغيره.

والمعنىٰ[٦]: مَن رآني في المنام بصفتي التي أنا عليها وكذا بغيرها - علىٰ ما يأتي بيانها - فقد رآني، أي فليبشَّر بأنه رآني حقيقةً، أي رأىٰ حقيقتي كما هي، فلم يتَّحد الشرط والجزاء، وهو في معنىٰ الإخبار، أي مَن رآني فأخبره بأن رؤيته حق، ليست بأضغاث أحلامية، ولا تخيُّلات شيطانية، ثم أردف ذلك بما هو تتميم للمعنىٰ وتعليل للحكم فقال: «فإن الشيطان لا يتمثَّل بي»، فإنه ﷺ وإن ظهر بجميع أسماء الحق وصفاته تخلُّقًا وتحقُّقًا، فمقتضَىٰ رسالته للخَلق أن يكون الأظهر فيه حكمًا وسلطنةً من صفات الحق الهداية، والاسم الهادي، والشيطان مَظهر الاسم المضلِّ والظاهر بصفة الضلالة، وهما ضدَّان، فلا يظهر أحدهما بصورة الآخر، والنبي خُلِق للهداية، فلو ساغ ظهور إبليس بصورته زال الاعتمادُ عليه، فلذلك عُصِمت صورته عن أن يظهر بها شيطان. فإن قيل: عظمة الحق تعالىٰ أتمُّ من

(١) الشمائل المحمدية ص ١٩٧.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٠٦.

(٣) ورواه من حديثه أيضا الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٦٣٦.

(٤) المتفق والمفترق ص ٦٠٥.

(٥) قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ص ١٧١.

(٦) فيض القدير للمناوي ٦/ ١٣١ - ١٣٣. شرح أربعين حديثا لصدر الدين القونوي ص ٩١ - ٩٣ (ط - كتاب ناشرون ببيروت). سبل الهدىٰ والرشاد للصالحي ١١/ ٣٥٧ - ٣٦٩. إكمال المعلم لعياض ٧/ ٢٢٠. المفهم للقرطبي ٦/ ٢٢ - ٢٥.

عظمة كل عظيم، مع أن اللعين يتراءىٰ لكثير ويخاطبهم بأنه الحق ليضلَّهم. قلنا: كل عاقل يعلم أن الحق تعالىٰ لا صورة له معيَّنة توجب الاشتباهَ، بخلاف النبي. وأيضًا، مقتضَىٰ حكمة الحق أن يُضِلَّ ويهدي من يشاء، بخلاف النبي فإنَّه مقيَّد بالهداية، ظاهر بصورتها، فتجب عصمةُ صورته من مظهرية الشيطان.

وقال عياض: لم يختلف العلماء في جواز صحة رؤية الله تعالىٰ في النوم وإن رُؤي علىٰ صفة لا تليق بجلاله من صفات الأجسام ليُحقَّق أن [ذات] المرئيِّ غير ذات الله؛ إذ لا يجوز عليه التجسُّم ولا اختلاف الحالات، بخلاف النبي، فكانت رؤية الله تعالىٰ في النوم من باب التمثيل والتخييل.

وقال القرطبي: اختُلِف في [معنىٰ] الحديث، فقال قوم من القاصرين: هو علىٰ ظاهره، فمَن رآه في النوم رآه حقيقةً كما يُرَىٰ في اليقظة. وهو قول يُدرَك فساده ببادئ العقل؛ إذ يلزم عليه أن لا يراه أحد إلا علىٰ صورته التي مات عليها، وأن لا يراه اثنان في وقت واحد في مكانين، وأن يحيا الآن، ويخرج من قبره، ويخاطب الناسَ، ويخلو قبرُه عنه، فيُزار غير جثَّته، ويسلِّم علىٰ غائب؛ لأنه يُرَىٰ ليلاً ونهارًا علىٰ اتصال الأوقات. وهذه جهالات لا يبوء بالتزامها مَن له أدنىٰ مسكة من عقل، وملتزم ذلك مختلٌّ مجنون. وقال قوم: مَن رآه بصفته فرؤياه حق، أو بغيرها فأضغاث أحلام، ومعلوم أنه قد يُرَىٰ علىٰ حالة مخالفة ومع ذلك تكون تلك الرؤيا حقًّا، كما لو رُؤي قد ملأ بلدًا أو دارًا بجسمه، فإنه يدل علىٰ امتلاء تلك البلد بالحق والشرع، وتلك الدار بالبركة، وكثيرًا ما وقع ذلك. قال: والصحيح أن رؤيته علىٰ أيِّ حال كان غير باطلة، ولا من الأضغاث، بل حقٌّ في نفسها، وتصوير تلك الصورة وتمثيل ذلك المثال ليس من الشيطان، بل مثَّل اللهُ ذلك للرائي بشرَىٰ فينبسط للخير، أو إنذارًا فيتبرأ من الشر، أو تنبيهًا علىٰ خير يحصل، وقد ذكرنا أن المرئيَّ في المنام أمثلة المرئيَّات لا أنفسها، غير أن تلك الأمثلة تارةً تطابق حقيقةَ المرئيِّ، وتارةً لا، ثم المطابَقة قد تظهر في اليقظة علىٰ نحو ما أدرك في النوم، وقد

لا، فإذا لم تظهر في اليقظة كذلك فالمقصود بتلك الصورة معناها لا عينها، وكذا مخالفة المثال صورة المرئيِّ بزيادة أو نقص أو تغيُّر لون أو زيادة عضو أو نقصه، فكله تنبيه علىٰ معاني تلك الأمور. انتهىٰ.

قال المناوي في شرح الجامع: وحاصل كلامه أن رؤيته بصفته إدراكٌ لذاته، وبغيرها إدراك لمثاله، فالأولىٰ لا تحتاج لتعبير، والثانية تحتاجه. قال: ولسلفنا الصوفية ما يوافق معناه ذلك وإن اختلف اللفظ، حيث قالوا: هنا ميزان يجب التنبيه له، وهو أن الرؤية الصحيحة أن يُرَىٰ بصورته الثابتة بالنقل الصحيح، فإن رآه بغيرها كطويل أو قصير أو شيخ أو شديد السمرة لم يكن رآه، وحصول الجزم في نفس الرائي بأنه رأىٰ النبي غير حُجَّة، بل ذلك المرئيُّ صورة الشرع بالنسبة لاعتقاد الرائي أو حاله أو صفته أو حكمٍ من أحكام الإسلام، أو بالنسبة للمحل الذي رأىٰ فيه تلك الصورة. قال القونوي كابن عربي: قد جرَّبناه فوجدناه لم ينخرم. والله الموفِّق.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فرأيته لا ينظر إليَّ، فقلت: يا رسول الله، ما شأني؟ فالتفت إليَّ وقال: ألستَ المقبِّل وأنت صائم؟ قال: والذي نفسي بيده لا أقبِّل امرأة وأنا صائم أبدًا)[١] رواه أبو نعيم في الحلية[٢] فقال: حدثنا أبو بكر الطلحي، حدثنا عبيد بن غَنَّام، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا عمر بن حمزة، أخبرنا سالم عن ابن عمر قال: قال عمر: رأيت رسول الله ﷺ في المنام ... فذكره، وفيه: ألستَ الذي تقبِّل وأنت صائم؟ فقلت: والذي بعثك بالحق لا أقبِّل وأنا صائم[٣].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٦٦.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٤٥.

(٣) ورواه البزار في مسنده ١٥/ ٢٢٩ وقال: هذا الحديث لا نعلمه يروىٰ عن عمر بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عمر عن النبي ﷺ خلاف هذه الرواية. وقال ابن حزم في المحلىٰ =

(**وقال العباس**) بن عبد المطلب (رضي الله عنه: **كنت ودًّا**) أي خليلاً (**لعمر**) بن الخطاب (**فاشتهيت أن أراه في المنام، فما رأيتُه إلا عند رأس الحول، فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول: هذا أوان فراغي، إن كان عرشي ليُهَد لولاً أني لقيته رؤوفًا رحيمًا**)[1] رواه أحمد في الزهد وابن سعد في الطبقات[2] بلفظ: كان عمر بن الخطاب لي خليلاً، وإنه لما توفي لبثتُ حولاً أدعو الله أن يرينيه في المنام. قال: فرأيته علىٰ رأس الحول يمسح العرق عن جبهته، قلت: يا أمير المؤمنين، ما فعل بك ربُّك؟ قال: هذا أوان فرغتُ، وإن كاد عرشي لَيُهَدُّ لولا أني لقيت ربِّي رؤوفًا رحيمًا.

وأخرج ابن سعد[3] عن سالم بن عبد الله قال: سمعت رجلاً من الأنصار يقول: دعوت الله أن يريني عمر في النوم، فرأيته بعد عشر سنين وهو يمسح العرق عن جبهته، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما فعلتَ؟ فقال: الآن فرغتُ، ولولا رحمة ربِّي لهلكتُ.

وأخرج أيضًا عن عبد الله بن عمرو قال: ما كان شيء أحب إليَّ أن أعلمه من أمر عمر، فرأيت في المنام قصرًا، فقلت: لمَن هذا؟ قالوا: لعمر. فخرج من القصر عليه ملحفة كأنَّه قد اغتسل، فقلت: كيف صنعتَ؟ فقال: خيرًا، كاد عرشي يهوي بي لولا أني لقيت ربًّا غفورًا. قلت: كيف صنعتَ؟ قال: متىٰ فارقتُكم؟ قلت: منذ ثنتي عشرة سنة. قال: إنما انفلتُّ الآن من الحساب[4].

= ٦/ ٢٣٩ (ط ابن حزم): هذا لا يعول عليه لأنه قد ثبتت الرخصة عن رسول الله ﷺ في ذلك فلا ينسخه حكم منام. وانظر: مسند الفاروق لابن كثير ١/ ٤٢٠.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٢٤.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٤٨.

(٣) السابق ٣/ ٣٤٩.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٥٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٨٣.

(وقال الحسن بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه: **(قال لي علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ سنح لي الليلة في منامي، فقلت: يا رسول الله، ما)** ذا **(لقيتُ من أمَّتك)** اللدد والأود **(قال: ادْعُ عليهم. فقلت: اللهم أبدِلْني بهم مَن هو خير لي منهم، وأبدِلْهم بي مَن هو شر لهم مني. فخرج)** لصلاة الصبح **(فضربه ابن ملجم)** تقدَّم عند ذِكر وفاته.

وأخرج الحاكم في المستدرك[1] والبيهقي في الدلائل[2] عن كثير بن الصلت قال: أغفي عثمان في اليوم الذي قُتِل فيه، فاستيقظ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا فقال: إنك شاهدٌ معنا الجمعةَ.

وأخرجاه أيضًا عن ابن عمر: أن عثمان أصبح فحدَّث فقال: إني رأيت النبي ﷺ الليلةَ في المنام فقال: يا عثمان، أفطِرْ عندنا. فأصبح عثمان صائمًا، فقُتِل من يومه.

وهذا قد تقدَّم عند ذِكر وفاته.

وأخرج ابن عساكر[3] عن مطرِّف أنه رأى عثمان بن عفان في النوم فقال: رأيت عليه ثيابًا خضرًا، فقلت: يا أمير المؤمنين، كيف فعل الله بك؟ قال: فعل الله بي خيرًا. قلت: أيُّ الدين خيرٌ؟ قال: الدين القيِّم، ليس بسفك الدم.

(وقال بعض الشيوخ: رأيت رسول الله ﷺ) في النوم **(فقلت: يا رسول الله، استغفِرْ لي. فأعرض عني، فقلت: يا رسول الله، إن سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر)** التيمي **(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري رضي الله عنه: **(إنك لم تُسأل شيئًا قط فقلتَ لا. فأقبل عليَّ فقال: غفر الله لك)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١١٢.

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٤٧.

(٣) تاريخ دمشق ٣٩/ ٥٣٣.

المنامات[١]. والحديث المذكور قد رواه مسلم[٢]، وتقدم.

(ورُوي عن العباس بن عبد المطلب) رضي الله عنه (قال: كنت مؤاخيًا لأبي لهب) عبد العزَّىٰ (مصاحبًا له) أي في الجاهلية (فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر) وهو قوله تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ إلىٰ آخر السورة (حزنتُ عليه وأهمَّني أمرَه) وفاءً لحقِّ المؤاخاة والنسب (فسألت الله حولاً أن يريني إياه في المنام. قال: فرأيته يلتهب نارًا، فسألته عن حاله، فقال: صِرتُ إلىٰ النار في العذاب، لا يخفَّف عني ولا يروَّح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام والليالي. قلت: وكيف ذلك؟ قال: وُلِد في تلك الليلة محمد ﷺ، فجاءتني أُمَيمةٌ) تصغير أَمة، أي جويرية (فبشَّرتني بولادة آمنة) بنت وهب (إيَّاه، ففرحتُ به وأعتقت وليدة لي) أي جارية (فرحًا به، فأثابني اللهُ بذلك أنْ رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين)[٣] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

وأخرج ابن عساكر[٤] بسند فيه الكديمي عن أبي سعيد الخدري رفعه: «بُعِثتُ ولي أربع عمومة: فأما العباس فيكنىٰ بأبي الفضل، فلولده الفضل إلىٰ يوم القيامة. وأما حمزة فيكنىٰ بأبي يعلىٰ، فأعلىٰ الله قدْره في الدنيا والآخرة. وأما عبد العزَّىٰ فيكنىٰ بأبي لهب، فأدخله الله النار وألهبَها عليه. وأما عبد مناف فيكنىٰ بأبي طالب، فله ولولده المطاولة والرفعة إلىٰ يوم القيامة».

(وقال عبد الواحد بن زيد) البصري التابعي رحمه الله تعالىٰ: (خرجت حاجًّا، فصحبني رجلٌ كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلىٰ علىٰ النبي ﷺ، فسألته عن ذلك، فقال: أُخبِرُك عن ذلك، خرجت أول مرة إلىٰ مكة

---

(١) المنامات ص ٦٨.

(٢) والبخاري ٤/ ٩٧.

(٣) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب ٣/ ١١٧٤ - ١١٧٥.

(٤) تاريخ دمشق ٦٦/ ٣١٢.

ومعي أبي، فلما انصرفنا نمتُ في بعض المنازل، فبينما أنا نائم إذ أتاني آتٍ فقال لي: قمْ، فقد أماتَ اللهُ أباك وسوَّد وجهَه. قال: فقمتُ مذعورًا، فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت، أسود الوجه، فدخلني من ذلك رعبٌ، فبينما أنا في ذلك الغم إذ غلبتني عيني فنمت، فإذا علىٰ رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة حديد، إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين، فقال لهم: تنحَّوا. فمسح وجهه بيده، ثم أتاني فقال: قمْ، فقد بيَّض اللهُ وجهَ أبيك. فقلت له: مَن أنت بأبي أنت وأمي؟ فقال: أنا محمد. قال: فقمت، فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض، فما تركتُ الصلاة بعد ذلك علىٰ رسول الله ﷺ) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[١].

وأورده الحافظ السخاوي في القول البديع[٢].

(وعن عمر بن عبد العزيز) رحمه الله (قال: رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده، فسلَّمت وجلست، فبينما أنا جالس إذ أُتيَ بعليٍّ ومعاوية، فأُدخِلا بيتًا وأُجيفَ عليهما الباب، وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي رضي الله عنه وهو يقول: قضىٰ لي ورب الكعبة. وما كان بأسرع من أن خرج معاوية علىٰ أثره وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[٣].

وقال أبو نعيم في الحلية[٤]: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا يحيىٰ بن أبي طالب، حدثنا إبراهيم بن بكر البصري، حدثنا يسار خادم عمر قال: دخلت علىٰ عمر، فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، ورأيت عثمان وهو يقول: خصمتُ عليًّا ورب الكعبة. وعلي يقول: غُفر لي ورب الكعبة.

---

(١) المنامات ص ٦٩.

(٢) القول البديع في الصلاة علىٰ الحبيب الشفيع ص ٣٤١.

(٣) المنامات ص ٧٣ - ٧٤.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٦ - ٣٣٨.

وأخرج من طريق أبي هاشم الرُّمَّاني أن رجلاً جاء إلىٰ عمر فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام، وبنو هاشم يشكون إليه الحاجةَ، فقال لهم: فأين عمر بن عبد العزيز؟

وأخرج من طريق أبي المليح، عن خصاف أخي خصيف قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، وعن يمينه أبو بكر، وعن يساره عمر، وميمون بن مهران جالس أمام ذلك، فأتيت ميمونَ بن مهران فقلت: مَن هذا؟ قال: هذا رسول الله ﷺ. قلت: مَن هذا؟ قال: هذا أبو بكر عن يمينه، وهذا عمر عن يساره. فجاء عمر ابن عبد العزيز ليجلس بين أبي بكر وبين النبي ﷺ، فشحَّ أبو بكر بمكانه، ثم جاء ليجلس بين عمر وبين النبي ﷺ، فشحَّ عمر بمكانه، فدعاه رسولُ الله ﷺ فأجلسه في حِجره.

ومن طريق أبي هاشم الرُّمَّاني قال: جاء رجل إلىٰ عمر فقال: رأيت النبيَّ ﷺ، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن شماله ... فذكر نحوه.

ومن طريق عراك بن حجرة عن عمر قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: ادْنُ يا عمر. فدنوتُ حتىٰ كدت أصافحه. قال: فإذا كهلان قد اكتنفاه، فقال: إذا وُلِّيتَ من أمر أمَّتي فاعمل في ولايتك نحوَ ما عمل هذان في ولايتهما. قلت: مَن هذان؟ قال: هذا أبو بكر، وهذا عمر.

وأخرج ابن سعد في الطبقات[1] عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال: رأيت كأنِّي أُدخِلتُ الجنة، فإذا قِباب مضروبة، قلت: لمَن هذه؟ قالوا: لذي الكَلاع وحوشب. وكانا ممَّن قُتِل مع معاوية. قلت: فأين عمار وأصحابه؟ قالوا: أمامك. قلت: وقد قتل بعضُهم بعضًا؟! قيل: إنهم لقوا اللهَ فوجدوه واسعَ المغفرة. قلت: فما فعل أهلُ النهر؟ يعني الخوارج. قيل: لقوا بَرْحًا.

(واستيقظ ابن عباس ﷺ مرةً من نومه، فاسترجع وقال: قُتِل الحسين واللهِ. وكان ذلك قبل قتله، فأنكره أصحابُه، فقال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٤٤.

من دم، فقال: ألا تعلم ما صنعت أمَّتي بعدي؟ قتلوا ابني الحسين، وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلىٰ الله. فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يومًا بقتله في اليوم الذي رآه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[1].

وأخرج الحاكم[2] والبيهقي في الدلائل[3] عن سلمىٰ قالت: دخلت علىٰ أم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيكِ؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام يبكي وعلىٰ رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدتُ قتل الحسين آنفًا.

(ورُؤِيَ) أبو بكر **(الصدِّيق** رضي الله عنه**)** في النوم **(فقيل له: إنك كنت تقول أبدًا في لسانك: هذا أوردني المواردَ، فماذا فعل الله بك؟ قال: قلت به: لا إله إلا الله، فأوردني الجنةَ)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

وأما قوله «هذا أوردني المواردَ» فرواه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد قال: حدثني مصعب الزبيري، حدثني مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر دخل علىٰ أبي بكر وهو يجبذ لسانَه، فقال عمر: مَهْ، غفر الله لك. فقال أبو بكر: إن هذا أوردني المواردَ[4].

فصل: قال أبو محمد خلف بن عمرو العُكبري في فوائده: حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري، حدثنا إسماعيل بن بَهْرام العكبري، حدثنا

---

(١) المنامات ص ٧٥ عن علي بن زيد بن جدعان.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ١٠١.

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٤٨.

(٤) هكذا رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٣ من طريق عبد الله بن أحمد. وهو في زوائد الزهد ص ٩٢ – ٩٣ من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن زيد بن أسلم عن أبيه بلفظ: رأىٰ عمر أبا بكر وهو مدل لسانه، آخذه بيده، فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: وهل أوردني الموارد إلا هذا.

الأشجعي، عن شيخ، عن ابن سيرين قال: ما حدَّثك الميت بشيء في النوم فهو حق؛ لأنه في دار الحق.

وأخرج أبو الشيخ في كتاب الوصايا والحاكم في المستدرك[1] والبيهقي[2] وأبو نعيم[3] كلاهما في الدلائل عن عطاء الخُراساني قال: حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شَمَّاس أن ثابتًا قُتِل يوم اليمامة وعليه درع نفيسة، فمر به رجل من المسلمين فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له: أوصيك بوصية، فإياك أن تقول: هذا حُلم، فتضيعه، إني لمَّا قُتِلتُ أمس مرَّ بي رجل من المسلمين فأخذ درعي، ومنزله في أقصىٰ الناس، وعند خِبائه فرس يستنُّ في طِوله، وقد كفأ علىٰ الدرع بُرمةً، وفوق البرمة رحلاً، فائتِ خالدَ بن الوليد فمُرْه أن يبعث إلىٰ درعي فيأخذها، وإذا قدمتَ المدينةَ علىٰ خليفة رسول الله ﷺ - يعني أبا بكر الصدِّيق - فقل له: إنَّ عليَّ من الدَّين كذا، وفلان من رقيقي عتيق وفلان. فأتىٰ الرجل خالدًا فأخبره، فبعث إلىٰ الدرع فأُتِيَ بها، وحدَّث أبا بكر برؤياه، فأجاز وصيَّتَه. قال: ولا نعلم أحدًا أُجيزتْ وصيَّته بعد موته غير ثابت بن قيس.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا هاشم بن القاسم الحَرَّاني، حدثنا بشر بن بكر التِّنِّيسي، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عطاء الخراساني قال: أتيتُ المدينةَ، فلقيت بها رجلاً، قلت: حدِّثْني بحديث ثابت بن قيس بن شَمَّاس يرحمك الله. فقال: قُمْ معي. فانطلقت معه، حتىٰ انتهينا إلىٰ باب دار، فدخل، فلبث لبثةً، ثم خرج إليَّ، فأدخلني، فإذا بامرأة جالسة، فقال: هذه ابنة ثابت بن قيس، فاسألها عمَّا بدا لك. قلت: حدِّثيني عن أبيكِ رحمه الله. قالت: لما أنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية [الحجرات: ٢] أغلق عليه بابَه وطفق يبكي ... فساق الحديث، وفيه قوله ﷺ:

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٣) دلائل النبوة ص ٥٧١ - ٥٧٢.

«لستَ منهم، ولكن تعيش حميدًا، وتُقتَل شهيدًا، ويُدخِلك الله الجنة بسلام». فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلىٰ مسيلمة. وفيه: وكانت علىٰ ثابت درع نفيسة. وفيه: فرأىٰ رجل من الصحابة في منامه أتاه ثابتٌ ... فساقه إلىٰ آخره نحو السياق الأول، وفيه: قالت: ولا نرىٰ أحدًا من المسلمين أُجيزت وصيَّته بعد موته إلا وصية ثابت بن قيس[1].

وأخرج الحاكم في المستدرك[2] عن حسين بن خارجة قال: لمَّا جاءت الفتنة الأولىٰ أشكلت عليَّ، فقلت: اللهم أرِني من الحق أمرًا أتمسَّك به، فأُريتُ فيما يرىٰ النائم الدنيا والآخرة وكأنَّ بينهما حائط غير طويل، وإذا أنا تحته، فقلت: لو تسلقَّتُ هذا الحائط حتىٰ أنظر إلىٰ قتلىٰ أشجع فيخبروني. قال: فانهبطتُ بأرض ذات شجر، فإذا بنفر جلوس، فقلت: أنتم الشهداء؟ قالوا: نحن الملائكة. قلت: فأين الشهداء؟ قالوا: تقدَّمْ إلىٰ الدرجات. فارتفعتُ درجةً الله أعلم بها من الحُسن والسعة، فإذا أنا بمحمد ﷺ، وإذا إبراهيم شيخ، وإذا هو يقول لإبراهيم: استغفِرْ لأمَّتي. وإبراهيم يقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، أهرقوا دماءهم، وقتلوا إمامهم، فهلاَّ فعلوا كما فعل سعدٌ خليلي. فقلت: واللهِ لقد رأيتُ رؤيا لعل الله أن ينفعني بها، أذهبُ فأنظرُ مكانَ سعد فأكون معه. فأتيتُ سعدًا فقصصت عليه القصة، فما أكثر بها فرحًا وقال: قد خاب مَن لم يكن إبراهيم خليله. قلت: مع أيِّ الطائفتين أنت؟ قال: ما أنا مع واحدة منهما. فقلت: فما تأمرني؟ قال: ألك غنمٌ؟ قلت: لا. قال: فاشترِ شياه فكنْ فيها حتىٰ تنجلي.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[3] وابن سعد في الطبقات[4] عن

---

(١) رواه البغوي في معجم الصحابة ١/ ٣٩٠ - ٣٩٣ بسياق مقارب.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٦١٦، ٤/ ٦١٨ - ٦١٩.

(٣) المنامات ص ٨٦ - ٨٧.

(٤) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٤١٩.

محمد بن زياد الألهاني أن غُضَيف بن الحارث قال لعبد الله بن عائذ الصحابي حين حضرته الوفاةُ: إن استطعتَ أن تلقانا فتخبرنا ما لقيتَ بعد الموت. فلقيه في منامه بعد حين، فقال له: ألا تخبرنا؟ قال: نجونا ولم نكد أن ننجو، نجونا بعد المُشيِّبات فوجدنا ربَّنا خيرَ رب، غفر الذنبَ، وتجاوز عن السيئة، إلا ما كان من الأحراض. قلت له: وما الأحراض؟ قال: الذين يُشار إليهم بالأصابع في الشر.

وأخرج ابن أبي الدنيا[١] عن أبي الزاهرية قال: عاد عبدُ الأعلىٰ عديَّ بن أبي بلال الخزاعي، فقال له عبد الأعلىٰ: أقرئ رسولَ الله ﷺ مني السلامَ، وإن استطعتَ أن تلقاني فتُعلِمني بذلك. وكانت أم عبد الله أخت أبي الزاهرية تحت ابن أبي بلال، فرأتْه في منامها بعد وفاته بثلاثة أيام، فقال: إن ابنتي بعد ثلاث لاحقتي، فهل تعرفين عبد الأعلىٰ؟ قالت: لا. قال: فاسألي عنه، ثم أخبريه أني قد أقرأتُ رسولَ الله ﷺ منه السلام فردَّ عليه [السلام] فأخبرتْ أخاها أبا الزاهرية بذلك، فأبلغه[٢].

---

(١) المنامات ص ٨٧.

(٢) بعده في المنامات: فأقبل إليها عبد الأعلىٰ حتىٰ سمع ذلك منها فبكىٰ.

بيان منامات المشايخ[١] رحمة الله عليهم أجمعين

قال بعض المشايخ: رأيت متمِّمًا الدورقي في المنام، فقلت له: يا سيدي، ما فعل الله بك؟ فقال: ديَّرَ بي في الجِنان، فقيل لي: يا متمِّم، هل استحسنتَ فيها شيئًا؟ قلت: لا يا سيدي. فقال: لو استحسنتَ منها شيئًا لأوكلتُك إليه ولم أوصلك إليَّ)[٢] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(ورُؤي يوسف[٣] بن الحسين) أبو يعقوب الرازي، شيخ الري والجبال في وقته، وكان نسيج وحده في إسقاط التصنُّع، صحبَ ذا النون وأبا تراب، ورافق أبا سعيد الخَرَّاز، توفي سنة أربع وثلاثمائة (في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قيل: بماذا؟ قال): لأني (ما خلطت جدًّا بهزل)[٤] نقله القشيري في الرسالة. وفيه إشارة إلىٰ كمال ورعه، وأن أكثر أحواله جدٌّ، وإن مزحَ فمزحُه حقٌّ.

وقال ابن الملقن في الطبقات[٥]: رُؤي يوسف بن الحسين في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا عبد السوء، فعلتَ وصنعتَ. قلت: يا سيدي، لم أُبلَّغ عنك هذا، بُلِّغتُ أنك كريم، والكريم إذا قدر عفا. فقال: تملَّقتَ لي بقولك: هَبْني لمَن شئتَ من خلقك، اذهبْ فقد وهبتُك لك[٦].

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية ص ٦٠٤ - ٦١٦. وشرحها إحكام الدلالة ٢/ ١٠٣٦ - ١٠٥٩.

(٢) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥١.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٩١.

(٤) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥١.

(٥) طبقات الأولياء ص ٣٨٢.

(٦) رواه الماليني في الأربعين في شيوخ الصوفية ص ١٨٧ عن أبي بكر بن الزنبار قال: كان آخر كلام يوسف بن الحسين: إلهي، دعوت الخلق إليك بجهدي، وقصرت نفسي بالواجب لك، مع معرفتي بك وعلمي فيك، فهبني لمن شئت من خلقك. فمات، فرؤي في المنام ... الخ.

وروى ابن عساكر في التاريخ[1] عن أبي خلف الوَزَّان قال: رُؤي يوسف بن الحسين الرازي الصوفي في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وغفر لي. قيل: بماذا؟ قال: بكلمات قلتُها عند الموت، قلت: اللهم إني نصحتُ الناس قولاً، وخنت نفسي فعلاً، فهَبْ خيانة فعلي لنصيحة قولي.

(وعن منصور بن إسماعيل) المغربي، هو شيخ القشيري **(قال: رأيت عبد الله البَرَّاد)** كذا في نسخة، وفي أخرى: البَزَّاز. والصواب: أبا عبد الله الزَّرَّاد، كما هو نص الرسالة **(في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟** فقال: **أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررتُ به إلا ذنبًا واحدًا فإني استحييت أن أقرَّ به، فأوقفني في العَرَق حتى سقط لحم وجهي)** ثم غفر لي **(فقلت)** له: **(ما كان ذلك الذنب)**؟ أي: ما سببه؟ **(قال: نظرتُ إلى غلام جميل فاستحسنته، فاستحييت من الله تعالى أن أذكره)**[2] رواه القشيري في الرسالة بلفظ: ورؤي أبو عبد الله الزَّرَّاد في المنام، فقيل له ... والباقي سواء. وفيه أن الاستحياء من ذِكر الذنب يوم القيامة لا يفيد؛ لأن ذلك اليوم ليس يوم عمل، وإنما هو يوم جزاء.

(وقال أبو جعفر الصيدلاني) رحمه الله تعالى: **(رأيت رسول الله ﷺ في النوم وحوله جماعة من الفقراء، فبينما نحن كذلك)** وفي بعض نسخ الرسالة: فبينما هو كذلك. وفي أخرى: فبينما هم كذلك **(إذ انشقَّت السماء، فنزل ملَكان، أحدهما بيده طست، وبيد الآخَر إبريق، فوُضع الطست بين يدي رسول الله ﷺ، فغسل يده)** الكريمة من الإبريق **(ثم أمر)** الملَكين بمثل ذلك مع الجماعة، أو أمر بمثل ما فعله هو **(حتى غسلوا)** أيديهم **(ثم وُضِع الطست بين يدي، فقال أحدهما للآخر: لا تصبَّ علي يده، فإنه ليس منهم. فقلت: يا رسول الله، أليس قد رُوي عنك أنك قلت: المرء مع مَن أحب)** رواه الشيخان من وجوه، وقد تقدَّم **(قال: بلى. قلت: يا**

---

(١) تاريخ دمشق ٧٤/ ٢٣٠.

(٢) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥١.

رسول الله، فإني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء. فقال ﷺ: صُبَّ علىٰ يده، فإنه منهم)[١] حكمًا. رواه القشيري في الرسالة بلفظ: وحُكي عن بعضهم أنه قال: رأيت ... فذكره.

(وقال) أبو القاسم (**الجنيد**) قُدِّس سره: (**رأيت في المنام كأنِّي أتكلم علىٰ الناس**) أي أعظهم (**فوقف عليَّ ملَكٌ**) في صورة آدمي (**فقال**) لي: (**أقربُ**) أي أفضلُ (**ما تقرَّب به المتقرِّبون إلىٰ الله تعالىٰ ماذا؟ فقلت**) له: (**عملٌ خفيٌّ**) أي مستور عن الأغيار (**بميزان وفيٍّ**) أي بوقوعه علىٰ وجهه شرعًا، ففي الخبر: «إن عمل السر يزيد علىٰ عمل العلانية بسبعين ضِعفًا»؛ لكونه بين العبد وربِّه. قال الجنيد: (**فولَّىٰ الملَكُ وهو يقول: كلامٌ موفَّقٍ واللهِ**)[٢] رواه القشيري في الرسالة[٣].

(**ورُؤي مجمِّع**) كمحدِّث، ابن صمعان التيمي الورع السخي، من رجال الحلية (**في النوم، فقيل له: كيف رأيتَ الأمر؟ قال: رأيتُ الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[٤].

(**وقال رجل من أهل الشام للعلاء**[٥] **بن زياد**) بن مطر العدوي البصري، أبي نصر، أحد العُبَّاد، ثقة، روىٰ له النسائي وابن ماجه (**رأيتك في النوم كأنَّك في الجنة. فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال له: لعل الشيطان أراد**) مني (**أمرًا**) أعصي الله به (**فعُصِمتُ منه فأشخصَ**) أي أرسل إليَّ (**رجلاً**) وهو أنت (**يقتلني**)[٦] هكذا في النسخ، ولفظ الرسالة: وقال رجل للعلاء بن زياد: رأيت في النوم كأنَّك من أهل

---

(١) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥١، ٥٥٢.
(٢) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٢.
(٣) وذكره الرافعي في التدوين ٢/ ٤١.
(٤) المنامات ص ٣٣ عن سهل بن أحمد التيمي.
(٥) تقريب التهذيب ص ٧٦٠.
(٦) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٣ بلفظه.

الجنة. فقال: لعل الشيطان أراد مني أمرًا فعُصِمت منه فأشخصَ إليَّ رجلاً يعينه. أي علىٰ مقصوده من إضلالي.

وقال أحمد في الزهد[١]: حدثنا محمد بن مصعب، سمعت مخلد بن الحسين ذكر أن العلاء بن زياد قال له رجل: رأيتك كأنَّك في الجنة. فقال: ويحك! أما وجد الشيطان أحدًا يسخر به غيري وغيرك؟

وأما حديث رجل من أهل الشام، فقال أبو نعيم في الحلية[٢]: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا عبد الله بن أبي زياد، حدثنا سَيَّار، حدثنا جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يسأل هشام بن زياد العدوي عن هذا الحديث، فحدثنا به يومئذٍ قال: تجهَّز رجلٌ من أهل الشام وهو يريد الحج، فأتاه آتٍ في منامه فقال له: ائتِ العراقَ، ثم ائتِ البصرةَ، ثم ائتِ بني عديٍّ، فائتِ بها العلاءَ بن زياد، فإنه رجل ربعة، أقصم الثنية، بسَّام، فبشِّرْه بالجنة. قال: فقال: رؤيا ليست بشيء. حتىٰ إذا كانت الليلة الثانية رقد، فأتاه آتٍ فقال: ألا تأتي العراقَ؟ فذكر مثل ذلك، حتىٰ إذا كانت الليلة الثالثة جاءه بوعيد فقال: ألا تأتي العراقَ؟ فقال مثل ذلك. قال: فأصبح فأعدَّ جهازَه إلىٰ العراق، فلما خرج من البيوت إذا الذي أتاه في منامه يسير بين يديه ما سارْ، فإذا نزل فقده، فلم يزل يراه حتىٰ دخل الكوفة ففقدَه. قال: فتجهَّز من الكوفة فخرج، فرآه يسير بين يديه حتىٰ قدم البصرةَ، فأتىٰ بنيَّ عدي، فدخل دار العلاء بن زياد، فوقف الرجل علىٰ باب العلاء فسلَّم. قال هشام: فخرجت إليه، فقال لي: أنت العلاء ابن زياد؟ فقلت: لا. وقلت: انزلْ رحمك الله فضعْ رَحْلك وضعْ متاعك. قال: لا، أين العلاء بن زياد؟ قال: قلت: هو في المسجد. قال: وكان العلاء يجلس في المسجد يدعو بدعوات ويحدِّث. قال هشام: فأتيتُ العلاءَ، فخفَّف من حديثه وصلىٰ ركعتين، ثم جاء، فلما رآه

---

(١) الزهد ص ٢٠٦.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٤٥ - ٢٤٦.

العلاء تبسَّم فبدتْ ثنيَّته، فقال: هذا واللهِ صاحبي. قال: فقال العلاء: هلاَّ حططت رَحْل الرجل؟ ألا أنزلتَه؟ قال: قلتُ له فأبَىٰ. قال: فقال العلاء: انزلْ رحمك الله. قال: فقال: أخلِني. قال: فدخل العلاء منزله وقال: يا أسماء، تحوَّلي إلىٰ البيت الآخر [فتحوَّلتْ] ودخل الرجل فبشَّره بالرؤيا، ثم خرج فركب، فقام العلاء فأغلق بابه فبكىٰ ثلاثة أيام – أو قال: سبعة – لا يذوق فيها طعامًا ولا شرابًا، ولا يفتح بابه. قال هشام: فسمعته يقول في حال بكائه: أنا أنا؟! قال: فكنا نهابه أن نفتح بابه، وخشيتُ أن يموت، فأتيت الحسنَ فذكرت ذلك له قلت: لا أراه إلا ميتا، لا يأكل، ولا يشرب، باكيًا. قال: فجاء الحسن حتىٰ ضرب عليه بابَه وقال: افتحْ يا أخي. فلما سمع كلامَ الحسن قام ففتح بابه، وبه من الضر شيء اللهُ به عليم، فكلَّمه الحسنُ ثم قال: يرحمك الله، ومن أهل الجنة إن شاء الله، أفقاتِل نفسك أنت؟ قال هشام: حدثنا العلاء لي وللحسن بالرؤيا وقال: لا تحدِّثوا بها ما كنتُ حيًّا.

(**وقال محمد بن واسع**) البصري العابد رحمه الله تعالىٰ: (**الرؤيا تسرُّ المؤمنَ**) أي تبشِّره بالسرور (**ولا تغرُّه**)[1] أي لا توقِعه في الغرور. رواه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال**) أبو[2] بشر (**صالح بن بشير**) بن وادع المُرِّي القاص، روىٰ له الترمذي: (**رأيت عطاء السليمي**) البصري العابد (**في النوم**) وكان شديد الود له (**فقلت له: رحمك الله، لقد كنتَ طويل الحزن في الدنيا**) أي علىٰ التقصير في حق الله تعالىٰ، فما فعل الله بك؟ (**قال: أما واللهِ لقد أعقبني ذلك راحةً طويلة وفرحًا دائمًا. فقلت: في أيِّ الدرجات أنت؟ فقال:** ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ

---

(١) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٣، وروىٰ ابن عبد البر في التمهيد ١/ ٧١ مثله عن مالك بن أنس، وروىٰ ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٣٧٩ مثله أيضا عن أحمد بن حنبل.

(٢) تقريب التهذيب ص ٤٤٣.

ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ **الآية)**[١] [النساء: ٦٩] رواه القشيري في الرسالة بلفظ: وقيل: رُؤي عطاء السليمي في المنام فقيل له ... فساقه.

(وسُئل) أبو[٢] حاجب **(زُرارة بن أوفَىٰ)** العامري الحَرَشي البصري، ثقة، عابد، مات فجأة في الصلاة، روىٰ له الجماعة **(في المنام: أيُّ الأعمال أفضل عندكم؟ فقال: الرضا)** بالله وعن الله **(وقِصر الأمل)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[٣].

(وقال يزيد بن مذعور: رأيت) أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو **(الأوزاعي)** رحمه الله **(في المنام، فقلت: يا أبا عمرو، دُلَّني علىٰ عمل أتقرَّب به إلىٰ الله تعالىٰ. قال: ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين. قال)** الراوي: **(وكان يزيد شيخًا كبيرًا، فلم يزل يبكي حتىٰ أظلمت عيناه)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[٤] وابن عساكر في التاريخ[٥]، وهو في الرسالة للقشيري مختصرًا بلفظ: ورُؤي الأوزاعي في المنام فقال: ما رأيتُ ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين.

(وقال) سفيان **(ابن عيينة)** رحمه الله تعالىٰ: **(رأيت أخي)** محمدًا، وهو صدوق، له أوهام، مات قبل أخيه **(في المنام، فقلت: يا أخي، ما فعل الله بك؟ فقال: كل ذنب استغفرتُ منه غُفِر لي، وما لم أستغفر منه لم يُغفَر لي)**[٦] رواه ابن أبي

---

(١) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٣، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ١٧٢ والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٨/ ٣٠٨ وابن أبي الدنيا في الهم والحزن ص ٨٣.

(٢) تقريب التهذيب ص ٣٣٦.

(٣) المنامات ص ٣١. والخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٣ ومنه ينقل الغزالي لا من غيره.

(٤) بل في كتاب الهم والحزن ص ٩٥.

(٥) تاريخ دمشق ٣٥/ ٢٢٩.

(٦) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٤.

الدنيا في كتاب المنامات[١].

(وقال علي الطلحي) منسوب إلىٰ جدّه طلحة: **(رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساءَ الدنيا، فقلت: مَن أنتِ؟ فقالت: حوراء. قلت: زوِّجيني نفسكِ. قالت: اخطبني إلىٰ سيدي وأمهِرْني. قلت: وما مهركِ؟ قالت: حبسُ نفسك عن آفاتها)**[٢] رواه ابن أبي الدنيا في الكتاب المذكور.

(وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي) منسوب[٣] إلىٰ الحربية: إحدىٰ مَحالِّ بغداد، إمام فاضل، له تصانيف، منها «غريب الحديث» وغيره، وُلِد سنة ١٩٨، وتوفي سنة ٢٨٥ **(رأيت)** أم جعفر **(زُبَيدة)** بنت أبي الفضل جعفر الأكبر بن المنصور العباسية، وهي زوج هارون الرشيد، بنىٰ بها في سنة ١٦٥ في قصر العباسية[٤] **(في المنام، فقلت: ما فعل الله بكِ؟ قالت: غفر لي. فقلت لها: بما أنفقتِ في طريق مكة)**؟ من أبنية وسُبُل فيها مرافق للحاج، وأجرتْ عينًا من عرفات إلىٰ مكة، وصرفت علىٰ كل ذلك أموالاً هائلة **(قالت: أما النفقات التي أنفقتُها رجعت أجورُها إلىٰ أربابها)** إذ الأموال السلطانية الغالبُ عليها أنها لم تؤخذ بوجه شرعي، وأنها باقية علىٰ مِلك أربابها **(ولكن غفر لي بنيَّتي)**[٥] يعني بقصدها للناس الخير، وفيه إشارة إلىٰ أن الأموال إذا أُخِذت من غير وجهها وتاب آخذُها ولم يعرف أربابها ليردَّها إليهم تُصرَف في وجوه البِر، ويكون أجرها لأربابها، وللصارف أجر طاعته ونيَّته، وذلك بعد توبته وصِدق نيَّته. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. وأورده القشيري في

---

(١) المنامات ص ٥٢، وليس فيه: وما لم أستغفر منه لم يغفر لي.

(٢) تقدم نحوه في كتاب ترتيب الأوراد عن أزهر بن مغيث، ولكن فيه: «فقلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد».

(٣) لباب الأنساب لابن الأثير ١/ ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٤) انظر: تاريخ بغداد للخطيب ١٦/ ٦١٩، تاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ٣١٤، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٣١٤، وذكر عن الطبري أنه أعرس بها في قصر الخلد، والأعلام للزركلي ٣/ ٤٢.

(٥) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٤.

الرسالة بلفظ: وقيل: رؤيتْ زبيدة [في النوم] فقيل لها: ما فعل الله بكِ؟ قالت: غفر لي. فقيل: بكثرة نفقتكِ في طريق مكة؟ فقالت: لا، أما إن أجرها عاد إلىٰ أربابها، ولكن غفر لي بنيَّتي.

(**ولما مات سفيان الثوري**) رحمه الله (**رُؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: وضعتُ أول قدميَّ علىٰ الصراط، والثاني في الجنة**)[١] أورده القشيري في الرسالة، وهذا من التسهيل في جواز الصراط.

(**وقال**) أبو الحسن (**أحمد بن أبي الحَواري**) بفتح المهملة والواو الخفيفة وكسر الراء، عبد الله بن ميمون بن العباس بن الحارث التغلبي الدمشقي، ثقة، زاهد، مات سنة ست وأربعين. كذا في التهذيب[٢]، أي بعد المائتين. وعند السلمي[٣] والقشيري[٤]: ثلاثين ومائتين. والصواب: سنة [ست و] أربعين، كما نبَّه عليه ابنُ عساكر[٥]، عن اثنتين وثمانين سنة، وروىٰ له أبو داود وابن ماجه (**رأيت فيما يرىٰ النائم جارية**) من الحور العِين (**ما رأيت أحسن منها، وكان يتلألأ وجهها نورًا، فقلتُ لها: مماذا ضوء وجهكِ؟ قالت: تذكر تلك الليلةَ التي بكيتَ فيها؟ قلت: نعم. قالت: أخذتُ دمعك**) أي شيئًا منه (**فمسحتُ به وجهي، فمن ثَم ضوء وجهي كما ترىٰ**)[٦] أورده القشيري في الرسالة، وفيه: فقلت: ما أنور وجهكِ! وفيه: فقالت: حُمِلتْ إليَّ دمعتك فمسحتُ بها وجهي، فصار وجهي هكذا.

---

(١) السابق ص ٥٥٥.

(٢) تقريب التهذيب ص ٩٣.

(٣) طبقات الصوفية ص ٩١.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٧٢.

(٥) تاريخ دمشق ٧١/ ٢٥٣، ونصه: «مات سنة ست وأربعين ومائتين في جمادىٰ الآخرة. وقيل: سنة خمس وأربعين ومائتين. وقيل: سنة ثلاثين ومائتين. وهو وهمٌ».

(٦) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٥.

(وقال) أبو بكر محمد بن علي بن جعفر (الكتَّاني) قُدِّس سره: (رأيت) أبا القاسم (الجنيد) قُدِّس سره (في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وذهبت تلك العبارات، وما حصلنا إلا علىٰ ركعتين كنا نصلِّيهما في الليل)(١) ولفظ الرسالة: سمعت الأستاذ أبا علي الدَّقَّاق يقول: رأىٰ الجريريُّ الجنيدَ في المنام، فقال له: كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وبادت تلك العبارات، وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغَدَوات(٢).

(ورُؤيتْ) أم جعفر (زبيدة) بنت جعفر رحمها الله تعالىٰ (في المنام، فقيل لها: ما فعل الله بكِ؟ قالت: غفر لي بهذه الكلمات الأربع: لا إله إلا الله أفني بها عمري، لا إله إلا الله أدخل بها قبري، لا إله إلا الله أخلو بها وحدي، لا إله إلا الله ألقَىٰ بها ربِّي)(٣).

ورُؤي بشر) الحافي رحمه الله (في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمنىٰ ربي عَزَّوَجَلَّ وقال) قبل أن يرحمني علىٰ وجه العتاب اللطيف: (يا بشر، أما استحييتَ مني) حيث (كنتَ تخافني كلَّ ذلك الخوف؟)(٤) الذي يُخشَىٰ منه أن يكون قنوطًا. رواه القشيري في الرسالة بلفظ: غفر لي، بدل: رحمني. ورواه ابن عساكر في التاريخ(٥) من طريق خُشْنام ابن أخت بشر الحافي قال: رأيت خالي في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. وجعل يذكر ما فعل به من الكرامة؟

---

(١) السابق ص ٥٥٥.

(٢) ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٧ فقال: «أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير فيما كتب إليَّ، وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال: رأيت الجنيد في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار».

(٣) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٥.

(٤) السابق ص ٥٥٧.

(٥) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٢.

فقلت: ما قال لك شيئًا؟ قال لي: نعم، قال لي: يا بشر، ما استحييتَ مني، تخاف ذلك الخوف كله على نفس هي لي؟

(ورُؤي) الإمام (**أبو سليمان**) الداراني رحمه الله (**في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني، وما كان شيء أضرَّ عليَّ من إشارات القوم إليَّ**)(١) رواه القشيري في الرسالة، ولم يذكر «إليَّ».

(**وقال أبو بكر**) ويقال: أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر (**الكتَّاني**) رحمه الله تعالىٰ: (**رأيت في النوم شابًّا لم أرَ أحسن منه، فقلت له: مَن أنت؟ قال**): أنا (**التقوىٰ. قلت**) له: (**فأين تسكن؟ قال: في كل قلب حزين. ثم التفتُّ فإذا امرأة سوداء، فقلت**) لها: (**مَن أنتِ؟ قالت: أنا السقم. قلت**) لها: (**فأين تسكنين؟ قالت**): في (**كل قلب فرِح**) أي مسرور (**مرِح**) أي شديد الفرح؛ لدلالتها علىٰ كمال الغفلة وتمكُّن القسوة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ [القصص: ٧٦] والمراد الفرح بالدنيا، أما الفرح بنعم الله تعالىٰ وبما يَرِدُ منه من اللطف والبِر فمحمود، قال الله تعالىٰ: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠] (**قال: فانتبهت، واعتقدت**) أي عزمت علىٰ (**أن لا أضحك إلا غلبةً**)(٢) رواه القشيري في الرسالة، إلا أنه قال: أنا الضحك، بدل: السقم.

(**وقال أبو سعيد**) أحمد بن عيسىٰ (**الخَرَّاز**) رحمه الله تعالىٰ: (**رأيت في المنام كأنَّ إبليس وثب عليَّ، فأخذت العصا لأضربه، فلم يفزع منها، فهتف بي هاتف: إن هذا لا يخاف من هذه، وإنما يخاف من نور يكون في القلب**)(٣) نقله القشيري في الرسالة. والمراد بالنور: كمال معرفة الله.

---

(١) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٧.

(٢) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٨.

(٣) السابق.

(وقال **المُسوحي**) هو[١] أبو علي أحمد بن أيوب، من كبار المشايخ، صحب السريَّ، وسمع ذا النون، وعنه جعفر الخلدي (**رأيت إبليس في النوم**) وهو (**يمشي عريانًا، فقلت: ألا تستحي من الناس؟ فقال: بالله هؤلاء ناس؟ لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفَي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة، بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي. وأشار بيده إلىٰ أصحابنا الصوفية**)[٢].

(**وقال أبو سعيد**) أحمد بن عيسىٰ (**الخَرَّاز**) رحمه الله تعالىٰ: (**كنت في دمشق**)[٣] المدينة المعروفة (**فرأيت في المنام كأنَّ النبي ﷺ جاءني متَّكئًا علىٰ أبي بكر وعمر** ﭫ**، فجاء ووقف عليَّ وأنا أقول شيئًا من الأصوات**) أي من الأنغام المعروفة (**وأدقُّ في صدري**) كهيئة الواجد (**فقال: شر هذا أكثر من خيره**) وقد تقدَّم في كتاب السماع والوجد.

(**وعن**) سفيان (**ابن عيينة**) رحمه الله تعالىٰ (**قال: رأيت سفيان الثوري في النوم كأنَّه في الجنة يطير من شجرة إلىٰ شجرة ويقول: لمثل هذا فليعمل العاملون. فقلت له: أوصِني. قال: أقِلَّ من معرفة الناس**)[٤] رواه ابن عساكر في التاريخ[٥] بزيادة: قلت: زِدْني. قال: ستَرِد فتعلم.

وقال أبو نعيم في الحلية[٦]: حدثنا أبو أحمد الغِطْربفي، حدثنا محمد بن موسىٰ، حدثنا محمد بن أيوب قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: قال لي بشر ابن

---

(١) لباب الأنساب ٣/ ٢١٣.

(٢) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٨.

(٣) في مطبوعة تهذيب الأسرار ص ٥٥٨: مسجد دمشق.

(٤) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٩.

(٥) تاريخ دمشق ٣١/ ٤٠٠ مختصرا بلفظ: «رأيت الثوري في المنام، فقلت: أوصني. قال: أقل من مخالطة الناس. قلت: زدني. قال: سترد فتعلم».

(٦) حلية الأولياء ٧/ ٢٨٩.

منصور الزاهد: يا سفيان، أقلِل من معرفة الناس لعله أن يكون في القيامة غدًا أقل لفضيحتك إذا نودي عليك بسوء عملك.

(وروىٰ أبو[1] حاتم) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي (الرازي) منسوب إلىٰ الري: مدينة من بلاد الديلم مشهورة، أحد الحفَّاظ، مات سنة سبع وسبعين [ومائتين] روىٰ له أبو داود والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير له (عن) أبي[2] عامر (قبيصة بن عقبة) بن محمد بن سفيان السوائي الكوفي، صدوق، مات سنة خمس عشرة [ومائتين] روىٰ له الجماعة (قال: رأيت سفيان الثوري) في النوم (فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال:

نظرتُ إلىٰ ربي شفاهًا فقال لي ... هنيئًا رضائي عنك يا ابن سعيد
فقد كنتَ قوَّامًا إذا أظلم الدُّجَىٰ ... بعَبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاخترْ أيَّ قصر أردتَه ... وزُرْني فإني منك غير بعيد[3])

رواه أبو نعيم في الحلية[4] فقال: حدثنا محمد بن إبراهيم [حدثنا أحمد] بن الحسين بن أحمد بن ميمون الميموني قال: سمعت أبا موسىٰ هارون بن موسىٰ ابن حيَّان قال: سمعت أباك الحسين بن أحمد بن ميمون يقول: سمعت أبا حاتم الرازي يقول: سمعت قبيصة يقول: رأيت سفيان الثوري في المنام، فقلت: ما فعل بك ربُّك؟ فقال ... وساق الأبيات، إلا أنه قال: كفاحًا، بدل: شفاهًا. و: أقبل، بدل: أظلم.

(ورُؤي) أبو بكر (الشِّبْلي) رحمه الله (بعد موته بثلاثة أيام) في المنام (فقيل

(١) تقريب التهذيب لابن حجر ص ٨٢٤. لباب الأنساب لابن الأثير ٢/ ٦.
(٢) تقريب التهذيب ص ٧٩٧.
(٣) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٩، إلا أنه قال: كفاحًا. بدل شفاهًا، و: شهيد. بدل عميد.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٧٤.

له: ما فعل الله بك؟ قال: ناقشني) في الحساب (حتىٰ أيست) من نفسي (فلما رأىٰ يأسي تغمَّدني) أي غمرني (برحمته)[1] وفضله. رواه القشيري في الرسالة، ولم يقل: بعد موته بثلاثة أيام.

(ورُؤي مجنون بني عامر) قيس بن الملوَّح (بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وجعلني حُجَّة علىٰ المحبِّين)[2] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(ورُؤي) سفيان (الثوري في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني. فقيل له: ما حال عبد الله بن المبارك؟ فقال: هو ممَّن يلج علىٰ ربِّه في كل يوم مرتين) رواه القشيري في الرسالة[3].

(ورُؤي بعضهم[4]) في المنام (فسُئل عن حاله، فقال:

حاسبونا فدقَّقوا ثم منُّوا فأعتقوا)

رواه القشيري في الرسالة.

(ورُؤي مالك بن أنس) الإمام رحمه الله تعالىٰ في النوم (فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان ﵁ عند رؤية الجنازة: سبحان الحي الذي لا يموت) هكذا هو في الرسالة: مالك بن أنس.

---

(١) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص ٥٥٩.

(٢) السابق.

(٣) وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢/ ٤٨١.

(٤) في البصائر والذخائر للتوحيدي ٣/ ٩٢ أنه غزوان الصوفي الضرير، وكذا هو في ربيع الأبرار للزمخشري ٥/ ٢٩٣، إلا أنه زاد: وطالبونا فحققوا. وفي محاضرات الأدباء للراغب ٢/ ٤٠٩ والصلة لابن بشكوال ص ٨٦٩ (ط - دار الكتاب المصري) والتفسير الكبير للرازي ٢٢/ ١٧٨ أنه الشبلي.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن علي بن ميمون، حدثنا عبد الأعلىٰ بن حماد، عن رجل رأىٰ مالك بن دينار في نومه فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قال: بأيِّ شيء؟ قال: بكلمة بلغني أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقولها إذا رأىٰ الجنازة: لا إله إلا الله الحي الذي لا يموت.

(ورُؤي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري) رحمه الله **(كأنَّ أبواب السماء مفتَّحة، وكأنَّ مناديًا ينادي: ألا إن الحسن البصري قدمَ علىٰ الله وهو عنه راضٍ)**[١] نقله القشيري في الرسالة.

(ورُؤي) عمرو[٢] بن بحر، أبو عثمان البصري **(الجاحظ)** لُقِّب به لأنه كانت عيناه جاحظتين، روىٰ عن يزيد بن هارون وأبي يوسف القاضي، وعنه يموت بن المزرع، وإليه تنتسب الجاحظية من المعتزلة، مات سنة خمس وخمسين ومائتين. قال الذهبي في الديوان[٣]: قال ثعلب: الجاحظ ليس بثقة ولا مأمون **(فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال:**

ولا تكتب بخطِّك غير شيء ... يسرُّك في القيامة أن تراه)

نقله القشيري في الرسالة.

(ورأىٰ) أبو القاسم **(الجنيد)** قُدِّس سره **(إبليس في المنام)** وهو **(عريان)** علىٰ عادته من التظاهر بكشف عورته عند أهل الشر ليحسِّن لهم ذلك ويتعوَّدوا به **(فقال له: ألا تستحي من الناس)**؟ تكشف عورتك **(فقال: وهؤلاء ناس)**؟ أي ليسوا بناس يُستحَىٰ منهم، إنما **(الناس)** الذين يُستحَىٰ منهم **(أقوام في مسجد الشونيزية)**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٣٩ عن عبد الواحد بن زيد قال: رأيت فيما يرىٰ النائم ليلة مات الحسن كأن أبواب السماء مفتحة، وكأن الملائكة صفوف صفوف، فقلت: إن هذا لأمر عظيم، فسمعت مناديا ينادي: ألا إن الحسن بن أبي الحسن قدم علىٰ الله وهو عنه راضٍ.

(٢) لباب الأنساب ١/ ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٣) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٣٠١.

أحد مساجد بغداد[1]، وفي نسخة: الشونيزي **(قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي)** بكثرة مراقبتهم وتوجُّههم إلىٰ الله تعالىٰ **(قال الجنيد: فلمَّا انتبهت غدوت إلىٰ المسجد)** المذكور **(فرأيت جماعة)** استقبلوا القبلة **(قد وضعوا رؤوسهم علىٰ رُكَبهم يتفكَّرون)** في آلاء الله ويذكرون الله **(فلما رأوني قالوا)** لي مكاشفةً بما رأيتُه في النوم: **(لا يغرَّنَّك حديثُ الخبيث)** يعني إبليس؛ فإن كل ما يقوله شرٌّ لا خير فيه. هكذا نقله القشيري في الرسالة.

ولفظ ابن الملقن في الطبقات[2]: قال الجنيد: رأيت إبليس في المنام كأنَّه عريان، فقلت له: أما تستحي من الناس؟ فقال: بالله هؤلاء عندك من الناس؟ لو كانوا منهم لَما تلاعبتُ بهم كما تتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء. فقلت: ومَن هم؟ قال: قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأنحلوا جسمي، كلما هممتُ بهم أشاروا بالله فأكاد أُحرَق. فانتبهت فلبست ثيابي، وأتيت مسجد الشونيزي وعليَّ ليلٌ، فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفُس[3] جلوس، رؤوسهم في مرقَّعاتهم، فلما أحسُّوا بي قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال: يا أبا القاسم، أنت كلَّما قيل لك شيء تقبله[4]؟!

(ورُؤي) أبو[5] القاسم إبراهيم بن محمد **(النصرآباذي)** شيخ خراسان في وقته، صحب الشبليَّ وأبا علي الروذباري والمرتعش، جاور بمكة سنة ست وستين، ومات بها سنة سبع وستين وثلاثمائة، وكان عالمًا بالحديث، كثير الرواية **(بمكة بعد وفاته في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: عوتِبتُ عتابَ الأشراف)**

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٣/ ٣٧٤: «الشونيزية: مقبرة ببغداد بالجانب الغربي دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين، منهم الجنيد وجعفر الخلدي ورويم وسمنون المحب، وهناك خانقاه للصوفية».

(٢) طبقات الأولياء ص ١٣٢.

(٣) بعده في الطبقات: «قيل: هم أبو حمزة البغدادي، وأبو الحسين النوري، وأبو بكر الزقاق».

(٤) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٤٦٢.

(٥) الرسالة القشيرية ص ١٢٤.

أي عتابًا يسيرًا (**ثم نوديتُ: يا أبا القاسم**) نودي بكنيته زيادةً في تكرمته (**أبعد الاتصال انفصالٌ**)؟ أي: أيليق بك بعد أن أوصلناك أن تلتفت لغيرنا؟! هكذا قاله شارح الرسالة، والأنسب للسياق: أيليق بعد أن أوصلناك أن نقطعك عنا (**فقلت: لا يا ذا الجلال**) أي لا يليق بكرمك (**فما وُضِعت في اللحد حتىٰ لحقتُ بربي**[1]) رواه القشيري في الرسالة، إلا أنه قال: حتىٰ لحقت بالأحد. أي صِرتُ عند الله في منزلة رفيعة من التقريب والإكرام. وهذا من تتمَّة جواب: ما فعل الله بك؟ ولهم في الاتصال والانفصال اختلافٌ، وقد فرَّقوا بين الوصول والاتصال بما هو مذكور في آخر العوارف[2].

(**ورأىٰ عتبة**) بن أبان (**الغلام**) رحمه الله تعالىٰ (**حوراء في المنام علىٰ صورة حسنة، فقالت: يا عتبة، أنا لك عاشقة، فانظرْ أن لا تعمل من الأعمال شيئًا يُحال**) به (**بيني وبينك. فقال**) لها (**عتبة**) ليطمئن قلبها: (**طلَّقتُ الدنيا ثلاثًا لا رجعة لي عليها حتىٰ ألقاكِ**) نقله القشيري في الرسالة. واستشهد عتبة بأذنة[3] بقرية الحباب. أخرج أبو نعيم[4] عن مخلد بن الحسين قال: رأيت شابًّا في المنام بعدما قُتِل عتبة بسنة، فقلت له: ما صنع الله بك؟ قال: ألحقني بالشهداء المرزوقين. فقلت: فأخبِرْني عن عتبة وأصحابه لك بهم علمٌ؟ قال: قتلىٰ قرية الحُباب؟ قلت: نعم. قال: إنهم معروفون في ملكوت السموات.

(**وقيل: رأىٰ**) أبو[5] بكر (**أيوب**) بن أبي تميمة كيسان (**السِّخْتياني**) البصري، الفقيه، الثبت، مات سنة إحدىٰ وثلاثين [ومائة] روىٰ له الجماعة (**جنازة عاصٍ**)

---

(١) في أ، وب، وط المنهاج ٩/ ٥٢٠: بالأحد.

(٢) نقل صاحب عوارف المعارف ٢/ ٣٠٨ (ط المعارف) عن أبي سعيد القرشي قوله: الواصل الذي يصله الله فلا يخشىٰ عليه القطع أبدًا، والمتصل الذي بجهده يتصل وكلما دنا انقطع.

(٣) وتسمىٰ الآن: أضنة، وتقع جنوب تركيا علىٰ ساحل البحر المتوسط.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٢٢٧.

(٥) تقريب التهذيب ص ١٥٨.

يُمَرُّ بها (**فدخل الدهليز**) واختفىٰ فيه (**لئلا يصلي عليها**) قصد بذلك الزجرَ لأمثاله عن المعصية (**فرأىٰ**) ذلك (**الميتَ بعضُهم في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وقال**) ذلك الميت: (**قل لأيوب**) السختياني: (﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾) أي لبخلتم (﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾) [الإسراء: ١٠٠] أي خوف نفادها. نقله القشيري في الرسالة. وفيه إشارة إلىٰ سعة رحمة الله.

(**وقال بعضهم: رأيت في الليلة التي مات فيها**) أبو سليمان (**داود**) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالىٰ (**نورًا وملائكة نزولاً**) إلىٰ الأرض (**وملائكة صعودًا**) إلىٰ السماء (**فقلت: أيُّ ليلة هذه؟ فقالوا**): هذه (**ليلة مات فيها داود الطائي، وقد زُخرِفت الجنة لقدوم روحه**) علىٰ أهلها. نقله القشيري في الرسالة.

(**وقال أبو سعيد الشَّحَّام**) نسبة إلىٰ بيع الشحم، من مشايخ القشيري (**رأيت**) أبا[1] الطيب (**سهلا**) بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسىٰ بن عيسىٰ العِجْلي النيسابوري، إمام الشافعية (**الصَّعْلوكي**) بفتح الصاد[2]، روىٰ عن أبي بكر ابن خزيمة وأبي العباس السَّرَّاج، وتفقَّه علىٰ أبي علي الثقفي، روىٰ عنه الحاكم أبو عبد الله، توفي سنة ٣٦٩ (**في المنام، فقلت**) له: (**أيها الشيخ. قال: دَع التشييخَ**) أي اترك الدعاء بلفظ المشيخة (**قلت**) له: أين (**تلك الأحوال التي شاهدتها**) فيك؟ (**فقال**) لي: (**لم تغنِ عنا**) شيئًا (**فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بمسائل كان يسأل عنها العُجُز**) بضمتين، جمع عاجز، يعني بهم العوامَّ من الناس، فأجيبهم عنها. نقله القشيري[3] سماعًا عن أبي سعيد الشَّحَّام. وفيه دلالة علىٰ فضيلة المفتي للعوام فيما يحتاجون إلىٰ معرفة الأحكام.

---

(١) هذه الترجمة ليست لأبي الطيب وإنما لأبيه أبي سهل. انظر: لباب الأنساب لابن الأثير ٢/ ٢٤٢. طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٣/ ١٦٧ - ١٧١.

(٢) الصواب: بضم الصاد.

(٣) ومن طريقه الخطيب في الفقيه والمتفقه ١/ ١٥٧.

(وقال أبو بكر) محمد بن محمود بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن القاسم النيسابوري (الرشيدي) الفقيه رحمه الله (رأيت) ربَّاني هذه الأمَّة (محمد) بن أسلم (الطوسي المعلِّم) من طوس: علىٰ مرحلتين من نيسابور (في النوم، فقال لي: قل لأبي سعيد الصَّفَّار المؤدِّب:

وكنا علىٰ أن لا نحول عن الهوىٰ ... فقد وحياة القلب[1] حُلْتم وما حُلْنا

قال: فانتبهت فذكرت ذلك له) أي لأبي سعيد (فقال) لي: إني (كنت أزور قبره كل جمعة، فلم أزرْه هذه الجمعة) نقله القشيري في الرسالة سماعًا عن أبي بكر الرشيدي. ومعنىٰ البيت: كنا متعاهدين علىٰ أن لا نتغير عن الحب، فقد حُلْتم عن الهوىٰ، وما حُلْنا عنه. فقوله «فقد» داخلة علىٰ «حلتم»، وقوله «وحياة القلب» قَسَمٌ معترض بينهما. وفي بعض نسخ الرسالة بعد هذا البيت:

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا ... وأظهرتم الهجرانَ ما هكذا كنا[2]

لعل الذي يقضي الأمورَ بعلمه ... سيجمعنا بعد الممات كما كنا

(وقال ابن راشد) هو محمد بن راشد[3] المكحولي الخزاعي الدمشقي، نزيل البصرة، روىٰ له الأربعة (رأيت) عبد الله (ابن المبارك في النوم بعد موته، فقلت) له: (أليس قد متَّ؟ قال: بلىٰ. قلت: فما صنع الله بك؟ قال: غفر لي مغفرةً أحاطت بكل ذنب. قلت: فسفيان الثوري؟ قال: بخ بخ! ذاك من الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين ... الآية) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(وقال الربيع بن سليمان) المرادي: (رأيت) محمد بن إدريس (الشافعي

---

(١) في الجميع إلا ط الزبيدي: الحب.

(٢) هذا البيت مع الذي قبله ينسبان لأبي بكر الشبلي، وهما في ديوانه ص ١٣٠، ورواية البيت الأول فيه:

وأقسمتم أن لا تحولوا عن الهوىٰ ... فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا

(٣) بل هو صخر بن راشد، كما رواه عنه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٥٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٨٥، والخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٨.

رحمة الله عليه بعد وفاته في المنام، فقلت) له: **(يا أبا عبد الله، ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني علىٰ كرسي من ذهب ونثر عليَّ اللؤلؤ الرَّطْبَ)** رواه ابن عساكر في التاريخ[1] والبيهقي في المناقب.

(ورأىٰ رجل من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأنَّ مناديًا ينادي: إن الله اصطفَىٰ آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران علىٰ العالمين، واصطفَىٰ الحسن) ابن أبي الحسن **(البصري علىٰ أهل زمانه)**[2] ولفظ الرسالة: ورُؤي الليلةَ التي مات فيها الحسن البصري كأنَّ أبواب السماء مفتَّحة، وكأنَّ مناديًا ينادي: ألا إن الحسن البصري قدم علىٰ الله وهو عنه راضٍ.

(وقال أبو يعقوب القارئ الدقيقي) نسبة إلىٰ عمل الدقيق وبيعه **(رأيت في منامي رجلاً آدم طوالاً، والناس يتبعونه، فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: أويس القَرَني)** التابعي الزاهد المعروف **(فاتيته فقلت)** له: **(أوصِني رحمك الله. فكلحَ في وجهي)** أي عبسَ **(فقلت: مسترشد)** لا متعنِّت **(فأرشِدْني أرشدك الله. فأقبل عليَّ وقال: اتَّبعْ رحمةَ ربِّك عند محبَّته، واحذر نقمتَه عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك. ثم ولَّىٰ وتركني)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[3].

(وقال أبو[4] بكر) ابن عبد الله **(ابن أبي مريم)** الغَسَّاني الشامي، وقد يُنسَب إلىٰ جدِّه، قيل: اسمه بُكَير، وقيل: عبد السلام، ضعيف، مات سنة ست وخمسين [ومائة] روىٰ له أبو داود والترمذي وابن ماجه **(رأيت وفاء بن بشر الحضرمي، فقلت)** له: **(ما فعلتَ يا ورقاء)**؟ وما فُعِل بك؟ **(قال: نجوت بعد كل جهد)** أي مشقَّة **(قلت: فأيُّ الأعمال وجدتموها أفضل؟ قال: البكاء من خشية الله)** رواه ابن

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٤٣٥.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٤٨.

(٣) المنامات ص ٥١.

(٤) تقريب التهذيب ص ١١١٦.

أبي الدنيا في كتاب المنامات[١].

(**وقال يزيد**[٢] **بن نعامة**) الضَّبِّي، أبو مودود البصري، تابعي، روىٰ عن أنس، مقبول، روىٰ له الترمذي (**هلكت جاريةٌ في الطاعون الجارف**) الذي كان وقع بالبصرة، وكان عظيمًا، سُمِّي بالجارف لكونه جرف الناسَ بأجمعهم، فلم يبقَ منهم إلا القليل، وهو من أعظم طواعين الإسلام (**فرآها أبوها في المنام فقال لها: يا بنية، أخبريني عن الآخرة. قالت: يا أبتِ، قَدِمنا علىٰ أمر عظيم، نعلم ولا نعمل، وتعملون ولا تعلمون، واللهِ لَتسبيحةٌ أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في فسحة عملٍ أحب إليَّ من الدنيا وما فيها**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[٣].

(**وقال بعض أصحاب عتبة**) بن أبان (**الغلام**) هو قدامة بن أيوب العَتَكي قال: (**رأيت عتبة في المنام، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك. قال: فلما أصبحتُ جئت إلىٰ بيتي، فإذا خط عتبة الغلام في حائط البيت**) مكتوب: (**يا هادي المضلِّين، ويا راحم المذنبين، ويا مقيل عثرات العاثرين، ارحمْ عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلَّهم أجمعين، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمتَ عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين .. آمين يا رب العالمين**) رواه أبو نعيم في الحلية[٤] فقال: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا أبو زُرعة، حدثنا هارون، حدثنا سَيَّار قال: حدثني قُدامة بن أيوب العَتَكي - وكان من أصحاب عتبة الغلام - قال: رأيت عتبة في المنام، فقلت: يا أبا عبد الله، ما صنع الله بك؟ قال: يا قدامة، دخلت الجنة بتلك

---

(١) المنامات ص ٥٣.

(٢) تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٥٥ - ٢٥٧. تقريب التهذيب ص ١٠٨٤.

(٣) المنامات ص ٥٨ - ٥٩. وفيه: في صحيفة عملي.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٢٣٨.

الدعوة ... فساقه، وفيه: ذا الخطر اليسير والذنب العظيم[١] ... والباقي سواء.

(وقال موسىٰ بن حماد: رأيت سفيان الثوريَّ في الجنة يطير من نخلة إلىٰ نخلة ومن شجرة إلىٰ شجرة، فقلت: يا أبا عبد الله، بِمَ نِلتَ هذا؟ قال: بالورع. قلت: فما بال علي[٢] **بن عاصم)** بن صُهَيب الواسطي، مات سنة إحدىٰ ومائتين وقد جاوز التسعين، روىٰ له أبو داود والترمذي وابن ماجه **(قال: ذاك لا يكاد يُرَىٰ إلا كما يُرَىٰ الكوكب)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات[٣].

(ورأىٰ رجل من التابعين النبيَّ ﷺ في المنام، فقال: يا رسول الله، عِظْني. قال: نعم، مَن لم يتفقَّد النقصانَ فهو في نقصان، ومَن كان في نقصان فالموت خير له)[٤] رواه البيهقي في الزهد[٥] من رواية عبد العزيز بن أبي رَوَّاد أنه رأىٰ النبيَّ ﷺ في النوم، فقال: يا رسول الله، أوصِني. فقال: مَن استوىٰ يوماه فهو مغبون، ومَن كان آخر يوميه شرًّا[٦] فهو ملعون، ومَن لم يكن علىٰ الزيادة فهو في النقصان فالموت خيرٌ له، ومَن اشتاق إلىٰ الجنة سارع إلىٰ الخيرات. وقد تقدَّم ذلك. ورواه الديلمي[٧] من رواية محمد بن سوقة عن الحارث عن عليٍّ به مرفوعًا، وسنده

---

(١) الذي في الحلية: (ارحم عبدك ذا الخطر العظيم) كما ذكره الغزالي، وكذا هو عند ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٧٨ - ٧٩.

(٢) تقريب التهذيب ص ٦٩٩.

(٣) المنامات ص ١٢٨.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ١٣١ عن إسماعيل بن يزيد الرقي أن رجلا من التابعين ... فذكره. وروىٰ أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣٥ عن إبراهيم بن أدهم قال: بلغني أن الحسن البصري رأىٰ النبي ﷺ في منامه فقال: يا رسول الله، عظني. قال: من استوىٰ يوماه فهو مغبون، ومن كان غده شرا من يومه فهو ملعون، ومن لم يتعاهد النقصان من نفسه فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له.

(٥) الزهد الكبير ص ٣٦٧.

(٦) في الزهد: (ومن كان يومه شرا من أمسه).

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٦١١.

ضعيف.

(وقال) محمد بن إدريس (الشافعي رحمة الله عليه: دهمني في هذه الأيام أمرٌ أمضني) أي أقلقني (وآلمني ولم يطَّلع عليه غير الله عَزَّوَجَلَّ، فلما كانت البارحة أتاني آتٍ في منامي فقال لي: يا محمد بن إدريس، قل: اللهم إني لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني، ولا أَتَّقي إلا ما وقيتني، اللهم فوفِّقْني لِما تحب وترضىٰ من القول والعمل في عافية) قال: (فلما أصبحت أعدتُ ذلك) أي كرَّرته (فلما ترحَّل النهار) أي ارتفع (أعطاني الله عَزَّوَجَلَّ طلبتي، وسهَّل لي الخلاصَ مما كنتُ فيه) من الشدة (فعليكم بهذه الدعوات، لا تغفلوا عنها)[1] رواه البيهقي في المناقب.

وقد بقي علىٰ المصنِّف رحمه الله تعالىٰ ممَّا أورده القشيريُّ في هذا الباب من الرسالة ما لفظه: وسمعت الأستاذ أبا علي يقول: تعوَّدَ شاه الكرمانيُّ السهرَ، فغلبه النومُ مرةً، فرأىٰ الحقَّ سبحانه وتعالىٰ في النوم، فكان يتكلَّف النومَ بعد ذلك، فقيل له في ذلك، فقال:

رأيت سرور قلبي في منامي فأحببت التنعُّسَ والمناما

وقال بعضهم: في النوم معانٍ ليست في اليقظة، منها أنه يرىٰ المصطفىٰ ﷺ والصحابة والسلف الصالحين في النوم، ولا يراهم في اليقظة، وكذلك يرىٰ الحقَّ في النوم، وهذه مزية عظيمة.

وقيل: رأىٰ أبو بكر الآجري الحقَّ سبحانه وتعالىٰ في النوم، فقال له: سَلْ حاجتَك. فقال: اللهم اغفرْ لجميع عُصاة أمَّة محمد ﷺ. فقال: أنا أَولىٰ بهذا منك، سَلْ حاجتَك.

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١/ ٣٩٦.

وقال الكتَّاني: رأيت النبيَّ ﷺ في المنام، فقال: مَن تزيَّن للناس بشيء يعلم الله منه خلافَه شانَه اللهُ.

وقال أيضًا: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادْعُ الله تعالىٰ أن لا يميت قلبي. فقال: قلْ كل يوم أربعين مرةً: يا حي، يا قيُّوم، لا إله إلا أنت؛ فإنه لا يموت قلبك، ويكون قلبك حيًّا أبدًا(١).

ورأىٰ الحسن بن علي رضي الله عنه عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، فقال: إني أريد أن أتَّخذ خاتمًا، فما الذي أكتب عليه؟ فقال: اكتبْ عليه: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، فإنه آخر الإنجيل.

ورُوي عن أبي يزيد أنه قال: رأيت ربي في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اتركْ نفسَك وتعالَ.

وقيل: رأىٰ أحمد بن خضرويه ربَّه في المنام، فقال: يا أحمد، كل الناس يطلبون مني، إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.

وقال يحيىٰ بن سعيد القَطَّان: رأيت ربِّي في المنام، فقلت: يا رب، كم أدعوك فلا تستجيب لي. فقال: يا يحيىٰ، إني أحب أن أسمع صوتك.

وقال بشر بن الحارث: رأيت أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام، فقلت: يا أمير المؤمنين، عِظْني. فقال: ما أحسن عطف الأغنياء علىٰ الفقراء طلبًا لثواب الله، وأحسن من ذلك تيهُ الفقراء علىٰ الأغنياء ثقةً بالله. فقلت: يا أمير المؤمنين، زِدْني. فقال:

قد كنتَ ميتًا فصرتَ حيًّا ... وعن قريب تصير ميتا

(١) في الرسالة: فإن الله يحيي قلبك.

عـزَّ بـدار الفنـاء بيـتٌ فابْـنِ لـدار البقـاء بيتـا[١]

قلت: وأخرجه ابن عساكر في التاريخ[٢] عن أبي يزيد البسطامي قال: رأيت علي بن أبي طالب في النوم، فقلت: يا أمير المؤمنين، علِّمْني كلمة تنفعني ... فساقه، وفيه: تواضُع، بدل: عطف. وفيه: ثقةً بما عند الله. وفيه: قلت: زِدْني. ففتح كفَّه فإذا فيها مكتوب بماء الذهب ... فذكر البيتين، والبيت الثاني:

فابْـنِ بـدار البقـاء بيتًـا واهـدِمْ بـدار الفنـاء بيتـا

ثم قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي يقول: رأىٰ الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزَّجَّاجي في المنام - وكان الزجاجي يقول بوعيد الأبد - فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال الزجاجي: الأمر ههنا أسهل مما كنا نظنُّه.

ورُؤي الحسن بن عاصم الشيباني في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: وأيش يكون من الكريم إلا الكرم.

ورُؤي حبيب العجمي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك يا حبيب العجمي[٣]؟ فقال: هيهات هيهات! ذهبت العُجمةُ وبقيتُ في النعمة.

وقيل: دخل الحسن البصري مسجدًا ليصلي المغرب، فوجد إمامَه حبيبًا العجمي، فلم يصلِّ خلفه؛ لأنه خاف أن يلحن لعجمة في لسانه، فرأىٰ في المنام تلك الليلة قائلاً يقول له: لو صليتَ خلفه لغُفِر لك ما تقدَّم من ذنبك.

سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول: رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي في النوم علىٰ حالة حسنة، فقلت: يا أستاذ، بمَ وجدتَ هذا؟ قال: بحُسن ظنِّي بربي.

ورُؤي ذو النون المصري في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: كنت

---

(١) البيتان في ديوان علي ص ٢٩.

(٢) تاريخ دمشق ١٤/ ١٠٥.

(٣) في الرسالة: مت يا حبيب العجمي.

أسأله ثلاث حوائج في الدنيا، فأعطاني البعض، وأرجو أن يعطيني الباقي، كنت أسأله أن يعطيني من العشرة التي علىٰ يد رضوان واحدًا أو يعطيني بنفسه، وأن يعذِّبني عن الواحد الذي بيد مالك بعشرة ويتولَّىٰ هو، وأن يرزقني أن أذكره بلسان الأبدية.

وقيل: رُؤي الشبلي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يطالبني بالبراهين علىٰ الدعاوىٰ، إلا علىٰ شيء واحد، قلت يومًا: لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار. فقال لي: وأيُّ خسارة أعظم من خسران لقائي؟

وقال النباجي: اشتهيت [يومًا] شيئًا، فرأيت في المنام [كأنَّ] قائلاً يقول: أيجمل بالحر المريد أن يتذلَّل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد[1]؟!

وقال ابن الجلاء: دخلت المدينة وبي فاقةٌ، فتقدَّمت إلىٰ القبر وقلت: أنا ضيفك [يا نبي الله] فغفوت [غفوةً] فرأيت النبي ﷺ [في نومي] وقد أعطاني رغيفًا، فأكلت نصفه، وانتبهت وبيدي النصف الآخَر.

وقال بعضهم[2]: رأيت النبي ﷺ في المنام يقول: زوروا ابنَ عون، فإنه يحب الله ورسوله.

سمعت منصورًا المغربي يقول: رأيت شيخًا في بلاد الشام كبير الشأن، وكان الغالب عليه الانقباض، فقيل لي: إن أردت أن ينبسط هذا الشيخُ معك فسلِّمْ عليه وقل له: رزقك الله الحور العِين، فإنه يرضىٰ منك بهذا الدعاء. فسألت عن سببه

(١) رواه الخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم ص ٣٢٧ بلفظ: «أصابتني ضيقة وشدة، فبت وأنا أتفكر في المصير إلىٰ بعض إخواني، فسمعت قائلا يقول لي في النوم: أيجمل بالحر المريد إذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه إلىٰ العبيد؟ فانتبهت وأنا أغنىٰ الناس».

(٢) هو محمد بن فضاء الجهضمي، كما رواه عنه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٦٧، وابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير - السفر الثالث ٢/ ٣٨٤. وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣١/ ٣٦٦.

فقيل: إنه رأىٰ شيئًا من الحور في منامه، فبقي في قلبه شيء من ذلك. فمضيت إليه وسلَّمت عليه وقلت: رزقك الله الحورَ العِين. فانبسط الشيخ معي.

وقيل: رُؤي الليلةَ التي مات فيها مالك بن دينار كأنَّ أبواب السماء قد فُتحت وقائلاً يقول: ألا إن مالك بن دينار أصبح من سكَّان الجنة[1].

قال: ورأيت الأستاذ أبا علي في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: ليس للمغفرة ههنا كبير خطر، أقل مَن حضرها ههنا خطرًا فلان أُعطي كذا وكذا. ووقع لي في المنام أن ذلك الإنسان الذي عناه قتل نفسًا بغير حق.

وقيل: لمَّا مات كرز بن وبرة رأىٰ في المنام كأنَّ أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بِيض، فقيل: ما هذا؟ فقالوا: إن أهل القبور كسوا لباسًا جددًا بيضًا لقدوم كرز عليهم[2].

وحُكي عن بعضهم أنه كان يقول أبدًا: العافية العافية، فقيل له: ما معنىٰ هذا الدعاء؟ فقال: كنت حَمَّالاً في ابتداء أمري، وكنت حملت يومًا صدرًا من الدقيق، فوضعتُه لأستريح، فكنت أقول: يا رب، لو أعطيتني كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفي بهما. فإذا رجلان يختصمان، فتقدَّمت أُصلِحُ بينهما، فضرب أحدهما رأسي بشيء أراد أن يضرب به خصمه فدمىٰ وجهي، فجاء صاحب الرَّبْع وأخذهما، فلما رآني متلوِّثًا بالدم أخذني فظن أني ممَّن تشاجر، فأدخلني في السجن، فبقيتُ فيه مدةً أوتَىٰ كل يوم رغيفين، فرأيت ليلةً في المنام [قائلاً يقول لي]: إنك سألتني الرغيفين كل يوم من غير نَصَب، ولم تسألني العافيةَ [فأعطيناك ما سألتَ].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٦٤ عن مهدي بن ميمون الأزدي قال: رأيت ليلة مات مالك ابن دينار ... فذكره.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٨١ والسهمي في تاريخ جرجان ص ٢٩٩ عن رجل من أهل جرجان.

فانتبهتُ وقلت: العافية العافية، فرأيت باب السجن يُقرَع وقيل: أين عمر الحَمَّال؟ وأخرجوني وخلَّوا سبيلي.

ويُحكَىٰ عن الكتَّاني أنه قال: كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينُه، فقيل له: ألا تعالجها؟ فقال: عزمتُ علىٰ أن لا أعالجها حتىٰ تبرأ. قال: فرأيت في المنام كأنَّ قائلاً يقول: لو كان هذا العزم علىٰ أهل النار كلهم لأخرجناهم من النار.

وقال النباجي: قيل لي في المنام: مَن وثق بالله في رزقه زِيدَ في حُسن خُلُقه، وسمحت نفسه في نفقته، وقلَّت وساوسُه في صلاته.

وقيل: رأىٰ يزيد الرَّقاشي النبيَّ ﷺ في المنام، فقرأ عليه، فقال: هذه القراءة، فأين البكاء؟

وقال الجنيد: رأيت في المنام كأنَّ ملكينِ نزلا من السماء، فقال لي أحدهما: ما الصدق؟ فقلتك الوفاء بالعهد. فقال الآخَر: صدق. ثم صعدا.

وقال علي بن الموفَّق: كنت أفكِّر يومًا في سبب عيالي والفقرِ الذي بهم، فرأيت في المنام رقعة مكتوبًا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا ابن الموفَّق، أتخشىٰ الفقرَ وأنا ربُّك؟ فلمَّا كان وقت الغَلَس أتاني رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال: خذها إليك يا ضعيف اليقين[1].

وقال الجنيد: رأيت في المنام كأنِّي واقف بين يدي الله تعالىٰ، فقال لي: يا أبا القاسم، من أين لك هذا الكلام الذي تقول؟ فقلت: لا أقول إلا حقًّا. قال: صدقتَ.

وحُكي عن أبي عبد الله ابن خفيف قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام كأنَّه قال لي: مَن عرف طريقًا إلىٰ الله تعالىٰ فسلكه ثم رجع عنه عذَّبه الله عذابًا لم يعذِّب

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ٦٠٠ بلفظ: «خرجت يوما لأؤذن، فأصبت قرطاسا، فأخذته ووضعته في كمي، فأذنت وأقمت وصليت، فلما صليت، قرأته فإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن الموفق، تخاف الفقر وأنا ربك»؟

به أحدًا من العالَمين.

وقال أبو عثمان المغربي: رأيت في المنام كأنَّ قائلاً يقول لي: يا أبا عثمان، اتَّقِ الله في الفقر ولو بقدْر سمسمة.

وقيل: كان بعضهم[1] يقول في دعائه: اللهم الشيء الذي لا يضرُّك وينفعنا لا تمنعه عنا. فرأىٰ في المنام كأنَّه قيل له: وأنت فالشيء الذي يضرُّك ولا ينفعك فدعْه.

وحُكي عن أبي الفضل الأصبهاني أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت له: يا رسول الله، سل اللهَ تعالىٰ أن لا يسلبني الإيمانَ. فقال: ذلك شيء قد فرغ الله منه.

ورُوي عن سِماك بن حرب أنه قال: كُفَّ بصري، فرأيت في المنام كأنَّ قائلاً يقول لي: ائتِ الفراتَ فانغمِسْ فيه وافتح عينيك. قال: ففعلت فأبصرتُ.

وقيل: رُؤي بشر الحافي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لمَّا رأيت ربي عَزَّوَجَلَّ قال لي: مرحبًا يا بشر، لقد توفَّيتك يومَ توفيتُك وما علىٰ وجه الأرض أحب إليَّ منك. ا.هـ. نص القشيري في الرسالة. وقد تركت منها بعض أشياء تقدَّم للمصنف ذِكرها فيما سبق.

وممَّا نقلتُه من تاريخ ابن عساكر:

أخرج فيه[2] عن أبي بكر الفَزاري قال: بلغني أن بعض إخوان أحمد بن حنبل رآه في النوم فقال: يا أحمد، ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال لي: يا أحمد، صبرتَ علىٰ الضرب، إن قلتَ ولم تتغير إن كلامي منزَّل غير مخلوق

---

(١) هو غالب بن أبي غيلان القطان، كما رواه عنه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٩٠. وفيه: أصبنا به، بدل: لا تمنعه عنا.

(٢) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٨٣.

وعزَّتي لأُسمِعنَّك كلامي إلىٰ يوم القيامة. فأنا أسمع كلام ربي عَزَّوَجَلَّ.

وعن[١] محمد بن عوف قال: رأيت محمد بن المصفَّىٰ الحِمصي في النوم، فقلت: إلامَ صِرتَ؟ قال: إلىٰ خير، ومع ذلك فنحن نرىٰ ربَّنا كل يوم مرتين. فقلت: يا أبا عبد الله، صاحب سنَّة في الدنيا وصاحب سنَّة في الآخرة؟ فتبسَّم إليَّ.

وعن محمد بن مفضَّل[٢] قال: رأيت منصور بن عمار في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال لي: كنت تخلِّط، ولكن قد غفرت لك لأنك كنت تحبِّبني إلىٰ خلقي، قمْ فمجِّدْني بين ملائكتي كما كنت تمجِّدني في الدنيا. فوُضِع لي كرسيٌّ، فمجَّدتُ الله بين ملائكته.

ومن[٣] طريق أبي الحسن الشعراني قال: رأيت منصور بن عمار في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: قال لي: أنت منصور بن عمار؟ قلت: بلىٰ يا رب. قال: أنت الذي كنت تزهِّد الناسَ في الدنيا وترغب فيها؟ قلت: قد كان ذلك، ولكني ما اتخذت مجلسًا إلا بدأت بالثناء عليك، وثنَّيت بالصلاة علىٰ نبيِّك، وثلَّثت بالنصيحة لعبادك. قال: صدق، ضعوا له كرسيًّا يمجِّدني في سمائي كما مجَّدني في أرضي بين عبادي.

وعن[٤] سليم بن منصور بن عمار قال: رأيت أبي في المنام، فقلت: ما فعل بك ربُّك؟ قال: قرَّبني وأدناني وقال لي: يا شيخ السوء، تدري لِمَ غفرتُ لك؟ قلت: لا يا إلهي. قال: إنك جلست للناس يومًا مجلسًا فبكَّيتَهم فبكىٰ فيهم عبدٌ

---

(١) تاريخ دمشق ٥٥/ ٤١٤. والخبر في الثقات لابن حبان ٩/ ١٠١، ولكن فيه: هارون بن عوف، بدل: محمد بن عوف.

(٢) في تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٤٠: «عن سهل بن زكريا عن بعض أصحابنا». وفيه أيضا وفي مختصر ابن منظور ٢٥/ ٢٦٦: (أوثقني في عذابه) بدل: أوقفني بين يديه. ولعله تحريف.

(٣) تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٤٣. والخبر في: الرسالة القشيرية ص ٧٧.

(٤) تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٤٣. والخبر في: تاريخ بغداد ١٥/ ٨٩.

من عبادي لم يبكِ من خشيتي قط، فغفرت له ووهبت أهلَ المجلس كلَّهم له، ووهبتك فيمن وهبتُه له.

وعن[١] سلمة بن عفَّان قال: رأيت وكيعًا في المنام، فقلت له: ما صنع بك ربُّك؟ قال: أدخلني الجنةَ. قلت: بأيِّ شيء؟ قال: بالعلم.

وعن[٢] أبي يحيىٰ مستملي أبي همَّام قال: رأيت أبا همام في المنام وعلىٰ رأسه قناديل معلَّقة، فقلت: يا أبا همام، بماذا نلتَ هذه القناديل؟ قال: هذا بحديث الحوض، وهذا بحديث الشفاعة، وهذا بحديث كذا، وهذا بحديث كذا.

وعن[٣] أبي الربيع الزهراني قال: حدثني جار لي قال: رأيت ابن عون في النوم، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: ما غربت الشمس من يوم الاثنين حتىٰ عُرِضت عليَّ صحيفتي وغُفِر لي. وكان مات يوم الاثنين.

وعن[٤] أبي عمرو الخَفَّاف قال: رأيت محمد بن يحيىٰ الذُّهَلي في النوم، فقلت: ما فعل بك ربُّك؟ فقال: غفر لي. قلت: فما فعل علمُك؟ قال: كُتِب بماء الذهب ورُفِع في عِلِّيِّين.

وعن[٥] الأستاذ أبي الوليد قال: رأيت أبا العباس الأصمَّ في المنام، فقلت: إلىٰ ماذا انتهىٰ حالُك أيها الشيخ؟ فقال: أنا مع أبي يعقوب البويطي والربيع بن سليمان في جوار أبي عبد الله الشافعي نحضر كل يوم ضيافتَه.

---

(١) تاريخ دمشق ٦٣/ ١٠٨. والخبر في: الكامل لابن عدي ١/ ١١٧.

(٢) تاريخ دمشق ٦٣/ ١٤٩. والخبر في: تاريخ بغداد ١٥/ ٦١٩.

وأبو همام هو الوليد بن شجاع السكوني.

(٣) تاريخ دمشق ٣١/ ٣٧٣.

(٤) تاريخ دمشق ٧٣/ ٢٧٢. والخبر في: معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢٦٥، وتاريخ بغداد ٤/ ٦٦٣.

(٥) تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٩٦.

وعن[١] سهيل القطعي أخي حزم قال: رأيت مالك بن دينار بعد موته، فقلت له: ماذا قَدِمت به على الله؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة محاها عني حُسن الظن بالله.

وعن امرأة من أهل اليمن قالت: رأيت رجاء بن حيوة في النوم، فقلت: ألم تمُتْ؟ قال: بلى، ولكن نودي في أهل الجنة أن تلقَّوا [روح] الجَرَّاح بن عبد الله. وذلك قبل أن يأتي خبرُ الجراح، ثم جاء نعيُ الجراح، فحُسِب فوجدته استشهد بأذربيجان ذلك اليوم[٢].

وعن[٣] عتبة بن أبي حكيم عن امرأة من بيت المقدس قالت: كان رجاء بن حيوة جليسًا لنا، وكان نِعم الجليس، فمات، فرأيته بعد شهر، فقلت: إلامَ صِرتم؟ قال: إلى خير، ولكنا فزعنا بعدكم فزعةً ظننا أن القيامة قد قامت. قلت: وفيمَ ذلك؟ قال: دخل الجرَّاح وأصحابه الجنة بأثقالهم حتى ازدحموا على بابها.

وعن[٤] الأصمعي عن أبيه قال: رأى رجل في المنام جريرًا الشاعر، فقال له: ما فعل بك ربُّك؟ قال: غفر لي. قال: بماذا؟ قال: بتكبيرة كبَّرتُها في ظهر ماء بالبادية. قال: فما فعل أخوك الفرزدق؟ قال: إنما أهلكه قذفُ المحصنات.

وعن[٥] ثور بن يزيد الشامي قال: رأيت الكُمَيت بن زيد في النوم، فقلت:

---

(١) تاريخ دمشق ٥٦/ ٤٤١ – ٤٤٢. والخبر في: المنامات لابن أبي الدنيا ص ٣٣، والمجالسة وجواهر العلم للدينوري ١/ ٤٥٤.

(٢) في تاريخ دمشق ٧٢/ ٦٠: «فجاءهم أن الجراح قد قتل يومئذٍ بأرمينية، جاشت عليه الخزر فقتلوه». وانظر خبره كاملاً في الكامل لابن الأصير ٤/ ١٩٨ (ط دار الكتاب العربي)، وقد ذكر الطبري طرفًا منه في تاريخه ٧/ ٧٠ (ط المعارف).

(٣) المنامات لابن أبي الدنيا ص ٣٦.

(٤) تاريخ دمشق ٧٢/ ٩٥. والخبر في: المنتقى من أخبار الأصمعي للضياء المقدسي ص ٢٦ (ط – المجمع العلمي العربي بدمشق). والجليس الصالح الكافي للمعافى بن زكريا ٣/ ٩٧ (ط – عالم الكتب). وعندهما في آخره: «قال الأصمعي: لم يدعه في الحياة ولا في الممات».

(٥) تاريخ دمشق ٥٠/ ٢٤٦.

ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ونصب لي كرسيًّا وأجلسني عليه، وأمرني بإنشاد «طربت»، فلما بلغتُ إلىٰ قولي:

حنانيك رب الناس من أن يغرَّني كما غرَّهم شربُ الحياة المنضب[1]

قال: صدقتَ يا كميت، إنه ما غرَّك ما غرَّهم، فقد غفرت لك بصدقك في صفوتي من بَرِيَّتي وخيرتي من خليقتي، وجعلت لك بكل منشد أنشد بيتًا من مدحك آل محمد رتبة أرفعها لك في الآخرة إلىٰ يوم القيامة.

وعن[2] ابن الشعشاع المصري قال: رأيت أبا بكر النابلسي - أحد مَن قتله بنو عبيد علىٰ السنَّة - بعدما قُتِل في المنام وهو في أحسن هيئة، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال:

حباني مالكي بدوام عزٍّ وواعدني بقرب الانتصار
وقرَّبني وأدناني إليه وقال أنعِمْ بعيش في جواري

وعن[3] عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيت سفيان الثوري في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يكن إلا أن وُضِعت في اللحد ووقفت بين يدي الله فحاسبني حسابًا يسيرًا ثم أمر بي إلىٰ الجنة، فبينا أنا بين رياحينها وأشجارها لا أسمع حسًّا ولا حركة فإذا بصوت يقول: يا سفيان بن سعيد، هل تعلم أنك آثرتَ اللهَ علىٰ نفسك؟ فقلت: إي واللهِ. فأخذتني صواني النثار من كل جانب.

وعن أحمد بن حنبل قال: رأيت الشافعي في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوَّجني وزوَّجني وقال لي: هذا بما لم تَزْهُ بما أرضيتُك، ولم تتكبَّر

---

(١) البيت في ديوان الكميت المعروف بالقصائد الهاشميات [بشرح أبي رياش القيسي] ص ٧٢ (ط - عالم الكتب).

(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٥١.

(٣) تاريخ دمشق ٥١/ ١٨٤. والخبر في: تاريخ بغداد ٩/ ٤٤١.

فيما أعطيتُك.

وعن إسماعيل بن إبراهيم الفقيه قال: رأيت الحافظ أبا أحمد الحاكم في النوم، فقلت: أيُّ الفرق أكثر نجاةً عندكم؟ فقال: أهل السنَّة(١).

وعن(٢) خيثمة بن سليمان قال: رأيت عاصمًا الأَطْرابُلُسي - أحد الغُزاة - في النوم بعدما توفي، فقلت: أيش حالك يا أبا علي؟ فقال: إنَّا لا نكنَّىٰ بعد الموت. ولم يجبْني بغير هذا. فقلت: أيش حالك يا عاصم؟ وإلامَ صِرتَ؟ قال: صرتُ إلىٰ رحمة واسعة وإلىٰ جنة عالية. قلت: بماذا؟ قال: بكثرة جهادي في البحر.

وعن(٣) مالك بن دينار قال: رأيت مسلم بن يسار في النوم، فقلت: ماذا لقيتَ بعد الموت؟ قال: لقيتُ أهوالاً وزلازل عظامًا شدادًا. قلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قَبِلَ منا الحسنات، وعفا لنا عن السيئات، وضمنَ لنا التبعات.

وعن(٤) الحسن بن عبد العزيز الهاشمي قال: رأيت أبا جعفر محمد بن جرير الطبري في النوم، فقلت: كيف رأيتَ الموت؟ قال: ما رأيت إلا خيرًا. قلت: كيف رأيت هول المطَّلع؟ قال: ما رأيت إلا خيرًا. فقلت: إن ربك بك حفيٌّ، اذكرْنا عند ربك. قال: يا أبا علي، تقول: اذكرنا عند ربِّك، ونحن نتوسَّل بكم إلىٰ رسول الله ﷺ؟!

وعن(٥) حبيش بن مبشر قال: رأيت يحيىٰ بن معين في المنام، فقلت: ما

---

(١) في تاريخ دمشق ٥٥/ ١٥٩: «فقلت: أي الفرق أكثر - أو أسرع - نجاة عندكم؟ فأشار إليَّ بأصبعه السبابة فقال: أنتم».

(٢) تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٩٥.

(٣) تاريخ دمشق ٥٨/ ١٤٩ - ١٥٠. ورواه أيضا: ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٣٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ١/ ٤٥٣.

(٤) تاريخ دمشق ٥٢/ ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٥) تاريخ دمشق ٦٥/ ٤١ - ٤٣. ورواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ١٢٦ حتىٰ قوله (مرتين). ورواه بنحوه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢١٣.

فعل الله بك؟ قال: قرَّبني وأعطاني وأدناني وحباني وزوَّجني ثلاثمائة حوراء وأدخلني عليه مرتين. فقلت: بماذا؟ فأخرج شيئًا من كمِّه وقال: بهذا. يعني الحديث.

وعن[١] سليمان العُمَري قال: رأيت أبا جعفر يزيد بن القعقاع القارئ في النوم، فقال: أقرئ إخواني مني السلامَ، وأخبِرْهم أن الله جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرئ أبا حازم السلامَ وقل له: يقول لك أبو جعفر: الكَيْس الكيس، فإن الله وملائكته يتراءون مجلسَك بالعشيَّات.

وعن[٢] زكريا بن عدي قال: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي.

وعن[٣] محمد بن فضيل بن عياض قال: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: أيَّ العمل وجدتَ أفضل؟ قال: الأمر الذي كنتُ فيه. قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم.

وعن[٤] عبد العزيز قال: رأيت أبي في النوم بعد موته، فقلت: أيَّ الأعمال وجدتَ أفضل؟ قال: الاستغفار يا بني.

وعن عبد الله بن عبد الرحمن قال: رأيت الخليفة المتوكل في النوم، فقلت:

---

(١) تاريخ دمشق ٦٥/ ٣٦١. والخبر في: المنامات لابن أبي الدنيا ص ١٤٥، والمعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان ١/ ٦٧٦. وفي هذه المصادر أنه رآه على الكعبة.

(٢) تاريخ دمشق ٣٢/ ٤٨٤. وفي الرحلة في طلب الحديث للخطيب ص ٩٠: برحلتي في الحديث.

(٣) تاريخ دمشق ٣٢/ ٤٨٢. والخبر في: المنامات لابن أبي الدنيا ص ٥٣، وشعب الإيمان ٦/ ١٦٧، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٠٨. وتمامه: «فقلت: أي شيء صنع بك؟ قال: غُفرت لي مغفرة تتبعها مغفرة، وكلمتني امرأة من أهل الجنة، أو امرأة من الحور العين».

(٤) تاريخ دمشق ٣٦/ ٣٣١ عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال:رأيت أبي في النوم بعد موته كأنه في حديقة، فدفع إليَّ تفاحات، فأولتهن بالولد، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الاستغفار يا بني.

والخبر في: المنامات لابن أبي الدنيا ص ٢٩.

ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: غفر لك وقد عملتَ ما عملتَ؟ قال: نعم، بالقليل من السنَّة التي أظهرتُها[١].

وعن[٢] عبد الله بن صالح الصوفي قال: رُؤي بعض أصحاب الحديث في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قيل: بأيِّ شيء؟ قال: بصلاتي في كتبي على رسول الله ﷺ.

وعن[٣] يزيد بن نعامة قال: رأى رجل [حي] ميتًا، فقال له الميت: يا فلان، أخبِر الناسَ أن وجه عامر بن عبد قيس يوم القيامة مثل القمر ليلة البدر.

وعن[٤] عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: رأيت أبي في المنام وعليه قلنسوة طويلة، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: زيَّنني بزينة العلم. قلت: فأين مالك ابن أنس؟ قال: مالك فوق فوق. فلم يزل يقول «فوق فوق» ويرفع رأسه حتى سقطت القلنسوة عن رأسه.

وعن[٥] الحسين بن إسماعيل المحاملي قال: رأيت القاشاني في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ فأوما إليَّ أنه نجا بعد شدة. قلت: فما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: غفر الله له. قلت: فبشر الحافي؟ قال: [ذاك] تجيئه الكرامةُ من الله في كل يوم مرتين.

---

(١) هذا سياق الخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ٥٣. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧٢/ ١٦٦ عن أبي عبد الله ابن الجلاء قال: رأيت المتوكل بعد موته بأشهر كأنه بين يدي الله تعالى، فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: بالقليل من السنة تمسكت بها. قلت: فما تصنع ههنا؟ قال: أنتظر محمدا ابني أخاصمه إلى الله الحليم العظيم الكريم.

(٢) تاريخ دمشق ٥٤/ ١١٣. والخبر في: شرف أصحاب الحديث للخطيب ص ١١١.

(٣) تاريخ دمشق ٢٦/ ٤٢.

(٤) تاريخ دمشق ١٩/ ٢٩٣.

(٥) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٣.

وعن[١] عاصم الحربي قال: رأيت في المنام كأنِّي دخلت درب هشام، فلقيني بشر الحافي، فقلت: من أين؟ قال: من عِلِّيين. قلت: ما فعل أحمد بن حنبل؟ قال: تركتُ الساعةَ أحمدَ بن حنبل وعبد الوهاب الورَّاق بين يدي الله يأكلان ويشربان ويتنعَّمان. قلت: فأنت؟ قال: علم اللهُ قلة رغبتي في الطعام فأباحني النظر إليه.

وعن[٢] أبي جعفر السَّقَّاء قال: رأيت بشرًا الحافي ومعروفًا الكرخي في النوم كأنَّهما جائيان، فقلت: من أين؟ فقالا: من جنة الفردوس، وقد زرنا موسىٰ كليم الرحمن عَزَّوَجَلَّ.

وعن[٣] القاسم بن منبه قال: رأيت بشرًا الحافي في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وقال لي: يا بشر، قد غفرت لك ولكل مَن تبع جنازتَك. فقلت: يا رب، ولكل مَن أحبَّني. قال: ولكل مَن أحبَّك إلىٰ يوم القيامة.

وعن[٤] أحمد الدورقي قال: مات جارٌ لي، فرأيته في النوم وعليه حُلَّتان، قلت: أيش قصتك؟ قال: دُفِن في مقبرتنا بشر الحافي، فكُسِي أهل المقبرة حُلَّتين حلتين.

وعن[٥] حجاج بن الشاعر قال: رُؤي بشر الحافي في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وقال: يا بشر، ما عبدتني علىٰ قدْر ما نوَّهتُ باسمك.

وعن[٦] رجل أنه رأىٰ بشرًا في النوم، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٣. والخبر في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/ ٥٠٩، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٨٦.

(٢) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٤. والخبر في: المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٢/ ٢٤٠. وفي المصدرين: «كأنهما جائيان في قبة، أو كما قال».

(٣) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٥. والخبر في: تاريخ بغداد ٧/ ٥٦١.

(٤) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٦. والخبر في: تاريخ بغداد ١/ ٤٤٤.

(٥) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٧. والخبر في: تاريخ بغداد ٧/ ٥٦١.

(٦) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٧. والخبر في: المنامات لابن أبي الدنيا ص ١٢٨ - ١٢٩. وفي =

وقال لي: يا بشر، لو سجدتَ لي علىٰ الجمر ما كافأتَ ما جعلتُ لك في قلوب عبادي.

وعن(١) محمد بن خزيمة قال: لمَّا مات أحمد بن حنبل اغتممت غمًّا شديدًا، فبتُّ ليلتي، فرأيته في المنام وهو يتبختر في مشيته، فقلت: يا أبا عبد الله، أيُّ مشية هذه؟ فقال: مشية الخُدَّام في دار السلام. فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وتوَّجني، وألبسني نعلين من ذهب، وقال: يا أحمد، هذا بقولك: إن القرآن كلامي. ثم قال لي: يا أحمد، ادْعُني بتلك الدعوات التي [بلغتك عن الثوري و] كنت تدعو بها في دار الدنيا. فقلت: يا رب، كل شيء. فقال: هيه. فقلت: بقدرتك علىٰ كل شيء. فقال لي: صدقتَ. فقلت: لا تسألني عن شيء، واغفر لي كل شيء. قال: قد فعلتُ. ثم قال: يا أحمد، هذه الجنة، فقمْ فادخلْ إليها بسلام. فدخلت فإذا بسفيان الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلىٰ نخلة ويقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٤] فقلت له: ما فعل عبد الوهاب الورَّاق؟ قال: تركتُه في بحر من نور في زَلاَّل من نور يُزار به الملك الغفور. قلت: فما فعل بشرٌ الحافي. قال: بخ بخ، ومَن مثل بشر؟ تركتُه بين يدي الجليل، وبين يديه مائدة من الطعام، والجليل يُقبِل عليه ويقول: كلْ يا مَن لم يأكل، واشربْ يا مَن لم يشرب، وانعَمْ يا مَن لم يتنعَّم في دار الدنيا.

وعن(٢) دُلَف بن أبي دُلَف العِجْلي قال: رأيت أبي في المنام في دار وحشة

= الرسالة القشيرية ص ٥٧: «غفر لي وأباح لي نصف الجنة وقال لي».

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٣٣٦، ١٠/ ٢٢٨. والخبر في: حلية الأولياء ٩/ ١٩٠.

(٢) تاريخ دمشق ٤٩/ ١٥٠، وفيه: «رأيت كأن آتيا أتاني بعد موت أبي فقال: أجب الأمير. فقمت معه، فأدخلني دارا وحشة، وعرة، سوداء الحيطان، مقلعة السقوف والأبواب، ثم أصعدني درجا فيها، ثم أدخلني غرفة، فإذا في حيطانها أثر النيران، وإذا في أرضها أثر الرماد ...» والباقي سواء. والخبر في: تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٥، والمقلق لابن الجوزي ص ٩٩.

وعرة سوداء الحيطان، وإذا في أرضها أثر الرماد، وإذا أبي عريان واضعًا رأسه بين ركبتيه، فقال لي كالمستفهِم: دلف؟ قلت: نعم، أصلح الله الأميرَ. فأنشأ يقول:

أبلغَنْ أهلَها ولا تُخْفِ عنهم ... ما لقينا في البرزخ الخَنَّاق
قد سُئلنا عن كل ما قد فعلنا ... فارحموا وحشتي وما قد ألاقي

أفهمتَ؟ قلت: نعم. ثم أنشأ يقول:

فلو أنَّا إذا متنا تُرِكنا ... لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بُعِثنا ... فنُسأل بعده عن كل شي

انصرفْ. قال: فانتبهت.

وعن(١) الأصمعي عن أبيه قال: رأيت الحجاج في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتلة قتلتُ بها إنسانًا. ثم رأيته بعد حول، فقلت: ما صنع الله بك؟ فقال: أما سألتَ عن هذا عام أول؟

وعن(٢) عمر بن عبد العزيز قال: رأيت في النوم جيفة ملقاة، فقلت: ما هذا؟ قالوا: إنك إن كلَّمتَه كلَّمك. فوكزته برجلي، فرفع رأسه إليَّ وفتح عينيه، فقلت له: مَن أنت؟ قال: أنا الحجاج، قدمت علىٰ الله فوجدته شديد العقاب، فقتلني بكل قتلةٍ قتلةً، وها أنا ذا موقوف بين يدي الله أنتظر ما ينتظر الموحِّدون من ربِّهم، إما إلىٰ جنة وإما إلىٰ نار.

وعن(٣) أبي الحسين قال: رأيت فيما يرىٰ النائم كأنِّي أُدخِلتُ موضعًا واسعًا، وإذا رجل علىٰ السرير قاعد، وبين يديه رجل يُقلَىٰ، قلت: مَن هذا القاعد؟ قيل:

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠١. والخبر في: معجم ابن الأعرابي ص ٩١٢.

(٢) تاريخ دمشق ٦٦/ ١٢٨ - ١٣١. والخبر في: حلية الأولياء ٥/ ٣٠١.

(٣) تاريخ دمشق ٣٥/ ٤١٧.

إن ذا يزيد النحوي، وهذا أبو مسلم - يعني الخراساني صاحب الدعوة - يُقلَىٰ بين يديه. قلت: فما حال إبراهيم الصائغ؟ قال: ذاك في أعلىٰ عِلِّيِّين، ومَن يصل إليه؟

وعن(١) أحمد بن عبد الرحمن المعبِّر قال: رأيت صالح بن عبد القدُّوس ضاحكًا مستبشرًا، فقلت: ما فعل بك ربُّك؟ وكيف نجوتَ ممَّا كنتَ تُرمَىٰ به من الزندقة؟ قال: إني وردت علىٰ ربٍّ لا تخفَىٰ عليه خافيةٌ، فاستقبلني برحمته وقال: قد علمتُ براءتك مما كنت تُرمَىٰ به.

وعن(٢) بعض المكِّيين قال: رأيت سعيد بن سالم القَدَّاح في النوم، فقلت: مَن أفضل من في هذه المقبرة؟ قال: صاحب هذا القبر(٣). قلت: بم فضلكم؟ قال: إنه ابتُلي فصبر. قلت: ما فعل فضيل بن عياض؟ قال: هيهات! كُسِي حُلَّة لا تقوم لها الدنيا بحواشيها.

وعن(٤) أبي الفرج غيث بن علي الأرمنازي قال: رأيت أبا الحسن العاقولي المقرئ في النوم في هيئة صالحة، فسألته عن حاله، فذكر خيرًا. قلت: أليس قد متَّ؟ قال: بلىٰ. قلت: فكيف رأيتَ الموت؟ قال: حسن - أو جيد - وهو مستبشر، قلت: غُفر لك ودخلتَ الجنة؟ قال: نعم. قلت: فأيُّ الأعمال أنفع؟ قال: ما ثَم شيء أنفع من الاستغفار، أكثِرْ منه.

وعن(٥) الحسن بن قريش الحَرَّاني قال: رأيت أماجور الأمير في النوم، فقلت

---

(١) تاريخ دمشق ٢٣/ ٣٥٥. والخبر في: تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٥، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٢ (ط - دار المعارف).

(٢) تاريخ دمشق ٤٨/ ٤٥٣.

(٣) كذا هنا وفي تاريخ دمشق وفي مختصر ابن منظور ٢٠/ ٣٣١ وفي شرح الصدور ص ٢٩٢. وفي المنامات لابن أبي الدنيا ص ١٢٦: صالح بن عبد العزيز.

(٤) تاريخ دمشق ٤١/ ٣٢٤.

(٥) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٥٠.

له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: بضبطي لطرق المسلمين وطريق الحاج.

وعن[1] أبي نصر ابن ماكولا قال: رأيت في المنام كأنِّي أسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني في الآخرة، فقيل لي: ذاك يُدعَىٰ في الجنة الإمام.

وعن[2] عبد الله بن صالح قال: رُؤي أبو نواس في المنام وهو في نعمة كبيرة، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وأعطاني هذه النعمة. قيل: وبماذا وقد كنتَ مخلِّطًا؟ قال: جاء بعض الصالحين إلىٰ المقابر في ليلة من الليالي، فبسط رِداءه، وصلىٰ ركعتين قرأ فيهما ألفي مرة «قل هو الله أحد»، وجعل ثوابهما لأهل المقابر، فغفر الله لأهل المقابر عن آخرهم، فدخلت أنا في جملتهم.

وعن[3] محمد بن نافع قال: رأيت أبا نواس وأنا بين النائم واليقظان، فقلت: أبو نواس؟ قال: لات حين كنية. قلت: الحسن بن هانئ؟ قال: نعم. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتُها هي تحت الوسادة، فأتيتُ أهله، فرفعت الوسادة فإذا برقعة فيها مكتوب:

يا رب إن عظمتْ ذنوبي كثرةً ... فلقد علمتُ بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ ... فمَن الذي يدعو ويرجو المجرمُ
أدعوك ربي كما أمرتَ تضرُّعًا ... فإذا رددتَ يدي فمَن ذا يرحم

---

(١) تاريخ دمشق ٤٣/ ١٠٦. والخبر في: تاريخ بغداد ١٣/ ٤٩٤.

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٦٥.

(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٦٥ - ٤٦٦، وفيه: «كان أبو نواس لي صديقا، فوقعت بيني وبينه هجرة في آخر عمره، ثم بلغتني وفاته، فتضاعف عليَّ الحزن، فبينا أنا بين النائم واليقظان ...» الخ. والخبر في: تاريخ بغداد ٨/ ٤٩١ - ٤٩٢.

مـا لـي إليـك وسـيلة إلا الرجـا وجميـل عفـوك ثـم إني مسـلم[١]

وعن[٢] أبي بكر الأصبهاني قال: رُؤي أبو نواس في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتُها في النرجس:

تأمَّلْ في نبـات الأرض وانظـرْ إلـىٰ آثـار مـا صنـع المليـكُ
عيـون في لُجَيـن فاخـرات وأحـداق كمـا الذهـب السـبيك
علـىٰ قصـب الزبرجـد شـاهدات بـأن الله ليـس لـه شـريك[٣]

وعن[٤] عبدان بن محمد المروزي قال: مات يعقوب بن سفيان الحافظ، فرأيته في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وأمرني أن أحدِّث في السماء كما كنت أحدِّث في الأرض، فحدَّثت في السماء الرابعة، فاجتمع عليَّ الملائكةُ، واستملَىٰ عليَّ جبريلُ، وكتبوا بأقلام من ذهب.

وعن[٥] أبي عبيد بن حربويه أن رجلاً حضر جنازة السري السقطي، فلما كان في بعض الليل رآه في النوم فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمَن حضر جنازتي وصلىٰ عليَّ. قال: فإني ممَّن حضر جنازتك وصلىٰ عليك. فأخرج درجًا فنظر فيه فلم يرَ فيه اسمه، فقال: بلىٰ قد حضرتُ. قال: فنظر فإذا اسمه في الحاشية.

وعن[٦] أبي القاسم ثابت بن أحمد بن الحسين البغدادي قال: رأيت أبا القاسم سعد بن محمد الزنجاني في النوم يقول لي مرةً بعد أخرىٰ: يا أبا القاسم،

---

(١) الأبيات في ديوان أبي نواس ٢/ ١٧٣.
(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٦٥.
(٣) لم أقف علىٰ هذه الأبيات في ديوان أبي نواس.
(٤) تاريخ دمشق ٧٤/ ١٦٥. والخبر في: التدوين للرافعي ١/ ٤٧٧ – ٤٧٨.
(٥) تاريخ دمشق ٢٠/ ١٩٨ – ١٩٩. والخبر في: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٦.
(٦) تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٧٥.

إن الله عَزَّوَجَلَّ يبني لأهل الحديث بكل مجلس يجلسونه بيتًا في الجنة.

وعن(١) محمد بن مسلم بن وارة قال: رأيت أبا زُرعة في المنام، فقلت له: ما حالك؟ قال: أحمد اللهَ علىٰ الأحوال كلها، إني أُحضِرت فوقفت بين يدي الله تعالىٰ، فقال لي: يا عبيد الله، بمَ تذرَّعت في القول في عبادي؟ قلت: يا رب، إنهم حادلوا دينَك. قال: صدقتَ. ثم أُتي بطاهر الخُلْقاني، فاستعديتُ عليه إلىٰ ربي، فضُرِب الحد مائة، ثم أمر به إلىٰ الحبس، ثم قال: ألحِقوا عبيد الله بأصحابه بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد ابن حنبل.

وعن(٢) حفص بن عبد الله قال: رأيت أبا زُرعة في النوم بعد موته يصلي في سماء الدنيا بالملائكة، قلت: بمَ نلتَ هذا؟ قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث أقول فيها: عن النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «مَن صلىٰ عليَّ صلاةً صلىٰ الله عليه عشرًا».

وعن(٣) يزيد بن مخلد الطَّرَسوسي قال: رأيت أبا زُرعة بعد موته يصلي في السماء الدنيا بقوم عليهم ثياب بِيض، وعليه ثياب بِيض، وهم يرفعون أيديهم في الصلاة، فقلت: يا أبا زرعة، مَن هؤلاء؟ قال: الملائكة. قلت: بأيِّ شيء أدركتَ هذا؟ قال: برفع اليدين في الصلاة. فقلت: إن الجهمية قد آذوا أصحابَنا بالري. قال: اسكتْ، فإن أحمد بن حنبل قد سد عليهم الماءَ من فوق.

وعن(٤) أبي العباس المرادي قال: رأيت أبا زرعة في النوم، فقلت له: ما

---

(١) تاريخ دمشق ٣٨/ ٣٤. والخبر في: حلية الأولياء ٩/ ٢٢١، وتاريخ بغداد ١٢/ ٤٦.

(٢) تاريخ دمشق ٣٨/ ٣٨ - ٣٩. والخبر في: تاريخ بغداد ١٢/ ٤٦.

(٣) تاريخ دمشق ٣٨/ ٣٧.

(٤) تاريخ دمشق ٣٨/ ٣٩. والخبر في: تاريخ بغداد ١٢/ ٤٧. وفي الصلة لابن بشكوال ص ٦٧١: «رأيت أبا زرعة في المنام كأنه يصلي في السماء السابعة بالملائكة، فقلت له: ما حالك؟ فقال: لقيت ...» الخ.

فعل الله بك؟ قال: لقيت ربي، فقال لي: يا أبا زرعة، إني أوتَىٰ بالطفل فآمر به إلىٰ الجنة، فكيف بمَن حفظ السنن علىٰ عبادي، فتبوَّأْ من الجنة حيث شئتَ.

انتهىٰ ما اخترته من تاريخ ابن عساكر.

ومما انتقيته من كتاب المنامات لابن أبي الدنيا:

أخرج(١) عن شهر بن حوشب: أن الصعب بن جَثَّامة وعوف بن مالك كانا متواخيينِ، فقال الصعب لعوف: أيْ أخي، أيُّنا مات قبل صاحبه فليتراءىٰ له. قال: أوَ يكون ذلك؟ قال: نعم. فمات الصعب، فرآه عوف في المنام، فقال: ما فُعِل بك؟ قال: غُفِر لي بعد المَشاقِّ. قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه، قلت: ما هذه؟ قال: عشرة دنانير أُسلفتها من فلان اليهودي، فهي في قَرَني - والقَرَن محرَّكة: جعبة النشاب - فأعطُوه إياها، واعلمْ أنه لم يحدث في أهلي حدثٌ بعد موتي إلا قد لحق بي خبرُه، حتىٰ هرَّة لنا ماتت منذ أيام، واعلمْ أن ابنتي تموت إلىٰ ستة أيام، فاستوصوا بها معروفًا. قال عوف: فلما أصبحت أتيت أهلَه، فنظرت إلىٰ القرن فأنزلته، فإذا فيه عشرة دنانير في صرَّة(٢)، فبعثت إلىٰ اليهودي [فجاء] فقلت له: هل كان لك علىٰ صعب شيء؟ فقال: رحم الله صعبًا، كان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، أسلفته عشرة دنانير. فنبذتُها إليه، قال: هي واللهِ بأعيانها. فقلت: هل حدث فيكم حدثٌ بعد موت الصعب؟ قالوا: نعم، حدث فينا كذا، حدث فينا كذا. فما زالوا يذكرون حتىٰ ذكروا موت الهرَّة، قلت: أين ابنة أخي؟ قالوا: تلعب. فمسستها فإذا هي محمومة، فقلت: استوصوا بها معروفًا. فماتت لستة أيام.

وعن(٣) محمد بن النضر الحارثي قال: رأىٰ مَسلمة بن عبد الملك عمرَ بن

---

(١) المنامات ص ٢٧ - ٢٨. والخبر في: الجليس الصالح الكافي للمعافى بن زكريا ٣/ ٢٧٤.

(٢) في المنامات: «فلما أصبحت قلت: إن في هذا لمعلما، فأتيت أهله، فقالوا: مرحبا بعوف، هكذا تصنعون بتركة إخوانكم، لم تقربنا منذ مات الصعب. فاعتللت بما يعتل به الناس، فنظرت إلىٰ القرن فأنزلته فانتثلت ما فيه فبدرت الصرة التي فيها الدنانير، فبعثت ...» الخ.

(٣) المنامات ص ٣٠. والخبر في: تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٦٢.

عبد العزيز، فقال: يا أمير المؤمنين، ليت شِعري إلىٰ أيِّ الحالات صرتَ بعد الموت؟ قال: يا مسلمة، هذا أوان فراغي، واللهِ ما استرحت إلا الآن. قلت: فأين أنت؟ قال: أنا مع أئمَّة الهدىٰ في جنات عدن.

وعن[١] أبي بكر الخيَّاط قال: رأيت كأنِّي دخلت المقابر، فإذا أهل القبور جلوس علىٰ قبورهم، بين أيديهم الريحان، وإذا أنا بأبي محفوظ[٢] قائمًا فيما بينهم يذهب ويجيء، فقلت: يا أبا محفوظ، ما صنع بك ربُّك؟ أوَ ليس قد متَّ؟ قال: بلىٰ. ثم قال:

موت التقيِّ حياةٌ لا نفاد لها ... قد مات قوم وهم في الناس أحياء[٣]

وعن[٤] سلمة البصري قال: رأيت بزيع بن مسور العابد في منامي، وكان كثير الذكر لله، كثير الذكر للموت، طويل الاجتهاد، قلت: كيف رأيت موضعك؟ قال:

وليس يعلم ما في القبر داخله ... إلا الإله وساكنُ الأجداث

وعن[٥] بشر بن المفضل قال: رأيت بشر بن منصور في النوم، فقلت له: يا أبا محمد، ما صنع بك ربُّك؟ قال: وجدت الأمر أهون مما كنت أحمل علىٰ نفسي.

وعن[٦] حفص المُرْهِبي قال: رأيت داود الطائيَّ في منامي، فقلت: يا أبا سليمان، كيف رأيتَ [خير] الآخرة؟ قال: رأيتُ خير الآخرة كثيرًا. قلت: فماذا صِرتَ إليه؟ قال: صرتُ إلىٰ خير والحمد لله. قلت: فهل لك من علم بسفيان ابن

---

(١) المنامات ص ٨٢ - ٨٣. والخبر في: حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠. ورواه بنحوه: ابن الأعرابي في معجمه ص ٧٨٥ عن صدقة المقابري.

(٢) يعني معروف بن فيروز الكرخي.

(٣) البيت لسابق بن عبد الله البربري الرقي، وهو في ديوانه ص ١٠١ (ط - دار الوفاء بالإسكندرية).

(٤) المنامات ص ٨٥.

(٥) المنامات ص ٨٦. والخبر في: الزهد لأحمد ص ٢٥٨، وحلية الأولياء ٦/ ٢٤١ - ٢٤٢.

(٦) المنامات ص ٥٠، ٩٠ - ٩١. والخبر في: تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٠.

سعيد؟ فقد كان يحب الخير وأهله. قال: فتبسَّم ثم قال: رقَّاه الخيرُ إلىٰ درجة أهل الخير.

وعن[(١)] عتبة بن ضمرة عن أبيه قال: لقيت عمَّتي في المنام، فقلت: كيف أنتِ؟ قالت: بخير، قد وُفِّيتُ عملي حتىٰ أُعطيتُ ثواب خلاط أطعمتُه. والخلاط: [خلطُ] اللبن بالبقل.

وعن[(٢)] عبد الملك الليثي قال: رأيت عامر بن عبد قيس في النوم، فقلت: ما وجدتَ؟ قال: خيرًا. قلت: أيَّ العمل وجدتَ أفضل؟ قال: كل شيء أُريدَ به وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

وعن[(٣)] أبي عبد الله الهجري قال: مات عمٌّ لي، فرأيته في النوم وهو يقول: الدنيا غرور، والآخرة للعاملين سرور، ولم نرَ شيئًا مثل اليقين والنصح لله وللمسلمين، لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، واعملْ عمل مَن يعلم أنه مقصِّر.

وعن[(٤)] الأصمعي قال: رأيت شيخًا من البصريين من أصحاب يونس بن عبيد وقد مات، فقلت: من أين أقبلتَ؟ قال: من عند يونس الطبيب. قلت: مَن يونس الطبيب؟ قال: الفقيه اللبيب. قلت: ابن عبيد؟ قال: نعم. قلت: وأين هو؟ قال: في مجالس الأرجوان مع الجواري الأبكار، قرَّت عيناه بصحة تقواه.

وعن[(٥)] ميمون الكردي قال: رأيت عروة البزَّاز في النوم بعد موته، فقال: إن لفلان السَّقَّاء عليَّ درهمًا، وهو في كُوَّة في بيتي، فخذْه وادفعْه إليه. قال: فلما

---

(١) المنامات ص ٩٣. والخبر في: حلية الأولياء ٦/ ١٠٤.

(٢) المنامات ص ٩٤ من رواية عبد الملك عن خالد بن وردان قال: رأيت عامر بن أبي حفص أبا سعيد ابن عامر فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: خيرا ... والباقي سواء.

(٣) المنامات ص ٩٦.

(٤) المنامات ص ٩٧.

(٥) المنامات ص ٩٩.

أصبحتُ لقيت السقاءَ، فقلت له: ألك عند عروة شيء؟ فقال: نعم، درهم. فدخلت بيته، فوجدت الدرهم في الكوَّة [فأخذته] فدفعته إلىٰ السَّقَّاء.

وعن(١) رجل من أهل الكوفة قال: رأيت سويد بن عمرو الكلبي في النوم بعدما مات في حال حسنة، قلت: يا سويد، ما هذه الحال الحسنة؟ قال: إني كنت أُكثِرُ من قول «لا إله إلا الله»، فأكثِرْ منها. ثم قال: إن داود الطائي ومحمد بن النضر الحارثي طلبا أمرًا فأدركاه.

وعن(٢) إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: رأيت الضحَّاك بن عثمان في النوم، فقلت: ما فعل بك ربُّك قال: في السماء تماريد(٣)، من قال «لا إله إلا الله» تعلَّق بها، ومَن لم يقلْها هوىٰ.

وعن(٤) محمد بن عبد الرحمن المخزومي قال: رأىٰ رجل ابنَ عائشة التميمي في النوم، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بحبي إيَّاه.

وعن(٥) السري بن يحيىٰ، عن والان بن عيسىٰ - رجل من قزوين، وكان من الصالحين - قال: اغترني القمر ليلةً، فخرجت إلىٰ المسجد، فصلَّيت وسبَّحت ودعوت، فغلبتني عيناي [فنمت] فرأيت جماعة أعلم أنهم ليسوا بالآدميين، بأيديهم أطباق عليها أربعة أرغفة ببياض الثلج، فوق كل رغيف دُرٌّ أمثال الرمان، فقالوا: كلْ. فقلت: إني أريد الصوم. قالوا: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل. فأكلت، وجعلت آخُذ ذلك الدُّر لأحتمله، فقيل لي: دَعْه نغرسه لك شجرًا يُنبِت لك خيرًا من هذا. قلت: أين؟ قالوا: في دار لا تخرب، وثمر لا يتغير، ومُلكٍ لا

---

(١) المنامات ص ٩٩.

(٢) المنامات ص ١٠٠.

(٣) أي أبراج، وانظر: تاج العروس ٧/ ٤٥٩.

(٤) المنامات ص ١٠٠، وفيه: عفا عني، بدل: غفر لي. والخبر في: تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢.

(٥) المنامات ص ١٠٠.

ينقطع، وثياب لا تبلىٰ، فيها رضوىٰ وعينا[١] وقرَّة عين، أزواج رضيَّات مرضيَّات راضيات، لا يغرنَ، فعليك بالانكماش فيما أنت فيهن فإنما هي غفوة حتىٰ ترتاح[٢] فتنزل الدارَ. قال: فما مكث إلا جمعتين حتىٰ توفي. قال السري: فرأيته في الليلة التي توفي فيها وهو يقول لي: ألا تعجب من شجر غُرِس لي يومَ حدَّثتُك وقد حمل. قلت: حمل ماذا؟ قال: لا تسأل عمَّا لا يقدر علىٰ صفته أحدٌ، لم نرَ مثل الكريم إذا حلَّ به مطيعٌ.

وعن[٣] إسماعيل بن عبد الله بن ميمون قال: رأيت علي بن محمد بن عمران ابن أبي ليلىٰ في النوم، فقلت: أيَّ الأعمال وجدتَ أفضل؟ قال: المعرفة. قلت: ما تقول في الرجل يقول حدثنا وأخبرنا؟ قال: فقال: إني أبغِضُ المُباهاة.

وعن[٤] بعض أصحاب مالك بن دينار أنه رأىٰ مالك بن دينار في النوم، فقال: ما صنع الله بك؟ قال: خيرًا، لم نرَ مثل العمل الصالح، لم نرَ مثل الصحابة الصالحين، لم نرَ مثل [مجالس] السلف الصالح، لم نرَ مثل مجالس الصالحين.

وعن[٥] عبد الوهاب بن يزيد الكِندي قال: رأيت أبا عمر الضرير، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني. قلت: فأيَّ الأعمال وجدتَ أفضل؟ قال: ما أنتم عليه من السنَّة والعلم. قلت: فأيَّ الأعمال وجدتَ شرًّا؟ قال: احذر الأسماءَ. قلت: وما الأسماء؟ قال: قدري ومعتزلي ومرجئ. فجعل يعدُّ أسماء أصحاب الأهواء..

---

(١) كذا هنا وفي المنامات وفي شرح الصدور ص ٢٧٩. وفي صفة الصفوة لابن الجوزي ص ٧٣٨: رضا وغنىٰ.

(٢) في المنامات: ترتحل.

(٣) المنامات ص ١٠٤.

(٤) المنامات ص ١٠٤. والخبر في: تاريخ دمشق ٥٦/ ٤٤٣.

(٥) المنامات ص ١٠٧.

وعن[١] أبي بكر الصيرفي قال: مات رجل كان يشتم أبا بكر وعمر ﷺ ويرىٰ رأي جَهْم، فأريه رجلٌ في النوم كأنَّه عريان وعلىٰ رأسه خرقة سوداء وعلىٰ عورته أخرىٰ، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: جعلني مع بكر القس وعون بن الأعسر. وهذان نصرانيان.

وعن[٢] شيخ قال: مات جارٌ لي، وكان ممَّن يخوض في هذه الأمور، فأُريته في النوم كأنَّه أعور، فقلت: يا فلان، ما هذا الذي أرىٰ بك؟ قال: تنقَّصتُ أصحابَ محمد ﷺ فنقصني هذا. ووضع يده علىٰ عينه الذاهبة.

وعن[٣] أبي جعفر المديني قال: رأيت محمود بن حميد في منامي - وكان من العاملين - وعليه ثوبان أخضران، فقلت: إلامَ صرتَ بعد الموت؟ فنظر إليَّ ثم أنشأ يقول:

نِعم المتَّقون في الخُلد حقًّا ... بجوار نواهد أبكار

قال أبو جعفر: ما سمعتُه من أحد قبله.

وعن[٤] إياس بن دغفل قال: رأيت أبا العلاء يزيد بن عبد الله فيما يرىٰ النائمُ، فقلت: كيف وجدتَ طعم الموت؟ قال: وجدته مرًّا كريهًا. قلت: فماذا صرتَ إليه بعد الموت؟ قال: صرت إلىٰ روح وريحان وربٍّ غير غضبان. قلت: فأخوك مطرف؟ قال: فاتني بيقينه.

وعن[٥] المنكدر بن محمد بن المنكدر قال: رأيت في منامي كأنِّي دخلت

---

(١) المنامات ص ١٠٩. والخبر في: تاريخ دمشق ٣٠/ ٤٠٣.

(٢) المنامات ص ١٠٩.

(٣) المنامات ص ١١٢ - ١١٣.

(٤) المنامات ص ٣١. والخبر في: تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٣٧.

(٥) المنامات ص ١٢٠. والخبر في: تاريخ دمشق ٥٦/ ٧١.

مسجد رسول الله ﷺ، فإذا الناس مجتمعون علىٰ رجل في الروضة، فقلت: مَن هذا؟ قيل: رجل قدمَ من الآخرة يخبر الناسَ عن موتاهم، فجئت أنظر، فإذا الرجل صفوان بن سليم. قال: والناس يسألونه، وهو يخبرهم فقال: أما ههنا أحد يسألني عن محمد بن المنكدر؟ فطفق الناس يقولون: هذا ابنه، هذا ابنه. ففرَّجتُ الناسَ فقلت: أخبِرْنا رحمك الله. قال: أعطاه الله من الجنة كذا، وأعطاه كذا، وأرضاه، وأسكنه منازلَ في الجنة وبوَّأه، فلا ظعن عليه ولا موت.

وعن[1] أبي كريمة قال: جاءني رجل فقال: رأيت كأنِّي أُدخِلتُ الجنة، فانتهيت إلىٰ روضة فيها أيوب ويونس وابن عون والتيمي، فقلت: أين سفيان الثوري؟ قالوا: ما نرىٰ ذاك إلا كما نرىٰ الكوكب الدُّرِّي.

وعن[2] مالك بن دينار قال: رأيت محمد بن واسع في الجنة، ورأيت محمد ابن سيرين في الجنة، فقلت: أين الحسن؟ قالوا: عند سدرة المنتهَىٰ.

وعن[3] يزيد بن هارون قال: رأيت محمد بن يزيد الواسطي في المنام، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: بمجلس جلسه إلينا أبو عمرو البصري يوم جمعة بعد العصر فدعا وأمَّنَّا فغُفِر لنا.

وعن[4] عقبة بن أبي ثبيت قال: رأيت خليد بن سعد في منامي بعد موته، فقلت: ما صنعتَ؟ قال: أفلتنا ولم نكد. قلت: متىٰ عهدكم بالقرآن؟ قال: لا عهد

---

(١) المنامات ص ١٣٣. والخبر في: تاريخ دمشق ٣١/ ٣٧٣.

(٢) المنامات ص ١٣٦. والخبر في: تاريخ دمشق ٥٦/ ١٧٥.

(٣) المنامات ص ١٤٩. والخبر في: تاريخ بغداد ٤/ ٥٩٣، وتاريخ دمشق ٥٦/ ٢٤٦.

(٤) المنامات ص ٤٩. والخبر في: تاريخ دمشق ١٧/ ٢٩. وقوله (ابن أبي ثبيت) كذا في شرح الصدور ص ٢٨٢. وفي المنامات: ابن أبي شيبة. وعند ابن عساكر: ابن أبي نسيبة. وقال: الصواب: ابن أبي ثبيب. وفي التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٤٣٨: «عقبة بن أبي نسيبة: رأيت خليد بن سعد في منامي. قاله ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة».

لنا به منذ فارقناكم.

انتهىٰ نص ابن أبي الدنيا.

(**فهذه جملة من المكاشفات تدل علىٰ أحوال الموتىٰ، وعلىٰ الأعمال المقرّبة إلىٰ الله زلفىٰ، فلنذكر بعدها ما بين يدي الموتىٰ من ابتداء نفخة الصور إلىٰ آخر القرار إما في الجنة أو في النار. والحمد لله حمد الشاكرين**) وبه انقضَىٰ ذِكرُ الأبواب الثمانية التي هي من الشطر الأول من هذا الكتاب، وهذا شروع في ذِكر الشطر الثاني. قال رحمه الله تعالىٰ: